

الحان السَّوَابِجِ

بين
البَّيَّادِيَّ وَالْمُرَاجِعِ

الجزء الأول

الكتاب السراج

بين
البادي والمراجع

تأليف

خليل بن أبي الصفا
المؤلف سنة ٧٦٤ هـ

الجزء الأول

عني بتحقيقه
إبراهيم صالح

دار البشائر

العنوان : ألحان السواجع بين البادي والمراجع

الجزء الأول

تأليف : خليل بن أبيك الصفا

تحقيق : إبراهيم صالح

عدد الصفحات : ٤٤٠ صفحة

قياس الصفحة : ١٧ × ٢٤ سم

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

التنضيد والإخراج : زياد ديب السروجي

المطبعة : المطبعة الدمشقية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي
والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن
خطي من:

الكتب والدراسات التي تصدرها
الدار لا تعني بالضرورة تبني
الأفكار الواردة فيها؛ وهي تُعبر عن
آراء واجتهادات أصحابها.



دار البشائر

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع ٢٩ أيار - جادة كرجية حنلا

هاتف : ٢٣١٦٦٦٨ - ٢٣١٦٦٦٩

ص. ب ٤٩٢٦ سورية - فاكس ٢٣١٦١٩٦

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

مقدمة التحقيق :

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه وتابعيه .

وبعد :

المؤلف (١) :

هو الإمام البار ، الأديب المفتي ، القاضي (٢) ، صلاح الدين (٣) ، أبو الصفاء ، خليل بن الأمير عز الدين أيتك (٤) بن عبد الله ، الألبكي (٥) ،

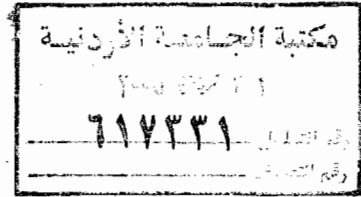
(١) ترجمته في : المعجم المختص للذمي ٩١ وذيل العبر للحسيني ٣٦٤ وطبقات الشافعية الكبرى للشبكي ٥/١٠. والبداية والنهاية لابن كثير ٦٨٠/١٨. ووفيات ابن رافع ٣٨٦ وتذكرة النيه لابن حبيب ٢٦٨/٣. والمتقى من دوة الأسلاك ٣٥٣. والنيل على العبر للعراقي ١٣٤/١. وتعريف ذوي العلا للفتي القاسي ١٤١. والمتقى الكبير للمقريزي ٧٦٧/٣. والشلوك ٨٧/٢/٣. ودرر العقود الفريدة ٧٧/٢. وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢٢٧/٢. وطبقات الشافعية له ١١٩/٣. والثور الكاسية لابن حجر ٨٧/٣. والتجويد الزاهرة لابن تغري بردي ١٩/١١. والمنهل الصافي ٢٤١/٥. والنيل الشافي ٢٩٠/١. والنيل الثام للشخاوي ٣٠٠/١. وشذرات الذهب لابن العماد ٣٤٣/٨. واليدر الطالع للشوكاني ٢٤٣/١.

(٢) لفظة القاضي ، من ذيل العبر للحسيني . وفي وفيات ابن رافع : الفارسي . تحريف . إذ ليس الصفتي فارسي الأصل ، بل هو تركي من أبناء الأجناد ، واسم أبيه خليل واضح على ذلك ، فأيتك بالتركية تعني : السيد القمر .

(٣) عرف في بداية أمره بلقب غرس الدين ، ثم تلقب بصلاح الدين . وفي هذا الكتاب مراسلات عديدة حوّل فيها بلقب غرس الدين شعراً ونثراً : ورثنا ألق من عينا بعد فقير . إلى فلان الدين .

(٤) التجويد الزاهرة . والمتقى من دوة الأسلاك .

(٥) قال الذمي في المعجم المختص : من موالى الأمير الكبير فارس الدين الألبكي . وهو الأمير فارس الدين الألبكي التركي الظاهري . من كبار الأمراء ومشجعائهم . ولأه الملك المصنوع ولاية صفد ، فأقام بها عشرة أعوام ، ثم جرت له أمور ، فتوفي بحمص سنة ٧٠٣ هـ . (الوافي =



الصَّفْدِيُّ ، الشَّافِعِيُّ .

وُلِدَ فِي صَفَدٍ ، سَنَةَ سِتٍّ وَتَسْعِينَ وَسِتِّمَةِ ، وَقِيلَ : سَبْعٍ وَتَسْعِينَ وَسِتِّمَةِ^(١) .

حَفِظَ الْقُرْآنَ الْعَزِيزَ فِي صِبْغِهِ^(٢) ، وَلَمْ يُمْكِنَهُ أَبَوُهُ مِنَ الْإِشْتَغَالِ بِالْعِلْمِ حَتَّى اسْتَوْفَى عَشْرِينَ سَنَةً^(٣) ؛ تَعَانَى خِلَالَهَا الرَّسْمَ فَمَهَرَ فِيهِ ، وَكَتَبَ الْخَطَّ الْمَنْسُوبَ^(٤) .

ثُمَّ طَلَبَ الْعِلْمَ بِنَفْسِهِ ، فَقَرَأَ عَلَى عُلَمَاءِ عَصْرِهِ ، وَطَافَ مَعَ الطُّلَبَةِ ، وَكَتَبَ الطُّبَاقَ ؛ فَسَمِعَ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ مِنْ يُونُسَ الدَّبُّوسِيِّ بِالْقَاهِرَةِ ، وَبَدَمَشَقَ مِنَ الْمِزِّيِّ وَالبَنْدَنِجِيِّ وَغَيْرِهِمَا .

وَبَرَعَ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، وَحُبِّبَ إِلَيْهِ الْأَدَبُ فَوَلَعَ بِهِ ، وَقَالَ الشُّعْرُ الْحَسَنُ ، ثُمَّ أَكْثَرَ جَدًّا مِنَ النِّظْمِ وَالشَّرِّ وَالتَّرْسُلِ .

ثُمَّ انْخَرَطَ فِي الْوِظَائِفِ الرَّسْمِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ ، وَكَانَتْ تَدُورُ خِلَالَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رِجَالِ عَصْرِهِ - عُلَمَاءَ وَأَدْبَاءَ - مَكَاتِبَاتٍ وَمُرَاسِلَاتٍ ، عَلَيْهَا مَدَارُ كِتَابِنَا هَذَا - « أَلْحَانُ السَّوَاجِعِ » .

وَتَصَدَّى لِرَوَايَةِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ فِي الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِدَمَشَقَ ، فَسَمِعَ مِنْهُ بَعْضُ أَشْيَاخِهِ ، كَالذَّهَبِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ وَالْحُسَيْنِيِّ ، حَتَّى قَالَ الذَّهَبِيُّ : سَمِعَ مِنِّي ، وَسَمِعْتُ مِنْهُ^(٥) .

= بِالرِّفَاتِ ٣٥١/٩ .

(١) فِي الْمَقْفِيِّ الْكَبِيرِ : سَنَةَ ٦٩٠ هـ . قَالَ الصَّفْدِيُّ : [التَّرْجُمَةُ ١٠٦ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ] :

فِي عِبَادِ مَسْنَدٍ بَعْدَ تَسْعِينَ السَّنَةِ بَعْدَ الْخَمْسِينَ السَّنَةِ قَدَّرَ مَوْلَانِي وَنَشَأْتُ حَيْثُ وُلِدْتُ فِي صَفَدٍ وَمَا قَلَدْتُ غَيْرَ الشَّافِعِيِّ مُحَمَّدٍ

(٢) الْمَنْهَلُ الصَّافِي .

(٣) الذَّرَرُ الْكَامِنَةُ .

(٤) الْمَعْجَمُ الْمَخْصُصُ .

وَيَسْتَفَادُ مِنْ اسْتِقْرَاءِ تَوَارِيخِ الرِّسَالِ الْمُبَادَلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ الْمَذْكُورِينَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، أَنَّهُ وَلِيَ كِتَابَةَ الدَّرَجِ بِصَفَدٍ سَنَةَ ٧١٦ وَحَتَّى سَنَةَ ٧٢٣ ، دَخَلَ خِلَالَهَا دَمَشَقَ سَنَةَ ٧١٨ .

ثُمَّ عَمِلَ فِي دَمَشَقَ حَتَّى بَدَايَةَ ٧٢٤ فَعَادَ إِلَى صَفَدٍ ، وَمَرَضَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ .

وَفِي سَنَةِ ٧٢٧ نَرَاهُ يَنْتَقِلُ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَيَبْقَى فِيهَا حَتَّى بَدَايَةَ سَنَةِ ٧٣٩ ، حَيْثُ يَنْتَقِلُ إِلَى الرَّحْبَةِ^(١) ، لِيَكُونَ مَوْقِعًا لِلدَّسْتِ وَكَاتِبًا لِلسَّرِّ فِيهَا .

وَكَانَ الَّذِي رَشَّحَهُ لِهَذَا الْعَمَلِ هُنَاكَ هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنِ سُلْمَانَ ابْنِ فَهْدٍ ؛ وَكَانَ الصَّفْدِيُّ مُسْتَاءً مِنْ وَجُودِهِ فِي الرَّحْبَةِ ، حَيْثُ لَا أَصْحَابَ وَلَا أَصْدِقَاءَ وَلَا فَضْلَاءَ ؛ وَكَانَ يَتَشَوَّقُ كَثِيرًا إِلَى مِصْرَ .

وَفِي عَامِ ٧٣١ عَادَ مِنَ الرَّحْبَةِ إِلَى دَمَشَقَ ، وَتَوَجَّهَ فِي ٧٣٢ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَبَقِيَ فِيهَا سَنَةً ثُمَّ عَادَ إِلَى صَفَدٍ ؛ فَبَقِيَ فِيهَا حَتَّى ٧٣٦ لِيَعُودَ إِلَى الْقَاهِرَةِ .

ثُمَّ يَنْتَقِلُ سَنَةَ ٧٣٩ إِلَى دَمَشَقَ ، فَيَسْتَقَرُّ فِيهَا حَتَّى سَنَةِ ٧٤٥ حَيْثُ يُطْلَبُ إِلَى الْقَاهِرَةِ .

وَفِي أَوَائِلِ سَنَةِ ٧٤٦ عَادَ إِلَى دَمَشَقَ فَحُطِّقَ فِيهَا عَصَا التَّرْحَالِ ؛ وَوُلِدَ لَهُ فِيهَا سَنَةَ ٧٥٣ وَلَدٌ ذَكَرٌ فِي لَيْلَةِ الْأَحَدِ ٢٩ صَفَرٍ ، أَسْمَاهُ مُحَمَّدًا ، وَكَتَّاهُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَقَّبَهُ تَاجَ الدِّينِ .

وَفِي شَوَّالٍ ، سَنَةَ ٧٥٦ خَلَسَ فِي تَوْقِيعِ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ ، فَبَقِيَ فِيهَا حَتَّى وَلَّى كَاتِبًا لِلسَّرِّ بِحَلَبَ سَنَةَ ٧٥٩ فَانْتَقَلَ إِلَيْهَا .

(١) الرَّحْبَةُ : أَوْ رَحْبَةُ مَالِكِ بْنِ طُوقٍ التَّغْلِبِيِّ ، وَتَقَعُ أَطْلَالُهَا الْيَوْمَ قَرِيبًا مِنْ مَدِينَةِ الْمِيَادِينَ فِي مَحَاقِلَةِ دَيْرِ الزُّورِ بِسُورِيَةِ .

قال ابن حبيب^(١) : لَمَّا تَوَفَّى أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ شَهَابِ الدِّينِ أَبِي الثَّنَاءِ محمود بن سلمان الحلبي ، صاحب ديوان الإنشاء بحلب سنة ٧٦٠ ولي عوضه صلاح الدِّين الصَّفدي في أوائل سنة ٧٦١ وبأشر مدة يسيرة .

وقال^(١) : في أوائل رمضان سنة ٧٦١ بأشر الصَّفدي صحابة ديوان الإنشاء يحلب ، عوضاً عن أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ . . . واستقرَّ بالوظيفة شهوراً ، ثم عُزل ونقل إلى دمشق مباشراً وكالة بيت المال فيها .

وفي سنة ٧٦١ عاد إلى القاهرة ليتسلم رسمياً قرار تعيينه وكيلاً لبيت المال بدمشق .

واستمرَّ في منصبه هذا بدمشق حتى وافاه الأجل في عاشر شوال من سنة ٧٦٤ هـ^(٢) بالطاعون ، ودفن في مقبرة الصُّوفيَّة^(٣) .

وهكذا نرى أن حياة الصَّفدي لم تكن مستقرَّة ، بل كان دائم الانتقال بين خمس مدن ، هي صفد ، والقاهرة ، ودمشق ، وحلب ، والرَّحبة ؛ وما يقع على طريقها كحمص وحماة والعريش وغزة ، يمرُّ بها ، أو قد يستقبل بها مسؤولاً ، كما حدث سنة ٧٦١ حين زار حماة لتلقي النائب الجديد .

* * *

أقوال العلماء فيه :

● قال الذَّهبي في « المعجم المختص » : الإمام العالم ، الأديب البليغ الأكمل ، طلب العلم ، وشارك في الفضائل ، وساد في علم الرسائل ، وقرأ الحديث ، وكتب المنسوب ، وجمع وصنَّف ، والله يمدُّه بتوفيقه ؛ سمع مني

(١) تذكرة النبيه ٣/ ٢٢٧ و ٢٣٤ .

(٢) في المقفَّى الكبير : مات ليلة عاشوراء ١١١١ .

(٣) مقبرة الصُّوفية كانت تقع مكان مشافي كلية الطب ، جنوبي التكية الشليمانية .

وسمعتُ منه .

● وقال الحسيني في « ذيل العبر » : شيخنا القاضي الأديب ، كان من بقايا الرؤساء الأخيار .

وقال في « معجمه »^(١) : وإليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم .

● وقال تاج الدِّين الشُّبكي في « طبقاته » : الإمام الأديب ، الناظم النَّاثِر ، أديب العصر ؛ كانت بيني وبينه صداقة منذ كنت صغيراً^(٢) ، فإنَّه كان يتردَّد إلى والدي ، فصحبته ، ولم يزل لي مصاحباً إلى أن قضى نَحْبَهُ ؛ وكنت قد ساعدته آخر عمره ، فولِّيَ كتابة الدَّست بدمشق ، ثم ساعدته فولِّيَ كتابة السُّرِّ بحلب ، ثم ساعدته فحضر إلى دمشق على وكالة بيت المال وكتابة الدَّست ، واستمرَّ بها إلى أن مات بالطاعون .

كنتُ أصحبه منذ كنت دون سنِّ البلوغ ، وكان يُكاتبني وأُكاتبه ، وبه رغبتُ في الأدب ، فرَّجاً ما وقع لي شعر ركيك من نظم الصُّبيان ، فكتبه هو عني إذ ذاك^(٣) .

● وقال ابن حبيب في « تذكرة النبيه » : كان عالماً فاضلاً ، كاتباً مُجيداً ، رئيساً جليلاً ، إماماً في معرفة الأدب ، رأساً في صناعة الإنشاء ، بارعاً في النظم والنثر .

● وقال في « درة الأسلاك » : إمام زخريٌّ بِمِيزَانِهِ ، وتطق بالصُّواب

(١) تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ٢٢٨ والدرر الكامنة .

(٢) ولادة تاج الدِّين الشُّبكي سنة ٧٢٧ هـ . فينتهما من العمر أكثر من ثلاثين سنة .

(٣) ثم ذكر مراسلة بينهما ، هي في كتابنا هذا ، وتاريخها شهر ربيع الأول سنة ٧٦٤ . أي سنة وفاة الصَّفدي ، ففعلها من أواخر ما كتبه . بينما تجد تاريخ الرسالة في طبقات الشافعية ٧٦٣ . والله أعلم .

لسانُ يراعته ، وفاضل جَلِيت عن أيسر أدبه ، وظهرت نفائس رسائله وكتبه ؛ كان حسن المحاضرة والأخلاق ، معدوداً من الحفاظ والحدائق ، رُحلةً لذوي الطلب ، وقُدوةً في فنون الأدب ، رأساً في صناعة الإنشاء وأحكامها ، ماهراً في تنضيد عقود القريض ونظامها .

● وقال المقرئ في « المقفى الكبير » : وكان إماماً أديباً ، له همّة عالية في التحصيل ؛ إذا صنّف كتاباً راجع أهل العلم ، فيما يحتاج إليه فيه من مواد العلم .

● وقال ابن قاضي شُهبة : قال بعضهم : ولولا ثقل في سمعه ، لو لي كتابة السّر بالشّام .

● وقال ابن حجر : وكان محبباً إلى النَّاس ، حسن المعاشرة ، جميل المودّة ؛ وكان في الآخر ثقل سمعه .

* * *

مؤلفاته :

● في « طبقات الشُّبكي » : قال الصَّفدي : وكتبْتُ بيدي ما يقارب خمسمئة مجلّد .

قال : ولعلّ الذي كتبْتُ في ديوان الإنشاء ضِعفاً ذلك .

● وفي « تاريخ ابن قاضي شُهبة » : قال ابن أَيْدُغُدي في « معجمه » : قال لي صلاح الدّين الصَّفدي : إنّه كتب بخطّه أزيد من ثمانمئة مجلّدة .

● وقال الشُّبكي : صنّف الكثير في التّاريخ والأدب ؛ قال لي : إنّه كتب أزيد من ستمئة مجلّد تصنيفاً .

● وقال ابن كثير : كتب ما يُقارب مئتين من المجلّدات .

● وذكر الصَّفدي في « ترجمته لنفسه » أسماء مصنفاته ، وهي نحو الخمسين مصنفاً ، منها ما أكمله ، ومنها ما لم يكمله . « شذرات الذهب » . وأما ما ذكرته مصادر ترجمته من مؤلفاته ، فهي :

١٩- اختراع الخُراع ، في مخالفة النقل والطّباع : طبع بتحقيق الدكتور فاروق اسليم ؛ في اتّحاد الكتاب العرب بدمشق ، سنة ٢٠٠٠ م .

٢- أعيان العصر ، وأعوان النّصر : طبع بتحقيق الدكتور علي أبو زيد وزملائه ، في دار الفكر بدمشق ، سنة ١٩٩٨ م .

٣- الاقتصار على جواهر الشُّلك ، في الانتصار لابن سناء المُلْك : ذكره الأستاذ هلال ناجي في مقدّمة الكشف والتنبيه ، وذكر أنّ منه نسخة في بغداد .

٤- ألحان السّوّاجع بين البادى والمُراجع : وهو كتابنا هذا ، وسيأتي الحديث عنه .

٥- ثُحقة ذوي الألباب ، فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنُّوَّاب : طبع بتحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام ، في وزارة الثقافة بدمشق ١٩٩١-١٩٩٢ م . ثم أعيد طبعه في دار صادر بيروت .

٦- ترجمته لنفسه : وهي في نحو كترامين ؛ ذكر فيها مشايخه ، وعدّد مصنفاته ، وأنشد جملةً من منتخب شعره . (تاريخ ابن قاضي شُهبة ، وشذرات الذهب) . قال ابن قاضي شُهبة : ولقد لخصّتها في التّاريخ الكبير .

٧- التذكرة الصَّفديّة : تقع في ستّة وثلاثين جزءاً . منها نسخ من أجزاء متفرقة في مكتبات العالم .

٨- تصحيح التّصحيح ، وتحرير التّحريف : طبع بتحقيق السيّد الشّرقاوي ، في مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٧ م .

- ٩- تَمَامُ الْمُتُون ، في شرح رسالة ابن زيدون : طبع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، في دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٦٩ م .
- ١٠- تَوْشِيحُ التَّوْشِيح : طبع بتحقيق ألبير مطلق ، في دار الثقافة ببيروت ١٩٦٦ م .
- ١١- جُرُّ الدُّبُل في أوصاف الخيل .
- ١٢- جلوة المحاضرة في خلوة المذاكرة .
- ١٣- جنان الجناس : طبع في القسطنطينية ١٢٩٩ هـ . ثم طبع بتحقيق الأستاذ هلال ناجي في مجلة الذخائر ببيروت [ضمن العدد ٣ و ٤ سنة ٢٠٠٠ م] .
- ١٤- حرم المَدَح في تهذيب لُحْم المُلْح للحظيري .
- ١٥- الحسن الصَّريح في مئة ملبح : طبع بتحقيق الدكتور أحمد فوزي الهيب ، في دار سعد الدين بدمشق ٢٠٠٣ م .
- ١٦- حقيقة المجاز إلى الحجاز .
- ١٧- حَلْيُ التَّوَاهِد ، على ما في الصُّحاح من الشَّواهد .
- ١٨- ديوان شعره : سيأتي قول ابن تغري بردي فيه .
- ١٩- رشف الرِّحيق في وصف الحريق : أثبتها ابن فضل الله العمري في ترجمته من مسالك الأبصار ، الجزء الثاني عشر [ص ٤٨٥ - ٤٩٤] (بتحقيقي) .
- ٢٠- رموز الشجرة الثُّعْمَانِيَّة .
- ٢١- الرُّوضُ الباسم ، والعَرَفُ النَّاسم .
- ٢٢- زهر الخمائل في ذكر الأوائل .
- ٢٣- الشُّعُورُ بالعور : طبع بتحقيق الدكتور عبد الرزاق حسين ، في عمان ١٩٨٨ م .
- ٢٤- صرف العين في وصف العين .
- ٢٥- طبقات النُّحَاة .

- ٢٦- طراز الألغاز .
- ٢٧- طرد السمع عن سرد السَّبع .
- ٢٨- عِبْرَةُ اللَّيْبِ بعبر الكتيب .
- ٢٩- غُرَّةُ الصُّبْحِ في اللَّعْبِ بِالرُّمَحِ .
- ٣٠- غوامض الصُّحاح : طبع بتحقيق الدكتور عبد الإله نبهان ، في معهد المخطوطات بالكويت ١٩٨٦ م .
- ٣١- الغيث الذي انسجم ، في شرح لامية العجم : مطبوع في القاهرة وبيروت .
- ٣٢- فضُّ الختام ، عن التَّورِيَّة والاستخدام : طبع بتحقيق المحمدي عبد العزيز الحناوي ، بالقاهرة ١٩٧٩ م .
- ٣٣- الفضل المنيف في المولد الشريف .
- ٣٤- قهر الوجوه العابسة ، يذكر نسب الجراكسة : مطبوع في القاهرة ١٢٨٧ هـ و ١٣١٦ هـ .
- ٣٥- كشف الحال في وصف الخال : طبع بتحقيق (ل .) سهام صِلَان ، في دار سعد الدين بدمشق ١٩٩٩ م .
- ٣٦- كشف السَّرِّ المبهم ، في لزوم ما لا يلزم : نقوش رسالة ماجستير في جامعة دمشق ، عن نسخة الظاهرية .
- ٣٧- الكشف والتَّنبيه ، على الوصف والتَّشبيه : طبع بتحقيق الأستاذ هلال ناجي ، في دار الحكمة - بريطانيا ١٩٩٩ م .
- ٣٨- لَذَّةُ السَّمْعِ في وصف الدَّمْعِ : مطبوع في مطبعة الموسوعات ، بالقاهرة .
- ٣٩- المثاني والمثالث .
- ٤٠- المجارة والمجازاة .

٤١- مختار شعر أبي تمام^(١) : قال في الوافي ٢٩٤/١١ : والذي أقوله أنا :

إِنِّي اخترتُ شعر الاثنين [المتنبي وأبي تمام] فجاء مختار أبي تمام قريباً من ثمانمئة بيت ، من جملة ثمانية آلاف بيت .

٤٢- المختار من شعر ابن دانيال : طبع بتحقيق محمد نايف الدليمي ، بالموصل ١٩٧٩ م .

٤٣- مختار شعر المتنبي^(١) : قال في الوافي ٢٩٤/١١ : اخترتُ شعر الاثنين [المتنبي وأبي تمام] فجاء مختار المتنبي ألفاً وستمئة بيت ، من جملة ستة آلاف بيت .

٤٤- المقترح في المصطلح .

٤٥- منتخب شعر مجير الدين ابن تميم : طبع بتحقيق الأستاذ هلال ناجي ود . ناظم رشيد ، في عالم الكتب - بيروت ١٩٩٩ م .

٤٦- نجد الفلاح في مختصر الصحاح .

٤٧- نجم الدباجي في نظم الأهاجي .

٤٨- نُصرة الثائر على المثل السائر : طبع بتحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ، في مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢ م .

٤٩- نفائس الحماسة^(١) : قال في الوافي ٢٩٣/١١ عند ذكر حماسة أبي تمام : وقد اخترتُ حيدها ، فكان ألف بيت ومئة بيت وثلاثة وعشرين بيتاً ؛ وسميتُ ذلك نفائس الحماسة ، بعدما رُتبتُ كل باب منها على حروف المعجم .

٥٠- نفوذ السهم ، فيما وقع للجوهري من الوهم .

٥١- نكت الهميان ، في نكت العميان : طبع بتحقيق أحمد زكي باشا ، في المطبعة الجمالية بالقاهرة ١٩١١ م .

٥٢- الوافي بالوفيات : وهو أعظم كتبه ؛ طبع معظمه حتى الآن بإشراف جمعية

(١) لم يذكره أحد قبلي .

المستشرقين الألمان .

* * *

شعره :

● قال ابن تغري يرد في « المنهل الصافي » : وشعر الشيخ صلاح الدين كثير ، وقضله عزيز .

وهو شاعرٌ مُجيدٌ ، على أنَّ جِدَّهُ يزيدُ على رديه ، ولولا أنَّه كان ضئيلاً بنفسه ، راضياً بشعره ، لكان يندرُ له الرديُّ ، ويكثرُ منه الجيدُ .

فإنَّه كان غَوَاصاً على المعاني ، مبتكراً للثُكَّةِ البديعة ، عارفاً بفنون الأدب .

لكن رأيتُ من نظمه بخطه ، عندما يعارضُ بعضَ مَنْ تقدَّمه من مجيدي الشعراء ، في معنى من المعاني اللطيفة ، فيأخذُ ذلك المعنى أو الثُكَّةَ ، فينظمها في بيتين ، ويُجيدُ فيهما بحسب الحال ، ثم ينظم أيضاً في ذلك المعنى بيتين آخر ، ثم بيتين ، ثم بيتين ، ولا يزال ينظم في ذلك المعنى ، وهو يقول : وقلتُ أنا ؛ إلى أن يَمْلَأَ النَّظْرُ ، وتَسَامَهُ النَّفْسُ ، ويُمَجِّهُ السَّمْعُ .

فلو ترك ذلك ، وتحزَّي في قريضه ، لكان من الشعراء المجيدين ، لما يظهرُ لي من قُوَّة شعره ، وحسن اختراعه .

* * *

النسخ الخطية المعتمدة :

تيسر لي من مخطوطات هذا الكتاب أربع نسخ ، هي :

١- نسخة أ : هي نسخة رئيس الكتاب بإستانبول ، رقمها ٦٢٦ .

وهي نسخة جليظة ، تامة ، خزائنية ، مكتوبة بخط فارسي أنيق ، منقولة

من نسخة تلميذ المؤلف ؛ تقع في مجلدين ، ينتهي الأول في الورقة ٨٩ ب .
وبها يبدأ الجزء الثاني ، وينتهي في الورقة ١٧٥ ب .

وصفحاتها من القطع الكبير ، وفي كل صفحة ٢٥ سطراً .

كانها محمد بن أحمد الرُّجيجي الحنبلي الشَّيباني ، فرغ منها في أواخر
شهر الله المحرم الحرام ، سنة ٩٩٣ هـ .

مميز بداية الترجمات والمراسلات بخط جليل ، وميز الشعر بوضع فاصلة
كبيرة بين الشطرين .

الخطأ فيها نادر ، والضبط فيها قليل ، وعلى حواشيتها أسماء المترجمين
بخط كبير .

وبالجملة فإنها من النسخ الأثبات ، نادرة المثال ؛ ولهذه المزايا اتخذتها
أصلاً .

في بدايتها دائرة كبيرة ، كتب فيها ما يلي :

برسم

سيدنا العلامة الحبر البحر الفهامة ، من خصه الله تعالى بالنفس القدسية ،
الرضية المرضية ، والرئاسة الأنسية ، ظهير الملة الحنيفة ، نصير الشريعة
المضطفة ، محيي السنن المحمدية ، شرف الأنام ، صدر مصر والشام ،
المشرف على التمام ، قطب دائرة الأنام ، رئيس القضاة والحكام ، المحفوف
بعناية الملك العلام ، فريد عصره وزمانه ، ووحيد دهره وأوانه ، نجية
الزمان ، ومصباح البيان ؛ أخرجه الله من بين أصليين أصليين ، وفزعين
ورعين ، وتبليين نبيلين ، من أصل شجرة في بحار الولاية والعلوم مغروسة ،
مولانا القاضي شهاب الدين بن شعبان ، القاضي حيتز بالخانقاه ، وكاتب
الولاية بمصر المحروسة ، التي هي بالسادة العلماء الموالى مانوسة ،

أجرى الله تعالى مغدلة على صفحات الأنام ، وربط أطناب دولته بأوتاد الخلود
وخلود الدوام ، وتمتع بوجوده كافة الأنام ، ولا زال مرجعاً للخاص والعام ؛
وأدام عزه وسعده ، وحرس بعين عنايته مجده وجدده ، ورحم أباه وجدده ،
وأظل فيضان غمام إنعامه على أغصان نسيان الإيمان ، ليجتني من أرم كرمه
وروضة نعمة كل قاص ودان ؛ خلعة العيد الفقير المذنب المستغفر الجاني
محمد بن أحمد الرُّجيجي الحنبلي الشَّيباني ، رجع الله تعالى في القيامة
ميزانه ، وصانه عما شأنه ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبي
بعده ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيراً دائماً
سرمداً إلى يوم الدين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وكان الفراغ من كتابة ذلك ونسخه ، في أواخر شهر الله المحرم الحرام ،
سنة ثلاث وتسعين وتسعمئة ، أحسن الله تعالى ختامها ، وقدر في خير
تمامها ، يمينه وكريمه ؛ آمين .

وفوق الدائرة ، على الزاوية اليمنى العلوية : الله حسي . من كتب أبي
بكر رستم بن أحمد الشرواني .

وتحت الدائرة ختم مكتبة رئيس الكتاب .

وثمة تملك لا يقرأ ، كتب فوق الدائرة صعوداً .

٢- نسخة ب : هي نسخة مكتبة قليج علي بإستانبول ، رقمها ٧٩٤ .

وهي نسخة يشيع فيها الخطأ والتحريف والتصحيح ، وفيها نقص في
مواضع عدة ، أكبرها في نهاية الكتاب ، إذ ينتهي الموجود منه أثناء ترجمة ابن
نباتة المصري .

ولكنها تتميز بإضافة بعض الترجمات التي لم ترد في النسخ الأخرى ،

وتُضيف أكثر من مئة بيتٍ من الشعر .

كتب النَّاسخ أسماء المترجمين بالحمرة .

تقع في ٢٢٩ ورقة من القطع العادي ، كتبت بخطٍ يقرب من النَّسخ ، وفي كلِّ صفحة ٢١ سطرًا .

وكاتبها لم يكن من أهل العلم . وقد ميَّزت زيادات هذه النسخة بوضعها بين قوسين ، وقد تلتقي مع زيادات م في بعض الأحيان .

في صفحة العنوان : اسم الكتاب : كتاب ألحان السَّوَجع بين البادئ والمراجع . تأليف الشيخ صلاح الدِّين خليل بن أبيك الصَّفدي رحمه الله .

وتحت ذلك تملُّكات مختلفة ، نُصَّها :

١- ملكه الفقير كمال بدري ، سنة ١٠١٣ .

٢- ثم ملكه العبد الفقير إليه تعالى جمال الدِّين القادري البابلي ، مدرِّس الصَّاحبيَّة بحلب المحمَّية ، في ربيع الأوَّل سنة ١٠١٧ .

٣- ملكه العبد الفقير إلى لطف مولاه الغنيَّ القدير ، أبو الوفا بن عمر العُرْضي^(١) ، وفَّقه الله تعالى لما يُرضي ، في أواسط جمادى الأولى سنة

١٠٦١ بعد موت المرحوم العلامة الشيخ جمال الدِّين البابلي .

٤- ثم وهبناه لحامله مولانا أكمل الفاضلين ، وأفضل الكاملين ، مولانا رمضان أفندي الزَّيني . كتبه أبو الوفا .

٥- انخرط في سلك مُلك العبد الفقير إلى الله رمضان بن عبد الرَّحمن بن الشيخ

عثمان الزَّيني ، وذلك بالشَّراء الشرعي من شيخ الإسلام وتركته ، حضرة الشيخ وفا عُرْضي زادة ، فسح الله في أجله ، آمين . وذلك في غرَّة شهر

(١) أبو الوفا بن عمر العُرْضي : هو مؤرخ حلب ، صاحب كتاب « معادن الذهب في الأعيان المشرَّقة بهم حلب » المتوفى سنة ١٠٧١هـ .

رجب سنة ١٠٦٦ .

٦- ثم ساقه يد الدَّوران إلى نوبة الفقير إليه عزَّ شأنه ، أبو السُّعود الحسيني ، غُفر له ، سنة ١١١٧ .

٧- نظر فيه العبد الفقير عبد القادر عفي عنه .

٣- نسخة س : هي نسخة مكتبة الإسكوريال بأسيانية ، رقمها ٣٢٦ .

وهي نسخة جلييلة ، خزائنية ، مكتوبة بخطٍ تسخيٍّ جميلٍ ، بضبطٍ كامل لا يخلو من خطأ .

تقع في ١٧٨ ورقة من القطع الكبير ، وفي كل صفحة ١٧ سطرًا .

ولم يصلنا من هذه النسخة - مع الأسف - سوى الجزء الأوَّل فقط .

صفحتها الأولى مزخرفة بعناية ، جاء فيها : الجزء الأوَّل من الألحان (؟) السَّوَجع بين البادئ والمراجع .

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة صلاح الدِّين خليل بن أبيك الصَّفدي ، أدام الله عزَّه .

ومن هذه العبارة الأخيرة يمكن أن نفهم أنَّها كتبت في حياة المؤلِّف .

وهي تلتقي في مواضع النقص مع نسخة ب ، دون الزيادات التي انفردت بها تلك النسخة .

وهذه النسخة من الأصل من مكتبة مولاي زيدان ملك المغرب ؛ تلك المكتبة التي سطا عليها قراصنة الأسيان أثناء نقلها في البحر ، فاستقرَّت في دير الإسكوريال قرب مدريد .

فقد جاء في رأس صفحة العنوان : تملكه عبد الله ، المعتمد عليه ، المفوض أمره إليه ، زيدان أمير المؤمنين بن الخلفاء الراشدين ؛ وفَّقه الله ، وأخذ بيده . آمين .

وعلى حاشيتها اليسرى بعض تملُّكات ، نُضُّها :

- ١- من كتب يحيى بن عبد العزيز بن بن علي بن طريمة
- ٢- إعارة الزَّمان إلى الفقير عبد القادر بن محمد الجريري الأنصاري ، عفا الله عنه .
- ٣- الحمد لله ، ملكه من فضل ربه الفتحاح ، يحيى بن محمد الملاح الحنفي ، غفر الله له وللمسلمين آمين .

٤- نسخة م : هي نسخة مكتبة الأحقاف بمدينة تريم ، في حضرموت اليمن . (بلا رقم) .

وهي نسخة تامة - دون الزيادات التي انفردت بها نسخة ب - وليس بها من نقص سوى خمس ورقات من نهاية ترجمة عمر بن داود بن هارون ، إلى منتصف ترجمة عمر بن الوردى ؛ ولعلها سقطت أثناء التصوير .

كتبت بخط يقرب من النسخ ، وبها ضبط غير دقيق ، والإعجام ليس دائماً في محله . رؤوس العبارات والتراجم بالحمرة ، وقد طمست أثناء التصوير فلم تظهر .

تقع في ٢٤٤ ورقة ، وليس بها ذكر للناسخ ولا سنة نساخته .

وتتميز بإضافة بيت ونصف من الشعر ، وبعض الكلمات هنا وهناك ؛ وقد تلتقي مع نسخة ب في بعض تلك الكلمات .

وقد تنفرد بقراءات أكثر دقة مما ورد في النسخ الأخرى ، وبعض الشروح في الهامش ؛ وقد أثبتتها كلها في حواشي هذه الطبعة .

* * *

قَصَّتي مع هذا الكتاب :

تفضل بزيارتي ذات يوم من عام ٢٠٠٢ م الأخ الباحث الأستاذ إياد أحمد الغوج حفظه الله تعالى من مدينة عمان في المملكة الأردنية الهاشمية ، وكنت قد بدأت بتحقيق كتاب « حياة الحيوان الكبرى للذميري » فعرض عليَّ العمل في كتاب « ألحان السَّواجع للصفدي » وذكر من مزايا هذا الكتاب ما لا يقوله إلا كلُّ طَبِّ خبير .

ثم تكَّرم - حفظه الله - فزوَّدني بثلاث نسخ خطية ، هي (أ ، ب ، س) . فأوقفتُ كتاب الذميري مؤقتاً ، ثم انصرفْتُ كلياً إلى ما يستلزمه الكتاب الجديد من نسخ وتحقيق . فتمَّ ذلك - بحمد الله - في مُدَّة وجيزة .

ولمَّا انتهيتُ من تحقيقه نهائياً ، وأردت دفعه للطباعة ، زارني أخي الكريم الدكتور مروان العطية حفظه الله ، وأعلمني أنه قرأ في صحيفة « الجزيرة » السعودية (العدد ١٠٨٨ تاريخ الخميس ٨ جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ / ١٨ تموز ٢٠٠٢ م) مقالاً للأستاذ عبد الرحمن بن محمد الدخيل ، تحت عنوان : « صلاح الدِّين خليل بن أبيك الصفدي (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ) يذكر فيه آثاره العلمية ، وما طبع منها وما لم يُطبع ؛ فذكر كتاب « ألحان السَّواجع » وقال : حقَّقه د. محمد عبد الحميد سالم ، الكويت : مكتبة دار العروبة . ط ١ . ١٩٨٥ في مجلدين .

ثم راجعت مقدِّمات كتب الصفدي المطبوعة ، فلم أجد أحداً ذكر ذلك غير السيِّد الشُّرقاوي في مقدِّمة « تصحيح التصحيح » . إذ قال عند ذكر الكتاب : وقد حقَّقه للدكتور محمد سالم بالقاهرة ١٩٨٤ م كما ذكر لي أستاذي الدكتور رمضان عبد التَّوَّاب .

فأخذتُ أبحثُ في فهارس المكتبات العامة الكبرى في دمشق (مكتبة

الأسد ، والمكتبة الظاهرية ، ومكتبة جامعة دمشق ، ومكتبة مجمع اللغة العربية (فلم أقف على ذكر هذا الكتاب ألبتة .

فَعُدْتُ إلى أخي مروان فأخبرته بذلك ، فاستطاع عن طريق أحد أصدقائه جزاء الله خيراً أن يرسل إليّ خمسين صفحة مصورة من بداية الكتاب ، وتظهر على الصفحة الأولى بجلاء عبارة : الناشر مكتبة دار العروبة بالكويت - لا كما ذكر الشَّيْخُ الشَّرْقَاوي : بالقاهرة . وفي أعلى الصفحة الأولى عبارة إهداء من المحقق إلى مكتبة الملك سعود بالرياض .

عندها طلبتُ من أخي الدكتور يحيى مير علم حفظه الله - الأستاذ في جامعة الكويت - أن يستوضح مشكوراً من دار العروبة عن أمر هذا الكتاب ، وأن يُرَوِّدني بنسخة منه ؛ فأتاني الجواب بأن الكتاب لم يطبع في دار العروبة ، ولا علم لهم بذلك ! .

فطلبتُ هذه المرّة من أخي الدكتور محمد أحمد الدّالي حفظه الله - الأستاذ في جامعة الكويت - أن يسأل الدكتور خالد عبد الكريم جمعة صاحب دار العروبة شخصياً ، فكان الجواب بالنفي ، وزاد بأن أرسل إليّ قائمة مطبوعات دار العروبة ، وليس فيها ذكر ألحان السّوابع ! .

ثمّ تكّرّم الدكتور الدّالي - مشكوراً - فاتّصل هاتفياً بالأخ الدكتور عبد العزيز التّويجري حفظه الله ، وكان في تلك الساعة يطوف بالبيت الحرام معتمراً ، وطلب منه نسخة مصورة من مطبوعة الكتاب من مكتبة جامعة الملك سعود ؛ فوجد خيراً ؛ ثمّ تكّرّم - جزاء الله خيراً - بتصوير الكتاب بجزأيه وإرساله إليّ إهداءً .

جزى الله خيراً كلّ الإخوة الذين اتّعبتهم معي في قصّة الكتاب .

* * *

فهذه المطبوعة - ورمزها « ط » - أظنّها رسالة جامعيّة ، قدّمت إلى كليّة الألسن - جامعة عين شمس - لنيل درجة الدّكتوراه ، ولم يُطبع منها سوى عدد قليل من النّسخ ، تكفي لجنة المناقشة ، وبعض النّسخ التي بقيت معه أهدى إحداها إلى جامعة الملك سعود عندما تعاقد للتدريس فيها .

ويبدو - كونها رسالة - واضحاً من طريقة تحقيق الكتاب ، فلم يلتزم السيّد المحقّق منهجاً معيّناً معروفاً في التّحقيق ، وإنّما كان يعمل على طريقة : (الشّيء بالشّيء يُذكر) . فكلّما مرّ بيت من الشعر يقول : يُدكّرني هذا بقول فلان - ثم يسرد بيتاً أو أبياتاً - أو يقول : أذكرُ به قول فلان . . . أو لعلّه من قول فلان . . . ممّا أدّى إلى تضخّم حجم الكتاب بما لا طائل تحته .

وقد بذل في الحقيقة جهداً مشكوراً ، ولكنّ عدم تمرّسه بأساليب التّحقيق العلميّ - وتحقيق كتب الرّجال خاصّة - أوقعه في عددٍ لا بأس به من الأخطاء ؛ سأذكر نزرأً يسيراً منها ، لأنّ عدم وجود هذه الطّبعة في أيدي الباحثين لن يمكّنهم من المقارنة بين الطّبعتين :

في الصفحة ٤١/١ : ورد ذكر مرج الغسولة ، فلم يتمكّن من تحديد المكان ، مع أنّه مذكور في معجم البلدان .

وفي ٨٠/١ : ورد ذكر ابن دُنَيْبِر . فترجم في الهامش لابن دينار .

وفي ٩٩/١ : ورد هذا البيت :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي زَبَدٌ مِّنْ بَعْدِهَا لَفَتَى زَبَادَ

قَرَأَ : . . . زَبَدَ × . . . زَبَادَ - ثمّ ترجم في الهامش لشخص

ينتهي تسبه إلى ابن زياد الغساني - وهو ابن زبادة ، يحيى بن سعيد بن هبة الله الشّيباني .

وفي ١٧٥/١ : ورد هذا البيت :

لا جعلَ الله انتظاري لكم مثل انتظار الحاكم الفاطمي فقال في الهامش : إشارة إلى ما هو مشهور بين الشيعة ، من انتظار بعض طوائفهم للإمام المنتظر . وليس بذلك ، بل هو إشارة إلى انتظار بعض الطوائف للحاكم الفاطمي الذي يعتبرونه إلهاً لهم .

وفي ٣٣٤/١ : جاء ذكر «سنير» ضمن بيت من الشعر؛ فأخذ يشرح الكلمة لغويّاً. وسنير في الحقيقة: الجبل المطلّ على حمص، بينها وبين بعلبك.

وفي ٣٩٤/١ : جاء : وما صاحب الحكم . فأخذ يبحث في الهامش عن صاحب الحكم ، ثم استقر رأيه على أنّه الثعالبي ! .

وصواب العبارة : وما صاحب « المحكم » . والمقصود به ابن سيده ، العالم اللغوي المشهور .

وفي ٤٣٦/١ : ترجم في الحاشية لابن النشائي ؛ ولم يعلم أنّ لابن النشائي ترجمة في هذا الكتاب .

وفي ٥٣٨/١ : يذكر الشيخ عماد الدين شيخ السلامية . ثم يقول في الهامش : لم أستطع فيما توصلت إليه من مصادر ، الوقوف على ترجمته ، أو معرفة المدرسة السلامية .

والصواب : الشيخ عز الدين شيخ السلامية . والمدرسة المذكورة من مدارس دمشق المشهورة ؛ ذكرها النعيمي في « الدارس في تاريخ المدارس » وترجم للشيخ عز الدين المذكور .

وفي ٩٧/٢ : يرد في الشعر ذكر كلمة « نمجا » . فيقول في الهامش : هكذا بالحن ، ولعلها بلجا . والتمجا : خنجر ، أو ضرب من السكاكين له غمد .

وفي ٢١٩/٢ : يضبط بيتاً من الشعر ضبطاً خاطئاً ، ويتذكر به بيتاً ينطبق على فهمه الخاطيء .

وفي ٢٤٥/٢ : ترد عبارة : ولا لمح شطراً ، ولا سطرأ . وصواب العبارة : ولا لمح شطراً ، ولا سطرئ . وسطرئ : من قرئ دمشق الدائرة ، مكانها مشفى الهلال الأحمر السوري ، في شارع بغداد ، بدمشق .

وفي ٢٤٦/٢ : يورد بيتاً من الشعر لعمرو بن مسعدة على هيئة الشتر : وكل ما يصح [= يصلح] للمولى على العبد حرام .

وفي ٢٥٠/٢ : يرد في المتن ذكر الشمس ابن حمّاد . فيترجم في الهامش لجمال الدين ابن حمّاد . ولم يعرف أنّ المقصود بالشمس : شمس الدين ، وأنّ المترجم هو شمس الدين محمد بن إسماعيل بن حمّاد ، التاجر السفّار ، المترجم في البداية والنهاية ٣٦٧/١٨ .

وفي ٣٦٧/٢ : يرد في الشعر : بحمل زنكي . والصواب : بحمل زنكي . والزنك : علامة يتميّر بها الأمراء عند تنصيبهم وتوليّتهم .

إلى غير ذلك من أمور كثيرة لا فائدة من ذكرها ، وإطالة المقدمة بها .

- جزى الله الدكتور محمد عبد الحميد سالم خير الجزاء ، فقد كان سباقاً إلى إحياء الكتاب ، ولكنه أبقاه مقصوراً على دائرة أساتذته وجامعته ؛ ولولا تلك النسخة التي أهداها لمكتبة جامعة الملك سعود ، لما علم بها أحد .

- وجزى الله إخواني الذين ذكرتهم في قصتي هذه ، خير الجزاء ؛ فقد كانوا نعم العون .

- والحمد لله في البدء والمختم ، ومنه أستمّد العون ، وعليه التكلان ؛ وما توفيقي إلا بالله .

هذا الكتاب

نمط فريد في التأليف ، يجمع بين فنّ التراجم ، وبين أدب الترسل شعراً

ونثراً ، في زمنٍ معيّنٍ ، وأماكنٍ محدّدة ؛ يُشكّل المؤلف قطب دائرة هذا الكتاب ، فمنه تصدر المكاتبات ، وإليه تعودُ ؛ في قالبٍ من أسلوب كُتّاب الإنشاء في العصر المملوكي .

وتأتي أهميته أيضاً من كونه متمماً للكتابين العظيمين : « الوافي بالوفايات » و « أعيان العصر » فهو رديفٌ كامل لهما ؛ إليه يحتاجان ، وبه يكتملان .

وإذا أضفنا إلى ذلك هذه الترجمات التي انفرد بها كتابنا هذا ، وهذه القصائد التي لم ترد في أيّ مصدرٍ آخر ، وتلك الرسائل النثرية التي لا توجد في سواه ؛ أدركنا أننا أمام كتابٍ لا يمكن للمكتبة العربية أن تستغني عنه .

ويظهر واضحاً في هذا الكتاب إعجاب الصّفدي برجال آل الشبكي ، فقد ترجم لسبعة فضلاء منهم ، بعضهم أسلٌ منه ، وبعضهم من أقرانه ، وبعضهم أصغر منه سنّاً ؛ ولو أفردت ترجماتهم لكان جزءاً لطيفاً .

فلله الحمد والمِنَّة أن وفّقنا لخدمة هذا الأثر النفيس من آثار الصّلاح الصّفدي ، وأكرمنا بإظهاره للناس في ثوبٍ من التّحقيق أرجو أن يُثينا الله عليه يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

دمشق الشام

٢٦ ربيع الثاني ١٤٢٣ هـ

٢٦ حزيران ٢٠٠٣ م

ثم

٢٨ صفر الخير ١٤٢٥ هـ

١٨ نيسان ٢٠٠٤ م

وكتب

إبراهيم صالح



الصفحة الأولى من أ

الحمد الذي جعل الاديء لغيره وهو المراجيع ان يكون الموراة ورجع منها من لمعان
يخرج منها اللؤلؤ منظرها ومنورا على نية التي تراعى من كرامه وسعاده من عقل
عن جده وتزيد من ابي الوايه وتاتي الى مستحقها تارة بمعنى مقدم وتارة بمعنى كبر
وتزيد ان لا اذ لا احد وحده لا شريك له منها دة حلت عليها الجدة واثبت
بالعقيدة الصحيحة المبادية واستوحش من البع الغيلة المضنية وثبت دعائها لها
لما عرفت شبه الباطل مستحقا وتشهد ان سيدنا محمد اعظمه ورسوله افضل من اجاب واجاد
واعان على نواب الدهر واعاده وابان فضل هذه اللغة العربية فبان اسوانا وباد
صلى الله عليه وعلى اله وصحبه الذين خلفوا من النفاق فاحلصوا وسابقوا الى اتباعه فاما
نصرة واولا ترتبوا وصدقوا في محبة وبالجملة فما تحرقوا ولا ترخصوا صلوة تضع
نفسه عظماء وتبشع بشره ذراة فاقوا اصل الاجاب وتراسل الاجاب وسلم تلتها
كثيرا الى يوم الدين وبعد قد كتبت قدما جمعت كتابي الذي سميت بالمجراة والمجراة
واودعته حلة من مجراة الشعراء ومجازاة الادباء وليس لي فيه بعد المقدمة غير هذه
ولالي في قوافي حفظ في جر ولاصف ولارفع وقد اجبت الان ان اجمع اذ اريسي
وبين فضلاء عصره والائمة الذين يحب ان يكتب بحاسنهم بالذهب المصري فاما
بدات فيه وراجعت وعلقت فيه وتابعت ليكون ذلك في هذه الاوراق مجموعا
وبيت طائفة في غضون الغصون منها مسوعا على اني لم اعين بها من هذا
وامتلت من ضبط شيئا كثيرا اجمالا ادي فاني ضيعت مني زمن الصبيانية اوقافا
وكتبت لشيء من النوع لا اريه من الاحراز وجهاسا فاه فلما اضطررت الى جمعة وظلمت
نفسى الى سقا عتية وسمعت اخذت الققط من كل بقعة واجمعا في قول العوام من
كل روي ترجمته في كتابي المصنف في السور ساهما وكل من امتني في بعض المواضع من
وهذا تركت في بعض الديارات والمراجعات ساهما وعادرت منها ما سهل في المراجعة
وجاهضا رجاء ان تظف في يد القطب بما سدد الخلة ويشفي العلة وينقي العلة

بداية الكتاب في أ

علوت نور الدين في ذروة السمو على الواقع والظاهر لان ما ينظر لم يكن
لاول فيها ولا اخره شعر مني ما اتبعه نفس بعد لم يكن في سر
ساده الغف في وصفه يقبل في الباطل والظلمة لا في الاولي فاقضت
ابح في بحر الذي الزاخر وليس ما اجمع مستحسنا في ادب البادية ولا في
وانما بحثت رمو لا ان يكون من دون الكوري ثابري فاساهم دم ما استجبت ودية
بكي لها جن الحيا الطاهر وكنت موالي وانما القاف من اني سنده في
وجدنا اس مولانا فاما وجدنا الاس لم نعلم هذا كما وانهم اللطف مني في انتظار
يرو من النسبانية في بواقي عرفت في المزار كتبت من الملوك بكتبت من نواكسها
ولا كتبت على شيخ صنف واذا قام لم يملك حرا كما فغن ليرة الاجاب انما
ناعت غنا في حرا مني ووافقت في نواكسها في فتن الكبر واستورا
عجت لعمول الرضات من صنف في حكاكي اناب الشافخا لمة
فانصت معناه الخرب شوية على الراس من الشوارب في سنة
فانصت في بولسنة في سنة
في فتن الصرت اعوية مرج ذكي الى من غنا
في خضار مني الشهداني لاند الرزوم في سنة
في بولسنة في سنة والدود لا ينسب من سنة
في مرج النول على راسه في سنة في سنة
في بولسنة في سنة في سنة في سنة
في سنة في سنة في سنة في سنة



نهاية الكتاب في أ

عن طعن الرضا في نهج
على الناس ليس والشواهد في

في حلب انما في اعز
سماوي في العذاب التي
وهو لا يقلل من الجنا
لا يخرج البزل على راسه
له عيون وهو اعنى وفي
ناس تباين الوزي قد رة

ثم ان كتاب محمد بن عبد الله بن عوف

نهاية الكتاب في م

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في

كتاب
الحمد لله الذي جعل في



صفحة العنوان في س

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَفْوُكَ اللَّهُمَّ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَادِيَ أَمِيرًا، وَقَدَّرَ لِلْمُرَاجِعِ أَنْ يَكُونَ سَامُورًا،
 وَخَرَجَ مِنْهُمَا بَحْرَيْنِ شَرِيفَيْنِ مَخْرُجَ مَتْنِ الْفُلِّ مَسْطُورًا وَمَشُورًا
 حَكَمَهُ عَلَى عَمَلِهِ الْمَتَى تَرَاوَجَعَ مِنْ شُكْرِهِ، وَتَعَاهَدَ مِنْ غَفْلَةٍ عَنْ حَمْدِهِ
 وَتَزِيدُ مِنْ أَدَى الْوَاجِبِ وَأَذْكَرَ، وَمَأَى إِلَى السُّعْيِ نَارًا بِعَيْنٍ
 مُتَقَدِّمٍ وَمَأَى بِعَيْنٍ مُبْتَكِرٍ، وَشَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
 لَا شَرِيكَ لَهُ شَهِادَةً جَلَّتْ عَلَيْهَا الْجِسْلَةُ، وَأُنْتُ بِالْعَقِيدَةِ
 الصَّحِيحَةِ الْمَادِيَةِ وَأَسْتَوْحِشْتُ مِنَ الْبَدْعِ الْجَلِيلِ الْهَيْئَلَةِ، وَتَبَتُ
 دَعَائِمُ أَذَلِّهَا لِمَا غَدَّتْ شُبُهَةُ الْبَاطِلِ مُضْجَلَةٍ، وَتَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا
 عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ مِنْ أَجَابِ وَأَجَادٍ، وَأَعَانَ عَلَى تَوَاتُيَا لَدَهْرِ وَأَعَادَ
 وَأَنَا فِي فَضْلِ هَذِهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَأَمَّا مَنْ مَاتُوا بِهَا وَأَبَادَ، صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ خَلَصُوا مِنَ الْفَقَاقِ فَاخْلَصُوا، وَتَابَعُوا إِلَى
 أَسَاغِهِ فَأَتَصَبَّرُ وَأُوَلَّا تَرْصُوا، وَصَدَّقُوا فِي حُجَّتِهِ وَبِالْعَوَا فَاخْتَصُّوا
 وَلَا تَرْخَصُوا، صَلَاةً يَتَضَرَّعُ بِشَرْهَادَرَا، وَيَتَضَرَّعُ بِشَرْهَادَرَا،
 مَا تَوَاصَلَ الْأَحْبَابُ، وَتَرَانِسِلُ الْأَصْحَابُ، وَتَسْلَمُ تَسْلِمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
 وَبِحَسْبِ فَدَرْكَتْ قَدَمًا جَمَعَتْ كَابِي الَّذِي وَسَمَتْ بِالْحَارَةِ
 وَالْحَارَازَةِ وَأَدْعَتْ جُلَّةً مِنْ حَارَةِ الشَّعَرِ، وَحَارَاهُ الْأَدْبَارُ.

وَفَتَحَ أَجْفَا نَامِلِ الزُّهْرِ أَعْمَسَتْ دَبَّتْ قَهْرِي الْجَمِيِّ نَشْرَنَا
 وَلَمْ يَنْشَرْجَهُ الرُّوضُ مُنْفَرَضًا حَكَا مَارَهَانُ كَالِدَرُ لِمَا تَنَظَّمَا
 فَدَفَنَتْهُ فِيهِ الْبُرُوقُ جُفُوفًا تَبَرَّعَ مِنْهَا بِالْحَيَا وَكَلَّمَا

من لبروا قبل الموت تانية فالعمر عن سبعه الامال اوقضاوا
 فان امت قبل ان يقضى الالف لنا فاعلم بعينها ما كنت تشا قنا
 وقد جعلت كاتبة الحق على موهبة من الله عز وجل
 النجاة المولانا من موهبة من الله عز وجل
 عامه نوراني
 من كبرياك والله ما تذهب لسانك الا وفيها انك
 سلا الارض التي تشرف بها الاولاد وتلو ايات محاسنها
 انما اللب والظرف الذي روي بعد دعاء يرفع في الامحار
 ولا اله الا الله المحمدي والذكر له وبه اخبركم من صميم علمها
 فانه الامام المولى المحمدي جليل القدر عظيم المنزلة
 محمد بن عبد الله
 وقد جمع الله الشتيين نعم ما يطمان كل
 الظن ان لا تلاقيا

عَفْوُكَ اللَّهُمَّ^(١)

[٢] الحمد لله الذي جعلَ البادئَ أميراً ، وقَدَّرَ للمُراجعِ أَنْ يَكُونَ مأموراً ، وَمَرَجَ مِنْهُمَا بَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، ﴿يَتَّبِعُهُمَا بَرَخٌ لَا يُفِيحُ﴾ [الرحمن : ٢٠] يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُو منظوماً وَمُنثوراً .

نَحْمَدُهُ^(٢) عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تُرَاجِعُ مَنْ شَكَرَ ، وَتَتَعَاهَدُ مَنْ غَفَلَ عَنْ حَمْدِهَا ، وَتَزِيدُ مَنْ أَدَّى الْوَاجِبَ وَادَّكَرَ^(٣) ، وَتَأْتِي إِلَى مُسْتَحِقِّهَا تَارَةً بِمَعْنَى مُتَقَدِّمٍ ، وَتَارَةً بِمَعْنَى مُبْتَكِرٍ .

وَنَشْهَدُ^(٤) أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ^(٥) ، شَهَادَةً جُبِلَتْ عَلَيْهَا الْجِبِلَّةُ ، وَأُنْسَتْ بِالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ الْهَادِيَةِ ، وَاسْتَوْحَشَتْ مِنَ الْبِدْعِ الْعَلِيلَةِ الْمُضِلَّةِ ، وَتَبَتْ دَعَائِمُ أُدْلَتِهَا لَمَّا غَدَتْ شُبُهَ الْبَاطِلِ مُضْمَحِلَّةً .

وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَفْضَلُ مَنْ أَجَابَ وَأَجَادَ ، وَأَعَانَ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ وَأَعَادَ ، وَأَبَانَ فَضْلَ هَذِهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَأَبَانَ سِوَاهَا وَأَبَادَ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ خَلَصُوا مِنَ التَّفَاقِي فَأَخْلَصُوا ، وَسَابَقُوا

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

(١) من س .

(٢) في م : أحمده .

(٣) الكلمة ساقطة من أ ، م . وفي ب : وابكر . والمثبت من س .

(٤) في م : وأشهد .

(٥) لا شريك له . ساقطة من م .

إلى أتباعه فما تَصَبَّرُوا ولا تَرَبُّصُوا ، وَصَدَقُوا في مَحَبَّتِهِ وبالغوا ، فما تَحَرَّصُوا ولا تَرَحَّصُوا ؛ صلاةً يَتَضَوَّعُ نَشْرُها عِطْراً ، وَيَتَنَوَّعُ بِشْرُها دُرّاً ، ما تَوَاصَلَ الأَحبابُ وتَراسَلَ الأصحابُ ، وسَلَّمَ تَسليماً كثيراً إلى يومِ الدِّينِ .
وبعدُ :

فقد كنتُ قديماً جَمَعْتُ كتابي الذي وَسَمْتُهُ « بالمُجَاراة والمُجَاوِزة »^(١) وأودَعْتُهُ جُمْلَةً من مُجَاراة الشعراء ومُجَاوِزة الأدباء ، وليس لي فيه بعدُ المُقَدِّمةُ غيرُ التَّفَرُّدِ بالِجَمْعِ ، ولا لي في قَوافيه حَظٌّ في جَزٍّ ولا نَضْبٍ ولا رَفْعٍ ؛ وقد أَحَبَبْتُ الآنَ أنْ أَجْمَعَ ما دارَ بيني وبين فضلاء عَصْرِي ، والأَيْمَةِ الذين يَجِبُ أنْ تُكْتَبَ مَحاسِنُهُم بالذَّهَبِ المِصْرِيِّ ، ممَّا بَدَأْتُ^(٢) فيه وراجَعْتُ ، وَقَلَّدْتُ فيه وتَابَعْتُ ، ليكونَ ذلكَ في هذه الأوراقِ مَجْموعاً ، وَيَبِيَّتَ طائِرُهُ في غُصُونِ الغُصُونِ منها مَسْموعاً .

على أَنِّي لم أَغْنِ قَدِماً بمثلِ هذا ، وأَهْمَلْتُ من ضَبَطِهِ شيئاً كثيراً إهمالاً أَدَّى^(٣) ؛ فَإِنِّي ضَيَّعْتُ منه في زَمَنِ الصَّبَا جانباً وافراً ، وكنتُ لمثلِ هذا النُّوعِ لا أُرِيهِ من الاختِرَازِ وَجْهاً سافِراً ، فَلَمَّا اضْطَرَرْتُ إلى جَمْعِهِ ، وَظَمِئْتُ نَفْسِي إلى سُقْيَا غَيْثِهِ وَهَمِّهِ ، أَخَذْتُ أَلْتَقِطُهُ من كُلِّ بُقْعَةٍ ، وَأَجْمَعُهُ - كما في قولِ العَوامِّ - من كُلِّ زَوْقٍ رُفْعَةٍ ، فكم أَصابَتني في هذا السَّوْمِ سَامَةٌ ، وكم لَزِمَتني في بعضِ المواضِعِ بعضُ غَرَامَةٍ^(٤) .

- (١) في تاريخ بروكلمن ١٢١/٦ : المتنقي من المجاراة والمجوازة ، منه نسخة خطية في مكتبة طوب قهوسراي بإستانبول تحت رقم ٢٦١٧ .
(٢) في م : بُدِئَتْ .
(٣) في ب ، س : وَرَبَّ إهمالٍ أَدَّى .
(٤) في م : من غرامة .

وقد^(١) تركتُ في بعضِ البَدَائِ والمُراجَعاتِ بَيَاضاً ، وغادرتُ منها مَنَاهِلَ لم أَرِدْها وَجِياضاً ، رجاءُ أنْ تُظْفِرَني يَدُ التَّطَلُّبِ بما يَسُدُّ الحَلَّةَ ، وَيَشْفِي العِلَّةَ ، وَيُنْفِي العُلَّةَ ، [٣] فمتى وَجَدْتُ جُدْتُ ، وَتَنَيْتُ إِلَيْهِ الطَّلِيَّةَ^(٢) وَعُدْتُ^(٣) : [من الكامل]

وَعَلَيَّ أَنْ أَقْضِي صَلَاتِي بَعْدَما فَاتَتْ إِذا لَمْ أَقْضِها في وَقْتِها وَلِيَعْذِرِ الواقِفُ على ما هو فيه مُنْحَطُّ العملِ ، غيرُ راقٍ إلى درجةِ الكمالِ بَذْرُهُ ، ولم تُشْرِقْ شَمْسُهُ في الحَمَلِ ؛ فَإِنَّ فيه أشياءَ لم تُهَذَّبْها الرُّويَّةُ وَأَعْجَلْها الاِزْتِجالُ ، وَأَلْقَها الفِكرُ من رَأْسِ القَلَمِ ، فجاءتْ فيه بُنَيَاتُ الطَّرِيقِ ، لعدمِ الوصولِ إلى رَبَّاتِ الخُدُورِ والجِجالِ^(٤) : [من الطويل]
وَلَيْسَ يُعَابُ المَرْءُ في يَوْمِ جُنْبِهِ إِذا عُرِفَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ وقد رَتَّبْتُهُ على حُرُوفِ المُعْجَمِ ، فَأَذْكَرُ في الحَرْفِ اسْمَ مَنْ كَتَبَ إِلَيَّ وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ ، وَجَلا أَبْكَارُهُ الغُرَّ عَلَيَّ وَجَلَوْتُ عَلَيْهِ ، وباللهِ الاستعانةُ ، وعليه الاتِّكَالُ في إِبْلَاحِ النَّفْسِ عُذْرَها وأداءِ الأمانةِ ؛ لا إِلَهَ غَيْرُهُ ، ولا وَلِيَّ سِواهُ سُبْحانَهُ .

* * *

- (١) في م : وكم تركت .
(٢) الطَّلِيَّةُ : العُنُقُ .
(٣) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ١٠٣٢/٣ .
(٤) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ٥٢ . أو لعمر بن معدى كرب في ديوانه ١٢٩ . أو لعبد الله بن عتقاء الهجيمي في الأشباه والنظائر للخالدين ٣٠٣/٢ . وروايته في س : . . . في الأمس .

حَرْفُ الْهَمْزَةِ

١ * إبراهيم بن أحمد بن محمد^(١) :

القاضي أمين الدين ابن الشيخ الإمام شهاب الدين ابن الشيخ شمس الدين ابن غانم .

أحدُ كُتَّابِ الإنشاءِ الشريفِ بالشَّامِ المحروسِ .

● كتبْتُ أنا جوابه من رَحْبَةِ مالِكِ بنِ طَوْقٍ^(٢) ، في سنة ثلاثين وسبعمئة^(٣) :

[من الطويل]

كِتَابُكَ نُورٌ صُنِّتُهُ لِجُفُونِي وَتَاجٌ عَلَا أَعْدَدْتُهُ لِجَبِينِي
أَتَانِي فَلَا وَاللَّهِ مَا اخْتَجْتُ بَعْدَهَا إِلَى أَنْ تَقَرَّ الْحَادِثَاتُ عُيُونِي
وَنَفَسَ مِنْ ضِيَّتِي بِرَحْمَةِ مَالِكٍ أَكْبَدُهُ مِنْ لَوْعَةٍ وَحَنِينِ
فَمَا الطَّرْفُ إِذْ أَبْصَرْتَهُ بِمُسْهَدٍ وَلَا الْقَلْبُ إِذْ عَايَنْتَهُ بِحَزِينِ
تَغَارَلْنِي أَلْفَاظُهُ فِي سَطْوَرِهِ بِسِحْرِ مَعَانٍ مِنْ لَوَاحِظٍ عَيْنِ

(١) في أ ، م : أحمد بن أحمد بن محمد . . . وفي ب : أحمد بن محمد . . . ! . والمثبت من س . وهو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن سليمان بن غانم ، المقدسي الأصل ، الدمشقي ؛ ولد بدمشق سنة ٦٩٩ واشتغل ومهر في الأدب ، وكتب في ديوان الإنشاء ، وكان صاحب دُعابة ومجاعة ونوادير وتواضع ؛ مات في جمادى الآخرة سنة ٧٦١ هـ .

ترجمته في : الذُّررُ الكامنة ١٣/١ - ١٤ وأعيان العصر ٥٦/١ .

(٢) رجة مالِك بن طَوْق التَّغْلَبِي : مدينة بناها المذكور بين الرُّقَّة وبغداد ، على شاطئ الفرات ، أسفل من قريسياء . (معجم البلدان ٣/٣٤) .

قلت : وأطلالها بحذاء مدينة الميادين ، وهي قرية من مدينة دير الزور في الجمهورية العربية السورية .

(٣) القصيدة في أعيان العصر ٦٠/١ .

وَأَنْظُرُ فِي مَثْوَرِهِ مُتَنَزِّهَاً وَفَأَشْهَدُ سَجَعَ الْوُزْقِ فَوْقَ غُضُونِ
غَدَوْتُ أَمِينَ الدِّينِ بِالْفَضْلِ بَادِنَاً وَفُزْتُ بِسَبْقِي فِي الْعَلَاءِ مُبِينِ
بَعَثْتَ مِثَالاً مَا ظَفَرْتُ بِمِثْلِهِ وَحَسْبُكَ مِنْ حُسْنِ بَغِيرِ قَرِينِ
فَمَا كُلُّ حُسْنٍ مِثْلُهُ بِمُكَمَّلٍ وَلَا كُلُّ دُرٍّ مِثْلُهُ بِثَمِينِ
بَضَائِعُهُ تَجْلُو عَلَيَّ مَحَاسِنَاً وَلَسْتُ عَلَى هَذَا لَهَا بِزُنُونِ
لَأَنَّ الَّذِي وَشَى مَطَارِفَ حُسْنِهَا فَتَى حَارَ أَشْتَاتِ الْفَضَائِلِ دُونِي
أَضَعْتُ أَنَا فَضْلِي وَأَصْبَحَ حَافِظاً وَكَيْفَ يَضِيعُ الْفَضْلُ عِنْدَ أَمِينِ

● وكتبَ هو إلى القاضي ناصر الدين^(١) ، صاحب ديوان الإنشاءِ

الشَّريفِ ، ونحن بِمَرْجِ الغَسُولَةِ^(٢) ، وقد زادت الأمطارُ والرِّياحُ : [من الطويل]

وَلَيْلَةٌ بِنَا وَالرِّياحُ عَوَاصِفٌ بِوَيْلٍ كَتَبَلٍ لِلخِيَامِ يُخَرِّقُ
فَقُلْتُ لِصَحْبِي : دُونَكُمْ وَسَفِينَةٌ وَإِلَّا بِلَا شِكٍّ مِنَ الْمَاءِ نَغْرَقُ
فَقَالُوا : يُنَجِّينَا إِلَهُ سَعْدٍ مَنْ لَنَا نَاصِرٌ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ يُورِّقُ

● فكتبَ إليه المُشَارُ إِلَيْهِ^(٣) : [من الطويل]

لَئِنْ أَرْسَلَ اللَّهُ الرِّياحَ فَإِنَّهَا مُبَشِّرَةٌ وَالْقَوْلُ فِيهَا مُصَدِّقُ
وَلَيْسَ - مَعَاذَ اللَّهِ - إِزْسَالُهَا لِمَا يُخَافُ وَلُطْفُ اللَّهِ بِالْخَلْقِ مُخَدِّقُ^(٤)
وَحِكْمَتُهَا سَوْقُ السَّحَابِ إِلَى رُبَاً لِيَحْيِيَ بِهَا مَيِّتٌ وَيُظْهِرَ رَوْقُ^(٥)

(١) هو محمد بن يعقوب بن عبد الكريم . ستاتي ترجمته برقم ٩٤ من هذا الكتاب .

(٢) الغَسُولَةُ : قرية من قرى دمشق . (معجم البلدان ٤/٢٠٤) .

قلت : ولا تزال تحمل الاسم ذاته ، وتقع على طريق مطار دمشق الدولي . وتلفظ الآن بتشديد الشَّين المضمومة .

(٣) الأبيات الأربعة الأخيرة في أعيان العصر ٥٨/١ .

(٤) في م : . . . إرساله لها × .

(٥) في م : وحكمته . . . وفي س : . . . إلى دنا × .

وقد ظَهَرَتْ آثارُ صُنْعِ إِلَهِنَا
فَلَسْتَ تَرَى زَهَرَ الشَّقِيقِ مُبَكِّراً
وَأَغْصَانُ أَشْجَارِ الرِّيَاضِ عَرَائِسُ
وَكُلُّ مِنَ الطَّيْرِ الْمُغَرَّدِ سَاجِعُ
وَكُلُّ بِشْكَرِ اللَّهِ يَنْطِقُ صَادِحاً
أَيَا مَنْ غَدَا يَسْتَوْعِبُ الْوَقْتَ مَذْحُ
إِذَا مَا شَكَرْتَ اللَّهَ زَادَكَ رَفْعَةً
نَسُودُ أَوْرَاقاً وَنَكْتُبُ مَآتِماً
وَنَظْمُكَ عِنْدِي جَوْهَرٌ وَنِظَامُهُ
فَتَأَذِّي الْقَاضِي أَمِينُ الدِّينِ الْمَشَارُ إِلَيْهِ ، وقال : قد ثُبْتُ عن نظم الشعر ؛

فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ارْتِجَالاً^(٢) : [من السريع]

تَابَ أَمِينُ الدِّينِ مِنْ نَظْمِهِ
وَحَلَّصَ الْأَقْوَامَ مِنْ ذَمِّهِ
وقال : لا عُذْتُ إِلَّا بِمِثْلِهَا
فَقُلْتُ : لا تَهْرُبُ مِنْ سَهْمِهِ^(٣)
فَقَالَ لِي : وَاللَّهِ لَوْ أَنَّكَ
مِثْلُكَ لَمَا مِلْتُ إِلَّا إِلَى شَمِّهِ^(٤)
فَقَدْ كَفَى مَا نِلْتَهُ مِنْ أَذَى
وَمَا التَّقَى قَلْبِي مِنْ هَمِّهِ

● وَكَتَبَ إِلَيْهِ الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ الْمَشَارُ إِلَيْهِ^(٥) : [من السريع]

(١) في م : × المصنف .

(٢) الأبيات في أعيان العصر ٥٨/١ .

(٣) قوله : لا تهرب ، أصلها : لا تهربن ، فحذفت النون وبقيت فتحة الباء دليلاً عليها . وفي هامش
س : لا تَسْتَحْفِ . قلت : وهي رواية جيدة .

(٤) روايته في ب :

فَقَالَ لِي : لَوْ أَنَّكَ شُكِّرٌ^(٤) وَاللَّهِ مَا مِلْتُ إِلَّا إِلَى شَمِّهِ

(٥) عدا الثالث والرابع ، في أعيان العصر ٥٨/١ - ٥٩ .

إِنْ كَانَ قَدْ تَابَ بِلا مِرْيَةٍ
وَقَدَّمَ الْإِخْلَاصَ فِي فِعْلِهِ
وَنَحْنُ قَدْ أَمْسَكْنَا إِفْلَاحَهُ
لَأَنَّهُ سَيِّدُ إِخْوَانِهِ
وَأَنْ أَعَادَ الْقَوْلَ فِي مَا بَدَا
فَأِنْتِي مُسْتَأْنِفٌ هِمَّةً
وَأَحْسَنَ التَّوْبَةِ مِنْ جُزْمِهِ
وَقَوْلُهُ دَلَّ عَلَى حَزْمِهِ
عَنْ ذَنْبِهِ الْعَزْمَ عَلَى ذَمِّهِ
وَهُوَ أَمِينُ الدِّينِ فِي قَوْمِهِ
مِنْهُ وَلاَحَ الزَّيْفُ فِي نَظْمِهِ
فِي مَنْعِهِ ، وَالْقَوْلُ فِي ذَمِّهِ

● فَكَتَبْتُ أَنَا أَيْضاً^(١) : [من السريع]

إِنَّ أَمِينَ الدِّينِ مُذْ تَابَا
وَكَانَتْ الْأَعْطَافُ مِنْ نَظْمِهِ
وَكَيْفَ يَنْسَى لَذَّةَ طَالَمَا
مَا زَالَ مُذْ شَبَّ عَلَى نَظْمِهِ
وَذَهْنُهُ فِي كُلِّ مَعْنَى إِذَا
فِي أَنْ يَكُنْ أَمْسَى غَشِيماً كَمَا
أَغْلَقَ لِلْأَذَابِ أَبْوَابَا
وَنَثَرَهُ تَهْتَرُزُ إِعْجَابَا
دَارَ لَهَا بِالْكَغَبِ دُولَابَا
حَتَّى رَأَيْنَا رَأْسَهُ شَابَا
وَحَاوَلَهُ يَسْبِقُ نَشَابَا
يَزْعُمُ أَعْطَيْنَاهُ رَكَابَا^(٢)

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ ، وَقَدْ تَخَلَّفْتُ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى الْمَرْجِ صُحْبَةَ الْجَمَاعَةِ

الْمُوقَّعِينَ^(٣) : [من الطويل]

٦١٧٣٣١

خَلِيلِي مَا الْمَرْجُ الْخَصِيبُ بِطَيِّبٍ
وَإِذَا لَمْ يَرَ إِبْرَاهِيمَ وَجْهَ خَلِيلِهِ
وَمَا هُوَ إِلَّا مَارِجٌ بَعْدَ بُعْدِهِ
وَلَوْ زَارَهُ جَالُ النَّدَى بِتَجِيلِهِ

● وَكُنْتُ قَدْ كَتَبْتُ أَبْيَاتاً ، لَمَّا حَصَلَ (لِي) يَرْقَانُ ، أَعْتَذِرُ فِيهَا عَنْ عَدَمِ

التَّوَجُّهِ إِلَى الْمَرْجِ ، جَاءَ مِنْهَا فِي الْجَوَابِ : [من الخفيف]

(١) الأبيات في أعيان العصر ٥٩/١ .

(٢) وسقط ما بعد ذلك من س .

(٣) البيتان في أعيان العصر ٥٩/١ . وهما ساقطان من م .

يا ابنَ سينا الزَّمانِ مِنْكَ شِفائي
جاءَ لِلْعَبْدِ مِنْكَ قانُونُ نَظْمٍ
ما يَري عِلَّتِي التي قد عَرَّتني
فَصَفاري هِذا وأَيُّضُ شَيْبِي
تَمَّ عِنْدِي تَشْبِيهُ شَيْبِي بِتَمَّ

● وكتب أيضاً : [من السريع]

صَفَرَنِي ذا الِيرْقانِ الذي
يَنفِرُ مَنْ يُبَصِّرُنِي مُقْبِلاً

● وكتب أيضاً : [من الطويل]

تَصَدَّقْ خَلَاقِي عَلَيَّ بِصِحَّةٍ
ومَرَّ على غَيْرِي سَقامٌ وَصِحَّةٌ

● فكتب هو إليّ^(٤) : [من الكامل]

حاشاك من أَلَمِ أَلَمٍ بِمُهْجَةٍ
وَكُفَيْتَ كُلَّ مُلَمَّةٍ وَمَخَافَةٍ
مُتَمَتِّعاً مُتَنَمِّعاً فِي جَلْقِ الْـ
وَتَرى بِها أَثَرابَها وَكَوَاعِباً
يا أَوْحِداً فِي جِيلِهِ بِجَمِيلِهِ

وَوَلائِي المَشْهُورُ فِيكَ نَجَاتِي
فِي إِشارَتِهِ حُلَى النِّعَمَاتِ
وَبَرَّتني بَرِّي المُدَى القاطِعَاتِ^(١)
نَزَجِسُ لِلنُّفُوسِ غَيْرُ مُواتِي^(٢)
قد عَدا ناظِراً بِعَيْنِ البُزاةِ^(٣)

بِمِثْلِهِ الأَسْقامُ لَمْ تَظْهَرِ
حَتَّى كَأَنِّي مِنْ بَنِي الأَصْفَرِ

تَسُرُّ وَأَغْفاني زَماناً وَعَافاني
ولم يُرْقانِ مِثْلَ ذا يَرْقاني

قد مَسَّها أَلَمٌ مِنَ الِيرْقانِ
[١٤] وَلَبِسَتْ ثَوْبَ سَلامَةٍ وَأَمانِ^(٥)
فَفيحاءِ ذاتِ جَنَى وذاتِ جِنانِ
بِخُدودِهِنَّ شَقائِقُ النُّعْمانِ
كَم فِي فُنُونِ فَنّاكَ مِنْ أَفْنانِ

(١) في ب : . . . التي غَيَّرَتني × .

(٢) سقط عجز هذا البيت وصدر الذي يليه من ب ، وتلفق الموجود مما بقي منهما .

(٣) التَّم : طائرٌ نحو الإوز ، في منقاره طولٌ ؛ عنقه أطول من عنق الإوز . (حياة الحيوان ١/٥٣٦) .

(٤) الأبيات في أعيان العصر : ٥٩/١ - ٦٠ .

(٥) في م : . . . ومخوفة × .

مَنْ ذا يُضارِعُ بَحْرَ شِعْركَ فِي الِورى
٢ * إبراهيم بن محمود بن سلمان بن فهد^(١) :

القاضي الكبيرُ الرَّئيسُ جمالُ الدِّينِ ، أبو إِسحاق ، بن العلامة شيخنا
الإمام الكاتب الأديب شهابُ الدِّينِ بن الإمام زين الدِّينِ الحَلَبِيِّ ، كاتب السِّرِّ
الشَّريف بحلب المحروسة .

● كَتَبَ إِلَيَّ وهو بالقاهرة ، وأنا بها ، في سنة ٧٤٥ مُلغِزاً في اسمِ
عُلبِكَ^(٢) : [من السريع]

إِنَّ اسمَ مَنْ أَهْواءُ تَضَحيفُهُ وَصَفَّ لِقَلْبِ المُذَنَّبِ العاني^(٣)
وَشَطْرُهُ مِنْ قَبْلِ تَضَحيفِهِ يُقَادُ فِيهِ المُذَنَّبُ الجاني^(٤)
وإنْ أَرَلْتَ الرُّبْعَ مِنْهُ عَدا مُصَحِّفاً لِي مِنْهُ ثُلْثانِ^(٥)
وهو إِذا صَحَّفْتَهُ ثانياً اسمٌ لِمَحْجُوبٍ لَنَا ثانِ^(٦)

● فكتبَ الجوابَ إِلَيهِ عن ذلك^(٧) : [من السريع]

لُغْزُكَ يا مَنْ رُوِّيَ وَجْهُهُ تَكْحَلُ بِالْأَنْوارِ أَجْفاني

(١) ترجمته في : أعيان العصر ١/١٢٧ والوافي بالوفيات ٦/١٤٣ وذيل المعبر للحسيني ٣٣٠ وتذكرة النبيه ٣/٢٢٢ والمتقى من ذرة الأسلاك ٣٢٠ ووفيات ابن رافع ٢/٣٥٦ وتعريف ذوي العلا ١٢٠ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/١٤٩ ودرر العقود الفريدة ٢/١٢٣ والدرر الكامنة ١/٧١ والمنهل الصافي ١/١٧٢ والدليل الشافي ١/٢٨ والنجوم الزاهرة ١٠/٣٣٣ والدليل التمام ١/١٦٩ .

- مولده سنة ٦٧٦ هـ - ووفاته سنة ٧٦٠ هـ .

(٢) الأبيات في أعيان العصر ، والوافي ، والأول والثاني في الدرر الكامنة .

(٣) يريد : عليل .

(٤) يريد : غل .

(٥) يريد : علي - ثلاثة : لي .

(٦) يريد : عليك .

(٧) الأبيات في أعيان العصر ، والوافي .

هَدَى ضَمِيرِي لِجَمَى حَلِّهِ وَأَيَّدَ الْقَوْلَ بِزَهَانِ
إِنْ زَالَ مِنْهُ الرُّبْعُ مَعَ قَلْبِهِ فَإِنَّهُ لِلْمُذْنِبِ الْجَانِي^(١)
« عَلَيْكَ » تَصْخِيفُ الَّذِي رُمَتْهُ فَالْقَلْبُ فِي تَضْحِيْفِهِ الثَّانِي^(٢)

● وَأَنْشَدْتُ جَمَاعَةَ الدِّيَّانِ - كُتَّابَ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِمِصْرَ - لُغْزاً كُنْتُ
نَظَّمْتُهُ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ فِي مِثْقَابٍ ، وَهُوَ^(٣) : [من السريع]

مَا غَائِصٌ فِي يَابِسٍ كُلَّمَا جَلَدْتُهُ سَوْطاً أَجَادَ الْعَمَلُ
ذُو مُقْلَةٍ غَاصَ بِهَا رَأْسُهُ وَالرَّأْسُ فِي الْعَادَةِ مَأْوَى الْمُقْلِ

● فَكَتَبَ إِلَيَّ الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ الْجَوَابَ : [من السريع]

« مِثْقَاتٌ » مَا أَلْغَزْتَ لِي فِي اسْمِهِ تَمَّ بِتَضْحِيْفِي لَهُ وَاتَّكَمَلُ
يَدُورُ بِالْقَوْسِ مَدَى سَيْرِهِ بَدَأَ وَعَوْداً لِيَتِمَّ الْعَمَلُ

● وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ أَهْنَتْهُ بِعَوْدِهِ إِلَى كِتَابَةِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِحَلْبِ الْمَحْرُوسَةِ فِي

سَنَةِ ٧٥٢^(٤) : [من الطويل]

بِعَوْدَتِكَ الْغَرَاءَ قَرَّتْ نَوَاطِرُ وَأَمْسَتْ وَجُوهُ الْبَشْرِ وَهِيَ نَوَاضِرُ
فَرَوْضُ الْأَمَانِي ظَلُّهُ بِكَ وَارِفُ وَخَوْضُ التَّهَانِي ظَلُّهُ مِنْكَ وَافِرُ^(٥)
لَأَنْبَائِكَ الْحُسْنَى أَصْخَنَّا مَسَامِعاً فَيَا طِيبَ مَا أَمَلْتُ عَلَيْنَا الْبَشَائِرُ
وَقَيْنَا بِنَذْرِ أَوْجَبْتُهُ عَلَى السُّورَى صَنَائِعُكَ الْآلَتِي حَوْنَهَا الْمَائِرُ
وَقُمْنَا بِمَا أَلْزَمْتَنَا مِنْ مَحَامِدٍ إِذَا تُلِّكْتُ تَسْعَى إِلَيْهَا الْمَنَابِرُ

(١) يريد : كبل .

(٢) تصحيفه الثاني : عليل .

(٣) البيتان وجوابهما في الوافي . وانظر إجابة أحمد بن علي السبكي عنهما في الوافي ٢٥١/٧ .

(٤) الأول والثاني والسادس والسابع من مقطوعة في جنان الجناس ٩٣ [ضمن مجلة الذخائر ٤] .

(٥) في أ ، ب ، س : ظله منك وافر . والمثبت من م .

لَكَ اللَّهُ مَوْلَى جُودُهُ مَلَأَ الْمَلَا فَرَوْضُ النَّدى بِالْفَضْلِ زَاهٍ وَزَاهِرُ
رَوَى خَيْرَ الْإِحْسَانِ عَنْكَ أُولُو الثُّهَى وَحَقَّقَهُ عِنْدَ الْأَنَامِ التَّوَاتُرُ
فَلَا عَدِمَ الْإِسْلَامُ شَخْصَكَ كُلَّمَا تَرَنَّحَ غُصْنٌ فَوْقَهُ نَاحَ طَائِرُ
يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيُهَيِّئُ نَفْسَهُ وَالْأَنَامَ وَالْأَيَّامَ ، وَمَنْ خَطَّ الطُّرُوسَ وَوَشَّعَ
بُرُودَهَا بِالْأَقْلَامِ ، وَمَنْ كَتَبَ الْإِنْشَاءَ فَآخَى مِنْ كَلَامِهِ بَيْنَ الْجَوْهَرِ فِي
النِّظَامِ^(١) ، وَمَنْ نَظَّمَ قَرِيضَهُ فَأَخْمَلَ فِي الْخُمَائِلِ سَاجِعَاتِ الْحَمَامِ ؛ لِأَنَّ مَوْلَانَا
- بَسَطَ اللَّهُ ظِلَّهُ - بَرَكَتُهُ هَذَا الْوُجُودَ ، وَمِنْ هَبَاتِ نَسِيمِهِ يَنْشَقُّ النَّاسُ عَرَفَ الْهَبَاتِ
وَالْجُودِ .

ويُنْهِي مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ [ب] وَالشَّرُورِ ، وَالْهِنَاءِ الَّذِي التَّخَفَّ مِنْهُ
بِالتُّخَفِ وَحِبَاهُ الْخُبُورُ ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ أَيْتَامَ مَوْلَانَا الَّتِي هِيَ أَمَانٌ مِنَ الْحَوَادِثِ
وَالْغَيْرِ ، وَجَمَالَ الْكُتُبِ وَالسِّيَرِ ؛ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ : [من الطويل]

بِفَضْلِ صَلَاحِ الدِّينِ سُرَّتْ سَرَائِرُ وَوَافَتْ إِلَيْهَا بِالتَّهَانِي الْبَشَائِرُ
وَبِالسَّبْقِ مِنْهُ حَازَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَإِخْسَانُهُ وَالْفَضْلُ وَافٍ وَوَافِرُ
أَتَانِي كِتَابٌ مِنْهُ أَبْهَجُ نَاطِرِي حَكَى الرَّوْضَ رَوَاهُ مِنَ الشُّعْبِ مَاطِرُ
حَوَى مِنْ بَدِيعِ النَّظْمِ عَقْدَ بِلَاغَةٍ لَهُ جَوْهَرٌ مِنْ طَرِسِهِ مُنَائِرُ^(٢)
وَكَمْ فِيهِ مِنْ مَعْنَى يَرُوقُ بَدِيعُهُ فَيَا حُسْنَ مَا أَمَلْتُ عَلَيْهِ الْمَحَابِرُ
فَأَعْجَزَنِي عَنْ وَصْفِ مَا قَدْ حَوَاهُ مِنْ بَيَانٍ فَوْضِي عِنْدَ ذَلِكَ قَاصِرُ
وَلَمْ أَسْتَطِعْ رَدَّ الْجَوَابِ لِأَنَّنِي أَحَاوِلُ أَنْ تَدْنُو إِلَيَّ الزَّوَاهِرُ

(١) في م : بين الجواهر والنظام .

(٢) في س : × . . . في طرسه . . .

فَسَامِحْ بِفَضْلِكَ مِنْكَ عَبْدًا مُقْضَرًّا فَإِنَّكَ بِالْإِغْضَاءِ لِلْعَيْبِ سَائِرُ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، لَا زَالَتْ مَطَالِعُهَا مَشَارِقَ الْأَنْوَارِ ، وَمَرَابِعُهَا مَرَاتِعَ التَّهَانِي
وَمَوَاطِنَ الْمَسَارِّ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْعَالِي ، الْمُشْتَمِلِ مِنْ جَوَاهِرِ الْبَدِيعِ
عَلَى مَا يُخْجِلُ زُهْرَ اللَّالِي ؛ فَقَبْلَهُ الْمَمْلُوكُ حِينَ وَاثَاهُ ، وَأَجَلَ مُحَلُّهُ حِينَ
تَلَقَّاهُ ، وَكَلِفَ بِمَضْمُونِهِ فَكَلَّمَا انْتَهَى إِلَى مُنْتَهَاهُ ، أَعَادَ لَثْمَهُ وَابْتَدَأَهُ ؛ وَعَلِمَ
مَا تَفَضَّلَ بِهِ مَوْلَانَا مِنْ تَهْنِئَةِ الْمَمْلُوكِ بِالْمَنْصِبِ الَّذِي كَانَ الْمَمْلُوكُ عَنْهُ يَفْضَلُ
اللَّهُ فِي غِنَى ، وَالرُّبِّيَّةِ الَّتِي مَا أَزْدَادَ الْمَمْلُوكُ^(١) بِهَا إِلَّا التَّعَبَ وَالْعَنَاءَ ، وَتَحَقَّقَ
الْمَمْلُوكُ صَدَقَةً^(٢) مَوْلَانَا الَّتِي أَلْفَهَا قَدِيمًا وَأَنِفًا ، وَمَحَبَّتَهُ الَّتِي لَمْ يَرَلِ الْمَمْلُوكُ
عَلَى مِثْلِهَا مُقِيمًا وَيُمِثِّلُهَا عَارِفًا .

وَعَلِمَ مَوْلَانَا الْكَرِيمُ مُحِيطٌ ، بِأَنَّ الْمَمْلُوكَ كَانَ قَدْ حُطَّ عَنْهُ وَاسْتَرَاحَ^(٣)
وَسَكَنَ ، وَأَغْلَقَ الدُّكَّانَ وَلَزِمَ الْوَطْنَ .

فَلَمَّا اتَّفَقَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمَمْلُوكِ مَا اتَّفَقَ مِنَ الْمَقَادِيرِ الَّتِي لَا مَحِيدَ عَنْهَا ،
وَالْأُمُورِ الَّتِي - إِنْ سَخِطَ أَوْ رَضِيَ - لَا بُدَّ مِنْهَا ، مَا أَمَكْنَهُ إِلَّا التَّسْلِيمُ لِحُكْمِ اللَّهِ
وَأَمْرِهِ ، وَالرِّضَا بِمَا قَدَّرَهُ مِنْ حُلُولِ الْقَضَاءِ وَمُزَرِّهِ ؛ وَلَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ لَا يَكُونَ لِشَرِّ
قَضَاءِ اللَّهِ ، بَلْ لِيُخَيَّرَ قَدْرُهُ ، وَرِزْقِي يَسَّرُهُ ، وَأَجْرِي سَاقَهُ وَقَوَّرَهُ .

وَالْمَمْلُوكُ يَرْجُو أَنْ تَكُونَ الْآخِرَةُ إِلَى خَيْرٍ ، فَقَدْ قَرَّبَتِ الْمَنْزِلَةَ وَحَثَّ إِلَيْهَا
السَّيْرُ ؛ وَقَدْ تَقَلَّدَ الْمَمْلُوكُ لِمَوْلَانَا هَذَا الْإِحْسَانَ ، وَهُوَ يَعْتَذِرُ مِنَ التَّقْصِيرِ عَنْ
الْقِيَامِ بِشُكْرِ هَذِهِ الْعَوَارِفِ الْإِحْسَانِ ؛ فَلَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيِ مَوْلَانَا لَا تَفْتَحَ لَهُ مِنَ
الْمَعَانِي كُلِّ بَابٍ ، وَاقْتَبَسَ مِنْ فَوَائِدِهِ وَفَرَائِدِهِ مَا يَنْظُمُهُ فِي سِلْكِ هَذَا

الْجَوَابِ ؛ وَإِنَّمَا بَعْدُهُ عَنْ فَضَائِلِ مَوْلَانَا ، أَوْجَبَ لَهُ الْإِعْتِرَافَ بِتَقْصِيرِهِ ،
وَالْتَّعْوِضَ بِقَلِيلِ اللَّفْظِ عَنْ كَثِيرِهِ ، وَمَا ثُمَّ غَيْرُ صَفْحِ مَوْلَانَا الْجَمِيلِ ، وَاللَّهُ
يُبْلِغُهُ مِنَ الْأَمَانِي نِهَائَةَ التَّامِيلِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَلَمَّا أَبْطَأَ عَنِّي جَوَائِزُهُ هَذَا ، لِأَنَّ حَامِلَهُ أُخْرَهُ عِنْدَهُ ، كَتَبْتُ أَنَا كِتَابًا إِلَيْهِ
فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَافْتَتَحْتُهُ بِقَوْلِ الْقَائِلِ^(١) : [مِنْ الْبَسِيطِ]

أَتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ لَقَاكَ أَوَّلُهُ وَلَا اسْتَرَدَّ حَيَاةَ مِنْكَ مُعْطِيهَا
● فَكَتَبْتُ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ : [مِنْ الْبَسِيطِ]

يَا مَالِكًا لَمْ تَزَلْ تَأْتِي عَوَارِفُهُ يُعِيدُهَا كَرَمًا مِنْهُ وَيُعِيدُهَا
وَافِي مُشْرِفِكَ الْعَالِي فَقَبْلَهُ عَبْدٌ لِأَنْعَمِكَ اللَّاتِي تُوَالِيهَا
لَا زِلْتُ تَرْقَى إِلَى الْعُلْيَاءِ مَنْزِلَةً [هـ] لَا يَسْتَطِيعُ مُدَانِ أَنْ يُدَانِيهَا
وَلَا بَرَحَتْ مَدَى الْأَيَّامِ تَزْفُلُ فِي مَلَابِسٍ مِنْكَ بِالتَّقْوَى تُحَلِّيَهَا
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، لَا زَالَتْ سَاحَاتُهَا تُقْبَلُ وَتُخْدَمُ ، وَأَوْصَافُ مَحَاسِنِهَا يُبْدَأُ
بِهَا الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُخْتَمُ ؛ وَيُنْهِي بَعْدَ دُعَائِهِ الَّذِي فَرَضَهُ عَلَيْهِ تَحْتَمُّ ، وَاعْتِدَادُهُ
بِمَنِّهِ الَّتِي كُلُّ ذِي جُودٍ مِنْ كَرَمِهَا يَعْلَمُ^(٢) .

٣ * إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ^(٣) :

الْشَيْخُ يُرْهَانُ بْنُ الْمُذَيْنِ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ غُلَامِ الثُّورِيِّ^(٤) ، وَبِالْمِعْمَارِ ،

(١) البيت للمتنبي في ديوانه ٢٦٨/٤ .

(٢) كذا في أ ، ب ، س ، م . والرسالة ناقصة .

(٣) ترجمته في : أعيان العصر ١٤٦/١ والوافي بالوفيات ١٧٣/٦ وتعريف ذوي العلا ٦١ وفوات

الوفيات ٥٠/١ وتاريخ ابن قاضي شعبة ٥٥٧/١ والدرر الكامنة ٤٩/١ والمنهل الصافي ١٨٨/١

والدليل الشافي ٣٢/١ وحسن المحاضرة ٤٩٤/١ .

(٤) تصحف في تاريخ ابن قاضي شعبة إلى : ابن غلام الثوري !

(١) في ب : وجه المملوك . وفي م : بها المملوك .

(٢) في ب : صداقة مولانا .

(٣) في م : وراح .

وبالحجَّار ، رحمه الله تعالى .

وفاته بالقاهرة سنة ٧٤٩ في طاعون مصر .

● كَتَبَ إِلَيَّ وَقَدْ وَرَدَتْ الْقَاهِرَةُ فِي سَنَةِ ٧٤٥ فِي زَمَنِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدَ بْنَ قُلاوُونَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ^(١) : [من السريع]

وَافِي صَلَاحِ الدِّينِ مُضْرَأً فَيَا نِعْمَ خَلِيلٍ حَلَّهَا بِالْفَلَاحِ^(٢)
فَلْيَهْنِهَا الْإِقْبَالُ إِذْ أَصْبَحَتْ بِالْمَلِكِ الصَّالِحِ دَارَ الصَّلَاحِ
● فَكَتَبْتُ الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(٣) : [من السريع]

خَلِيلُ فِي الشَّامِ هِلَالٌ بَدَا وَبَذَرُ إِبْرَاهِيمَ فِي مُضَرَ لَاحِ^(٤)
ذَا كَامِلٌ مِنْ حَيْثُ ذَا نَاقِصٌ وَذَاكَ بُزْهَانٌ وَهَذَا صَلاَحُ
٤ * إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَسْكَرٍ^(٥) :

الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ ، الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ ، أَبُو إِسْحَاقَ ، ابْنُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ
الْعَلَّامَةِ شَرْفِ الدِّينِ ، الْقَيْرَاطِيِّ الْمِضْرِيِّ .

(١) هما في أعيان العصر ، والوافي ، والمنهل الصافي .

(٢) في م : . . . بِالصَّلَاحِ ! .

(٣) هما في أعيان العصر .

(٤) في م : خَلِيلٌ بِالشَّامِ

(٥) ترجمته في : الذيل على العبر ٤٨٩/٢ والعقد الثمين ٢١٧/٢ ودرر العقود الفريدة ٧٢/١ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١٢/٣ وإنباء الغمر ٣١٢/١ والدرر الكامنة ٣١/١ والمنهل الصافي ٨٩/١ والدليل الشافي ١٨/١ والنجوم الزاهرة ١٩٦/١ وحسن المحاضرة ٤٩٤/١ وشذرات الذهب ٤٦٥/٨ . وفي م : إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَسْكَرٍ ! ! .

- توفي بمكة سنة ٧٨١ هـ . ومولده سنة ٧٢٦ هـ .

- الترجمة ساقطة من س .

● لَمَّا تُوفِّي شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ قَاضِي الْقَضَا ، تَقِيُّ الدِّينِ ، أَبُو الْحَسَنِ ، عَلِيُّ الشُّبْكِيُّ الشَّافِعِيُّ ، رثاهُ بِقَصِيدَةٍ نُوتِيَّةٍ^(١) ، فَجَهَّزَهَا وَلَدُهُ - الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ بِهِاءُ الدِّينِ ، أَبُو حَامِدٍ - أَحْمَدُ - إِلَيَّ ، قَرِينَ مَا رُثِيَ بِهِ ، فَكَتَبْتُ الْجَوَابَ إِلَيْهِ ، وَقُلْتُ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَصِيدَةِ : [وَأَمَّا نُوتِيَّةُ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ بُرْهَانَ الدِّينِ الْقَيْرَاطِيِّ ،]^(٢) فَإِنَّ الْمَمْلُوكَ وَازَنَ بِقِنَاطِيرِهِ قَيْرَاطَهَا ، وَأَهْدَى مِنْهَا إِلَى الرُّؤُوسِ وَالْآذَانِ تِنِجَانَهَا وَأَقْرَاطَهَا ؛ وَقَالَ : [من السريع]

وَزَنْتُ أَهْلَ النَّظْمِ فِي عَصْرِنَا مِنْ غَيْرِ إِجْحَافٍ وَإِسْقَاطٍ
فَأَهْلُ مُضَرَ عِنْدَ وَزْنِي لَهُمْ زَادُوا عَلَى الدُّنْيَا بِقَيْرَاطٍ
فَنَوْنُهَا يَسْبُحُ مِنْ فُنُونِهَا فِي يَمٍّ ، وَيَخْكِ لِمَنْ غَابَ عَنِ الْمَأْتَمِ مَا تَمَّ ، وَاللَّهُ يُمَتِّعُ الْأَدَابَ بِهَذِهِ الْفَوَائِدِ الْعِصَّةِ ، وَلَا يُؤَاخِذُهُ بِمَا صَنَعْتَ بِنَا بِنْتُ فِكْرِهِ ، فَإِنَّهَا جَمَعَتِ الْأَخْزَانَ وَجَعَلَتِ الدُّمُوعَ مُرْفَضَةً .

● ثُمَّ إِنَّ جَوَابَ الشَّيْخِ بِهِاءِ الدِّينِ عَادَ مَعْطُوفاً عَلَى قَصِيدَةِ نَظْمِهَا الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ الْقَيْرَاطِيِّ : [من السريع]

يَا حَاكِماً عُدَّ أَقْوَالُهُ فَلَمْ تُرَعْ يَوْماً بِإِسْقَاطٍ
أَقْنَعَتْ لِلشَّعْرِ عَمُوداً لَهُ بِأَرْضِ مُضَرَ أَيُّ فُسْطَاطٍ
بَنَاتُ أَفْكَارِكَ فِيهِ غَدَتْ مَصُونَةً عَنْ شَبِّهِ الْوَاطِي
تَسْمُو قَوَافِيهِ فَيَخْطُطُهَا مِنْ فِكْرِكُمْ عَزْمَةٌ مُحْتَاطٍ
لَجَبَّتْ فِي أَبْخَرِهِ سَابِحاً إِذْ وَقَفَ النَّاسُ عَلَى الشَّاطِي
حَلَّى لَنَا مُضَرَ وَقَدْ حَلَّهَا مِنْ دُرَرِ النَّظْمِ بِأَسْمَاطٍ

(١) القصيدة في طبقات الشُّبْكِيِّ ٣٣١/١٠ - ٣٣٣ .

(٢) ما بين معقوفين من ط . وفوق كلمة (فَإِنَّ) في الأصل إشارة استلحاق ، وليس في الهامش شيء ، فلعله نسي .

جَزَّازَهَا أَمَسَتْ تَقَاطِيفُهُ
مُذْ جَاءَهَا مِنْكَ الْقَرِيضُ الَّذِي
كَانَ الرَّيِّعُ الطَّلُقُ وَافَى لَهَا
لَوْ شَهِدَ الْوَرَّاقُ تَخْيِيرَهُ
أَوْ سَرَّحَ الْحَلْيُ فِي رَوْضِهِ
حَلْيٍ وَحَلَوَى كَمْ شَدَدْنَا لَهُ
مَقْبُولٌ أَعْمَالِكَ فِيهِ رَمَى
طُفْتُ وَطَافَ النَّاسُ بَيْتَ الْعَلَا
قَالَ الْعِدَى : أَفَرُطْتُ فِي مَدْحِهِ
إِنْ نَشَرَ الدُّرُّ لَنَا نَاطِظاً
أَوْ شُبَّهَتْ بِالْيَنْبُضِ أَقْلَامُهُ
أَصَابَ أَغْرَاضاً تَسَامَتْ فَلَا
هَبَا سَاءَ مِزَاجُ النَّاسِ أَوْ خِلَتْهُمْ
عَنْ شُغْلِ الْخَيْرَاتِ قَدْ أَصْبَحُوا
أَفْدَى مَرَاثِيكَ الَّتِي صُغَّتْهَا
قَالَتْ لَنَا السَّاعَةُ لَمَّا قَضَى :
مَضَى إِمَاماً لِلْوَرَى حُجَّةً
وَنَاطَ بِي حُزْناً ثِيَابَ الْأَسَى

تُدْعَى وَقَدْ بَارَتْ بِأَسْقَاطِ
يَخْشَى مُضَاهِيهِ سَطَا السَّاطِي
فَشَقَّقْتُ مِنْهُ بِأَقْرَاطِ
بَرَى لَهُ أَقْلَامَ خَطَّاطِ
طَرْفَا أَبَى تَقْرِيطَ أَمْشَاطِي
مَنَاطِقَ الشُّكْرِ بِأَوْسَاطِ
أَعْمَالِ أَقْوَامٍ بِإِخْبَاطِ
فَقَتَّهْمُ سَبَقاً بِأَشْوَاطِ
فَقُلْتُ : هَذَا فَوْقَ إِفْرَاطِي
قُلْنَا لَهُ : يَا خَيْرَ لَقَاطِ
فَغَيْرُهَا يُدْعَى بِمِشْرَاطِ
تَذْنُو إِلَيْهَا خُطْوَةُ الْخَاطِي
قَدْ طَبَعُوا مِنْ شَرِّ أَخْلَاطِ
أَفَرَّغَ مِنْ حِجَامٍ سَابَاطِ^(١)
فِي عَالِمٍ خَبِرَ بِأَقْسَاطِ^(٢)
مَضْرَعُ ذَا مِنْ بَغْضِ أَشْرَاطِي
وَفَازَ فِي الْخُلْدِ بِأَنْمَاطِ
فَالْيَوْمَ ذَاتِي ذَاتُ أَنْوَاطِ^(٣)

(١) حِجَامٍ سَابَاطٍ : يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْفَرَاغِ ، يُقَالُ : أَفَرَّغَ مِنْ حِجَامٍ سَابَاطٍ . (ثمار القلوب ٣٧٧/١).

(٢) فِي ب : × جَزَّ بِإِسْقَاطٍ .

(٣) ذَاتُ أَنْوَاطٍ : شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضِرَاءُ ، كَانَتْ قَرِيشٌ وَمِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ مِنَ الْعَرَبِ يَأْتُونَهَا كُلَّ سَنَةٍ ، فَيَعْلَقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، وَيَذْبَحُونَ عَنْدَهَا ، وَيَعْكفُونَ عَنْدَهَا يَوْمًا . (ثمار القلوب ٤٦٠/١ و ١٠٠٥/٢).

وَعَامُنَا فِي مِضْرَ مِنْ أَجْلِهِ
اغْضِ صَلاَحَ الدِّينِ يَا سَيِّدَا
فَمِضْرُ قَالَتْ لِلشَّامِ إِزْجَحِي
جَمِيعُ أَجْزَائِي غَدَتْ دُونَهُ
مَا لِلْمُتَاقِلِ إِذَا وَازَنْتَ
رِضَاكَ عَمَّا قُلْتُ يَا سَيِّدِي
أَرْقَصْنِي مُطَرِّبُهُ فَزَحَّةً

عَامُ ابْنِ هَمَّامٍ بِدِمْيَاطِ^(١)
مُتَخَبِّأً مِنْ خَيْرِ أَسْبَاطِ
بِسَيِّدِ اللَّتْجَمِ خَطَّاطِ
كَيْفَ أَسَاوِيهِ بِقِنَرِاطِ
دُرّاً وَتِيَرّاً غَيْرَ أَفْسَاطِ
يُسْخِطُ ضَيْدِي أَيَّ إِسْخَاطِ
يَبْنِي الدُّنْيَا بِأَبَاطِي

● فَكْتُبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [من السريع]

غَيْدَاءُ مَا اخْتَجَعْتُ لِمَشَّاطِ
أَوْ رَوْضَةً فَيَحَاءُ أَمْ حُلَّةُ
أَمْ شِعْرُ مَنْ زَادَتْ قَنَاطِيرُهُ
نَعَمْ وَإِلَّا لَيْسَ ذَا دَارِجاً
فَالْحَبَّةُ انْضَافَتْ إِلَى أُخْتِهَا
مُخَكَّمَةُ الْأَلْفَاطِ مِنْ أَجْلِهَا
لَوْ دَخَلْتُ سَمْعَ أَبْقَرِاطِهَا
تَشَعَّبَتْ فِيهَا مَجَارٍ مِنْ أَلِ
يَا خَجَلْتَنِي مِنْهَا وَقَدْ بَيَّنْتُ
وَصَحَّ عِنْدِي أَنَّ كُلَّ الَّذِي
وَكُنْتُ مِنْ نَظْمِي أَرَى أَنْتِي

أَمْ دُرُّ بَحْرِ مَا لَهُ شَاطِي
مِنْ رَقَمٍ تَيَّسٍ وَدِمْيَاطِ
فَضْلاً وَقَدْ سُمِّيَ بِقِنَرِاطِي
فِي حُكْمِ إِدْرَاجٍ وَإِسْقَاطِ
كَأَنَّهَا مِنْ خَرِطِ خَرَّاطِ
قَدْ سَقَطَتْ حِكْمَةُ سُقَرِاطِ
جَنَّتُهُ وَحَلَّتُهُ بِأَقْرَاطِ
آدَابِ تَخْتِاجِ لِقْنِيَّاطِ^(٢)
فِي التَّنْظِيمِ أَوْهَامِي وَأَغْلَاطِي
عَمِلْتُهُ اخْتِصَّ بِإِخْبَاطِ
أَرْفُلُ مِنْهُ فِي سَكْرَاطِ^(٣)

(١) الإشارة إلى الحارث بن همام بطل مقامات الحريري في المقامة الدميّاطيّة ، وما عناه في دميّاط ، عام هياط وديّاط . (مقامات الحريري ٢٥ وشرح المقامات للشرنشي ١٥٨/١) .

(٢) فِي ب : . . . بحارٌّ من الك . وفي م : × تحتاج لقطاط .

(٣) لعل السكرلاط ضرب من الثياب .

حَتَّى أَتَتْنِي وَإِذَا مِغْطَفِي
زَفَّتْهَا خَوْدًا إِلَى جِلْقِي
حُلَّتْهَا جَلَّتْ فَمَا مَسَّهَا
وَشِعْرُهَا شَعْرُ فَتَاةٍ سَمَا
أَمَّا السَّرَاجَانِ فَقَدْ أَصْبَحَا
وَابْنُ الْحَرِيرِيِّ مَقَاطِيعُهُ
وَكُلُّ مُضَرِّيٍّ مُصِرٌّ عَلَى
وَكُلُّ شَامٍ شَامٌ مِنْكَ السَّنَا
فَاخْفِظْ لَأَلِي النَّظْمِ إِنْ جُزَتْ فِي الْإِ
لَا تَمْشِ إِلَّا بِاخْتِرَازٍ عَلَى
كَيْفَ أُجَارِي فِي الْمَعَالِي لِمَنْ
وَلَوْ رَأَى تِلْكَ وَذِي حَاكِمٍ
لَوْ شِئْتَ جَبْرِيٍّ فِي جَوَابِي لَهَا
فَخُذْ فَهَذَا بَعْضُ مَا عَقَنْتَ
لَا أَنْسَ مَا قَدْ أَذْكَرْتَنِي بِهِ
يَلْقُطُ بِالدُّوْقِ الَّذِي عِنْدَهُ
وَيُخْرِجُ الْأَحْكَامَ مِنْ ضَمْنِهَا

يَلْتَفُ فِي بُرْنُسٍ بُرْنَاطٍ^(١)
فِي خَلْقٍ شَقَّتْ وَأَسْمَاطٍ
رَاحَةً رَفَاءً وَخَيْطَاطٍ
عَنْ كَفٍّ مَخَارٍ وَأَمْشَاطِي
قُدَّامَهَا فِي زِيٍّ نَفَّاطٍ^(٢)
أَكْسَدُ مِنْ مَقْطَعِ سُبَّاطٍ^(٣)
فَضْلِكَ مِنْ عُزْبٍ وَأَقْبَاطٍ
وَعَارَ حَتَّى كُلُّ غَرْنَاطِي
قَضْرَيْنِ مِنْ غِيلَةٍ بَطَّاطٍ
نَظْمِكَ مِنْ لِصٍّ وَشَرَّاطٍ
أَنَاتُهُ تَسْبِقُ أَشْوَاطِي
مَا أَزْتَابَ فِي الْحُكْمِ بِإِسْقَاطِي
لَكَانَ فِي عِدَّةِ أَسْفَاطٍ
وَحَزْنَتْ فِي الذَّهْنِ أَخْلَاطِي
مَنْ فَقْدِ جَبْرِ جِدِّ مُحْتَاطٍ
مَنْ الْأَحَادِيثِ بِمِلْقَاطٍ
وَالْمَاءِ يَخْتِاجُ لِإِبْطَاطٍ

(١) في م : . . . بُرْلَاط .

(٢) السَّرَاجَانِ : الأول : عمر بن محمد بن حسن ، سراج الدين الوراق ، الشاعر المشهور ؛ توفي سنة ٦٩٥ هـ . (فوات الوفيات ٣ / ١٤٠) .

والثاني : عمر بن مسعود الأديب ، سراج الدين المحار الحلبي ، صاحب الموشحات والأزجال ؛ توفي سنة ٧١١ هـ . (فوات الوفيات ٣ / ١٤٦) .

(٣) الحريري : صاحب المقامات ، مشهور .

إِنْ قَالَ فَالْأَنَاسُ سُكُوتٌ لَهُ
يَمْشِي إِلَى الْجَنَّاتِ بِالْعِلْمِ فِي
عَلَيْهِ مِنْ خَلَاقِهِ رَحْمَةً
وَجَهَزْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ طَيَّ كِتَابٍ إِلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ بِهِاءِ الدِّينِ أَبِي حَامِدٍ ،
وَكُتِبَتْ عِنْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

وَانْتَقَلَ الْمَمْلُوكُ إِلَى الْقَصِيدَةِ الطَّائِيَّةِ وَالْبَلَاغَةِ الطَّائِيَّةِ ، فَلَوْ أَنَّ الطَّائِيَّيْنَ^(١)
حَيَّانَ لَسَلَّمَا قَبْلَ أَنْ سَلَّمَا ، وَاعْتَرَفَا لِشَاعِرِنَا بِالْفَضْلِ وَنَدِمَا عَلَى كُلِّ مَا كَلَّمَا ،
وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الطَّاءُ حَرْفَ الرَّاءِ ، لَمَا زَادَتْ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ ، وَلَا أَدْعَعَتْ
لِنَظْمِهَا وَجَاءَتْهُ فِي جِدَّةِ هَذَا الرَّوْنَقِ وَالْجِدَّةِ .

يَا مَوْلَانَا ، هَذَا [٦١] الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ ، نَكَتَ حَرْفَ الطَّاءِ ، أَخَذَ جَمِيعَ
مَا فِيهِ مِنَ التُّكْتِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الَّذِي يُجَارِيهِ إِنْ أَفْلَحَ جَاءَ سَكِينًا وَسَكَتَ .

أَمَّا قَوْلُهُ : مُضَرٌّ وَفُسْطَاطٌ ، فَلَمْ يُمَرَّ بِالْمَمْلُوكِ مِثْلُهَا ، وَلَا فَاءَ عَلَيْهِ ظِلُّهَا .
وَأَمَّا تَقَاطِيفُ^(٢) الْجَزَارِ^(٣) وَأَسْقَاطُهُ ، فَلَوْ كَانَ حَيًّا صَحَّ حَذْفُهُ مِنْ هَذِهِ
الصَّنَاعَةِ وَإِسْقَاطُهُ .

وَأَمَّا ذِكْرُهُ الْأَقْرَاطَ مَعَ الرَّبِيعِ وَالتَّشْنِيفِ ، فَصَّنَاعَةٌ فَائِقَةٌ فِي النَّظْمِ
وَالْتَّصْنِيفِ .

وَأَمَّا تَسْرِيعُ الْحِلِّيِّ وَتَقْرِيطُ الْأَمْشَاطِي ؛ فَهَذَا قَوْلٌ مَنْ خَاضَ لُجَّةَ هَذَا
الْفَنِّ ، وَتَرَكَ النَّاسَ عَلَى الشَّاطِي .

(١) هما أبو تمام والبحري .

(٢) في م : تقاطيع .

(٣) الجزار : أبو الحسين ، يحيى بن عبد العظيم بن يحيى ، الشاعر المشهور ؛ توفي سنة ٦٧٩ هـ .
(فوات الوفيات ٤ / ٢٧٧) .

وَأَمَّا الْأَوْسَاطُ وَالشَّدُّ مَعَ الْحَلَوَى ، فَمَا يَجِدُ الْمَمْلُوكُ وَلَا غَيْرُهُ صَبْرًا عَلَى هَذِهِ الْبَلَوَى .

وَأَمَّا أَنَّهُ يَأْخُذُ الْمَثَلَ مَوْزُونًا فِي حَجَّامٍ سَابِاطٍ ، فَهَذَا أَسْعَدُ عَمَلٍ مُتَزَوٍّ عَنِ الْإِحْبَاطِ .

وَأَمَّا عَامُ ابْنِ هَمَّامٍ بِدُمِيَّاطٍ ، فَقَدْ زَادَ إِعْجَابِي بِهِ فِي الْإِفْرَاطِ .
وَأَمَّا الرَّقْصُ بِالْأَبَاطِ فَرَحَةٌ ، فَأَمْرٌ مَا يَحْتَاجُ الْحُسْنَ شَرْحَهُ .

وَمَا كَانَ الْمَمْلُوكُ مَعَ هَذِهِ التُّكَيْتِ الْأَدَبِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّهُ جَرَى عَلَى عَادَةِ الْكُتَّابِ فِي سَدِّ الْمَخْزُومَةِ ، وَبَعَثَ بِجَوَابِ أَلْفَاظِهِ مَعَ الْاعْتِرَافِ مَرْحُومَةً ، وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْحُسْنِ مَخْرُومَةً ؛ وَلَكِنَّ الْمَمْلُوكَ وَائِقٌ بِأَنَّ مَوْلَانَا يَسُدُّ خَلْلَهَا ، وَيُبْرِدُ غُلْلَهَا ، وَيُبْرِئُ عِلْلَهَا ؛ وَلَوْلَا أَنَّ مَوْلَانَا وَاسِطَةٌ هَذِهِ الْوَسَاطَةِ ، لَمَا أَجَابَ ، وَضَرَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُجَارَاةِ أَلْفَ حِجَابٍ ، وَلَكِنْ هِيَ فِي خَفَاةِ إِحْسَانِهِ ، وَإِنَارَةِ زَهْرَتِهِ لَهَا وَاسْتِحْسَانِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٥ * أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (١) :

الصَّدْرُ شِهَابُ الدِّينِ الْمَصْرِيِّ ، الْمَعْرُوفُ بِسُمَيْكَةَ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ لَمَّا قَدِمْتُ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي سَنَةِ ٧٤٥ : [مِن الرَّمْلِ]

أَرْضَ مِصْرَ اسْتَبْشِرِي ثُمَّ ابْشِرِي فَلَقَدْ فُقِّتَ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ (٢)
إِذْ بِكَ الْغَرَسُ زَكَتْ أَفْنَانُهُ فَاضْحَكِي زَهْوًا عَلَى غَيْظِ الْغِيَاضِ

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة ٣٤٥/١ . وفيه : أحمد ، الأديب المصري النادر ، المعروف بسُمَيْكَةَ وكان كثير الإسراف على نفسه ، وانصلح قبيل موته وأقلع ، إلى أن مات في الطاعون العام عام ٧٤٩ هـ .

(٢) في م : . . . أبشري واستبشري × .

● فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ : [مِن الرَّمْلِ]

أَحْرَفْتُ أَمْ زُخْرُفْتُ أَمْ زَهَرْتُ رَاقٍ لِلْأَعْيُنِ فِي وَسْطِ الرِّيَاضِ
مَا رَأَتْ عَيْنَايَ خَطًّا أَسْوَدًا قَطُّ أَهْلَى مِنْهُ فِي ذَاكَ الْبِيَاضِ
٦ * أَحْمَدُ بْنُ بَلْبَانَ (١) :

الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْفَاضِلُ ، شِهَابُ الدِّينِ ، ابْنُ النَّقِيبِ ، الشَّافِعِيُّ .
مُفْتِي دَارِ الْعَدْلِ الشَّرِيفِ ، وَمُدَرِّسُ الْعَادِلِيَّةِ الصَّغِيرَةِ (٢) وَغَيْرُهَا بِالشَّامِ
الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ مِنَ الرَّحْبَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، أَوَّلَ قُدُومِي إِلَيْهَا فِي سَنَةِ ٧٢٩ (٣)
أَسْأَلُهُ عَنْ خَيْرِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَصْحَابِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، مِنْ جُمْلَةِ كِتَابِ (٤) :
[مِن الْمُتَقَارِبِ]

رَحَلْتُ وَفِي مِصْرَ لِي سَادَةٌ يَطُولُ عَنَائِي بِهِمْ وَكِتَابِي
جَفَوْنِي وَضُتُّوا بِأَخْبَارِهِمْ فَأَصْبَحْتُ أَطْلُبُهَا مِنْ صِحَابِي
عَسَى خَبَرٌ عَنْهُمْ صَادِقٌ أَطَالِعُهُ مِنْ كِتَابِ الشُّهَابِ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢٠١/١ وذيول العبر ٣٦٣ والبداية والنهاية ١٨/١٧٩ ودور العقود الفريدة ١/٣٤٨ والوفيات لابن رافع ٢/٣٨٥ وتعريف ذوي العلا ١١١ وغاية النهاية ١/٤١ والدرر الكامنة ١/١١٥ وإنباء الغمر ١/٢١ والذيل على العبر ١/١٣٠ وطبقات الشافعية للسبكي ٩/١٨ والذيل التام ١/٢٥٥ والدارس في تاريخ المدارس ١/٣٢٤ وشذرات الذهب ٨/٣٤٢ .
- وفاته سنة ٧٦٤ هـ . ومولده سنة ٦٩٤ هـ .

- نقل ابن حجر في الدرر الكامنة عن ابن سند قوله : كان اسم أبيه بلبان ، فغيّره عبد الرحمن .
قلت : وسُمِّيَ جَدُّهُ عَبْدُ الرَّحِيمِ ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِبِيدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
ثم ترجم له ثانية في : أحمد بن عبد الله البعلبكي (الدور ١/١٩٠) .

(٢) المدرسة العادلِيَّة الصَّغِيرَى : داخل باب الفرج ، شرقي باب القلعة الشرقي . (الدارس ١/٣٦٨) .
وموقعها الآن في سوق العسرونية بدمشق .

(٣) في س : ٧٣٩ . وفي ب ٧٦٩ ! والمثبت من أ .

(٤) الأبيات في أعيان العصر .

● فكتب هو الجواب إليّ : [من المنسرح]

يا غَرْسَ ذِي الْعَرْشِ لَا شَرِيكَ لَهُ أَنْبَتَكَ اللَّهُ ثُمَّ لَا حَصْدَكَ
أَلَوْمَ مَنْ يَرْتَجِي لِحَاقَكَ فِي الْـ مَجْدِ كَمَا لَا أَلَوْمَ مَنْ حَسَدَكَ^(١)
جَارَكَ أَهْلُ الْعَلَاءِ فَاَنْقَطَعَتْ أَنْفُسُهُمْ قَبْلَ قَطْعِهِمْ أَمْدَكَ
حَرَسَ اللَّهُ نُقُودَ فَضْلِهِ الْمَطْبُوعَةِ ، وَغَرَسَ لَهُ فِي الْقُلُوبِ مَوَدَّةَ كَثْمَارِ
الْجَنَّةِ ، غَيْرَ مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ، وَيُنْهِي - بَعْدَ دُعَاءِ يَسْتَعْرِقُ أَوَاقَاتَ فِكْرِهِ ،
وَوَلَاءِ [ب ٦] يَقُومُ مَقَامَ شُكْرِهِ ، وَثَنَاءٍ لَا يَكْزُرُهُ لاحتِاجَ مَوْلَانَا إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ لَذَّةُ
يَذْكُرُهُ - وَرُودَ مِثَالِهِ الْكَرِيمِ ، وَقَدْ رَاقَ مَنْظَرُهُ ، وَفَاقَ خُبْرُهُ وَخَبْرُهُ ، وَهُوَ الَّذِي
اشْتَمَلَ حَقِيقَةَ عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْمَحَاسِنِ ، وَأَشْبَهَ الْحَبِيبَ فِي ظَرْفِهِ وَطَرْفِهِ ؛ فَلَا
عَجَبَ أَنَّ الْقَلْبَ لِبُعْدِهِ آسَى ، وَالذَّمْعَ آسِنٌ^(٢) : [من السريع]

عَارِضَ بِالْإِحْسَانِ حُسْنًا لَهُ لَا يَبْلُغُ الْوَصْفُ مَدَى كُنْهِهِ
لَيْسَ لَهُ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ لَا تَقَعُ الْعَيْنُ عَلَى شِبْهِهِ
لَا كَمَا وَصَفَ بِهِ مَوْلَانَا كِتَابَ الْمَمْلُوكِ ، وَأَخَذَ بِهِ فِي طُرُقِ التَّهْكِيمِ عِنْدَمَا
سَلَكَ بِهِ ذَلِكَ السُّلُوكَ^(٣) ، وَكَثُرَ حِينَ شَبَّهَهُ بِالذُّرِّ ، وَقَدْ أَحَاطَ بِالْأَعْنَاقِ فِي
السُّلُوكِ^(٣) ، وَأَظُنُّ مَوْلَانَا قَصْدَ تَنْبِيهِ الْمَمْلُوكِ عَلَى الْأَدَبِ مَعَ أَهْلِ الْأَدَبِ ،
وَطَلَبَ هَذَا الْأَمْرَ مَعَ الطُّلَّابِ ، وَمَا كُلُّ وَقْتٍ يَنْجَحُ الطُّلُبُ ؛ وَالرُّجُوعُ إِلَى زَيْدٍ
وَعَمْرٍو ، فَمَا هَذَا مِمَّا يَحْصُلُ بِالاشتغال بِكلامِ الْعَرَبِ .

يا مَوْلَانَا ، قَدْ فَهَمَ الْمَمْلُوكُ الْإِشَارَةَ ، وَامْتَثَلَ لِلْإِمَارَةِ^(٤) ؛ وَهُوَ يَسْتَغْفِرُ

اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّلَطُّخِ^(١) عَلَى هَذَا الْفَنِّ الْبَدِيعِ ، الَّذِي مَا عَرَفَ مِنْهُ غَيْرَ
الِاسْتِعَارَةِ ، فَقَابَلَهُ بِالتَّقْيِيلِ عَلَى الْعَادَةِ ، وَعَرَفَ كَيْفَ تَكُونُ الْإِجَابَةُ وَالْإِجَادَةُ ،
فَسَقَى اللَّهُ رِيَاضَ هَذِهِ الْيَرَاعَةِ ، الَّتِي مَا رَأَى الْمَمْلُوكُ أَخْلَى مِنْ ثِمَارِ غَرْسِهَا ،
وَرَعَى عُهُودَ هَذِهِ الْبَرَاعَةِ ، الَّتِي مَا شَاهَدَ أَجْلَى مِنْ مَرُوضِ طَرْسِهَا .

فَلَقَدْ فَتَكَتْ أَبْكَارُ مَعَانِيهَا بِالْأَلْبَابِ ، فَعَدَّتْ عَنِ الْمُدَامِ يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ ، وَفَتَنْتِ
الْقَلْبَ الْمُؤْمِنَ إِلَّا أَنَّ لَهُ مِنْهَا عَذَابَ جَهَنَّمَ وَعَذَابَ الْحَرِيقِ ، وَاسْتَوْفَقَتِ النَّوَاطِرُ
بِبِدَائِعِ حُسْنِهَا ، وَالْخَوَاطِرُ بِبِدَائِعِ^(٢) إِحْسَانِهَا ، فَعَدَلَا عَنْ بُيَّاتِ الطَّرِيقِ^(٣) :
[من الكامل]

وَحَدِيثُهَا السُّخْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّه لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُمْلِلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمُحَدِّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجِزِ
شَرَكُ الْعُقُولِ وَفَتْنَةُ مَا مِثْلُهَا لِلْمُطْمَئِنِّ وَعُقْلَةُ الْمُسْتَوْفِزِ
فَأَمَّا مَا تَصَدَّقَ بِهِ مِنْ وَصْفِ أَشْوَاقِهِ وَمَكَارِمِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَدْ شَكَرَ
الْمَمْلُوكُ لِمَوْلَانَا هَذِهِ الْعَوَارِفَ ، وَذَمَّ أَيَّامًا أَضَاعَ الْمَمْلُوكُ فِيهَا زَهْرَ الْأَدَابِ مِنْ
غَرْسِ ظِلِّهِ الْوَارِفِ ، وَنَدِمَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ عَلَى مَا فَرَّطَ فِي جَانِبِ تِلْكَ
الْمَعَارِفِ ؛ وَلَكِنْ مَا شَاهَدَ الْمَمْلُوكُ كَتَعَاسَتِهِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَلَا كَحَظِّهِ النَّاقِصِ ،
وَلَا سَمِعَ بِأَعَثَرٍ مِنْ جَدِّهِ فِيهَا وَهُوَ عَلَى الْأَعْقَابِ نَاكِصٌ^(٤) : [من الكامل]

وَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَخْرُومًا أَتَى مَاءً لِيَشْرَبَهُ وَغَاضَ فَصَدَّقِ
فَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّتَيْتَيْنِ^(٥) ، وَقَدْ يَطْوِي اللَّهُ لِلْبَعِيدِ الْأَمَلِ شُقَّةَ الْبَيْنِ .

(١) فِي م : مِنَ التَّلَطُّخِ . وَالتَّلَطُّخُ : الْإِلْحَاحُ . وَلَعَلَّهَا أَنْتَبَ مِنَ التَّلَطُّخِ فِي هَذَا الْمَقَامِ .

(٢) فِي أ ، م : بِدَائِعِ !

(٣) الْأَبْيَاتُ لِابْنِ الرُّومِي ، فِي دِيَوَانِهِ ١١٦٤/٣ وَالْمُسْتَطَرَفُ ١٨٢/٢ .

(٤) الْبَيْتُ لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ، فِي دِيَوَانِهِ ٥٤ (بِجُو) .

(٥) مِنْ بَيْتِ الْمَجْنُونِ ، فِي دِيَوَانِهِ ٢٩٣ وَ٣١٥ :

(١) فِي م : . . . فِي الْفَضْلِ

(٢) الْبَيْتَانُ لِابْنِ الرُّومِي ، فِي دِيَوَانِهِ ٢٦١٧/٦ .

(٣) مَا بَيْنَهُمَا سَاقِطٌ مِنْ م بِسَبَبِ انْتِقَالِ النَّظَرِ .

(٤) فِي أ : لِلْإِشَارَةِ ! وَفِي س : لِلْإِسَارَةِ . وَالكلمتان ساقطتان من م .

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَسْتَمُرُّ عَلَى وَلَايَةِ الَّذِي لَمْ يَخْتَجْ - إِذْ يُخْتَجُّ بِهِ - إِلَى بُرْهَانٍ تَأْيِيدٍ وَلَا تَأْيِيدِ بُرْهَانٍ ، وَلَمْ يَغْتَرْ - إِذْ يُغْتَرُّ بِهِ - عَوْنُ أَنْصَارٍ وَلَا نَصْرُ أَعْوَانٍ ؛ وَثَنَانِهِ الَّذِي يَتَرَنَّحُ لَهُ الْغُصْنُ وَيَتَرَنَّمُ لَهُ^(١) الطَّائِرُ ، وَيَتَغَنَّى بِهِ الرَّكِيبُ وَيَتَغَنَّمُ السَّائِرُ : [من السريع]

لَا طَابَ لِلْمِسْكِ شَذَا نَفْحِهِ إِنْ كَانَ أَذْكَى مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ^(٢) وَيُنْهِي وَرُودَ [١٧] الْمُشْرِفِ الْعَالِي ، فَقَرَنَ وَفُودَهُ بِالْإِفَادَةِ ، وَجُودَهُ بِالْإِجَادَةِ ، وَأَبَانَ الضَّرَّ وَأَبَادَهُ وَأَعَانَ الصَّبْرَ وَأَعَادَهُ ؛ فَكَمَ فِي أَلْفَاظِهِ مِنْ فَاكِهَةٍ لَذِيذَةٍ وَشَرَابٍ ، وَكَمَ فِي وَضَلِ خَطِّهِ مِنْ حِكْمَةٍ وَفَضْلِ خِطَابٍ ؛ قَدْ قُسِمَ الْحُسْنُ بَيْنَ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ ، وَاقْتَصَرَ الْجَمَالُ عَلَى مَجْمُوعِهِ ، فَمَا تَخَطَّاهُ حَرْفًا وَلَا تَعَدَّاهُ ؛ فَأَيْنَ نَقْصُ ابْنِ زَيْدُونَ فِي الْأَدَبِ عَنْ كَمَالِهِ ؟ وَإِخْلَالُ ابْنِ أَبِي الْخِصَالِ مِنْ خِلَالِهِ ؟ وَأَيْنَ عَطَلُ صَاحِبِ الْقَلَانِيدِ مِنْ « عُقُودِهِ » ؟ وَحَوَالَةُ ابْنِ الصَّيْرِفِيِّ فِي نُقُودِهِ ؟ وَأَيْنَ قُصُورُ الْفَاضِلِ مِنْ تَفَنُّنِهِ ؟ وَوَهْنُ الْعِمَادِ مِنْ تَمَكُّنِهِ ؟ هَيْهَاتَ ، مَا لَابْنِ شُهَيْدٍ حَلَاوَتُهُ ، وَلَا لِصَاحِبِ « الْمُزْقِصِ وَالْمُطْرِبِ » تِلَاوَتُهُ ، فَلَوْ رَأَاهُ ابْنُ بَسَامٍ عَبَسَ وَقَطَبَ ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَأَدَّبَ ، وَلَوْ عَائِنَهُ الْبَدِيعُ كَفَّ مَا نَشَرَ مِنْ إِنْشَائِهِ ، وَرَمَى قَلَمَ الْمُكَاتِبَةِ بِدَايَةٍ وَأَنْسَلَ بِدَائِهِ : [من الطويل]

إِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُ مَنْ قَدْ ذَكَرْتُهُ فَمَا قَدَّرُ وَضَفِي فِي نِظَامٍ وَفِي نَثَرٍ وَمَنْ كَانَ مَعْدُودًا مَعَ الشُّهُبِ الْعُلَا فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يُدْرِكُهُ شِعْرِي ؟

= وقد يجمعُ الله الشَّيْئَيْنِ بَعْدَمَا يَظُنُّ أَنَّ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَايَا

(١) له ؛ من م .

(٢) في أ : . . . ذا لفحة × ! . وفي م : إِذَا نَفَحَ × . وهي رواية جيدة .

وَاللَّهُ يُمَتِّعُ أَبْنَاءَ الْأَدَبِ بِهَذِهِ الْفَضَائِلِ ، وَيَزِيدُهُمْ بِبِقَاءِ مَوْلَانَا كَرِيمٍ أَخْلَاقِي وَلُطْفِ شَمَائِلٍ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٧ * أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ^(١) :

مُجِيرُ الدِّينِ الْخِيَاطُ ، الشَّاعِرُ الدَّمَشْقِيُّ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ فِي سَنَةِ ٧٣١ فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ الْجَوَابَ :

وَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَى الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَضَحَّتْ بُيُوتُهَا كَالْقُصُورِ ، وَأَلْفَاظُهَا طَالَتْ عَلَى أَبْنَاءِ الزَّمَنِ لِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْفَتْرِ وَالْقُصُورِ ، وَكَلِمَاتُهَا أَحَاطَتْ بِمَعَانِيهَا إِحَاطَةَ الْهَالَاتِ بِالشُّمُوسِ وَالذَّارَاتِ بِالْبُودُورِ ؛ فَظَنَرْتُ إِلَى الْحَسَنَاءِ الَّتِي غَلَا مَهْرُهَا ، وَعَلَا قَدْرُهَا ، وَغَلَبَ أَمْرُهَا ، وَخَلَبَ سِخْرُهَا ، وَطَابَ تَشْرُهَا ، وَطَالَ بَشْرُهَا^(٢) ؛ وَقَلْبَ وَجْهَهُ فِي سَمَاءِ حُسْنِهَا ، وَاعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ تَسَاوِي أَلْفَاظِهِ بِوِزْنِهَا ؛ وَنَظَرَ فِكْرُهُ فِي نُجُومِ أَلْفَاظِهَا لِلْمُعَارَضَةِ فَقَالَ : إِنِّي سَقِيمٌ ، وَعَوَّذُ حَاءَ قَافِيَتِهَا وَمِيمَ مَلَاحِظَتِهَا بِحَمٍ ؛ فَكَمَ فِيهَا مِنْ أَلْفٍ هِيَ كَالْغُصْنِ الرَّطِيبِ ، وَعَيْنِ كَالطَّرْفِ الْفَاتِرِ مِنَ الشَّادِنِ الرَّيِّبِ ، وَمِيمٍ كَأَنَّهُ سُرَّةُ كَاعِبٍ أَوْ مَبْسَمِ حَبِيبٍ ؛ وَجَلَالَةُ أَعْيُدِ طَرَسِهَا بِالْبُرْدَةِ وَقَلَمُهَا بِالْقَضِيبِ ؛ وَعَلِمَ أَنَّ بَحْرَهَا لِقُضْلِ مَوْلَانَا مَدِيدٍ^(٣) ، وَتَيَقَّنَ أَنَّهُ أَرَادَ الْإِعْجَازَ فَحَصَلَ لَهُ مَا يَطْلُبُ وَتَمَّ لَهُ

(١) ترجمته في : أعيان العصر : ٢١١/١ والروافي بالوفيات ٣٣٢/٦ وتذكرة النبيه ٢٥١/٢ والممهل الصافي ٢٨٢/١ والدليل الشافي ٤٤/١ والدرر الكامنة ١٢٢/١ .

- في م : . . . ابن الخياط .

- توفي سنة ٧٣٥ هـ ، وقد قارب السبعين أو تجاوزها (الصفدي) . وقال ابن حبيب : مولده سنة ٦٦١ هـ .

(٢) في أ ، س ، م : وطال برَّها .

(٣) قال المؤلف في الروافي : وكان قد كتب إلي أبياتاً في بحر المديد ، ولم يحضرني الآن نسختها ،

وكتبْتُ جوابها نظماً ونثراً .

ما يُريدُ ، على أَنَّهُ حَاوَلَ الجَوَابَ فَقَالَ فِكْرُهُ العَاجِزُ : مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلٌ^(١) ؛
وَرَامَ التَّرْوَلَ بَيْنَ بُيُوتِهَا فَتَذَكَّرَ^(٢) : [من الرمل]

إِنَّ بِالشَّعْبِ الذِّي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلاً دُمُهُ مَا يُطْلُ
فَتَنَى عِنَانَ رَوِيَّتِهِ النَّاصِبَةِ ، وَكَفَّ فِي كَفِّهِ أَقْلَامَهُ الْعَامِلَةَ النَّاصِبَةَ ؛ ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ
بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الشُّكْرِ بَعْدَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ ، وَحَلَا قَوْلُهُ فِي فَمِهِ وَكَمَ لَهُ قَبْلَهَا مِنْ
مَرَّةٍ مَرَّةً ، وَقَابَلَ ذَلِكَ الْبَحْرَ الْمَدِيدَ الَّذِي كُلُّهُ دُرٌّ بِمَا لَا يُسَاوِي دُرَّهُ ذَرَّةً^(٣) :
[من الكامل]

وَمِنْ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبِ جَمَّةٌ شُكْرُ بَطِيءٍ عَنْ نَدَى مُتَسَرِّعٍ
وَرَجَعَ إِلَى الْمَدْحِ الَّذِي هُوَ أَجْدَى وَأَجْدَرُ ، وَالثَّنَاءِ عَلَى مُحَاسِنِ مَوْلَانَا
الَّتِي هِيَ مِنَ الشُّحْبِ أَعْطَى وَمِنَ الْمِسْكِ أَغَطَّرُ ، فَقَالَ : [من الرمل]

[ب ٧] لِمُجِيرِ الدِّينِ بِالْفَضْلِ يَدٌ لَفْظُهَا قَدْ أَعْجَزَ الْعُرْبَ الْفَصَاحَا
فَتَرَاهُ بَطْلاً قَدْ سَلَّ مِنْ لَفْظِهِ بَيِّنَ قَوَافِيهِ سِلَاحَا
وَإِذَا مَا قَلَمٌ فِي كَفِّهِ هَزَّهُ فِي الطَّرْسِ أَنْسَاكَ الرُّمَاحَا
وَمَعَانِيهِ الَّتِي قَدْ لَطَفَتْ أَذْكَرْتَنَا الْأَعْيْنَ الْمَرْضَى الصَّحَا
وَمَتَى مَا فَاءَ بِالشَّعْرِ تَجِدُ نَظْمَهُ قَدْ رَاحَ يَسْقِي السَّمْعَ رَاحَا
يَا إِمَاماً نَظْمُهُ فِي عَضْرِهِ قَامَ فِيمَا بَيْنَنَا يَدْعُو الْفَلَاحَا
أَذْهَشْتَنِي هَذِهِ الْأَبْيَاتُ بَلْ أَنْخَنَتْ رِقَّتُهَا قَلْبِي جِرَاحَا

- (١) المثل في : الميداني ٣١٨/٢ والعسكري ٢١٣/٢ و ٢٤٢ والزمخشري ٣٤٧/٢ . وفوق
« أَخَاكَ » فِي أ : صَح .
(٢) البيت للشغري فِي دِيَوَانِهِ ٣٩ (ضَمَنَ الطَّرَائِفَ الْأَدَبِيَّةَ) . وَيُنْسَبُ لِتَابِطٍ شَرَّافٍ فِي دِيَوَانِهِ ٣٤٧ .
وَفِي أ ، ب ، س ، م : إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي مِنْ دُونِ سَلْعٍ ! .
(٣) البيت لِأَبْنِ حَيَّوسَ ، فِي دِيَوَانِهِ ٣١٦/١ .

مَنْ تُرَى يَطْمَعُ فِي إلْحَاقِهَا فَضْلُهَا هَيْهَاتَ قَد فَاتَ الرِّيَاحَا^(١)
لَا تَسْمُنِي بَعْدَهَا لِي مِخْنَةً قَدْ كَفَّتَنِي هَذِهِ الْأُولَى اقْتِرَاحَا
وَابْتَقَ مَا غَنَى حَمَامٌ فِي الدُّجَى فَوْقَ قُضْبِ الْأَيْكِ مِنْ شَجْوٍ وَنَاحَا
٨ * أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ قُدَامَةَ^(٢) :

الإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلَامَةُ ، ذُو الْفَنُونِ ، جَامِعُ الْفَضْلِ^(٣) ، الشَّيْخُ شَرَفُ
الدِّينِ ، أَبُو الْعَبَّاسِ ، ابْنُ قَاضِي الْقَضَاةِ ، شَرَفِ الدِّينِ الْحَنْبَلِيِّ .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مُلْغِزاً فِي « شَهْرِ رَمَضَانَ » الْمُعْظَمِ^(٤) : [من السريع]

يَا فَاضِلاً أَخْبَارُ أَشْعَارِهِ مَشْهُورَةٌ فِي الْعُجْمِ وَالْعُرْبِ^(٥)
وَسَجَّعُهُ أَخْرَسَ وَزُقَ الْحِمَى إِذَا تَغَنَّتْ فِي ذُرَى الْقُضْبِ
وَحَطَّطُهُ أَزْرَى بِزَهْرِ الرُّبَا إِنَّ دَبَجَتْهَا رَاحَةُ الشُّحْبِ
قُلْ لِي مَا اسْمُ قَدْرُهُ مُخْتَفٍ وَحُكْمُهُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ^(٦)
فِيهِ لَنَا فَاكِهَةٌ قَدْ غَدَتْ تَرَوْقُ لِلنَّفْسِ بِلَا قَلْبِ^(٧)

- (١) فِي ب : مِنْ يَزِيمٌ . . . × .
(٢) تَرْجَمْتُهُ فِي : الْمَعْجَمِ الْمُخْتَصِّ ١٦ . وَوَفِيَاتُ ابْنِ رَافِعٍ ٣٥/٢ - ٣٦ . وَالدِّيلُ عَلَى الْعَبْرِ ٢٩٤/٢ .
وَتَعْرِيفُ ذَوِي الْعِلَا ٢٠١ . وَتَارِيخُ ابْنِ قَاضِي شَهْبَةَ ٣٦٤/٢ . وَالدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ١٢٠/١ . وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ
١٠٨/١١ . وَالمُنْتَهَى الصَّافِي ٢٨٤/١ . وَالدِّيلُ الشَّافِي ٤٥/١ . وَالدِّيلُ التَّامُّ ٢٤٣/١ . وَالدَّارَسُ ٤٤/٢ .
وَالْقَلَائِدُ الْجَوْهَرِيَّةُ ٤٩١/٢ . وَالمَقْصَدُ الْأَرْشَدُ ٩٣/١ . وَالمَتَهَجُ الْأَحْمَدُ ١٣٥/٥ . وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ
٣٧٦/٨ .

- وَفَاتَهُ سَنَةَ ٧٧١ هـ . وَوُلِدَهُ سَنَةَ ٦٩٣ هـ .

- فِي أ ، س : . . . بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ . . . ! . وَفِي م : أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ . . .

- (٣) فِي س ، م : جَامِعُ الْفَضَائِلِ .
(٤) الْأَبْيَاتُ فِي الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٣٠٤/١٩ - ٣٠٥ . وَمُتَكَرِّرٌ فِي التَّرْجُمَةِ ٥١ .
(٥) فِي ب : يَا قَاضِيًا . . . × .
(٦) فِي م : . . . مُحْتَفٍ × .
(٧) يَرِيدُ : رَمَانَ .

إِنْ عَكْسَ الْخُمْسَانِ مِنْ لَفْظِهِ
وَهُوَ مَعَ الْعَكْسِ بِلا آخِرٍ
بَيْنَ مُرَادِي يَا إِمَامَ الْوَرَى
وَدُمَ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي نِعْمَةٍ
أَمْتَعْنَا بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ^(١)
« أَضْمِرَ » فَافْهَمَ يَا أَخَا اللَّبِّ
فَلَيْسَ مَا أَلْغَزْتُ بِالصَّغْبِ
مَا أَزْدَانَتِ الْآفَاقُ بِالشُّهْبِ

فكتب هو الجواب عن ذلك : [من السريخ]

يَا فَاضِلاً مَنْطِقُهُ بَاهِرٌ
تَفْدِيكَ عَيْنٌ مِنْ عُيُونِ الْوَرَى
وَنَاطِماً مَنْظُومُهُ فَاخِرٌ
أَوْجَبَتْ فَضْلاً وَسَلَبَتْ التَّهَى
سَأَلْتَ عَمَّا أَمَرُهُ ظَاهِرٌ
إِمْسَاكُنَا أَيَّامَهُ وَاجِبٌ
فَاكِهَةً ضَمَّنْتَهَا ذَاتَهُ
مُصَنَّفَاً فِي نَفْعِهَا حَصَلُوا
مَعَ أَنَّي أَلْغَزْتُ فِي أُخْتِهَا
تَفْضُلُهَا حَزَفَاً وَلَكِنَّهَا
كَلاهُمَا لِي مِنْ سَقَامِ دَوَا
إِنْ قُلْتَ شِبْهًا فَلَنْصُ أَتَى
ثَلَاثَةُ الْأَخْمَاسِ مَعْمُولُهَا
بِفَيْصَلِ مُزِبٍ عَلَى الْعُزْبِ
بِسَائِلٍ مِنْ دَمْعِهَا الْغُزْبِ
وَنَائِرَا كَاللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ
حُمِدْتَ فِي الْإِنْجَابِ وَالسَّلْبِ
وَذَكَرْتَهُ فِي أَشْرَفِ الْكُتُبِ
بَيَّنَّاهُ عَنْ قَدْرِهِ تَبَيُّ
شَرَاهُهَا مِنْ عِلَّةِ الْكَزْبِ
صَنَّفَهُ الْخُذَّاقُ بِالطَّبِّ
قَرِينَةً مِنْ جُمْلَةِ الْقُضْبِ^(٢)
تَنْقُصُ عَنْ طَعْمٍ وَعَنْ لُبِّ
لِلنَّفْعِ وَالْأَكْلِ مَعَ الشُّرْبِ
أَوْ قُلْتَ لَا صُدِّقْتَ فِي السَّلْبِ
بِفَضْلِهِ يَضَعِدُ لِلشُّخْبِ^(٣)

- (١) في أ : × امتنعنا . . . ! . والمراد : ضم .
(٢) يريد : زيتون . وفي م : . . . في حكمها × .
(٣) يريد : زيت .

أَرْبَعَةُ الْأَخْمَاسِ مَقْلُوبَةً
تُفْقَدُ فِي التُّزْكِ وَلَكِنَّهَا
تُفْقَدُ الْأَعْرَاضُ إِنْ عُطِّلَتْ
وَاللَّهُ يُبْقِي لِي سَنًا نُورِكُمْ
مِنْ سَاكِنِي الْبَحْرِ لَدَى الْكَسْبِ^(١)
مَوْجُودَةٌ فِي بَلَدَةِ الْعُزْبِ^(٢)
فِي أَضْعَفِ الْقَوْلَيْنِ فِي الْخُطْبِ^(٣)
حَسْبِي مِنْ أَفْضَالِكُمْ حَسْبِي

● فكتب أنا الجواب عن ذلك ، وكان قد أَلْغَزَ فِي « زَيْتُون » : [من السريخ]

أَعْلَيْتَ قَدْرِي لِمَنَاطِ الشُّهَى
هَذَا جَوَابٌ لَفْظُهُ مُذْ بَدَا
أَجَبْتَ عَمَّا كُنْتَ أَلْغَزْتَهُ
لَكِنْ تَفَضَّلْتَ وَأَتَحَفَّتَنِي
مُخَمَّسٌ تَذْوِيرُهُ مُحْكَمٌ
كَأَنَّهُ زَيْدُونٌ فِي لَفْظِهِ
بُورِكَ فِي سَلْبِيهِ فِي لَا وَلَا
وَيُسْتَمَدُّ الثُّورُ مِنْ بَعْضِهِ
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مَعَ فَضْلِهِ
هَذَا رَعَاكَ اللَّهُ حُلُّ الَّذِي
[١٨] لَا تَتَكَلَّفُ لِي جَوَاباً فَمَا
إِذْ أَنْتَ فِي شُغْلٍ عَدَا شَاغِلاً
مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ فِي التُّزْبِ
يُضْبِي وَمَعْنَاهُ غَدَا يَسْبِي
وَذَاكَ فِي الْجَبْرِ غَدَاً حَسْبِي
يُمْلَغَزُ شُرْبِي بِهِ قَلْبِي
قَدْ أَتَقَتَّنَاهُ صَنَعَةُ الرَّبِّ
وَالدَّالُ مِثْلُ التَّاءِ لِلْعُزْبِ
فَلَيْسَ فِي شَرْقٍ وَلَا غَرْبِ^(٤)
لَمَّا تَكُونُ الشَّمْسُ فِي الْحُجُبِ
يَعْبُثُ دَهْنًا مِنَ الْحُبِّ
أَلْغَزْتَهُ فِي شِعْرِكَ الْعَذْبِ
أَنْتَ إِلَى التَّنْظِيمِ بِمُنْصَبِّ
بِحَدِّهِ عَنْ مُقْتَضَى اللَّغْبِ

● وكتب هو إلي أيضاً جواباً ثانياً عن الأول : [من السريخ]

- (١) يريد : نوتي .
(٢) البيت ساقط من م .
(٣) في م : تفند . . . × . كذا بلا إمعان فيما بعد التاء ، ولعلها : تُفْنَدُ ، تُقْبَدُ .
(٤) يشير إلى قوله تعالى : « لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ » [النور : ٣٥] .

يا بارِعاً حَلَّ ذُرَى الْكَوْكَبِ
وما جِداً بَوَّاهُ مَجْدُهُ
وباهراً إِحْسَانُهُ سَائِرُ
شَتَفَتْ سَمْعِي بِنِظَامِ أَتَى
كِتَابُهُ دُرٌّ وَلَكِنَّهُ
مِنْ رَوْضَةِ الْفِكْرِ الَّتِي رَوْضُهَا
مِنْ دَوْحَةِ الرُّقَشِ الَّتِي نَقَشُهَا
كَأَنَّمَا الْمَعْنَى بِأَوْرَاقِهِ
سَمَوَتْ بِالْفَخْرِ فَلَا لَاحِقُ
وافتَرَّ مَنْظُومُكَ عَنْ لُؤْلُؤِ
غَنَّتْ عَلَى أَوْرَاقِهِ أَحْرُفُ
أَطْرَبَهُ الْمَعْنَى الَّذِي قُلْتَهُ
وَأَوْقَفَ الْقَلْبَ لِتَغْرِيدِهَا
وَطَوَّقَ الذِّهْنَ لِأَنْفَاسِهَا
وَطَرَّرَ الْفِكْرَ لِإِبْدَاعِهَا
يَسْلُبُ نَظْقاً لِلْهُى عَامِداً
وَتَسْحَرُ الْأَلْبَابَ أَنْفَاسُهُ
يا لَكَ مِنْ بَخْرِ حِجْئِي زَاخِرِ
مَنْ كَانَ مِنْ غَيْرِكَ مَطْلُوبُهُ
قَدَحْتُ زَنْدَ الْفِكْرِ كِي أَبْتَغِي
وَشِمْتُ بَرْقاً مَا وَنَى وَمَضَى

أَغْنِي كَيُوناً وَلَمْ يَغْزُبِ
مِنَ الْمَعَالِي غَايَةَ الْمَطْلَبِ
مَنْ مَطَّلَعَ الشَّمْسَ إِلَى الْمَغْرِبِ
عَمَّا حَوَى فَضْلُكُمْ مَغْرِبِ
مَنْ دُرَّةٌ دُرَّتْ وَلَمْ تَنْقَبِ
مِدَادُهُ مِنْ وَابِلِ صَبَبِ
أَفْخَرُ مِنْ نَقَشٍ عَلَى زَيْنَبِ
صُبْحُ أَتَى مِنْ جَانِبِ الْغَيْبِ
لَوْ قَطَعَ الْمِضْمَارُ بِالْأَشْهَبِ
فَفَاقَ ذَا الثُّغْرِ الشَّهْيِ الْأَشْنَبِ
كَمْ مُهْجَةٍ ذَابَتْ وَقَلْبٍ سُبِي
وَكَانَ مِنْ قَبْلِكَ لَمْ يَطْرَبِ
وَقَبَدَ السَّمْعَ فَلَمْ يَذْهَبِ
يَطُوقُ فَضْلٍ فَاخِرٍ مُذْهَبِ
مُعْطِراً مِنْ نَشْرِهِ الطَّيِّبِ
مَنْ لَفَظِهِ الْمُسْتَعْذَبِ الْمُعْجِبِ
يَسْحَرُ لَفْظٌ مُبْدِعٌ مَغْرِبِ^(١)
وَحَبْرٍ عِلْمٍ حَوْلِ قَلْبِ
فَلَيْسَ يَبْغِي غَيْرُكُمْ مَطْلَبِي
مَرْتَعَهُ مِنْ رَوْضِكَ الْمُعْشَبِ
وَلَيْسَ هَذَا الْبَرْقُ بِالْخُلْبِ

(١) في ب : . . . ألفاظه ×

الْعَزْتُ مَعْنَى بِحُرُوفٍ غَدَتْ
لَيْسَتْ مِنَ الْمُعْجَمِ مَنْقُوطَةً
لَيْسَ بِشَيْءٍ إِنْ غَدَا وَاحِداً
نَظِيرٌ لَا فِي الثَّقْيِ كِي يَفْهَمُوا
لَيْسَ بِذِي حَجْمٍ يُرَى ظَاهِراً
يُطْلِقُهُ النَّاسُ عَلَى جَاهِلٍ
يَخَافُهُ النَّاسُ جَمِيعاً وَهُمْ
جَمِيعُ ذَا الْعَالَمِ فِيهِ غَدَاً
ثَلَاثَةٌ فِي الْعَدِّ إِنْ تُحْسَبِ
جَاءَتْ مُعَرَّاةً لَدَى الْمَكْتَبِ
وَإِنْ يُكْرَّرُ عَكْسُهُ قَدْ حُبِي
إِنْ كُرِّرَتْ مُتَتَجَةً الْمَطْلَبِ
وَبَاطِناً مِنْهُ فَلَمْ يُصْحَبِ
أَوْ هَمَجٍ فِي فِعْلِهِ أَوْ صَبِي
مِنْ خَوْفٍ هَذَا فِي عِنَا مُتَعَبِ
وَذَاكَ لَا شَيْءَ لَهُ فَاغْجَبِ
فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ فِي « عَدَم »^(١) :

٩ * أحمد بن عبد الله بن مالك^(٢) :

القاضي البليغ ، الخطيب ، شهاب الدين ، أبو العباس ، ابن الخطيب
الشيخ الصالح ، الخطيب بدر الدين^(٣) أبي محمد بن الشيخ جمال الدين بن أبي
أنس الحنبلي ، خطيب بيت لهما^(٤) من ضواحي دمشق المحروسة .

(١) في هامش أ : قال المصنف بعد هذه القصيدة : فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك ، وهو في « عَدَم » .

لكن لم أجد الجواب في النسخة التي نقلت منها ، مع أنها بخط تلميذه .

وفي هامش م : هذا الجواب ساقط في الأصل ، فاعلم ذلك .

(٢) ترجمته في : الذيل على العبر ٤٧٦/٢ ودرر العقود الفريدة ١٤٠/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٥٨١/٢ والدرر الكامنة ١٨٤/٢ وإنباء الغرر ٢٧٩/١ وشذرات الذهب ٤٥٨/٨ .

- اسمه عند ابن قاضي شهبة وابن العماد : أحمد بن محمد بن عبد الله بن مالك .

- ولادته عند ابن حجر : ٧٠٥ هـ . وعند ابن قاضي شهبة ٧٠٧ هـ . وعند ابن العماد :

٧٠٩ هـ .

- وفاته سنة ٧٨٠ هـ .

(٣) كذا في أ ، ب : وهو خطأ ، صوابه : فخر الدين (مصادر ترجمته) .

(٤) بيت لهما : قرية مشهورة بغوطة دمشق - (معجم البلدان ٥٢٢/١) . وموقعها اليوم بين مشفى =

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ اسْتِدْعَاءَ إِجَازَةٍ مِنِّي إِلَيْهِ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الْمَدْعُوِّ بِالْحُسْنَى مِنْ أَسْمَائِهِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَجْلُوعَيْنَا مِنْ مَحَاسِنِهِ الْأَسْنَى مِنْ سَيِّمَائِهِ ، صَلَاةً تَمَلُّ مَا بَيْنَ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ :

فَالْمَسْئُولُ مِنْ إِحْسَانِ فُلَانٍ ، فَرِيدِ ذَهْرِهِ ، وَوَحِيدِ عَصْرِهِ ، لِسَانِ الْعَرَبِ ، مُبْلَغِ الْأَرْبِ ، مَالِكِ أَرْمَةِ الْإِنْشَاءِ وَالْأَدَبِ ، تَرْجُمَانِ الْأُمَمِ ، الْمُسَلِّكِ عَلَى الْقَصْدِ الْأَمَمِ ، قُدْوَةِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ ، مَادَّةِ بَحَارِ الْعُلُومِ الزَّوَائِرِ ، الشَّيْخِ فُلَانِ الدِّينِ ؛ جَمَعَ اللَّهُ بِهِ فِي دَوْخَةِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ أَشْتَاتِ الْأَدَبِ ، وَلَمْ بِهِ شَعْتُ مَنْ جَعَلَ الصَّلَاحَ شِعَارَهُ وَلَا عَجَبَ ، وَأَقَامَ بِهِ أَبْيَاتِ الشُّعْرِ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا قَامَ لَهَا عَمُودٌ وَلَا مَدُّ طُنْبٌ ؛ إِجَازَةً كَاتِبِ هَذِهِ الْأَحْرَفِ ، مَا لَهُ مِنْ رِوَايَةِ الْمُصَنَّفَاتِ فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ ، وَالتَّأْلِيفَاتِ الْأَدَبِيَّةِ ، وَمَا لَهُ مِنْ تَصْنِيفِ وَتَأْلِيفِ ، وَجَمْعِ وَاتِّقَاءِ ، وَإثْبَاتِ ذَلِكَ بِخَطِّهِ إِلَى هَذَا التَّارِيخِ ، وَمَا لَعَلَّهُ يَقَعُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، إِجَازَةٌ تَجْعَلُ حَالَهُ [ب ٨] الْعَبْدَ مَنْصُوباً عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَتَرْدُّهُ بَعْدَ الْخَفْضِ وَهُوَ عَزِيزٌ ، وَتَرْفَعُ قَدْرَهُ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، لِيَصِحَّ إِسْنَادُ الْأَخْبَارِ عَنْهُ فِي الْإِنْتِهَاءِ ؛ وَصِلَةً يَعُودُ عَائِدُهَا مِنْكُمْ إِلَيْهِ ، وَتَأَكِيدُ عَطْفٍ مِنْ جَنَابِكُمْ لَمْ يُبَدَّلْ يَوْمًا عَلَيْهِ .

وَيُضَافُ ذَلِكَ إِلَى مَا أَسَدَيْتُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِحْسَانِ ، فَصَيِّرْ بِهِ ذَلِكَ الْعَطْفُ عَطْفَ بَيَانٍ ، فَلَا يَتَصَرَّفُ عَنْ بَابِكُمْ لِمَا أَوْلَيْتُمُوهُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ ؛ كَيْفَ وَبِشْعَارِ الصَّلَاحِ تَمَثَّلَتْ لَهُ تِلْكَ الصَّفَةُ ؟

قَدْ صَحَّ حَدِيثُهُ عَنْكُمْ وَلَمْ يَكُنْ مَوْقُوفاً وَلَا مُعَلَّلاً ، وَرَاقَ لَفْظُهُ فِيكُمْ

= الزَّهْرَاوِيُّ لِلتَّوَلِيدِ إِلَى سَاحَةِ الْعَبَّاسِيِّينَ بِدَمَشَقٍ .

فَأَضْحَى حَسَنًا مُسْلَسَلًا ؛ لَيْسَ لِعَرُوضِي فِيهِ تَقْطِيعٌ ، وَلَا لِمُعَانِي الْبَيَانِ إِلَيْهِ تَرْجِيعٌ ، وَلَا لِأُصُولِي إِلَى وَضْلِهِ وَصُولٌ ، وَلَا لِلِغَوِيِّ عَلَى مِثْلِ أَلْفَاظِهِ حُصُولٌ ، وَلَا لِمِنْطِقِيٍّ لَدَيْهِ مَنْطِقٌ وَلَا جِدَالٌ^(١) ، وَلَا لِصَاحِبِ التَّصْرِيفِ تَصْرِيفٌ وَلَا مَجَالٌ ، وَلَا لِفَقِيهِ عَلَيْهِ تَنْكِيْتُ وَلَا إِشْكَالٌ^(٢) ، وَلَا لِصَاحِبِ عِلْمِ التَّفْسِيرِ عَنْ نَفْلِهِ زَوَالٌ ، وَلَا لِمَنْ أَمْسَى حَلَّ الْمُتَرْجِمِ فَتُهُ ، أَنْ يُدْرِكَهُ فَهْمُهُ وَلَا ذَهْنُهُ .

فَبِهَذِهِ الْإِجَازَةِ الصَّلَاحِيَّةِ يَفُوقُ أَقْرَانَهُ ، وَيَلْتَقِطُ مِنْ بَخْرِهَا الزَّائِرِ جُمانَهُ ، فَيَصْبِحُ وَالذُّرُّ مِنْهَا فِي جَنِيْدِهِ عَقْدًا ؛ وَإِنْ سَمَحْتُمْ فَالْخَطِيبُ مَا زَالَ لَكُمْ عَبْدًا :

[من الوافر]

أَيَا مَنْ قَدْ غَدَا فِي الذَّهْرِ فَرْدًا وَمَنْ مَلَكَ الْفَضَائِلِ بِالْحَيَازَةِ عَيْيْدُكَ يَسْأَلُ الصَّدَقَاتِ إِذْنًا لِمَا يَزُوِيهِ عَنْكُمْ بِالْإِجَازَةِ ● فَكُنْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ^(٣) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ أَجَابَ ، وَإِذَا أُنْعِمَ عَلَى الْأَدِيبِ بِذَوْقٍ أَتَى فِي نَظْمِهِ وَنَثَرِهِ بِالْعُجَابِ ، وَإِذَا وَهَبَ الْبَلِيعَ فِطْرَةَ سَلِيمَةٍ لَمْ يَكُنْ عَلَى حِجَاهُ حِجَابٌ . نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي مِنْهَا الْبَلَاغَةُ ، وَإِتْقَانُ مَا لِصِنَاعَةِ الْإِنْشَاءِ مِنْ حُسْنِ الصِّيَاغَةِ ، وَصَيِّدِ أَوَابِدِ الْمَعَانِي الَّتِي مَنْ أَعْمَلَ فِكْرَهُ فِي اقْتِنَاصِهَا أَوْ رَوَى رَوَاغَةً .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةً فُطِرَ الضَّمِيرُ عَلَى إِخْلَاصِهَا ، وَجُبِلَ الْفِكْرُ عَلَى اقْتِنَاءِ أَدِلَّتِهَا الْقَاطِعَةِ وَاقْتِنَاصِهَا ، وَجُعِلَتْ وَقَايَةُ

(١) - (١) مَا بَيْنَهُمَا سَاقِطٌ مِنْ س .

(٢) - نَسْخَةُ الْإِجَازَةِ نَقَلَهَا الْفَلَقْسَنْدِيُّ فِي صَبْحِ الْأَعْشَى ١٤/٣٣٢ - ٣٣٤ .

لِقَائِهَا يَضِيقُ عَلَى الْخَلَائِقِ مِنَ الْقِيَامَةِ فَسِيحُ عِرَاصِهَا .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أفصح من نطق بهذا اللسان ، وجاء من هذه اللغة العربية بالثبوت الحسن ، وحث على الخير وحض على الإحسان ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين رَوَوْا أقواله ، وبلغوا من لم يره سننه وأفعاله ، وعلموا أن هذه الشرعة المظهرة ادخرها الله له ، فلم تك تصلح إلا له^(١) ، صلاة هامة الغفران ، نامة الرضوان ، ما أجاب مجيز لمن استدعى ، وعملت إن في المبتدأ نصبا ولم تغير على الخبر رفعا ، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

وبعد : فإن الرواية من محاسن الإسلام ، ومزايا العلماء الأعلام ، وخصائص الفضلاء الذين تخفي لهم ذوائب الطروس ، وتنصب رماح الأقلام ؛ ولم تزل رغبة السلف تتوقر إليه ، وتشير أنامل إرشادهم للأنام بالحث عليه .

قيل^(٢) للإمام أحمد رضي الله عنه : ما تشتهي ؟ فقال : سند عال ، وبيت خال .

وما برح الأئمة الكبار يرتحلون إلى أقاصي الأقاليم في طلبه ، ويتحملون المشاق [٩٦] والمتاعب فيه ويتحملون بسببه ؛ فقد ارتحل الإمام الشافعي رضي الله عنه وغيره إلى عبد الرزاق باليمن ، وكان فيمن أخذ عنه من هو بالتفضيل عليه قمن ، ولكنه فن يحتاج إلى ذوق يعاضد من لا يعانده ، وأمر لا يصبر عنه من ألقه ، وما يعلم الشوق إلا من يكابده^(٣) ؛ فما عند من طلب الرواية أجل من

(١) من قول أبي العتاهية : [ديوانه ٦١٢]

(٢) فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

(٣) معاهد التنصيص ١٤١/٢ والغيث المسجم ١٥٥/٢ .

(٣) من قول الأبله البغدادي : [الوافي بالوفيات ٢٤٥/٢] :

=

أبناء جنسه ، ولا عند المفيد أحلى من قوله : حدثنا فلان ، أو أنشدنا فلان لنفسه ؛ ولكن^(١) : [من الكامل]

ما كل من طلب المعالي نافذا فيها ولا كل الرجال فحولاً
ولما كان الشيخ الإمام العالم الأوحى ، الكامل البليغ ، المفوّه الأديب ، الخطيب ، الناظم التأثر ، شهاب الدين ، بركة الملوك والسلاطين ، أبو العباس أحمد الحنبلي ، خطيب بيت لها ، أفتح الله (الوجود) بفوائده ، ممن نظم فودت الدرر في أسلاكه لو تنسقت ؛ ونثر فتنت الدراري في أفلاكه لو اتسقت ؛ وكتب فرقم الطروس ووشاها ، وغشاها من زهرات الرياض بما غشاها ؛ وحل المترجم فسخر عقل كل لبيب وخلب لبه ، ووقع على القصد فيه فكأنه شيء من الغيب خص الله قلبه ، وأتى فيه بدائع لم يساو ابن الصيرفي^(٢) ولا ابن دنيير^(٣) عندها حبة ؛ وخطب صدع القلوب ، وأجرى ذنوب المدامع من أهل الذنوب ، وحذر فكانت أشجاعه كألحان إسحاق^(٤) ، وسامعه يتيكي بأجفان يعقوب ، كأنما هو في حلة الخطابة يذر في غمامة ، أو مثيره غصن وهو عليه حمامة ، أو هو بحر وفصائله مثل موجه وذره يحيي كلامه ، لو رآه ابن

= ما يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصباية إلا من يعاتبها

(١) البيت للمنتبي ، في ديوانه ٢٤٥/٣ .

(٢) أبو القاسم ، علي بن منجب بن سليمان الصيرفي ، توفي سنة ٥٤٢ هـ . (الوافي بالوفيات ٢٢٨/٢٢) .

(٣) ابن دنيير : هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم اللخمي الموصل ، قتل لفساد عقيدته سنة ٦٢٧ هـ . (المقفى الكبير ٢٧٢/١) .

(٤) إسحاق بن إبراهيم الموصل ، أديب فاضل ، اشتهر بصناعة الغناء ؛ توفي سنة ٢٣٥ هـ . (الوافي بالوفيات ٣٨٨/٨) .

نُبَاتَةٌ^(١) مَا أَوْرَقَتْ بِالْفَصَاحَةِ أَعْوَادُهُ ، أَوْ ابْنُ الْمُثَنِّ^(٢) مَا رُقِمَتْ بِالْبَلَاغَةِ أَبْرَادُهُ ، أَوْ ابْنُ تَيْمِيَّةَ^(٣) مَا حَظِيَتْ بِالْجُدُودِ أَجْدَادُهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يُشْرِفَ قَدْرِي ، وَيُعَرِّفَ نُكْرِي ، فَطَلَبَ مِنِّي الْإِجَازَةَ ، وَأَنَا أَحَقُّ بِالْأَخْذِ عَنْهُ ، وَاسْتَدْعَى ذَلِكَ مِنِّي ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ .

فَنَعَمْ ؛ أَجَزْتُ لَهُ - فَسَحَّ اللَّهُ فِي أَجَلِهِ - جَمِيعَ مَا يَجُوزُ لِي أَنْ أَرِيَهُ ، مِمَّا هُوَ لِي بِإِجَازَةٍ أَوْ وَجَادَةٍ .

وذكرتُ في الإِجَازَةِ المذكُورَةِ مَا رَوَيْتُهُ مِنْ كِتَابِ الْحَدِيثِ ، وَمِنْ كِتَابِ الْأَدَبِ ، وَذَكَرْتُ لَهُ جَمَاعَةً^(٤) مِنْ أَشْيَاخِي الَّذِينَ أَخَذْتُ عَنْهُمْ ، وَذَكَرْتُ لَهُ عِدَّةَ تَصَانِيفِي إِلَى تَارِيخِ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ ٧٥١ : [مَنْ الْوَافِر]

إِجَازَةٌ قَاصِرٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَسِيرُ مِنَ الرِّوَايَةِ فِي مَفَازَةٍ لِمَنْ مَلَكَ الْفَضَائِلَ وَاقْتَنَاهَا وَحَازَ مَدَى الْعِلَاقَةِ سَبْقاً وَجَازَةً

● وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ مُلْفِزاً فِي « دِينَارٍ » : [مَنْ الرِّجْز]

يَا فَاضِلاً مِنْ بَحْرِهِ كُلُّ الْوَرَى يَغْتَرِفُ
وَيَا خَطِيباً لَفْظُهُ دُرٌّ وَسَمْعِي صَدَفُ
إِذَا عَلا مِنْبَرَهُ قُلْتُ : حَمَامٌ يَهْتَفُ
وَيَا شَهَاباً كَمِ بِهِ عَنَّا تَجَلَّاتُ سُودَفُ

(١) ابن نباتة الفارقي : الخطيب أبو يحيى ، عبد الرحيم بن محمد ، صاحب الخطب المشهورة ؛ توفي سنة ٣٧٤ هـ . (وفيات الأعيان ١٥٧/٣) .

(٢) ابن المثنى : أحمد بن محمد بن منصور ، القاضي الإسكندراني ، له خطب مشهورة ؛ توفي سنة ٦٨٣ هـ . (فوات الوفيات ١٤٩/١) .

(٣) ابن تيمية : الإمام أحمد بن عبد الحلیم الحراني الحنبلي ، نزيل دمشق ، مجتهد قدوة ؛ توفي سنة ٧٢٨ هـ . (المنهج الأحمد ٢٤/٥) .

(٤) في م : جماعة الأدب من أشياخي .

مَا مُفَرَّدٌ مُذَكَّرٌ مُنْكَرٌ مُعْرَفٌ
فِي جَمْعِهِ لَمْ يَنْصَرِفْ وَالْجَمْعُ مِنْهُ يُصَرَفُ
عَرُوضُهُ وَاحِدَةٌ وَضَرْبُهُ مُخْتَلَفٌ
مُخَمَّسٌ مُدَوَّرٌ مُحَرَّفٌ مُشَرَّفٌ
مُنْقَشٌ وَمَالٌ أَكْفٌ جَلَاهَا التَّشَرُّفُ
أَعْيُنٌ مِمَّنْ عَيْنُهُ شَوْقاً لَهُ لَا تَطْرِفُ
أَصْفَرٌ لَا مِنْ عِلَّةٍ تُوهِنُهُ وَتُضْعِفُ
[٩ ب] وَلَيْسَ يَذَرِي مَا الْبَلَى وَلَا يَرَاهُ التَّلَافُ
وَنَارُهُ لَمْ تَلْتَهَبْ وَدِينُهُ لَا يُغَرِّفُ^(١)
يُنْشِئُهُ لَا بَرَحَتْ فِي سَعْدِ حَيَاةٍ يَكْفُ
وَدُمْتَ لِلْفَضْلِ الَّذِي ثَمَارُهُ نَقْطُفُ^(٢)

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ : [مَنْ الرِّجْز]

يَا وَاحِداً فِي عَصْرِهِ لِعَبْدِهِ يُشَرَّفُ
وَيَا إِمَاماً عَلَّمَهُ يَبِينُ الْوَرَى لَا يُخْلَفُ
إِنَّ الَّذِي أَلْغَزَتْهُ بِأَرْضِ مِصْرَ يُعَرِّفُ
تَهْوَى الْمُلُوكُ وَضَلَّاهُ كَيْفَ الْكَيْسُ الْمُدْنَفُ
مُنِيماً فِي عَشْقِهِ كَذَا الرَّيْبُ الْأَهْيَفُ
عُيُونُنَا فِي عَيْنِهِ وَمَا أَرَاهَا تُسْعِفُ
وَحُسْنُهُ وَلَفْظُهُ لِمَسْمَعِي يُسَنِّفُ

(١) في م : × وذنبه لا يعرف .

(٢) في م : × ثماره نُقْطُفُ .

عُذْرًا لِعَبْدٍ فَهْمُهُ
عَنْ نَظْمٍ دُرٍّ صُغْتُهُ
مُرَصَّعٌ فِي ذَهَبٍ
فِي مِثْلِهِ فَسَيْدِي
لَا زِلْتَ فِي سَعَادَةٍ
يَقْصُرُ بَلْ يُضَعَّفُ^(١)
لِأَنَّ نَظْمِي صَدَفُ
مُوقَّعٌ مُؤَلَّفُ
يُلْغِزُ أَوْ يُصَحِّفُ
أَذْيَالُهَا تُرْفَرِفُ

١٠ * أحمد بن عبد الله بن داود بن علي بن أحمد بن محمد^(٢) :

شهاب الدين البغدادي ، الكاتب المعروف بالمتزجم .

● كَتَبَ تَقْرِيبًا عَلَى كِتَابِي « جَنَّاتِ الْجَنَاسِ »^(٣) : [من الرمل]

زَيْنَةُ الْمَرْءِ بَيَانُ الْمَنْطِقِ
وَأَخَصُّ النَّاسِ فِيهِ رَجُلٌ
فِي جَنَّاتٍ مِنْ جَنَاسٍ زُخْرِفَتْ
أَوْدَعَتْهَا كُفُّهُ فِي دَعَاةٍ
نَاطِمًا أَخْرَفَهُ فِي أَشْطَرِ
كَنْظَامِ الدُّرِّ مِنْ أَنْوَاعِهِ
رَاكِبٌ أَسْوَدَهَا أَبْيَضَهَا
فَبَيَاضٌ فِي سَوَادٍ حَالِكٍ
مُقَرَّنًا مِنْهُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ
نَظْمَ الْحِكْمَةِ نَظْمَ النَّسَقِ
بِجَسَانٍ مِنْ لِسَانٍ ذَلِيقٍ
وَأَمَانٍ فِي بَطُونِ الْوَرَقِ
ذَاهِبًا فِيهَا لِأَسْنَى الطَّرِيقِ
زَيْنَةُ فِي صَفَحَاتِ الْعُنُقِ
كَرْكُوبِ اللَّيْلِ مَتْنِ الشَّقَقِ^(٤)
وَسَوَادٌ فِي بَيَاضٍ يَقْقُ^(٥)

(١) في ب ، س ، م : × يقصر لا بل يضعف .

(٢) ترجمته في : الوافي بالوفيات ١٤٠/٧ .

- قال المؤلف في الوافي : وآخر عهدي به في سنة خمس وأربعين وسبعمئة بدمشق ، ثم توجه إلى القاهرة .

(٣) القصيدة في الوافي .

(٤) في ب ، س ، والوافي : راكباً . × .

(٥) في ب : . . . حالِكٌ × .

نَطَقَتْ وَهِيَ جَمَادٌ كُلُّهَا
حَمَلْتَنَا بَعْدَهُ أَلْفَاظُهُ
كُلٌّ مَعْنَى دَقٍّ فِيهَا فَاخْتَفَى
فِي افْتِرَاقٍ وَاتِّفَاقٍ قَضْدُهُ
كَمَنْتُ فِطْنَتُهُ فِيهَا كَمَا
أَيُّهَا الطَّالِبُ يَبْغِي شَأْوُهُ
لَسْتُ تَذِيرِي مَنْ تُجَارِي فَاتَّيْتُ
وَبَنُو الْفَضْلِ مَتَى جَارَاهُمْ
هَكَذَا الْمَعْنَى فَكُنْ مُخْتَفِلاً
أَيُّ نَارٍ لِحَلِيلٍ أَضْرَمَتْ
قَلْبَتْ رَوْضاً أَرْضاً أَنْفَأَ
فِيهَا أَفْكَارُنَا فِي سِنَةِ
سَحَرِ النَّاسِ بِهَا مَنْطِقُهُ
زِدْهُمْ سِحْراً وَلَا تَرِثْ لَهُمْ
لَوْ وَعَى نَظْمُكَ قَسٌّ لَمْ يَقُلْ :
دُمْتُ لِلنَّاسِ صَلاحاً مَا شَدْتُ
وَعَجِيبٌ نَطَقُ مَنْ لَمْ يَنْطِقِ
فِي اضْطِلَاحِ الشَّعْرِ مَا لَمْ نَطِقِ
عَنْ سَنَا الْفِكْرِ وَنُورِ الْحَقِّ
فَاغْنِ بِالْمُفْتَرِقِ الْمُتَّفِقِ
كَمَنْتُ أَشْخَاصُنَا فِي الْعَلَقِ
حَكَمَ الْعِلْمُ بِأَنْ لَمْ يُلْحَقِ^(١)
أَنْتَ وَالْبَرْقُ مَعاً فِي طَلْقِ
غَيْرُ ذِي الْفَضْلِ يَقِيناً يُسَبِّقُ
وَكَذَا الْأَلْفَاظُ فَاشْمَعْ وَدُقِ
حَذْراً مِنْهَا وَإِنْ لَمْ تُحْرِقِ
أَرْجَ الْأَرْجَاءِ بِالْفَضْلِ سُقِي
وَبِهَا أَعْيُنُنَا فِي أَرْقِ
فَاعَاذُوهُ بِرَبِّ الْفَلَقِ
فَهُوَ ذَنْبٌ إِنْمُهُ فِي عُنُقِي
أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا مِنْ مَنْطِقِي
فَوْقَ غُصْنِ صَادِحَاتِ الْوَرَقِ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ مُخْتَصِراً^(٢) : [من الرمل]

أَرِيحِينَ أَتَتْ فِي طَبَقِ
[١٠] أَمْ غُصُونٌ مِنْ سُطُورٍ قَدْ شَدَتْ
أَمْ تُغَوِّرُ بِسَمْتٍ عَنْ شَنْبِ
عَزُفُهَا سَارٍ إِلَى الْمُتَشَشِقِ^(٣)
فَوَقَّهَا الْأَطْيَارُ بَيْنَ الْوَرَقِ
أَمْ نُجُومٌ قَدْ بَدَتْ فِي غَسَقِ

(١) في م : × . . . لم تلحق .

(٢) القصيدة في الوافي .

(٣) في س : × . . . سارٍ لمتششق .

أَمْ عُقُودٌ وَيَدُ الْإِحْسَانِ قَدْ
هَكَذَا النَّظْمُ الَّذِي رَوْنَقُهُ
طَرَسُهُ صَفْحَةُ خَبْدٍ أَيْضِي
قُلْتُ لِلْخَلِّ وَقَدْ عَايَنَهُ
ثُمَّ لَمَّا ذَاقَهُ اهْتَزَّ لَهُ
قَالَ : هَذَا سُكَّرٌ أَوْ مُسْكِرٌ
دُمْتُ يَا فَرْدَ الْوَرَى فِي فَنِّهِ
جَبَرَتْ عُظْلِي فَزَانَتْ عُنُقِي
لِسَوَى مَوْلَايَ لَمْ يَتَّفِقِ
وَلَهُ النَّقْسُ سَوَادُ الْحَدَقِ
هَكَذَا السُّكَّرُ يُهْدَى فَذُقِ
كَتَدِيمِ صَفْوَةِ الرَّاحِ سُقِي
قُلْتُ : بَلْ هَذَا وَذَا فِي نَسَقِ
تَبَعْتُ الْبُشْتَانَ لِي فِي الْوَرَقِ
١١ * أحمد بن علي بن محمد^(١) :

القاضي ، الكاتب ، المُنْشِئ ، نَجْمُ الدِّينِ ابْنُ الشَّيْخِ علاء الدِّينِ بن
القاضي شمس الدِّينِ بن غانم .

كاتب الإنشاء الشريف بالشَّام المحروس .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ^(٢) : [من

الكامل]

بِي فِي الضَّمِيرِ مِنَ الْفِرَاقِ ضِرَامٌ
مُذْ غَابَ عَنِّي مَنْ أَلْفَتْ دُنُوءُهُمْ
وَاسْتَوْطَنُوا مِصْرَ الَّتِي طَابَتْ لَهُمْ
سَمَحَتْ بِهِمْ أَيْدِي النَّوَى وَاسْتَرْجَعَتْ
وَهَوًى يُهَيِّجُهُ جَوًى وَغَرَامٌ^(٣)
وَنَبَا بِهِمْ بَعْدَ الْمَقَامِ مَقَامٌ
دَاراً وَأَيْنَ دِيَارُهُمْ وَالشَّامُ
فَكَأَنَّمَا سَمَحَتْ بِهِمْ أَحْلَامُ

(١) ترجمته في : الذيل على العبر ١/ ٢٧٤ وأعيان العصر ١/ ٣٠١ والذَّيْرُ الكَامِنَةُ ١/ ٢١٩ ودرر العقود
الفريدة ١/ ٣٥٥ .

- وفاته سنة ٧٥٨ هـ .

(٢) ستة أبيات من هذه القصيدة في درر العقود .

(٣) في م : لي في الضمير

أَثَرِي يَعُودُ بِهِمْ زَمَانٌ قَدْ مَضَى
غَابُوا فَلَمْ تَطِبِ الْحَيَاةُ لِبَيْنِهِمْ
وَالذَّهْرُ كَانَ بِهِمْ كَيُومٌ وَاحِدٌ
كَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ رَبِيعاً وَجْهَهُ
وَنَاوَأَ فَقَطَّبَ بِالْفِرَاقِ فَوَجْهَهُ
لَا أَوْحَشْتُ دَارَ خَلْتٍ مِنْ أَنْسِهِمْ
يَا غَائِبِينَ نَأَى الشُّرُورُ لِبَيْنِهِمْ
لِي كُلَّمَا هَجَعَ الْخَلِيٌّ مِنَ الْهَوَى
طَالَتْ لِهَجْرِكُمْ اللَّيَالِي وَخَشَةَ
وَحَيَاتِكُمْ مَا نَمْتُ مُذْ فَارَقْتُكُمْ
نَاشِدْتُكُمْ عُودُوا عَلَى مُتَآسِفٍ
أَمْ هَلْ تُرَى لِي مَعَهُمْ إِمَامٌ
وَالنَّوْمُ بَعْدَهُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ
وَأَرَاهُ عَيْنِدَا كُلُّهُ لَوْ دَامُوا
مُتَهَلِّلاً بِدُنُوءِهِمْ بَسَامٌ^(١)
جَهَنَّمُ وَسُحْبُ الْمُبْهَجَاتِ جَهَامٌ
فَضِيَاؤُهَا فِي نَاطِرِي ظَلَامٌ
فَعَلَيْهِمْ وَعَلَى الشُّرُورِ سَلَامٌ
دَمْعٌ يُفَرِّخُ مُفْلَتِي وَهِيَامٌ
فَكَأَنَّمَا وَحَيَاتِكُمْ أَغْوَامٌ
مَنْ فَارَقَ الْأَخْبَابَ كَيْفَ يَنَامُ
لَمْ تَبَقَ فِيهِ بِشَاشَةٌ تُسْتَامُ

● فكتبتُ أَنَا الجوابُ إليه : [من الكامل]

وَأَفَى كِتَابُكَ فَاسْتَنَارَ ظَلَامٌ
يَا كَاتِباً كَبَتَ الْعِدَى لَمَّا كَبَتَ
صَلَّى وَرَاءَكَ فِي الْقَرِيضِ جَمَاعَةٌ
أَهْدَيْتَ لِي طَرَساً سَطُورَ بَيَانِهِ
فَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْحُرُوفُ جَوَاهِرُ
لَا بَلْ كُؤُوسٌ مُدَامَةٌ مِنْ فَوْقِهَا
لَا يَدْعُ إِنْ مَالَتْ بِعُظْفِي نَشْوَةٌ
وَعَدَتْ بُدُورُ الْأَفَقِ وَهِيَ تَمَامٌ^(٢)
مِنْ خَلْفِهِ فِي شَوَاطِئِ الْأَقْلَامِ
مِمَّنْ يُعَانِيهِ وَأَنْتَ إِمَامٌ
رَوْضٌ وَمَعْنَاهَا الْبَدِيعُ حَمَامٌ
فِيهَا تَأَنَّقَ جُهْدُهُ النَّظْمُ
قَدْ دُرٌّ مِنْ مِسْكِ الْخِتَامِ خِتَامٌ
فَمِنْ الْكَلَامِ إِذَا اعْتَبَرْتَ مُدَامٌ

(١) في أ : متهلل بدونهم بَسَام ! . وفي ب : متهللاً يدنو بهم بَسَام ! . وفي م : متهلل

بدنوتهم والمثبت من س .

(٢) في ب : × وبدت بدور

يا ساكنين دمشق لي فيكم وإن
بينني وبينكم إذا حَقَّقْتُمْ
بِحَيَاتِكُمْ راعوا الوداد فإنكم
وتذكروا تلك الليالي التي
يا بعد ما أَرْجُوهُ من دَهْرِي وإلا... أَيْنَ مِضْرُ من اللقا والشام
أما أنا فإن استمر الحال في
جور النوى فعلى الحياة سلام

[١٠ب] يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، فَوَقَفَ لَهُ قَائِمًا ،
وَدَخَلَ بَحْرَ عَجَائِبِهِ عَائِمًا ، وجعل طائر قلبه يُرْفِرُ على زلال لفظه حائِمًا ،
وسرَّحَ ظَرْفَهُ في رياضِ سُطُورِهِ سَائِمًا ، وفي تَأَلُّقِ بُرُوقِهِ سَائِمًا ، وغالطَ نَفْسَهُ
وقد رَأَهُ يَفْظَةُ فَقَالَ : إِنَّهَا رُؤْيَا مَنْ كَانَ نَائِمًا ، وأَجْمَعَ مَنْ رَأَاهُ عَلَى أَنَّهُ فَرَدَّ فِي
المحاسنِ ، فلم يَجِدْ عَلَى وَصْفِهِ فِي الْمُغَالَاةِ لَائِمًا ، وأَطْلَقَ دَمْعُهُ ، وَقَيَّدَ قَلْبُهُ ،
فَرَأَى ذَلِكَ هَامِيًا دَائِمًا ، وهذا هَائِمًا دَائِمًا ، فَيَا لَهُ مِنْ وَارِدٍ وَرَدَّ خَدَّ الزَّمَنِ ، وَرَدَّ
على الْأَجْفَانِ مَا شَرَّدَ مِنَ الْوَسَنِ ، وَسَرَّ نَفْسَ الْمَمْلُوكِ بِرُؤْيَيْهِ ، وَلَا سُورُورَ مِنْ
بَلَّغِ الْوَطَرِ فِي الْوَطَنِ ، وانتهى إلى ما فِيهِ مِنَ الْعَتَبِ ، فَالَّذِي يَسْمَعُ يَقُولُ :
حديثٌ ضَعِيفٌ ، والذي يَسْمَعُ يَقُولُ : حديثٌ حَسَنٌ ؛ ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ إِلَى مَا أَلْفَتَهُ
نَفْسُهُ الدَّلِيلَةَ ، وَقَالَ : عَلَى كُلِّ حَالٍ أُمُّ عَمْرٍو جَمِيلَةٌ^(١) : [من البسيط]

هذا عتابك إلا أنه مَقَّةٌ قد ضُمِّنَ الدُّرَّ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمٌ
● وكتب إلي وأنا بمرج الغسولة^(٢) : [من الكامل]

مولاي نجم الدين يا من فضله
أوحشتني في سَفَرَةٍ قَضَيْتُهَا
فَبَكَيْتُ لَمَّا أَنْ ذَكَرْتُكَ بِالذِّمَّا
قد عَمَّنِي بِخَصَائِصِ الْإِحْسَانِ
بِالْمَرْجِ مُنْفَرِدًا عَنِ الْخِلَافِ
حَتَّى مَلَأْتُ الْمَرْجَ بِالْمَرْجَانِ

● فكتب هو إليّ الجواب من دمشق المحروسة^(١) : [من الكامل]

شوقي صلاح الدين نحوك لم يزل
أوحشت عيني منذ سِرْتُ ولم تزل
راسلتنني بلطائف يا حُسْنَهَا
لا كان هذا المَرْجُ أَجْرَتِي عَبْرَتِي
لَمَّا بَكَيْتُ الْخَلَّ صَارَ الدَّمْعُ فِي
مَعِ فَرَطٍ وَجَدِي أَخَذًا بِعِنَانِي
والله يا مولاي نُصِبَ عِيَانِي
هي في الضمير رسائلُ الْإِخْوَانِ
فِي الْخَدِّ كَالْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ^(٢)
عُنِيَ الْمُحِبُّ « قَلَامُ الْعِيقَانِ »

● وكتب أنا إليه وقد انقطع عن الديوان مُدَّةً^(١) : [من الطويل]

أَمُولَايَ نَجْمَ الدِّينِ أَوْحَشْتَ خَاطِرًا
فَنَارُ الْجَوَى لَمْ يُطْفِئْهَا مِنْ مَدَامِعِي
وَقَدْ أَظْلَمَ الدِّيَوَانُ بَعْدَكَ وَخَشَّةٌ
لِغَيْدِكَ بَعْدَ الْقُرْبِ وَالْأَنْسِ دَائِبُ
بِفَقْدِكَ لَمَّا غَبَّتْ عَنِّي السَّحَابُ^(٢)
وما حالُ أَفْقِي نَجْمُهُ عَنْهُ غَائِبُ

● فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك^(١) : [من الطويل]

أيا مالِكاً لي من غُلَاهُ رَغَائِبُ
أَتَتْنِي أَيْبَاتُ حِسَانٍ لَطَائِفُ
وَأَنْتَ الَّذِي مَا زِلْتَ فِي أَبْحَرِ النَّدَى
وَفِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ نَدَاهُ غَرَائِبُ
فَقَلْبِي عَلَيْهَا دَائِمٌ الْوَجْدِ ذَائِبُ
لَنَا مِنْ أَيَادِيكَ الْكَرَامِ عَجَائِبُ^(٢)

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(٢) في أ : × في الخدين

(٣) في ب ، س : × لفقدك

(٤) في ب ، س : وأنت الذي ما زلت كالبحر في الوري × .

(١) هذا شطر بيت سيأتي في الترجمة (٢١) وتماهه :

على كل حال أم عمرو جميلة وإن لبست خُلُقَانَهَا وَجَدِيدَهَا

والبيت الآتي للمنتبي ، في شرح ديوانه المنسوب للعسكري ٣/ ٣٧٤ .

(٢) الأبيات في أعيان العصر .

● وكتبْتُ أنا إليه وقد وعدتني بأن يربط لي بغلّة على حشيشٍ عنده في

الرَّبيع^(١) : [من الخفيف]

بَغَلَّتِي هَذِهِ تُرِيدُ حَشِيشاً ما أَنَا وَزَنَهُ بِعَقْلِي المَعِيشِي
فَاضْطَرَّعَنِي فَإِنْ كُلُّ مَلِكٍ وَوَزِيرٍ فِي حَمَلٍ هَمَّ الحَشِيشِي^(٢)

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ عن ذلك^(١) : [من الخفيف]

يا إماماً قد حازَ كُلَّ المَعَانِي طُولَ دَهْرِي إِلَيْهِ كُلُّ هَشِيشِي
إِنَّ ذَاكَ الحَشِيشَ صَارَ يَبِيساً فَرَعَاهُ يا مالِكِي إكْدِيشِي

● وكتبْتُ أنا إليه مُلَغِزاً في « تَمِيم »^(٣) : [من السريع]

مَوْلَايَ نَجَمَ الدِّينِ يا مَنْ لَهُ جَلِيلٌ وَدٌّ وَهُوَ أَزْكَى حَمِيمٍ^(٤)
ما اسْمُ رُبَاعِيٍّ لَهُ أَوَّلٌ إِنْ زَالَ عَنْهُ لَمْ تَجِدْ غَيْرَ مِيمٍ

● فكتبَ هو الجوابَ عن ذلك^(٣) : [من السريع]

[١١] مَوْلَايَ قَدْ قَلَّدْتَ جِنْدِي حُلِيٍّ مِنْ جَوْهَرِ اللَّفْظِ بِعَقْدٍ نَظْمٍ
أَهْدَيْتَهُ مِنْ بَحْرِ عِلْمٍ لَهُ ذَخَائِرُ وَالْقَلْبُ فِيهَا يَهِيمُ
مَوَهَّبَتْ مَعْنَاهُ قَتَمَ العَنَا وَالْبَذَرُ يَسْبِي مِنْهُ تَاءٌ وَمِيمُ

● وكتبَ هو إليَّ أيضاً ، وقد كانَ حَصَلَ لَهُ ضَعْفٌ : [من المجتث]

مَوْلَايَ عُذْرًا فَإِنِّي أَضْبَحْتُ وَاللَّهِ مُلَقَّي
وَكَيْفَ لَا يَلْتَقِي مَنْ أَضْنَاهُ حُبُّكَ عِشْقَا

(١) البيتان في أعيان العصر .

(٢) في ب : × ووزير في هم حمل الحشيش ! .

والمراد من الحشيشي : جماعة الحشاشين المعروفين بالاغتيال لرجال ذلك العصر .

(٣) البيتان والجواب عنهما في أعيان العصر والذعر الكامنة .

(٤) في م : × خليل ود . . .

فَإِنْ تُكُنْ لِي حَيَاةً أَذْنَيْتَ فَارْضَكَ حَقًّا
وَإِنْ تُكُنْ لِي مَمْلُوكًا أُخَرِّى « تَعِيشُ أَنْتَ وَتَبْقَى »^(١)

يُقْبَلُ الأَرْضَ ، وَيُنْهِي أَنَّهُ لَا يَسْأَلُ مَوْلَانَا : كَيْفَ انْقَضَتْ لَيْلَتُهُ مِنَ الأَلَمِ ؟
دَفَعَ اللهُ عَنْ مَوْلَانَا مَا يُحَاذِرُهُ ؛ وَالْمَرْجُوُ حُصُولُ اللُّطْفِ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، وَكَانَ
المَمْلُوكُ قَدْ تَخَيَّلَ البَارِحَةَ فِي الزَّهْرِ شَيْئاً ، وَمَا يَعْلَمُ هَلْ هُوَ صَحِيحٌ أَوْ فَاسِدٌ ،
وَقَدْ نَظَّمَهُ ، وَهُوَ : [من البسيط]

انْظُرْ إِلَى الزَّهْرِ كَيْفَ قَدْ جَلَّيْتُ عَرُوسُهُ وَكَسَاهَا مِنْ بَدَائِعِهِ^(٢)
كَأَنَّهُ حِينَ زُفْتُ نَحْوَهُ فَرِحاً قَدْ أَوْقَدَ العِشْرَ يُشْرِى مِنْ أَصَابِعِهِ
● وكتبْتُ أنا إليه مُلَغِزاً^(٣) : [من الطويل]

أَلَا خَبَرُونِي عَنْ صَلَاةِ امْرِئٍ غَدَتْ يَحَارُ بِسَيْطٍ عِنْدَهَا وَوَجِيزُ
تَجَوُّزُ إِذَا صَلَّى إِمَاماً وَمُفْرَداً وَإِنْ كَانَ مَأْمُوماً فَلَيْسَ تَجَوُّزُ

● فكتبَ هو الجوابَ عن ذلك : [من الطويل]

أَيَا سَيِّدَا قَدْ زَانَ أَهْلَ زَمَانِهِ بِمَا يَفْتَنِيهِ فِي العُلا وَيَحَوُّزُ
لَهُ كُلُّ عِلْمٍ قَدْ تَدَانَتْ فُرُوعُهُ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ حُرُوزُ
بِهِ قَلَمُ الإِنْشَاءِ أَصْبَحَ كَاتِباً وَمِنْهُ بِمَا تَحْوِي يَدَاهُ يَقُوزُ

(١) العجز مضمّن من قول أبي الحسين الجزار بعد موت حمارة : [الغيث المسجّم ٢٣٤/٢]

كَمْ مِنْ جَهْلٍ وَلِيٍّ وَأَنِّي أَمْشِي لِأَطْلَلُ رَزَقَا
فَقَالَ لِي : صُرْتُ تَمْشِي وَكُلُّ مَاشٍ مُلَقَّي
فَقُلْتُ : مَا تَحْمَارِي تَعِيشُ أَنْتَ وَتَبْقَى
أَوْ مِنْ بَيْتِ البَهَاءِ زَهِيرٍ : [ديوانه ١٨٧]

تَعِيشُ أَنْتَ وَتَبْقَى أَنَا الَّذِي مَضَى حَقَّا

(٢) في صدر البيت خلل عروضي . ويصح لو قال : انظر إلى الزهر كيف قد [له] جليت × .

(٣) البيتان من قصيدة كتبها المؤلف إلى أحمد بن علي الشبكي - وستأتي في ترجمته بعد هذه الترجمة

برقم ١٢ - وهي في الوافي ٢٥٠/٧ ونكت الهميان ٤٩ تتضمن لغزاً في صلاة الأعمى الأصم .

لَغَزَتْ الذي في الصُّورَتَيْنِ صَلَاتُهُ
فَأَرْسَلَتْ فِكْرِي لَيْلَةً فِي بِلَاغَةٍ
فَأَصْبَحْتُ كَالْأَعْمَى بِهِ صَمَمٌ غَدَا
لَهُ مِنْ دَوَامِ الْفَهْمِ مِنْكَ كُنُوزٌ^(١)

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ وَقَدْ انْقَطَعَتْ عَنِ الدِّيَّانِ^(٢) : [من الكامل]

أَصْبَحْتُ فِي الدِّيَّانِ وَخُدي فِي عَنَا
كُنَّا بِهِ مُسْتَأْمِنِينَ وَلَفْظَنَا
وَبِهِ صَلَاحٌ لَمْ يَزَلْ مَعَ عِلْمِهِ
فَنَأَى فَصِرْتُ عَلَى الْبَلَا مُسْتَوْقِفًا
وَبَلَوْتُ أَقْوَامًا لَيْسَتْ لِأَجَلٍ مَا
وَأَذَى أَرَاهُ بِخَاطِرِي وَبِعَيْنِي
مِنْ لُطْفِهِ يُدْعَى بِذِي السَّجْعَيْنِ^(٣)
تُزَوَّى عَوَالِيهِ عَلَى السَّمْعَيْنِ
أُبْكِي عَلَى مَا فَاتَ بِالْذَّمْعَيْنِ
أَخْشَاهُ مِنْ تَنْكِيدِهِمْ دِرْعَيْنِ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(٤) : [من الكامل]

حَاشَاكَ تُصْبِحُ فِي عَنَا أَوْ فِي ضَنَى
وَالْقَضْدُ أَنْ تُمْسِيَ وَتُصْبِحَ سَالِمًا
وَإِذَا سَلِمْتَ وَدُمْتَ لِي مَا ضَرَنِي
أُدرِي مَحَبَّتَكَ الَّتِي صَحَّحَتْ وَمَا
مِنْ صِدْقٍ وَدُّكَ تَشْتَكِي وَتَوَدُّ لَوْ
مَا هَذِهِ الْفِتْنُ الَّتِي إِنْ أُخِمِدَتْ
فَكَأَنَّهَا الْفِتْنُ الَّتِي تُخَكِّى لَنَا
أَلْقَى الْعِدَى وَخُدي وَمَا دِرْعِي سَوَى
نَفْسِي فِدَاؤُكَ فِي الْوَرَى مِنْ ذَنْبٍ
فِي صَحَّةٍ ثَبَّتَتْ قَرِيرَ الْعَيْنِ
مَنْ رُحْتُ أَفْقَدُهُ مِنَ الْحَيَيْنِ
رُمِيتْ بِشَيْءٍ فِي الْوَرَى مِنْ شَيْنٍ
أَصْلَحَتْ مَا بَيْنَ الزَّمَانِ وَبَيْنِي
نَارٌ أَجَدَّتْ بَعْدَهَا نَارَيْنِ
فِي مَا مَضَى مِنْ فِتْنَةِ الْحَكَمَيْنِ^(٥)
صَبَرْتُ تَنَاهَبَهُ طَبَا الْجَمْعَيْنِ

(١) في ب : × له من دوام الفكر . . . وما بعد ذلك ساقط من س .

(٢) القطعة في أعيان العصر ١/٣٠٥ .

(٣) في م : × من نطقه . . .

(٤) القصيدة في أعيان العصر .

(٥) يشير إلى ما حدث من التحكيم بين الإمام علي ومعاوية ، رضي الله عنهما .

يَا دَهْرُ كُفِّ فَقَدْ كُفِّيتَ فَمَا أَنَا
وَمَنْ الَّذِي لَمْ يَهْتَضِمَهُ زَمَانُهُ
دَغْ ذَا فِإِقْبَالِي عَلَى شَأْنِي غَدَا
مَا بَعْدَ هَذَا الشَّيْبِ وَالسَّنِّ الَّتِي
وَاللَّهُ أَعْدَلُ حَاكِمٍ بَيْنَ الْوَرَى

● وَكَنتُ قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْقَاضِي الْمَخْدُومِ نَاصِرِ الدِّينِ ، كَاتِبِ السَّرِّ
الشَّرِيفِ ، وَقَدْ تَخَلَّفْتُ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى الْمَرْجِ صُحْبَةَ الْمَوَالِي الْمُوقَعِينَ : [من

مجزوء الرمل]

إِنَّ لِي فِي الْمَرْجِ سَادَةً
يَفْعَلُونَ الْخَيْرَ دَأْبًا
وَإِذَا جَادُوا يَفْضُلُ
قَدْ بَنَوْا لِلْمَجْدِ صَرْحًا
فَإِذَا غَابُوا وَفَاوُوا
يَحُلُّومٌ لَا تُبَارَى
لَمْ يَكُنْ قَطُّ بِعَادِي
لَكِنْ الدَّهْرُ إِذَا حَطَّ
وَإِذَا كَانُوا بِخَيْرٍ
أَوْحَشُوا دَارَ السَّعَادَةِ
رَغْبَةً غَيْرَ زَهَادَةٍ
قَرَنُوهُ بِالْإِجَادَةِ
أَسَّسُوهُ بِالسِّيَادَةِ
مَلَأُوا الدُّنْيَا إِفَادَةً
وَعُلُومٌ لَا تُبَارَى
أَبَدًا عَنْهُمْ بِعَادَةِ
طَّ عَلَى حَظِّ أَبَادَةِ
فَهُوَ قَضْدِي وَزِيَادَةِ

● فَكَتَبَ الْمَوْلَى نَجْمُ الدِّينِ الْجَوَابَ فِي غَيْرِ الْبَحْرِ : [من مجزوء الكامل]

يَا مَنْ لَهُ الْإِحْسَانُ عَادَةٌ
يَا مَنْ زَكَّتْ أَعْمَالُهُ
حُزِنَتِ الرِّئَاسَةُ وَالسِّيَادَةُ
وَصَلَاتُهُ فِيهَا الزِّيَادَةُ

(١) في م : × . . . من ذَنْبٍ .

يَا مَنْ دَنَا مِنْ قَابِ قَوْ
نِلَتْ الْفَضَائِلَ وَالْوَسَا
بِاللَّهِ أَفْسِسُكُمْ أَنَّ مِنْ
أَوْحَشَتْ مُقْلَةً مُغْرَمٍ
وَجَرَتْ مَحَاجِرُهُ دَمًا
وَنَفَى بِعَادُكَ وَالَّذِي
مَوْلَايَ رَفَقًا بِالَّذِي
وَالدَّهْرُ لَا يَزِيْلِي لَهُ
فَعَلَيْكَ مَنْ دُونَ الْعَشِي
وَالِيكَ أَلْقَى يَا مُذِي
جَاءَتْ قَصِيدَتُكَ الَّتِي
تُجْلِي عَرُوسًا قَدْ غَدَتْ
وَتَضَمَّنَتْ وَصَفَ الَّذِي
فَنَشَقْتُ نَشْرَ عَيْبِهَا
وَوَدَدْتُ تَقْيِيلَ الْحُرُورِ

سَيْنِ الْوَفَاءِ إِلَى الْوِفَادَةِ
ئِلَّ وَالْعِبَادَةِ وَالزَّهَادَةِ
لَكَ مَا حَوَتْ دَائِرُ السَّعَادَةِ
وَأَذْبَتَ مِنْ أَسْفِ فُؤَادَةِ
أَجْرِي الشَّهَادُ بِهَا مِدَادَةِ
تَذْرِيهِ مِنْ حَالِ رُقَادَةِ
حَقَّقْتَ بِالْحُبِّ اعْتِقَادَةَ
أَيْضًا وَلَمْ يُزَكِّ عِنَادَةَ^(١)
رَّةَ فِي الدُّنَا أَلْقَى اعْتِمَادَةَ
بِ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ انْقِيَادَةَ
يَقْضِي بِهَا دَرِفُ مُرَادَةِ
شَمْسُ النَّهَارِ لَهَا قِلَادَةَ
قَدْ زَانَهُ رَبِّي وَزَادَةَ
وَجَعَلْتُ مِسْمَهَا وَسَادَةَ
فِ وَسَيِّدِي يُبْقِي وَدَادَةَ

● فكتبتُ أنا الجوابَ إليه على هذا الوزنِ : [من مجزوء الكامل]

يَا مَنْ إِذَا أَبْدَى جِلَادَةَ
يَا فَارِسًا أَقْلَامُهُ
وَالصُّبْحُ أَشْبَهَ طَرَسَهُ
مَا خَطَّ سَطْرًا قَطُّ إِلْ

لَمْ تَبَقْ فِي قَرْنِ جِلَادَةِ
يَوْمَ الطَّعَانِ غَدَتْ صِعَادَةَ
وَاللَّيْلُ قَدْ حَاكَى مِدَادَةَ
لَا زَفَ لِلْأَبْصَارِ غَادَةَ

(١) في م : × . . ولم يترك عناده .

أَخَذَ الْكَوَائِبَ فِي الدُّجَى
مَوْلَايَ نَجَمَ الدِّينِ يَا
جَاءَتْ قَصِيدَتُكَ الَّتِي
حَيْثُ فَأَخِيْتُ مُغْرَمًا
وَالدَّمْعُ عَنْ مَطَرٍ رَوَى
عَنْ وَاقِدِي ضُلُوعِهِ
فَاسْتَقْدَنْتُهُ مِنَ الْجَوَى
غَرَاءُ حَالِيَةِ الطُّلَى
نَاجَتْ بِلَقْظٍ قَدْ حَلَا
بِفَصَاحَةِ وَبِلَاغَةِ
وَعَيْنُ أَصْبَحَ عَيْدَهَا
وَيَعْدُ مِنْ أَجْنَادِهَا
رَفَقَتْ حَوَائِشِهَا قَطَا

قَسْرًا وَنَظَمَهَا قِلَادَةَ
قَمَرِ الرِّئَاسَةِ وَالسِّيَادَةِ
أَهْدَتْ إِلَى طَرْفِي رُقَادَةَ
قَدْ فَازَ بَعْدَكَ بِالشَّهَادَةِ
وَالجَفْنُ حَدَّتْ عَنْ قَتَادَةِ^(١)
عَنْ مِسْعَرٍ أَزَكَى فُؤَادَةِ^(٢)
وَرَنْتَ إِلَيْهِ بِمَا أَرَادَةَ
نَظَرِي مَحَاسِنَهَا عِبَادَةَ
أَدَّى لَهُ الشُّهُدُ الشَّهَادَةَ
تَرْمِي لِيبدأ بِالْبَلَادَةِ
وَالْبُحْرَى أَبُو عِبَادَةَ
إِنْ كَانَ تَرْضَاهُ جُنَادَةَ^(٣)
رَ لِحُسْنِهَا ابْنُ أَبِي جَرَادَةَ^(٤)

(١) التورية في الشطر الأول ، بين المطر وبين مطرٍ راوٍ للحديث ؛ وفي رجال الحديث غير واحد ممن يُسمى بمطر ، وليس المقصود شخصاً بعينه .

والقتاد في الشطر الثاني : شجر صلب له شوكة كالإبر . (القاموس) ولعل الإشارة إلى قتادة بن دعامة السدوسي ، تابعي ، توفي سنة ١١٧ هـ . (الوافي ٢٤ / ١٩١) .

(٢) الواقد : مشعل النار . والواقدي : محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ، الإمام المدني ؛ توفي سنة ٢٠٧ هـ . (الوافي ٤ / ٢٣٨) .

والمِسْعَرُ : ما أوقد به النار . ومسعر بن كدام ، الهلالي الكوفي الحافظ ؛ توفي سنة ١٥٥ هـ . (الوافي ٢٥ / ٤٩٢) .

(٣) لعل الإشارة إلى جنادة بن محمد الأزدي الهروي اللغوي ، العلامة الأديب ؛ قتله الحاكم سنة ٣٩٩ هـ . (الوافي بالوفيات ١١ / ١٩٢) .

(٤) ابن أبي جرادة : هو أبو علي ، الحسن بن علي بن عبد الله بن محمد ، كان كاتباً فاضلاً ، شاعراً أديباً ؛ توفي سنة ٥٥١ هـ . (الوافي ١٢ / ١٧٣) .

لم يَبْقَ عِنْدِي زُبْدَةٌ من بَعْدِهَا لِفَتَى زِيَادَةٍ^(١)
وابنُ الأَثِيرِ فَأَوْجُهُ مِنْ أَوْجِهِ سَكَنَتْ وَهَادَةٌ^(٢)
والأَرْجَانِي مَا جَنَى زَهَرَ الْقَرِيضُ وَلَا اسْتَفَادَةٌ
عَطَلْتُ فِي الْإِنْشَاءِ فَتَدْ نَأْ كَانَ قَدْ أَعْلَى عِمَادَةٌ^(٣)
[١٢] فَازْفُقْ بِعَبْدٍ نَقْصُهُ لِكَمَالِ فَضْلِكَ فِي زِيَادَةٍ
وَأَجْرُهُ وَاجِرٌ عَلَى عَوَا إِدْ خَيْرِهِ فَالْخَيْرُ عَادَةٌ
١٢ * أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تَمَّام بن يوسف بن
موسى ابن تَمَّام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن مسوار بن
سوار بن سُلَيْم^(٤) :

السَّيْنُخُ الإِمَامُ الْعَلَامَةُ ، قَاضِي الْقَضَاةِ ، بَهَاءُ الدِّينِ ، أَبُو حَامِدٍ ، ابْنُ
الْعَلَامَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ، قَاضِي الْقَضَاةِ ، تَقِيُّ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ ، الْحَاكِمُ بِالشَّامِ
الْمَحْرُوسِ ، الْأَنْصَارِيِّ ، الْخَزَرْجِيِّ ، السُّبْكِيِّ ، الشَّافِعِيِّ .

- (١) ابن زبادة : يحيى بن سعيد بن هبة الله الشيباني ، الكاتب الشاعر الفاضل ؛ توفي سنة ٥٩٤ هـ .
(مسالك الأبصار ٣١٢/١٢) .
(٢) ابن الأثير : نصر الله بن محمد بن محمد ، الجزري الكاتب ، صاحب الرسائل ؛ توفي سنة
٦٣٧ هـ . (مسالك الأبصار ٢٦٩/١٢) .
(٣) في أ : x قد كان . . . ! .
(٤) ترجمته في : المعجم المختص ٢٩ والوافي بالوفيات ٢٤٦/٧ ووفيات ابن رافع ٥٧/٢ والذيل على
العبر ٣٣٤/٢ وتعريف ذوي العلا ٢١٣ والعقد الثمين ٣٨٣/٣ ودرر العقود الفريدة ٢٥٠/١ وتاريخ
ابن قاضي شهبة ٤٠١/٢ وإنباء الغمر ٢١/١ والدرر الكامنة ٢١٠/١ والنجوم الزاهرة ١٢١/١١
والمنهل الصافي ٤٠٨/١ والذيل الشافي ٦٢/١ والذيل النام ٢٥٣/١ والدارس ٣٦٦/١ وبقية
الرواة ٢٤٢/١ وحسن المحاضرة ٣٧٥/١ ودرّة الحجال ١٠٠/١ وشذرات الذهب ٣٨٨/٨ والبدر
الطالع ٨١/١ .
- مولده سنة ٧١٩ هـ . ووفاته سنة ٧٧٣ هـ .
- قال ابن قاضي شهبة : وكان اسمه تماماً ، إلى أن جاوز سنَّ التَّمْيِيزِ ، ثم غُيِّرَ . وكذا في الدرر
الكامنة .

● كَتَبَ إِلَيَّ مِنَ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَقَدْ وَرَدَ إِلَى زِيَارَةِ وَالِدِهِ ، وَأَنَا
بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، فَاخْتَلَفْنَا فِي الطَّرِيقِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٧٤٥ : [من الطويل]
خَلِيلِي هَلْ مِنْ حِيلَةٍ اسْتَفِيدُهَا وَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ فِي الْهَوَى اسْتَرِيدُهَا
وَلَيْسَ احْتِيَالِي فِي الْأُمُورِ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مَنْ أَهْوَاهُ لَيْسَ يُرِيدُهَا
وَمَا قَصَّرْتُ مِنْ بُغْيَةِ الْوَصْلِ عَزَمَتِي وَلَكِنْ دَهْرِي لَا يَزَالُ يَكِيدُهَا^(١)
وَلَمَّا تَمَادَتْ شُقَّةُ الْبَيْنِ بَيْنَنَا وَشَقَّ تَمَادِيهَا وَطَالَ وُجُودُهَا
وَلَمْ أَرْ فِي مَضِرِّ خَلِيلٍ مُؤَانَسًا وَلَا حَاجَةً إِلَّا تَصَدَّقْتُ حُدُودُهَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لِلشَّامِ زَائِرًا «أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي وَيَتَنَوَّبُ بَعِيدُهَا»^(٢)
وَتَسْهَلُ لِي حَتَّى أَلَمَّ بِجِلَّتِي وَلَوْ حَالَ دُونَ السَّهْلِ مِنْهَا صُعُودُهَا
أَتَيْتُ دِمَشْقًا كَيْ أَفُورَ بِقُرْبِكُمْ وَأُضْلِحَ أَحْوَالًا أَضَرَّ شَدِيدُهَا^(٣)
فَلَمْ أَرْ فِيهَا مِنْ صَلاَحٍ وَلَمْ أَجِدْ خَلِيلًا تَرَى نَفْسِي بِهَا مَا يُفِيدُهَا
وَعَايَنْتُ وَادِيَهَا تَفِيضُ عُيُونُهُ فَيَسْقُطُ مِنْ يَلَكِ الْقُلُوبِ جَلِيدُهَا
وَأُورَاقُهُ اضْفَرَّتْ فَمَا رَاقَ حُسْنُهَا وَأَفْنَانُهُ تَفْنَى وَيَذْبُلُ عُودُهَا
وَقَدْ بَكَتِ الشَّجَبُ الرُّبَا بِمَدَامِعِ تُجِيدُ لَهَا الشُّقْيَا إِذَا مَا تَجُودُهَا
وَنَارَ يَتَوَرَّأُ ثُمَّ فِي بَرْدِي الرَّدَى وَمَا زَادَ إِلَّا النَّقْصَ مِنْهَا يَزِيدُهَا^(٤)
وَقَفْتُ بِهَا كَالْمُسْتَجِيرِ مُرَوَّعًا مَوَاقِفَ تَكَلَّى ضَاعَ مِنْهَا وَلِيدُهَا
أُنَاشِدُ مَنْ لَا قَيْتَ بِاللهِ هَهُنَا دِمَشْقُ الْتِي قَدْ كُنْتُ قَدَمًا أُرُودُهَا ؟

- (١) في م : . . عن بغية الوصل . . . x .
(٢) العجز لكثير عزة ، في ديوانه ٢٠٠ من قوله :
وكنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ مُعَلِّئًا بِأَرْضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي وَيَتَنَوَّبُ بَعِيدُهَا
مِنْ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسَهَا إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحَدُوهُ لَوْ تَعْلَمُهَا
ونسبهما الخالديان في الأنبياء والنظائر ١٩٨/١ إلى العوام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى .
(٣) في ب : x . . . أضرَّ تليدُها .
(٤) ثورا ويزيد : من فروع يردى .

فَمَا لِي قَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهَا مَعَاهِدًا
 أَمْ أَتَحَلَّتْ عَنْهَا رَكَائِبُ مَنْ لَهُ
 أَقَامَ بِمِصْرٍ فَاسْتَقَامَتْ طَرِيقُهَا
 وَحَلَّ بِوَادِيهَا فَكَمْ مِنْ فِضَائِلٍ
 وَأَقْدَمَ فِيهَا كُلَّ سَعْدٍ قُدُومُهُ
 فَتَى لِلْمَعَالِي وَالْعِدَى مُتَقَيِّظُ
 بَسِيطُ الْأَيَادِي وَافِرُ الْفَضْلِ كَامِلُ
 وَجَامِعُ أَشْتَاتِ الْفَضَائِلِ وَالتَّقَى
 تَجَاوَزَ فِي نَظْمِ الْقَصِيدِ لِغَايَةِ
 يَشِيبُ لَهَا رَأْسُ الْوَلِيدِ وَيُثْنِي
 فَمَا ظَافِرٌ فِي بَهْجَةِ الشَّعْرِ ظَافِرُ
 وَإِنْ عُذَّتِ الْكُتَّابُ فَهُوَ عِمَادُهُمْ
 فَمَا الْفَاضِلُ الْمَشْهُورُ فِيهَا بِفَاضِلٍ
 وَفِي كُلِّ عِلْمٍ نَالَ بَاعاً مُسَدِّدًا
 لَهُ هِمَّةٌ فَوْقَ الشُّهَا حَلَّ أَسْهًا
 وَعَزَمَةٌ حَزَمٌ مَا وَنَتْ عِنْدَمَا نَوَتْ
 وَغَادَزْتُهَا بِالْعَذْرِ ضَاعَتْ عَهْدُهَا
 مَنَاقِبُ مَجْدٍ لَا يُطَاقُ جُحُودُهَا
 وَعَادَ إِلَيْهَا بِالْمَسَرَّةِ عِنْدُهَا^(١)
 تَلُوحُ بِوَادِيهَا وَيَذْنُو شَرِيدُهَا
 وَجَدَّ نَعْمَى لَيْسَ يَتَلَى جَدِيدُهَا
 فَهَاتِيكَ يُبْدِيهَا وَهَذِي يُبْدِيهَا
 طَوِيلُ الْمَسَاعِي فِي الْعُلَى وَمَدِيدُهَا^(٢)
 فَطَارِفُهَا يَأْوِي لَهُ وَتَلِيدُهَا
 حَوَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ مِنْهَا قَصِيدُهَا
 لَيْدٌ عَنِ الْأَفْكَارِ وَهُوَ بَلِيدُهَا^(٣)
 يَتْلُكَ وَلَا الْقَاضِي السَّعِيدِ سَعِيدُهَا^(٤)
 إِذَا صَنَعَةُ الْإِنْشَاءِ مَالٌ عَمُودُهَا^(٥)
 لَدَيْهِ وَلَا عَبْدُ الْحَمِيدِ حَمِيدُهَا
 وَآرَاءُ حَقٍّ لَيْسَ يَنْبُو سَدِيدُهَا^(٦)
 تَشُدُّ مَبَانِيهَا الْعُلَا وَتَشِيدُهَا
 وَلَا خَابَ مَسْعَاهَا وَخَانَتْ وَعُودُهَا^(٧)

(١) في أ : × بالمسيرة عيدها .

(٢) في ب : وافر الجود كامل × .

(٣) في أ : يشيب لها رأي الوليد . . . × .

(٤) ظافر : هو ظافر الحداد ، شاعر الإسكندرية ، وديوانه مطبوع مشهور .

والقاضي السعيد : هو ابن سناء الملك ، صاحب الديوان المشهور .

(٥) في م : × فهو إمامهم × .

(٦) في م : × ليس ينبو عيدها .

(٧) في ب : × وخانت عهودها . وفي م : وخابت وعودها .

وَمَكْرَمَةٌ فِي طَيِّهَا كُلُّ نِعْمَةٍ
 وَسُخْبُ أَيَادٍ حَيْثُمَا وَكَفَّتْ كَفَتْ
 مَدَائِحُهُ تَكْسُو الْقَرِيبَ مَحَاسِنًا
 وَأَوْصَافُهُ مِثْلُ الْكَوَكِبِ كَثْرَةً
 أَقَمْتَ صَلَاحَ الدِّينِ فِي مِصْرٍ مُصْلِحًا
 وَأَظْلَمَ مِنْ أَيَّامِ جَلَقٍ يَبْضُهَا
 تَحَاسَدَتِ الْأَمْصَارُ فِيكَ وَنَافَسَتْ
 فَأَعْطَيْتَ كُلًّا مِنْ وَصَالِكَ حَظَّهُ
 فَمَنْ لِي بِمِصْرٍ بَعْدَمَا كُنْتُ أَبْتَغِي
 وَبِالزَّغَمِ مَنِي أَنْ أَكُونَ يَلْدَةً
 إِذَا الْجَهْلُ أَسَى لِلْعُلُومِ مُدْرَسًا
 وَإِنْ سَادَ قَوْمٌ فِي الزُّورِ بِجُدُودِهِمْ
 وَكَمْ لَكَ مِنْ أَعْلَامٍ عِلْمٍ وَسُؤْدَدٍ
 قَدَامَتْ لَكَ التَّعْمَاءُ بَيْنَ سِيَادَةٍ

● فَكَيْتُ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [من الطويل]

[١٢ب] وَقَدْ نُشِرَتْ فِي الْخَافِقَيْنِ بُنُودُهَا
 وَعَمَّ نَدَاهَا فِي الْوُجُودِ وَجُودُهَا
 وَيَخْلُو بِأَفْوَاهِ الزُّوَاةِ نَشِيدُهَا
 وَقَدْ نَظَّمْتُ فِي حُسْنِ سِلْكِ عَقُودُهَا
 فَطَافَتْ بِهَا بَعْدَ التُّحُوسِ سُعُودُهَا^(١)
 وَأَمْسَتْ لِيَالِي مِصْرٍ تُشْرِقُ سُودُهَا^(٢)
 وَزَادَتْ بِأَرْضِي أَنْتَ فِيهَا وَفُودُهَا
 فَطَابَتْ مَغَانِيهَا وَزَالَتْ حُقُودُهَا
 نَوَاهَا وَأَنْ تَفْكَ عَنِّي قِيُودُهَا^(٣)
 تُبَاعِدُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَبْدُهَا
 فَأَنْتَ وَلَا نَقْصُ عَلَيْكَ مُعِيدُهَا^(٤)
 فَعِنْدَكَ نَفْسٌ سَوَّدَتْهَا جُدُودُهَا
 وَأَوْصَافُ مَجْدٍ لَيْسَ يُحْصَى عَدِيدُهَا
 وَنَابَتْ بِسَعْدٍ لَا يَزَالُ يَزِيدُهَا^(٥)

خَلِيلِي هَلْ مِنْ زُودَةٍ أَسْتَعِيدُهَا
 وَهَلْ مَقْلَتِي الْعَبْرَى يَزُورُ هُجُوعُهَا
 لَعَلَّ الْحِشَا يُطْفِئُ بِذَاكَ وَقُودُهَا
 لَعَلَّ جُفُونِي أَنْ يَزُولَ هُجُودُهَا

(١) في أ ، م : × نحو التحوس سعودها .

(٢) في س : وَأَظْلَمَ مِنْ أَيَّامِ جَلَقٍ . . . × .

(٣) في ب : × ولن تفك . . .

(٤) في ب : مدارسا × .

(٥) في ب : × وبانت . . .

وَهَلْ جَمْعُ شَمْلِي مُمَكِّنٌ بَعْدَ فُرْقَةٍ
وَدَعِ كُلَّ ذَا هَلٍ فِي مَدَى الْعُمُرِ فُسْحَةً
فَأَحْبِبْ بِأَيَّامٍ مَضَتْ لَمْ أَرُدَّهَا
يُعَانِدُنِي دَهْرِي فَيَعْكِسُ مَقْصِدِي
قَصَدْتُ حِمَى مِصْرَ تَصَاحِبُنِي الْمُنَى
عَلَى أَنَّ مَنْ أَرْجُوهُ فِيهَا ذَخِيرَةٌ
وَيَغْدُو فَيُنْسِينِي مَحَاسِنَ مَوْطِنِي
فَمَا جِئْتُهَا إِلَّا وَعَالِي رِكَابِهِ
فَيَا حَيَّةَ الْأَمَالِ فِي مَا أَرُومُهُ
أَبَا حَامِدٍ قَلْبِي يَرِفُ عَلَى الْوَلَا
وَفِي كِبْدِي لِلْبَيْنِ لَا عِجْ لَوْعَةٍ
إِذَا كُنْتُ فِي مِصْرٍ يَطِيبُ هَوَاؤُهَا
وَأِنْ جِئْتُ أَرْضَ الشَّامِ رَوَّضَتْ رَبْعَهَا
وَبَاتَتْ بُرُوقُ الْجَوِّ بِاسِمَةٍ كَمَا
وَيَتَدَّى عَلَى الْأَكْبَادِ بَرْدُ نَسِيمِهَا
أَلَا يَا بَنِي قَاضِي الْقَضَاةِ عَلَوْتُمْ

تَكُذُّ قُوَى نَفْسِي ضَنْئِي وَتَكِيدُهَا^(١)
فَإِنَّ الْأَمَانِي لَا يَقِلُّ عَدِيدُهَا
وَأَقْبَحُ بِأَيَّامٍ أَتَتْ لَا أُرِيدُهَا
كَذَا هَذِهِ الدُّنْيَا يَكُونُ وُجُودُهَا
وَيُحْسِنُ مِنْ غَدِّ الظُّنُونِ وُجُودُهَا^(٢)
يَصُدُّ عَوَادِي غُرْبَتِي وَيَصِيدُهَا
يُحْسِنُ أَيَّامٍ لَا يُطَاقُ جُحُودُهَا
يَسِيرُ بِهِ فِي كُلِّ أَرْضٍ بَرِيدُهَا
أَمَا أَنْ لِلْأَقْدَارِ تَأْنِي سَعُودُهَا
«رَفِيفَ الْخَزَامِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا»^(٣)
وَنَارٌ عَلَى قَلْبِي بَطِيءٌ خُمُودُهَا^(٤)
وَيُعْشِبُ وَادِيهَا وَيَخْضِرُ عُودُهَا
وَفَاحَتْ شَدَى أَغْوَاؤُهَا وَنُجُودُهَا
يَقْهَقُهُ مِنْ فَرْطِ الشُّرُورِ رُجُودُهَا^(٥)
وَتُضْفِي عَلَى الْأَزْهَارِ مِنْكَ بُرُودُهَا^(٦)
عَلَى رُتَبٍ فَوْقَ السَّمَاءِ مُهَوِّدُهَا^(٧)

(١) في ب : × . . . عني وتكيدها .

(٢) في ب : × من غدا الظنون فهوذا .

(٣) العجز مضمن من قول الحسين بن مطير الأسدي : [ديوانه ٤٥]

يُمَيِّتُنَا حَتَّى تَرِفَ قَلْبُونَا رَفِيفَ الْخَزَامِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا

(٤) من قول الحسين بن مطير أيضاً : [ديوانه ٤٤]

لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى عَلَى كِبْدِي نَارًا بَطِيئًا خُمُودُهَا

(٥) في م : وباتت نجوم الجو . . . × .

(٦) البيت ساقط من س .

(٧) في ب : × خلودها .

لَكُمْ مَعَ كَمَالِ الْمَجْدِ وَالْعِلْمِ وَالتَّقَى
وَكَمْ لَكُمْ مِنْ هِمَّةٍ تَبْلُغُ الْمَدَى
فَأَمَّا بَهَاءُ الدِّينِ أَحْمَدُ فَهَوَ مَنْ
غَدَا بَارِعًا فِي كُلِّ عِلْمٍ أَمَا تَرَى
تَرَاهُ إِذَا أَمْلَى فَوَائِدَ دَرْسِهِ
نَوْدٌ لِمَا يَأْتِي بِهِ مِنْ فَصَاحَةٍ
تَرَى ذِهْنَهُ الْوَقَادَ كَالسَّيْلِ طَافِحًا
مِنْ الْخَزَرْجِيِّينَ الَّذِينَ غُلَاهُمْ
أَمْوَلَايَ قَدْ حَزَتْ الْمَحَاسِنُ كُلُّهَا
أُجَارِي بِهَا آدَابَكَ الْغُرَّ قَاصِرًا
لَكَ الْعَطْفُ مِنْ جَوْرِ الْمَعَانِي وَلِيْنَهَا
وَعِنْدِي مِنْهَا مَيْتُهَا وَقَدِيمُهَا
بَعَثَتْ عَلَى بُعْدٍ مِنَ الدَّارِ بَيْنَنَا
أَجَدَتْ مَعَانِيهَا وَحَزَزَتْ لَفْظَهَا
فَعَيْنِي تَسْتَجْلِي حُلَاهَا وَكَلَمًا
إِذَا حَاوَلَ الْغُرَّ الدُّخُولَ لِعَابِهَا
قَضَى كُلَّ ذَهْنٍ أَنَّهَا قَدْ تَفَرَّدَتْ
كَأَنَّ قَوَافِيهَا جِسَانٌ تَبَرَّجَتْ
فَهَلْ أَلْفَاتُ فِي الشُّطُورِ تَعَدَّلَتْ

عَقُولٌ عَلَى جَنَدِ الزَّمَانِ عَقُودُهَا
وَتَخْفِقُ مَا بَيْنَ الْعَوَالِي بُنُودُهَا
يُقَيِّتُ الْأَعَادِي وَالْمَوَالِي يُفِيدُهَا
قَوَاعِدُهُ فِي الْبَحْثِ كَيْفَ يُشِيدُهَا
يُجَدِّلُ أَبْطَالَ الْوَعَى وَيُيِيدُهَا
«إِذَا مَا انْقَضَتْ أَخْذُوتُهُ لَوْ يُعِيدُهَا»^(١)
إِذَا مَا اغْتَرَى الْأَذْهَانَ يَوْمًا خُمُودُهَا^(٢)
يَطُولُ يَقُوقُ الْفَرْقَدَيْنِ صُعُودُهَا^(٣)
[١١٣] قَدَحَ لِي مِنْهَا فَضْلَةً أَسْتَفِيدُهَا
فَأَمَّا أَدَارِيهَا وَإِمَّا أُرُودُهَا
وَلِي دَائِمًا إِعْرَاضُهَا وَضُدُودُهَا
وَعِنْدَكَ مِنْهَا حَيْثُهَا وَجَدِيدُهَا
مُشْرِقَةٌ قَدْ زَادَ قِيَّ حَسُودُهَا
فَقَاقَتْ قَوَاقِيهَا وَرَاقَ نَضِيدُهَا
تَأَمَّلْهَا فَكِرِي غَدَا يَسْتَعِيدُهَا
أَسَاوِدُهَا تَغْتَالُهُ وَأَسْوَدُهَا^(٤)
يُحْسِنُ مَعَانٍ قَدْ تَرَكَتْ شُهُودُهَا
وَهَاتَتْهَا فِي الصَّدْرِ مِنْهَا نُهُودُهَا
غُصُونٌ تَبَدَّتْ لِلْعُيُونِ قُدُودُهَا

(١) عجز ثاني بيتي كثير عزة - وفي أ : لا تعيدها ! .

(٢) البيت ساقط من س .

(٣) في س : × يطول بفرق الفرقدين صعودها .

(٤) في م : لبابها × .

نَعَمْ هَذِهِ الْأَيَّاتُ أَيْبَاتُ عَلَوَةٍ جَلَّتْهَا لِعَيْنِ الْعَاشِقِينَ زُرُودُهَا^(١)
تَرَاءَتْ لَهُمْ مِنْهَا مَنَازِلُ صَبَوَةٍ وَقَدْ خَطَرَتْ بَيْنَ الْمَضَارِبِ غَيْدُهَا
تَسُوقُ قُلُوبَ الشَّائِقِينَ إِلَى الْجَمِيِّ إِذَا غَارَ لَهَا رِقَّةٌ وَتَقَوَّدُهَا
فَلَا أَعْيُنٌ إِلَّا تَفِيضُ دُمُوعُهَا وَلَا مُهَجٌ إِلَّا يَذُوبُ جَلِيدُهَا
لَقَدْ شَقَّتْ سَمْعَ الْوَرَى بِنِظَامِهَا وَرَضَعَ فِي تَاجِ الزَّمَانِ فَرِيدُهَا
فَمَا فِي كِتَابِ « الْعَقْدِ » دُرٌّ كَنَظْمِهَا وَلَا بَيْنَ أَصْوَاتِ « الْأَغَانِي » نَشِيدُهَا
يُقَبَّلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي زُرُودَ الْقَصِيدَةِ الدَّالِيَّةَ ، وَالْفَرِيدَةَ الَّتِي لَيْسَ لِلْأَفْكَارِ
عَلَى الْإِنْيَانِ بِمَثَلِهَا دَالِيَّةٌ ؛ لَقَدْ شَرَفَتْ حَرْفَ الدَّالِ حَتَّى نَصَبَتْ قَامَتَهَا مِنْ
رَقَدَتِهَا ، وَقَوَّمَتْ بَعْدَ الْإِنْجَاءِ مِثْلَ حَدِيثِهَا ؛ وَأَقَامَتْ الْأَلْفَ فَانْتَصَبَتْ
لِخِدْمَتِهَا ، فَلِهَذَا رُزِقَتْ الْحِظَّ وَالْجَدَّ ، وَخُتِمَتْ بِهَا حُرُوفُ أَبْجَدَ .

وَأَمَّا الْهَاءُ الَّتِي قَدْ جَاءَتْ بَعْدَهَا رِذْفًا ، فَأَلْفُ الْإِطْلَاقِ تَأَوَّدَتْ قَامَةً وَاهْتَزَّتْ
الْهَاءُ رِذْفًا ؛ فَلَا غَرْوَ أَنْ وَقَفَ الْحُسْنُ عَلَى ذَلِكَ الْقَدِّ الْمُتَأَوِّدِ وَالرُّذْفِ الْمُهْتَزِّ ،
وَأَصْبَحَ نَازِلُهَا الْمُقْتَدِرُ مُوَفَّقًا لَمَّا فَاقَ ابْنَ الْمُعْتَزِّ ، وَشَهِدَ النَّاسُ لِمَنْ حَاكَ
وَشَبَّهَا أَنَّهُ رَفِيعُ الْبَزِّ ، فَعَيْنُ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمِ ، وَالْمَحَاسِنِ الَّتِي مِنْ عَارَضِهَا
فَقَدْ سَلَّمَ لَهَا ، وَمَنْ لَمْ يَتَعَرَّضْ فَقَدْ سَلَّمَ .

● وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ وَنَحْنُ بِدَمَشَقَ سَنَةِ ٧٤٤^(٢) : [مِنْ الْبَسِيطِ]

أَبَا حَامِدٍ إِنِّي بِشُكْرِكَ مُطَرَّبٌ كَأَنَّ ثَنَائِي فِي الْمَسَامِعِ شِينُزُ^(٣)

لَقَدْ حُرَّتْ فَضْلَ الْفَقْهِ وَالْأَدَبِ الَّذِي
وَقَّتْ الْمَدَى مَهْلًا إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي
فَأَصْبَحَتْ فِي حَلِّ الْغَوَامِضِ آيَةً
كَأَنَّ حُرُوفَ الْمُشْكِلَاتِ إِذَا أَتَتْ
وَأَثَرَتْ فَاصْرَفَ لِلْمَسَاكِينِ فَضْلَهُ
تُجِيدُ الْقَوَافِي وَالْقَوَى فِي بِنَائِهَا
سَأَلْتُ فَحَبَّرَ عَنْ صَلَاةِ امْرِئٍ غَدَتْ
تَجُوزُ إِذَا صَلَّى إِمَامًا وَمُفْرَدًا
فَأَوْفَ لَنَا كَيْلَ الْهُدَى مُتَصَدِّقًا
فَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى وَأَنْتَ كَمَا نَرَى

● فَكُتِبَ الْجَوَابُ إِلَيَّ سَرِيعًا : [مِنْ الطَوِيلِ]

يَقُوتُ الْغِنَى مَنْ لَا بِذَلِكَ يَقُورُ^(١)
لَهَا عَنْ لِحَاقِ السَّابِقِينَ بُرُورُ
تَمِيلُ إِلَى طُرُقِ الْهُدَى وَتَمِيزُ
لَدَيْكَ عَلَى حَلِّ الْعَوِصِ رُمُورُ
فَعِنْدَكَ مِنْ دُرِّ الْبَيَانِ كُنُوزُ^(٢)
فَيَتِيكَ لِلْمَعْنَى الشُّرُودُ حَرِيرُ^(٣)
يَحَارُ بِسَيْطٍ عِنْدَهَا وَوَجِيزُ
وَإِنْ كَانَ مَأْمُومًا فَلَيْسَ تَجُوزُ
فَأَنْتَ بِمَضَرٍ وَالشَّامِ عَزِيزُ
مُجِيدٌ مُجِيبٌ لِلشُّوَالِ مُجِيزُ

أَيَا مَنْ لَشَأَوِ الْعِلْمِ بَاتَ يَحُورُ
وَمَنْ حَارَ فِي الْأَدَابِ مَا اقْتَسَمَ الْوَرَى
وَمَنْ ضَاعَ عَرَفُ الْفَضْلِ مِنْهُ وَلَمْ يَضِعْ
سَأَلْتُ وَمَا الْمَسْئُولُ أَعْلَمَ بِالَّذِي
وَقُلْتُ امْرُؤٌ لَا يَفْتَدِي غَيْرَ أَنَّهُ
وَذَاكَ فَتَى أَعْمَى نَأَى عَنْهُ سَمْعُهُ
فَهَاكَ جَوَابًا وَاضِحًا قَدْ أَبْتَنَّهُ
وَمَنْ لِسِوَاهُ الْمَذْحُ لَيْسَ يَجُوزُ^(٤)
[١٣ ب] فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ عَنْهُ نَشُورُ
يَجْدُوهُ عَرَفُ الْجُودِ فَهُوَ حَرِيرُ
أَرَدْتَ وَلَا مِنْهُ عَلَيْكَ بُرُورُ
إِمَامًا وَفَرْدًا بِالْجَوَازِ يَقُورُ^(٥)
وَلَيْسَ لِأَفْعَالِ الْأَنَامِ يَمِيزُ^(٦)
وَمِثْلِي عَلَى حَلِّ الصُّعَابِ صَمُورُ^(٦)

(١) في م : . . . فضل الله . . . × .

(٢) في ب : وَأَثَرَتْ . . . × . . . مِنْ ذَاكَ الْبَيَانِ . . .

(٣) في ب : تُجِدُّ الْقَوَافِي . . . × . . . وَفِي م : . . . فِي بَيَانِهَا . . . × .

(٤) في ب : أَيَا مَنْ لَشَأَوِ . . . × . . .

(٥) ساقط من س .

(٦) في هامش م : الصُّمُور - بضاد معجمة وزاي - الأسد . قاموس .

(١) زُرُود : رَمَالٌ بَيْنَ الثَّلَاجِيَّةِ وَالْخَزِيمِيَّةِ ، بِطَرِيقِ الْحَاجِّ مِنَ الْكُوفَةِ . (معجم البلدان ١٣٩/٣) .

(٢) القصيدة والجواب عنها في الوافي ٢٥٠/٧ - ٢٥١ ونكت الهميان ٤٩ .

(٣) الشينز : لَعَلَّهُ ضَرَبَ مِنَ الْأَلْحَانِ . قَالَ الصَّفْدِيُّ فِي الْكُشْفِ وَالتَّنْبِيهِ ١٢٤ : « وَالْإِشْتِرَاكُ فِي كَيْفِيَّةِ مَسْمُوعَةٍ كَتَشْبِيهِهِ أَطِيطُ الرُّجُلَ بِأَصْوَاتِ الْفَرَارِيحِ . . . وَكَتَشْبِيهِ أَصْوَاتِ الصَّفَادَعِ بِالشَّيْزِ ، وَصَوْتِ الدُّوَلَابِ بِالزُّمَرِ ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَكَاثِمَا الدُّوَلَابُ يَزُمُّرُ كُلَّمَا غَنَّتْ ، وَأَصْوَاتُ الصَّفَادَعِ شِينُزُ

فَإِنْ كَانَ هَذَا مَا أَرَدْتَ فَإِنَّمَا
وَأَنْ لَمْ يَكُنْهُ فَالَّذِي هُوَ لَازِمٌ
فَلَا زِلْتَ تُبْذِي مِنْ فَضَائِلِكَ الَّتِي
فَأَنْتَ صَلَاحُ الدِّينِ وَالنَّاسِ وَالْدُّنَا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، مُلْغِزاً

فِي « النَّبِيلِ » (٤) : [من الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
وَهَلْ لِي بِأَرْضِ الشَّامِ مَا عَشْتُ عَوْدَةً
أَرَى قَدَمِي لَمَّا تَجَاوَزْتُ جِلْقاً
فَصَبْرِي وَوَجْدِي ذَاكَ عَنِّي رَاحِلٌ
وَقَلْبِي وَطَرْفِي ذَاكَ مِنْ لَاعِجِ الْجَوَى
وَقُودِي وَجِسْمِي ذَاكَ أَمْسَى سَوَادُهُ
قِصَارُ اللَّيَالِي مُنْذُ شَطَطَ بَيْ التَّوَى
وَيَخْفِقُ قَلْبِي لِلْغُرَابِ وَخَفَقِهِ
وَإِنِّي لَقَالٍ لِلْعَذُولِ وَلَوْ مِهِ
وَكَمْ رُمْتُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَيْكُمْ مَعَ الصَّبَا

بِوَادٍ وَحَوْلِي صَاحِبٌ وَخَلِيلٌ (٥)
فَيُنْعِشْنِي بَعْدَ الْبَعَادِ وَصُولُ
أَرَاقِ دَمِي وَالْوُدُّ لَيْسَ يَزُولُ
وَهَذَا لَهُ بَيْنَ الضُّلُوعِ مَقِيلُ
يَجِفُّ وَهَذَا بِالْدمَاءِ يَسِيلُ
يَحُولُ وَهَذَا بِالْفِرَاقِ نَحِيلُ
« طَوَالٌ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلٌ » (٦)
وَمَا لِي بِرَدِّ الْخَافِقِينَ سَبِيلُ
لِمِثْلِي قَالٌ لَا يُفِيدُ وَقِيلُ
لَتَسْكُنَ عَنِّي لَوْعَةٌ وَغَلِيلٌ (٧)

(١) فِي أ : فَإِنْ كَانَ مَا أَرَدْتَ . . . ١ × .

(٢) فِي ب : وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا . . . × جَوَابٌ بِمَضْمُونِ . . .

(٣) فِي ب : . . . وَالتَّقَى × .

(٤) أَحَدُ عَشَرَ بَيْتاً مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي الْمُنْتَقَى مِنْ دَرَةِ الْأَسْلَافِ .

(٥) مِنْ قَوْلِ سَيِّدِنَا بِلَالِ الْحِشِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : [الْمُسْتَطَرَفُ ٢/ ٢٦٣] :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خَرَّ وَجَلِيلُ

(٦) الْعَجَزُ لِلْمُتَنَبِّي ، وَصَدْرُهُ : [دِيْوَانُهُ ٣/ ٩٥] :

لِيَالِي بَعْدَ الطَّاعِنِينَ شُكُولُ × .

(٧) فِي ب : × . عَنِّي رَوْعَةٌ وَغَلِيلُ .

فَعَوَّقَنِي دَهْرِي وَمَا بِي عِلَّةٌ
وَحُلَفْتُ عَنْكُمْ لَا عُدُولاً لِيَغْيِرَكُمْ
سِوَى أَنْ صَبَّأَ لَاحَ مِنْهُ لِمُقَلَّتِي
يَطُوفُ بِهِ السَّاقِي وَقَدْ رَقَّ وَاغْتَدَى
وَيَلْعَبُ فِي هَامِ الْمُلُوكِ إِذَا عَلَا
إِذَا عَانَقَ الْمَيَّاسُ صِرْفَ رَحِيقِهِ
يَسِيرُ وَيَسْرِي بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
وَيَقْطَعُهُ ضَرْبٌ مِنَ الْكَفِّ هَيِّنٌ
عَلَى الْبَحْرِ يَسْمُو مَعَ جَهَالَةِ أَصْلِهِ
وَيَتَعَدُّ أَخْيَاناً وَيَقْرُبُ تَارَةً
كَرِيمٌ عَلَى جِيرَانِهِ غَيْرَ أَنَّهُ
وَكَمْ فِيهِ مِنْ قَضَرٍ رَفِيعٍ عَلَى الْوَرَى
يُخَافُ وَيُرْجَى يَوْمَ جُودٍ وَسَطْوَةٍ
فَمَنْ قَاسَهُ بِاللَّيْلِ فَهُوَ مُقْصَّرُ
أَخُو بَدْعٍ لَا بِالْوَعْدِ يَقِي وَلَا
وَكَمْ فِيهِ مِنْ عَابٍ وَتَقْصِرُ وَعَوْرَةٍ
وَفِي قَلْبِهِ لَيْسَ الْقَضِيبُ وَإِنَّهُ
وَلَيْسَ بِأَنْثَى كِي يُبَاحَ نِكَاحُهُ
لَهُ اسْمٌ حَوَى اسْمَا ثُمَّ حَرْفاً مُسَكَّنَا

وَسَارَتْ إِلَيْكُمْ وَالنَّسِيمُ عَلِيلٌ (١)
وَهَلْ لَكُمْ بَيْنَ الْأَنْامِ عَدِيلُ
مِنْ الرَّاحِ مَا فِي الْكَاسِ مِنْهُ شَمُولُ
يَرُوقُ جَمِيعُ الشَّرِبِ حِينَ يَجُولُ (٢)
وَتَذْهَبُ مِنْهُ حَيْثُ بَانَ عَقُولُ
تَمِيدُ بِهِ أَغْطَافُهُ وَتَمِيلُ (٣)
لَهُ كُلُّ يَوْمٍ نَقْلَةٌ وَرَحِيلُ
وَإِنَّ حَدِيدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلُ
عَلَى أَنَّهُ لَتُبْخَرُ سَوَافُ يَوْوُلُ
لَنَا وَكِلَا الْفُعْلَيْنِ مِنْهُ جَمِيلُ
عَلَيْهِمْ إِذَا جَادَ السَّحَابُ بِخَيْلُ
وَلَيْسَ لِمِثْلِ الْقَلْبِ عَنْهُ ذُهُولُ
وَلَيْسَ لَهُ فِي الْحَالَتَيْنِ مَثِيلُ
وَمَنْ قَاسَهُ بِالسَّيْلِ فَهُوَ جَهُولُ
لَهُ عَنْ وَفَاقِ الْكَافِرِينَ عُدُولُ
وَقِيَهُ عَلَى كُلِّ الْأَنْامِ فُضُولُ
يَزِيدُ عَلَى يُوسُ الْحَصَى وَيَصُولُ (٤)
وَفِي الْأَرْضِ أَزْوَاجٌ لَهُ وَبُعُولُ
وَفِعْلاً وَهَذَا فِي الْأَنْامِ قَلِيلُ (٥)

(١) فِي ب : . . . وَمَا لِي عِلَّةٌ × .

(٢) فِي ب : . . . وَقَدْ رَاقَ وَاغْتَدَى × .

(٣) فِي م : . . . طَرَفَ رَحِيقِهِ × .

(٤) مَقْلُوبٌ لَيْنٌ : نَبِيلٌ .

(٥) الْأَسْمُ : هُوَ التَّوْنُ = السَّمَكُ . وَالْحَرْفُ : الْبَاءُ السَّائِكَةُ . وَالْفِعْلُ : لَامٌ .

إذا أنت قد صَحَفْتَهُ هَابَتِ الْعِدَى
[١١٤] وَمِنْ عَكْسِهِ إِنْ زَالَ حَرْفٌ فَلَنْ يُرَى
فِيَا مَنْ زَكَتْ مِنْهُ الْفُرُوعُ وَأَيْتَعَتْ
وَيَا مَنْ لَهُ جَدُّ عَظِيمٌ وَنَائِلٌ
أَبْنٌ لِي مَا أَلْغَزْتُ فِيهِ فَإِنَّهُ
تَضَمَّنَ نَظْمِي ذِكْرَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُدْعَى سِوَاكَ لِحَلِّهِ
جَمَعْتَ بِحَارِ الشَّعْرِ ثُمَّ سَلَكَتَهَا
وَأَلْبَسَكَ الْعِزُّ الثَّمَنُوعَ حُلَّةً
إِذَا غَابَ بَذْرُ التَّمِّ لَمْ تَبْغِ عَوْدَهُ
وَإِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ الْعُھُودَ تَوَاتَرَتْ
وَإِنْ فُلَّتِ الْبَيْضُ الصَّفَاخُ حَمِيَّتَنَا
وَإِنْ عَظُمَ الْخَطْبُ الْجَسِيمُ عَلَى الْوَرَى
وَإِنْ قُلْتَ لَمْ تَخْتَجِ إِلَى حُجَّةٍ وَهَلْ
صِفَاتُكَ تُمْلِينِي وَذِكْرُكَ مُسْعِفِي
وَإِذْ لَمْ أَقُمْ مِنْ فَرَضٍ مَدْحِكُمْ بِمَا
فَعُذْرًا فَإِنِّي عَاجِزٌ عَنْ جِسَابِهَا

حِمَاكَ وَقَالَتْ إِنَّهُ لَنَيْلٌ^(١)
لَدَيْهِ عَنِ الْمُسْتَقْبَلَاتِ نُصُولٌ^(٢)
وَطَابَتْ لَهُ فِي السَّالِفِينَ أُصُولُ
عَمِيمٌ وَمَجْدٌ شَامِخٌ وَأَنِيْلُ
لَهُ مِنْكَ أَضْلٌ ثَابِتٌ وَأَصِيْلُ^(٣)
صَرِيحاً لَهُ بَيْنَ الْعُيُونِ مَثُولُ
وَأَنْتَ زَعِيمٌ بِالْعُلُومِ كَفِيْلُ^(٤)
فَأَنْتَ لَدَيْنَا صَاحِبٌ وَخَلِيْلُ
لَهَا انْسَحَبْتَ فَوْقَ السَّحَابِ ذُيُولُ
فَإِنَّكَ مِنْهُ لِأَلَنَامِ بَدِيْلُ
وَفَاضَتْ لَنَا مِنْ رَاحَتِكَ سِوْلُ
بِأَبْيَضٍ رَأْيٍ لَيْسَ فِيهِ فُلُولُ
وَمِلَتْ عَلَيْهِ عَادٌ وَهُوَ ضَيْلُ
يُقَامُ عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ دَلِيْلُ
وَقَلْبِي رَسِيْلٌ وَالْغَرَامُ رَسُولُ^(٥)
يُوَازِي سَجَايَاكُمْ وَدَامَ نُكُولُ^(٦)
إِذَا هِيَ عُذَّتْ وَالْفُرُوضُ تَعُولُ^(٧)

سَادُّو لَكُمْ دَهْرِي بِإِخْلَاصٍ نِيَّةٍ
فَلَا زِلْتُ مَأْوَى الْعِلْمِ مَا ذَرَّ شَارِقُ
مَقَامُكَ مَأْهُولٌ وَظُلُّكَ وَارِفُ
وَفَضْلُكَ مَأْمُولٌ وَبَابُكَ سَوْلُ^(١)
يُقَبَّلُ الْأَرْضَ الْعَالِيَةَ مَغْنَى وَمَغْنَى ، الدَّانِيَةَ إِخْسَاناً وَحُسْنَى ، الْجَامِعَةَ
لِشَوَارِدِ النَّعْمِ رَشَاداً وَيُمْنَا ، الْمَانِعَةَ لِمَكَائِدِ النَّقَمِ فُرَادَى وَمَشْنَى ، الَّتِي ضَاعَ فِيهَا
نَشْرُ الْفَضَائِلِ وَفَاحٌ ، وَذَاعَ مِنْهَا بِشْرُ الْفَوَاضِلِ فَلَاخٌ عَلَيْهَا الْفَلَاخُ : [من الكامل]
أَرْضٌ بِهَا فَلَّكَ الْمَعَالِي دَائِرُ
وَالشَّغْنُ تُشْرِقُ وَالْبُدُورُ تُحُومُ
وَبِهَا مِنَ الزَّهْرِ الْمُضْطَّدِّ أَنْجُمُ
وَلَهَا عَلَى أَفْقِ السَّمَاءِ نَجُومُ
وَالْيَدُ الَّتِي : [من الكامل]
هِيَ لِلنَّدَى مَمْدُودَةٌ مَنَشُورَةٌ
وَعَلَى الرَّدَى مَزْدُودَةٌ مَقْصُورَةٌ
وَبِأَنْوَاءِ الدَّيْمِ وَآكِفَةٌ ، وَعَلَى إِسْدَاءِ النَّعْمِ عَاكِفَةٌ : [من الوافر]
يَدٌ دَرَّتْ وَرَدَّتْ كُلُّ بَاغٍ
وَحَوَّلَتْ الْوَرَى كَرَمًا وَمَنَا
يُريكَ يَسَارَهَا أَوْفَى يَسَارٍ
وَبِالْيُمْنَى تَنَالُ نَدَى وَيُمْنَا
وَالْكَفَّ الَّتِي عَمَّ جُودُهَا النَّاسَ كَافَّةً ، وَتَمَّ فَضْلُهَا فِيهَا بِالْخَيْرِ حَافَةً
وَاللَّشْرُ كَافَةً : [من الطويل]
إِلَيْهَا مَقَالِيدُ التَّقَالِيدِ تَنْتَهِي
وَمِنْهَا مَنَاشِيرُ التَّبَاشِيرِ تَخْرُجُ^(٢)
وَشَابَهَتِ الْبَحْرَ الْخِصْمَ أَلَا تَرَى
أَصَابِعَهَا فِيهَا التَّنْدَى يَتَمَوَّجُ
وَيَنْتَهِي دُعَاءُهُ الَّذِي تُسَابِقُهُ الْإِنَابَةُ ، وَتُسَاوِقُهُ الْقَبُولُ وَالْإِجَابَةُ : [من الطويل]

- (١) روايته في ب :
عطاؤك مأمولٌ وظلُّك وافرٌ
وفى أ : × وبابك مسؤول !
(٢) في م : إليها مقاليد المقاليد . . . ×

- (١) تصحيف نيل : نيل .
(٢) عكسه : لين ، وإذا زال منه حرف : لن . وفي م : . . . فلن ترى × . . . فضول .
(٣) نيل : فيه حرفان من : خليل ، اسم الصفدي . وفي حاشية م : ط : وأصول .
(٤) في ب : . . . ندعو سواك لحله × .
(٥) في م : × ودمعي . . .
(٦) في م : وإن لم . . . كما × .
(٧) سقط هذا البيت من ب . وفي أ : × . . . والفروض نقول ! . وتعول : تزداد .

فِي أَنْ صَحَّ ظَنِّي وَاسْتَجِيبَ فَشَمَلْنَا سَيَجْمَعُهُ الرَّحْمَنُ فِي مَضَرٍ عَنْ قُرْبٍ
وَتَنَاءُ الَّذِي يَتَمُو عَلَى الْحَدَثَانِ ، وَيَسْمُو فَلَيْسَ لَهُ ثَانٍ وَلَا عَنَّهُ ثَانٍ ، فَهُوَ :

[من مجزوء الكامل]

يُعْرِى مُحَاسِنَ وَضْفِيكُمْ مُتَعَلِّقٌ مُتَمَسِّكُ
وَيَطِيبُ رِيًّا ذِكْرَكُمْ مُتَعَطِّرٌ مُتَمَسِّكُ

وَوَلَاءَهُ الَّذِي : [من الطويل]

تَعَوَّدَهُ قَلْبِي اشْتِيَاقاً وَإِنَّمَا « لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا »^(١)
وَيَحْفَظُ لِلْوَصْلِ الْقَدِيمِ أَيَادِيًا « وَمَنْ لَكَ بِالْحَرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا »^(٢)

وَوُرُودُ^(٣) مُشْرِفِهِ الَّذِي [١٤ ب] شَرَحَ الصُّدُورَ ، وَمَنَحَ الْقَلْبَ الْفَرَحَ ، فَلَيْسَ
لَهُ عَنْهُ صُدُورٌ ، الْمُشْتَمِلُ عَلَى الْإِحْسَانِ الَّذِي يَعْجُزُ عَنْ شُكْرِهِ لِسَانُ الْإِنْسَانِ ،
وَالْمُحْتَوِي مِنَ الْفَضْلِ الْعَمِيمِ ، عَلَى كُلِّ حَدِيثٍ وَقَدِيمٍ : [من الطويل]

تُقَصِّرُ عَنْ مَبْدَأِهِ غَايَةً غَيْرَهُ « وَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمُتَطَاوُلُ »^(٤)
وَتَرْجِعُ أَيْدِي النَّاسِ دُونَ مَنَالِهِ وَأَيْنَ الثَّرِيَّا مَنْ يَدُ تَتَنَاوُلُ
فَعَامَلَهَا الْمَمْلُوكُ بِالْإِعْظَامِ وَبَجَلَهَا ، وَقَابَلَهَا بِمَا يَجِبُ مِنَ الْإِكْرَامِ وَقَبَلَهَا :

(١) العجز للمتنبي ، من قوله : [ديوانه ٢٨١/١]

لكل امرئ من دهره ما تعوّدَا وعادة سيف الدولة الطعن في العبدَا

(٢) العجز للمتنبي ، من قوله : [ديوانه ٢٨٨]

وما قتل الأحرار كالغفو عنهم وفي ب : ويحفظ للفضل ×

(٣) في أ : وورد . وفي م : ورد .

(٤) العجز لأبي العلاء المعري ، من قوله : [سقط الزند ٥٥٢/٢]

وإن كنت تبغي العيش فابغ توشطاً فعند التناهي يقصر المتطاول وينظر الغيث المسجم ١١٩/١ - ١٢٠ .

[من مجزوء الكامل]

تَقْبِيلٌ مُشْتَقٍ بَرَا هُ مِنْ التَّفَرُّقِ مَا بَرَا^(١)
عَبْدٌ يَهِيهِمْ إِذَا تَفَكَّ كَرَفِيكُمْ وَتَدَبَّرَا
طَابَتْ بَارِيحُ الْهَوَى خَبَرًا لَدَيْهِ وَمُخْبِرَا
وَيَشُوقُهُ مِنْ نَحْوِكُمْ عَزَفُ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى^(٢)
أَهْ عَلَى عَيْشٍ تَقْضُ ضَى فِي دَمَشَقٍ وَأَذْبَرَا
وَزَمَانٍ أَنْسٍ كَانَ ثَوُ بُ اللَّهُ فِيهِ مُحَبَّرَا
أَزْتَاحٍ فِيهِ مَسَرَّةٌ وَأَشْمُ مِنْهُ الْعَنَبَرَا
وَلَى فَكْسَرِي بَعْدَهُ بِسَوَى اللَّقَالَنِ يُجَبَّرَا

وَفَرَحَ الْمَمْلُوكُ بِصِحَّةِ مَوْلَانَا وَعَافِيَتِهِ ، وَتَشَرَّفَ بِمُرَاسَلَةِ مَوْلَانَا وَمُكَاتَبَتِهِ ،
وَابْتَهَجَ بِوُفُودِهَا عَلَيْهِ ، وَاسْتَغْطَمَ وَرُودَهَا إِلَيْهِ^(٣) : [من الطويل]

أَتَتْنِي فَاتَتْنِي الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا وَحَيَّتْ فَاحَيَّتْ لِي مَنَى وَمَارِبَا^(٤)
وَقَدْ كُنْتُ عَبْدًا لِلْكِتَابَةِ أَبْتَغِي فَرَقْتُ عَلَى رَقِي فَصِرْتُ مَكَاتِبَا

وَبَادَرَ الْمَمْلُوكُ إِلَى امْتِنَالِ الْإِشَارَةِ الْعَالِيَةِ ، وَلَمْ يُمَهِّلْ مَمَارَسَةَ مَوْلَانَا شَيْئًا
بِالْجُمْلَةِ الْكَافِيَةِ ، وَقَدْ طَالَعَ عُلُومَ الْوَالِدِ - أَمْتَعَ اللَّهُ بِحَيَاتِهِ - بِمَا اتَّفَقَ ، وَأَعْلَمَهُ
بِمَا سَيَعْلَمُ بِهِ مَوْلَانَا وَيُزِيلُ عَنْهُ الْقَلْقَ ، وَاللَّهُ يُحَقِّقُ مَا تَعَلَّقْتُ بِهِ الْأَطْمَاعُ ،
وَيُقَدِّرُ فِي الدَّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الْاجْتِمَاعَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) في أ : تفريق مشتاق . . . × وفي م : × من التشوق ما برا .

(٢) في س : × . . . إذا انبرى .

(٣) هما له في الذيل على العبر ٣٣٦/٢ وإنباء الغمر ٢٢/١ والمتقى من درة الأسلاك ٤١٤ وشفوات الذهب ٣٨٨/٨ .

(٤) من ب : أتتني فأتاني . . . × .

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه عن ذلك^(١) : [من الطويل]

أَزْهَرُ رِيَاضٍ جَادَهَا وَإِبْلُ الْحَيَا
فَأَصْبَحَ عَطْفُ الْغُضَنِ مِنْ مَرَحِ الصَّبَا
وفاءت على شاطي الجداولِ دَوْحَةً
وإنْ ذَرَّ فِي أَقْطَارِهَا مِسْكُهُ الدُّجَى
فَأَشْبَهَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ وَقَارَبَتْ
أَمَ الطَّرْسُ وَشَتَّهُ أَنْامِلُ فَاضِلِ
أَبِي حَامِدٍ رَبِّ الْمَحَامِدِ وَالْعُلا
مَنْ الْخَزَرْجِيِّنَ الَّذِينَ عَلَاهُمْ
يَشِيدُونَ مَجْدًا شَأْوُهُ غَيْرُ مُدْرِكِ
حَبَانِي بِهِاءِ الدِّينِ أَزْكَى تَحِيَّةِ
أَتَتْ تَهَادِي فِي حُلِيِّ بِلَاغَةٍ
فَأَبْصَرْتُ مِنْهَا رَوْنَقَ الْأَدَبِ الَّذِي
وَحَقَّقَ لِي عِلْمِي بِأَنَّكَ وَاحِدٌ
تَقَرَّدَ فِيهَا حَازُهُ مِنْ فَضَائِلِ
مَبَاحِثِهِ فِي كُلِّ ظَلَمَةٍ مُشْكِلِ
يَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ قَوْلُهُمْ
« أَلَا يَا بِهِاءَ الدِّينِ إِنَّكَ سَيِّدٌ
أَجَدْتَ نِظَامًا حِينَ أَغْرَبْتَ مَقْصِدًا
وطافَتْ عَلَيْهَا لِلشَّمَالِ شَمُولُ
يَمِيدُ إِذَا هَبَّتْ صَبَاً وَيَمِيلُ
فَحَاكَتْ عِذَارَ الْخَدِّ وَهُوَ صَقِيلُ
أَسَالَ عَلَيْهَا الزَّعْفَرَانُ أَصِيلُ
بِأَنْجُمِ زَهْرٍ مَا لَهُنَّ أَفُولُ
تَقَرُّ لَهُ بِالْعَجَزِ عَنْهُ فُحُولُ
وَمَنْ لَا لَهُ فِيمَا يَرُومُ عَدِيلُ
غَدَا ظِلُّهَا فِي الْفَضْلِ وَهُوَ ظَلِيلُ
وطابتُ فُرُوعُ مِنْهُمْ وَأُصُولُ
تَطِيبُ صَبَاً مِنْ نَشْرِهَا وَقَبُولُ
يَقُومُ الثَّنَافِي وَصَفِهَا وَيَقُولُ
يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ
« وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالِمٌ وَجْهُولُ »^(٢)
« وَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ »
« لَهَا غَرَرٌ مَغْلُومَةٌ وَحُجُولُ »
« وَلَا يُتَكْرَمُونَ الْقَوْلَ حِينَ يَقُولُ »
« قَوْلُ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ »
وَلَطَفَتْ مَعْنَى حَيْثُ أَنْتَ جَلِيلُ

(١) منها اثنا عشر بيتاً في المتنقي من دُرَّةِ الْأَسْلَاقِ ٤١٥ .

(٢) الْأَعْجَازُ الْخَمْسَةُ الْآتِيَةُ مِنْ قَصِيدَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْحَارِثِيِّ ، فِي دِيْوَانِهِ ٨٩ - ٩٠ .

وَتَنَسَّبَ لِلشَّمُولِ ، فِي دِيْوَانِهِ ١٠ - ١٢ .

وَالْعَزَتْ فِي جَارٍ كَثِيرٍ وَفَاؤُهُ
يَسِيرُ وَيَسْرِي مِثْلَمَا قُلْتَ دَائِمًا
تَجُرُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ فَاضِلٌ بُزْدَهَا
إِذَا أَعْجَبَ الْكُفَّارَ فَيَضُ نَوَالِهِ
عَدِيمُ الْوَفَا عِنْدَ الصَّفَا إِذَا بَدَا
تَرَاهُ بِلَا كَفٍّ وَكَمْ إِضْبَعُ لَهُ
وَأَخْرَهُ جَمْعٌ وَأَوْسَطُهُ نِدَاً
وإنْ قِيلَ : مَا هُوَ؟ قُلْتَ : مَا هُوَ حَقِيقَةٌ
أَخُو السَّرِّ كَمْ غَطَّى مِنَ النَّاسِ عَوْرَةً
وَحُلُوْ خَفِيفٌ لِلْقُلُوبِ مُحَبَّبٌ
وَكُلُّ عَرُوضِي يَرَى أَنَّ بَخْرَهُ
ضَعِيفُ الْقَوَى مَا رَدَّ رَاحَةً لَامِسِ
وَأَعْجَبُ مَا فِيهِ صَحِيحٌ لِعَايَةِ
تُرَاغٍ يَرَاغُ الْأَرْضِ مِنْهُ إِذَا طَغَى
وَمَا يُنْصَرُّ الشُّلْطَانُ إِلَّا بِكُشْرِهِ
قَطَعْتَ بِهِ لَيْلَ التَّمَامِ مُسَهِّدًا
فَأَوْضَحَ مَعْنَاهُ وَأَبْدَى غَمُوضَهُ
وَلَيْسَ يَدْعُ أَنْ يَرَى صِنُوكَ الْهُدَى
وَرَبَّتْ مَا قَدْ رَاحَ وَهُوَ قَلِيلُ^(١)
[١٥] وَتَمَّ جِنَاسُ اللَّفْظِ حِينَ يَسِيلُ
فَيُضْبَحُ مِنْهُ الدَّيْلُ وَهُوَ بَلِيلُ
فَإِحْسَانُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَصُولُ
تَغْيِيرُهُ فَالْخَيْرُ مِنْهُ جَزِيلُ
تُعَدُّ أَيَادِيهَا وَذَاكَ يَطُولُ
وَأَوَّلُهُ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ يَزُولُ^(٢)
يَصُوبُ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى وَيَصُولُ^(٣)
وَجُرَتْ عَلَيْهِ لِلْقَيْحِ ذُبُولُ^(٤)
وَأَمَّا سِوَاهُ بَارِدٌ وَثَقِيلُ
بَسِيطٌ مَدِيدٌ وَافِرٌ وَطَوِيلُ
صَبُورٌ لِأَثْقَالِ الْأَنَامِ حَمُولُ
فَيَا عَجَباً وَالْقَلْبُ مِنْهُ عَلِيلُ^(٥)
وَيُؤْمِنُ لَمَّا أَنْ يُخَافُ سَبِيلُ
وَذَاكَ مُرَادٌ لِلْأَنَامِ وَمُسُولُ
وَلَمْ يَبْدُ لِي مِنْهُ عَلَيْهِ دَلِيلُ
أَخُوكَ جَمَالَ الدِّينِ دَامَ يُبِيلُ
وَفَكَّرْتُكُمَا فِي الْغَامِضَاتِ يَجُولُ

(١) غِي س : - - - كبير وفلاؤه × .

(٢) أَخْرَهُ لِأَمٍّ - يَسْهِيلُ الْهَمْزَةَ - جَمْعٌ . وَأَوْسَطُهُ تَدَاءُ : يَتَابَا ، لِاجْتِمَاعِ الْقَوْمِ - وَأَوَّلُهُ نُونٌ : سَمَكٌ .

(٣) قَوْلُهُ : مَا هُوَ حَقِيقَةٌ : مَا هُوَ حَقِيقَةٌ .

(٤) فِي م : . . . عَلَى النَّاسِ عَوْرَةً × .

(٥) الْقَلْبُ مِنْهُ عَلِيلٌ : أَوْسَطُهُ حَرْفُ عِلَّةٍ (نِيلٌ) .

فلا زِلْتَ مِثْلَ الْبَحْرِ يُبْدِي عَجَائِبًا وَيُطْفَحُ مِنْ فَيَاضٍ فَضْلِكَ نِيْلُ
يُتَبَلُّ الْأَرْضَ حَيْثُ سَحَابُ الْفَضَائِلِ تَجُودُ ، وَكَوَائِبُ الْبَدَائِعِ سُعُودُ ،
وَلِيَالِي الْمُخَالِفِ يَنْضُ وَأَيَّامُ الْمُخَالِفِ سُودُ ، وَمَعَانِي النَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ لِلْفُصُولِ
فُصُوصٌ وَلِلْعُقُولِ عُقُودُ ، وَمَجَالِسُ الْجُودِ مِنْهَا لِحِبَاهِ الرَّاغِبِينَ فِيهَا مَجَالُ
سُجُودٍ : [من الخفيف]

فَهِيَ أَرْضٌ لَمَّا وَطِئْتَ عَلَيْهَا أَكْسَبَتْ عَنَبَرَ الْمَفَارِقِ طَيْبًا
وَيُنْهِي بَعْدَ وَلَاءٍ لَا يَزَالُ مِنْهُ بَيْنَ خَفَقِ أَلْوِيَةِ وَبُنُودٍ ، وَدُعَاءٍ لِصِدْقِ رَفْعِهِ إِذَا
خَضَرَ إِبْجَابَةَ مَشْهَدٍ فَالْمَلَائِكَةُ شُهُودُ ، وَثَنَاءٌ يَنْبَلِجُ وَيَتَأَرَّجُ بَيْنَ نُجُومِ نَرْجِسٍ
وَشُمُوسِ وَرُودٍ : [من الخفيف]

فَتَرَاهُ فِي صَفْحَةِ الدَّهْرِ سَطْرًا جَعَلْتَ نَقْطَهُ الْعُقُولُ قُلُوبًا
وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، فَضَوًّا يَنْوِرُهُ الْوُجُودُ ، وَأَشْبَهَ طِرْسُهُ أَيَّامَ
الْوِصَالِ ، وَنَفْسُهُ لِيَالِي الضُّدُودِ ، وَحَكَى سَطْرُهُ الْجَدُولَ الْمُطَرِّدَ ، وَنَقْطَهُ
الْحَبِّبِ الْمُتَضَدِّ ، وَهَمَزَتُهُ الطَّيْرَ الْغَرْدَ ، وَأَلْفَهُ الْغُضْنَ الْأُمْلُودَ : [من الخفيف]

فَبَكَتْ مُقَلَّتِي سَحَابًا وَغَرَّ دَثَ حَمَامًا ثُمَّ أَهْتَزَزْتُ قَضِييَا
وَرَأَيْتُ تِلْكَ الْجَنَّةَ الَّتِي أُرْلَفْتُ ، وَالرِّيَاضَ الَّتِي تَزَيَّنْتُ بِالْأَزْهَارِ
وَتَزَخَّرْتُ ، وَالْفَضَائِلَ الَّتِي فُرِّقْتُ فَضَائِلُهَا عَلَى الْمَحَاسِنِ الَّتِي تَأَلَّفْتُ ،
وَالْفَوَائِدَ الَّتِي رَسَبَتْ الْجَوَاهِرُ ثِقْلًا وَهَذِهِ لِلطُّفْهِهَا طَفْتُ ، فَلَوْ رَأَاهَا الْفَاضِلُ
لَنَقَصَ ، أَوْ ابْنُ الْأَثِيرِ لَأَسْتَحَقَّهُ الطَّرْبُ وَرَقَصَ ، أَوْ ابْنُ النَّبِيِّ^(١) لَرَقَدَ طَرْفُهُ ، أَوْ

(١) ابن النبية : علي بن محمد بن الحسن ، كمال الدين ، الشاعر المصري المشهور ؛ توفي سنة ٦١٩ هـ . (فوات الوفيات ٦٦/٣) .

ابْنُ أَبِي الإِصْبَعِ^(١) لَا تَقْطَعُ عِنْدَهَا كَمُّهُ ، أَوْ الْجَزَّازُ^(٢) لَعَدَّ نَفْسُهُ فِي الْأَنْعَامِ ، أَوْ
السَّرَاجُ^(٣) لَطْفَىءَ نُورُهُ وَمَشَى بِغَيْرِ هُدًى فِي الظَّلَامِ ، أَوْ ابْنُ النَّقِيبِ^(٤) لَشَقَّ
النَّاسَ عَصَا الطَّاعَةِ لَهُ فِي الْأَدَبِ ، أَوْ النَّصِيرُ الْحَمَّامِيُّ^(٥) لَكَسَرَ قَسْطَ نَصْرِهِ
وَحَمَدَ مَا عِنْدَهُ مِنَ اللَّهَبِ ؛ فَعَيْنُ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمِ السَّحَّارَةِ ، وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي
أَخْمَلْتُ مَا فِي الْأَخْدَاقِ [١٥ ب] مِنْ نَظَرَاتٍ وَمَا فِي الْحَدَائِقِ مِنْ نَضَارَةٍ ،
وَالْمَعَانِي الَّتِي مَا أَشْبَهَ الدِّيَاجِي مِدَادُهَا^(٦) إِلَّا وَهِيَ مِثْلُ الْكَوَائِبِ السَّيَّارَةِ ؛ لَقَدْ
نُفِثَ سِحْرُهَا مِنَ الْأَقْلَامِ فِي الْعُقَدِ ، وَشَدَّتْ كُلَّ لِسَانٍ يُحَاوِلُ الْجَوَابَ عَنْهَا
بِحَبْلِ مِنْ حَسَدٍ ، وَخَلَقَتْ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْعَصْرِ لَهَا الْحَسَدَ ، وَأَمْسَى كُلُّ سَطْرٍ
فِي رَوْضَتِهَا مُسْتَهْجًى وَعَلَيْهَا مِنْ سَبَقِ مَوْلَانَا رَصْدٌ ؛ فَاحْسِنِ عِتَانَكَ فَمَا ثَمَّ مَنْ
يُجَارِي ، وَأَخْبَأْ بَضَائِعَ إِنْشَائِكَ فَمَا تَصِلُ كَفُّ مُنَاوِيءٍ إِلَى هَذِهِ الْمَدَارِي ؛ فَإِنَّكَ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِ^(٧) : [من البسيط]

- (١) ابن أبي الإصبع : عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ، العدائني المصري ، الشاعر المشهور ؛ توفي سنة ٦٥٤ هـ . (الوافي ٧/١٩) .
- (٢) الجزاز : يحيى بن عبد العظيم ، أبو الحسين ، الأديب المصري ؛ توفي سنة ٦٧٩ هـ . (الفوات ٢٧٧/٤) .
- (٣) السراج الوراق : عمر بن محمد بن حسن ، الشاعر المصري المشهور ؛ توفي سنة ٦٩٥ هـ . (الفوات ١٤٠/٣) .
- (٤) ابن النقيب : الحسن بن شاور بن طرخان ، المعروف بالفقيسي ، أديب شاعر ؛ توفي سنة ٦٨٧ هـ . (الفوات ٣٢٤/١) .
- (٥) النصير الحمَّامي : النصير بن أحمد بن علي المتناوي ، الأديب المصري ، توفي سنة ٧١٢ هـ . (الفوات ٢٠٥/٤) .
- (٦) في م : نفسها . وهما بمعنى .
- (٧) البيت للعرنيس الكلابي ، أو لابنه عُبيد بن العرنيس ، في : الحماسة بشرح المزمزوقي ١٥٩٥/٤ ويشرح الأعلام ٩٠٣/٢ وسقط اللآلي ٥٤٦/١ وكامل المبرد ١٠٦/١ وشرح العيون ٤٢٣ ومعجم الشعراء ١٧٣ .

وهو لعقيل بن العرنيس في حماسة ابن الشجري ٣٥٩/١ . وبلا نسبة في تعبير الزُّوِّيَا ١١٢ .
- وفي هامش أ : يهدي . مقابل : يسري بها الساري .

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِنْلِ الثُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
فَلَقَدْ تَقَسَّمَ ذَهْنُ الْمَمْلُوكِ فِي هَذَا اللَّغْزِ الْبَدِيعِ ، وَالنَّظْمِ الَّذِي سَلِمَ فِيهِ
خَاسِرٌ وَمُسْلِمٌ مِنْهُ صَرِيحٌ ، تَلَعَّبَ^(١) فِيهِ مَوْلَانَا بِأَنْوَاعِ عُلُومِهِ ، وَسَيَّرَ فِي لِيَالِي
سُطُورِهِ زَوَاهِرَ نُجُومِهِ ، فَمَا وَسَمَ الْمَمْلُوكُ فِيهِ غُفْلًا ، وَلَا فَتَحَ مِنْهُ قُفْلًا ، حَتَّى
أَبْرَزَهُ الْمَوْلَى الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ أَخُو مَوْلَانَا شَمْسًا تُسْفِرُ ، وَجَعَلَ آيَاتَ مُعَمَّاهُ
وَعَوِيصَهُ خَالِيَةً تُصَفِّرُ ، فَالشُّكْرُ لَهُ بِحَقِّ وَاجِبٍ ، وَالثَّنَاءُ عَلَى إِفَادَتِهِ إِثَانًا ضَرْبُهُ
لَا زَبٍ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَتَّخِذُ هَذِهِ الْحَالَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ نَضْبًا ، وَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ
كَعَيْشِ أَبِي الطَّيِّبِ لَمَّا قَطَعَهُ وَثِيًّا ؛ وَاللَّهُ يَجْعَلُ كَوَاكِبَ الْمُحَامِدِ^(٢) لَهُ تَسِيرٌ فِي
الْآفَاقِ شَرْقًا وَغَرْبًا .

الْمَمْلُوكُ يُقْبَلُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْمَخْدُومِ الْمُجَبِّي ، بَسَطَ اللَّهُ ظِلَالَهُ ، وَقَدْ
وَقَفَ عَلَى الْفَضْلِ الْمُخْتَصِّ بِهِ فِي كِتَابِ مَوْلَانَا قَاضِي الْقَضَا أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ ،
فَأَنشَدَ : [من الكامل]

وَوَعَدْتَنِي يَا مَالِكِي بِزِيَارَةٍ فَبَقِيتُ طُولَ اللَّيْلِ أَتْلُو ﴿ هَلْ أَتَى ﴾^(٣)

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ أَهْنُهُ مِنَ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَقَدْ رُسِمَ لَهُ أَنْ يَكُونَ مُفْتِي
دَارِ الْعَدْلِ الشَّرِيفِ بِالْأَبْوَابِ الْعَالِيَةِ ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةِ ٧٤٩ : [من

البيسط]

عَجِبْتُ مِنْ دَارِ عَدْلٍ أَنْتَ مُفْتِيهَا وَكَوْنُهَا لَمْ تَطْرُ مِنْ عُجْبِهَا تِيهَا
أَنْتَ تَطِيرُ فِيهَا مِنْكَ طَوْذُ حِجِّي عُلُومُهُ تَمْلَأُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

(١) فِي ب : نَفَث .

(٢) فِي أ ، الْمَدَائِحُ . وَفِي هَامِشِهِ : الْمُحَامِدُ .

(٣) سُورَةُ الْإِنْسَانِ : ١ .

فَالآنَ قَدْ نَظَرَ الرَّأْيُ الشَّرِيفُ بِمَا فِيهِ السَّدَادُ وَأَعْطَى الْقَوْسَ بَارِيهَا
وَكَانَ دَسْتًا شَرِيفًا لَيْسَ يُعَوِّزُهُ إِلَّا جَوَاهِرُ فِي الْإِفْتَاءِ تُبْدِيهَا
تَهْنَأُ الدَّوْلَةُ الْغَرَاءُ مِنْكَ بِكَأ فِي فِي قُتُوتِهَا أَوْ فِي قَتَاوِيهَا
فَانْهَضْ بِعِزِّكَ الْعُلْيَا إِلَى رُتَبِ أَوْجِ الثُّجُومِ حَضِيضٍ فِي مَرَايِهَا
وَدَعْ حَسُودَكَ فِي غَيْظِ فَرُبَّتَمَا كَانَتْ مَنَايَا الثُّفُوسِ فِي تَمَيُّهَا^(١)
لَمْ يُذْنِكِ النَّاصِرُ السُّلْطَانُ مِنْهُ سُدَى وَلَمْ يَكُنْ أَمْرُكَ الْمَيْمُونُ تَمْوِيهَا
لَكِنْ مِنْهَا جَكَ الْوَضَاحُ مُشْتَهَرٌ فَمَا تُرِيدُ عَلَى عَلَيْكَ تَنْبِيهَا
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُهَيِّئُ نَفْسَهُ أَوَّلًا بِهَذِهِ الْوُظُفَةِ السَّيِّئَةِ ، وَالْأَنَامُ ثَانِيًا ؛ فَإِنَّ
الْعُلَمَاءَ هُمْ أُولُو الْأَمْرِ الْمُطَاعِ فِي الْبَيْرَةِ ، وَمَوْلَانَا بَسَطَ اللَّهُ ظِلَّهُ ثَالِثًا^(٢) : [من
الكامل]

وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْتَنِي هَنَاتُهُ وَأَنَا الْمُهْنَأُ فِيهِ بِالنَّعْمَاءِ
وَيُنْهِي مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الشُّرُورِ الَّذِي نَفَسَ عَنْهُ كُرْبَ الشُّوقِ ، وَالْفَرَحِ الَّذِي
أَبْهَجَهُ وَكَانَ الْبُعْدُ قَدْ جَرَّهُ إِلَى الْهَلَاكِ بِالطُّوقِ ، وَمَا يَظُنُّ الْمَمْلُوكُ ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ
مُقْلَمَةٌ تُنْتِجُ^(٣) أَمَانِي الثُّفُوسِ عَاجِلًا ، وَتَقَرُّ الْعُيُونُ بِرُؤْيَا مَوْلَانَا كَمَا نُحِبُّ ، فَإِنَّ
ذَلِكَ لِقَدْ آهًا جَلَا ، « وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا »^(٤) ، [١٦٦] « وَلَمْعَةُ الْبَرْقِ
يَأْتِي بَعْدَهَا الْمَطَرُ » ، « وَابْتَدَأَ أَوَّلُ مَا يَكُونُ هَلَالًا »^(٥) : [من البسيط]

(١) فِي ب ، س ، م ، خ : كَانَتْ مَنَايَا ثَانِيًا .

(٢) الْبَيْتُ لِأَبِي إِسْحَاقِ الصَّايِي ، فِي بَيْتَةِ الدَّهْرِ ٢/٢٨٣ وَمَسَالِكِ الْأَبْصَارِ ١٢/٣٧ .

(٣) فِي ب : تَهَيَّجَ .

(٤) مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ : [دِيَوَانُهُ ٨٥]

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجَدَدْنَا . وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

(٥) الْبَيْتُ لِلْبَحْتَرِيِّ ، فِي دِيَوَانِهِ ١/١٧١ .

وَرَوَاتِهِ فِي أ : وَأَزْرَقَ الْبَطْحَ . . . ! . وَفِي ب : وَأَزْرَقَ الصَّبْحَ يَأْتِي . . . × . . . ثُمَّ
يَنْهَمِلُ .

وَأَزْرَقُ الصُّبْحِ يَبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرٌ ثُمَّ يَنْسَكِبُ
فَاللهُ يُوزِعُنَا - مَعَشَرَ الْأَوْلِيَاءِ - شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي لَا يُقَدِّرُهَا الْجَاهِلُ حَقَّ
قَدْرِهَا ، وَلَا يَتِمَكَّنُ الظَّرْفُ الْأَعْمَى مِنَ التَّمَلِّي بِسَنَا شَمْسِهَا ، وَلَا مِنْ اسْتِجْلَاءِ
وَجْهِ بَدْرِهَا ، وَقَدْ قَالَ الْمَمْلُوكُ : [من مجزوء الرمل]

حَاسِدَ الشُّبْكِيِّ بَغِيًّا بِتِّ فِي خَطْبٍ وَشِيكَ
أَنْتَ لِلشُّوْقَةِ تَفْتِي وَهُوَ يُفْتِي لِلْمَلِيكَ
وَلَكِنَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ مَنَعْتَنَا التَّمَلِّي بِوَجْهِ مَوْلَانَا ، لَا أَخْلَى اللهُ مِنْ
إِحْسَانِهِ حَيْثُ كَانَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَرُورُ دَمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيَرِيدُهَا
مَحَاسِنَ ، وَيَعْلَمُهَا مِنْ أَخْلَاقِهِ اللَّطْفَ ، فَتَمْسِي وَنَسِيمُهَا مُتَأَرِّجٌ ، وَمَاوَاهَا غَيْرُ
أَسِينٍ ؛ وَلِلَّهِ الْقَائِلُ^(١) : [من الطويل]

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافَنَا فِي نُفُوسِنَا وَأَسْعَفَنَا فِي مَنْ نُجِلُّ وَنُكْرِمُ
فَقُلْتُ لَهُ نِعْمَاكَ فِيهِمْ أَتَمَّهَا وَدَعْ أَمْرَنَا إِنَّ الْمُهْمَّ الْمَقْدَمُ
وَاللهُ تَعَالَى يُكْمِلُ بِهِ الْمَسْرَةَ ، وَيُدِيمُ لَهُ الْمَبَرَّةَ ، وَيَجْعَلُ عَلَى الْكَوَاعِبِ
مَقَرَّةً ، وَإِلَى سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ مَمَرَةً ؛ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من البسيط]

أَهْلًا بِهَا مِنْ عُقُودٍ ظَلَّ مُهْدِيهَا يُضْبِي الْعُقُولَ لِمَا أَبْدَى وَيَهْدِيهَا
وَمِنْ رِيَاضٍ بَكَّتْهَا الشُّجْبُ فَابْتَسَمَتْ مِنْهَا الْأَزَاهِرُ وَازْدَانَتْ مَغَانِيهَا
وَمِنْ كُؤُوسٍ مُدَامَ قَدْ زَحَفْنَ عَلَى جَيْشِ الْهَمُومِ بِلُطْفٍ فِي مَعَانِيهَا^(٢)

(١) البيهقي لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، في : أدب الكتاب ٢٣٤ والتذكرة الحمدونية ١٥٧/٤ ووفيات
الأعيان ٤١٨/٢ و١٢١/٣ .

(٢) في أ ، س : قد زحفت على × .

للهُ أَيْبَاتُكَ الْغُرَّ الْحِسَانَ لَكُمْ أَبَدَتْ بَدِيعَ الْقُوَى فِيهَا قَوَافِيهَا
يَكَادُ بَذَرُ الدُّجَى لَوْلَا تَكَلُّفُهُ إِذَا بَدَا نُورُهَا الْوَضَاحُ يَخْكِيهَا
حَلَّتْ فَحَلَّتْ غُرَى الْأَخْزَانِ عَنْ خَلْدِي كَأَنَّمَا السُّحْرُ حَشَوُ فِي حَوَاشِيهَا^(١)
لَا عَيْبَ فِيهَا سِوَى إِنْتَابِهَا لِأَخِي جَهْلُ يَوْمٍ لَهَا فِي الْحُسْنِ تَشْبِيهَا
وَأَنَّهَا أَثْقَلَتْ ظَهْرِي بِأَنْعُمِهَا وَقَصَّرَتْ يَدَ شُكْرِي عَنْ أَيَادِيهَا

وَيُنْهِي وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ أَغْلَاهُ اللهُ تَعَالَى ، وَأَدَامَ عَلَيْهِ النِّعَمَ وَوَالَى ،
فَقَبَّلَهُ الْمَمْلُوكُ ، وَقَابَلَهُ مِنَ الْإِجْلَالِ بِأَحْسَنِ الشُّلُوكِ ، وَاجْتَلَى مِنْهُ أَجْمَلَ
عَرُوسٍ ، وَاجْتَنَى ثَمَرَ الْأَدَابِ مِنْ تِلْكَ الْعُرُوسِ ، وَاجْتَلَى مِنْ كَلِمِهِ كُلَّ
مَا تَهَوَّى النُّفُوسُ ؛ غَيْرَ أَنَّهُ صَادَفَ مِنَ الْمَمْلُوكِ قَلْبًا يَتَقَلَّبُ عَلَى الْجَوَى ،
وَيَتَطَلَّبُ سَبِيلًا إِلَى الْفِرَارِ مِنَ النَّوَى ، وَيَتَصَلَّبُ عَلَى الْحُبِّ كُلَّمَا انْتَشَوَى ،
وَيَتَغَلَّبُ عَلَيْهِ دَاعِي الْهَوَى ، فَانْسَ مِنْ جَانِبِهِ نَارَ الْمُؤَانَسَةِ ، وَلَا يَسَ مِنْهُ مَا جَانَبَ
بِهِ وَسَاوَسَهُ ، وَحَمِدَ اللهُ تَعَالَى عَلَى عَافِيَةِ مَوْلَانَا الَّتِي هِيَ غُرَّةٌ فِي جَبْهَةِ الزَّمَانِ ،
وَقُرَّةٌ لِعُيُونِ الْأَعْيَانِ ؛ وَانْتَهَى إِلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ مِنَ التَّهْنِئَةِ بِمَا هُوَ مَعْدُودٌ مِنْ
إِحْسَانِهِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَلَّرَهُ عَلَى يَدِهِ وَلِسَانِهِ ؛ وَدُعَاءُ الْمَمْلُوكِ لِمَوْلَانَا لِهَذَا
مُتَضَاعِفٌ ، وَثَنَاؤُهُ مُتَرَادِفٌ ، وَوَلَاؤُهُ عَلَى الْوَلَاءِ جَارٍ وَعَلَى الْبَابِ الْكَرِيمِ
وَاقِفٌ ، وَكَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُعَجَّلَ بِالْمُطَالَعَةِ ، وَيُقَابِلَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنَ الشُّكْرِ
بِأَشَدِّ الْمُسَارَعَةِ ، وَإِنَّمَا عَاقَتُهُ الْعَوَاقِبُ ، وَشَغْلُهُ مَا شَغَلَ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ ، وَهُوَ
أَمْرٌ هَذَا الْوَبَا ، وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ مِنَ النَّبَا ، فَإِنَّهُ قَدْ عَمَّ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ ، وَعَمَّ
النُّفُوسَ وَأَذَابَ الْأَكْبَادَ ؛ وَقَدْ مِضَرَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ ، [١٦٦] فَفَقَدَ أَهْلُهَا
الْقَرَارَ وَالسَّنَةَ ، وَقَدِمَ بِعَسَاكِرِ الْمَنَآيَا ، وَأَلْفَى الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْبَرَآيَا ، وَأَبْقَى
فِي صُدُورِهِمُ الْبَلَايَا ؛ وَشَهَرَ لِكُلِّ أَحَدٍ نَصَابَهُ ، وَنَزَلَ بِبَابِ كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ

(١) في س : × كَأَنَّمَا السُّحْرُ حَشَرُ . . .

عِصَابَةٌ ، فَالنَّاسُ بَيْنَ مَيِّتٍ وَمَائِتٍ ، وَمُتَوَقِّعٍ لِلْفَوَاتِ وَفَائِتٍ ؛ وَأَصْبَحَ كُلُّ جَبَّارٍ مِنْهُ وَهُوَ خَائِفٌ ، وَيَظُنُّ أَنَّ الْمَوْتَ عَلَى بَابِهِ وَاقِفٌ ، وَمَاتَ كُلُّ حَيٍّ بِالْقُوَّةِ ، وَجَهَّزَ أَهْبَ الْمَوْتَ نَحْوَهُ ، إِنْ دَخَلَ بَيْتًا كَانَ آخِرَ أَهْلِهِ خُرُوجًا ، وَإِنْ عَدَلَ إِلَى فِنَاءٍ أَجَّجَ نَارَ الْفَنَاءِ تَأْجِيجًا ، فَقَصُرَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَمَالُ ، وَكَثُرَتِ الْأَعْمَالُ ، وَعَظُمَ التَّضَرُّعُ إِلَى اللَّهِ وَالصَّبِيحُ ، وَعَمِلَ النَّاسُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) : « إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ » .

غَيْرَ أَنَّ لَهُ خَلَائِقَ مَحْمُودَةً ، وَغَرَائِبَ لَيْسَتْ فِي سِوَاهُ مَوْجُودَةً ؛ لَا يَفَرِّقُ بَيْنَ الشَّخْصِ وَأَقَارِبِهِ ، وَلَا يُؤَزِّقُ جَفْنَ الْمَوْجُوعِ عَلَى ذَاهِبِهِ ، بَلْ إِنْ أَخَذَ وَاحِدًا أَتْبَعَهُ بِجَمِيعِ أَهْلِهِ ، وَجَمَعَ شَمْلَهُ فِي الْفَنَاءِ بِإِعْدَامِ ذَلِكَ النَّسَبِ مِنْ أَصْلِهِ ؛ لَا تَطُولُ مَعَهُ الْأَمْرَاضُ ، وَلَا تَكْثُرُ عَلَى الْجَسَدِ فِيهِ الْأَغْرَاضُ ، وَقَدْ طَالَتْ مُدَّةُ عَلَى الْأُمَّةِ ، وَقَوِيَتْ شِدَّتُهُ عَلَيْهِمُ وَالْعُمَّةُ ؛ وَاشْتَرَكَتْ فِي مُصَابِهِ الْخَلَائِقُ وَالْبُلْدَانُ ، وَعَمَّتِ الْأَشْجَانُ وَالْأَخْرَانُ .

وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي الْوُجُودِ ، وَلَمْ يَقَعْ نَظِيرُهُ فِي أَغْصَارِ الْجُدُودِ ؛ وَأَيُّ طَاعُونَ دَخَلَ الْأَرْضِينَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَوَصَلَ إِلَى الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ؟ وَطَاعُونَ الْجَارِفِ بِالنَّسَبَةِ إِلَيْهِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ ، وَطَاعُونَ عُمُوسَ كَالْقَطَرَةِ مِنْهُ فِي الْقِيَاسِ ، وَطَاعُونَ الْأَشْرَافِ خَاصُّ بَعْضِ الْأَصْنَافِ ، وَطَاعُونَ الْفَتَيَاتِ ، لِغَيْرِ الْأَبْكَارِ لَمْ يُوَاتِ ^(٢) ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي التَّضَرُّعِ (إِلَى اللَّهِ) فِي اِزْتِفَاعِ هَذِهِ النَّازِلَةِ ، وَانْقِطَاعِ هَذِهِ النِّقْمَةِ بِنِعْمَةٍ عَاجِلَةٍ .

وَأَمَّا عَدَمُ سَفَرِ الْمَمْلُوكِ إِلَى دِمَشْقَ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، فَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَلَامِ ^(١) : [مِنْ الْبَسِيطِ]

مَا كُلُّ مَا يَمْنَى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ وَمِمَّا سَنَحَ لِلْمَمْلُوكِ عِنْدَ وَصُولِهِ إِلَى هَا هُنَا : [مِنْ الْوَافِرِ]

أَجْبُكَ لَا لِأَمْرِ دُنْيَوِيٍّ يُسَاعِدُنِي عَلَى طُرُقِ النَّجَاحِ وَلَكِنْ كُلُّ ذِي عَقْلٍ وَدِينٍ وَجَدْنَاهُ يَمِيلُ إِلَى الصَّلَاحِ وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ التَّشْرِيفَ بِالْمَرَامِسِ وَالْخِدْمِ ، وَمَا تَجَدَّدَ مِنَ النَّظْمِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ .

أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ الْمِعْمَارُ لِنَفْسِهِ ^(٢) : [مِنْ السَّرِيعِ]

يَا مَنْ تَمَنَّى الْمَوْتَ قُمْ وَاعْتَنِمْ هَذَا أَوَّانَ الْمَوْتِ مَا فَاتَا قَدْ رَخَّصَ الْمَوْتَ عَلَى أَهْلِهِ وَمَاتَ مَنْ لَا عُمْرَهُ مَاتَا وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْمَعُ الشَّمْلَ بِمَوْلَانَا عَلَى أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ ، وَيُبْلِّغُهَا نِهَآيَةَ الْأَمَالِ ، وَالْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَوَالِي وَيُجِلُّهُمْ عَنِ التَّلَفُّظِ ^(٣) ، وَيَحْفَظُ لِسَانَهُ عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ التَّحْفِظِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَكْثُرُ مِنْ تِلَاوَةِ سُورَةِ النَّملِ ، وَيَكْفِي ذَلِكَ فِي الْعِلْمِ بِهِمْ ، جَمَعَ اللَّهُ بِهِمُ الشَّمْلَ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [مِنْ الْكَامِلِ]

وَافَى الْمُشْرِفُ وَالْمُسْتَنْفُ مَسْمَعِي فَازْدَادَ فِيهِ تَوَلُّهِي وَتَوَلُّعِي ^(٤)

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢٣٦/٤ .

(٢) هماله في تعريف ذوي العلا ٦٢ والدرر الكامنة ٤٩/١ .

(٣) في س : بين يدي مَنْ يُجِلُّهُمْ عَنِ التَّلَفُّظِ

(٤) في ب : × . . . ترنمي وتوَلُّعِي .

(١) موقوف ، من قول ابن عمر ، في الجامع الكبير للترمذي ١٥٩/٤ رقم ٢٣٣٣ .

(٢) انظر ذكر الطواعين وأوقاتها في : المعارف ٦٠١ والتعاوي للمدائني ١١٨ والتعاوي للمبرد ٢٠٩ والنجوم الزاهرة ١٤٠/١ و١٨٣ .

فَعَجِبْتُ مِنْ شُغْلِي بِبُعْدِكَ وَالتَّوَلَّى
وَافِي وَلَيْلُ الْهَمِّ قَدْ مَلَأَ الْمَلَا
فَنَفَى الْقَدَى عَنْ نَاطِرِي وَشَفَى الْأَذَى
إِنِّي بِهِاءِ الدَّيْنِ إِنَّ لِي
وَكَذَاكَ لِي نَفْسٌ مَتَى تَزُتْ لِحْطِ
أَلْفَاظِكَ الْغُرِّ الَّتِي قَدْ زَيَّنَتْ
لَمَّا عَلَوَتْ ذُرَى الْبَلَاغَةِ فِي الْوَرَى

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، الَّذِي (٣) تُشْرِقُ أَقْمَارُ
مَعَانِيهِ ، وَتُزْهِرُ نُجُومُ لَفْظِهِ الَّتِي طَلَعَتْ مِنَ الْمِدَادِ فِي ظِلِّ دِيَاغِيهِ ، فَبُهِتَ لِذَلِكَ
الْحُسْنِ ، وَعَلِمَ كَيْفَ تَفَخَّرَ (٤) الْقَالَةُ اللُّسْنُ ؛ وَقَالَ (٥) : [من البسيط]

هَذَا قَرِيضٌ عَنِ الْأَمْثَلِكِ مُحْتَجِبٌ فَلَا تُذِلُّهُ بِإِكْثَارِ عَلَى السُّوقِ
فَاللَّهُ يُمْنِعُ الْوُجُودَ بِكَمَالِ مَوْلَانَا ، الَّذِي لَا تَزَالُ تَدُورُ عَلَيْهِ الْبُدُورُ ، وَتُقْصَمُ
عَلَى مَا يَصُدُّرُ مِنْ سَطَوَرِهِ الْجَوَانِحُ فِي الصُّدُورِ ، وَلَكِنَّهُ وَرَدَ وَالنَّاسُ فِي وَرْدِ
الْمَيَّيَّةِ ، وَكُلُّ نَفْسٍ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَمَّا (٦) حَلَّ بِهَا مِنْ شِدَّةِ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ، قَوْلَ مَنْ تَحَقَّقَ الظُّعْنُ دُونَ الْإِقَامَةِ ، وَأَنَابَ إِلَى اللَّهِ وَتَعَوَّذَ
مِنْ شَرِّ النَّفْسِ اللَّوَامَةِ ؛ مَا نَقَابِلُ أَمْرَ اللَّهِ إِلَّا بِالرَّضَى ، وَلَا نَسْخَطُ لِمَا حَكَمَ بِهِ

من هذا الفناء وقضى .

يَا مَوْلَانَا ، أَوَّلُ مَا دَخَلَ هَذَا الطَّاعُونَ إِلَى الشَّامِ مِنْ غَزَّةَ ، وَأَدْخَلَ إِصْبَعَ
كُلِّ أَحَدٍ مِنْ رَزِيَّتِهِ تَحْتَ رِزَّةٍ (١) ، وَفَعَلَ فِيهَا وَفِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ مَا فَعَلَ ، وَرَمَى
فَلَمْ يُخْطِ الْمَقَاتِلَ ، كَأَنَّمَا هُوَ رَامٍ مِنْ بَنِي نُعْلٍ ، وَمَا قَطَّ عَنْهَا حَتَّى وَتَبَّ إِلَى
قَطِيَا ، وَبَاتَ يَبْرِي سِهَامَهُ بَيَّيْرُوتَ بَرْيَا ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من البسيط]

قَدْ قُلْتُ لِلطَّاعُونَ وَهُوَ يَغْزِي قَدْ جَالَ مِنْ قَطِيَا إِلَى بَيَّيْرُوتِ (٢)
أَخْلَيْتَ أَرْضَ الشَّامِ مِنْ سُكَّانِهَا وَحَكَمْتَ يَا طَاعُونَ بِالطَّاعُوتِ

وَقَالَ الْمَمْلُوكُ أَيْضًا ، وَأَرَادَ ضَبْطَ تَارِيخِهِ بِحُرُوفِ الْجُمْلِ : [من البسيط]

يَا عَامَ « طَامِيمَ ذَالِ » فِيكَ أَيُّ عَنَا قَاسَى الْأَنَامِ رَدَاهُ مِنْ فَلَسْطِينِ (٣)
كَمْ قَدْ رَأَيْنَا فِنَاءَ فِيهِ نَهْرُ فَنَا تَدُورُ مِنْهُ طَوَاحِينُ الطَّوَاعِينِ
وَلَمَّا دَخَلَ إِلَى صَفَدَ ، أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ (٤) ، فَمَا تَرَكَ بِهَا
أَحَدًا مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَعَارِفِ ، حَتَّى اجْتَحَفَهُ سَيْلُهُ الْجَارِفُ ، فَكَمْ مِنْ صَاحِبٍ
جَاءَنَا عَنْهُ نَاعِيهِ ، وَدَعَا إِلَى الْبَلِي دَاعِيهِ ؛ وَقَالَ الْمَمْلُوكُ (٥) : [من المنسرح]

لَمَّا افْتَرَسَتْ صِحَابِي يَا عَامَ تَشْعَ أَرْبَعِينَا
مَا كُنْتُ وَاللَّهِ تَشْعَا بَلْ كُنْتُ سَبْعَا يَقِينَا
ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ حَلَقَ إِلَى جِلْقٍ وَانْقَضَ ، وَدَخَلَهَا فَانْتَثَرَ عَقْدُ حَيَاةِ أَهْلِهَا

(١) الرِّزَّةُ : حديدَةٌ يدخل فيها القفل . (القاموس) .

(٢) قَطِيَا : قرية في طريق مصر ، في وسط الرمل ، قرب القَرَمَا . (معجم البلدان ٣٧٨ / ٤) .

(٣) قوله : يَا عَامَ طَامِيمَ ذَالِ الطاء بحروف الجُمْلِ = ٩ . والميم = ٤٠ . والذال = ٧٠٠ فالجميع = ٧٤٩ سنة الطاعون المذكور .

(٤) من قول النابغة الذبياني : [ديوانه ٥]

أَصْحَحْتُ قَسَارًا وَأَصْحَى أَهْلَهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ

(٥) البيتان مما قالهما المؤلف في رثاء ابن الرَّمَامِ علي بن محمد الشافعي ، كما في أعيان العصر ٣ / ٥٢٠ .

(١) في ب : . . . ونفى الأذى × .

(٢) العجز ، صدر بيت لابن سينا ، تمامه : [الوافي بالوفيات ٤٠٧ / ١٢ ووفيات الأعيان ١٦٠ / ٢]

هبطت إليك من المحلل الأرفع ورفاء ذات تدلّل وتمنّع الذي : ساقطة من س .

(٤) في ب : تعجز .

(٥) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ٦٧٧ / ٢ .

(٦) في م : مما حصل بها من هذه البليّة .

وَأَرْفَضَ ، وَكَانَ يَقْتُلُ بِالرَّائِحَةِ ، فَمَا دَخَلَ دَاراً إِلَّا تَحَقَّقَ كُلُّ مَنْ فِيهَا أَنَّ رُوحَهُ رَائِحَةٌ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من السريع]

دَارَتْ مِنَ الطَّاعُونَ كَأْسُ الْفَنَاءِ فَالْتَفَسُ مِنْ سَكْرَتِهِ طَافِحَةٌ
قَدْ خَالَفَ الشَّرْعَ وَأَحْكَامَهُ لِأَنَّهُ يُبَيِّتُ بِالرَّائِحَةِ
ثُمَّ إِنَّهُ قَتَلَ بِذَلِكَ جَمْعاً لَا يَعْلَمُ جُمْلَةً عِدَّتِهِمْ ، إِلَّا الَّذِي قَدَّرَ بِهِ نِهَايَةَ
مُدَّتِهِمْ ، وَظَهَرَ بَنُوعٌ آخَرٌ مِنَ الْفَنَاءِ ، مُبَالِغَةٌ فِي الْحِرْصِ وَالْإِعْتِنَاءِ ، فَكَانَ يَقْتُلُ
بِظُهُورِ حَبَّةٍ ، يَعِزُّ نَعْتَهَا عَلَى مَنْ وَصَفَ أَوْ شَبَّهَ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الكامل]

أَسْفَى عَلَى أَكْنَافِ جِلْقٍ إِذْ غَدَا الطُّ
طَاعُونَ فِيهَا ذَا زِنَادٍ وَّارِي
[١٧] الْمَوْتُ أَرْخَصَ مَا يَكُونُ بِحَبَّةٍ وَالظُّلُمُ زَادَ فَصَارَ بِالْقَنْطَارِ
وَقَالَ الْمَمْلُوكُ أَيْضاً : [من الخفيف]

أَيَقْظَنَّا يَدَ الْغَلَاءِ مِرَاراً لِنُرَاعِيَ التَّقَى فَلَمْ نَتَّكِبْ
وَعَدَا الظُّلُمُ بِالْقَنَاطِيرِ فِينَا فَلِهَذَا الطَّاعُونَ صَارَ بِحَبَّةٍ
وَزَادَ أَمْرُهُ وَأَعَزَّبَ ، فَكَمْ مِنْ خِلٍّ كَانَ فَقَدَ خِلَّهُ كَلَمَحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ،
وَحَلَّتْ عِدَّةُ مَسَاكِينَ مِنْ سُكَّانِهَا ، وَأَفْرَطَ الْأَمْرُ حَتَّى كَادَتْ دِمَشْقُ تَخْلُو مِنْ أَرْبَعَةٍ
أَزْكَانِهَا ، وَعَمَّتِ الْوَحْشَةُ ، وَمَحَى الْأَنْسُ مِنْ كُلِّ دَارٍ نَقْشُهُ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ :
[من الكامل]

أَمَّا دِمَشْقُ فِلَيْهَا قَدْ أَوْحَشَتْ مِنْ بَعْدِ مَا شَهِدَ الْبَرِّيَّةُ أَنْسَهَا
تَاهَتْ بِعُجْبٍ زَائِدٍ حَتَّى لَقَدْ ضَرَبَتْ بِطَاعُونٍَ عَظِيمٍ نَفْسَهَا^(١)
وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً يَجُولُ يَمِيناً وَشِمَالاً ، وَيَجُوبُ الدَّارَ^(٢) بِالْخَرَابِ

(١) في م : × . . . بطاعون كثير . . . !

(٢) في م : الدَّيَار .

جُنُوباً وَشِمَالاً ، فَظَهَرَ فَتَيْكُهُ بَيْتَرَةٌ تَطْلُعُ خَلْفَ أُذُنِ الْإِنْسَانِ ، فَتَجُرُّهُ إِلَى مَضْرَعِهِ
بِمَقَاوِدَ وَأَرْسَانٍ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الطويل]

تَعَجَّبْتُ مِنْ طَاعُونٍ جِلْقٍ إِذْ غَدَا وَمَا فَاتَتْ الْأَذَانَ وَقَعَةً طَغَنِيهِ
فَكَمْ مُؤْمِنٍ تَلَقَّاهُ أَدْعَنَ طَائِعاً عَلَى أَنَّهُ قَدْ مَاتَ مِنْ خَلْفِ أُذُنِهِ
وَاسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ حِيناً ، لَا يُهْمِلُ كِنَاساً وَلَا يَنْسَى عَرِيناً ، حَتَّى جَاءَ بِكُبَّةٍ
تَخْرُجُ تَحْتَ الْإِبْطِ كَأَنَّهَا عُمْلَةُ السَّارِقِ ، أَوِ الْغَرِيمِ التَّكْدِ الَّذِي لَا يُفَارِقُ غَرِيمَهُ
أَوْ يُفَارِقُ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الوافر]

رَعَى الرَّحْمَنُ دَهْرًا قَدْ تَوَلَّى يُجَازِي بِالسَّلَامَةِ كُلَّ شَرْطٍ
وَكَانَ النَّاسُ فِي غَفَلَاتٍ أَمْنِي فَجَا طَاعُونُهُمْ مِنْ تَحْتِ إِبْطِ
وَجَرَى عَلَى هَذَا النَّمَطِ مُدَّةً ، وَقَاسَى النَّاسُ مِنْهُ أَهْوَالاً وَشِدَّةً ، ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَ
بِخِيَارَةٍ تَطْلُعُ فِي الْأَرْبِيَّةِ مَا كَانَ لِلنَّاسِ مَعَهَا الْخَيْرَةُ ، وَلَا نَجَاهُ التَّسْلِيمِ
وَالْإِنْقِيَادُ ، وَلَا التَّشَاؤُمُ وَالطَّيْرَةُ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الخفيف]

ثَلَّ هَذَا الطَّاعُونُ عَرْشَ دِمَشْقٍ بِقَضَاءٍ مِنْ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ
فَلَكَمْ مَاتَ بِالْخِيَارَةِ شَخْصٌ كَانَ يَتَدَوَّى كَأَنَّهُ رِيحَانُهُ
وَاسْتَضَحَبَ الْحَالُ فِي ذَلِكَ زَمَاناً ، وَلَمْ يَجِدِ الْأَنَامُ مِنْهُ أَمَاناً ، ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَ
بِالطَّامَةِ الْكُبْرَى ، وَالْمُصْبِيَةِ الَّتِي جَعَلَتْ كُلَّ عَيْنٍ مِنْهَا عَبْرِي ، فَمَنْ بَصَقَ دَمًا
مَاتَ ، وَحَلَّتْ بِهِ الْآفَاتُ وَفَاتَ ؛ فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : [من الكامل]

يَا رَحْمَتَا لِدِمَشْقٍ مِنْ طَاعُونِهَا فَالْكُلُّ مُغْتَبِقٌ بِهِ أَوْ مُضْطَبِخٌ
كَمْ هَالِكٌ نَفَسَ الدِّمَا مِنْ حَلْقِهِ أَوْ مَا تَرَاهُ بِغَيْرِ سَكِينٍ ذُبِخٌ
وَقَالَ أَيْضاً : [من السريع]

مُصْبِيَةُ الطَّاعُونَ قَدْ أَصْبَحَتْ لَمْ يَخُلْ مِنْهَا فِي الْوَرَى بُقْعَةٌ

تَدْخُلُ فِي الْمَنْزِلِ لَوْ أَنَّهُ
وَقَالَ أَيْضاً : [من الكامل]

أَمَنْتُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مُقَدِّرِ الطِّ
كَمْ مَعْشَرٍ فُقِدُوا بِهِ فِي جُمُعَةٍ
وَقَالَ أَيْضاً : [من الخفيف]

لَا تَتَّقِ بِالْحَيَاةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ
فَكَأَنَّ الْقُبُورَ شُعْلَةً شَمْعٍ
وَقَالَ أَيْضاً : [من السريع]

قَدْ نَعَصَ الطَّاعُونَ عَيْنَ الْوَرَى وَأَهْلَكَ الْوَالِدَ وَالْوَالِدَةَ
كَمْ مَنْزِلٍ كَالشَّمْعِ سُكَّانُهُ أَطْفَالُهُمْ فِي نَفْحَةٍ وَاحِدَةٍ
وَمِنْ عَجَائِبِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى ، أَنَّ الْوَصِيَّ يَمُوتُ قَبْلَ مَنْ أَوْصَى^(٢) ، وَلَيْسَ
لِأَحَدٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ حِيلَةٌ ، وَلَا لَهُ إِلَى مَنْ قَدَّرَهُ غَيْرَ التَّسْلِيمِ وَسِيلَةٌ .

● وَمِنْ أَعْجَبِ مَا وَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَيْهِ مِنَ التَّوَارِيخِ الْمَاضِيَةِ ، [١٨] عَلَى
الْبَرِّيَّةِ الْخَالِيَةِ ، وَهُوَ أَنَّ سِبْطَ [ابن] الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى ، قَالَ فِي
« مِرَآةِ الزَّمَانِ » فِي سَنَةِ ٤٤٩ هـ^(٣) :

وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ : وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ بُخَارَى^(٤) ، أَنَّهُ وَقَعَ عِنْدَهُمْ وَبَاءٌ
عَظِيمٌ ، حَتَّى خَرَجَ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَمَانِي عَشْرَةَ أَلْفَ جِنَازَةٍ ،

(١) فِي س : X أَتْرَاهُمْ تُخْلِقُوا مِنَ الْأَشْرَاسِ .

(٢) فِي أ : قَبْلَ أَنْ أَوْصَى . وَفِي م : قَبْلَ الْمَوْصِي .

(٣) سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ يَنْقُلُ عَنْ تَارِيخِ جَدِّهِ ، الْمُنْتَظَمِ ١٧/١٦ . وَانْظُرْ مَا رَوَاهُ ابْنُ تَغْرِي بِرْدِي فِي
النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ ١٩٥/١٠ وَمَا بَعْدَ .

(٤) فِي الْمُنْتَظَمِ : مِنْ تِجَارٍ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ .

وَحُصِرَ مَنْ مَاتَ فَكَانُوا أَلْفَ أَلْفٍ وَسِتِّمِئَةِ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا إِلَى تَارِيخِ
الْكِتَابِ ، وَخَلَّتِ الْأَسْوَاقُ ، وَأُغْلِقَتِ الْأَبْوَابُ ، وَتَعَدَّى الْوَبَاءُ إِلَى أَذْرَبَيْجَانِ ،
ثُمَّ إِلَى الْأَهْوَازِ وَالْبَصْرَةِ وَوَاسِطِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ .

وَكَانَتْ تُخْفَرُ زُبَيْهَةَ^(١) وَيُلْقَى فِيهَا عَشْرُونَ وَثَلَاثُونَ مِنَ النَّاسِ ، وَسَبَبُهُ قِلَّةُ
الْقُوَّةِ وَالْجُوعُ ؛ وَمَنْ مَاتَ قَرِيبًا مِنْ دِجْلَةٍ سَحَبُوا بِرِجْلِهِ وَالْقُوَّةُ فِيهَا ؛ وَكَانَ
الصَّغَارُ يَنْبِشُونَ الْمَوْتَى وَيَشْوَوْنَهُمْ وَيَأْكُلُونَهُمْ .

وَكَانَ لِلْإِنْسَانِ أَرْضٌ يُسَأَلُ فِي بَيْعِهَا بَعْشَرَةُ دَنَانِيرٍ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَبَاعَهَا بِخَمْسَةِ
أَرْطَالِ خُبْزٍ ، فَأَكَلَهَا وَمَاتَ مِنْ وَقْتِهِ .

وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ نُسخَةُ كِتَابٍ ، كُتِبَ مِنْ سَمَرْقَنْدَ إِلَى بَلْخِ ، أَنَّهُ يُدْفَنُ فِي
كُلِّ يَوْمٍ مِنْ صَالِحِي الْمُؤْمِنِينَ خَمْسَةُ أَلْفٍ وَسِتَّةَ أَلْفٍ وَأَكْثَرُ .

وَاشْتَغَلَ النَّاسُ بِدَفْنِ مَوْتَاهُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَكُلُّ دَارٍ يَدْخُلُهَا الْمَوْتُ يَأْتِي
عَلَى الْجَمِيعِ ، وَكَانَ الْمَرِيضُ يَشْقُ قَلْبُهُ عَنْ دَمِ الْمُهْجَةِ ، فَيَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ قَطْرَةٌ
فَيَمُوتُ ، أَوْ دُودَةٌ لَا يُدْرَى مَا هِيَ فَيَمُوتُ ؛ وَغُلِقَ فِي الْبَلَدِ مِنْ دُورِ الْمُقَدَّمِينَ
وَأَعْيَانِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِي دَارٍ ، لَمْ يَبْقَ فِيهَا صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ وَلَا وَارِثٌ .

وَكَلُّ دَارٍ كَانَ فِيهَا خَمْرٌ يَمُوتُ أَهْلُهَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَمَنْ كَانَتْ مَعَهُ امْرَأَةٌ حَرَامٌ ، مَاتَا مَعًا . وَمَاتَ قَيْمُ مَسْجِدٍ وَلَهُ خَمْسُونَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا أَحَدٌ ؛ وَوُضِعَتْ فِي الْمَسْجِدِ تِسْعَةَ أَيَّامٍ ، فَدَخَلَ أَرْبَعَةُ أَنْفُسٍ
مِنْ الْخَلِيجِ لَيْلًا فَأَخَذُوهَا ، فَمَاتُوا عَلَيْهَا .

وَكَلُّ مَنْ أَوْصَى إِلَى إِنْسَانٍ ، مَاتَ الْوَصِيُّ قَبْلَ الْمَوْصِي .

(١) فِي ب : حَفِيرَةٌ . وَهِيَ بِمَعْنَى .

وكلُّ مُسْلِمَيْنِ كَانَ بَيْنَهُمَا تَهَاجُرٌ ، وَلَمْ يَضْطَلِحَا ، مَا تَا .

وكانَ عِنْدَ الْفَقِيهِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ^(١) ، سَبْعُمِئَةِ فَقِيهِ ، فَمَاتَ عَبْدُ الْجَبَّارِ وَالْفُقَهَاءُ بِأَجْمَعِهِمْ .

وَمَاتَ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ خَمْسُونَ نَفَرًا ، فَمَاتَ الْجَمِيعُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَخَلَفُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِي أَلْفٍ دِينَارٍ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا طِفْلٌ صَغِيرٌ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ ؛ وَالْمَالُ جَمِيعُهُ فِي الدَّارِ لَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَهَا .

وَنَزَلَ تُرْكِيٌّ مِنْ سَطْحٍ عَلَى مَرِيضٍ ، وَعَلَيْهِ لِحَافٌ دِيبَاجٌ ، (فَأَخَذَهُ التُّرْكِيُّ ، فَمَاتَ التُّرْكِيُّ)^(٢) وَيَدُهُ فِي طَرْفِ اللَّحَافِ وَطَرْفُهُ عَلَى الْمَرِيضِ .

وَلَا يُعْلَمُ مَنْ مَاتَ بِأَرْضِ الْمَشْرِقِ ، بَلْ قِيلَ : إِنَّ سَمَرْقَنْدَ مِنْ عَشْرَةِ فِي سُؤَالٍ وَإِلَى سَلْخِ ذِي الْقَعْدَةِ ، أُخْصِي مَنْ خَرَجَ مِنْ أَبْوَابِهَا مِنَ الْجَنَائِزِ ، فَكَانُوا مِئَتِي أَلْفٍ وَسِتَّةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا .

وَأَصْلُ هَذَا الْوَبَاءِ مِنْ تُرِكْسْتَانِ بِلَادِ الْكُفَّارِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا إِلَى بِلَاصَغُونِ^(٣) وَكَاشْغَرِ وَالشَّاشِ وَفَرْغَانَةِ وَتِلْكَ التَّوَاخِي ، وَوَصَلَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ فِي سَابِعِ عَشْرِينَ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَلَمْ يَعُدَّ النَّهْرُ ، حَتَّى إِنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ بُخَارَى عَبَرُوا إِلَى بَلْخٍ ، فَتَزَلُّوا فِي رِبَاطٍ مِنْهَا ، فَمَاتُوا جَمِيعُهُمْ دُونَ أَهْلِ بَلْخٍ .

وَكَانَ الْمَوْتُ فِي الشَّبَابِ وَالْكُھُولِ وَالصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ مِنَ الْعَوَامِّ ؛ فَأَمَّا الْمُلُوكُ وَالْعَسَاكِرُ وَالْمَشَائِخُ وَالْعَجَائِزُ ، فَلَمْ يَمُتْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ .

(١) فِي الْمُنْتَظَمِ : أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهِ . . .

(٢) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ مِنْ س .

(٣) فِي أ ، س ، م : بِلَادُ صَغُونِ ! وَفِي ب : بِلَادُ عَصُورَةِ ! !

وَبِلَا سَاغُونِ : بِلَادٌ عَظِيمٌ فِي نَغُورِ التُّرْكِ ، وَرَاءَ نَهْرِ سَبِيحُونَ ، قَرِيبٌ مِنْ كَاشْغَرِ . (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ

٢٧٦/١) .

نَقَلَ الْمَمْلُوكُ هَذَا الْفَصْلَ مُخْتَصِرًا مِنْ كَلَامِ صَاحِبِ « الْمَرَاة » وَلَمْ يَذْكُرْ لِمَوْلَانَا إِلَّا لِأَنَّ هَذَا الطَّاعُونَ جَاءَنَا فِي سَنَةِ ٤٩ ، وَذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ ٤٩ أَيْضًا ، وَغَالِبُ هَذِهِ الْأَحْوَالِ [١٨ ب] شَاهَدْنَا وَقُوعَهَا ؛ وَكَانَ الْمَمْلُوكُ يُظَنُّ أَنَّ لَا نَظِيرَ لِهَذَا الطَّاعُونَ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى هَذَا الْخَبَرِ^(١) ، فَوَجَدَهُ مُطَابِقًا فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ .

اللَّهُمَّ إِلَّا أَنَّ هَذَا أَكْثَرُ عُمُومًا ، لِأَنَّهُ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ ، وَمَا خَلَّتْ مِنْهُ بَلَدَةٌ وَلَا قَرْيَةٌ ؛ إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَ الْعَمُودِ لَمْ يُصِيبْهُمْ مِنْ هَذَا الطَّاعُونَ شَيْءٌ ، كَالْعَرَبِ وَالتُّرْكَمَانِ وَالْأَكْرَادِ ، وَهُمْ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ مِنْ أَرْضٍ وَيَنْزِلُونَ فِي غَيْرِهَا .

وَهَذَا زَادَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الطَّوَاعِينَ ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي الْقَطَاطِ ، وَبَعْضِ الطُّيُورِ ، وَبَعْضِ الْجِمَالِ ، وَغَالِبُ الْأَوَابِدِ مِنْ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ ؛ فَإِنَّ جَمَاعَةً أَخْبَرُوا أَنَّهُمْ رَأَوْا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَيَّالِ وَالْحُمْرِ الْوَحْشِيَّةِ مَطْرُوحَةً فِي الْبَرِّيَّةِ ، وَتَحْتَ أَبَاطِهَا خَرَّاجٌ ، وَلَمْ يَمُتْ حَيَوَانٌ مِنْ هَذِهِ حَتَّى أَنْفَعِ كَالْحَيَّةِ ، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ أَوَابِدُ .

وَلَقَدْ طَوَّلَ الْمَمْلُوكُ فِي هَذِهِ الْخِدْمَةِ ، وَهُوَ يَسْأَلُ بَسْطَ الْعُذْرِ فِي ذَلِكَ :

[مِنَ الرَّمْلِ]

وَالَّذِي قَدْ رَاعَنِي الْأَمْرُ بِهِ يَقْتَضِي أَكْثَرَ مِمَّا قَدْ جَرَى يَا مَوْلَانَا ، هَذَا أَمْرٌ يُذْهِشُ الْعُقُولَ ، وَالسَّلَامَ .

وَفَرَعَتْ مَادَّةُ هَذَا الْكَلَامِ ، وَاللَّهُ يَقِينَا فِي مَوْلَانَا كُلِّ مُحْذُورٍ ، وَيُحَكِّمُ فِي عِدَاهُ كُلِّ مَاضِي الشُّبَا مَطْرُورٍ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ مُلَغِّزًا فِي « الْبَرِّيَّةِ »^(٢) ، وَهُوَ مَكَانٌ مَعْرُوفٌ دَاخِلَ الْقَاهِرَةِ

(١) الْخَبَرُ : مِنْ س ، م .

(٢) الْبَرِّيَّةُ : مَوْضِعٌ بِجَوَارِ مَشْهَدِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْقَاهِرَةِ .

المَحْرُوسَةُ : [من الوافر]

إِمَامَ النَّاسِ فِي آدَبٍ وَفِقِهِ وَيَشْهَدُ لِي بِذَا الْجَمِّ الْغَفِيرِ
أَجِبَ عَمَّا أَعْمِيهِ فَإِنِّي سَأَلْتُكَ أَيُّهَا الْمَوْلَى الْخَبِيرُ
بِقَاهِرَةِ الْمُعِزِّ لَنَا مَكَانَ حَوَاهِ الشُّورِ مَعْرُوفٍ شَهِيرُ
يَرَاهُ أُولُو الثُّهَى بِرِّيَّةً قَدْ تَنَزَّلَ وَسَطَهَا جَبَلٌ كَبِيرُ

● فكتب هو الجواب إلي عن ذلك : [من الوافر]

أَفَاضِلَ عَصْرِنَا إِنِّي بِمَا قَدْ بَعَثَ مِنَ الْمُعَمَّى لِي بِصِيرُ
لَقَدْ أَبْدَاهُ فِي جُنْحِ الدِّيَاجِي وَمِنْهُ الْبَرْقُ وَهُوَ بِهِ شَهِيرُ
كَفَاهُ أَنَّ أَوْسَطَهُ مُحِيطُ بِكُلِّ الْأَرْضِ وَهُوَ بِهَا يَدُورُ^(١)
وَكَانَ لَهُ أَبُو حَيَّانَ يَأْوِي إِلَى أَنْ صَارَ تَحْوِيهِ الْقُبُورُ
فَإِنْ لَمْ أَلْقِ ثَانِي ذَاكَ أَوْ ذَا أَعَزُّ بِقِيَّةٍ لَيْسَتْ بِبُورُ

● وكتب أنا الجواب إليه : [من الوافر]

جَوَابٌ مِثْلَمَا سَفَرْتَ بُدُورُ أَوْ ابْتَسَمْتَ مِنَ الْغَيْدِ الثُّغُورُ
كَأَنَّ حُرُوفَهُ أَجْفَانُ حَبِّ يَنْفُثِ السَّحَرِ أَغْرَاهَا الْفُتُورُ^(٢)
فَيَا لَكَ مِنْ جَوَابٍ لَا جَوَابِي وَقَدْ وَافَى فَتَمَّ بِهِ الشُّرُورُ
وَمَا أَلْغَزْتُ فِي الْبَرْقِيَّةِ اسْمًا سُدى لَكِنْ لَهُ مَعْنَى خَطِيرُ
فَصَدْتُ إِلَيْهِ دُونَ سِوَاهُ عِلْمًا بِأَنَّ بُرُوقَ ذَهْنِكَ تَسْتَطِيرُ
كَذَا فَلْيَمْنُصْ فِي حَلِّ الْمُعَمَّى أَخُو آدَبٍ وَإِلَّا فَهُوَ زُورُ

● وكتب هو إلي مع سُكْرِ أَهْدَاهُ إِلَيَّ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةُ : [من السريع]

قَدِمْتُ فَاثْنَلُ الْحَيَا فَالْوَرَى بِالْبَحْرِ وَالصَّبِّ مَشْمُولَهُ
مِنْ بُلْدَةٍ كُلُّ فَتَى أَمَّهَا يَسْأَلُ فِي أَكْثَرِهَا سُؤْلَهُ^(١)
يُعْزِلُ كَذَا ، وَيَسْأَلُ قَبُولَ شَفَاعَتِهِ جَبَرُ الَّذِي : [من الطويل]

عَلَى خَجَلٍ وَافَاكَ حَتَّى كَأَنَّهُ إِذَا أَنْتَ عَايَنْتَ اسْمَهُ يَتَنَكَّرُ^(٢)

● فكتب أنا الجواب إليه : [من الخفيف]

جَاءَنِي جُودُكَ الَّذِي جَعَلَ الْغَيْدَ شَ لَه حَاسِدًا وَفِيهِ تَفَكَّرُ
فَاقْتَسَمْنَا التَّصْحِيفَ لَفْظًا وَمَعْنَى لَكَ مِنِّي شُكْرٌ وَلِي مِنْكَ سُكْرُ^(٣)

● وكتب هو إلي لما جلست في توقيع الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ

المَحْرُوسِ ، فِي شَوَّالِ سَنَةِ ٧٥٦ وَأَكْثَرَ مِنَ التَّوَرِيَّةِ : [من السريع]

لَمَّا اسْتَوَى دَسْتُ الْعُلَا بِالصَّلَاحِ اغْتَرَفْتُ أَيْدِي الْأَنَامِ السَّمَاحِ
وَانْطَبَحَتْ فِيهِ لُحُومُ الْعِدَى وَاشْتَعَلَتْ مِنْ قُورِهَا بِافْتِدَاخِ
[١٩] غَلَا وَقَدْ فَاضَ نَدَى وَاعْتَلَى مَنَاصِبًا تَدْعُو لِطَيْبِ اضْطِبَاحِ
ثُمَّ تَهَدَّى فَاهْتَدَى نَحْوَهُ دَاعٍ يُنَادِي : عَجَلُوا لِلرَّدَاخِ
لَا رَيْمَ فِيهِ إِنْ حَلَلْتُمْ بِهِ إِلَّا النَّوَالِ الطَّافِحَ الْمُسْتَبَاحِ
يَبْضُهُ قُرْبُكَ فَاغْجَبْ لَهُ مُسَوِّدًا تُشْرِقُ مِنْهُ الْبَطَاحِ
وَقَّعَ بِهِ أَلْوَانَ مَا طَابَ مِنْ تَنْوِيْعٍ مَنْ وَبَدِيْعٍ افْتِرَاحِ^(٤)
وَأَمْلَأَهُ حَلًّا مُحْكَمًا يَفْتَضِي تَحْرِيكَ عَيْنٍ لِلْمَعَانِي الصَّحَاحِ
وَابْعَثْ بِطَاقَاتِ الْمُنَى لِلْوَرَى مُرْسَلَةً فَوْقَ جَنَاحِ النَّجَاحِ

(١) في س : . . . من أكبرها . . .

(٢) يتنكر : تصحيفه : سكر .

(٣) وسقط ما بعد ذلك من س ، حتى نهاية القصيدة الدالية الآتية .

(٤) لعل الضواب : × تنويع فن . . .

(١) يريد : جبل قاف ، وزعم الأقدمون أنه يحيط بالأرض .

(٢) في ب ، س : . . . أجفان صب × .

حَتَّى يَطِيبَ النَّاسُ عَنْ دَهْرِهِمْ وَيَحْمَدَ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ فِي الْبِطَاحِ^(١)
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُهَيِّئُ الزَّمَانَ بِأَنْ خُفِّفَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَصُرِفَ عَنْهُ بَعْضُ
مَا تَكَاثَرَ مِنْ عَتَبِهِ ، وَزَالَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ الشَّيْنِ ، وَوَفَّتْ ذِمَّتُهُ بِقِسْطٍ مَا كَانَ لَكُمْ
عَلَيْهَا مِنَ الدَّيْنِ .

● فكتبتُ أنا الجوابَ عن ذلك : [من السريع]

دُرَّ حَبَابِ رَاحٍ مِنْ فَوْقِ رَاحٍ فَرَانٌ مِمَّنْ قَدْ سَقَى بَطْنَ رَاحٍ
أَمْ بَرْدٌ رَصَعَ تَاجَ الرُّبَا فَرَاخٌ تُغْرَأُ بِاسْمِ عَنْ أَقَاخٍ
أَمْ مُقْلَةٌ مُذْ سَكَنْتْ مُهْجَتِي مَا حَفِظْتُ إِلَّا كِتَابَ الْجِرَاحِ^(٢)
أَمْ يَكْرُ فِكْرٍ خِذْنَهَا خِذْهَا فِيهِ مَغَانٍ لِلْمَعَانِي الْمِلَاحِ
قَدْ خَصَّنِي الْجُودُ الْبَهَائِي بِهَا فَصَاحَ لِي بِالْكَلِمَاتِ الْفِصَاحِ
فَشَرَّفَتْ قُدْرِي كَمَا شَفَّفَتْ سَمْعِي فَمَا لِي فِي الْمَعَالِي اقْتِرَاحِ^(٣)
وَهِيَ عَلَى رَأْسِي تَاجٌ وَفِي أَذْنِي شَنْفٌ وَبِخَصْرِي وَشَاحٍ
بِتَوْرِيَّاتٍ وَارِيَّاتِ السَّنَا وَبِاقْتِدَارٍ زَنْدُهَا فِي اقْتِدَاحٍ
فَمِنْ لُغَاتٍ لَوْ رَأَى الْجَوْهَرِي أَلْفَاظَهَا لَمْ يَفْتَحِرْ بِالصَّحَاخِ
وَمِنْ مَعَانٍ لَوْ أَتَى مِثْلَهَا لِلأَرْجَانِي لَمْ يَزَلْ فِي انْشِرَاحِ
وَلَمْ يَقُلْ مِنْ حُزْنٍ عِنْدَهُ «صَوْتُ حَمَامٍ الْأَيْكِ عِنْدَ الصَّبَاحِ»^(٤)

(١) في ب : × . . . في الصَّبَاحِ . وهو من المثل : عند الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ . (الميبداني ٣/٢ والعسكري ٤٢/٢) .

وفي م : . . . عن ذكرهم × .

(٢) في م : . . . قد سكنت × . . .

(٣) في م : × . . . في المغاني . . .

(٤) مطلع قصيدة للأرجاني : [ديوانه ٨٠]

صوتُ حمام الأيك عند الصَّبَاحِ جدَّدَ تذكاري عند الصَّبَاحِ

أَوْ لِلْأَيُّورِدِيِّ مَا فَاقَ فِي «أَمَاطَ وَاللَّيْلُ أَثِثْتُ الْجَنَاحَ»^(١)
أَوْ لِلرَّضِيِّ لَمْ يُرْضَ فِي قَوْلِهِ : «تَبَهَّتْهُمْ مِثْلَ عَوَالِي الرِّمَاحِ»^(٢)
أَوْ لِلتَّهَامِيِّ لَا تَهْمُنَا لَهُ لَمَدُ «مَا» قَالَ : لَا أَعْلَمُ كُلَّ أَقَاخِ^(٣)
وَلِابْنِ حَمْدِيْسَ غَدَا رَاكِبًا «نَجَائِبَ اللَّهْوِ ذَوَاتِ الْمَرَاخِ»^(٤)
وَلَا الْحَرِيرِي إِذْ غَدَا قَائِلًا : «أَعْدِدْ لِحُسَادِكَ حَدَّ السَّلَاحِ»^(٥)
وَالْبُخْتَرِي مَا قَالَ مَنْ فَرَحَ : «بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ»^(٦)
مِنْ لُطْفِهَا قَدْ أَذْكَرْتَنِي صَبَاً كَمْ عَنِّي لِي فِيهِ ازْتِيَادُ ازْتِيَاخِ
سُفِيًّا لَهُ مِنْ زَمَنِ سَالِفٍ كَمْ فُزْتُ فِيهِ بِحَيِّبِ وَرَاخِ
مَهْلًا عَلَى ضَعْفِي أَبَا حَامِدٍ فَمَا أَرَانِي مِنْ قُرَيْشِ الْبِطَاحِ
وَقَوْمُكَ الْأَنْصَارُ أَهْلُ التُّهَى وَيَنْدُرُهُمْ زَانَ سَمَاءِ السَّمَاحِ
وَأَنْتَ بِالْخَزَرْجِ فِي ذُرْوَةٍ سَالَ بِهَا وَادِي الْمَعَانِي وَسَاخِ
رُخْتُ إِمَامًا وَالْوَرَى مِنْ وَرَا فِي كُلِّ عِلْمٍ غَامِضٍ لِاصْطِلَاحِ^(٧)
وَنَلْتُ قَبْلَ الْبَرْقِ أَقْصَى الْمَدَى لَوْ حُطَّ مِثْلِي عَنْهُ كَانَ اسْتِرَاحِ

(١) مطلع قصيدة للأبيوردي : [ديوانه ٤٦٢/١]

أَمَاطَ ، وَاللَّيْلُ أَثِثْتُ الْجَنَاحَ عَنْ تَبَسُّمِ الشَّمْسِ لِسَامِ الصَّبَاحِ

(٢) مطلع قصيدة للشريف الرضي : [ديوانه ٢٥٤/١]

تَبَهَّتْهُمْ مِثْلَ عَوَالِي الرِّمَاحِ إِلَى السَّوْغَى قَبْلَ نُمُومِ الصَّبَاحِ

(٣) من قول التهامي : [ديوانه ٩٧]

أَيُّهَا أَحْلَى تَرَى مِنْظَرًا فَقَالَ : لَا أَعْلَمُ ، كُلَّ أَقَاخِ

(٤) من قول ابن حمديس : [ديوانه ٨٩]

بَاكَزْ إِلَى اللَّسَّاتِ وَارْكَبْ لَهَا سَوَابِقَ اللَّهْوِ ذَوَاتِ الْمَرَاخِ

(٥) مطلع قصيدة للحريري : [المقامات ٣٨٤ وشرح الشريشي ٢١٨/٥]

أَعْدِدْ لِحُسَادِكَ حَدَّ السَّلَاحِ وَأَوْرِدِ الْأَمْلَ وَرَدَ السَّمَاحِ

(٦) مطلع قصيدة للبخترى : [ديوانه ٤٣٥/١]

بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَغْنِدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الْوُشَاخِ

(٧) في ب : × . . . غَامِضِ الْاصْطِلَاحِ .

فاغْذِرْ أَخَا التَّقْصِيرِ وَالتَّقْصِصِ إِنَّ
وَحَلَّ لِي فَضْلَةً شِعْرٍ بِهَا أَشْتَعِظُفُ الْأَنْفُسَ ذَاتَ الْجِمَاحِ
فإِنَّنِّي مِنْ صِدْقٍ وَدِّي لَكُمْ قَدْ طَارَ فِي الْأَقْطَارِ عَنِّي وَطَاخِ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الْكَرِيمِ ، أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَزَادَ بِهِ
خِلَالَ الزَّمَانِ جَلَالاً ، وَجَعَلَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ حَسَنٍ مِثَالاً ؛ فَوْقَ الْمَمْلُوكِ مِنْهُ عَلَى
خَزَائِنِ آدَبٍ ، وَقَلَائِدِ ذَهَبٍ ، لَوْ ظَفَرَ بِهَا الْجَاخِظُ مَا مَضَى ذِكْرُهُ وَلَا ذَهَبَ ،
وَمَطَالِبِ فَضْلٍ لَا يَخْشَى مَالُكُهَا مِنَ الْفَقْرِ كَيْفَمَا وَهَبَ ؛ وَيَسْطُ بِالْإِعْدَاءِ كَفّاً
قَبَضَتْ عَلَى الْوَلَاءِ ، وَرَفَعَ إِلَى [ب ١٩] السَّمَاءِ بَصَراً طَالَمَا خَفَضَهُ الْخُضُوعُ
لِمَوْلَاهُ لَمَّا أَخَذَ فِي الرَّفْعِ وَالْإِعْتِلَاءِ ، وَانْتَهَى إِلَى تِلْكَ التَّوَرِيَّاتِ الَّتِي هِيَ أَحَبُّ
إِلَيْهِ مِمَّا تَجَدَّدَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْوُظُفِيَّةِ ، وَأَوْقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ
الْغِنَى نَظِيفَةٌ .

وَتَعَجَّبَ الْمَمْلُوكُ مِنْ ثَمَانِيَةِ آيَاتٍ ، ضَمَّتْ مِنَ التَّوَرِيَّةِ ثَمَانِيَةَ وَعَشْرِينَ ،
وَرَأَى فِي وَرَقِهَا زَهْرَ الرَّبِيعِ وَإِنْ كَانَتْ قَدْ جَاءَتْهُ فِي تَشْرِينٍ ، وَجَنَى مِنْ تِلْكَ
الْوَرَقَةِ ضُروباً مِنَ الثَّمَرِ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ هَذَا الْعَدَدَ وَفَّقَ مَنَازِلَ الْقَمَرِ ؛ إِلَّا أَنَّ هَذِهِ
كُلُّهَا مَنَازِلُ سُعُودٍ ، وَبَدُرُ مَعَانِيهَا لَا يَزَالُ فِي صُعُودٍ ؛ وَلِلَّهِ الْغَزِّيُّ أَبُو إِسْحَاقَ
إِبْرَاهِيمَ ^(١) إِذْ يَقُولُ : [مَنْ الْوَافِر]

وَمَا أَنَا فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَّا كَمَنْ أَهْدَى إِلَى الصُّبْحِ الشَّهَابُ
فَلَا يَشْغَلُكَ طَوْلُكَ عَنْ قُصُورٍ فَمَنْ بَلَغَ الْمَدَى نَسِيَ الْهَضَابُ
وَنَظَّ بِي حُسْنِ رَأْيِكَ يَغْلُ كَغَبِي فَإِنَّ اللَّهَ نَاطَ بِكَ الصَّوَابُ
وَقَدْ اسْتَطَرَّدَ الْمَمْلُوكُ بِهَذَا الْبَيْتِ الثَّالِثِ ، وَإِنْ كَانَ أَجَنَّبِيّاً مِنْ هَذَا الْمَقَامِ ،

(١) أَبُو إِسْحَاقَ ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَثْمَانَ الْكَلْبِيِّ الْغَزِّيِّ . (سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٩ / ٥٥٤) .

وَدَوَاءٍ إِلَّا أَنْ يُعَالَجَ بِهِ مَنْ خَفِيَ عَلَى الطَّيِّبِ مَا عِنْدَهُ مِنَ السَّقَامِ ؛ وَهَذَا اسْتَطَرَّادُ
كَالْجُمْلَةِ الَّتِي تَعْتَرِضُ فِي بَعْضِ مَقَامَاتِ الْبَلَاغَةِ ، وَكَالذُّرَّةِ الَّتِي تَرِيدُ النَّجَّاحَ
حُسْنًا ، وَهِيَ شَيْءٌ آخَرُ مِنْ وَرَاءِ صِنَاعَةِ الصَّيَاغَةِ ، وَيَسْتَطَرُّدُ الْمَمْلُوكُ أَيْضاً إِلَى
قَوْلِ الْآخِرِ : [مَنْ الطَّوِيل]

وَمَنْ يَكُنِ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ شَفِيعاً لَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ يَنْجَحُ
وَيَأْتِي فِيهَا بَعْدَ حُلِّ هَذَا الْمُتَرْجِمِ ، وَكَشَفُ هَذَا السِّرِّ الْمُجْمَعِ ، أَوْ لَعَلِّي
أَشْرَحُهُ شِفَاهاً ، وَأَفْتَحَ بِهِ بَيْنَ يَدَيْكَ شِفَاهاً ^(١) ، وَقَدْ كَشَفْتُ بِهِ لِمِثْلِكَ السِّرَّ ،
وَرَفَعْتُ لَكَ الْحِجْرَ ^(٢) ، وَشَفَعْتُ الْوَتَرَ .

وَقَدْ طَوَّلَ الْمَمْلُوكُ بِهَذَا الْإِعْتِرَاضِ ، وَمَا بَقِيَ إِلَّا الدُّخُولُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْهُ
عَنْ تَرَاوِيهِ ؛ فَيَعُودُ الْمَمْلُوكُ إِلَى وَصْفِ تِلْكَ الْآيَاتِ ، وَمَا أَوْدَعَتْهَا يَدُ الْقُدْرَةِ
مِنَ الْمَحَاسِنِ ^(٣) فِي التَّوَرِيَّاتِ ، وَيَقُولُ : إِنَّ نَاطِقَهَا لَوْ كَانَ كَشَاجِمَ لَمَّا زَادَ ،
بَلْ وَلَا عَدَى بِهَا ثَلَاثَةُ أَفْرَادٍ ، فَإِنَّهُمْ يَرَعُمُونَ أَنَّ كَانَ طَبَّاحَ سِنْفِ الدَّوَلَةِ ، لَا بَلْ
مُشْرِفاً لَتِلْكَ الصَّوْلَةِ ؛ دَعَا ذِكْرَ كَشَاجِمِ ؛ بَلْ لَوْ كَانَ الصُّوْلِيُّ وَمَا وَضَعَهُ مِنْ
الْمَنَاصِبِ ، وَتَخَيَّلَهُ بِذِهْنِهِ لَمَّا تَحَيَّلَ عَلَى تِلْكَ الْأَعَاجِبِ ، لَمَّا اتَّفَقَ لَهُ فِي
دَسْتِ وَاحِدٍ هَذِهِ التُّكْتُ الْعَدِيدَةُ ، وَالْفَرَايِدُ الْمُفِيدَةُ ؛ وَبِاللَّهِ يُقْسِمُ الْمَمْلُوكُ أَنَّ
مَوْلَانَا مَا تَرَكَ وَرَاءَهُ فَضْلَةً ، وَلَا غَادَرَ لِمَنْ يُجَارِيهِ الْجَوَابَ إِلَّا عَظْلَةً .

وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ حَيَاةَ مَوْلَانَا لِأَهْلِ الْعُلُومِ عَامَّةً ، وَلِأَهْلِ الْآدَابِ خَاصَّةً
تَامَّةً ، حَتَّى يُكْمِلُوا نَقْصَهُمْ ، وَيُسَيِّغُوا غَضَبَهُمْ ، وَيَسْتَجْلُوا هَذِهِ الْأَبْكَارَ الَّتِي

(١) فِي م : سَفَاهَا .

(٢) فِي أ ، م : الْحَبَر . وَفِي ب : الْمَتَر ! وَكُلُّهُ تَصْحِيفٌ . وَالْحِجْرُ : مَا يُوصَلُ بِأَسْفَلِ الْخَبَاءِ إِذَا ارْتَفَعَ
مِنَ الْأَرْضِ لِيَكُونَ سِتْرًا . (النَّجَاحُ « حَتَر » ١٠ / ٥٢٥) .

(٣) فِي م : يَدُ الْقُدْرَةِ وَالْمَحَاسِنِ .

لا عهدَ لهم بِتَطْيِيرِهَا ، ولا قُدْرَةَ لهم على نَصِيرِهَا ؛ فَمَا كَلَامُ مَوْلَانَا إِلَّا نَكْتُ ، وما أَفَقَّ قَلَمُهُ من ذَخَائِرِ الْأَدَبِ إِلَّا رَبَّتْ وَرَكَتْ ؛ ولو وُفِّقَ مُجَارِيهِ لَفَعَّ رَأْسَهُ بِرِدَاءِ حَيَاتِهِ وَسَكَتْ ، وَأَخَذَ قَضِيبَ يَرَاعِهِ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ خَجَلًا وَنَكْتُ ، أَنَهِيَ ذَلِكَ .

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ، وَقَدْ وَلَّاهُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ شَيْخُو^(١) تَدْرِيسَ مَدْرَسَتِهِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ : [من السريع]

[٢٠] بُشْرَى الْمَعَالِي يَا أَبَا حَامِدٍ بِدَرْسِكَ الْحَاصِدِ لِلْحَاصِدِ
جَدَّدْتَ بِالذَّرْسِ بُلُوغَ الْمُتَى لِصَادِرٍ فِي الْعِلْمِ أَوْ وَارِدٍ
مَعْنَاهُ سَاوَى اللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ أَنَّ يُعَابَ بِالنَّاقِصِ وَالزَّائِدِ
كَمْ مُنْشِدٍ فِيهِ قَرِيبُ الْهِنَا وَطَالِبٍ بُغْيَتُهُ نَاشِدٍ
فَابْشُرْ بِعِزِّ الْعِدَى شَائِنٍ وَاهْنًا بِسَعْدٍ لِلْعُلَا شَائِدٍ
إِنَّ أَنْتَ فَسَّرْتَ بِهِ آيَةَ أَمْسَيْتَ فِيهِ ثَانِي الْوَاحِدِ
وَكَمْ حَدِيثٍ فِي الصَّحِيحِينَ قَدْ أَسْنَدْتَهُ عَنْ ذَهْنِكَ الْوَاقِدِ
وَفِي أَصُولِ الدِّينِ كَمْ غَايَةِ قَدْ حُزَّتْ فِيهَا أَمَدُ الْإِمْدِ
هَذَا وَأَمَّا الْفِقْهُ لَوْ قَالَ لِي كُلُّ صَحِيحِ الذَّهْنِ أَوْ فَاسِدٍ
مَنْ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ فِي عَصْرِنَا ؟ قُلْتُ لَهُ : هَذَا أَبُو حَامِدٍ

● وَأَنْشَدَنِي^(٢) مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، فِي شَعْبَانَ الْمُكَرَّمِ سَنَةِ ٧٤٨ قَصِيدَةً مَدَحَ بِهَا الْقَاضِي علاء الدِّينِ عَلِيَّ بْنَ فَضْلِ اللَّهِ ، كَاتِبَ السَّرِّ الشَّرِيفِ ؛ وَهِيَ : [من الكامل]

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ عَنِ الْهَوَى لَا أَنْتَهِيَ
فَعَقَالُ عَقْلِي أَمْكَتَتْهُ يَدُ التَّوَى
شُكْرًا لِعَادِلِي الْجَهْلُولِ فَإِنَّهُ
أَزْتَاخَ جَيْنَ يَقْوَهُ بِاسْمِكَ ثُمَّ لَا
مَاذَا يُخَوِّفُنِي بِهِ وَأَنَا الَّذِي
لَا تَجْفُ صَبًّا لَوْ نَظَرْتَ لِأَمْرِهِ
وَاعْطِفْ عَلَيْهِ بِرَأْفَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ
وَاللَّهِ لَا أَخْشَى الْمَمَاتَ فَإِنَّهُ
لَكِنْ أَخَافُ مِنَ الْعِدَى أَنْ يَنْسُبُوا
قَسَمًا بِوَجْهِكَ وَالْمَلَاخَةَ قَدْ نَمَتْ
وَبِعُزَّةٍ إِنْ تَخَكَّهَا شَمْسُ الضُّحَى
وَبِمَبْسَمٍ لَكَ لَوْلُؤِي أَشْنَبِ
وَبِمَاءِ حُسْنِ جَالٍ فِي خَدِّكَ لَمْ
وَيَجْمَعُكَ الضَّدَّيْنِ مِنْ شَعْرِ دُجَى
وَبِأَهْيَفِ الْمِثْلَيْنِ قَدْ كَ مَائِسًا
لَا حُلْتُ عَنْ أَخْلَى هَوَاكَ وَإِنْ يَكُنْ
وَلِغَيْرِ وَجْهِكَ لَمْ أَمِلْ دُنْيَا فَدُو الْ
إِنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ رِيحِ الصَّبَا
أَمِنْ التَّنَاصُفِ أَنْ تَبَيْتَ مُدَلَّلًا

حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْحَيَاةِ وَأَنْتَ هِيَ
وَعُقُودُ وَجْدِي مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَهِيَ
مَا زَادَ غَيْرَ تَوَلَّعِي وَتَوَلَّهِي
أُضْغِي لِغِشٍّ بِالرَّشَادِ مُمَوِّهِ
أَسْتَعْذِبُ التَّعْذِيبَ لَمْ أَتَكْرَهْ
لَأَصَبْتُ ذَا جَفْنٍ قَرِيبِ أَمْرِهِ
يَقْضِي عَلَى أَسْفٍ وَعَيْشٍ أَشْفِهِ
لَأَلْذُ مِنْ عُمْرِ الْبِعَادِ الْأَتَقِّهِ^(١)
لَكَ قَسْوَةٌ قُبِّحَتْ عَلَى الْمُتَالِهِ
فِيهِ وَمِنْهُ تَقَسَّمَتْ فِي الْأَوْجُهُ^(٢)
فَضَحَ التَّشْبُهُ شَيْمَةً الْمُتَشَبِّهِ
عَذِبَ نَمِيرٍ عَاطِرِ الْمُسْتَنَكِّهِ^(٣)
يُطْفِئُ لَهُيْهُمَا وَلَمْ يَسْتَنْهِ
وَجِيْنِ صُبْحٍ قَدْ تَجَلَّى أَجْلَهُ
وَبِهِ حَلَفْتُ وَغَضَنْ بَانَ قَدْ زُهِى
سَقَمْتُ أَحْلَامِي وَزِدْتُ تَأْوُهِى
وَوَجْهَيْنِ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِأَوْجِهِ
إِنْ عَانَقْتِكَ وَمِنْ فَمِ الْمُتَقَوِّهِ
وَمُجْجِكَ الْعَانِي بِقَلْبٍ مُدَلَّلِهِ

(١) فِي ب : × . . . مِنْ عَمِّ الْبِعَادِ . . .

(٢) فِي س : . . . قَدْ سَمْتُ × .

(٣) فِي ب : × . . . عَاطِرُ الْمُسْتَنَكِّهِ .

(١) تَرْجَمْتُهُ فِي : الْوَانِي بِالْوَفَايَاتِ ٢١١/١٦ وَالذَّرْرُ الْكَامِنَةُ ٢٩٣/٢ وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ ٣٢٤/١٠ .

وَتُوفِيَ سَنَةَ ٧٥٨ هـ .

(٢) نِهَآيَةُ السَّقَطِ فِي س .

أَنحَلْتَنِي أَضْعَافَ سَقَمِ ذَوِي الْهَوَى
وَكَسَوْتَنِي دَنَسَ الْأَسَى فِيمَدَمَعِي
أَوْ مَا خَشِيتَ اللَّهَ فِيَّ وَأَنْتَ
أَمْ خِلْتُ أَنَّ الدَّهْرَ خَالٍ مِنْ فَتَى
وَاللَّهُ لَوْ يَذَرِي ابْنَ فَضْلِ اللَّهِ مَا
فَلَکُمْ أَزَاحَ مِنَ الْأَنَامِ كَرِيهَةً
مَوَلَى إِلَى الْفَارُوقِ نِسْبَةً مَجْدِهِ
سَعِدَ الزَّمَانُ وَتَاهَ مِنْهُ وَازْدَهَى
جَارٍ عَلَى طُرُقِ الْهُدَى فَعُلُومُهُ
فَلَکُلِّ عَافٍ مِنْهُ عَيْنٌ تَفْقِدُ
(فَطِنٌ فَهَلْ مِنْ مُشْكِلٍ لَمْ يَذَرِهِ
يُخَيِّ الْمَمَالِكُ مِنْهُ رَأْيٌ ثَاقِبٌ
فَالْبَحْرُ لَوْ جَارَاهُ قَالَ : الْوَيْلُ لَا
وَالْبَذْرُ لَوْ ضَاهَى إِضَاءَةً وَجْهِهِ
وَالنَّسْرُ لَوْ عَالَاهُ قَالَ لَهُ السُّهَى :
ذُو رِفْعَةٍ جَازَتْ مَدَى الْجَوَازِ فِي
وَعُلَا تُحَاوِلُهَا الْعِدَاةُ فَتَنْتَشِي

وَنَحَلْتَنِي أَضْعَافَ جِسْمٍ قَدْ دُمِي (١)
لَمْ أَتَقِهِ وَمِنْ الْجَوَى لَمْ أَتَقِهِ (٢)
أَفْدِيكَ مِنْ تَعْلِيْبِهِ أَنْ يَبْدِيهِ
يُخْدِي إِلَيْهِ تَوَجُّهُ الْمُتَوَجِّهِ (٣)
أَلْقَاهُ لَأَنْدَرَأَ الَّذِي لَا أَشْتَهِي
وَلَكِنْ أَرَاكَ بِدِيْعٍ عَيْشٍ أَكْرَه
أَكْرَمُ يَنْشَبُ ذَا النَّجَارِ الْأَنْوَه
بِالْأَوْدَعِيِّ الْأَلْمَعِيِّ الْمَذَرَه
أَقْوَالُهَا اتَّجَهَتْ بِكُلِّ الْأَوْجِه
وَلِكُلِّ عِلْمٍ مِنْهُ حُسْنٌ تَفْقِه
عِلْمًا وَهَلْ مِنْ مُغْضِلٍ لَمْ يَذَرِهِ
إِنْ يَشْهَدُ الْخَطْبُ أَزْتَقَى لَمْ يَشْدِهِ
تَطْمَعُ وَكُنْ مِثْلِي وَلَا تَنْشَبِهِ
مَا كَانَ مِنْهُ تَكْلُفُ الْمُتَكَرِّهِ (٤)
حَاوَلْتُ قَبْلَكَ ذَا قَفِيلٍ : مَهْ مَهْ (٥)
شَرَفٌ يَفُوتُ الْمُشْتَرِي وَالْمُشْتَهِي (٦)
عَنْهَا وَلَمْ تَظْفَرْ بِغَيْرِ تَنْوَه (٧)

- (١) في م : × . . . قد دُمِي .
(٢) في ب : . . . فيمدمع .
(٣) في أ ، س : × . . . المتوجه .
(٤) في ب : × ما كان منه تكرر بالمكره .
(٥) ما بين القوسين من ب ، س .
(٦) البيت من س فقط .
(٧) في س : × . . . بغير تنبه .

[٢٠] ب] فِيهِمْ بَوَاطِنُ أَرَعَدَتْ بِتَشْوِشٍ
وَفَضَائِلُ لَمْ تَخْفَ إِلَّا عَنْ فَتَى
وَقَرِيحَةٍ فِي الْحَالَتَيْنِ مُرِيحَةٍ
وَبَدِيْعٌ نَظْمٌ لَوْ تَقَدَّمَ عَضْرُهُ
صَاغَتْ قَلَائِدُهُ الْعُقُولَ فَحُسْنُهُ
قُسُ الْفَصَاحَةِ ، لَوْ تَسَمَّعَ لَفَظُهُ
وَلَهُ مِنَ الْأَدَبِ النَّصِيرِ حَدَائِقُ
كَمْ أَسْمَعْتُ ضَمًّا وَأَنْطَقَ فَضْلُهَا
أَقْلَامُهُ نُصِبَتْ كَأَعْلَامٍ عَلَى
مِنْ خَطِّهَا الْخَطِيئُ يَمْضِي هَارِبًا
مَا رَوْضَةٌ حَيَا الْحَيَا أَفْنَانُهَا
رَاقَتْ مَعَانِيهَا وَرَقَّ نَسِيمُهَا
فَالزَّهْرُ بَيْنَ مُفَضِّضٍ وَمُذْهَبٍ
يَوْمًا بِأَنْضَرَ مِنْ شُذُورِ سَطُورِهِ
إِنَّهُ عِلَاءُ الدِّينِ مَنْ شَانِيهِ لَمْ
بِالرَّغْمِ مَنِي أَنْ أَفَارِقَ مَوْطِنًا
مَا غِيْتُ عَنْ مَعْنَاكَ إِلَّا مُكْرَهًا
فَالْعِزُّ عِنْدَكَ لَا كَمَنْ هُوَ مُنْشَدٌ
خُذْهَا قَصِيدَةً قَاصِرٍ لَوْلَاكَ لَمْ

وَلَهُمْ ظَوَاهِرُ أَرَعَدَتْ لِتَشْوِهُ
أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَى
لِأَخِي الرُّوَايَةِ إِنْ بَدَا وَالْمُبْدَى
قَالَ الْوَرَى : أَفْ لِيُشْعِرِ الْأَفْوَه (١)
يُنْسِي إِصَابَاتِ الْأَدِيبِ الْأَبْلَه (٢)
سَخْبَانُ لاسْتَحْيَى وَلَمْ يَتَفَوَّه
بِنَظِيرِهَا لَمْ يَأْتِ كُلُّ مُفَوَّه
خُرْسًا وَكَمْ لَاحَتْ لِعَيْنِ الْأَكْمَه
إِغْدَامِ بَاغٍ عَنْ هُدَاهُ مِنْهَنَه
وَيَفِيضُ عِنْدَ شَبَابِهَا الرِّزْقُ الشَّهِي
فَفَنَاؤُهَا زَاهِي الْمَعَاطِفِ مُزْدَه
وَصَفَتْ بِمَا وَصَفَتْهُ لِلْمُتَنَزَّه
وَالنَّهْرُ بَيْنَ مُصَفَّقٍ وَمُقَهْقَه
كَالْعَقْدِ مَنْظُومًا بِهِ الْبَذْرُ الْبَهِي
يُوهَبُ عُلَا وَلِضْدَهُ لَمْ يُؤْبَه
لَكَ طَالَمَا فِيهِ حَمِذْتُ تَوَجُّهِي
وَلَقَدْ مَحَى الرَّحْمَنُ ذَنْبَ الْمُكْرَه
الْعِزُّ فِي صَهَوَاتِ خَيْلِ الْأَجَبَه
تَسْمَخُ قَرِيحَتُهُ وَلَمْ يَنْتَبَه

- (١) الأفوه الأودي : صلاة بن عمرو المذحجي ، أبو ربيعة ؛ شاعر جاهلي حكيم . (الشعر والشعراء
٢٢٣/١) .
(٢) الأبله البغدادي : محمد بن بختيار بن عبد الله ، الشاعر المشهور ؛ توفي سنة ٥٨٠ هـ . (الوافي
٢٤٥/٢) .

أَفْعَنْتُ فِي إِنْشَائِهَا بَنَفَكْرِي
قَامَتْ عَلَى عُمِدِ الْيَانِ فَأَخْمَلْتُ
أَنْتِ تُسَاوِيهَا وَهَذِي قَدْ حَوَتْ
نَزْهَتُهَا عَنْ أَخْنَعِ اسْمٍ قَالَهُ
وَفَرَزْتُ مِمَّا لَمْ يَسْغُ لُغَةً فَلَمْ
وَقَصِيدَةُ الْكِنْدِيِّ تَكْشِي إِثْرَهَا
وَإِذَا هُمَا افْتَحَرَا عَلَيَّ وَأَنْتَ ذُو
وَلَيْتِنِ تَدَاعَيْنَا فَإِنَّكَ حَاكِمٌ
هَذَا عَلَى أَنَّ الْقَرِيضَ فَضِيلَةٌ
هُوَ يَزْتَمِي حَوْلِي فَأَقْبَلُ عَفْوَهُ
لَمْ يَمْتَلِءْ جَوْفِي بِهِ خَوْفًا عَلَى
لَوْلَا امْتِدَاخُكَ لَمْ أَعِزَّهُ فِكْرَتِي
وَطَرَحْتُهُ حَتَّى يَكُونَ كَمَجْجَةٍ
لَا زِلْتُ فِي نَعَمٍ يَدُومُ سُورُهَا

فَنَعْنْتُ مِنْ إِنْشَادِهَا بَنَفَكْرِي
ذَاتِ الْعِمَادِ الْكَاتِبِ الْمُتَمَدِّهِ (١)
بِكَ الْإِفْتِخَارَ وَتِلْكَ فِي فَرْخِشِهِ
مِنْ وَضْفِ غَيْرِ اللَّهِ بِالشَّاهِنَشِ
أَتْبَعُهُ فِي نَخْتِ الْعِتَاقِ الْفُرِّهِ
لَمْ يُفْتِهَا زَيْدٌ بِزَيْنِ بَلِّ سَهِي (٢)
مَذْحِي شَمَخْتُ إِذَا بِأَنْفِ الْأَنْبِي
بَيْنِي وَبَيْنَهُمَا بِخَاطِرِكَ النَّهْيِ
لَهُمَا وَعِنْدِي فَضْلَةُ الْمُسْتَنْزِهِ
طَوْرًا وَأَتْرُكُ تَارَةً بِتَرْفُهِ (٣)
دِينِي وَلَمْ أَشْرَعْ إِلَيْهِ وَأَشْرَهُ
كَلًّا وَلَمْ أَنْظُرْ إِلَيْهِ وَأَكْنَدَهُ
فِي لُجَّةٍ أَوْ مُهْمَلٍ فِي مَهْمِهِ
وَالدَّهْرُ عَنْ تَكْدِيرِ صَافِيهَا لَهِي (٤)

- (١) في ب : . . . فأخمدت × . . . الْمُتَمَدِّهِ . والإشارة إلى العماد الكاتب ، صاحب الخريدة .
(٢) الإشارة إلى قصيدة العماد . في مدح الملك المنصور عز الدين قرقشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، وهي
في ثلاثة وثلاثين بيتاً ، مطلعها :
بَيْنَ أَمْرٍ حَلَاوَةِ الْعَيْشِ الشَّهْيِ وَهَوًى أَحَالَ غَضَارَةَ الزَّمَنِ الْبَهْيِ
وعارضها أبو اليمَن زيد بن الحسن الكندي ، تاج الدِّين ، بكلمةً بديعةً في وزنِها ورويَّها وحسنَ رَئِهَا
- وهي في تسعة وأربعين بيتاً - مطلعها :
هَلْ أَنْتَ رَاحِمٌ عَبْرَةٌ وَتَوَلَّاهُ وَمُجِيرٌ صَبٌّ عِنْدَ مَا مَنِيهِ دُهْيِ
[كتاب الرُّوضَتَيْنِ لأبي شامة ٣/ ١٣٠ - ١٣١]
(٣) في ب : . . . فأقبل عنده × .
(٤) في ب : × . . . كهي .

وَوُقِيتَ صَارِفَ فَضْلٍ مَجْدٍ أَرْفَعِ وَبَقِيتَ وَارِفَ ظِلِّ سَعْدٍ أَرْفَعِ (١)
● فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ، وَرَأَيْتُ مَا جَمَعْتُ مِنَ الْمَحَاسِنِ دُرَّتْهَا
الْقَرِيدَةُ ، نُقْتُ إِلَى تَقْرِيبِهَا نَظْمًا ، وَأَرَدْتُ أَنْ أُطْلِعَ قِبَالَةَ قَمَرِهَا التَّمَامَ فِي سَمَاءِ
الْبَلَاغَةِ نَجْمًا ، وَعَلِمْتُ أَنَّ كُلَّ نَارٍ لَيْسَ عِنْدَهَا سَلَامٌ ، وَكُلُّ صَبٍّ لَا يَجِدُ
السَّلَامَةَ عِنْدَ سَلْمَى ؛ فَظَنَّمْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الَّتِي تَجُرُّ رِدَاءَ الْحَجَلِ ، وَتَقْمَصُّ
أَزْدِيَةَ الْوَجَلِ ، وَأَيْنَ ذُبَالَةُ السَّرَاحِ مِنَ الْكَوْكَبِ الْوَهَّاجِ ؟ وَالْجَذُولِ النَّاصِبِ مِنَ
الْبَحْرِ [٢١١] الْعَجَاجِ ؟

وَكَانَ عُمُرُ إِنْشَائِهَا فِي بُعْيِ لَيْلَةٍ ، لَا جَرَمَ أَنَّ الْإِتْقَانَ مَا جَرَّ عَلَيْهَا ذَيْلَهُ ،
وَلَا أَعْطَاهَا الْإِحْسَانُ حَيْلَهُ ؛ وَهِيَ : [من الكامل]

مَهْلًا فَإِنَّ الشَّرْعَ أَصْبَحَ يَزْدَهِي بِكَ فَرَحَةً وَالشَّعْرُ فِينَا قَدْ دُهِي (٢)
وَالْفَقْهُ لَمَّا أَنْ تَعَاظَمَ شَأْنُهُ بِعَلَاكَ لَمْ يَخْفَلْ بِذِكْرِ الْأَشْنَهِي (٣)
وَكَذَلِكَ الْمَغْقُولُ مَغْقُودُ الْعُرَى بِكَ لَمْ يُعْلَقْ بِنْدُهُ بِالْبَنْدَهِي (٤)
أَخْمَلْتُ أَرْيَابَ الْقَرِيضِ فَأَضْبَحُوا يُدْعَوْنَ بِالْمَجْنُونِ أَوْ بِالْأَبْلَهِي
أَمَّا الْوَلِيدُ فَشَابَ مِنْكَ وَهَكَذَا مُتَبَيِّئُ الْأَشْعَارِ لَمْ يَتَبَكَّهِي
وَصَرَعْتَ عَنَتَرَةَ الْفَوَارِسِ فَاثْنَيْ قَلِقًا يُنَادِي : يَا لَصْنَتِ الْأَفْوَهِي
لَوْ كُنْتُ تَفَخَّرُ بِالْقَرِيضِ تَوَجَّهْتُ مِنْكَ الْقَوَافِي نَحْوَ كُلِّ تَوَجَّهِي (٥)

- (١) سقطت كلمة « فضل » من صدر البيت في أ . وفي م : . . . صارف كل مجدٍ أرفع × .
(٢) في أ ، م : × . . . والشَّعْرُ فِينَا . . . وفي م : × . . . قد زهي .
(٣) الْأَشْنَهِي : لعنه أحمد بن موسى بن جوشين ، أبو العباس ؛ كان فقيهاً فاضلاً ؛ توفي سنة ٥١٥ هـ .
(طبقات السبكي ٦٦/٦) أو : عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز ، صاحب الفرائض المشهورة .
وهما منسوبان إلى قرية أشنه بأذربيجان . (طبقات السبكي ١٧١/٧) .
(٤) البندهي : محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي الفقيه الشافعي الصوفي ؛ توفي سنة
٥٨٤ هـ . (وفيات الأعيان ٤/ ٣٩٠) .
(٥) في س : × . . . نحو كل تجوّه .

لكن عِلِمْتَ فلم تَزَلْ مُتَوَاضِعاً
وَسَغَلْتَ نَفْسَكَ بِالْحَقَائِقِ بُزْهَةً
قَلَمُ الشَّرِيعَةِ فِي بَصِيرَتِهِ كَمَا
هَذَا يَمِيسُ وَذَا يَمِيسُ مِنَ الْجَوَى
أَضْحَى الْوُجُودُ مُخْلَفاً بِأَصِيلِهِ
وَالْعُضْنُ فَوْقَ النَّهْرِ مَالٌ فَحَبَّذَا
يَا مَنْ تَرَفَّعَ شِعْرُهُ لَمَّا غَدَا
فَتَّ الْبَوَارِقَ وَهِيَ تُجْهِدُ نَفْسَهَا
وَعَلَوْتَ عَمَّنْ قَدْ غَدَا مُتَرَوِّباً
خَلَّ الْقَرِيبُ لَنَا نُجْرُغُ خَلَّهُ
وَأَتْرُكُ لَنَا هَذِي الصَّنَاعَةَ نَزْتَرِقُ
فَالنَّجْمُ مَعْقُودٌ بِذِيْلِكَ طَرْفُهُ
لَوْ شِئْتَ أَنْ تَضَعَ التُّجُومَ قَوَافِياً
بِقَصِيدَةٍ لَوْ كَانَ أَتْبَهُ شَاعِرٍ
لَوْ قِيلَ : أَيُّ قَصِيدَةٍ قَدْ زُيِّنَتْ
حَصَلَتْهَا مِنْ كَنْزِ وَإِدِكَ الَّذِي
وَلِيَ الْقَضَاءَ بِسَيْرَةٍ عُمَرِيَّةٍ
فَزُدْ غَدَا فِي الْبَحْثِ سَبْعاً أَغْلَبَا
كَمْ قَدْ أَبَانَ الْعَجَزَ يَوْمَ جِدَالِهِ
مَا جَاءَهُ وَاللَّهِ يَعْلَمُ قَصْدَهُ

أَيْنَ اللَّطِيفُ مِنَ الْكَثِيفِ الْعُنْجَبِي
وَالْحَقُّ يَشْرُفُ لَا الْمَقَالُ التُّرْهِي
قَلَمُ الْقَرِيبِ غَدَا بِطَرْفِ أَكْمِهِ
شَتَّانَ بَيْنَ تَأْوُدٍ وَتَأْوُهُ
فَرِحاً وَحُقُّ لَهُ بِفَضْلِكَ يَنْتَهِي ^(١)
مُتَقَهِّقَرٌ يَبْدُو عَلَى مُتَقَهِّقِهِ
بَيْنَ الْكَوَاكِبِ عَنْ مَقَالِ مُزْهَرِهِ
سَبْقاً وَفِكْرُكَ فِي أَنَاءِ مُرْقِهِ
وَسَبَقْتَ بِالْإِحْسَانِ لِلْمُتَبَدِّهِ
فَالشَّهْدُ مَا شَاهَدْتَ لِلْمُتَقَهِّهِ
بِضْبَابَةٍ مِنْ طَعْمِهَا الْمُتَسَنِّهِ
قَدْ رَاحَ بَيْنَ تَشْبُثٍ وَتَشْبِهِ
لَتَنَزَّلْتَ طَوْعاً وَلَمْ تَتَنَزَّرْهُ
يَخْكِي فَصَاحَتَهَا لِأَضْبَحَ تَهْتَهِي
بِالنَّظْمِ فَوْقَ الْفَرْقَدَيْنِ ؟ لَقُلْتُ : هِيَ
بِكَمَالِهِ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ قَدْ رُهِى
وَالْعَدْلُ خَيْرٌ مُنَوَّعٌ لِمُنَوَّهِ
مَا الطَّبِيُّ فِي اللَّقْيَا لَهُ بِمُجْهَجِهِ
مُسْتَوْدَعاً فِي خَضَمِهِ الْمُسْتَوْرِهِ ^(٢)
مَنْ يَشْتَكِي إِلَّا رَأَى مَا يَشْتَهِي

كَمْ سَمَّ سَهْمًا قِي قَضَاءُ حُكُومَةٍ
فَالْعَيْثُ يَزُورِي عَنْ عَطَايَا كَفِّهِ
أَمَّا الْحَدِيثُ فَإِنَّمَا هُوَ رُخْلَةٌ
وَالشَّافِعِيُّ الْأَشْعَرِيُّ مُبَرَّأٌ
قَدْ زَانَ بَسْطَةَ جِسْمِهِ وَعِلُومِهِ
خُذَهَا بِهَاءِ الدِّينِ نَفْثَةً نَاطِمٍ
تَتَفَادُ فِي بُرْدِ الْفَصَاحَةِ رِقَّةً
خَلَصَتْ قَوَافِيهَا فَهَاءُ رَوِيهَا
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي لَمْ أَتَجَلَّ
لَكِنْ إِذَا فَكَّرْتُ فِيمَا حُزَّتُهُ
فَأَنَا بِكَ الصَّبُّ الَّذِي مِنْ حُبِّهِ
● ثُمَّ إِنَّنِي بَعْدَ ذَلِكَ نَظَّمْتُ قَصِيدَةً ، [٢١ ب] مَدَحْتُ بِهَا الْقَاضِي عَلَاءَ الدِّينِ

ابن فضل الله كاتب السِّرِّ الشَّرِيفِ ؛ وَهِيَ : [من الكامل]

حَاشَا عُھُودِي فِي الصَّبَابَةِ أَنْ تَهِيَ
يَا عَزَّ عَزِّي فِي هَوَاكِ مَذَلَّتِي
أَصْبَحْتُ مِنْكَ تَوَجُّعِي وَمِنْ الْجَفَا
فَتَرَفَّقِي بِي فِي الْهَوَى وَتَرَفَّقِي
قَدْ زَادَ فِيكَ تَأَلَّفِي بِتَأَلَّمِي
مَا تَلْتَقِي حَمَلَاتِ طَرْفِكَ مُهْجَتِي
فَالصَّبْرُ يَسْأَلُنِي إِذَا مَا سُمْتُهُ
أَوْ أَنْ يُحَسِّنَ لِي السُّلُوءَ فَأَنْتَهِي
وَتَوَلَّعِي بِكَ قَدْ قَضَى بِتَوَلَّعِي
ءِ تَوَجُّسِي وَإِلَى حِمَاكِ تَوَجُّعِي
عَنْ قَتَلْتِي وَعَنْ الصُّدُودِ تَرَفَّقِي
وَتَفَكَّرِي فِيكَ انْتَهَى لِتَفَكُّعِي
فَخَفَّي إِلَهَكَ فِي دَمِي يَا هَذِهِ
وَالْقَلْبُ إِن لَّيْتُسُهُ لَا يَنْتَهِي

(١) فِي هَامِش ١ : أَيِ الْمَبْطَل .

(٢) الْمُنْدَهِي : ابْنُ مَنْدَه ، الْحَافِظُ الْمَشْهُورُ .

(١) فِي م : × يَلْتَهِي .

(٢) فِي ب : × مُتَوَدَّعاً

ماذا يقول الواصفون وقد غدت
أما الشها فإلى جمالِك قد سها
كخلاء أما أمرها في أذمعي
قد خصها الباري بلطف زائد
ولقد أقول وقد سرت أظعانها
يا من يريد الشمس قف لا تنخدع
من أين للشمس المنيرة مبسم
عطف علي قوامها يا من رأى
وتلفتت نخوي بجيد أتلع
وصفي لها بروية ومدائح
ذي نسبة قرشية عدوية
فالعلم معلمه به لم يدرس
ما دبر الأملاك مثل يراعه
بسيادة مغبوبة وسياسة
وبلاغة لسموها يجبي لها
وفصاحة علوية علوية
وعلى عبارته طلاوة رونق
وتعوض في طلب المعالي نقدا
وكتابة مثل الأراهر نضرة
بل كل حزف كوكب متوقد
أقلامه مثل الحباب فليته

(١) في أ : × عمن تحلت في المحافل . . .

تثني البدور على محياك البهي
وكذا المتقف قده بك قد دهي
فجرت على عادات جفني الأمره
فتشف عن جسم براه برهري
ليلاً وجفن الضبح لم يتبكه
عمن تجلت في المحاميل فهي (١)
خلو المذاقة طيب ألمي شهي
متأوداً يخنو على متاؤه
بالله قل للظبي لا تشبه
لعلي بن فضل الله ذات تبده
عمرية وإلى علي تنتهي
رغياً له والجلم لم يسفه
حفظ النظام به فدام ولم يه
مضبوطة غيا على المتفوه
نمرات كل عبارة لم تجبه
نزل البليغ لها فأصبح تنهي
مترقرق الأمواه لم يتسنه
ما يختفي بتفقد المتفقه
أو ما تراها غرة في الأوجه
قد صبح ذلك بالقياس الأشبه
حظ المحق وسمه للشمهي

وله معان كم أبان بيانها
وعقود نظم لو تعقل حسنها الـ
فكثير قد راح منها ناقصاً
يا من يحاول وصفه ارجع لا تقغ
يا من يلوم نواله في بذله
أقول للغيث المثلث إذا همي
جسم العطاء مع التيقظ للعلا
يا من أتاح له الزمان خطوبه
لا تشكي صرَف الردى إلا إلى
إشرخ له جوار الزمان وكينده
فلو ارتحلت ويزت ما بين الملا
[٢٢] لم تلق مثل فخاره ونيجاره
أفنى الليالي شكره وثناؤه
من سوء حظي البعد عن أبوابه
أما الدنو فإنه من بشره
قد يلف السعد العنان فتحمي
يا سيداً ملاً الزمان مهابة
خذها متفحة القوافي أصبحت
سلمت فما اختال الضمير لهايه

(١) في م : . . . فخاره وثناؤه × .

(٢) في م : . . . شكره وفخاره × .

نكتاً أقر لها البديع البندهي
مجنون لم تخطر ببال الأبله
وقضى لها الحكمي بصمت الأفوه
في مهمه لا ينتهي فمه مه
أسكت فما تدري إذا قلنا مه
مهلاً وقد روى بطاح المهمة
أسمعت قط بوهب بن مته ؟
ورأى محاسنه بطرف أكمه
عليائه حتى ترى ما تشتهي
واسرخ فلم يذره غير المذره
حتى يقول الناس هذا المندهي
بهما يسامرك النديم فتلهي (١)
فالناس بين مبخخ ومزهره (٢)
من لم يتل حظاً به لم يؤبه
بالروح منه فإنه لم يشره
عني قبائح حظي المشوه
لما تعاظم شأنه الشاهنشهي
أنس النديم وخضرة المتزهر
فيها ولم يخلها بتجوهر

فَرَوَيْهَا مُتَحَرِّزٌ مُتَجَنِّبٌ
إِنَّ الْعِمَادَ عَلَى وَجَاهَةِ فَضْلِهِ
وَتَعَمَّدَ الْمَمْلُوكُ فِيهَا غَلْطَةً
وَاسْلَمَ وَدُمَ مَا رَكَ شِعْرُ مُبَلِّدٍ
مَكَرَ الضَّمِيرِ وَلَيْسَ فِيهِ بِمُكَرَّهٍ^(١)
قَدْ قَالَ فِي بَعْضِ الْقَوَافِي وَجْهِهِ^(٢)
لَا بُدَّ مِنْ غَيْبِ تَرَاهُ فَغَطَّاهُ
فَأَتَاكَ بِخِمْلِهِ فَقُلْتَ لَهُ : هَيْهَيْ^(٣)^(١)

● وكتبْتُ أنا إليه وقد تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ شَرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى ، وجاورَ بِهَا فِي سَنَةِ ٧٦٠ وعادَ مِنْهَا إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي سَنَةِ ٧٦١ : [من السَّريع]

جِئْتُ إِلَى الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
فَلْيَهْنِهَا مِنْكَ الْغِنَى بَعْدَمَا
دَجَّتْ لِيَالِهَا فَلَمْ تَبْلُجْ
تَقْبَلُ اللهُ تَعَالَى الَّذِي
وَلَمْ تَزَلْ يَرْفَعُكَ اللهُ فِي
كَمْ عُمْرَةٍ فِي الصُّومِ مَبْرُورَةٍ
وَكَمْ طَوَافٍ قَدْ طَوَّتْ فِي الدُّجَى
أَقْرَزْتَ عَيْنًا فِيكَ غَادَرَتْهَا
أَقُولُ فِي الصَّيْفِ إِذَا مَا بَكَتْ :
لَمْ أَرْ عَيْنًا بِالْبُكَاءِ غَيْرَهَا
فَبَرَّدَ الْآنَ لَطْفِي مُهْجَتِي
وَابْعَثْ إِلَيَّ الْيَوْمَ نَفْسِي الَّتِي
إِذَا أَتَى مِنْكَ كِتَابٌ إِلَيَّ
إِذْ جِئْتُ مِنْ مَكَّةَ لِلْقَاهِرَةِ
قَدْ رَمَيْتُ بِالْفَقْرِ وَالْفَاقِرَةِ
شَوْقًا إِلَى أَنْجُمِكَ الزَّاهِرَةِ
قَدْ أَخْرَزْتُ أَعْمَالِكَ الطَّاهِرَةِ
مَنَازِلِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
فَارِثَ بِهَا أَوْقَاتِكَ الْعَامِرَةِ
وَفِي الضُّحَى أَشْوَاطِكَ الْمَاهِرَةِ
شَوْقًا عَلَى طُولِ الْمَدَى سَاهِرَةِ
يَا طُولَ هَذِي اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ
تَخَجَّلْ مِنْهَا الْأَبْحُرُ الزَّاهِرَةِ
مَنْ حُرِّقَ فِي بَاطِنِي ظَاهِرَةِ
رَدَدْتَهَا بِالْأَمْسِ فِي الْحَافِرَةِ
عَبْدِكَ جَاءَتْهُ الْمُنَى سَافِرَةِ

(١) البيت ساقط من س .

(٢) سقط هذا العجز وصدر الذي يليه من ب ، فتلفق ما بقي .

(٣) وسقط ما بعد هذه القصيدة ، إلى نهاية الترجمة من ب ، س .

كَأَنَّ قَلْبِي غَابَ فِي جُنَّةٍ
أَوْ عَيْنِي الْقَرْحَى رَأَتْ فَرْحَةً
وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الَّذِي طَرَسُهُ
وَسَلَّمَ الْأَقْوَامُ مِنْ عَجْزِهِمْ
كَمْ نُكْتَةٍ فِي الْأَدَبِ الْمُتَنَقَّى
تَغْلُو ذُرَى النَّظْمِ وَتَرْقَى فَعَنُ
لَا بَيْتَ إِلَّا وَالْبَدِيعُ انْطَوَى
تَرَى الْقَوَافِي وَهِيَ فِي مَنَعَةٍ
قَدْ اطمَأْنَنْتَ مِنْهُ فِي بَيْتِهِ
تَجْمَعُ شَمْلَ الْحُسْنِ لَا كَالَّذِي
فَهُوَ قَرِيبُ شَائِعٍ فِي الْوَرَى
سُبْحَانَ مَنْ سَحَّرَ هَذَا لَهُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَزْوَهِ
عَنِ الرَّدَى أَوْ جَنَّةٍ حَاضِرَةٍ
أَوْ ذَهْنِي الْفَاتِرَ أَلْقَى تِرَةً
ضَمَّ فُتُونِ الْأَدَبِ الْفَاحِشَةِ
إِلَيْهِ حُسْنِ الْكَلِمِ السَّاحِرَةِ
جَاءَتْ بِهَا أَلْفَاظُكَ الْقَادِرَةِ
رُتِبَتْهَا يَنْحَدِرُ الْحَادِرَةِ^(١)
فِيهِ وَإِلَّا التُّكْتَةُ النَّادِرَةِ
فَإِنْ دَعَا جَاءَتْ لَهُ صَاحِرَةِ
وَلَمْ تَكُنْ مِنْ قَلْبِي نَافِرَةِ
تُبْصِرُهَا فِي بَيْتِهِ حَائِرَةِ
سَارَتْ بِهِ أَثْمَالُهُ السَّائِرَةِ
وَرَدَّنَا بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ
فَقَدْ أَمِنَا الزَّلَّةَ الْعَائِرَةَ

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيَّ ، أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْهِ : [من السَّريع]

[٢٢ب] أَهْلًا بِهَا مِنْ رَوْضَةٍ نَاضِرَةٍ
وَأَعْيُنٍ بِاللُّطْفِ لِي نَاضِرَةٍ
وَأُفُقِ عِلْمٍ أَشْرَقَتْ فِي الدُّجَى
أَوْ قَهْوَةٍ حَلَّتْ وَحَلَّتْ عُرَى
أَبْيَاتُ نَظْمٍ هَدَمَتْ لِلْوَرَى
وَصَيَّرَتْ أَشْعَارَهُمْ فَضْلَةً
وَلَمْ تَقُمْ دَوْرٌ لَهَا بَعْدُ بَلْ
وَأَعْيُنٍ بِاللُّطْفِ لِي نَاضِرَةٍ
أَنْوَارُهُ بِالْأَنْجُمِ الزَّاهِرَةِ
فَهَمِي لِحُسْنِ الْكَلِمِ السَّاحِرَةِ
قُصُورَ فَهْمٍ وَاعْتَدْتُ عَامِرَةِ
فَقُلْ دَوَائِبُهُمْ صَاحِرَةِ
دَارَتْ عَلَى أَبْحُرِهَا الدَّائِرَةِ

(١) الحادثة الذيباني : قطبة بن أوس ، شاعر جاهلي معروف . (ديوانه ٣٣) .

وحاذر الشَّخَّاحُ أَنْ يَغْتَلِي
 واشتهرت بالحُسنِ مَعَ أَنَّهَا
 أَصْدَرَهَا صَدْرُ الْأَنَامِ الَّذِي
 يُقْصِرُ الْأَغْلَامُ عَنْهَا وَلَوْ
 شَيْخُ الْوَرَى وَاحِدُ عَصْرِ الْعُلَا
 وَمَنْ بِهِ الدَّهْرُ أَزْدَهَى عَظْفُهُ
 لَهُ أَيْادٌ وَعُلَا لَمْ تَزَلْ
 تَكَادُ أَوْلَاهُ مِنْ رَغْبَةٍ
 وَسِيرَةٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ قَدْ
 يَمْشِي بِهَا فِي الْأَرْضِ أَهْلُ التَّقَى
 يَا أَيُّهَا الظَّنَّانُ رَدِّ بَابَهُ
 وَيَا أَخَا التَّنَالِ بَايِزَ لَهُ
 شَوْقِي لَهُ وَالْوَجْدُ لَا يَنْقُضِي
 قَدْ قَهَرْتَنِي الشَّامُ فِي بُعْدِهِ
 وَكَمْ لَهُ عِنْدِي مِنْ نِعْمَةٍ
 لَا بَرَّحَ الدَّهْرُ صَلَاحَ الْوَرَى
 فِي الْحَالِ وَالْعُقْبَى بَيْنِلِ الْمُنَى

● وكتبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ، وقد نابَ عنه في تدريسِ المَنْصُورِيَّةِ وَلَدُهُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ

تَقِي الدِّينِ أَبُو حَاتِمٍ ، في سنة ٧٦٣ : [من السريع]

فَوَائِدُ الشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ جَدَّدَهَا دَرْسُ أَبِي حَاتِمٍ

(١) في أ : × . . . الأعين السَّاهرة ! . والمثبت من م .

(٢) في م : . . . من بعده × .

أَكْرِمَ بِهِ ابْنًا لِأَبٍ مَاجِدٍ
 الْمُزْتَضَى ابْنُ الْمُجْتَبَى الْمُفْتَى
 يَا أَهْلَ سُبُكِ وَبِدَائِي لَكُمْ
 بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَكَسْبِ الثَّنَا
 بِهَاؤُكُمْ لَوْ رُمْتُ أُخْصِي الثَّنَا
 أَفْتَى فَمَا خَالَفَهُ حَاكِمٌ
 قَدْ جَمَلَ الدَّهْرَ بِأَفْعَالِهِ
 يَرُوي عن الصَّادِقِ فِي وَغْدِهِ
 عَارٍ مِنَ الْعَارِ وَكَمْ نَشَرَ الثَّ
 وَتَاجُكُمْ قَاضِي غَدَا فَضْلُهُ
 وَذُو النَّصَانِيْفِ الَّتِي شَرَّقَتْ
 وَالرَّافِعِي إِنْجَرَ إِلَى خَلْفِهِ
 وَرُبَّ حَرَّانٍ حَمَاهُ ظَمَاهُ
 وَنَجْمُكُمْ هَذَا رَأَيْنَا الشُّهُى
 [١٢٣] فَهُوَ ابْنُ جَبَّانٍ إِمَامُ الْوَرَى
 قَدْ أَتَقَنَ الْأَدَابَ حَتَّى لَقَدْ
 يَسْرُدُ أَسْمَاءَ الرِّجَالِ الَّتِي
 وَسَادَ فِي عَصْرِ الصُّبَا مَعْشَرًا

كَمْ مِنْ ثَنَاءٍ بِاسْمِهِ بِاسِمِ
 الْعَالِمِ ابْنِ الْفَاضِلِ الْعَالِمِ
 يَزُوي الشُّذَا عن عَرَفِهِ النَّاسِمِ
 نَصَرْتُمْ دِينَ أَبِي الْقَاسِمِ
 عَلَيْهِ أَتَعَبْتُ يَدَ الرَّاقِمِ^(١)
 وَلَوْ يَكُونُ الْحَاكِمَ الْفَاطِمِي
 تَجَمَّلَ الْخِصْرَ بِالْخَاتِمِ
 وَيَقْتَدِي فِي الْعَيْظِ بِالْكَاطِمِ
 شَنَا عَلَيْهِ حُلَّ النَّاطِمِ^(٢)
 يَزُوي لَنَا « مُسْتَذْرَكَ الْحَاكِمِ »^(٣)
 وَغَرَّبَتْ مَا بَيْنَ ذَا الْعَالِمِ
 وَلَمْ يَكُنْ فِي الثَّقَلِ بِالْجَازِمِ
 فَقَرَّ فَمَا صَارَ إِلَى حَارِمِ
 سَهَا لَهُ فِي لَيْلِهِ الْعَاتِمِ
 أَوِ السَّجِسْتَانِي أَبُو حَاتِمِ
 بَحَّلَ فِينَا أَدَبَ الْحَايِمِ
 فَرَّطَ فِي إِتْقَانِهَا الْحَازِمِ
 أَكْبَرُهُمْ فِي رُتْبَةِ الْخَادِمِ

(١) سقط صدر البيت من م .

(٢) في م :

عارٍ من العار ونشر الثنا عليه من حلل الناظم (٢)

وفي هامشه : هكذا في الأم .

(٣) المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري .

فَمَا لِلْأُمِّ الشَّافِعِي مِثْلُهُ
فَيَا بَنِي الشُّبْكِيِّ قَدْ سُدَّتُمْ
لَوْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِ ذَا لَمْ يُقَلْ :
قَامَتْ بِكُمْ سُوقُ الْعُلَا فِي الْوَرَى
تَزُورُونَ فِيهَا الْجُودَ عَنْ نَافِعِ
قَصَّزْتُ فِي مَدْحِي عِلَاكُمْ وَلَوْ

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من السريع]

شَيْخٌ وَلَمْ يَتْلُغْ مَدَى الْحَالِمِ
فَمَنْ تَمِيمٌ وَبَنُو دَارِمِ
« خُزَيْمَةُ خَيْرُ بَنِي خَازِمِ »^(١)
وَالنَّاسُ مَا زَالُوا مَعَ الْقَائِمِ
وَفِي الرَّدَى تَزُورُونَ عَنْ عَاصِمِ
أَتَيْتُ بِالصَّادِحِ وَالْبَاغِمِ^(٢)

شُكْرًا مِنَ الْعَبْدِ أَبِي حَاتِمِ
مَنْظُومَةً مِنْ تَشْرِيرِ أَتَتْ
جَاءَتْ عَلَى شَرْطِ اقْتِرَاحِي الَّذِي
حَلِيَّةٌ مُسْتَعْنٍ لِمَضَرِّ أَتَتْ
جَاءَتْ مِنَ الْبَحْرِ بِأَصْنَافٍ مَا
كَأَنَّهَا الرُّؤُوسُ بِكَاهِ النَّدَى
فِي النَّظْمِ وَالْجُودِ سَمَتْ وَازْدَرَتْ
رَوَتْ حَدِيثَ الْعِلْمِ فَالْقَلْبُ قَدْ
فَقُلْ لِمَنْ يَطْمَعُ فِي مِثْلِهَا :
كُنْزٌ عَنْ نَظْمِهَا قَلَّ بَلْ

(١) العجز صدر بيت لأبي نواس : [ديوانه ١/٢٨٨]

خُزَيْمَةُ خَيْرُ بَنِي خَازِمِ وَخَازِمُ خَيْرُ بَنِي دَارِمِ

ودارم خير تميم ومما مثل تميم في بني آدم

(٢) الصادح والباغم : اسم كتاب لابن الهيثمي . (كشف الظنون ٢/١٠٦٩) .

(٣) في م : خاتم .

لَوْ رَامَهَا عَمَرُو دُعَى ظَالِمًا
عَادَ بِهَا لِي يَوْمَ عَيْنِدِ فَعَنْ
فَكَمْ بِهَا بَيْتٌ عُلَا شَادَهُ
خَبِرَ كَرِيمٍ مَا جِدَ أَرْوَعَ
شَيْخٌ عُلُومٍ صَارَ فِي دَفْرِهِ
يُقَصِّرُ الْأَعْلَمُ عَنْ نَحْوِهِ
كَذَا الْمَعَرِّي زَعِيمُ الْعُلَا
حَتَّى أَبُو الْأَسْوَدِ عَنْهُ وَنَى
بِخِذْمَةِ الْعِلْمِ يَسُودُ الْوَرَى
ذُو رَاحَةٍ لِلْعُدْمِ مِنْ جُودِهَا النَّدَى
مَاءُ النَّدَى مِنْهَا جَرَى ثُمَّ كَمْ
فَعَلَ النَّدَى مِنْهَا تَعَدَّى إِلَى
وَنُورُ عِلْمٍ لَاحَ مَا مَا جَدَّ
إِنْ عَمَّ خَطْبُ فَارَوْ مِنْ عِلْمِهِ
قَامَ بِلا دُنْيَا لِنَفْعِ الْوَرَى
وَحُبُّهُ عَمَّ جَمِيعَ الْوَرَى
فَمَنْ خَلَا مِنْ حُبِّهِ قَلْبُهُ
يَا سَيِّدِي قُلْ لِي مَتَى أَرْتَوِي
وَأَجْتَلِي ذَاكَ الْمُحَيَّا الَّذِي
فِي زُورَةٍ مَيِّمُونَةٍ لَمْ يَكُنْ
[٢٣ ب] تَمْنَحُ ضَرْعَ الْهَمِّ فِيهَا لِمَنْ

كَاسِمِ أَبِيهِ قَبْلَهُ ظَالِمِ^(١)
كَأْسِ التَّصَابِي لَسْتُ بِالصَّائِمِ
خَيْرُ إِمَامٍ لِلرَّدَى هَادِمِ
بَخِرَ خِضَمٌ عَامِلِ عَالِمِ
مَنْ غَيْرِ خَلْفِ عَالِمِ الْعَالِمِ
قُصُورَ قَدَمٍ لَيْسَ بِالْفَاهِمِ
لِنُورِهِ فِي النَّظْمِ كَالْغَارِمِ
فَلَيْسَ يُدْعَى بِسِوَى ظَالِمِ
مَا سَيِّدُ الْقَوْمِ سِوَى الْخَادِمِ
نَاسِخٌ وَالْمَنْسُوخُ لِلْحَازِمِ
فِي الْوَجْهِ مِنْ مَاءِ حَيَا دَائِمِ
كُلُّ وَمَنْغٍ ذَا صِفَةٍ بِاللَّازِمِ
لَهُ لِسْمَسِ الْأَفْقِ بِالْعَادِمِ
عَنْ نَافِعِ فِي الدُّنْيَا أَوْ عَاصِمِ
فَكَيْفَ وَالدُّنْيَا مَعَ الْقَائِمِ
كَطِيبِ كَأْسِ الْمَاءِ لِلطَّاعِمِ
فَلَيْسَ عِنْدِي مِنْ بَنِي آدَمِ
مِنْكَ بِوَجْهِ الْقَادِمِ الْغَانِمِ
يَجْنِي وَيَجْلُو كَدَرَ الْهَائِمِ
صَاحِبُهَا لِلصَّحْبِ بِاللَّائِمِ
عَادَى وَقَرَعَ السَّنَّ لِلنَّائِمِ

(١) إشارة إلى اسم أبي الأسود الدؤلي : عمرو بن ظالم .

أَشْكُو إِلَى الدَّهْرِ جَفَاكُمْ وَمَا
وَالْحَزْمُ قَبْلَ الْعَزْمِ فَانْهَضْ إِلَى
وَأَشْرَبَ مِنَ الْمَلَأَحِ فِي النَّيْلِ مَا
وَالشَّامَ فَاغْدِلْ عَنْ مَلَايِيهِ
لَا جَعَلَ اللَّهُ أَنْتِظَارِي لَكُمْ
فَدُمُ بَرَغَمِ الْقَدَمِ شَانِكُمْ
لَا يَفْتَحُ الرَّاحَةَ عَنْ طَاعَةِ

١٣ * أحمد بن محمد بن قُرْصَةَ (١) :

● شهاب الدين بن شمس الدين الأنصاري ، الصَّعِيدِي الْأَصْل ، الْمِصْرِي
المَوْلِد .

● كَتَبَ إِلَيَّ عِدَّةَ قَصَائِدَ ، مِنْهَا قَوْلُهُ (٢) : [من الكامل]

مَا لِي أَرَى الشُّعْرَاءَ تَكْسِبُ عَارًا
مَدَحُوا الْأَخْيَاءَ اللَّثَامَ فَضَيَّعُوا الدَّ
فَلِذَاكَ طُفْتُ بِبَابِ كُلِّ مُهَذَّبٍ
وَجَعَلْتُ فِي حَلْبِ الشَّمَالِ إِقَامَتِي
وَلَكُمْ دَعَا مَدَحِي نَوَالٍ مُعْظَمٍ
حَتَّى وَجَدْتُ لَهَا إِمَامًا عَالِمًا
لَوْلَا صَلَاحُ الدِّينِ لَمْ أَرِ جَلْفًا

بِهَجَائِهِمْ وَتَحَمَّلُوا أَوْزَارًا
أَشْعَارَ لَمَّا أَرْخَصُوا الْأَشْعَارَا
وَجَعَلْتُ شِعْرِي فِي الْكِرَامِ شِعَارَا
يَا حَبِذَا دَارُ الْكِرَامِ جَوَارَا
فَأَبْتُ عُتُوءًا عَنْهُ وَاسْتِكْبَارَا
أَوْصَافُهُ تَسْتَفْرِقُ الْأَشْعَارَا
وَلَكُنْتُ مِمَّنْ جَانِبَ الْأَشْفَارَا

أَسْدَى الْمَكَارِمِ مِنْ أَكُفٍّ لَمْ يَزَلْ
وَصَنَائِعًا غُرًّا أَقْدَنَ مَنَائِحًا
فَوَجَدْتُ فِي إِجْمَالِهِ وَجْمَالِهِ
مَوْلَى غَدَتْ يُنْمَاهُ يُنْمَا لَامْرِيءَ
حَلَى الزَّمَانَ وَكَانَ قِدْمًا عَاطِلًا
وَحَوَى مَعَالِي فِي دَمَشَقٍ مُقِيمَةً
بَلَّغْتُ بِهِ رُتْبًا قَرَعْنَ مَحَلَّةَ
زَانَتْ فَضَائِلُهُ بَدَائِعَ نَظْمِهَا
وَمُظَفَّرُ الْأَقْلَامِ كَمْ أُرْدَى بِهَا
عَجَبًا لَهَا تَجْرِي بِأَسْوَدَ فَاجِمٍ
تَمْضِي بِحَيْثُ تَرَى السُّيُوفَ كَلِيلَةً
تَجْرِي بِوَاحِدِهَا ثَلَاثُ سَحَائِبٍ
وَتَمُدُّهُ بِالْفَضْلِ حِينَ تَمُدُّهُ
إِنْ رَامَ نَائِلُهُ الْعُقَاةَ أَمَدُهُ
مَلَأَ الْكِتَابَ تَهْدُدًا فَكَأَنَّمَا
تَخْنِي النَّوَاطِرُ مِنْ مَحَاسِنِ خَطِّهِ
خَطَّ رِمَاحِ الْخَطِّ مِنْ خُدَامِهِ
وَبَلَاعَةُ تَضْحَى بِأَذْنَى فِقْرَةٍ
وَيَتَشِيمُ رُوَادُ النَّدَى مِنْ بَشْرِهِ

مَغْرُوفُهَا يَسْتَعِيدُ الْأَخْرَارَا
عُونًا وَلَذَنَ مَدَائِحًا أَبْكَارَا (١)
مَا يَمْلَأُ الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَا (٢)
يَبْغِي نَوَالًا وَالْيَسَارُ يَسَارَا
وَأَعَادَ لَيْلَ الْأَمِلِينَ نَهَارَا
وَحَدِيثُهَا بَيْنَ الْوَرَى قَدْ سَارَا
أَمْسَتْ نُجُومُ سَمَائِهَا أَقْمَارَا
كَمْ مَغْصَمٍ أَضْحَى يَزِينُ سِوَارَا
مَلِكًا وَخَوْفَ جَنْفَافٍ جَرَّارَا
يَكْسُو الطُّرُوسَ ظِلَامُهُ الْأَنْوَارَا (٣)
وَتَطُولُ حَيْثُ تَرَى الرِّمَاحَ قِصَارَا
تَخْوِي الصَّوَاعِقَ وَالْحَيَا الْمِذَارَا
بِيَدَيْهِ لَا تُتَعَبُ الْأَفْكَارَا
كَرَمًا وَإِنْ رَامَ الْخَمِيسُ مُغَارَا
مَلَأَ الْكِتَابَ أَسِنَّةَ وَشِغَارَا
رَوْضًا وَمِنْ أَلْفَاظِهِ أَزْهَارَا
إِنْ رَامَ دَمْرًا أَوْ أَعَزَّ ذِمَارَا (٤)
تُغْنِي فَقِيرًا أَوْ تَقْدُّ فَقَارَا
بَرْقًا وَمِنْ إِخْسَانِهِ أَمْطَارَا

(١) في أ ، م : × . . . منائحاً أبكاراً . وفي م : . . . مدائحاً × .

(٢) في ب : . . . في إجلاله وجماله × .

(٣) في م : × . . . أنواراً .

(٤) دمرًا : هلاكاً .

(١) ترجمته في : أعيان العصر ١/ ٣٥١ والوافي بالوفيات ٨/ ٨٣ والذَّيْرُ الكامنة ١/ ٢٩٣ .

- قتل بدمشق سنة ٧٥٢ هـ . ومولده بصعيد مصر سنة ٦٩٩ هـ .

- اسمه في أ ، م : أحمد بن يحيى بن قرصة ! .

(٢) القصيدة في أعيان العصر والوافي .

بَشَرٌ يُبَشِّرُ بِالْجَمِيلِ وَعَادَةُ الـ
وَنَدَى يَغْمُ وَلَا يَخْصُ كَأَنَّهُ
يَسْتَصْغِرُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ إِذَا عَرَا
وَيَرُدُّ غَرْبَ الْحَادِثَاتِ مُفْلِلًا
[٢٤] كَمْ ذَلَّلْتُ صَغْبًا وَرَدَّتْ ذَاهِبًا
وَلَقَدْ عَرَفْتُ النَّاسَ مِنْ أَوْطَارِهِمْ
يَا مَنْ عَرَفْتُ بِجُودِهِ وَجَهَ الْغِنَى
أَغْنَيْتَنِي بِمَوَاهِبِ مَوْضُولَةٍ
لَا زِلْتُ فِي عِزِّ يَدُومٍ وَنِعْمَةٍ

● فكتبت أنا جوابه عن ذلك ازبجالات (٢) : [من الكامل]

يَا شَاعِرًا مَلَأَ الطُّرُوسَ نَهَارًا
لَمْ تُهْدِ لِي نَظْمًا بَدِيعًا إِنَّمَا
فِي كُلِّ شَطْرِ بُرْجٍ سَعْدٌ ثَابِتٌ
لَا أَرْتَضِي بِالرَّوْضِ تَشْبِيهًا لَهُ
قَلَّدْتَنِي مِنْهُ قِلَادَةً مِنْ مَنَةِ
يَغْنَى النَّدِيمُ بِهِ فَإِنَّ قَوَافِيَا
وَتَرَى اللَّيْلَ إِذَا تَعَاطَى فَهَمَهُ
فَكَأَنَّ ذَاكَ الطُّرْسَ وَجَنَةً أَعْيَدَ
فَاعْزِرْ شِهَابَ الدِّينِ مَنْ تَقْصِيرُهُ

أَنَا لَا أُطِيقُ جَوَابَ مَنْ أَشْعَارُهُ
وَإِذَا جَرَى فِي حَلْبَةٍ قَصَّزْتُ عَنْ
إِنَّ الْغَدِيرَ وَإِنْ تَعَاطَمَ قَاصِرٌ
وَكَذَا أَخُو النَّظْمِ الْمُزْلَزِلُ رُكْنُهُ
فَخُذِ الْقَلِيلَ إِيَّابَةً وَإِجَازَةً
وَاعْتَدِ أَنَّكَ لَمْ تَزُرْ فِي جِلْقٍ
فَلَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّي لَمْ أَرْضَهَا
مَا قَدَرُهَا مِثْلَ لَوَائِي سُقْتُهَا

● وكتب هو أيضا (٢) : [من المتدارك]

كَمْ سَيْفُ النَّظْمِ أَجْرَدُهُ
كَمْ أَنْظِمُ عَقْدَ جَوَاهِرِهِ
كَمْ أَجْمَعُ مِنْ مَعْنَى حَسَنِ
وَإِذَا أَفْسَدْتُ قَوَائِدَهُ
خَبِرْ بِخَرِّ كَمْ فَاضٍ نَدَى
طَابَتْ فِي الذَّرِّ عَنَاصِرُهُ
لِسَمِي خَلِيلِ اللَّهِ نَدَى
وَلَهُ قَلَمٌ رَطْبٌ وَتَصَا
فَالْفَاضِلُ دُونَ عِبَارَتِهِ

- (١) في م : فإذا جرى . . . × .
(٢) هذه القصيدة تُسمى : قطر الميزاب . وقد اكتفى الصفيدي في أعيان العصر وابن حجر بإيراد الأبيات الثلاثة الأولى منها .
(٣) في ب : . . . كم فاق ندى × .
(٤) في م : ولكم قلم رطبٍ وتصانيف . . .

- (١) في م : . . . إذا غدا × .
(٢) القصيدة في أعيان العصر .
(٣) في م : . . . كأن قوافيًا × . وفي هامشه : في الأم : فإن .

وَصِيَانَةُ سِرِّ الْمُلْكِ لَهُ
غَزَسٌ وَالْعَنْبَرُ طَيْتُهُ
فَالْوَزْدُ عَلَى خَدَّيْهِ وَمِنْ
وَصْلَافَةِ نَفْسٍ قَدْ شَرُفَتْ
يَا مَنْ أَنْشَأَهُ اللَّهُ عَلَى الْ
بِالْبَزْدِ تَرَدَّدَ لِي كَانُوا
وَالْبَزْدُ يَشُقُّ عَلَى الْعُزْبَا
لَوْ كَانَ الْبَزْدُ حَدِيدًا كُنْتُ
لَا تَسْأَلُ عَنْ شَخْصِي أَحَدًا
جِسْمِي وَرَقٌّ وَابْتَلَّ عَسَا
جَسَدٌ بِالنَّارِ تَحَرَّقَهُ
فَنَسِيمُ الصُّبْحِ يُشَرِّحُهُ
وَيَطْوِلُ اللَّيْلُ عَلَى سَهْرِي
وَقِمَاشِي كَانَ لَهُ صَافٍ
[٢٤ ب] فَأَتَتْ فِي اللَّيْلِ لَهُ الْأَمْطَا
فَنَقُوطُ الدَّلْفِ يُصَفِّرُهُ
فَاضْلِحْ حَالِي وَانْجِمْ بِأَلِي
فَاللَّهُ يُدِيمُ لَكَ الْإِفْضَا

قَيْدٌ فِي الْقَلْبِ يُخْلِدُهُ
فَلِذَلِكَ جَلَّ تَجَسُّدُهُ^(١)
إِشْرَاقِ الشَّمْسِ تَوَفُّدُهُ
وَمَكَارِمُ خُلُقِي يَغْضُدُهُ
إِنْشَاءً فَأَغْذَبَ مَوْرَدُهُ
نُ فَشَقَّ عَلَيَّ تَرَدُّدُهُ
نِ وَلَيْلُ الصَّخْوَةِ أَبْرَدُهُ^(٢)
سُ بِحَدِّ الْمِبْرَدِ أَبْرَدُهُ^(٣)
شَخْصٌ كَالْمَيِّتِ تُلْجِدُهُ
كَ يَبْغِضُ فِرَاكَ تَجَلَّدُهُ
وَبِدِقِّ الْفَخْمِ تُرْمَدُهُ
وَجَلِيدُ الْأَرْضِ يُقَدِّدُهُ
فَأَقُولُ : مَتَى يَأْتِي غَدُهُ
يَبْخُورُ الْعُودُ أَعْوَدُهُ
رُ فَأَخْلَقَ مِنْهُ تَجَدُّدُهُ^(٤)
وَدُخَانُ النَّارِ يُسَوِّدُهُ
فَبَصَادِ صَلاَحِكَ تُزْشِدُهُ
لَ وَبِالتَّعْمَاءِ يُؤَيِّدُهُ

- (١) في ب : وغراس العنبر . . . ×
(٢) في م : × وليل الصبح . . .
(٣) سقط هذا البيت من ب .
(٤) في أ ، م : × . . . تجلده .

١٤ * أحمد بن محمد^(١) :

الأمير الأجلُّ شهابُ الدِّين ، المعروف بالحاجبي .

● أَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِشَوْقِ الْكُتُبِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ سَنَةَ ٧٣٨^(٢) : [من]

[البيط]

أَقُولُ : شَبَّهَ لَنَا جِنْدَ الرَّشَا تَرْفًا يَا مُعْمِلَ الْفِكْرِ فِي نَظْمٍ وَإِنْشَاءٍ
فَظَلَّ يُجْهِدُ أَيَّامًا قَرِينَحَتَهُ « وَشَبَّهَ الْمَاءَ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالْمَاءِ »
فَقُلْتُ لَهُ : أَطْلَقْتَ الرَّشَا هُنَا ، وَلَوْ قُلْتَ : الرَّشَا الَّذِي سَبَانِي ، أَوْ جِنْدَ
مُعَذِّبِي ؛ لَكَانَ أَفْعَدَ فِي التَّوْطِئَةِ .

● ثُمَّ أَنشَدَنِي فِيمَا بَعْدَ لِنَفْسِي^(٣) : [من البيط]

أَقُولُ : شَبَّهَ لَنَا كَأْسًا إِذَا مَزَجَ السُّدَّ سَاقِي طَلَاهَا اهْتَدَى فِي لَيْلِهِ السَّارِي
فَظَلَّ يُجْهِدُ أَيَّامًا قَرِينَحَتَهُ وَشَبَّهَ النَّارَ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالنَّارِ
فَقَالَ : إِلَّا أَنَّنِي أَنَا أَتَيْتُ بِالْمَثَلِ السَّائِرِ .

● فَأَنشَدَنِي فِيمَا بَعْدَ لِنَفْسِي^(٤) : [من البيط]

أَتَى الْحَبِيبُ بِوَجْهِ جَلٍّ خَالِقُهُ لَمَّا بَرَاهُ بِلُطْفٍ فِتْنَةَ الرَّائِي
فَلَاحَ شَخْصٌ عَدُولِي وَسُطَّ وَجَنَّتِهِ فَقُلْتُ : شَبَّهْتُ لِي فِي قَرْطٍ لِأَلَاءِ^(٥)

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٣٦٦/١ والوافي بالوفيات ١٦١/٨ والدرر الكامنة ٣١٢/١ والمنهل الصافي ١٨٨/٢ والدليل الشافي ٨٧/١ .

ـ وفاته سنة ٧٤٩ هـ . ومولده بعد السبعمة بمدة .

(٢) البيتان في أعيان العصر والوافي والغيث المسجم ١٥٧/١ .

(٣) البيتان في أعيان العصر .

(٤) الأبيات في أعيان العصر .

(٥) سقط هذا البيت من ب .

فَظَلَّ يُجْهِدُ أَيَّاماً قَرِينَتَهُ وَشَبَّهَ الْمَاءَ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالْمَاءِ^(١)

● وَلَمَّا سَمِعَ قَوْلِي^(٣) : [من الكامل]

قَالَتْ لِأَيَّرِي وَهُوَ فِيهَا ضَائِعٌ كَالْحَبْلِ وَسَطَ الْبُئْرِ إِذْ تَلْقِيهِ :
قَدْ عَشْتُ فِي كُسٍّ كَبِيرٍ ، قُلْتُ : مَا كَذَبْتُ ، لِأَنَّ الْكَافَ لِلتَّشْبِيهِ

قَالَ هُوَ مُخْتَصِرٌ ، وَأَجَادَ^(٤) : [من السريع]

رُبَّ صَغِيرٍ جِئْنَا وَلَقْنَاهُ أَتَقْنَتْ لَا يُذْخِلُ إِلَّا الْيَسِيرُ
أَلْفَيْتُهُ كَالْبُئْرِ فِي وَسْعِهِ حَتَّى عَجَبْنَا مِنْ صَغِيرٍ كَبِيرٍ

● وَكَذَا لَمَّا سَمِعَ قَوْلِي^(٥) : [من الكامل]

يَا طِيبَ نَشْرِ هَبْ لِي مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَنَارَ كَامِنَ لَوْعَتِي وَنَهْتِكِي
أَذَى تَحِيَّتِكُمْ وَأَشْبَهَ لُطْفَكُمْ وَرَوَى شَذَاكُمْ إِنَّ ذَا نَشْرٍ ذَكِي

● نَظَّمَهُ أَيْضاً ، وَقَالَ^(٦) : [من الكامل]

لَا تَبْعَثُوا غَيْرَ الصَّبَا بِتَحِيَّةٍ مَا طَابَ فِي سَمْعِي حَدِيثُ سِوَاهَا
حَفِظْتُ أَحَادِيثَ الْهَوَى وَتَضَوَّعْتُ نَشْراً فَيَا لَهِ مَا أَذْكَاهَا

وَلَمَّا أُنْشِدْنَاهَا قُلْتُ لَهُ : إِلَّا أَنَّكَ نَقَضْتَهَا صِفَةً عَمَّا وَصَفْتُهَا بِهِ ؛ فَاغْتَرَفَ .

(١) في هامش أ : وللحاجي أن يقول أيضاً : إِلَّا أَنِّي وَطَأْتُ لِلْمَثَلِ قَبْلَهُ بَيْتَ وَاحِدٍ ، وَأَنْتَ بَيْتَيْنِ .

(٢) قال المؤلف في أعيان العصر ٣٦٧/١ وعنه ابن شاعر في فوات الوفيات ١١٦/٣ . وينظر الغيث ١٥٧/١ : قلت : وأصل هذا المثل أن الوجيه ابن الدروي دخل يوماً إلى الحمام ، ومعه ابن وزير الشاعر ، فقال ابن وزير :

لله يومسي بحمام نعمت بها والماء ما بيننا من حولها جار
كأنه فوق شفاف الرخام ضحى ماء يسيل على أثواب قصار
فقال ابن الدروي [تصخف في الغيث إلى ابن الرومي !] :

وشاعر أوقد الطبع الذكي له فكاد يحرقه من فرط إذكاء
أقام يُعَمِّلُ أَيَّاماً قَرِينَتَهُ وَشَبَّهَ الْمَاءَ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالْمَاءِ
(٣) البيتان في أعيان العصر والوافي والغيث المسج ٢٣٧/٢ .

(٤) البيتان في الوافي والدرر الكامنة .

(٥) هما في أعيان العصر والوافي والمنهل الصافي وهامش الدرر الكامنة والكشف والتنبية ٢٥٨ .

١٥ * أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عماد الدين أبي الحرَمِ مَكِّي بن مُسلم ابن
أبي الخَوْفِ^(١) ، شهاب الدين :

● كَتَبَ إِلَيَّ وَنَحْنُ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ سَنَةَ ٧٣٦^(٢) : [من الطويل]

أَيَا سَيِّدَا سَادَ الْوَرَى بِفَضَائِلِ تَنَاهَتْ فَمَا أَضْحَى لَهْنٌ عَدِيلُ
تَقَمَّصَتْ ثَوْبَ الْعِلْمِ وَالْجَلْمِ وَالتَّدْيِ فَأَنْتَ صَلاَحٌ لِلْوَرَى وَخَلِيلُ
وَلَسْتَ خَلِيلاً بَلْ خَلِيجاً لِوَارِدِ غَلِطْتُ فَسَامِخْنِي فَنِيْلُكَ نِيلُ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ^(٣) : [من الطويل]

أَيَا ابْنَ أَبِي الْخَوْفِ الَّذِي أَمِنْتُ بِهِ طَرَائِقُ نَظْمٍ وَاسْتَبَانَ دَلِيلُ
لَقَدْ فُتَّ غَايَاتِ الْأَوَّلَى سَبَقُوا إِلَيَّ نِهَايَاتِ فَضْلٍ مَا لَهْنٌ سَبِيلُ
فَأَنْتَ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ كَثِيرٌ وَرَأْيُكَ فِي النَّظْمِ الْبَدِيعُ جَمِيلُ^(٤)

١٦ * أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المُجَلِّي بن دَعْجَان بن خَلَف
ابن أَبِي الْفَضْلِ نَصْر بن مَنْصُور^(٤) :

القاضي شهاب الدين ، أبو العباس ، ابن القاضي مُحْيِي الدين ، صاحبُ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٣٦٤/١ والوافي بالوفيات ١٦٠/٨ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٥٦٦/١ والدرر الكامنة ٢٥٦/١ .

- وفاته سنة ٧٤٩ هـ وله أربعون سنة تقريباً .

(٢) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٣) في س : فأنت على هذا الزمان . . . والإشارة إلى الشاعرين : كثير عزة وجميل بثينة .

(٤) ترجمته في : المعجم المختص ٤٥ وذبول العبر ٢٧٥ وأعيان العصر ٤١٧/١ والوافي بالوفيات ٢٥٢/٨ والبداية والنهاية ٥١٠/١٨ ووفيات ابن رافع ٢٨٣/١ وتذكرة النبي ١٢٥/٣ وفوات الوفيات ١٥٧/١ والمقفى الكبير ٧٣٢/١ وتعريف ذو العلا ٦٤ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٥٧٠/١ والدرر الكامنة ٣٣١/١ والنجوم الزاهرة ٢٣٤/١٠ والمنهل الصافي ٢٦١/٢ والدليل الشافي ٩٦/١ والذيل التام ١٠٥/١ وحسن المحاضرة ٤٩٣/١ وشذرات الذهب ٢٧٣/٨ .

- ولادته سنة ٧٠٠ هـ . وفاته سنة ٧٤٩ هـ .

ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس .

● كتب هو إليّ مُلغزاً في « رُبَيْدَة »^(١) : [من الخفيف]

[٢٥] أَيُّهَا الْفَاضِلُ الَّذِي حَارَ فَضْلاً
قَدْ تَدَانَى عَبْدُ الرَّحِيمِ إِلَيْهِ
أَيُّ شَيْءٍ سُمِّيَ بِهِ ذَاتُ خِذْرِ
هُوَ وَضَفُ لِذَاتِ سِتْرِ مَصُونٍ
مُذْ مَضَى جِئْتُهَا بِهَا لَيْسَ تَأْتِي
وَهِيَ مِمَّا يَشْشُرُ النَّاسَ طُرّاً
وَحَلِيمٍ أَرَادَهُ لَا لِـلذَاتِ
ذَلِكَ شَيْءٌ مَنَ ارْتَجَاهُ سَفِيهٌ
مَا عَلَيْهِ لِمِثْلِهِ مِنْ مَزِيدٍ
وَتَنَاءَى لَدَيْهِ عَبْدُ الْحَمِيدِ
تَائِهٍ بِالْإِمَاءِ أَوْ بِالْعَبِيدِ
وَهِيَ لَمْ تَخَفْ فِي جَمِيعِ الْوُجُودِ
وَهِيَ تَأْتِي مَعَ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ
مِنْهُ مَأْتَى وَكَثَرَتْ فِي الْعَدِيدِ
بَلْ لِشَيْءٍ سِوَاهُ فِي الْمَقْصُودِ
وَهُوَ شَيْءٌ مُحْصَصٌ بِالرَّشِيدِ

● فكتبُ أنا الجوابَ إليه^(٢) : [من الخفيف]

يَا فَرِيداً أَلْفَاظُهُ كَالْفَرِيدِ
وِإِمَامَ الْأَنَامِ فِي كُلِّ عِلْمٍ
عَرَفَ الْعَالِمُونَ فَضْلَكَ بِأَلِ
مَنْ تَمَتَّى بِأَنْ يَرَى لَكَ شَبْهاً
طَالَ قَدْرِي عَلَى السَّمَائِينَ لَمَّا
شَابَهُ الدُّرُّ فِي النَّظَامِ وَلَمَّا
وَمُجِيداً قَدْ فَاقَ عَبْدَ الْحَمِيدِ
وَشَرِيكاً فِي الْفَضْلِ لِلتَّوْحِيدِ
عَلِمَ وَقَالَ الْجُهَالُ بِالتَّقْلِيدِ
رَامَ نَقْضاً بِالْجَهْلِ حُكْمَ الْوُجُودِ^(٣)
جَاءَنِي مِنْهُ عَقْدُ دُرٍّ نَضِيدِ^(٤)
شَابَهُ السَّحَرُ شَابَ رَأْسُ الْوَلِيدِ

- (١) الأبيات في أعيان العصر والوافي .
(٢) الأبيات في أعيان العصر والوافي .
(٣) في م : × رَامَ نَقْضاً
(٤) في ب : × . . . دُرٍّ عَقْدٍ نَضِيدِ .

هُوَ لُغْزٌ فِي ذَاتِ خِذْرِ مَنِيحٍ
هِيَ أُمُّ الْأَمِينِ ذَاتِ الْمَعَالِي
أَنْتَ كُنْتَ الْهَادِي لِمَعْنَاهُ حَقّاً
دُمْتَ تُهْدِي إِلَيَّ كُلَّ عَجِيبٍ
نَزَلْتُ فِي الْعُلَى بِقَضَرٍ مَشِيدٍ
مَنْ بَنَى هَائِثِمَ ذَوِي التَّأْيِيدِ
حِينَ لَوَّحْتَ لِي بِذِكْرِ الرَّشِيدِ
مَا عَلَيْهِ فِي حُسْنِهِ مِنْ مَزِيدٍ

● وكتبُ أنا إليه مُلغزاً في « نَجْم »^(١) : [من السريع]

يَا سَيِّداً أَقْلَامُهُ لَمْ تَزَلْ
قُلْ لِي مَا اسْمُ لَمْ يَزَلْ قَلْبُهُ
وَكُلُّهُ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ
تُهْدِي لآلِي النَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ
مُعَذِّباً بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ^(٢)
وَتُلْثُهُ يَسْنَحُ فِي الْبَحْرِ^(٣)

● فكتبَ هو الجوابَ إليّ^(٤) : [من السريع]

دُمْتَ خَلِيلِي سَائِرَ الذُّكْرِ
بَعَثْتَهَا نَجْمِيَّةً قَدْ حَلَّتْ
تَطْلُعُ بِالنَّجْمِ فَأَمَّا الَّذِي
عَجِبْتُ مِنْهُ كَيْفَ شَقَّ الدُّجَى
مَنْ صَنَعَةَ الْبَرِّ وَلَكِنَّهُ
أَقْسَمْتُ مِنْهُ قَسْماً بِالْغَا
لَقَدْ أَعَزَّتْ الْغَيْدَ إِذْ لَمْ تَجِدْ
يَعْقِدُ دُرٌّ مَا لَهُ قِيَمَةٌ
مِثْلَ الَّذِي أَلْعَزَّتْ فِي الْقَدْرِ
لَكِنَّهَا مِنْ سَكْرِ الشُّكْرِ
فِي مَطْمَحِ الزُّهْرِ أَوْ الزُّهْرِ
وَمَا أَتَى إِلَّا مَعَ الْفَجْرِ^(٥)
قَدْ جَاءَنِي فِي رَاخَةِ الْبَحْرِ
بِالْفَجْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِي
شَبِيهَهُ فِي الْجَنِّدِ وَالثَّغْرِ
يَا حُسْنَهُ لِلْكَوْكَبِ الدَّرِّي

- (١) الأبيات في الوافي وأعيان العصر .
(٢) قلبُ نجم : مجن .
(٣) في الأرض : تَبَّتْ عَلَى غَيْرِ سَاقٍ . وفي السماء : الكوكب . وثله : النون = السمك .
(٤) القصيدة في أعيان العصر والوافي .
(٥) في س : . . . شَقَّ الدُّمَى × !

مُسَهَّدٌ تُذَكِّي لَهُ مُقَلَّةٌ مَقْلُوبَةٌ كَالنَّظَرِ الشَّرِّ
وهو إذا حَقَّقْتَ تَغْرِيفَهُ عَرَفْتَ مِنْهُ مَنْزِلَ الْبَذْرِ
بِوَاحِدٍ عَدُّوا لَهُ سَبْعَةَ تَقِيسُ ذَنْلَ اللَّيْلِ بِالشُّبْرِ
فَاعْزِرْ أَحْيَى الْيَوْمِ إِنْ قَصَّرْتَ بَدِيهَتِي وَأَقْبِلْ لَهَا عُذْرِي
فَلَيْسَ بِالْأَلْغَازِ لِي عَادَةٌ وَلَا عَزَا فِي جَنْبِهَا فِكْرِي

● وكتب هو إليّ وقد تواترت الأمطارُ والثلوجُ والرُّعودُ والبروقُ في سنة ١٧٤٤ (١) :

كيف أصبحَ مولانا في هذا الشتاء الذي أقبلَ يُزِعِبُ مَقْدَمُهُ ، ويُزْهِبُ تَقْدَمُهُ ، ويُريِبُ اللَّيْبَ من بَرْقِهِ المُوَمِّضِ تَبَسُّمِهِ ؟

وكيف حالُهُ مع (٢) رُعودِهِ الصَّارِخَةِ ، ورياحِهِ النَّافِخَةِ ، وَوُجُوهِ آيَامِهِ الكَالِحَةِ ، وَشَرَرِ لَيَالِيهِ التي لَا يُبَيِّتُ مِنْهَا بَلِيلَةَ صَالِحَةٍ ، وَسَحَابِهِ وَأَمْوَاجِهِ ، وَجَلِيدِهِ وَالْمَشْيِ فوقَ رُجَاجِهِ ، وَتَرَائِمِ مَطَرِهِ الْأَنْيَبِ (٣) ، وَتَطَاوُلِ لَيْلِ فَرْعِهِ الْأَنْيَبِ ، وَمَوَاقِدِهِ الْمَمْقُوتَةِ ، وَذَوَائِبِ جَمْرِهِ ، وَأَهْوُونِ بِهِ وَلَوْ أَنَّ كُلَّ حَمْرَاءَ يَاقُوتَةٍ ، وَتَحْدُرُ نَوْرَتُهُ الْمُتَصَبِّبِ ، وَتَحْيِرُ [ب ٢٥] نَجْمِهِ الْمُتَصَيِّبِ ؟

وكيف هو مع جَنْبِهِ الذي ما أَطْلَّ حَتَّى مَدَّ مَضَارِبَ غَمَامِهِ (٤) ، وَظَلَّلَ الْجَوَّ بِمِثْلِ أَجْنِيحَةِ الْفَوَاحِشِ من أَغْلَامِهِ ؛ هذا على أَنَّهُ حَلَّ عُرَى الْأَنْبِيَةِ ، وَحَلَّلَ مِمَّا تَلَفَّ فِي دَمِهِ سَالِفَ الْأَشْيَةِ ؛ فَلَقْدَ جَاءَ من البَرْدِ بِمَا رَضَّ الْعِظَامَ وَأَنْخَرَهَا ، وَدَقَّ فَخَّارَاتِ الْأَجْسَامِ وَفَخَّرَهَا ، وَجَمَدَ في الفَمِّ الرِّيقَ ، وَعَقَدَ اللِّسَانَ إِلَّا أَنَّهُ

(١) النص في أعيان العصر ٤٢٧/٨ والوافي ٢٥٧/٨ ومسالك الأبصار ٥٠٢/١٢ .

(٢) في أ ، م : في رعوده .

(٣) الأنيب : اللّين .

(٤) في ب : خيامه .

لِسَانُ الْمُنْطِقِ ؛ وَيَسَّ الْأَصَابِعَ حَتَّى كَادَتْ أَغْصَانُهَا تُوقَدُ حَطْبًا ، وَقَيَّدَ الْأَرْجُلَ فَلَا تَمْشِي إِلَّا تَتَوَقَّعُ (١) عَطْبًا ؛ وَأَتَى الزَّمْهَرِيرُ بِجُنُودٍ مَا لِلْقُوَى بِهَا قَبْلُ ، وَحَمَلَ الْأَجْسَامَ من ثِقَلِ الثِّيَابِ مَا لَا يَغْصِمُ مِنْهُ مَنْ قَالَ : ﴿ سَاوَيْتُ إِلَى جَبَلٍ ﴾ [هود : ٤٣] وَمَدَّ من السَّيْلِ مَا اسْتَبْكِي الْعُيُونُ إِذَا جَرَى ، وَاجْتَنَحَفَ مَا أَتَى عَلَيْهِ ، وَأَوَّلُ مَا بَدَأَ الدَّمْعُ بِالْكَرَى .

فكيف أَنْتَ يَا سَيِّدِي في هَذِهِ الْأَحْوَالِ ؟ وكيف أَنْتَ في مُقَاسَاةِ هَذِهِ الْأَهْوَالِ ؟ وكيف رَأَيْتَ مِنْهَا مَا شَيَّبَ بِثَلْجِهِ نَوَاصِي الْجِبَالِ ، وَجَاءَ بِالْبَحْرِ فَتَلَقَّفَ ثُبَانُهُ مَا أَلْفَتَهُ هَرَاوَاتُ الْبُرُوقِ من عُصْبِي ، وَخُيَوطُ الشُّحْبِ من جِبَالِي ؟

أَمَّا نَحْنُ فَبَيْنَ أَنْوَاجِ من الشُّحْبِ تَزْدَحِمُ ، وَفِي رَأْسِ جَبَلٍ لَا يَغْصِمُ فِيهِ من الْمَاءِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ ؛ وكيف سَيِّدُنَا مع مَجَامِيرِ كَانُونٍ وَشَرَارِ بَرْقِهَا الْقَادِحِ ، وَهَمَّ وَذَقِهَا الْفَادِحِ ، وَقَوَسِ قُرْحِهَا الْمُتَلَوِّنِ ؟ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ صَوَائِبَ سِهَامِهِ ، وَبَدَّلَ مِنْهُ بِوَشَائِعِ حُلَلِ الرَّبِيعِ وَنَضَارَةِ آيَامِهِ ، وَجَعَلَ حَظَّ مَوْلَانَا من لَوَافِحِهِ مَا يُذَكِّيهِ ذَهْنُهُ من ضَرَامِهِ ، وَمِنْ سَوَافِحِهِ مَا يُؤَلِّدُهُ فِكْرُهُ من تَوَامِهِ ، وَعَوَّضَنَا وَإِيَّاهُ بِالصَّنِيفِ وَاللَّهُ يَتَقَبَّلُ ، وَأَرَاخَنَا من هَذَا الشِّتَاءِ وَمَشْيِ غَمَامِهِ الْمُتَبَخِّثِرِ بِكُمِّهِ الْمُسْبِلِ ؛ بِمَنْهَ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ (٢) :

يُجَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وُرُودَ هَذِهِ الرُّقْعَةِ التي هي طِرَارٌ في حُلَّةِ الدَّهْرِ ، وَحَدِيقَةُ ذَكَرَتْ زَمَنَ الرَّبِيعِ وما تُهْدِيهِ آيَامُهُ من الزَّهْرِ ؛ فَوَقَفَ مِنْهَا على الرُّوضِ الذي تَهْدَلَّتْ فُرُوعُ غُصُونِهِ بِالْأَثْمَارِ ، وَنَظَرَ مِنْهَا إِلَى الْأُفُقِ الذي كُلُّ كَوَاكِبِهِ شُمُوسٌ وَأَقْمَارٌ ، فَأَنْشَأَتْ لَهُ إِطْرَابَةً ، وَأَعْلَمَتْهُ أَنَّ قَلَمَ مَوْلَانَا يَفْعَلُ بِالْأَلْبَابِ

(١) في ب : متوقعة .

(٢) الجواب في الوافي وأعيان العصر ومسالك الأبصار ٥٠٣/١٢ .

ما لا تَفْعَلُهُ نَغْمَةُ الشَّبَابَةِ ، وَأَزْشَفَتُهُ سُلَافاً كُثُوسُهَا الحُرُوفُ وَكُلُّ نَقْطَةِ حَبَابَةٍ ؛
 وشاهد أوصاف هذه الأيام المباركة القدوم ، الْمُتَّصِلَةَ الظَّلَامِ ، فلا أَوْحَشَ اللهُ
 مِنْ طَلْعَةِ الشَّمْسِ وحاجِبِ الهلالِ وعُيُونِ النُّجُومِ ؛ فَمَا لَنَا وَلِهَذِهِ السَّحَابِ
 السَّحَابَةِ ، والغمامِ السَّكَابَةِ ، والرُّعُودِ الصَّخَّابَةِ ، والبروقِ اللَّهَّابَةِ ، والثَّلُوجِ
 التي أَصْبَحَتْ بِحَضْبَائِهَا حَضَابَةً ، والبرَدِ الذي أَمَسَتْ إِبْرُهُ لِعُصُونِ الجُلُودِ
 قَطَابَةً ، والزَّمَيْتَاءُ^(١) التي لا تَزُوي عن أَبِي ذَرٍّ إِلَّا وَيَزُوي الغَيْثُ عن أَبِي قِلَابَةٍ ؛
 كُلَّمَا أَقْبَلْتُ فَحِمَةً ظَلَامٍ ، قَدَحْتُ فِيهَا البَوَارِقُ شَرَارَ جَمْرَتِهَا ، وَكُلَّمَا جَاءَتْ
 سَحَابَةٌ كَحَلَاءِ الجُفُونِ ، رَجَعْتُ مَرْهَاءَ لِمَا أَسْبَلْتُهُ مِنْ عِبْرَتِهَا ؛ فَمَا هَذَا شَهْرُ
 طُوبَى^(٢) ، إِنْ هَذَا إِلَّا جَبَلٌ نَهْلَانٍ ، وما هذا كَانُونٌ ، إِنْ هَذَا إِلَّا تَنْوَرُ الطُّوفَانِ ،
 فَإِلَى مَتَى قُطُنَ هَذِهِ الثَّلُوجُ يُطْرَحُ عَلَى جِبَابِ الجِبَالِ ؛ وَإِلَى مَتَى تُفَاضُ دِلَاصُ
 الأنهارِ وَيَرْشُقُهَا قَوْسُ قُزَحٍ بِالنَّبَالِ ؟ وَإِلَى مَتَى تُشَقِّقُ السَّحَابُ مَا لَهَا مِنَ الحُلُلِ
 والحِجَرِ ؟ وَإِلَى مَتَى تُرْسِلُ خُيُوطَ المُنَزْنِ مِنَ الجَوِّ وَفِي أَطْرَافِهَا عَلَى الغُدرانِ
 إِبْرٌ ؟ وَإِلَى مَتَى تَجْمُدُ عُيُونُ [١٢٦] الغمامِ وَتُكْحَلُهَا البروقُ بالنَّارِ ؟ وَإِلَى مَتَى يَنْثَارُ
 هَذِهِ الفِضَّةُ وما يَرَى مِنَ النُّجُومِ دِينَارٌ ؟ وَإِلَى مَتَى نَحْنُ نَحْنُو عَلَى النَّارِ حُنُوَ
 المُرْضِعَاتِ عَلَى الفِطِيمِ^(٣) ؟ وَإِلَى مَتَى تَبْكِي المَيَازِيبُ : [من الوافر]

بُكَاءِ الأولياءِ بِغَيْرِ حُزْنٍ إِذَا اسْتَوَلَوْا عَلَى مَالِ الْيَتِيمِ
 وَإِلَى مَتَى هَذَا البرقُ تَتَلَوَّى بِطُونُ حَيَاتِهِ ، وَتَتَقَلَّبُ حَمَالِقُ العُيُونِ الْمُحْمَرَّةِ
 مِنْ أَسْوَدِ غَابَاتِهِ ؟ وَإِلَى مَتَى يُزْمَجِرُ عَتَبُ هَذِهِ الرِّيحِ العاصِفَةِ ؟ وَإِلَى مَتَى يُرْسِلُ

(١) الزَّمَيْتَاءُ : الوقور . (اللسان) .

(٢) طوبى : الخامس من شهور القبط ، ويبدأ في الخامس والعشرين من كانون الأول . (الأزمنة
 والأنواء ١٤٣) .

(٣) من قول المنازلي أو حمدونة الأندلسية في وصف وادٍ : [وفيات الأعيان ١/١٤٣]
 حَلَلْنَا دَوْحَهُ فَحَلَا عَلَيْنَا حُنُوَ المُرْضِعَاتِ عَلَى الفِطِيمِ

الزَّمْهَرِيرِ أَغْوَاناً تُصْبِحُ حَلَاوَةً الْوُجُوهِ بِهَا تَالِفَةٌ ؟ أَتَرَى هَذِهِ الْأَمْطَارَ تُقَلِّبُ
 بِالْأَزْيَارِ ، أَمْ هَذِهِ المَوَالِيدُ التي تَنْتَهِي فِيهَا الْأَعْمَارُ ؟ كَمْ مِنْ جَلِيدٍ يَدُوبُ بِهِ قَلْبُ
 الجَلِيدِ ، وَيُرَى رُجَاغُهُ الشَّقَافُ أَصْلَبَ مِنَ الحَدِيدِ ، وَوَحْلٌ لَا تَمْشِي هُرَيْرُهُ فِيهِ
 الوَحَى^(١) ، وَبَرْدٌ لَا تَنْطِقُ فِيهِ نَوُومُ الصُّحَى .

اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ، لَقَدْ أَضْجَرْنَا تَرَكُمُ الثِّيَابِ ، وَمُقَاسَاةَ مَا لِهَذِهِ
 الرَّحْمَةِ مِنَ الْعَذَابِ ، وَانْجِمَاعُ كُلِّ عَنِ إِلْفِهِ ، وَإِغْلَاقُ بَابِ الْقِيَابِ ، وَتَخَلُّلُ
 الضُّبَابِ زَوَايا البُيُوتِ ، فَالْأَطْفَالُ ضِبابُ الضُّبَابِ ، كُلُّ ضَبٍّ مِنْهُمْ قَدْ أَلْفَ
 بَاطِنَ نَافِقَاتِهِ^(٢) ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ المَوْتَ بِدَايَةِ بَدَائِهِ ، قَدْ حَسَدَ عَلَى النَّارِ مَنْ
 أَمْسَى مُذْنِباً وَأَصْبَحَ عَاصِياً ، وَتَمَنَّى أَنْ يَرَى مِنْ فَوَاكِهِ الْجَنَّاتِ عُثْباً وَقَرَاصِياً .

فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَمْطَارُ تُكَاثِرُ مَكَارِمَ مَوْلَانَا ، فَيَا طُولَ مَا تَسْفَحُ ؛ وَإِنْ
 كَانَتْ العَوَاصِفُ تَشْتَبِهُ بِبَاسِهِ ، فَيَا طُولَ مَا تَلْفَحُ ؛ وَإِنْ كَانَتْ البروقُ تُحَاكِي
 ذَهْنَهُ الْمُتَسَرِّعَ ، فَيَا طُولَ مَا تَتَأَلَّقُ ؛ وَإِنْ كَانَتْ قَوْسُ قُزَحٍ تَتَلَوَّنُ خَجَلًا مِنْ
 طُرُوسِهِ ، فَيَا طُولَ مَا تَتَأَنَّقُ ؛ وَإِنْ كَانَتْ الرُّعُودُ تُحَاكِي جَوَانِحَ أَعْدَائِهِ ، فَيَا
 طُولَ مَا تَشْهَقُ وَتَفْهَقُ ؛ وَإِنْ كَانَتْ السُّيُوفُ تَجْرِي وَرَاءَ جُودِهِ ، فَإِنَّهَا تَجْرِي عَلَى
 طُولِ المَدَى وَمَا تَلْحَقُ .

وَالْأَوَّلَى بِهَذَا النَّوْءِ الْبَاكِي ، أَنْ لَا يُحَاكِي ؛ وَالْآخِرَةُ بِهَذَا الْفَضْلِ
 الْمُبْعَضِ ، أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ ؛ فَارْحِمَ اللهُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ مَوْلَانَا فِي
 الْوُجُودِ نَذْرَةٌ ؛ أَنْهِيَ ذَلِكَ .

(١) من قول الأعشى : [ديوانه ١٥٥] والوحى : الإسراع .

وَدَحَ هَرِيرَةً إِنَّ الزَّكَبَ مَرْتَحِلٌ وَهَلْ تَطِيقُ وَدَاعاً إِلَيْهَا الرَّجُلُ
 غُرَاءَ فَرَعَاءَ مَصْقُولٍ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَى كَمَا يَمْشِي الْوَحَى الْوَجِلُ

(٢) النافقاء : جحر الضب . وسقطت كلمة « باطن » من م .

● فكتب هو الجواب أيضاً عن جوابي (١) :

ويُنهي ورود جوابه الكريم ، فوقف عليه ، وتيمّن لمجرّد إقباله إليه ، وقبّله لقرب عهده بيديّه ، وأعدّه لجلاء المره ، فأمره على عينيّه ، وشكره وإن لم تزل حقايب الشكر مخطوطة لديه ، لا برح الشهد من جنى ريقه المعلل ، والطرب بكأس رحيقه المحلل ، والتبّه - وحاشاه منه - في سلوك طريقه المذل ، والسحاب لا يطير إلا بجناح نغمائه المبلى ، والروض لا يبرز إلا في ثوب زخرفه المجلل ، والبرق لا يهتز إلا في مسبل ردايه المشلل ، والجهد ولو كلف لا يجيء بمثل سيرة المذل ، والنصر يقضي لمواضيه على حدّ حساميه المفلل ، والفجر لولا بيانه الوضاح لما أزدل ليله المضلل ، والبحر لولا عزق من حياء كرمه الزاخر لما ذم على غزر المادّة (٢) نواله المقلل ، والفخر وإن شمع أنفه لا ينافس عقده الموشح ولا يتطاوّل إلى تاجه المكلل ؛ وفهمه فهم ، واقتبسه فجلا الأوهام ، ونظر فيه فزاد صقال الأفهام ، وقصّر عن إدراكه فما شك أنّه [٢٦ ب] إلهام ، وانتهى فيه إلى الجواب في وصف أنواء تلك الليلة الماطرة ، وما موهت الشحب من ذهب برقيها ، وقتلته الأنواء من خيوط وذقيها ، ونفخت فيه الرياح من جمر كانونها ، وأظهرته حقيقة الرعود من سرّ مكنونها ، وما بثته عارضة ذلك العارض الممطر الذي هو أقوى من شائبيها ، وأوفى ممّا أرقته (٣) السماء من جلايبها ، وأسرى من برقيها المومض في غرابيها ، وأسرع من سرى رياحها ، وقد جمعت أطواق السحاب (٤) وأخذت بتلابيها .

وسبح المملوك من عجب لهذه البلاغة التي كملت الفضائل (١) ، وفصلت عن العلم وفي الرعي الأول علم الأوائل ، وفصلت مبدعها (٢) وحقّ له التفضيل ، وأتته جملة الفضل وفي ضميتها التفضيل ، وأنطقت لسان بيانه وأخرست كل لسان ، وأجرت فلم كرمه وأخرزت كل إحسان ، ونشرت علم علمه وأدخلت تحتها كل فاضل ، وأزهقت شبا حده وقطعت به كل مناظر ومناضل ؛ وقالت للسحاب وقد طبّق : إليك ، فإن البحر قد جاءك ، وللنوء وقد أغدق : تنح ، فإن هذا قد حصّر أزعاءك ، وللرعد وقد صرخ : أسكت ، فقد آن لهذه الشقايق أن تسكت ، وللبرق وقد نسخ آية الليل : استدرك غلطك لئلا تبكت .

أما ترى هذه العلوم الجمّة وكيف زخر بحرّها ، وأثر في الألباب سحرها ؛ وهذه الفضائل وكيف تفنّنت فنونها ، وفتنت عيونها ، وتهذّلت بالأثمار أفنانها ، وتزخرت بالمحاسن جنانها ؛ وهذه الألمعية وكيف ذهبت الأصائل ، وهذه اللوذعية وما أثبت مقالا لقائل ، وهذه الفواضل وقد توقّد ذبائها وتقدّد بها أديم الظلام وتشقق سربالها ، وهذه البراعة التي فاضت فكلّ منها سكران طافح ، وهذه الفصاحة وما غادرت بين الجوانح ، وهذه البلاغة وقد سالت بأعناق المطي بها الأباطح (٣) ، وهذه الصناعة وقد استعين عليها من أهلها بصالح ، وهذه الصياغة وما تارك فنّ الجوهر لها إلا رايح ، وهذه الحكمة

(١) في م : التي كملت بها الفضائل .

(٢) في م : مبتدعها .

(٣) من قول كثير عزة : [ديوانه ٥٢٥]

أخذنا بأطراف الأحاديث بيتنا وسالت بأعناق المطي الأباطح

(١) الجواب في الوافي ومسالك الأبصار ٥٠٥/١٢ .

(٢) في م : على غرب الماء . . .

(٣) لعل الصواب : أرخته .

(٤) في م : أطراف السحاب .

البوالغ ، وهذه النعم السوابغ ، وهذه الدبم التي لا تملأ حوضها^(١) من إناء فارغ ، وهذه الشيم التي لو تنكرت ثم مزجت بالفرات لما شرب لسانع ، (وهذه الهمم التي ترقّت بوجهها إلى السماء ، فكشفت غيابة عارضها)^(٢) وكفّت غواية البرق وقد ولع وخط مشيه بخط عارضها ، حتى جلاها وأضحها ، ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ [النازعات: ٢٩] ، ونفخ رماد سحابها^(٣) المنجلي عن اللهب ، وصفح جوها الفضي بالجين وسمرت الشمس بالذهب ، وجلا صدا تلك الليلة عن صفيحة ذلك اليوم المشمس ، وبذل بذلك الصحو المطمع من ذلك الغيم المؤيس ، ونقى لازورد السماء من تلك الشوائب ، ووقى عرض ذلك النهار اليق من المعايب ، وأترع غدیر ذلك الصباح خالصاً من الرنق ، وضوع عنبر ذلك الثرى خالياً من اللثق ، وأطلع شمس ذلك اليوم توسع جانب مشرقها ، ويوشى بذوائب الذهب رداء أقيها ؛ فقلت^(٤) : [من السريع]

كأنما اليوم وقد موّهت مشرقه الشمس ولا جاحد
نوب من الشرب ولكنّه طرّز منه كفه الواحد
[١٢٧] أستغفر الله ، بل بشر^(٥) ذلك البشر ، بل ذلك الملك الكريم ، وصفيحة وجهه المتهلل الوسيم ، لا بل صفيحة عمله ، وصبيحة أمه ، وأنموذج إثارة ، وضوء يده البضاء ، وآثاره ، وشبهه ما يقضه لؤلؤه من نثاره ، وغير هذا من أبياده البيض على إقلال العدة وإكثاره ، فله تلك اليد المقبلة ، وتلك

(١) في ب : جوفها .

(٢) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٣) في ب : سخامها .

(٤) البيتان في مسالك الأبصار ٥٠٧/١٢ .

(٥) في ب : بز . وفي س : بز ذلك البر .

اليّد المؤمّلة ، والله تلك المواهب المجزّلة ، والله تلك الراحة التي لا يقاس بها الثريا ولا تجيء الجوزاء أنملة ؛ والله ذلك البيان الساحر ، وذلك البنان الساحر ، وذلك اللسان المدرب والبحر الراخر ، وذلك الإنسان الذي طال باع علمه ، وطار فأوقد ضرام اليوم المشمس شعاع فهمه ، وطاب جنى عزه وجناب حلمه ، وطاف الأرض صيته ونفق كاسد الفضل باسمه ، والله والله ليسيد جاء بالفضل كله ، وأتى بالأمر على حله ، واقتبس من نوره وأوى إلى ظله .

لقد ألبس المملوك رداء الفخار ، وعرفه العوم ، وكان لا يطمع أن يشقّ بحر الزخار ، ومحا عنه صنيع دجنه تلك الليلة ، وقصر من ذيلها ، وفهقر من سنيلها ، وأخذ بعقيصتها ، وأغرق في تيار النهار سواد ليلها ، وأطلق لسانه من الاعتقال ، وأنطق بيانه فقال ، ووقفه في البيان ولولا توفيقه لما نطق ، ووقفه ولولا إيقافه لعبر على آثاره في وجه من سبق ، وقام وأقام الحجة على البلغاء حيث لا يجد من يقول إلا صدق . تمت .

● فلما رأيت ما هالني ، وغلّ عقلي وغالني ؛ كتبت الجواب عن ذلك نظماً ، وهو^(١) : [من الكامل]

جاء الجواب يزف منك فواضلا ويرف في روض البيان خمائلا
أغرقت غرّ الشخب حين وصفتها يا من غدا بخرأ يموج فضائلا
لو لم تكن يُمنالك بخرأ زاخراً ما أرسلت تلك الشطور جدائلا
ضرب من السحر الحلال متى تشا أخرجته فيعود ضرباً داخلا
ما إن جلا راويه حور بيانه إلا وزان مشاهدا ومحافلا
فمتى يروم به اللحاق مقصّر والنجم أقرب من مداه تناولا

(١) القصيدة في الوافي ٢٦٣/٨ ومسالك الأبصار ٥٠٨/١٢ .

أَبْرَزَتْهُ أَفْقًا فَكُلُّ قَرِينَةٍ
فَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْحُرُوفُ حَدَائِقُ
وَكَأَنَّ ذَاكَ الطَّرْسَ خَدٌّ رَائِقُ
مَهْلًا أبا العَبَّاسِ قَدْ أَفْحَمْتَنِي
بِاللَّهِ قُلْ لِي عِنْدَمَا سَطَرْتَهُ
أَقْسَمْتُ لَوْ جَارَاكَ فِي إِنْشَائِهِ
حَرَكْتُ مِنْكَ حَمِيَّةً عَدْوِيَّةً
كَمْ فِيهِ مِنْ لَامٍ كَالْأَمَةِ فَارِسِ
هَلْ شِئْتُ أَنْ تُنْشِيَ الْجَوَابَ سَحَابَةً
يَا فَارِسَ الْإِنْشَاءِ رَفَقًا بِالَّذِي
لَوْ رَامَ أَنْ يَجْرِيَ وَرَاءَكَ خُطْوَةٌ
فَاحْسِنَ عِنَانَكَ قَدْ تَجَاوَزْتَ الْمَدَى
وَالْفَاضِلُ الْمُسْكِينُ أَصْبَحَ قُتْنُهُ
فَاسْلَمَ لِتَبْلِيغِ النَّفُوسِ مَرَامَهَا
كَمْ فِيكَ لِي أَمَلٌ يَرُوقُ لِأَنْتَنِي

● فَكُتِبَ الْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَيْضًا^(٣) :

وَافِي الْكَمِيَّ بِهَا يَهْزُ مَنْاصِلًا
سَبَقَ الظَّلَامَ بِهَا بِزِينَةٍ لَيْلِيَّةٍ
وَيَذُمُّ صِنْغًا لِلشَّبِيَّةِ نَاصِلًا^(٤)
وَلَوْ أَنَّهُ فِي الْفَجْرِ حَلَّى الْعَاطِلَا^(٥)

حَمَرَاءُ قَانِيَّةٌ يَذُوبُ شُعَائُهَا
حَمَرَاءُ قَانِيَّةٌ يَحُتُّ كُؤُوسُهَا
ذَهَبِيَّةٌ مَا عَزَقُ عَانَةَ كَزَمَهَا
كَفُّ لِمُنْبَجِسِ النَّوَالِ كَأَنَّمَا
كَرَّمَ خَلِيلِي يُمَدُّ سِمَاطُهُ
وَلَهَيْبُ فِكْرٍ لَوْ يَطِيرُ شَرَارَةٌ
يُذَكِّي بِهِ فِي كُلِّ صُبْحَةٍ قَرَّهُ
عَجَبًا لَهُ مِنْ سَابِقِ مُتَأَخَّرِ
دَانُوهُ فِي شَبِّهِ وَمَا قَنَسُوا بِهِ
مَائِلٌ بِهِ الْبَحْرَ الْخَضَمَ فَإِنَّهُ
وَاقَتْ عَقِيلَتُهُ وَلَوْ بَذَلَ امْرُؤُ
جَاءَتْ شَبِيَّةُ الْخَوْدِ فِي حُلْلِ لَهَا
قَدْ خُضِبَتْ بِدَمِ الْحَسُودِ أَمَا تَرَى
حُلْلٌ عَلَى سَخْبَانٍ تَسْحَبُ بُرْدَهَا
خِلْتُ الْهِلَالَ يَلُوحُ طَلَعُ نِقَابِهَا
بِنْتُ الْقَرِيحَةِ مَا وَنَتْ فِي خِدْرِهَا
جَاءَتْ تَصَوُّغٌ مِنَ الْعِنَاقِ أَسَاوِرًا
قَبْلَتْهَا وَأَعْدَتْ تَقْبِيلِي لَهَا
وَأَتَتْ وَجَيْشُ النَّوَى مَرْهُوبُ الشُّطَا
وَتَرَى حَصَا الْيَاقُوتِ مِنْهَا سَائِلًا
وَقَعَ الصَّوَارِمِ وَالْوَشِيخِ الذَّابِلَا
لَكِنَّهُ كَفَّ الْكَرِيمِ شَمَائِلَا
دَفَعُ الشُّيُولِ تُمْدُ مِنْهُ نَائِلَا
وَيَشِبُّ نَارًا لِلْقُرَى وَفَوَاضِلَا
مِنْهُ لَمَّا بَلَ السَّحَابُ الْوَابِلَا
فَهَمَّا لِيَنْشِرَانَ الْقَرَارِيجَ أَكِلَا
فَاقَ الْأَوَاخِرَ ثُمَّ فَاتَ أَوَائِلَا
مَنْ ذَا تَرَاهُ لِلْغَمَامِ مُسَاجِلَا
لَا يَزْتَضِي خَلْقًا سِوَاهُ مُمَائِلَا
فِيهَا اسْتَقَلَّ مِنَ الْبُرُوجِ مَعَاوِلَا^(١)
حُمْرِ كَنَوَارِ الشَّقِيقِ مَوَائِلَا^(٢)
أَثَرُ السَّوَادِ بِهَا عَلَيْهِ دَلَائِلَا
وَتَجُرُّ مِنْ طَرَفِ الذُّيُولِ الْفَاضِلَا^(٣)
حَتَّى نَضَتْ قَرَأَيْتُ بَذْرًا كَامِلَا
حُسْنُ الْمَلِيحَةِ أَنْ تُوَاصِلَ عَاجِلَا
لَا بَلَّ تَخَوُّضُ مِنَ الشُّيُولِ خَلَاحِلَا
إِنَّ الْمُتَيْيَمَ لَا يَخَافُ الْعَاذِلَا
مَلَأَ الْوُجُودَ لَهُ قَنَاءٌ وَقَنَائِلَا

(١) سقط البيت من م .

(٢) في ب : في حُلِّ التَّيْهَا × حُمْرًا

(٣) سقط البيت من س .

(١) في م : نُصِبَتْ . وفوقها : معاً .

(٢) في م : × . . . لا تخيب الأمل .

(٣) القصيدة في الوافي ٢٦٤ / ٨ وممالك الأبصار ٥٠٩ / ١٢ .

(٤) في م : × ويضم

(٥) في م : شق الظلام . . . × .

والبزق مشبوب الضرام لأنه
وافث ورأس الطود يشكو لمة
وكانما نثرت قراضة فضة
ملأت به كل الفضاء فلا ترى
والأفق كالكأس المقتصر ملؤه
أناء يرم قد تقهر ضوءه
والجؤ منخرق القيص كأنه
والسبل منحدر يسأل مهتداً
الله أنت أبا الصفاء فلأنني
أنت الذي خلقت صفراً أجداً
يا من ينفق سوق كل فضيلة
● وكتب هو إلي من دمشق المحروسة ، وأنا بالقاهرة المحروسة ، يصف
الثلج الكائن في شهر الله المحرم ، سنة ٧٤٥ :

يقبل كذا ، لا رأى في هذا الشتاء كيف حال أودائه ، وكيف حال بلده
الذي رقت عليه حتى القاسية قلوب أعدائه ، وكيف حال الناس تحت ذيول هذه
الأشتية المجرورة ، ونوافض هذه [٢٨] الرعود المقرورة ، وقروح شقر هذه
البروق المقرورة ، وغرر هذه الأيام المقرورة ، وسوافي هذه الغيوب
المذرورة ، وضرر هذه الأنواء الرواء بالأرض المضرورة ، وسيوف هذه
السيول الحدة المطرورة ، ونزول هذه الثلوج بعقد البلاء المضرورة ، ومشي
الخلايق في أزدية الشحب المزرورة ، وغبوس هذه الشنايا الضاحكة وما

(١) في ب : . . . منحدرًا . . . × .

هي مسرورة ، ونوازل هذه الأمطار التي ولدت بمواقعها القصب محتونة
ودارات النهر مسرورة ، وعواصف هذه الأيام التي كأن بها جنة أو هي لكثرة
المروى مسرورة ، وكلب برد هذه الليالي الذي أضحى تشكاه الكبود
المحرورة ، ويعد مولانا الذي يعدل عمرة كاملة وحجة مبرورة .

فلقد أنسى السنة الماضية^(١) ونشر ميتها المذروج ، وأعاد ماضيها وليته إذ
جمد الثبات لا كثر سكر الثلوج ، وساء أحوال المدينة ، وطاف طوفانه
بالجامع وعرق السفينة ، وأشاب رأس النسر وغطى الهلال ، وكسر الصحن
وأكل الحائط الشمالي باليمين والشمال ، وأذى الموائد والمؤذنين ، وأخرس
القرء والمؤمنين ، وأفسعت لبرذ أيامه البرادة ، وشهد المشهد بغماء غمامه ،
وأقامت سبابات الموائد للشهادة ، وبطلت ألوان باب البريد المعددة ، وجرت
أركان جيرون وأبوابه في عمدة ممددة ، وجال على الدهماء والخضراء بشهب
خيوله ، وفتح أفواه أوديته والتقم أرقم كل نهر مئلو وشربه بسبيله ، وساء
بياض يومه سود مراتعها وخضر مراتعها ، وشوة في هذه الشتوة الألوان ،
وبسط ذيله على الوهاد وعقد حباه على الكئبان^(٢) .

وجاء هذا الشتاء بالعجب ، وذكر دمشق في هذه السنة بما خلا في الخالية
من واقعة حلب^(٣) ، وأنسى في كل ليلة من ليالي رمضان ليلة جمادى ، ودفن

(١) في م : فلقد أنشأ السنة الماضية .

(٢) ينظر ما يقوله المؤرخون في كاتبة الثلج سنة ٧٤٥ ، في : تذكرة النبيه ٦٣/٣ والبداية والنهاية
٤٧٧/١٨ والذيل التام ٦٨/١ وتاريخ ابن قاضي شعبة ٤١٣/١ .

(٣) قال الإمام ابن كثير في البداية والنهاية ٤٦٩/١٨ - ٤٧٠ : وفي صبيحة يوم السبت الخامس عشر منه
[= شعبان سنة ٧٤٥] قبل الظهر ، جاءت زلزلة بدمشق لم يشعر بها كثير من الناس لخفتها ، والله
الحمد والمئة ؛ ثم تواترت الأخبار بأنها شغلت في بلاد حلب شيئاً كثيراً العمران حتى سقط بعض
الأبراج بقلعة حلب ، وكثير من دورها ومساجدها ومشاهداتها وجدرانها ؛ وأما في القلاع حولها
فكثير جداً ؛ وذكر أن مدينة منبج لم يبق منها إلا القليل ، وأن عاتمة الساكنين بها هلكوا تحت =

ثَلَجُهَا سَوَاتِ ثَلَجِ سَنَتِنَا الْمَاضِيَةِ ، وَدَرَّ عَلَيْهَا رَمَادًا ، وَطَالَتْ أَيَّامُهُ وَالْأَعْمَارُ
الذَّاهِبَةُ بِهِ قِصَارًا ، وَاسْتَطَالَتْ جُنُودُهُ الْمُهَاجِرَةُ وَقَلَّتِ الْأَنْصَارُ ، وَجَاءَتْ أَفْوَاجُهُ
وَكَانَتْ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ ، وَقَدِمَتْ مِنْ وَرَاءِ الْبُرُوقِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَقَادِمُهَا
صُهَيْبٌ ، وَأَقْبَلَتِ السُّحُبُ بِخُيُوطِ أَنْوَائِهَا وَتَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ ، وَفَتَحَتْ خُورَجَ
الْبُرُوقِ فِي السَّمَاءِ الْمُفْتَحَةِ الْأَبْوَابِ ، وَأَصْبَحَتْ بِغَارِبِ النَّوْءِ كُلِّ ذُرْوَةٍ كَأَنَّهَا
سَنَامٌ ، وَبِمُجْتَنَحِ السَّبِيلِ كُلِّ عَيْنٍ كَأَنَّهَا مَنَامٌ ، وَوَقَعَ كُلُّ جَبَلٍ عَلَى جَنْبِهِ وَقَدْ
عَصَبَ رَأْسُهُ مِمَّا تَصَدَّعَ ، وَفَاضَ كُلُّ وَادٍ امْتِلَاءً بَطْنُهُ مِمَّا شَرِبَ وَانْتَفَحَتْ زَوَائِجُهُ
مِمَّا تَضَلَّعَ ، وَعَمَّتْ أَهْوَالٌ ، وَأَغَمَّتْ أَحْوَالٌ ، وَكَانَ لِلْمَدِينَةِ أَيُّ يَوْمٍ ، وَلِللَّيْلِهَا
فِي يَوْمِهِ أَيُّ نَوْمٍ ، وَدَخَلَتْهَا بِالْجَوَارِفِ الْبَقَرُ لَجَزْفِ الثَّلَجِ ، وَمَا دَخَلَتْ آلَةُ
الْحَرْثِ دَارَ قَوْمٍ^(١) .

هذا بعدَ توالي أَيَّامٍ مَا نَعْرِفُ مَا نَقُولُ فِيهَا ، إِلَّا أَنَّهَا شَغَلَتْ الشَّيْخَ أَبَا تَمَّامٍ
وَشَيَّبَتِ الْوَلِيدَ ، وَحَجَبَتِ الدَّارَ فَمَا نَظَرَ إِلَيْهَا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ مِنَ الْجَلِيدِ ،
وَعَزَّيْهَا حَتَّى عَلَى الْمَيِّتِ أَنْ يُقْبَرَ ، وَلَمْ يُرَ فِيهَا [ب ٢٨] قَتِيلٌ فِي بَيْتِهِ إِلَّا أَنَّهُ الْقَتِيلُ
الْمُصْبَرُ ، وَلَمْ يَبْدُ مِنْ شُهُودِ الْجِبَالِ ذَوَاتِ الدَّوَائِبِ ، إِلَّا كُلُّ مُعَذِّبٍ
بِالرَّحْمَةِ ، وَلَا مِنْ عُهُودِ الْغَمَامِ الْمُتَمَتِّدِ السَّحَابِ إِلَّا كُلُّ مَنْشُورٍ أَبْيَضَ
كَالْفَحْمَةِ .

فَلَمَّا رَاعَ الْمَمْلُوكُ مَنَظَرَهُ وَسَاءَهُ ، وَرَأَى نَهَارَهُ الطَّوِيلَ وَقَدْ جَعَلَ طَرَفَ
جَنَاحَيْهِ مَسَاءً ، اسْتَضَرَّخَ عَلَى رُعُودِهِ الصَّارِخَةِ ، وَاسْتَعَانَ عَلَى بُرُوقِهِ النَّافِخَةِ ،

= الرُّومَ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ .

وينظر : تاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ٣٦٠ - ٣٦١ وتذكرة النبيه ٣/ ٥٨ - ٦٠ .

(١) الإشارة إلى قول الرسول ﷺ عندما رأى سَكَّةً وشَيْئاً من آلَةِ الْحَرْثِ : « لَا يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ ، إِلَّا
أَدْخَلَهُ الدَّلُّ » . (صحيح البخاري ٣/ ٦٦) .

وَاسْتَنْصَرَ عَلَيْهِ بِكُلِّ مَنْ يَهْتَفُ بِهِ الدَّاعِي ، وَتَهَفُو إِلَيْهِ الْمَسَاعِي ، وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ
يَشْكُو سَعْيَ هَذَا الْمَطَرِ الْمُفْسِدِ ، فَجَاؤُوا يَجْرِي وَرَاءَهُمُ السَّاعِي ، وَلَمْ يُدْعَ
مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْتَرَشْ بِجَنَاحِهِ ، وَتُفَرَسَ عَادِيَةُ هَذَا الْعَدُوِّ بِسِلَاحِهِ ، وَيُرَدَّ بِهِ أَشَدُّ
بَأْسًا مِنْ هَذَا الشِّتَاءِ ، فَأَمَّا هُوَ وَكَلْبُ بَرْدِهِ فَلَا يُنَحَّى بِحَجَرٍ لِنَبَاحِهِ .

وَقَدْ جَمَعَ الْمَمْلُوكُ ذَلِكَ كُلَّهُ - الْإِبْتِدَاءَ وَالْأَجُوبَةَ - بَيْنَ دَفْعِي دَفْعٍ ،
وَأَصَافَ إِلَيْهِ مَقَامَةً مِنْ ذَخَائِرِ مَوْلَانَا الَّتِي لَمْ يَزَلْ بِهَا يَتَكَبَّرُ ، وَأَثَبَتْ هَذَا
الْكِتَابَ ، وَأَخْلَى مَكَانَ الْجَوَابِ ، فَلَعَلَّهُ يُنْعَمُ بِهِ لَا بَرَحَ مُنْعِمًا ، وَلَا زَالَ سَالِمًا
مَا عَلَيْهِ إِلَّا مَا يَرُدُّ مِنْ مَطَرِ السَّمَاءِ ، وَلَا فِتْنَةً يُكْمِلُ النُّقْصَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَالِكًا
لَمَا جُعِلَ ، وَحَاشَاهُ مِنَ الرَّيْبِ مُتَمَمًّا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ الَّتِي يَخْجَلُ السَّحَابُ مِنْ نَدَاهَا ، وَيَشْفِي لَثَمَ ثُرَابِهَا الْقُلُوبَ مِنْ
صَدَاهَا ، وَتَوْثُمُهَا الْأَيَّامُ بِالْمَنْ وَتَعْدُوهَا الْخُطُوبُ إِلَى عِدَاهَا ، تَقْبِيلًا يَزْدَادُ بِهِ
شَرَفًا ، وَيَعْتَادُ تَكَرَّارَهُ وَلَا يَعْتَدُهُ سَرَفًا ، وَيَجْعَلُ مَوَاطِئَهَا بِمَوَاقِعِ لَثَمِهِ رَوْضَةً أَنْفًا .

وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الْعَالِي ، تَجَلَّى حَبْرُهُ فِي جَبْرِهِ ، وَيَقْضِخُ زَهْرَ الْأَفْقِ
رَوْضَهُ بِزَهْرِهِ ، وَتَحَقِّقُ التَّوَاطُرُ حُسْنَ صَنَائِعِهِ وَمَا دَبَّجَهُ الْقَلَمُ فِيهِ بِأَثَرِهِ ، وَيُهْدِي
إِلَى الْأَسْمَاعِ أَنْعَامَ أَنْعَامِهِ ، وَيَجْلُو عَلَى الْعُيُونِ صُورَ سُورِهِ ؛ فَوَقَفَ لَهُ
وَانْتَصَبَ ، وَافْتَخَرَ بِوُرُودِهِ عَلَى بَنِي الْأَيَّامِ وَانْتَسَبَ ، وَانْتَهَى إِلَى الْإِشَارَةِ
الْكَرِيمَةِ فِي أَخْبَارِ الثَّلُوجِ الَّتِي طُمَّتْ وَعَمَّتْ ، وَأَوْضَحَتْ أَنْبَاءَهَا وَمَا عَمَّتْ ،
وَسَاقَتْ إِلَى الشَّامِ قِطَارَ الْقَطَارِ وَزَمَّتْ^(١) ، وَنَمَتْ بِرَكَاتِ مَوَاقِعِهَا وَنَمَتْ
وَتَمَّتْ ، وَهَمَّتْ سَحَابُهَا بِالْعَذَابِ وَأَهَمَّتْ ، فَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ فَقَدْ

(١) فِي ١ : وَدَمَتْ .

هَمَّتْ ؛ فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ السَّنَةُ أَرْبَتْ بِالْثُلُوجِ عَلَى الْأُولَى ، وَزَادَتْ عَرَضَ الْأَرْضِ طُولاً ، وَجَعَلَتْ صَحِيحَاتِ التَّوَاطُرِ حَوْلًا ، فَمَا يَظُنُّ الْمَمْلُوكُ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَسَفَ جِبَالَ الشَّامِ ثَلْجًا ، وَجَعَلَ حَوَاجِبَهَا الْمُتَمَدِّدَةَ عَلَى عُيُونِ الْأَرْضِ بَلْجًا .

على أَنَّ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ فِي هَذَا الْعَامِ وَصَلَ إِلَيْهَا فَضْلَةُ ذَلِكَ الْبَرْدِ ، وَرَمَى أَهْلَهَا بِمَا^(١) لَا عَهْدُوهُ مِنْ مِزَاجِهَا الَّذِي كَانَتْهُ زَمَنُ الْوَرْدِ ، فَلَوْ تَرَى أَحَدَهُمْ وَقَدْ أَخَذَهُ النَّافِضُ ، وَنَحَاةَ الْقَرْعِ بِعَامِلِهِ الرَّافِعِ الْخَافِضِ ، لَا يَحْمِيهِ حِصْنُ قَرْوَةٍ وَلَا يُجِنُّهُ ، وَلَا يَصُدُّ عَنْهُ نَفْحَةُ زَمْهَرِيرٍ وَلَا يَكْنُتُهُ ؛ لَتَوَهَّمَتْهُ أَخَا وَجِدٍ يَهْتَزُّ طَرَبًا ، أَوْ غَضَبًا اغْتَوَرَ عَلَيْهِ رِيحًا شِمَالٍ وَصَبَا ، قَدْ رُكِبَتْ أَغْصَانُوهُ مِنَ الزُّبْقِ فَمَا تَسْتَقِرُّ ، وَجَعَلَتْ لَهْوَانَهُ يُبْسًا فَمَا تَسْتَدِرُّ ، لَا يَمُدُّ كَفَّهُ وَلَوْ بَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى الْخِلَافَةِ ، وَلَا يُخْرِجُ يَدَهُ وَلَوْ كَانَ فَقِيرًا إِلَى كَيْسٍ ذَهَبٍ أَوْ نَدِيمًا إِلَى كَأْسٍ سُلَافَةٍ ، وَلَا يَنْبَغُ لِعَمَلٍ [١٢٩] كَانَتْهُ إِنَّ وَقَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ مَا الْكَافَّةُ ، وَلَا يُصَدِّقُ حَدِيثَ شَمْسٍ وَلَوْ كَانَ بِالْقَطْرِ الْجَنُوبِيِّ شِتَاءً ، وَيَقُولُ : حَدِيثُ خُرَافَةٍ^(٢) : [من الكامل]

وَيَرَى عِتَاقَ الطَّيْرِ فِي وَكُنَاتِهَا تَخْتَارُ حَرَّ النَّارِ وَالسَّقُودَا
وَإِذَا رَمَى فَضْلَاتِ كَأْسٍ فِي الْهَوَى عَادَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَقِيقِ عُقُودَا
كَمْ بَكَى أَنْفُهُ ، وَدَمَعُ جُفُونِهِ أَحَقُّ بِتِلْكَ الْعَبْرَاتِ ، وَكَمْ طَافَ بِكَعْبَةٍ كَانُونٍ
وَمَا أَتَى غَيْرَ الْجَمَرَاتِ ، يَكَادُ لِذَلِكَ الْبَرْدِ وَالْيَبْسِ يَنْجَسِدُ حَتَّى الْكَلَامُ ، وَيَتَوَسَّدُ
الْإِنْسَانُ طَلَبَ الدَّنَارِ تَحْتَ الرَّجَامِ ، تَلْهَجُ الرُّغْدَةُ بِهِ لَهَجَ السُّكُونِ بِحَرْفِ
الْعِلَّةِ ، أَوْ عُيُونِ الْعُشَاقِ بِالْذُمُوعِ الْمُسْتَهْلَةِ ، أَوِ الْبَدَائِعِ وَالبَدَائِعِ بِكَلِمَاتِ مَوْلَانَا
الْمُتَدَفِّقَةِ ، أَوِ الْفَهَاهَةِ وَالْعِيَّ بِعِبَارَةِ الْمَمْلُوكِ وَكَلِمَاتِهِ الْمُتَلَفِّقَةِ .

(١) سقطت « لا » من أ .

(٢) البيتان للباخرزي ، في ديوانه ١٠٠ - ١٠١ . وبلا نسبة في الكشف والتنبية ٢٤٦ .

لَقَدْ تَحَقَّقَ أَنَّ غُنْصَرَ النَّارِ ذَهَبَ فَلَكُهُ ، وَأَنَّ الْأَثِيرَ تَقَطَّعَتْ حُبُّكُهُ ، يَا رَحْمَتَا لَهُ مِنْ عَارٍ يَحْسَبُ أَنَّ الثُّنْجَ^(١) نَحَا تَحْتَهُ فَنَكُ ، وَيَا عَجَبًا لَهُ مِنْ عَاجِزٍ عَنِ الْكَلَامِ وَكَمْ دَقَّ بِالْحَنَكِ ، هَذَا وَبَيْنَ الْإِفْلِيمَيْنِ مِنْ هَذَا الْبُعْدِ الَّذِي مَا لِلْجَهِّ سَاحِلٌ ، وَالْمَسَافَةِ الَّتِي إِذَا سَرَى فِيهَا طَيْفٌ شَبَّ أَصْبَحَ دُونَ الْغَايَةِ بِمَرَاكِحَ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا إِلَّا فُضَالَاتُ تِلْكَ الْعَوَاصِفِ ، وَلُفَاطَاتُ مَا يَنْفُثُهُ فَمُ الْجَوِّ مِنَ الرُّعُودِ الْعَوَاصِفِ ، فَهَذِهِ رُمُوزُ مَا هُنَاكَ مِنَ التَّصْرِيحِ ، وَبَغْضِ شَرِّ مَا يَنْفُخُهُ كَيْزُ الرِّيحِ ، فَكَيْفَ بِمَكَانٍ كَانَ فِيهِ الْمَصْرَعُ ؟ وَمَظَانٌّ مَا يَنْشَأُ عَنِ الرِّيحِ الْأَرْبَعِ ، وَمَوَاطِنَ إِذَا كَانَتْ الرِّيحُ رُخَاءً مَرَّتْ بِهِ وَهِيَ زَغَزَغٌ ، وَبِقَاعِ أَصْبَحِ الْغُرَابِ الْأَبْقَعِ بِثَلْجِهَا قُمْرِيًّا ، وَبِلَادِ تَتَّخِذُ الشَّمْسُ فِي الْمَصِيفِ ظَهْرِيًّا ، كَأَنَّهَا بِلَادُ أَبِي الطَّيِّبِ الَّتِي لَبَسَتْ عَلَيْهِ مَسَالِكَهُ ، وَغَدَتْ بِبَيَاضِهَا وَهِيَ سَوْدَاءُ حَالِكَةٍ ، فَأَقْبَحُ بِتِلْكَ الْأَرْضِ إِذَا أَصْبَحَتْ تُغَوِّرُ تَضْحَكُ ، وَأَبْعَدُ بِتِلْكَ الْأَنْدَاءِ الَّتِي يَنْحَلُّ مِنْهَا الْكَافُورُ وَيَتَحَكُّ ؛ وَلَقَدْ كَابَدَ الْمَمْلُوكُ ثُلُوجَهَا وَلَا إِلَى هَذَا الْحَدِّ ، وَعَالَجَ أَنْوَاءَهَا وَلَكِنْ ذَلِكَ لَعِبٌ وَهَذَا جِدٌّ ، وَلَقَدْ أَذْكَرَنِي مَا قُلْتُهُ فِيهَا فِي وَقْتٍ ، وَهُوَ^(٢) : [من السريع]

تَبَّأَ لَهَا مِنْ بَلْدَةٍ لَا أَرَى فِيهَا مَقَامِي وَاضِحَ النَّهْجِ
لَأَنِّهَا فِي وَجْهِ سُكَّانِهَا وَأَهْلِهَا تَبْصُقُ بِالْثُلْجِ^(٣)

وَاللَّهُ الْوَدَاعِي^(٤) حَيْثُ يَقُولُ^(٥) : [من المنسرح]

أَقُولُ وَالثَّلْجُ قَدْ نُشِرْنَ لَهُ عَلَى وَجْهِهِ الْمَلَامَاتُ

(١) الثُّنْجُ : بساط طوله أكثر من عرضه . (القاموس) .

(٢) البيتان في الغيث المسجوم ١١٨/١ والكشف والتنبية ٢٤٩ .

(٣) في ب : كَأَنَّهَا

(٤) الوداعي : علي بن المظفر بن إبراهيم ، كاتب ابن وداعة ؛ توفي سنة ٧١٦ هـ . (الوافي بالوفيات

. ١٩٩/٢٢) .

(٥) البيتان في الكشف والتنبية ٢٤٦ .

لَوْ لَمْ تَكُنْ قَامَتِ الْقِيَامَةُ مَا بُدِّلَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ
وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ فِي الْإِعَانَةِ ، وَالْمَرْجُوُّ لِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
سُبْحَانَهُ ؛ وَمَوْلَانَا فِي وَقَايَةِ اللَّهِ تَكْفُفٌ عَنْهُ الْأَسْوَءُ ، وَتَرْكُ الْأَذْوَاءِ ، وَتَصُدُّ
الْأَلْوَاءُ ، وَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تُصَاحِبُهُ صَبَاحُ مَسَاءٍ ، وَتُبْلَغُهُ مِنَ الْمَارِبِ وَالْمَسَارِبِ (١)
حَيْثُ سَارَ وَحَيْثُ شَاءَ ، بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَمْطَارُ فِي شَهْرِ شُبَّاطٍ ، مِنْ سَنَةِ ٧٤٦ : [م]

[البسيط]

هِيَ السَّحَابُ أَمَّا وَجْهَهَا فَتَدِ
خُضْرُ تَسْرُ شَيْوَفَ الْبَرْقِ أَوْنَةً
مَا كَانَ أَمْشِيرُ مِمَّنْ لَا يُشِيرُ بِمَا
جَاءَتْ بِجَمْرَةٍ كَانُونٍ وَقَدْ طُفِقَتْ
عَادَتْ عَلَيْنَا وَقَدْ وَلَّى الشَّتَاءُ بِمَا
وَجَاءَ شَهْرُ شُبَّاطٍ فَوْقَ عَاتِقِهِ
طَالَتْ عَلَيْنَا لَهُ أَيَّامُ مُدَّتِهِ
لَقَدْ جَرَى وَهُوَ مُمْتَدُّ الْعِنَانِ بِلا
وَدَامَ يَهْمِي سِجَالُ الْمُزْنِ سَاكِبَةً
وَقَدْ خَفَى الْبَرْقُ فِي أَثْنَانِهَا وَجَرَتْ
فَأَزَمَدَتْ كُلَّ عَيْنٍ مَدُّ سَائِلِهَا
وَصَيَّبَ الرَّغْدِ لَا يَنْفَكُ يَزْجُرُهَا
طَلَقَ وَأَمَّا نَدَاهَا فَهَوَ مِلْءُ يَدِي
إِنَّ السَّحَابَ لَجَلَاءٌ لِكُلِّ صَدِي
أَوَمْتُ إِلَيْهِ بِكَفِّ خُضْبَتِ وَيَدِ (٢)
نِيرَانُ كَانُونٍ لَا بِالمَاءِ وَالْبَرْدِ
[٢٩ ب] فِيهِ وَفَاءٌ عَلَيْنَا الصَّنِيفُ بِالْمَدَدِ
بِزَاخِرِ الْبَحْرِ تَحْتَ الْعَارِضِ الْبَرْدِ
كَأَنَّ أَيَّامَهُ أَضْحَتْ بِلا عَدَدِ
نِهَآيَةٍ فِي مَدَى سَبَقٍ وَلَا أَمَدِ
وَالْبَرْقُ يَخْمُدُ مِنْهُ كُلُّ مُتَّقِدِ
سَوَاكِبِ الْمُزْنِ مِثْلَ اللَّوْلُؤِ الْبَدَدِ
لَكِنْ عَيُونُ الْحَيَا مِنْهُ بِلا رَمَدِ
أَمَا تَرَى الرِّغْدَ مِنْهَا مِثْلُ مُرْتَعِدِ

(١) فِي ب : وَالْمَشَارِبُ .

(٢) أَمْشِيرُ : السَّادِسُ مِنْ شَهْرِ الْقَيْطِ ، وَيَبْدَأُ فِي السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ كَانُونِ الثَّانِي . (الْأَزْمَنَةُ
وَالْأَنْوَاءُ ١٤٥) .

يَزْمِي رَوَاشِقَ نَبَلِ صَوْبٍ سَاكِبِهِ
وَفَاخِئَتِي سَحَابٍ فَضْلُ مُطَرَفِهِ
وَرُبَّ صَهْبَاءٍ فَوْقَ الزَّهْرِ سَائِرَةٍ
وَرُبَّ وَطْفَاءٍ كَخَلَاءِ الْمَدَامِيعِ مَا
وَرُبَّ رَيْقٍ مُزْنٍ طَعْمُ رَيْقَتِهِ
لَكِنَّهُ رُبَّمَا طَالَ الثَّوَاءُ بِهِ
فَرُبَّمَا جَاوَزَ الْمِقْدَارَ مَنْفَعَةً
وَكَمْ تَضَرَّرَ بِإِدٍ مِنْ تَنَاقُلِهِ
فَتَقْتِيهِ دُرُوعُ الرُّوْضِ بِالزَّرْدِ (١)
يَجْرُ فَوْقَ الثَّرَى ذَيْلًا بِكُلِّ يَدِ
حَمْرَاءَ تَعْبُقُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالزَّبَدِ
ذَرَّ الْكَرَى بَيْنَ جَفْنَيْهَا مِنَ الشُّهْدِ
أَشْهَى مِنَ الرَّاحِ أَوْ أَخْلَى مِنَ الشُّهْدِ
وَعَافَهُ النَّاسُ لِلتَّطَوُّلِ فِي الْمُدَدِ
وَجَاءَ بِالْعَيْثِ صَوْبُ الْعَيْثِ وَالتَّكْدِ
وَكَمْ تَضَرَّرَ مِنْهُ سَاكِنُ الْبَلَدِ
يُقْبَلُ كَذَا ، لَا زَالَتْ سَنَةٌ أَنْوَانِهَا مَاطِرَةٌ ، وَسِنَةٌ الْكَرَى فِي مُقَلِّ نَوَارِهَا
خَاطِرَةٌ ، وَسِنَةٌ رِيَاضِهَا أَنْ تَنْتَبِجَ مِنْهَا كُلُّ عَاطِرَةٍ ، وَلَا بَرَحَتْ أَلْسِنَةُ بُرُوقِهَا
لِقُلُوبِ السُّحُبِ فَاطِرَةٌ ، وَأَسِنَّةُ دَوْجِهَا مِنْ دَلَالِ الْأَنْدَاءِ قَاطِرَةٌ ، لِتَحْفَظَ
لِمَوَائِيقِ السُّحُبِ الْعُودَ ، وَيُقَضَّ مِنْ وَثِيقِ السُّحُبِ الْعُقُودُ ، وَتَعْلَمَ يَدُ الْأَنْوَاءِ
إِذَا ضَنْتَ بِالْجُودِ كَيْفَ تَجُودُ .

مِنْ خَبَرِ هَذِهِ الْخِدْمَةِ ، وَإِنْ تَقَسَّمْتَ أَقْسَامًا ، وَسَرَّتْ أَقْوَامًا وَسَاءَتْ
أَقْوَامًا ، الْإِعْلَامُ بِأَخْبَارِ هَذَا الشَّتَاءِ ، وَأَحْوَالِ (٢) هَذَا الْحَوْلِ فِي الْهَرَمِ
وَالْفَنَاءِ (٣) ، وَأَنَّ الصَّنِيفَ أَقَامَ إِلَى آخِرِ كَانُونٍ ، وَمَا أُوقِدَتْ فِيهِ لَغَيْرِ شَمْسِهِ
جَمْرَةٌ ، وَلَا عُرفَ مِنْ قَوْسِ قُرْحٍ فِي غَيْرِ جَنَاحِ شُعَاعِهِ خُضْرَةٌ وَلَا حُمْرَةٌ ، وَلَا
فُتِحَتْ فِيهِ لِلسَّمَاءِ أَبْوَابٌ ، وَلَا بَرَزَتْ الْأَرْضُ مِنْ صَنْدَلِ الطَّيْبِ (٣) فِي إِزَارٍ وَلَا
أَثَوَابٍ ، حَتَّى إِذَا قَيِّظَ النَّاسُ ، وَقُضِيَ الْبَاسُ ، وَقِيلَ : هَذَا الشَّتَاءُ قَدْ آذَنَ

(١) فِي ب : يَرْمِي سَوَاكِبَ

(٢) فِي م : وَأَحْوَالِ وَالْفَنَاءُ .

(٣) فِي س : الطَّيْنُ .

بِذَهَابٍ ، وهذا البرق لا تفضيض منه لِمَثُورِ مَصَاحِفِ السَّمَاءِ ولا إِذْهَابِ ، أَب
منه ما ظُنَّ أَنَّهُ لا يَوُوبُ إِلَّا بَعْدَ آبٍ وَأَيْلُولٍ ، ولا يُرَى إِلَى السَّنَةِ الْآتِيَةِ رُذُنٌ
رَوْضِي مَبْلُولٌ .

وَأَقِيلَ وَقَدْ تَقَطَّعَ خَيْطُ مُزْنِهِ ، وَسَمَحَ مِنْهُ بِالكَثِيرِ بَعْدَ طُولِ خَزْنِهِ ، وَجَاءَ
وِعَاءُ الْمَطَرِ فِي آخِرِ الشِّتَاءِ مَخْلُولَ الرِّبَاطِ ، وَكُلُّ مَا كُنِيَ عَنْهُ كَانُونُ صَرَخَ بِهِ
شُبَّاطُ ، فَجَاءَ لَا نَعْرِفُ أَيَّامَهُ مِنْ لَيَالِيهِ ، وَلَا رَوَائِحَهُ مِنْ غَوَادِيهِ ؛ وَتَوَاصَلَ
مِذْرَاراً ، وَسَلَّ وَسَلَّ اسْتِمْرَاراً ، وَاسْتَدْرَكَ فَائِثَ الْعَمَامِ ، وَأَقْبَلَ بِالشُّحْبِ
الثَّقَالِ وَالْبَحَارِ الْعِظَامِ ، وَدَنَا هَيْدَبُهُ مِنَ الْأَرْضِ وَاقْتَرَبَ ، وَحَلَّ صَبِيئُهُ وَكَاءَهُ
وَسَكَبَ بِأَفْوَاهِ الْقُرْبِ ، وَحَلَّ صَبِيئُهُ إِلَّا أَنَّهُ مَا جَاءَ بِدِمَقْسٍ^(١) حَرِيرِهِ الْأَبْيَضِ إِلَّا
مَحْلُولاً ، وَلَا طَارَ جَنَاحُ عَمَامِهِ الْغَزِيْبِ الْأَسْوَدِ إِلَّا مَبْلُولاً ، وَمَثَلَ فِيهِ السَّحَابُ
وَتَرَجَّمَ عَنِ الْبَحْرِ بِفِيهِ ، وَهَبَتْ فِيهِ عَوَاصِفُ الشِّتَاءِ [١٣٠] وَكَانَ يُقَالُ : إِنَّ رَوَائِحَ
الصَّبْرِ فِيهِ ، إِلَّا أَنَّ سُبُوفَهُ^(٢) لَمْ تُسَلَّ ، وَأَيْدِي مُزْنِهِ فِي سَلَسِلِهِ لَمْ تُغَلَّ ،
وَصَوَارِخُ رُعُودِهِ مَا كَانَ مِنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَتَاشٌ ، وَطُرُقُ أَنْوَائِهِ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي
هَذِهِ الْمُدَّةِ رَشَاشٌ ، وَإِنَّمَا جَاءَتْ وَفَاقاً ، وَأَنْتَ عَمْداً وَإِنَّمَا كَانَتْ اتِّفَاقاً ؛
وَالرَّكْبُ قَدْ حُبِسَ وَمَا انْطَلَقَ ، وَلَجَأَ إِلَى ذُرْوَةِ وَخَافَ الْغَرَقَ ، وَأَضْحَتِ الْإِبِلُ
فِي حَوْرَانٍ قَبْلَ رَمْلِ عَالِجِ بَوَارِكِ ، وَسُرَّتْ فَلَجَأَتْ إِلَى الشَّامِ^(٣) بِمِثْلِ أَفْوَاهِ
الْهَجَانِ الْأَوَارِكِ ، وَزَادَ الْأَمْرُ حَتَّى مُنِعَ طَوَارِقُ أَخْبَارِهِمْ أَنْ يَجِيبَ ، وَجُعِلَ زَادُ
الْحُجَّاجِ وَفَائِثُ أَخْبَارِهِمْ مِنْ عَجِيبِ ، هَذَا وَكَمْ مِنْ جَمَلٍ قَدْ كُسِرَ ، وَرَجُلٍ مُطْلَقٍ
فِي سَبِيلِهِ فِي جِبَالِ الشِّتَاءِ وَقَدْ أُسِرَ ، وَذِي هِمَّةٍ كَانَ كَأَنَّ لَمْ يُفَارِقِ الْمَدِينَةَ قَدْ

(١) فِي أ ، م : بِدِمَقْسٍ .

(٢) فِي س ، م : أَنَّ سُبُوفَ بَرْقِهِ لَمْ تُسَلَّ .

(٣) فِي م : وَسُدَّتْ فَلَجَأَتْ الشَّامُ .

رَجَعَ ، وَآخِرَ صَمَمٍ يَعِزُّ الْعَزْمَةَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَخْمَدِ الْمُتَتَجِعَ .

وَكَانَ الرَّكْبُ الْحِجَازِيُّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَخْرًا يُعْجِ عَجَاجُهُ ، وَبَرًّا يَضِيقُ
بِنَازِلِيهِ فِجَاجُهُ ، وَأَكْثَرُ الْقَوْمِ غُرَبَاءُ ، فَجَاؤُوا مِنْ بَعِيدِ الْمَسْرِى ، وَأَتَوْا مِنْ
خَلْفِ دَارِ قَيْصَرَ وَكِسْرَى ، وَرَكِبُوا الْأَهْوَالَ ، وَبَذَلُوا الْأَمْوَالَ ، وَخَاضُوا
الْأَوْحَالَ ، إِلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ .

وَقَدْ حَبَّرَ الْمَمْلُوكُ بِنِصِّ الصَّحَائِفِ بِسَوَادٍ^(١) هَذَا الْخَبَرَ ، وَعَبَّرَ عَنْ بَعْضِ
هَذِهِ الْعِبَرِ ، وَإِنَّمَا الْأَجْرُ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ ، وَلَوْلَا هَذَا لَمَا قَاسَ ذِرَاعَ مَطِيئِهِ
وَقَاسَى تِلْكَ الشَّقَّةَ ، وَمَنْ عَرَفَ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ مَا يَتَذَلُّ ، وَالصَّعْبُ فِي لِقَاءِ
الْحَبِيبِ يَسْهُلُ ، وَهَؤُلَاءِ وَفَدُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ
مَا يُضَيِّعُهُمْ ، وَلَا يُنْسِي لَدَيْهِ صَنِيعُهُمْ : [من الطويل]

وَطُوبَى لِمَنْ أَمْسَى عَلَى دَاوَةِ الْحِمَى لَهْ مَنْزِلٌ أَوْ دُونَهُ بِقَلِيلٍ
لَا زَالَتْ سَمَاوُهُ مَضِجِيَّةً ، وَشُمُوسُ أَيَّامِهِ مَضِجِيَّةً .

● فَكَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ مَعْنَى ، وَإِلَّا فَأَيْنَ الْأَرْضُ ؟ وَيَتَوَهَّمُ وُجُودَهَا ذَهْنًا ، وَإِلَّا فَهِيَ
مَفْقُودَةٌ لِيَوْمِ الْعَرْضِ ، غَطَّتِ الْأَمْطَارُ ثَرَاهَا ، وَشَطَّتْ مَنَازِلُهَا وَبَعْدَ حِمَاها ،
وَحَطَّتْ بِهَا رَكَائِبُ السُّيُولِ فَاجْتَحَفَتْ تَرْبَهَا فَمَا نَرَاهَا (تَرْبًا) ، وَبَلَغَ السَّيْلُ الرُّبَا
لَا الرُّبَى ، وَزَكَّى الْغَيْثُ وَنَمَتْ بَرَكَائِهُ وَرَبَا ، وَأَقْبَلَ شُبَّاطُ فَمَا أَبَ أَبَ ، وَوَلَّى
تَمُورُ هَرَبًا ، فَأَيْنَ الْمَقَرُّ وَلَا عَاصِمٌ ؟ وَأَيْنَ الْخَلَاصُ وَنَحْنُ بِمُدَى هَذِهِ الْبُرُوقِ
فِي حَزِّ الْغَلَاصِمِ ؟ وَكَيْفَ وَضُوحُ الْحُجَّةِ لِلنَّجَاةِ ، وَهَذِهِ الرُّعُودُ الْقَاصِفَةُ
تُخَاصِمُ ؟ وَكَيْفَ وَكَيْفَ ؟ وَهَذَا الْبَرْدُ قَدْ فَعَلَ فِي الْأَجْسَامِ مَا لَا يَفْعَلُهُ

(١) فِي ب : لِسُودَ .

ذُبَابُ الصَّنِيفِ ، وَأَهْوَنُ بِهِ ، بَلْ وَلَا ذُبَابُ السَّنِيفِ .

وَيُنْهِي وَرُودَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ تَجَرُّ رِداءَ حُسْنِهَا ، وَتَصِفُ شِدَّةَ حَلَّتْ بِنَا ،
وَمَا نَحْنُ وَزْنَ مُزْنِهَا ، وَتَسْرُدُ خَبَرَ الثُّفُوسِ الَّتِي اِزْتَاعَتْ فِي أَجْسَادِهَا ، وَمَا
كَانَ فِي كِنِّهَا ، وَتَتَصَلُّ بِرَوْضَةِ حَمَائِمُهَا سَاجِدَةً ، وَكَوَائِبُ فَضْلِهَا لِلِاسْتِقَامَةِ
رَاجِعَةً ، وَغُيُوبُ مَحَاسِنِهَا تَسْهَرُ لَهَا الْعُيُوبُ وَهِيَ مِلءٌ جُفُونِهَا هَاجِعَةٌ ، فَشَغَلَهُ
حَلْيُهَا الَّذِي لَا يُعَارُ لِسَوَاهَا ، وَبُهِتَ لِهَذِهِ النَّيِّرَاتِ الَّتِي رَفَعَ [٣٠] قَلْمُهُ سَمَكُهَا
فَسَوَاهَا ، وَتَنَزَّهَ فِي نَفْسِهَا الَّذِي أَغْطَشَ لَيْلَهَا ، وَطَرَسَهَا الَّذِي أَخْرَجَ ضُحَاهَا .

وَقَالَ : أَلَا هَكَذَا فَلْيَكُنْ كَلَامُ مَنْ أَنْشَأَ ، وَأَبْطَنَ الْمَعَانِي الْبَلِغَةَ وَغَشَّاهَا مِنْ
الْأَلْفَافِ وَمَا غَشَّى ، وَكَتَبَ وَهَذَا مَجَازٌ ، وَإِلَّا فَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ طَرَزَ وَطَرَفَ ،
وَوَشَّعَ وَوَشَّى ، وَمَا يَقُولُ الْمَمْلُوكُ إِلَّا أَنَّ مَوْلَانَا مَلَكَ هَذَا الْفَرْقِ وَالنَّاسُ عَلَيْهِ
عِيَالٌ ، وَهُوَ يَمْشِي فِي نُورِ أَيَّامٍ وَالنَّاسُ يَخْطُبُونَ فِي ظُلُمَاتِ لَيَالٍ ، وَهُوَ يَقْطِفُ
زَهْرَ الْكَلَامِ وَيَجْنِي ثِمَارَهُ ، وَغَيْرُهُ يَخْطُبُ شَوْكَ السِّيَاحِ وَالسِّيَالِ .

فَلَقَدْ وَصَفَ هَذِهِ الشَّدَائِدَ بِمَا وَصَفَ ، وَحَكَى الْحَالَ الَّذِي كَمَ بَارِقٍ فِيهِ
لَمَعٌ ، وَكَمْ رَاعِدٍ قَصَفَ ، وَأَطْرَبَ الْأَلْبَابَ فَلَا خَدَّ وَزِدَ إِلَّا فِي خَجَلٍ ، وَلَا
غُضْنَ بَانٍ إِلَّا انْقَصَفَ ؛ وَهُوَ حَرَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا وَصَفَ عَرَفَ مَا يَقُولُ ، وَأَتَى
بِمَا تَنْقَصِمُ لَهُ عُقُودُ الْعُقُولِ ، وَحَسَنَ مَا يَهْوَنُ وَرَوَعَ مَا يَهُولُ ، وَأَوْضَحَ الْمَعَانِي
فَمَا تَخْفَى إِلَّا عَلَى غَيْبٍ أَوْ جَهُولٍ ، فَاللَّهُ يُدِيمُ لَنَا هَذِهِ الْفَوَائِدَ الَّتِي هِيَ لِذُنُوبِ
هَذِهِ الشَّدَائِدِ كَفَّارَةٌ ، وَلِهَذِهِ السَّيِّئَاتِ الشَّتَوِيَّةِ غَفَّارَةٌ .

وَقَدْ أَجَابَ الْمَمْلُوكُ عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الطَّائِلَةِ بِقُصُورِهِ ، وَأَتَى بِأَكْوَاخِهِ
الصَّبِيغَةِ إِلَى مَلِكِ الْإِنْشَاءِ وَهُوَ فِي فَيْسِحَاتِ قُصُورِهِ ، وَمَا ثَمَّ إِلَّا سِتْرُ مَوْلَانَا الَّذِي
عَوَّدَ إِسْبَالَهُ ، وَحَلَمَهُ الَّذِي يَسْعَى هَفَوَاتٍ غَيْرِهِ ، وَلَوْ أَنْصَفَ نَتَفَ سِبَالَهُ ؛

وهي (١) : [من البسيط]

مَا لِلْغَمَائِمِ قَدْ أَرَسَتْ عَلَى الْبَلَدِ
وَجِنَ لَاحَتْ عَلَى بُعْدِ طَلَائِعُهَا
خَاطَتْ عَلَيْهَا ثِيَابُ السُّخْبِ فَالْتَأَمَتْ
وَلَمْ تَبْتَثْ أَغْيُنُ الْأَتْوَاءِ بِأَكِيَّةِ
كَمْ شَفَقَ الرَّعْدُ جَنِيًّا مِنْ سَحَابِهِ
يَا لِلْعَجِيبِ قِيَابُ السُّخْبِ قَدْ وَقَفَتْ
فَاسْمَعْ حَدِيثَ عَنَاءٍ قَدْ أَحَاطَ بِنَا
أَبُو قِلَابَةِ يَزُويَ الْيَوْمَ عَنْ مَطَرٍ
لَا يُوحِشُ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يُقَالُ لَهُ
أَمَّا الثُّجُومُ فَشَيْءٌ كَانَ فِي زَمَنِ
كَذَا الْفِرَاءِ وَكَانَتْ ذَاتَ مَنْفَعَةٍ
وَهَكَذَا كُلُّ لَيْسٍ كُنْتَ تَغْهَدُهُ
وَمُذْ نَشَدْتُ ثِيَاباً أَسْتَعِينُ بِهَا
قَدْ أَفْقَرْتُ رَاحَتِي مِنْ رَاحَتِي وَخَلْتُ
فَلَا تَقُلْ إِنَّ ذَا لِلزَّرْعِ مَضْلَحَةٌ

وَلَمْ تُفَارِقْ مَغَانِيهِ مَدَى الْأَبَدِ (٢)
سَاقَتْ إِلَيْنَا بَرِيدَ الْبَرْدِ وَالْبَرْدِ
هَذَا وَخَيْطُ الْحَيَا خَالٍ مِنَ الْعُقْدِ
إِلَّا وَلِلْبَرْقِ فِيهَا حُمْرَةُ الرَّمَدِ (٣)
وَقَلْبَ الْبَرْقِ فِيهَا قَلْبَ مُرْتَعِدِ
هَذَا الزَّمَانِ وَمَا قَامَتْ عَلَى عَمَدِ
مِنْ عَهْدِ نُوحٍ وَحَتَّى الْآنَ لَمْ يَرِدْ
عَنْ ثَابِتٍ عَنْ يَزِيدٍ وَاصِلَ السَّنَدِ
شَمْسُ النَّهَارِ فَمَا تَبْدُو لِمُرْتَصِدِ
مَضَى حَمِيداً فَقَدْ وَلَّى وَلَمْ يَعُدْ
« أَفَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ » (٤)
« أَخْنَى عَلَيْهِ الَّذِي أَخْنَى عَلَى لَيْدِ » (٥)
« عَيْتٌ جَوَاباً وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ »
« وَلَمْ أَعْرِضْ أَبَيْتَ اللَّغْنَ بِالْصَّفَدِ »
« يَسْعَى لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدِ » (٦)

(١) ستة من هذه الآيات في الكشف والتنبيه ٢٣٣ .

(٢) في ب ، س : . . . مدى الأمد .

(٣) البيت ساقط من أ ، م .

(٤) الأعجاز الآتية مضمّنة من دالية النابعة الذبياني ، ديوانه ٢٦ - ٢٧ .

(٥) في س : . . . كنت أعهدُهُ .

(٦) هذا المعجز والذي يليه مضمّنان من قول أسامة بن منقذ في ضرسٍ له قلعةُ : [ديوانه ١٥٢] ومختصر

تاريخ دمشق ٢٦٠/٤]

وصاحب لا تمل الدهر صحبته يشقى لنفعي ويسعى سعياً مجتهداً

فَلَيْتَ هَذَا الشِّتَاءَ الصَّغْبُ مَذْ وَقَعَتْ
بَزْدُ لَوْ أَنَّ الْوَرَى جَاءَتْ تَبَايَعُنِي
مَا نَحْنُ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ كِي يَطُوفَ بِنَا الطُّ
لَقَدْ سَكَنَّا مِنَ الْهَمِّ الْمُبْرَحِ لَا
فَالْوَكْفُ رَاوَقْنَا وَالْبَيْتُ بَاطِيَةً
فَالْأَنْفُ بَاكِ لِأَنَّ الْعَيْنَ جَامِدَةً
قَدْ مَرَّ كَانُونَ يَخْلَوْنَ مِنْ أَذَى وَقْدَى
[٣١] فَجَا شَبَاطُ سِينِيَاطِ السَّحَابِ إِلَى
فَكَمْ رَمَى نَبْلٍ وَبَلٍ بَاتَ يَزْشُقْنَا
مَا كَانَ أَغْنَى الْوَرَى فِي ذَا الْقَطُوعِ وَذَا التَّ
فَلَا تَقُلْ إِنَّ هَذَا رَحْمَةً نَزَلَتْ
إِنْ دَامَ لَا دَامَ عَمَّ الْهَلْكَ أَجْمَعْنَا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ عِنْدَ قُدُومِي مِنَ الْقَاهِرَةِ ، أَوَائِلَ سَنَةِ ٧٤٦ يَطْلُبُ مِنِّي
جَوَابًا كَتَبْتُهُ عَنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - إِلَى
السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيَنِيِّ صَاحِبِ مُرَاكَشٍ ^(١) : [من الطويل]

رَعَى اللَّهُ قَلْبًا لَا يَزَالُ يَشْوِقُهُ حَبِيبٌ عَلَى طُولِ الْمَدَى وَخَلِيلٌ
وَدَّهْرًا أَعَادَ اللَّهُ فِيهِ زَمَانَنَا وَقُصِّرَ ذَنْبٌ لِلْفِرَاقِ طَوِيلٌ
فَمَا مِثْلُ مَنْ قَدْ كُنْتُ فَارَقْتُ شَخْصَهُ وَعَادَ وَقَلْبِي بِالْبِعَادِ عَلِيلٌ
لَقَدْ جَلَّ يَوْمَ الْبَيْنِ قَدْرُ فِرَاقِهِ وَهَلْ كَخَلِيلٍ فِي الْفِرَاقِ خَلِيلٌ

الْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ كَذَا ^(١) ، التي جاءت هي وبواكير الربيع على قدر ، وَوَرَدَتْ
قَبْلَ الْوَرْدِ ، وَالْبَدْرَةُ لِمَنْ بَدَرَ ، وَعَادَتْ وَأَبْقَتْ النَّيْلَ بِحُمْرَةِ خَجَلِهِ ، لِأَنَّ أَبَا
الصَّفَاءِ لَا يُمَائِلُهُ أَبُو الْكَدَرِ .

وَيُنْهِي تَشْوِقُهُ إِلَى الرِّسَالَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ وَمَا كُتِبَ فِي جَوَابِهَا ، وَمَا يَشْكُ أَنَّهُ قَدْ
سَاقَ إِلَى الْمَغْرِبِ الشَّمْسِ ، وَأَنْسَى يَوْمِهِ فِي الدِّيْوَانِ كُلِّ أَمْسٍ ، وَأَسْمَعَ
الْمَرْيَنِيِّ مَا لَمْ يَمُرَّ بِسَمْعِهِ مِنْ لِسَانٍ ، وَأَرَاهُ مِنْ مَقْدَمِهِ أَحْسَنَ مِنْ يَوْمٍ فَتَحَ
تِلْمَسَانَ ، هَذَا إِلَى مُتَجَدِّدَاتِ هَذِهِ الرَّخْلَةِ مِمَّا لَا يُؤْلَدُهُ مِنَ الدَّرِّ مَطَرُ نَيْسَانَ .

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من الطويل]

خَلِيلُكَ إِذْ وَافَى حِمَاكَ تَرَفَّعَتْ بِهِ رُتَبٌ أَذْنَتْهُ فَهَوَ جَلِيلٌ
وَصَالَ وَهَابَتْهُ النَّوَى وَسَمَا بِهِ إِلَى الشُّهْبِ فَرَعٌ لَا يُرَامُ طَوِيلٌ
وَعَادَ فَعَادَتْهُ الْمَسْرَةُ بَعْدَمَا مَضَتْ مُدَّةٌ بِالْبُعْدِ وَهَوَ عَلِيلٌ
وَمَنْ جَاءَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى الشَّامِ قَاصِدًا إِلَيْكَ تَلَقَّاهُ بِجُودِكَ نَيْلٌ

يَقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الَّذِي خَسَفَ حُسْنُهُ الْقَمَرَ ، وَأَرَاهُ تَرَفُّعَ
الرُّهْرِ وَتَفْتَحَ الزَّهْرِ ، وَفَضَحَ رَوْقَهُ الدَّرَارِي ، وَإِنْ تَنَازَلَ فَقَدْ أَخْجَلَ الدَّرَرَ ،
وَتَحَقَّقَ أَنَّهَا دَوْحَةٌ أَخْرَجَهَا مَنْ ضَرَبَتْ أَغْرَافُهُ الطَّيْبَةُ إِلَى عُمَرٍ ، وَامْتَثَلَ مَا رَسَمَ
بِهِ مَوْلَانَا وَجَهَّزَهُ ، عَلِمًا بِأَنَّهُ قَدْ أَهْدَى الذُّبَالَ إِلَى النَّبْرِ الْأَعْظَمِ ، وَجَهَّزَ النَّيْلَ
الْمُخْتَرَقَ إِلَى الْبَحْرِ الْمُفْعَمِ ، وَعَرَضَ عَلَى غُوطَةِ قَاسِيُونَ حَاجِزَ الْمُقَطَّمِ ^(٢) ،
فَإِنَّ جَوَابَ الْعَرَبِ مِمَّنْ مَلَأَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ ذِكْرُهُ ؟ وَأَيْنَ هَشِيمُ الْمُقِلِّ مِنْ
مُكْثِرِ سَدِّ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَا زَهْرُهُ ؟ فَإِنْ كَانَ فِيهَا مَا يَرُوقُ فَهُوَ مِنْ بَضَائِعِ مَوْلَانَا الَّتِي
رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَسَاقَ هَذِي هَدِيَّتَهَا إِلَيْهِ ، وَإِلَّا فَكَلَامُ الْعَاجِزِ عَجُوزَ ،

= لَمْ يَبْدُ لِي مِثْلُ تَصَاحِبِنَا فَمِنْ بَدَا لِنَظَرِي افْتَرَقْنَا فِرْقَةَ الْأَبَدِ
(١) رِسَالَةُ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيَنِيِّ ، أَوْرَدَهَا الْمُقَرِّي فِي نَفْحِ الطَّيْبِ ٣٨٦/٤ . وَجَوَابُ الصَّفْدِيِّ عَنْهَا فِي
٣٩٤/٤ وَمَا بَعْدَ . وَيَنْظُرُ إِجَازَةُ الصَّفْدِيِّ بِرَوَايَةِ رِسَالَتِهِ فِي ٣٩٩/٤ .

(١) فِي م : يَقْبَلُ الْأَرْضَ .
(٢) فِي ب : حَاجِرُ حَجَرِ الْمُقَطَّمِ .

ومُقَابَلَةُ الشُّهُبِ بِالْحَصَى لَا تَجُوزُ ، وَاللَّهُ يُدِيمُ فَوَائِدَ مَوْلَانَا الَّتِي تَهْدِي فَوَاكِهَ
أَيْلُولٍ إِلَى مَنْ فِي قَلْبِهِ حَرٌّ تَمُوزُ ، بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ ، وَأَنَا بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ وَسَبْعِمِئَةِ
جَوَاباً :

لَا زَالَتْ فُطْنَتُهُ دَاعِيَةَ الْإِسْرَاعِ ، وَمَحَاسِنُهُ مِلْءَ الْأَبْصَارِ وَالْأَفْوَاهِ
وَالْأَسْمَاعِ ، وَيُنْهِي وَقُوفَهُ عَلَى كُلِّ مِنَ الْجَوَابَيْنِ ، فَوَقَّفَ النَّظَرَ عَلَيْهِ وَحَبَسَهُ ،
وَاسْتَأْنَسَ بِهِ فَأَمَّنَ سَمْعُهُ وَأَنَسَهُ ، وَاجْتَنَى [٣١ب] مَعَانِيهِ فَتَحَقَّقَ أَنَّهَا مِنْ ثَمَرَاتِ
ذَلِكَ الْعَرْسِ ، وَتَمَتَّعَ مِنْ مَحَاسِنِهِ بِجَنَافٍ فِيهَا مَا تَلَدُّ الْأَعْيُنُ وَتَسْتَهِي النُّفُسُ ،
وَعَلِمَ أَنَّهَا أَمِينَا أَنْ يُعَزَّزَ بِثَالِثٍ ، وَأَنْ يُضَاهِيَهُمَا إِلَّا عَابَثُ ، وَأَنَّهَا الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ ، وَالْبَحْرُ وَالْمَطَرُ ، وَاسْتَتَرَ^(١) بِهِمَا وَتَهَيَّأَ ، وَقَالَ^(٢) : أَتَاكَ الْمَجْدُ مِنْ
هَئَا وَهَئَا^(٣) : [مَنْ الطَّوِيلُ]

سَمِعْتُ نَحْوَهَا الْأَبْصَارُ حَتَّى كَانَتْهَا بِنَارِيهِ مِنْ هَئَا وَهَئَا وَهَئَا صَوَالِي
وَقَالَ : هَكَذَا فَلْيَكُنْ مَنْ يُكَاتِبُ ، وَبِمِثْلِ هَذَا فَلْيَجَاوِبْ مَنْ يُجَاوِبُ ،
وَتَسَاوَتْ قِيَمَتُهَا فَلَمْ يَدْرِ أَيُّهُمَا يُفْضَلُ ، وَبَهَرَتْ أَنْوَارُهُمَا حَتَّى دَهَشَ ، أَيُّهُمَا
يَبْدَأُ بِهِ وَيَتَأَمَّلُ ؛ إِلَى أَنْ وَجَدَ أَحَدَهُمَا مُوسِعاً بِالْخَطِّ الْكَرِيمِ الْبَهَائِيِّ مَرْقُومُ ،
مُشْتَمِلاً عَلَى رِيَاضِ صِدْرَتِ مَنْ أَنَامِلِهِ الشَّرِيفَةِ عَنْ غُيُومٍ ، وَمَا جَعَلَهُ فِي أَثْنَاءِ
ذَلِكَ الْكِتَابِ إِلَّا خَشْيَةً أَنْ يَبْدَهُ الْعُقُولَ فَيَشْدَهَا^(٤) بِالْخِيَالِ ، وَمَا كَانَ مَوْضِعُهُ
الْحَوَاشِي إِلَّا لِشَهِدِ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ عَلَيْهِ خَطُّ الْكَمَالِ ، وَلَا عَدِمَ الْمَمْلُوكُ مِنْ عَوَارِفِهِ

(١) فِي س : وَاسْتَتَرَ . وَفِي م : وَاسْتَشَرَّ .

(٢) صَدْرُ بَيْتِ لَأَبِي وَجْزَةِ السَّعْدِيِّ ، فِي دِيْوَانِهِ ١٦٠ . وَعَجْزُهُ :

وَكُنْتُ لَهُ بِمُغْتَلَجِ الشُّبُولِ

(٣) الْبَيْتُ لِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ ، فِي سَقَطِ الزُّنْدِ ١١٦٤/٣ .

(٤) فِي م : فَيَدْهَشُهَا .

فِي تَالِدِ الْفَضْلِ وَطَارِفِهِ : [مَنْ الْخَفِيفُ]

مُحْسِناً لَمْ يَدْعُ لَنَا بِأَيَادِيهِ عَلَى كَثْرَةِ الرَّجَاءِ رَجَاءُ
جَادَ قَبْلَ السُّؤَالِ بِرَأً فَلَمَّا لَمْ نَسَلْ مِنْ نَدَاهُ جَادَ ابْتِدَاءً

وَلَقَدْ اسْتَدْرَجَ كَرَمُهُ لِسَانَ الْمَمْلُوكِ ، عَمَّا كَانَ بِصَدْرِهِ مِنْ ذِكْرِ الْمُشْرِفِ
الْوَارِدِ ، وَوَصَفَ مِنْنَهُ الَّتِي تَثْبُتُ فِي الْأَعْنَاقِ كَالْقَلَائِدِ ؛ فَإِنَّ الْمَمْلُوكَ كَانَ قَدْ
سَكَّرَ بِمَا أَدَارَهُ الْقَلَمُ الْبَهَائِيَّ مِنْ كُؤُوسٍ تَضْرَعُ الْأَلْبَابَ ، وَتَضْرِبُ بَيْنَ الْمَرْءِ
وَعَقْلِهِ بِحِجَابٍ ، وَقَدْ آتَى لِلْمَمْلُوكِ أَنْ يَصْحُو ، وَأَنْ يَقْصِدَ طَرِيقَ الْأَدَبِ
وَيُنْحُو ، فَيَقُولُ : إِنَّ الْمُشْرِفَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ وَإِنْ ثَلَّثْنَا^(١) عَدَدًا ، وَسَلَكْنَا طَرِيقًا
قَدَدًا ، فَذَرُّهُمَا مُؤْتَلِفٌ ، وَبِرُّهُمَا لَا يَخْتَلِفُ ، وَوَصَلَ قَرِينَهُمَا مَا أَنْعَمَ بِإِنْفَاقِهِ
مِمَّا كَانَ الْمَمْلُوكُ التَّمَسُّهُ مِنْ كَرَمِهِ ، وَاسْتَهْدَاهُ^(٢) مِنْ مَوَاهِبِ قَلْبِهِ .

وَأَمَّا مَا كَانَ بَلَغُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنِ الْجَنَابِ الزُّيْنِيِّ ، فَالْجَوَابُ عَنْهُ قَوْلُ
مِهْيَارِ .

وَأَمَّا الْمَرَاثِي الشُّهَابِيَّةُ ، فَتَنَظَّمَ الْجَنَابَانِ الشَّرِيفَانِ الْعَلَانِيُّ وَالشُّهَابِيُّ وَلَدَا
غَانِمَ أَبْقَاهُمَا اللَّهُ تَعَالَى قَصِيدَتَيْنِ ، بِلَ فَرِيدَتَيْنِ ، وَكَانَ الْجَنَابُ الْعَالِي ابْنُ نُبَاتَةَ
غَائِباً عَنْ مَوْتِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَ عَمِلَ قَصِيدَةً هَتَفَ بِهَا كُلُّ سَامِعٍ ، وَاسْتَبْكِي بِهَا
حَتَّى أَعْيَنَ النُّجُومُ الطَّوَالِغَ ؛ وَعَمِلَ الْأَدِيبُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ الْخِيَّاطُ مَرْثِيَةً
لَمْ يُرَفَّغْ لَهَا عِلْمٌ ، وَلَا تَلَجَّلَجَ بِهَا نَعَمٌ ؛ وَتَقَدَّمَ مِنَ الْمَمْلُوكِ نَظْمٌ وَاحِدَةٌ ، وَبَلَغَ
الْمَمْلُوكُ أَمْرًا اقْتَضَى كَتْمَهَا^(٣) ، وَيَتَنَاسَى مَا فِيهَا ؛ وَعَقْنِيهَا يُجَهِّزُ بِهَا وَرَقَةً
مُحَبَّسَةً لِبِدَائِعِهَا وَحَابِسَةً ، لِيَقِفَ عَلَيْهَا فَيَدْفَعِ الْأَرْبَعَةَ وَيَكْتُمُ الْخَامِسَةَ ، وَأَوْصَلَ

(١) فِي أ ، ب ، س : ثَلَّثْنَا !

(٢) بَدَايَةُ سَقَطِ فِي ب مَقْدَارُهُ وَرَقَةٌ .

(٣) فِي س : اقْتَضَى أَنْ يَخْفِيَهَا .

المَمْلُوكُ إِلَى الْيَدِ الْكَرِيمَةِ النَّاجِيَةِ ، ابْنِ الْمَقَرِّ الْكَرِيمِي ، كِتَابُهُ وَقَدْ وَعَدَ فِيهِ بِالزِّيَارَةِ ، فَأَوْقَفَ اللَّوَاظِظَ دَبَابِبَ السُّبُلِ تَتَرَقَّبُ انْتِظَارُهُ ، وَالْمَسَامِعَ رَبِيبَةَ الرُّسُلِ لِتَسْمَعَ أَخْبَارَهُ ، وَالْمُسْتَمَدَّ مِنْ تَفْضِيلِهِ أَنْ يُوَاصِلَ بِخِدْمِهِ مَا دَامَ فِي قَوْسِ الْقَطِيعَةِ مَنْزَعٌ ، وَلِلزَّائِي تَرَدُّدٌ يُخْشَى وَيَتَوَقَّعُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُقَرِّبُهُ مَقِيلًا ، وَلَا يُعْذِمُ الْمَمْلُوكَ^(١) خَلِيلًا عَلَى الْحَقِيقَةِ جَلِيلًا ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٢٠ جَوَابًا عَنْ كِتَابِ عَطْفَتِهِ عَلَى مُوشَحَّةٍ نَظَّمْتُهَا مُعَارِضًا [٣٢] بِهَا الْمُؤَصِّلِي أَحْمَدُ بْنُ حَسَنٍ ، وَسَوْفَ يَأْتِي ذِكْرُهَا فِي ذِكْرِ جَمَالِ الدِّينِ يَوْسُفَ الصُّوفِيِّ فِي حَرْفِ الْبَاءِ :

لَا زَالَتْ^(٢) الْبَلَاغَةُ جَنَى غَرْسِهَا ، وَالتَّوْبَةُ شَأْنُ نَفْسِهَا ، وَقَبْلَ الْمَمْلُوكِ تِلْكَ الْعَقَائِلُ الطَّالِعَةُ ، وَاسْتَشْفَى بِتِلْكَ الْمَوَاهِبِ النَّافِعَةُ ؛ وَفَهِمَ الْمَمْلُوكُ الْإِشَارَةَ فِي تَأْخِيرِ الْجَوَابِ الْبَهَائِيِّ ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ الْمُسَرَّفَ الْمُسَارِفَ إِلَيْهِ حِينَ وَرَدَ ، اسْتَبَقَ نَظْرَ الْمَمْلُوكِ وَبَنَانُهُ إِلَى تَأْمُلِهِ وَالْإِجَابَةُ عَنْهُ ، وَازْدَحَمَتْ فِي طَرِيقِ نَظْمِهِ أَلْفَاظُهَا ، وَالْأَلْفَاظُ الْمَنْفُوتَةُ مِنْهُ ، وَجَهَّزَهُ مَعَ قَاصِدٍ ، لَا شَكَّ أَنََّّهُ عَرَفَ أَنَّ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ ، فَتَبَدُّهُ ظَهْرِيًّا ، وَجَعَلَهُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ، وَلَمْ يَتَأَخَّرِ الْمَمْلُوكُ مُخْجَمًا ، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ الْإِخْجَامَ كَانَ يُمِثِّلُهُ أَلَيُّ ، لَيْسَتْ تَقْصِيرُهُ ، وَيُخْفِي عُيُوبَ فَهَائِهِ ، وَيُحِيلَ الْمُحْسِنَ عَلَى إِحْسَانِهِ الَّذِي يَكْفِيهِ مُجَازِيًّا وَيُمَازِلُهُ مُجَازِيًّا .

وَقَدْ أَعَادَ الْمَمْلُوكُ إِلَى الْجَنَابِ الْبَهَائِيِّ خِدْمَةَ ثَانِيَةً ، لَعَلَّ فَصَاحَةَ الْمَوْلَى فِي الْإِيرَادِ تُعْذِيهَا فَتَلْبَسُهَا الْمَحَاسِنُ ، وَتُكْسِيهَا الْمَيَامِنُ .

وَأَمَّا إِشَارَةُ الْمَوْلَى إِلَى الْمُوشَحَّةِ الَّتِي عَارَضَ بِهَا الْمُؤَصِّلِي فِي الْوَزَنِ

وَالرَّوْيُ مُلْتَزِمًا مَا جَاءَ بِهِ الْمُسَارِفُ إِلَيْهِ فِي عَفْوِ قَرِيبَتِهِ مِنَ الْغُصُونِ وَالْأَقْفَالِ ، وَنَسِجِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْوَالِ ، فَقَدْ تَأَمَّلَهَا الْخَادِمُ وَاسْتَمَلَّهَا ، وَاسْتَجَلَّهَا وَاسْتَحْلَاهَا ، وَأَخْضَرَهَا مَعَ مُوشَحَّةِ الْمُؤَصِّلِي ، فَأَقْسَمَ بِالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ، وَذَكَرَ بِهَا فَرِيدَةَ الْجَمَالِ ، فَقَالَ : وَالتَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّاهَا ، وَاللَّيْلِ مِنْ سَوَادِ وَجْهِ مُعَارِضِهَا إِذَا يَغْشَاهَا ؛ وَتَمَثَّلَ الْقَوَافِي عَلَى غُصُونِهَا حَمَائِمَ ، وَالْحَشَوِ عَلَى سَجْعَاتِهَا كَمَائِمَ ، وَعَذَّرَهَا فِي اتِّخَاذِ الْأَقْفَالِ عَلَى مَا صَانَ مِنْ دُرِّهَا وَصَاغَ مِنْ تَبْرِهَا ، وَقَابَلَهَا بِكُلِّ مَا قِيلَ فِي هَذَا النَّوعِ فَوَجَدَهَا كَاسِفَةً ، وَمِثْلَهَا بِأَمْثَالِهَا فَغَدَّتْ عَلَى حَظِّهَا إِذَا قَيْسَتْ أَحَاسِنُ الْمَحَاسِنِ آسِفَةً ، وَلَقَدْ وَقَعَتْ مَوْقِعَ الْاسْتِحْسَانِ ، وَأَتَتْ كَامِلَةَ الْإِحْسَانِ ؛ لَوْ اهْتَدَتْ الْعَرَبُ الْأُولَى إِلَى طَرِيقِهَا لَعَدَلَتْ إِلَى الْمُوشَحَّاتِ عَنِ الْقَصَائِدِ ، وَلَوْ أَلْفَهَا الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ لَاسْتَفْتَحَ بِقَرَائِدِهَا مَا أَلَفَ مِنْ « الْقَلَائِدِ » ، وَقَدْ عَطَفَهَا الْمَمْلُوكُ عَلَى مُوشَحَّةِ الْمَوْلَى جَمَالِ الدِّينِ مُقْتَضِبَةً مِمَّا كُتِبَ عَلَيْهَا^(١) مِنْ أَثْنِيَّةِ بُلْغَاءٍ لَمْ يُقَدِّرُوهَا حَقَّ قَدْرِهَا ، وَلَا نَهَضُوا بِشُكْرِهَا ، مَعَ إِطَالَةِ تَقْضِي بِمُطَالِعِهَا^(٢) إِلَى الْمَلَلِ ، وَتَشْرِخُ بَدَائِعِهَا عَلَى وَجْهِ الْجُمَلِ ، عَارِيَةً مِمَّا حُلِيَتْ بِهِ مِنْ وَصْفِهِمْ ، إِذَا كَانَتْ الْمَلِيحَةُ تَغْنَى عَنْ حُلِيِّ وَعَنْ حُلُلٍ ؛ فَإِنَّ الْمَمْلُوكَ أَثَرُ اسْتِنْسَاحِهَا ، وَاسْتَكْثَرِ نُسَاحَهَا ، لَكِنْ ضَاقَ فَنَرٌّ عَنْ مَسِيرِ^(٣) ، وَشَهِادَتُهَا لِنَفْسِهَا بَيِّنَةٌ لَا تُدْفَعُ ، وَحَسَبُ الْمَلِيحَةِ أَنْ تَأْتِيَ سَافِرَةً وَلَا تَتَبَرَّقَعَ .

مُحِبُّ الْمَوْلَى الْجَنَابِ الرَّيْنِيِّ يُنَحِّفُهُ بِسَلَامٍ أَرْبَعَ النَّفْحَةِ ، بِهَيْجِ اللَّمْحَةِ ، اغْتَرَضَ بِهِ وَظَائِفَ الْأَذْعِيَةِ الَّتِي يَسْتَغْرِقُ بِهَا أَوْقَاتَهُ ، فَقِيلَ : هَلِ هِيَ شَذْرَةٌ فِي سُبْحَةٍ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) نَهَايَةُ السَّقَطِ فِي ب .

(٢) « بِمُطَالِعِهَا » : سَاقِطَةٌ مِنْ أ ، م .

(٣) فَوْقَهَا فِي أ : كَذَا .

(١) فِي س : وَلَا يَعْدَمُ الْمَمْلُوكُ مِنْ بَقَائِهِ خَلِيلًا .

(٢) فِي م : يَقْبَلُ الْيَدَ ، لَا زَالَتْ .

● وكتبْتُ إليه كتاباً ، جواباً عن الأمير سيف الدين طُغْزَنمُر^(١) نائب الشام المحروس ، وقد طُلِبَ إلى الباب الشريف تحت الاختِرَاز ، فلما وصل إلى بلبس جاء بالإفراج [ب ٣٢] عنه ، وأن يعود إلى الشام في سنة ٧٤٣ :

بَسَطَ اللهُ ظِلَّ المَقَرِّ الشريف^(٢) الشَّهابي ، وخارَ لَهُ في الظُّلْمِ والإقامة ، وأقدمَهُ على ما يَسُرُّ أوليائَهُ من السَّلامة ، وأطْلَعَ وَجْهَهُ الوَضَّاحَ على مَحَبَّتِهِ ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الظُّلَامَ والظُّلَامَةَ .

المَمْلُوكُ يُقْبَلُ اليَدَ الشَّرِيفَةَ التي تُخْجِلُ العِمَامَةَ ، وَيَخْدُمُ بِدُعَاءِ بَيْنِهِ وَبَيْنَ أَعْلَامِ القَبُولِ عِلَامَةً ، وَيَصِفُ وَدّاً ما سَامَهُ من الإخلاصِ سَامَةً ، وَيَذْكُرُ مَحَبَّةَ ما لَهَا في العِزِّ غَرَامَةً ، وَيُبْثُ ثَنَاءً يَفْعَلُ بالألبابِ ما لا تَفْعَلُهُ المُدَامَةُ .

وَيُنْهِي إلى العِلْمِ الكريمِ وَرُودَ المُشْرِفِ العاليِ ، فَقَابَلَ مِنْهُ مُحِبّاً يَتَلَأُّ نُوراً ، وَحِبّاً حُبوراً ، وَمَلَأَ حِجْرَ سَمْعِهِ لُؤْلُؤاً مَنُوراً ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مَوْلانا يَنْقَلِبُ إلى أَهْلِهِ مَسْروراً ، وَأَنْتَهَى مِنْهُ إلى الإِشَارَةِ العَالِيَةِ من مُسَابَقَتِهِ بالصدقاتِ الشَّرِيفَةِ ، وَتَلَقَّيهِ إلى بَلْبَسٍ بِما اسْتَقَرَّ بِهِ خَاطِرُهُ الكريمِ ، لِيَدْخُلَ مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِناً ، وَيَسْتَشِيرَ لَهُ من السَّعْدِ ما هو في ضَمِيرِ اللُّطْفِ كَامِناً ، وَيَجِدَ بِهِ مَقْعَدَ العُلا مُنْطَافِئاً ، وَحُصُولَ الرِّضَى الشَّرِيفِ عَلَيْهِ ، والإِفراجِ عَنْهُ وَعَمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ .

فَسَرَّ المَمْلُوكُ هذا البِناءَ الكريمِ ، والخَبَرَ الذي آتَرَهُ اللُّطْفُ الإِلَهِيُّ بالتَّقديمِ ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ما أَعَادَهُ إِلَّا لِأَنَّ العَوْدَ أَحْمَدُ من أَحْمَدَ وَأَحْسَنُ ؛ وَلَا رَدَّهُ إلى أُمِّهِ إِلَّا كِي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ .

(١) ترجمته في : الوافي بالوفيات ١٦ / ٤٦٥ .

(٢) في م : المقر الكريم الشهابي .

وَأَمَّا الإِشَارَةُ إلى ما تَضَمَّنَهُ كِتَابُ المَقَرِّ الشريفِ العلاني ، أَخِي مَوْلانا ، مِنْ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا اتَّفَقَ بِمُطالَعَةِ المَمْلُوكِ إلى الأبوابِ الشَّرِيفَةِ ، وَقيامِ المَقَرِّ الكريمِ السَّيْفِيِّ الدَّوَادارِ ؛ فَقَدْ عَلِمَ المَمْلُوكُ ذَلِكَ ، وَقابَلَهُ بِشُكْرِ تِلَا سُوْرَةِ حَمْدِهِ ، وَسَلَكَ فِيهِ طَرِيقاً أَتَعَبَ مَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَمَا يَقُولُ المَمْلُوكُ إِلَّا أَنَّ الشُّكْرَ لِلرِّيحِ لَا لِلسَّحابِ ، وَلِمَنْ أَدَّى الرِّسالةَ لَا لِمَنْ خَطَّ الكِتَابَ ، وَلِمَنْ تَلَطَّفَ لِلإِسْتِعْطافِ لَمَّا أَنَّ أَغْلَظَ العِتَابِ ؛ وَاللهُ يُدِيمُ مَوْلانا السُّلْطانَ وَيُخَلِّدُ مُلْكَهُ ، وَيَجْعَلُ المَمالِكَ دُرّاً لَا تُودَعُ إِلَّا سِلْكُهُ ، وَيُقِيضُ مَلابِسَ إِحْسانِهِ على مَنْ أَمَّ حَرَمَهُ ، وَيَجْبُرُ بِعُظْمِهِ مَنْ كَسَرَهُ الزَّمَانُ وَحَرَمَهُ .

وَإِذْ أَخَذَ مَوْلانا حَظَّهُ من رُؤْيَةِ أَخِيهِ ، وَتَبَيَّنَتْ بِرُؤْيَتِهِ قَواعِدُ سَعْدِهِ وَتَمَكَّنَتْ أَواعِيهِ ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ يَعُودَ إلى وَطَنِهِ لِنَجْدِ الخِدْمَةِ بِعَهْدِهِ ، وَنَهْنَتِهِ شِفاهاً بِتَمَامِ فَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ وَكَمالِ سَعْدِهِ .

فَإِنَّ مَوْلانا صَاحِبَ قَدِيمٍ وَأَخَّ كَرِيمٍ ، وَكُلُّنا نَشْءُ ذَلِكَ الرُّوضِ النَّاصِرِيِّ النَّاصِرِ ، وَكواكِبُ ذَلِكَ الأفقِ الذي ما طَلَعَ فِيهِ إِلَّا بَدْرٌ نَبِيٌّ أَوْ شَهَابٌ زَاهِرٌ .

فَلْيَعُدْ قَرِيباً لِيُقَرَّرَ طَرَفَ وَطَنِ الدَّامِعِ الدَّامِي ، وَيُقَارَنَ بَدْرُهُ السَّامِي الشَّامِي ؛ فَمَا ضَلَّ مَنْ سارَ بَيْنَ بَدْرَيْنِ ، وَلَا ظَمِيَ مَنْ تَرَدَّدَ بَيْنَ بَحْرَيْنِ ، وَمَا أَحْسَنَهُ مُبْتَدَأُ رَفَعَ الحَبْرَيْنِ .

فَإِنَّ مَوْلانا أَيْنَما حَلَّ حَلًى ، وَكُلَّما جَلَّ جَلًى ، وَعَوَاطِفُ هَذِهِ الأَيَّامِ تَضَمَّنُ لَهُ الحُسْنَى ، وَتُضَمِّرُ لَهُ المَوْرَدَ الأَهْنَى .

وَأَمَّا إِشَارَتُهُ العَالِيَةِ في الفَضْلِ الثَّانِي ، فِي فَكِّ الحَتَمِ عَنْ دارِهِ بِحُضُورِ مَنْ وَضَعَ حَتَمَهُ عَلَيْهَا ، فَقَدْ عَلِمَ ، وَذَلِكَ أَمْرٌ مِمَّا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ العَوَاطِفَ الشَّرِيفَةَ شَمَلَتْ مَوْلانا ، والحاسِدُ حاصِدُ الخُسْرانِ ، [١٣٣] والواشي غاشي

الجزمان ؛ والمملوك مترقبٌ طلوع شهابه النير في أفق الشام المحروس قريباً ،
ومتطلعٌ إلى أن لا يرى له في فلك السعود مغيباً ؛ فيحيط علمه الكريم بذلك ،
والله يُقدر له الخير في ما هنا أو هنالك ، بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى .

● وكتب هو إلي من بلبيس :

يُقبل كذا ، لا شان صفوها كدر ، ولا شاب ودها تغير الغير ، ولا شاد الله
معلم مجدلٍ إلا ولها على صدره الورود وليسواها الصدر ، ولا شاء بخير إلا ولها
منه نصيب معجلٍ أو منتظر ، ولا شال بضيع ماجدٍ إلا ليحلها حيث الشمس
والقمر ، ولا شاع حديث وفاء إلا بما يحدث منها خليل الصفاء ويقول : كانت
فلنة عمر .

وتهي أنه كتبها من بلبيس ، قد عاجله بحمد الله الفرج قبل قدومه على
قلعة الجبل ومعاينة أهوالها ، وقبل حلوله بمصر وتوقع زلزالها ، وقبل
مقابله^(١) القاهرة ورؤية أطلالها ، وقيل : « أدخلوا مصر إن شاء الله آمين »
[يوسف : ٩٩] وعودوا إلى دمشق بمشيئة الله سالمين ، وكفاه الله خطرات تلك
الوساوس ، وخطرات تلك الهواجس ، وخطوات تلك البقعة ورؤية أولئك
الآبالس ؛ والموقف المخشّي هو له ، والسائل الثقيل قوله ، « والعز في البدو
ليس العز في الحضر » ، وحسب المزم من المساءة النظر .

فالحمد لله الذي تدارك بلطفه ، وغل يد المبتل وسيسقط رأسه على كفه ؛
وأنعمت الصدقات الشريفة السلطانية الملكية الصالحيّة بالإطلاق ، وفك الختم
وحل الوثاق ، وجاءت مراحمه عقيب ذلك السّم أسرع تخلصاً من الدّزياق ،
وجاءت البشري بما من الله به بصدقات سلطاننا الملك الصالح لا يسبب من

(١) في س : مقاربة .

الأسباب ، ولا بالسعي إلى أحد ، ولا بالوقوف لأحد على باب ، ولا بإبداء
عذر يقول ولا يكتب ، بل جاء هذا من عند الله بمنته لا يمنة مخلوق ، ولا
بسعي سابق ولا مسبوق ، حتى أذكره كلمة عائشة رضي الله عنها نوبة
الإفك^(١) ، وأذكرته هذه القضية تلك القضية ، وتمت الأمور بحمد الله على
أكمل الوجوه المرضيّة .

اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك
لك ، اعتقاداً هو الذي لم نزل نزج إليه ، وننجع ولا نخرج إلا عليه ، ونهجع
ثم ننهب بتدكيره ، ونفجع ثم نسر بمقاديره ، ولم يبق بإذن الله إلا أن يصرف إليه
وجه الشرى ، ويصدف في طلب الشرعة المقدوم عليه عائق الكرى ، ويسعف
اللقاء به وبالأوطان ، ويُنصف الزمّ الجائر بلطف الله وعدل السلطان ،
ويُحجف القدر بجمع السمل ، ويعلم أنها كانت نزعاً من نزغات الشيطان ؛
ومولانا يعذر في التقصير ، فما هو وقت الإطالة ، وهذا كثير على الزاكر
المجد في ما يُقدّم له من العجالة .

● فكتب أنا الجواب إليه عن ذلك : [من السريع]

وَنِعْمَ جَاءَتْ كَمَا نَشْتَهِي مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَرْشِ مَسْرَاهَا
[٣٣ ب] أَتَتْ وَقَدْ جَرَتْ ذِيُولَ الْهَنَا بِأَيِّ شُكْرِ نَتَلَقَّاهَا
رَوَتْ فَرَوَتْ أَنْفُسًا تَلْتَظِي مِنْ حَذَرٍ قَدْ كَانَ عَنَّاها
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنَّهَا نَحْمَدُ أَوْلَاهَا وَأُخْرَاهَا
فَاللُّطْفُ فِي مَبْدِئِهَا كَامِنٌ وَالسَّعْدُ فِي مَضْمُونِ عُقْبَاهَا
فَقُلْ لِمَنْ قَدْ وَلَعَتْ بِالْمُنَى مُهَجَّتُهُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ

(١) قالت - رضي الله عنها - : بحمد الله لا بحمدك . وثمة روايات أخر بهذا المعنى . (حديث الإفك ،
للمقدسي) .

إِنَّكَ إِنْ أَبْصَرْتَهَا مَرَّةً أَكْبَرْتَهَا أَنْ تَتَمَّاهَا
يُقْبَلُ الْأَرَضَ أَوَّلًا عَلَى هَذِهِ النُّعْمَةِ شُكْرًا ، وَثَانِيًا عَلَى عَادَةِ خِدْمِهِ
مُسْتَمِرًّا ، وَثَالِثًا وَرَابِعًا وَخَامِسًا وَهَلُمَّ جَرًّا ، حَتَّى يَسْتَعْرِقَ الْوَاوُ الْعَطْفُ وَيَتَقَدَّ
فِي السَّجْعِ حَرْفُ الرَّا .

وَيُنْهِي وُودَ الْمِثَالِ الْكَرِيمِ ، الَّذِي كَانَ أَمَانًا مِنَ الْحَذَرِ ، وَمُخْلَصًا لِقَلْبِ
الْمُحِبِّ الَّذِي افْتَتَحَ الْحُزْنَ وَاخْتَتَمَهُ وَمَا شَعَرَ ، وَبِرَاءَةً مِنَ الْخُطْبِ الَّذِي لَوْ
عَالَجَهُ اللَّيْلُ لَانْصَدَعَ أَوْ الصُّبْحُ لَانْفَجَرَ ، وَفَكَّا لِأَنْفُسِ الْأَوْلِيَاءِ مِنَ الْجَزَعِ الَّذِي
لَوْ حُلَّ بِالْجِبَالِ حَجَرَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْحَجَرِ ، وَشَدَّوْا لِأَضْوَاتِ الْبَلَاغَةِ الَّتِي مَنْ
لَمْ يَطْرُبْ لَهَا قُلْنَا لَهُ مَا قَالَتْهُ السُّنُوءُ مِنْ قُرَيْشٍ ^(١) : أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفْظُ يَا عُمَرُ :
[من الطويل]

أَلَيْسَ لِأَخْبَارِ الْأَجْبَةِ فَرْحَةٌ وَلَا فَرْحَةُ الْعَطْشَانِ فَاجَاءَهُ الْقَطْرُ
فَقَبَّلَ الْمَمْلُوكُ شَفَتَيْ عُنَانِهِ ، وَتَخَيَّلَ لَعَسَ مِدَادِهِمَا إِثْمِدًا فَكَحَلَ بِهِ رَمَدَ
أَخْفَانِهِ ، وَكَرَّرَ السُّجُودَ حَتَّى قِيلَ : هَذَا هُذُودٌ بَيْنَ يَدَيِ سُلَيْمَانَ زَمَانِهِ ^(٢) ؛
وَقَضَّهِ فَلَمَّا لَمَحَ تَاجَ اسْمِهِ ، قَامَ لَهُ وَلَبَسَهُ لُثْمًا ، وَعَلِمَ أَنَّ الْبَرَكَاتِ تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِ
لَمَّا سَمِعَى ، وَأَحَبَّ جَمْعَ مَا فِيهِ مِنْ مَالِ الْبَلَاغَةِ حُبًّا جَمًّا ، وَأَكَلَ ثَرَاتِ أَشْوَاقِهِ
الْمُخْلَفَةِ مِنْ حُرُوفِهِ أَكْلًا لَمًّا ، وَذَكَرَ مِنْ حَدِيثِهِ الْيَانِعَةِ مَا أَنْسَاهُ نَخْلَتِي حُلُوانَ ^(٣)

(١) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ٩٦/٤ و ٩٣/٧ ومسلم (٢٣٩٦) وأحمد في مسنده
١٧١/١ و ١٨٢ .

(٢) يضرب المثل بسجود الهدهد ، فيقال : أَسَجَدُ مِنْ هَدَهْد . (مجمع الأمثال ٣٥٦/١ وثمار القلوب
٧٠٧/٢) .

(٣) نخلتنا حلوان : كانتا بعقبة حلوان [= حلوان العراق] من غرس الأكاسرة ، فضُربَ بهما المثل في
طول الضحبة وقدم المجاورة . (الميداني ٤٣٨/١ وثمار القلوب ٨٤٢/٢ وفي حاشيته مزيد
تخريج) .

وَمَحَلَّتَنِي سَلْمَى : [من البسيط]

وَرُخْتُ أَسْقِيهِ مِنْ دَمْعِي وَأَلْتُمُهُ وَكَادَ يَذْهَبُ بَيْنَ الدَّمْعِ وَالْقُبْلِ
ثُمَّ تَأَمَّلَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ جَنَاتٍ تَزْخَرُفَتْ ، وَبُرُوقٍ مَعَانٍ تَأَلَّقَتْ ،
وَسَحَائِبٍ سَطُورٍ تَأَلَّقَتْ ، وَنَزَعَاتٍ ^(١) فَاضِلِيَّةٍ اقْتَدَرَتْ عَلَى الْكَلَامِ فَتَصَرَّفَتْ ؛
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، بَلْ فِي كَلَامِ الْفَاضِلِ جُزْئِيَّاتٌ تُشَبِّهُ هَذِهِ الْكُلِّيَّاتِ ، وَمَعَابِرُ كَانَ
يَغْرُصُ فِكْرُهُ فِي لُجَّةِ بَيَانِهَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ اللَّوْلُؤِيَّاتِ ، وَزَهْرَاتٍ كَانَ
يَقْتَطِفُهَا مِنْ هَذِهِ الرِّيَاضِ ، وَقَطَرَاتٍ كَانَ يَرْتَشِفُهَا فَمُ قَلْبِهِ مِنْ هَذِهِ الْحِيَاضِ ،
فَلَقَدْ أَتَى وَادِي مَوْلَانَا فَطَمَّ عَلَى قَرِينِهِ ، وَجَاءَتْ جِيَادُهُ وَغُبَارُ سَبْقِهَا يُنْفَضُ مِنْ
هَوَادِي مَطِيَّةٍ : [من الطويل]

وَمَا زَالَ يُنْبِي النَّاسَ فَضْلُ كَلَامِهِ بِأَنَّ كَلَامَ الْعَالَمِينَ فُضُولُ
فَاتَّخَذَهَا مَقَامًا ، وَحَنَا عَلَى جَوَاهِرِهَا لِأَنَّهَا يَنَامِي ، وَتَحَقَّقَ بَرَكَتُهَا فَإِنَّ نَارَ
الْخَلِيلِ رَجَعَتْ بِهَا بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَرَشَفَ مِنْ أَلْفَاظِهَا مُدَامًا يُسَمِّيهِ النَّاسُ
كَلَامًا ، وَخَلَبَ لُبُّهُ سِخْرُهَا الْحَلَالَ ، وَكَانَ يَنْظُرُ السَّخَرَ حَرَامًا ، وَفَهُمُ مِنْهَا
مَا وَقَرَ فِي قَلْبِهِ فَسَبَقَ النَّاسَ إِلَى الْبُشْرَى ، وَصَحَا قَلْبُهُ وَصَحَّ لَمَّا تَفَرَّقَ غَمَامُ غَمِّهِ
وَتَفَرَّقَى ، وَوَدَّ لَوْ شَهِدَ بَطْنَ خَبْتٍ وَقَدْ لَاقَى الْهَزِيرُ أَخَاهُ بِشْرًا ^(٢) ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ

= ومحللتنا سلمى : عبارة وردت في شعر جرير : [معجم البلدان ٢٥٢/٥]
أمنزلتي سلمى بناظرة اسلما وما راجع العرفان إلا توهمها
وفي ديوانه ٩٧٩/٢ : أمنزلتي هند . . .

وفي شعر البحتري : [ديوانه ١٩٥٤/٣]
أمحلتني سلمى بكأظمة اسلما وتعلما أن الجوى ما هجتمما
(١) في م : وبراعات فاضليَّة .

(٢) من قول بشر بن عوانة : [مقامات البديع ٢٥٠] ومتنهي الطلب ٢٥٦/٨ وحياة الحيوان «الهزير»
أفاطم لو شهدت بطن خبت وقد لاقى الهزير أخاك بشرا

تعالى أرادَ لِمَوْلانا أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ عَزِيزاً ، وَيَجْعَلَ طِينَهَا الْإِبْلِيزَ مِثْلَ كَلَامِهِ
إِبْرِيّاً ، وَأَنْ لَا يَرَى فِيهَا مَا يُرَوِّعُ رُوعَهُ ، وَأَنْ لَا يَرَى نَجْمَ اسْتِقَامَتِهِ يُخَالِفُ
رُجُوعَهُ ، فَحَفِظْهُ بِمُعَقَّبَاتٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَلَمْ يُخَوِّجْهُ إِلَى غَيْرِ
مَا يَعْهَدُهُ مِنْ خَفِيِّ لُطْفِهِ^(١) : [من الخفيف]

رُبَّ أَمْرِ أَتَاكَ لَمْ تَحْمَدِ الْفُجْوَ عَالَ فِيهِ وَتَحَمَدُ الْأَفْعَالَ
فَاللَّهُ يُوزِعُنَا - مَعَاشِرَ [١٣٤] الْأَوْلِيَاءِ - شُكْرَ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي تَحْتَلِنَا وَقُوعَهَا ،
وَتَحْتَلِنَا بِصِخَةِ الْيَقِينِ عَلَى عَوْدِهَا فَنَلْنَا رُجُوعَهَا ، وَمَا لَنَا إِلَّا الدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ بِأَنْ
نَرَى بَذَرَ وَجْهِهِ وَقَدْ طَلَعَ مِنْ ثِيَابِ الْوَدَاعِ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ يَحُثُّ سَعُودَهُ وَانْقَطَعَ
الْخَضَمُ وَبَطَلَ النِّزَاعُ : [من البسيط]

مَنْ كَانَ ذَا أَمَلٍ فِي الذَّهْرِ يَقْصِدُهُ فَلِنَّمَا أَمَلِي فِي أَنْ تَرَى أَمَلَكَ
وَمَا أَمْرٌ بِلَيْسَ مِمَّا يُلْتَبَسُ ، وَلَا تَحْيِيسُ عَادَةِ السَّعَادَةِ مِمَّا يُحْتَبَسُ ، وَمَا
يَبْقَى إِلَّا عَوْدُ رِكَابِهِ إِلَى وَطَنِهِ ، وَرُجُوعُ دُرِّهِ إِلَى لُجَّةِ ، وَذَهَبِهِ إِلَى مَعْدِنِهِ ، لِنَأْمَنَ
تَوَثُّبَ الْبَاغِي وَنَزَوَاتِهِ ، وَنَغْنَمَ الصَّفَاءِ مِنْ وَدِّ يَحْمِيهِ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَنَزَغَاتِهِ :
[من الطويل]

وَكَمْ لِظُلَامِ اللَّيْلِ عِنْدِي مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ^(٢)
وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ بَسْطَ الْعُذْرِ عَنْ جُزْأَتِهِ فِي هَذَا الْجَوَابِ ، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّيْثَ
الْأَغْلَبَ مِنَ وَقَاحَةِ الذَّنَابِ ، لَا بَلَّ لِحَاجَةِ الذُّبَابِ ، فَأَيْنَ عُجَالَةُ ذَلِكَ الرَّايِبِ
مِنْ مُهْلَةِ هَذَا الْمُطْمِئِنِّ ؛ وَأَيْنَ ذَلِكَ الرُّوحِ الطَّاهِرِ مِنْ هَذَا الْجَسَدِ الْمُسْتَحْجِجِ ؟
وَأَيْنَ مَنْ اِزْتَجَلَ مِمَّنْ تَرَوَّى ؟ وَأَيْنَ قَلْبَ الْأَسَدِ مِنَ الْعَوَا^(٣) ؟ : [من الخفيف]

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ١٣٨/٣ .

(٢) في س : . . . عندك من يد . والبيت للمتنبي ، في ديوانه ١٧٨/١ . وفي هامش م : خ : عندك .

(٣) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ٤٥٦/١ .

قَدْ أَجَبْنَا قَوْلَ الشَّرِيفِ بِقَوْلٍ فَأَثَبْنَا الْخَصِيَّ عَنْ الْمَرْجَانِ
● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي سَنَةِ ٧٢٧ وَهُوَ بِالشَّامِ
الْمَحْرُوسِ ، جَوَاباً عَنْ كِتَابٍ وَرَدَ مِنْهُ ، وَأَهْتَتُهُ بِوَلَايَةِ وَالِدِهِ الْقَاضِي مُحْيِي
الدِّينِ كِتَابَةَ السَّرِّ الشَّرِيفِ : [من الطويل]

أَيَا سَيِّدَا حَارَ الْعُلَا وَحَوَاهَا وَجَارَ نَهَايَاتِ التُّهَى وَمَدَاهَا
وَعَبَّرَ فِي وَجْهِ الْأَوَائِلِ سَبْقُهُ فَفَاتَ مَدَى غَايَاتِهَا وَشَاهَا
وَجَاءَتْهُ أَشْرَابُ النُّجُومِ حَوَاسِرَا بِكَفِّ الثَّرَيَّا تَسْتَعِيرُ حُلَاهَا
فَأَبْهَجَهَا حَتَّى أَضَاءَتْ بِجَوَّهَا وَأَلْهَفَهَا إِشْرَاقَهَا وَسَنَاهَا
أَتَانِي مِثَالُ مِنْكَ مِثْلُ خَرِيدَةٍ تَضَوَّعَ فِي ضُبْحِ الْوَصَالِ شَذَاهَا^(١)
وَأَلْطَفَ مِنْ نَفْسٍ بَرَاهَا الْهَوَى وَقَدْ غَدَتْ تَشَكَّى لِلْحَبِيبِ عَنَاهَا
وَأَلْعَبَ بِالْأَلْبَابِ مِنْ بِنْتِ كَرَمَةٍ يَحُثُّكَ مَحْبُوبٌ لِحَسْرِ طَلَاهَا
تُطِيلُ إِلَيْهِ الزَّاهِرَاتُ تَأْمُلَا وَتَعَجَّبُ مِنْ أَلْفَاظِهِ وَبِنَاهَا^(٢)
فَوَاسَفَا إِذْ لَمْ أَحُلَّ بِجِلْقِي وَأَقْضِرْ بَقَايَا مُدَّتِي بِحِمَاهَا
أَشَاهِدُهَا فِي دَوْلَةِ مُخَيَّوِيَةٍ سَقَاهَا الْحَيَا وَسَمِيَهُ وَرَعَاهَا
لَيْسَ كَانَتْ الْأَدَابُ أُخْمِلَ قَدْرُهَا فَقَدْ عَادَ مَنْ كَانَتْ بِهِ تَبَاهِي
وَأِنْ كَانَ قَدْ مَآ قَدِ عَرَاهَا كَسَادُهَا فَهَا هِيَ قَدْ شَدَّ الزَّمَانُ عُرَاهَا
وَيُعْمِلُ فِي دَاجِي الْمُهْمَّاتِ فِكْرَهُ فَيُطْلِعُ فِيهَا شَمْسَهَا وَضَحَاهَا
أَنَامَ بِهَا عَيْنَ الْأَنَامِ فَرَدَّهَا مُوسِنَةً مِنْ بَعْدِ فَقْدِ كَرَاهَا^(٣)
إِذَا رَأَيْتُهُ أَغْنَاكَ عَنْ نَشْرِ رَايَةٍ لِأَيَّةِ حَالٍ تَسْتَطِيلُ قَنَاهَا

(١) في م : . . . شبه خريدة .

(٢) في م : . . . وبناها .

(٣) في م : . . . عين الزمان . . . مؤنسة . . .

فِيَا فَزَرَ عَصْرٍ أَنْتُمْ دُخِرَ أَهْلِهِ وَبُشِرِي لِيَالِنَا بِكُمْ وَهَنَاهَا
يُقْبَلُ الْأَرْضَ لَا زَالَتْ مَزَكراً لِدَائِرَةِ التَّهَانِي ، وَقُطْباً لِفَلَكَ تَرْدُ الْمَسَرَّةِ فِي
مَجَرَّتِهِ عَلَى الدَّفَاقِ وَالْثَوَانِي ، وَمَعْقِلاً يَغْتَصِمُ بِهِ وَسَائِلُ الْأَمَالِ وَعَقَائِلُ
الْأَمَانِي ، وَحَرَمًا تُحْتَضُّ إِلَيْهِ نَجَائِبُ الْبَشَائِرِ فَلَا يَكُونُ لَهُ عَنْهَا تَوَارِي وَلَا لَهَا عَنْهُ
تَوَانِي : [من الوافر]

إِلَى أَنْ يَجْتَنِيَّ مِنْهَا قُطُوفُ الْمَسَرَّةِ وَهِيَ طَيِّبَةُ الْمَجَانِي
وَيُبْدِعُ فِي غَلَاهَا كُلَّ مَعْنَى فَتَنْظَرُ بِالْمَعَالِي وَالْمَعَانِي
تَقْبِيلَ مَنْ أُجِيبَتْ دَعَوَاتُهُ ، وَشُغِلَتْ بِذَلِكَ لَهَوَاتُهُ ، وَمُلِثَتْ بِمَا يُمْلِيهِ مِنْهَا
خَلَوَاتُهُ ، وَيَسْتَمِرُّ عَلَى وَلَائِهِ الَّذِي لَمْ يَخْتَجْ - إِذْ يُخْتَجُّ بِهِ - [ب ٣٤] إِلَى دَلِيلٍ ،
وَلَمْ يَجِدْ - إِذْ يَجِدُ - فِي سُلُوكِهِ مَشَقَّةَ سَبِيلٍ ، وَيَصِفُ مَا يَجِدُهُ مِنْ شَوْقٍ شَقَّتْ لَهُ
بِالْجَوَى جَوَانِحُهُ ، وَمَلَأَتْ الْفُؤَادَ قَوَادِحُهُ ، وَأَذَابَتْ الْقُوَى قَوَادِحُهُ .

وَيُنْهِي مَا عِنْدَهُ مِنْ هَذَا الْهَنَاءِ الَّذِي عَمَّتِ الْوُجُودَ بِشَائِرُهُ ، وَحَقَّقَ اللَّهُ بِهِ ظَنَّ
كُلِّ مُؤْمِلٍ فَمَا خَانَتْ ضَمَائِرُهُ ، وَوَجَدَتْ الْقُلُوبَ لِأَخْبَارِهِ مَا يَجِدُهُ الْمَشُوقُ إِذَا
تَرَنَّمَ فَوْقَ الْأَيْكِ طَائِرُهُ ، فَلَا أَنْ أَعْطَى اللَّهُ الْقَوْسَ بَارِيهَا ، وَأَنْزَلَ الدَّارَ بِالطَّالِعِ
السَّعِيدِ بَانِيهَا ، وَتَقَلَّدَتْ الْمَمَالِكُ عُقُودَ الْجَوَاهِرِ مِنْ بَحْرِ مُنْشِيهَا ، فَيَا لَهُ يَوْمًا
حَلَّى بِهِ الدَّهْرُ جِيدَهُ مِنْ عَطْلِهِ ، وَظَفَرَ الْمُلُوكُ بِالرَّأْيِ الْبَرِيِّ مِنْ خَطَائِهِ وَخَطْلِهِ ،
وَعَلِمَ أَنَّ الْبَدْرَ فِي الْوَهْنِ كَمَا هُوَ فِي سَحَرِهِ ، وَأَنَّ الشَّمْسَ فِي رَأْدِ نَهَارِهَا كَمَا
هِيَ فِي طَفْلِهِ ؛ وَلَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّ السَّيْفَ قَدْ عَادَ إِلَى قِرَائِهِ ، وَالْمَالَ خَرَجَتْ مِنْهُ
زَكَاتُهُ وَعَادَ إِلَى نِصَابِهِ ، وَالْأَسَدَ أَبَ بَعْدَمَا غَابَ إِلَى غَايِهِ ، وَالذَّرَّ تَرَقَّى إِلَى
النَّاجِ بَعْدَ أَنْ تَحَدَّرَ مِنْ سَحَابِهِ ، وَالْهَيْلَالَ تَنَقَّلَ فِي مَنَازِلِ السُّعُودِ حَتَّى طَلَعَ بِدْرًا
فِي ازْتِقَائِهِ ؛ فَاللَّهُ يُنْتِجُ الْأَيَّامَ وَالْأَنَامَ بِهِذِهِ النُّعْمَةِ الْكُبْرَى ، وَالْمَسَرَّةِ الَّتِي
أَضَحَّتْ بَعْدَ فِتْرَةٍ وَرُسُلُهَا تَتَرَى ، وَيُوزَعُ الْأَوْلِيَاءُ شُكْرُ هَذِهِ الْمَائَةِ الْجَمَّةِ وَالْيَدِ

الطُّولَى ، وَيُعَرِّفُهُمْ قَدَرُ هَذِهِ الْكَرَّةِ ، فَإِنَّ الْأُخْرَى خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ الْأُولَى ؛ بِمَنِّهِ
وَكَرَمِهِ .

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابُ : [من الطويل]

رَدَدْتَ عَلَيَّ عَيْنِي لَذِيذَ كَرَاهَا فَعَاوَدَهَا طَيْفُ أَطَالِ نَوَاهَا
سَرَى فِي الدُّجَى حَتَّى تَجَلَّتْ نُجُومُهُ فَوَاقِعَ تَطْفُو فَوْقَ بَحْرِ دُجَاهَا
وَهَبْتَ لِمَسْرَاهُ نَوَافِجَ رَوْضَةٍ تَجُرُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ ذَيْلَ صَبَاهَا
أَيَادِي لَوْ أَخْفَيْتُ حُسْنَ صَنِيعِهَا لَنَمَّ عَلَيْهَا ضَوْؤُهَا وَشَذَاهَا
فَكَمْ مُرْنَةً أَخْجَلْتَ وَجْهَ سَحَابِهَا بِجُودِكَ حَتَّى غَاضَ مَاءَ حَيَاهَا
وَقَرَّخْتَ بِالسَّبْقِ الْمُبَرِّزِ قَلْبَهَا فَضَمَّتْ عَلَى نَارِ الْبُرُوقِ حَشَاهَا
يُقْبَلُ كَذَا ، مَتَعَ اللَّهُ بَيَانَ قَلَمِهَا الْمُوَازِرَ ، وَحَكَمَهَا الَّتِي تَزُمُّهَا النُّجُومُ
بِطَرْفِ مُتَخَازِرٍ ، وَكَلِمِهَا الَّتِي تَبِيْتُ الْقَرَائِحُ دُونَ أَبْكَارِهَا مَشْدُودَةَ الْمَازِرِ .

وَيُنْهِي وَرُودَ مُشْرِفِهِ بِلِ مُشْنَفِهِ ، فَأُطْنَبَ فِي نِعَمِهِ ، وَأُطْرَبَ بِنِعَمِهِ ،
وَأُطْرَفَ بِمَا تَحَلَّى مِنْ صِيَاغَةِ قَلَمِهِ ، فَاجْتَنَى الْمَعَانِي مِنْ ثَمَرَاتِ غَرْسِهِ ،
وَاجْتَلَى مِنْهُ نَيْلَ مِصْرَ فِي غَرْسِهِ ، وَالتَّفَحَّ بِهْ ذَهْنُهُ فَأَحْسَنَ التَّوْلِيدَ ، وَالتَّمَحَّ مِنْهُ
عَجَائِبُ بَيَانِ شَيْبَتِ الْوَلِيدِ ، وَانْتَهَى إِلَى عَهْدِهِ الَّتِي اهْتَرَبَهَا لِذِكْرِ الْفِيهِ ، وَاعْتَرَّ
بِهَا ثُمَّ بَرَّ بِالْإِنْعَافِ إِلَى عَطْفِهِ ، وَحَمِدَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ مِنْ رَقَدَتِهَا ، وَحَلَّ
هَذِهِ الْهَيْئَةِ مِنْ عُقْدَتِهَا ، وَاسْتَبْتِ أَنَّ صَحِيفَتَهُ مَخْمُورَةٌ بِلُطْفِهِ فَوْقَ مَا حَدَا مِنْ
الْقَبْلِ ، مَسْحُورَةٌ بِبَيَانِهِ فَلَمَّا تَمَثَّلَهَا ذَرَّتْ عَلَى أَغْطَافِهِ فِتْرَةَ الْكَسَلِ ، فَقَعَدَ
لَا يُجَارِيهَا وَلَا يُبَارِيهَا ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْهَا وَشَكَرَهَا بِمَعَانِيهَا .

● وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ قَرِينِ أَغْنَامٍ لِلضَّحَايَا^(١) : [من الطويل]

(١) البيتان في الوافي وتعريف ذوي العلا وأعيان العصر ٤٢٣/١ .

أَيَا سَيِّدَا أَرْجُو دَوَامَ ظِلَالِهِ عَلَيْنَا وَأَنْ يُمْسِي بِخَيْرٍ كَمَا يُضْحِي وَحَقِّكَ مَا هَذِي ضَحَايَا بَعَثْتَهَا وَلَكِنِّي سَقْتُ الْأَعَادِي إِلَى الذَّبْحِ

● فَكُتِبَ إِلَيَّ الْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ ^(١) : [من الطويل]

أَتَنْتِي ضَحَايَاكَ الَّتِي قَدْ بَعَثْتَهَا لِتُصْبِحَ كَالْأَعْدَاءِ فِي بُكْرَةِ الْأَضْحَى [١٣٥] وَحَقِّكَ أَغْدَانَا كِلَابٌ جَمِيعُهُمْ وَحَاشَاكَ لَا تَعْزِي الْكِلاَبُ لِمَنْ ضَحَّى

● وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِحِمَاةٍ ، وَنَحْنُ بِشَاطِئِ الْعَاصِي ^(٢) : [من البسيط]

لَقَدْ نَزَلْنَا عَلَى الْعَاصِي بِمَنْزِلَةٍ زَانَتْ مَحَاسِنَ شَطِئِهِ حَدَائِقُهَا تَبْكِي نَوَاعِيزُهُ الْعَبْرَى بِأَذْمُعِهَا لِكُونِهِ بَعْدَ لُقْيَاهُ يُفَارِقُهَا

● فَأَنْشَدَنِي أَنَا أَيْضاً لِنَفْسِي ^(٢) : [من الطويل]

وَنَاعُورَةٍ فِي جَانِبِ النَّهْرِ قَدْ غَدَتْ تُعَبِّرُ عَنْ شَوْقِ الشَّجِي وَتُعْرِبُ تُرَقِّصُ عَطْفَ الْغُضَنِ نَيْهَاً لِأَنَّهَا تُغْنِي لَهُ طُولَ الزَّمَانِ وَيَشْرَبُ

● وَأَنْشَدَنِي هُوَ أَيْضاً لِنَفْسِهِ ^(٣) : [من الكامل]

إِنَّا نُقِيمُ عَلَى حِمَاةٍ حُجَّةً فِي حُسْنِهَا وَلَهَا جَمَالٌ يَبْهَتُ وَمِنَ النَّوَاعِيرِ الْفَصَاحِ خُصُومُنَا وَلَهَا لِسَانٌ نَاطِقٌ لَا يَسْكُتُ

● فَأَنْشَدَنِي أَنَا أَيْضاً لِنَفْسِي ^(٣) : [من السريع]

نَاعُورَةٌ أَنْتَ وَحَثْتُ فَقَدْ شَوَّقْتَ الدَّانِي وَالْقَاصِي قَدْ نَبَّهْتَنِي لِلْهُدَى وَالتَّقَى لَمَّا غَدَتْ تَبْكِي عَلَى الْعَاصِي

● وَأَنْشَدَنِي أَيْضاً لِنَفْسِي ، وَقَدْ طَالَ عَلَيْنَا الْمَرْكَزُ مِنْ شَمْسَيْنِ ^(١) إِلَى حِمَصٍ ^(٢) : [من السريع]

مُخْبَوْبُ قَلْبِي مِثْلُ بَذْرِ السَّمَاءِ أَذْنِيهِ عُمْرِي وَهُوَ لِي يُفْصِي بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّبْرِ فِي حُبِّهِ مَا بَيْنَ شَمْسَيْنِ إِلَى حِمَصٍ

● فَأَنْشَدَنِي هُوَ أَيْضاً لِنَفْسِهِ ^(٢) : [من الرجز]

لَقَدْ تَمَادَيْتَ مَدَى يَا رَسْتَنُ كَأَنَّمَا قُرْبُكَ مَا لَا يُمَكِّنُ ^(٣) لَمَّا جَعَلْنَاكَ ضَمِيرَ قَصْدِنَا غَدَوْتَ مِمَّا لَا تَرَاكَ الْأَعْيُنُ

● وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ ، أَنْقَاضُهُ مَا وَعَدَنِي بِهِ ، مِنْ قَلْعِ شَجَرَةٍ لِيَمُونٍ مُخْتَمٍ وَتَجْهِيزِهَا إِلَيَّ ؛ وَالتَّرَمْتُ الْيَاءَ قَبْلَ النَّوْنِ ^(٤) : [من مixel البسيط]

يَا سَيِّدَا فِيهِ لِي وَلَاءٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْوَرَى تَبَيَّنَ لِلَّهِ لِيَمُونَةٌ أَرَاهَا لِي مُوْنَةٌ غَضْبُهَا تَزَيَّنُ كَأَعْيُنِ الْحَاسِدِينَ بَغْيَا لِأَجْلِ ذَا قَلْعُهَا تَعَيَّنُ

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابُ ، وَالتَّرَمْتُ نُونًا قَبْلَ النَّوْنِ ^(٤) : [من مixel البسيط]

يَا فَاضِلًا مَا لَهُ عَدِيلٌ لِأَنَّهُ فِي الْوَرَى تَفَقَّنَ ^(٥) وَكُلُّ شَيْءٍ عَانَاهُ فِينَا عَلَى طَرِيقِ الْهُدَى تَفَقَّنَ أَمْرُكَ حُكْمٌ فِي كُلِّ عَقْلٍ مَا عَاقَ إِلَّا مَنْ قَدْ تَجَنَّنَ

(١) شمسين : قرية تقع إلى الجنوب من مدينة حمص ، على طريق دمشق ؛ لا تزال معروفة بهذا الاسم .

(٢) البيتان في أعيان العصر .

(٣) الرستن : بلدة بين حمص وحماة .

(٤) الأبيات في أعيان العصر .

(٥) في س : × . . في الوري تَعَيَّنَ .

(١) البيتان في الوافي وتعريف ذوي العلا وأعيان العصر ١/٤٢٣ .

(٢) البيتان في النجوم الزاهرة والمنهل الصافي وأعيان العصر .

(٣) البيتان في أعيان العصر .

١٧ * أحمد بن يوسف بن هلال بن أبي البركات ^(١) :

الحكيم الفاضل ، شهاب الدين ، الطبيب الصفي .

أحد أطباء السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور فلاوون ،
بالقاهرة المحروسة .

● وقف بالقاهرة على شيء كتبه من نظمي بالأزورد والذهب ،
ورمته ^(٢) ، فكتب إلي في سنة ٧٢٧ ^(٣) : [من الكامل]

ومزمك بالأزورد كتابة ذهباً فقلت وقد أتت بوفاق ^(٤)
أأخذت أجزاء السماء خللتها أم قد أذبت الشمس في الأوراق
أكتب بالوجنات حمرتها كما مخضرها بمرائير العشاق
هبك النجوم علوت ثم سبكتها أنى أطاعك رونق الأخداق ^(٥)

● وكتب هو إلي أيضاً ^(٣) : [من الطويل]

معانك والألفاظ قد سخر الوري لكل من الأبواب قد أعطيا حظاً
فهبك سبكت التبر معنى وصغته فكيف أذبت الدر صيرته لفظاً

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٤٣٥/١ والوافي بالوفيات ٢٩٥/٨ ووفيات ابن رافع ٦١/١ والذرة
الكامنة ٣٤١/١ والنجوم الزاهرة ٣١٧/٩ والمنهل الصافي ٢٧٩/٢ والدليل الشافي ٩٩/١ .
- مولده سنة ٦٦١ هـ . ووفاته سنة ٧٣٨ هـ .

(٢) التزمك : التزويق والتذهيب .

(٣) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٤) قبل البيت زيادة في ط :

فقت الأنعام سيادة وزيادة وعلوت [بياض]
أعطى الذي قسم الفضائل في الوري للناس قراطاً وأنت الباني

(٥) هذا البيت من م فقط . وفي هامشه : هذا مفقود في نسخة الأصل .

وروايته في ط والوافي : ورمته بياضها وسواها ×

● فكتب أنا إليه ^(١) : [من الطويل]

وحقك لم أكتب يتبر كما ترى سطوراً غدا في وضعها مئة النفس
ولكنما هذي أشعة وجهك الكريم غدت تلقى على صفحة الطرس

١٨ * إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد
ابن نصر ^(٢) :

القاضي عماد الدين بن القاضي شرف الدين ^[ب٣٥] بن الصاحب فتح الدين ،
ابن القيسراني ، المخزومي ، الخالدي ، كاتب السر الشريف بحلب المحروسة ،
وموقع الدست الشريف بالشام المحروس .

● كتب هو إلي من دمشق المحروسة ، وأنا بالقاهرة سنة ٧٣٢ ^(٣) : [من الطويل]

إليك صلاح الدين شوق امرئ غدا وقد صح دون الجسم فيك وداؤه
ترحلت عن معنى دمشق فشوقنا إليك طوال الدهر تجري جياؤه ^(٤)
إذا كنت في أرض يحل صلاحها وإن كنت في معنى يزول فساؤه

● فكتب أنا الجواب إليه ^(٣) : [من الطويل]

أتاني مثال منك يفسد سواده بعيني بل يغلو عليها مداؤه
أمنت به دهري وولت بوضله على الخطب حتى خاف مني عناده
وصرفت في صرف الزمان أنا ملي إلى أن غدا في حكم أمري قياده

(١) البيت في أعيان العصر .

(٢) ترجمته في : أعيان العصر ٥١٦/١ والوافي بالوفيات ٢١٧/٩ وذيول العبر ١٩٣ والبداية والنهاية

٣٩٠/١٨ والمقفى الكبير ٦٩/٢ وتذكرة النبيه ٧٣٢/٢ والذرة الكامنة ٣٧٨/١ والنجوم الزاهرة

٣١١/٩ والمنهل الصافي ٤٢٣/٢ والدليل الشافي ١٢٩/١ وشذرات الذهب ١٩٨/٨ .

- وفاته سنة ٧٣٦ هـ .

(٣) الأبيات في أعيان العصر .

(٤) في ب : × . . . يجري جواؤه .

وَأَطْفَاءَ جَمْرًا فِي الْجَوَانِحِ كُلَّمَا
وَلَوْ لَمْ يَرِدْ هَذَا الْمِثَالُ لَمَا بَقِيَ
لَقَدْ أَصْبَحَ الْمَمْلُوكُ عَبْدًا مُكَاتَبًا
فَلَا غَزْوَ أَنْ يَتَّبِعِي عَلَى الْأَفْقِ مَجْدَهُ
وَأَنْ صَلَاحًا نَالَ عَظْفَكَ فِي الْوَرَى
أَيَا مَنْ لَهُ سَبَقُ الْمَعَالِي إِذَا جَرَتْ
وَمَنْ يَتَحَلَّى الدَّهْرُ مِنْهُ بِمَاجِدِ
وَمَنْ لَاقَ مِنْ عَيْنِ الْكَمَالِ انْتِقَاؤُهُ
وَمَنْ فَرَعْتَهُ دَوْلَةً خَالِدِيَّةً
لِيَهْنِئَ بَنِي مَخْزُومٍ فَخْرٌ غَدَا إِلَى
وَفَاحَتْ خُزَامِي مَجْدٍ مَخْزُومٍ فِي الْوَرَى
وَلَمْ لَا وَسَيُفِ اللَّهُ خَالِدٌ مِنْهُمْ
فَكَمْ طَالَ مِنْهُ لِلْعِدَى صَدْرُ أَتْبَرِ
بَقِيَتْ عِمَادُ الدِّينِ دُخْرُ أَمْرِي صَفَتْ
وَأَخْلَصَ فِيكُمْ حُبُّهُ وَوَلَاءُهُ

١٩ * أَلْطَبُّنَا (٣) :

الأمير الأجل ، علاء الدين الجاولي ، رحمه الله تعالى .
كانت بيني وبينه مُجَاراةٌ ومُبَاراةٌ يَطْرَبُ لها الجَمَادُ ، وَيَهْتَرُ لها الْفَاضِلُ

- (١) في أ ، م : × حكمه وسداده .
(٢) في ب : وَمَنْ فَرَعْتَهُ مِنْ دَوْحَةِ خَالِدِيَّةٍ × . وفي س : وَمَنْ فَرَعْتَهُ دَوْحَةَ خَالِدِيَّةٍ .
(٣) ترجمته في : أعيان العصر ٦١٠/١ والوافي بالوفيات ٣٦٦/٩ وفوات الوفيات ٢٥٥/١ وتذكرة النبيه ٥٠/٣ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٧٩/١ والذرة الكامنة ٤٠٧/١ والنجوم الزاهرة ١٠٥/١ والمنهل الصافي ٧١/٣ والدليل الشافي ١٥٢/١ .
- وفاته سنة ٧٤٤ هـ .

وَالْعِمَادُ ، وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْهَا شَيْئًا عِنْدَ تَعْلِيْقِي هَذِهِ الْأَخْرَفَ ، وَلَمْ أَقْعُ عَلَى
مَا لَعَلَّهُ يَسْمَحُ أَوْ يَطْرِفُ ، غَيْرَ مَا أَذْكُرُهُ هَاهُنَا وَأُسْطَرُّهُ ، وَهُوَ :
مَا كَتَبَهُ إِلَيَّ وَقَدْ وَرَدَتْ الْقَاهِرَةُ سَنَةَ ٧٣٦ . وَهِيَ مِنْ مَرْدُولِ شِعْرِهِ (١) : [من
الطويل]

إِلَيْكَ صَلَاحُ الدِّينِ أَهْدِي تَحِيَّةً كَنَشْرِ عَيْبٍ فِي الْجُيُوبِ إِذَا فُضَا
وَمِنْ عَجَبِي أَنَّ الدِّيَارَ قَرِيبَةً وَمَا فُزْتُ مِنْكُمْ بِالْوِدَادِ الَّذِي أَرْضَى
فَمِنْ بُعْدِكُمْ قَلْبِي تَأَلَّفَ بِالْأَسَى وَمِنْ بُعْدِكُمْ لَمْ أَذِرْ نَوْمًا وَلَا غَمَضَا
وَإِنِّي عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي تَعْهَدُونَهُ مُقِيمٌ أَرَى حِفْظَ الْوِدَادِ لَكُمْ فَرَضَا
وَأَقْسَمَ قَلْبِي لَا يَقْرُ قَرَارُهُ وَلَا يَرْعَوِي حَتَّى يَرَى بَعْضُنَا بَعْضَا

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ ارْتِجَالًا (١) : [من الطويل]

أَيَا جَيْرَةَ قَدْ عَوَّدُوا الْحِلْمَ وَالْإِغْضَا وَحُبُّهُمْ قَدْ مَارَجَ الرُّوْحَ وَالْأَغْضَا
وَحَقِّكُمْ مَا أَهْمَلَ الْعَبْدُ خِدْمَةً لَكُمْ وَجَبَتْ لِكَيْفَا بَعْدَ ذَا تَقْضَى
أَنْسَى جَمِيلًا مِنْكُمْ قَدْ أَلْفَتْهُ وَحُسْنُ وِدَادٍ يُشْبِهُ الزَّهَرَ الْعَضَا
وَلُطْفًا يُحَاكِي نَسَمَةَ الرُّوْضِ سَحْرَهُ فَإِنَّ لَهَا فِي الْعَاشِقِ السَّيْطَ وَالْقَبْضَا
وَأَيَّامَ لَهْوٍ قَدْ تَقَضَّتْ بِقُرْبِكُمْ نُدَاوِي بِهَا مِنْ دَهْرِنَا أَنْفُسًا مَرْضَى
أَلَا خَفَّفُوا مِنْ عَتَبِكُمْ عَنْ مُحِجَّتِكُمْ [١٣٦] فَذَلِكَ ضَعِيفٌ لَا يُطِيقُ بِهِ نَهْضَا
فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ وَيَذْكُرَ عُذْرَهُ فَإِنْ تَقَبَّلُوهُ رَحْمَةً قَبَّلَ الْأَرْضَا

● وَأَنْشَدَنِي يَوْمًا لِنَفْسِهِ (٢) : [من البسيط]

أَنْهَلْ أَدْمَعُهَا دُرًّا وَفِي فَمِهَا دُرٌّ وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ وَتِمْثَالُ (٣)

- (١) الأبيات في أعيان العصر .
(٢) هما في : أعيان العصر والوافي والفوات وتذكرة النبيه والذرة الكامنة والنجوم الزاهرة والمنهل .
(٣) روايته في م : أَنْهَلْ مَدْمَعُهَا دُرًّا وَمِثْلُهَا دُرًّا

لَأَنَّ ذَا جَامِدٍ فِي الثَّغْرِ مُنْتَظَمٌ وَذَاكَ مُنْتَشِرٌ فِي الْخَدِّ سَيَّالٌ

● فَأَنشَدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي ^(١) : [من السريع]

غَايِيَّةٌ فِي فَمِهَا جَوْهَرٌ بِمِثْلِهِ تَبْكِي هَوَىٰ هَائِلًا
فَرَاخٌ ذَا فِي نَظْمِهِ وَاقِفًا وَلَاخٌ ذَا مَبْعَ نَثْرِهِ سَائِلًا

● وَأَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ أَيْضًا ^(٢) : [من الوافر]

وَسُودٌ صَيَّرَنَهَا السُّودُ بَيَضًا فَلَا تَطْلُبُ مِنَ الْأَيَّامِ بَيَضًا
فَبَعْدَ السُّودِ تَرْجُو الْبَيَضَ ظُلْمًا وَقَدْ سَلَّتْ عَلَيْهَا السُّودُ بَيَضًا

● فَأَنشَدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي ^(٣) : [من الطويل]

عَجِبْتُ لِدهْرِ سَرَنِي زَمَنَ الصَّبَا وَكَدَّرَ عَيْشِي بِالْمَشِيبِ انْتِقَاضُهُ
فَبَيَضَ عُمْرِي مِنْ شَبَابِي سَوَادُهُ وَسَوَّدَ دَهْرِي مِنْ مَشِيبِي بَيَاضُهُ

● وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ مِنْ صَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧١٨ أَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ وَهُوَ بِدَمَشَقَ

الْمَحْرُوسَةِ ، مِنْ جُمْلَةٍ قَصِيدَةٍ ^(٤) : [من البسيط]

بِاللهِ يَا بَارِقًا مِنْ قَاسِيُونَ بَدَتْ أَعْلَامُهُ خَافِقَاتٍ فِي دِيَاغِيهِ
قَفَّ لِي يَتْلُكَ الرُّبَا إِنْ شِئْتَ تُسْعِفُنِي وَأَنشُدُ فَوَادَ شَجٍّ قَدْ عَزَّ فَادِيهِ ^(٥)
وَنَبَّهِ الْوُزُقَ وَالظُّلُمَاءَ عَاكِفَةً لَيْلًا لَتَحْكِي نَوَاحِي فِي نَوَاحِيهِ
وَحَالَكَ جِسْمِي ضَنْئٌ إِنْ كُنْتَ تَحْكِيهِ وَحَالَكَ جِسْمِي ضَنْئٌ إِنْ كُنْتَ تَحْكِيهِ
وَقُلْ قَضَىٰ نَحْبَهُ الْعَانِي أَسَىٰ وَجَوَىٰ وَمَا قَضَىٰ مَا تَرْجَىٰ مِنْ أَمَانِيهِ ^(٥)

كَأَنَّمَا كَانَ عَيْشٌ مَرَّ غَايِيَّةً تُجْلَىٰ بِكُمْ وَلَا إِلَيْهَا لِيَايِيهِ ^(١)
أَحْبَابَنَا إِنْ تَمَادَى الْبُعْدُ وَاتَّصَلَتْ أَيَّامُهُ وَاسْتَقَلَّتْ فِي تَرَاحِيهِ ^(٢)
فَلَا تَضُنُّوا عَلَى الْمُضْنَى بِطَيْفِكُمْ فَفِيهِ لِلْوَالِهِ الْمُشْتَاكِ مَا فِيهِ
يَكْفِيهِ إِنْ زَارَهُ طَيْفُ الْخَيَالِ وَلَا يَكْفِيهِ مِنْكُمْ بَلَى وَاللهِ يَكْفِيهِ
فَالصَّبُّ إِنْ عَاقَتْ الْأَيَّامُ مَطْلَبُهُ يَرْضَى بِدُونِ الْمُنَى أَوْ مَا يُدَانِيهِ ^(٣)

* * *

حَرْفُ الْبَاءِ

٢٠ * أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَلْمَانَ بْنِ فَهْدٍ ^(٤) :

القاضي البليغ الرئيس ، شَرَفُ الدِّينِ ، كَاتِبُ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِالْقَاهِرَةِ
وَالشَّامِ ، ابْنُ الْقَاضِي شَمْسِ الدِّينِ كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ،
ابْنُ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنَ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَأَنَا بِالذَّيَّارِ الْمِصْرِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ،
يَطْلُبُ مِنِّي الْحُضُورَ إِلَى الشَّامِ لِيُجَهِّزَنِي إِلَى الرَّحْبَةِ مَوْقِعًا ^(٥) : [من الكامل]

(١) كذا في أ ، ب . وفي أعيان العصر : كأنما مرَّ عيشٌ كان غاييةً × تجلَى

(٢) في ب : × في مراخيه .

(٣) بعد ذلك في س : فكتب هو الجواب إليَّ عن ذلك . قلت : وليس ثمة جواب .

(٤) ترجمته في : أعيان العصر ١٢/٢ والوافي بالوفيات ٢٥٩/١٠ وذيول العبر ٢٣٨ ووفيات ابن رافع

١٨٨/١ وتذكرة النبيه ٥٦/٣ وتعريف ذوي العلا ٢٧ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٦٩/١ والدرر الكامنة

٤٦٤/١ والنجوم الزاهرة ١٠٦/١٠ والدليل الشافي ٨٢٢/٢ .

- مولده سنة ٦٩٣ هـ . ووفاته سنة ٧٤٤ هـ .

(٥) الأبيات في أعيان العصر .

(١) هما في : أعيان العصر والوافي والقوات وتذكرة النبيه والدرر الكامنة والنجوم الزاهرة والمنهل .

(٢) هما في : الوافي وأعيان العصر .

(٣) الأبيات في أعيان العصر .

(٤) في ب : × وأنشد فواد شجِّي عزَّ فاديه .

(٥) في ب ، م : × وما قضى ما يُرْجَى . . .

يا فاضلاً فَخَرَّ الْوَرَى بِجَلَالِهِ
شَرَفَ دِمَشْقَ إِنَّ ارْتَضَيْتَ بِزُورَةٍ
فَقَلُّوْنَا مِنْ شَوْقِهَا جَمْرَاتُهَا
فَلَقَدْ مَلَأَتْ دِيَارَ مِصْرَ فَضَائِلًا
فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ تَبَرِّ فَضْلِكَ فَضْلَةً
إِنَّ الْكَرِيمَ هُوَ الْجَوَادُ عَلَى الَّذِي

وَعَلَا عَلَى أَفْقِ الْعُلَا بِجَلَالِهِ
وَاشْفِ الْجَوَى مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَإِلِهِ
لَمْ يُطْفِئْهَا بِالدَّمَاعِ فَيَضُ سِجَالِهِ
كَمْ فَاضَ مِنْهَا النَّيْلُ عِنْدَ نَوَالِهِ
يَغْنَى بِهَا الْمَضْرُورُ عِنْدَ سُؤَالِهِ^(١)
قَدْ رَاحَ يَسْأَلُ مَالَهُ فِي مَالِهِ

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ^(٢) : [من الكامل]

قُمْ فِي الدُّجَى حَتَّى الصَّبَاحِ وَوَالِهِ
وَأَمِلْ بِمَا تُنِيلِيهِ أَغْطَاكَ الْوَرَى
وَاسْجَعْ فَإِنَّكَ مَا بَرَحْتَ مُطَوَّقًا
مَوْلَى غَفِلْتَ وَنَمَتَ عَنْ تَبَلُّ الْمُنَى
[٣٦ ب] وَاسْتَأْفَهَا غُرًّا إِلَيْكَ وَأَنْتَ لَمْ
وَالِبِرُّ أَفْضَلُ مَا أَتَى عَفْوًا وَلَمْ
هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي فَضَحَ الْحَيَا
تَلْهُو بَنُو الْأَمَالِ عَنْ مَطْلُوبِهَا
كَرَمَ يَفِيضُ عَلَى الْعُفَاةِ سَحَابُهُ
لِلَّهِ سَعْيُكَ فِي الْمَعَالِي إِنَّهُ
وَعْدًا يَجُزُّ عَلَى الْمَجَرَّةِ سَاجِبًا
وَسَعَى فَأَذْرَكَ غَايَةً مَنَ أَمَّهَا

بِدُعَا يُقَوْمُ بِتَغْضٍ حَقَّ نَوَالِهِ
وَاحْمَدُ أَبَا بَكْرٍ عَلَى إِفْضَالِهِ
إِنَّمَا بِضَافِي جَاهِهِ أَوْ مَالِهِ
فَأَبَى وَصَيَّرَهَا شَوَاغِلَ بَالِهِ
تَحْتَجُّ إِلَى تَحْرِيكِهِ بِسُؤَالِهِ
تَقْبِضُ يَدُ الرَّاجِي جِبَالَ مَنَالِهِ
وَسَمَا بِجَذْوَاهُ عَلَ هَطَّالِهِ
عِلْمًا بِأَنَّ لَهُمْ كَرِيمَ خِلَالِهِ
وَيَسْعُ وَإِلَيْهِ عَلَى اسْتِزْسَالِهِ
جَعَلَ الثَّرِيًّا فِي عِدَادِ نِعَالِهِ
يَوْمَ الْفَخَارِ الْفَضْلُ مِنْ أَذْيَالِهِ
قَامَتْ دَرَارِيهَا مَقَامَ دُبَالِهِ

(١) سقط البيت من ب .

(٢) القصيدة في أعيان العصر .

مَا عَاقَ نَائِلُهُ عَنِ الْعَافِي مَدَى
يَا آلَ مَحْمُودٍ لِيَهْنَأَ مَجْدُكُمْ
أَقْسَمْتُ مَا لِسْبَا الشُّيُوفِ إِذَا مَضَتْ
كَلًّا ، وَلَمْ نَرَ قَطُّ بَخْرًا مَدَّ مِنْ
خَطِّ أَظْلُنِ الرَّوْضِ جَوْدَ عِنْدَمَا
وَتَلَقُّظُ إِن قُلْتَ سِحْرٌ لَمْ يَسْعُدْ
وَحَلَاتُكَ كَالرَّوْضِ أَهْدَى نَشْرُهُ
وَسِيَّاسَةُ طَائِفِ الْعَدُوِّ لَهَا وَقَدْ
فَاللَّهُ يُخْرِسُ لِلزَّمَانِ بَقَاءَهُ

وَعَدٍ وَلَا شَانَ الْعَطَا بِمِطَالِهِ
شَرَفَ أَنَاكَ عَلَى الْوَرَى بِجَلَالِهِ
فِي يَوْمِ مَعْرَكَةِ جِلَادٍ جِدَالِهِ
أَمْوَاهِهِ مَا بَثَّ مِنْ أَمْوَالِهِ
شَقَّتْ كِمَامُ الزَّهْرِ تَحْتَ مِثَالِهِ
نِي أَنْ يَكُونَ حَرَامٌ ذَا كَحَلَالِهِ
مَرُّ النَّسِيمِ عَلَى ذَوَائِبِ ضَالِهِ
سَكَنَ الْوَلِيِّ وَقَرَّ مِنْ زَلْزَالِهِ
وَيُمَتِّعُ الدُّنْيَا بِفَضْلِ كَمَالِهِ

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ وَنَحْنُ عَلَى الْأَهْرَامِ صُحْبَةُ الرُّكَّابِ الشَّرِيفِ ، مُلْغِزًا فِي

« الْقَرْطُ »^(١) : [من مجزوء الرجز]

مَا اسْمٌ ثُلَاثِيٌّ تُرَى
اغْمَدِ إِلَى تَرْكِيبِهِ
تَجِدُ جَنَى يُبْطِئُ فِيهِ
وَاعْكُشْهُ إِنْ تَرَكْتَهُ
تَرَى بِهِ ذَا طُرُقٍ
أَبْنَاهُ يَا مَنْ فَضْلُهُ

حُلَّتْهُ مُفَوَّقُهُ
فِيهِ وَصَحَّفَ أَخْرَفُهُ
عَوْدُ بِهِ مَنْ قَطَفَهُ^(٢)
مِنْ بَعْدِ أَنْ تُحَرِّفَهُ^(٣)
يَبْنِي الْوَرَى مُخْتَلِفَهُ^(٤)
يُعْجِزُ مَنْ قَبْدَ وَصَفَهُ

(١) الأبيات في الوافي وأعيان العصر .

(٢) يريد : قَرَطَ . والقارطان : يذكر بن عترة وعامر بن رهم ، وكلاهما من عترة ، خرجا في طلب القَرَطَ ، فلم يرجعا .

فقيل في المثل : لا أتيك أو يؤوب القارظ . وحتى يؤوب القارظ العتري . (القاموس « قرط ») .

(٣) عكسه : طرق . وتحريفه : طرف .

(٤) في ب : ترى به من طرق × .

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه عن ذلك ^(١) : [من مجزوء الرجز]

يا سيِّداً قَدْ زَانَهُ رَبُّ الْعُلا وَشَرَّفَهُ
وَقَدَّرَ الصَّوَابَ فِيهِ أَقْلَامِهِ الْمُحَرَّرَفَهُ
وَأَوْضَحَ الْفَضْلَ لِمَنْ يَطْلُبُهُ وَعَرَّفَهُ
أَبْدَعْتَ لُغْزاً حَسَناً صِفَاتُهُ مُسْتَظَرَّفَهُ
مُنَّاكَ الْحُرُوفِ كَمْ رَبِّعَ رَبِّ مَعْرِفَهُ
خَضَرْتُهُ يَانِعَةً بِهِيَّةٍ مُشَرَّفَهُ
كَمْ زَانَ أَرْضاً أَقْفَرَتْ وَوَجَنَةً مُزَخْرَفَهُ
فَالْتُلْتُ مِنْهُ سُورَةً آيَاتُهَا مُشَرَّفَهُ ^(٢)
بَلْ جَبَلٌ أَحَاطَ بِالْأَرْضِ وَذَلِكَ مَعْرِفَهُ ^(٣)
وَانْظُرْ لِثَلَاثِيهِ تَجِدْ كُلِّيهِمَا فِي طَرَفِهِ ^(٤)
بَقِيَّتْ مَا جَرَّ النَّسِيءُ مُمْ فِي الرِّيَاضِ مُطَرَفَهُ
فِي ظِلِّ سَعْدٍ تَرْتَقِي مِنَ النَّعِيمِ عُورَفَهُ

● وكتبَ هو أيضاً إِلَيَّ مُلْغِزاً فِي « حَلْفَا » ^(٥) : [من السريع]

يا ماجداً نَجَّهْتُ فِي وَصْفِهِ وَفَضَّلُهُ مِنْ بَعْدِ ذَا أَوْفَى
مَا اسْمٌ إِذَا مَا رُمْتَ إِنْضَاحَهُ عَزَّ وَعَنْ فِكْرِكَ لَا يَخْفَى
وَهُوَ رُبَاعِيٌّ وَفِي لَفْظِهِ تَرَاهُ حَقّاً نَاقِصاً حَرْفاً

صَحَّفَهُ وَاخْذِفْ رُبْعَهُ تُلْفِيهِ
وَهَذِهِ الْبَلَدَةُ تَصْحِيفُهَا
وَأِنْ تَصَحَّفَ بَعْضُهَا فَهِيَ مَا
وَذَلِكَ الْاسْمُ عَلَى حَالِهِ
لَمْ يَرِ ذَا حَرْبٍ وَكَمْ شَبَّ مِنْ
وَأِنْ تَشَأْ صَحَّفَهُ وَانْظُرْ تَجِدْ
أَبْنَهُ يَا مَنْ لَمْ يَزَلْ فِكْرُهُ
لَا زِلْتَ تُبْدِي لِلْوَرَى كُلَّ مَا

● فكتبْتُ أنا الجوابَ عن ذلك ^(٥) : [من السريع]

مَدِينَةً كَمْ قَدْ حَوَتْ لُطْفَا ^(١)
خَلَقَ يَقُوتُ الْحَدَّ وَالْوَصْفَا ^(٢)
زَالَتْ تُرَى فِي أُذُنِ شَنْفَا ^(٣)
حَرَّفَهُ يَزْجِعُ لِلصَّبَا « حَلْفَا »
نَارٍ لِغَيْرِ الرَّوْعِ مَا تُطْفَا ^(٤)
« خَلْفَا » سَوِيّاً قَطُّ مَا أَغْفَى
يَزْفَعُ عَنْ بَكْرِ الثَّهْيِ سِنْجفا
يَسْتَوْقِفُ الْأَسْمَاعَ وَالطَّرْفَا

يا سيِّداً أَلْسَنُ أَقْلَامِهِ كَمْ صَرَفْتَ عَنْ عَيْنِهِ صَرْفاً
وَمُحْسِناً مَا زَالَ طَيْبُ الثَّنَا عَلَيْهِ حَتَّى زَيْنَ الصُّخْفَا
أَلْغَزْتَ شَيْئاً لَمْ يَلْنِ مَسْئُهُ فَرَّاحَ إِنْ صَحَّفْتَهُ حَلْفَا
وَمُفَرِّدَ إِنْ أَلَفْتَ عُودَ صَوْتِ أُولَاهُ يَزْجِعُ بَعْدَ ذَا « أَلْفَا »
وَنِصْفُهُ « حَلَّ » وَإِنْ تَخَذِفِ أَلَّ أَوَّلَ مِنْ أَحْرُفِهِ « لَفَا »
وَلَيْسَ بِالْبَذْرِ عَلَى أَنَّهُ بِالْإِيلِ كَمْ قَدْ نَزَلَ الطَّرْفَا ^(٦)
أَمَّا هُنَا فِي يَرْ مِضَرَ وَإِنْ صَحَّفْتَ يُصْبِحُ بَعْدَ ذَا خَلْفَا
إِنْ زَا حَمَ الشَّاعِرِ يُذَكِّرُ بِهِ كَشَاجِمَا فِي الْحَالِ وَالطَّرْفَا

(١) يريد : جلق .

(٢) خلق ، تصحيف جلق .

(٣) جلق .

(٤) نار الحلفا : يضربُ بها المثل في سرعة الإيقاد . (ثمار القلوب ٢ / ٨٣١) .

(٥) القصيدة في الوافي وأعيان العصر .

(٦) في ب : . . . ولو أنه × .

(١) القصيدة في الوافي وأعيان العصر .

(٢) سورة ق .

(٣) جبل قاف ، بزعمهم .

(٤) يريد : طر .

(٥) القصيدة في الوافي وأعيان العصر .

لا زِلْتَ تَرْقَى فِي الْعُلَا صَاعِدَاً مَا نَظَّمَ الشَّاعِرُ أَوْ قَفَى
فِي ظِلِّ عَيْشٍ قَدْ صَفَا وَرْدُهُ وِرَاحَ بِالْإِقْبَالِ قَدْ حُقَا
[٣٧] ● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ مُلْغِزاً فِي «الهواء» (١) : [من المتقارب]

أَيَا مَا جِدَاً مَا وَهَى فَضْلُهُ وَنَجْمٌ مَكَارِمِهِ مَا هَوَى
أَبْنِ أَيْمًا اسْمٍ خَفَى مَنْظَرًا وَخَفَ وَيُلْفِي شَدِيدَ الْقَوَى
وَلَا وَزْنَ فِيهِ وَفِي وَزْنِهِ إِذَا أَنْتَ حَقَّقْتَ عَمْدًا سَوَى
● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ (١) : [من المتقارب]

أَيَا مَنْ تَقْصُرُ أَمْدَاخُنَا وَأَوْصَافُنَا فِيهِ عَمَّا حَوَى
كَأَنَّكَ أَلْغَزْتَ لِي فِي الَّذِي غَدَا وَلَهُ الشُّرُفُ فِيمَا انْطَوَى
إِذَا مَرَّ فِي الرُّوْضِ خَرَّتْ لَهُ غُصُونُ الْأَرَاكِ وَبَانَ اللَّوَى
يُمَدُّ وَيُقْصَرُ فِي لَفْظِهِ فَلِلْجَوِّ هَذَا وَذَا لِلْجَوَى

● وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنْ صَفْدِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٣٣ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيَّ نَقْدَةً ذَهَبِي (٢) : [من البسيط]

يَا نَسْمَةً لِأَحَادِيثِ الْحِمَى نَقَلْتُ أَمَلْتُ قُضِبَ اللَّوَى مِنْ بَعْدِ مَا اعْتَدَلْتُ
خَطَرْتُ مَا بَيْنَهَا فَاغْتَادَهَا طَرَبْتُ فَوَنَحْتُ عِظْفَهَا بِالشُّكْرِ وَانْفَلَكْتُ (٣)
فَإِنْ تَكُنْ فَهَمْتُ مَعْنَى ظَفَرْتُ بِهِ فَعَذَّرُهَا وَاضِحٌ فِي كُلِّ مَا فَعَلْتُ
قَدْ كَانَ لِلْمِسْكِ أَنْفَاسٌ تَضُوعٌ شَدَاً فَمُذْ أَتَيْتَ بِأَخْبَارِ الْحِمَى خِمَلْتُ
بِاللَّهِ كَيْفَ أَحْبَابِي الَّذِينَ نَأَتْ بِي الْمَنَازِلُ عَنْ أَقْمَارِهِمْ وَخَلْتُ

(١) الأبيات في الوافي وأعيان العصر .

(٢) القصيدة في أعيان العصر .

(٣) في ب : × وانفلكت .

قَدْ كُنْتُ أَبْدَيْتُ أَعْدَاراً لِقَلْبِي فِي الدَّ وَهَلْ - عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ - حَالُ عَهْدُهُمْ
وَهَلْ - عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ - حَالُ عَهْدُهُمْ أَحَا مِنْ الْبُعْدِ أَحَا إِنَّ لِي كِبْدَاً
وَأَذْمَعَا إِنَّ جَرَى ذِكْرُ الْوِصَالِ جَرَتْ وَنَهْجَةً سَأَلْتُ لَوْ كَانَ يَنْفَعُهَا :
وَعَزَمَةً عَاقَهَا حَظٌّ بِهِ ابْتَلَيْتُ أَشْكُو اللَّيَالِي وَمَا لِي فِي الْوَرَى حَكَمٌ
يَا دَهْرُ هَلْ نَهَضْتُ مِنْكَ الْجِبَالَ بِمَا يَا دَهْرُ إِنْ عَادَتْ الْأَيَّامُ تَجْمَعُنَا
يَا دَهْرُ إِنْ عَادَتْ الْأَيَّامُ تَجْمَعُنَا وَإِنْ ظَفِرْتُ بِلَثْمِ التُّرْبِ بَيْنَ يَدَيَّ
وَإِنْ ظَفِرْتُ بِلَثْمِ التُّرْبِ بَيْنَ يَدَيَّ ذَاكَ الَّذِي إِنْ عَلَتْ زُهْرُ الْكَوَكِبِ فِي
ذَاكَ الَّذِي إِنْ عَلَتْ زُهْرُ الْكَوَكِبِ فِي ذَاكَ الَّذِي لَا أَرَى إِلَّا سَجِيَّتَهُ
ذَاكَ الَّذِي خُلِقْتَ لِلْجُودِ رَاحَتُهُ أَقُولُ إِذْ عَمَّنِي بِالتَّبَرِّ نَائِلُهُ
أَقُولُ إِذْ عَمَّنِي بِالتَّبَرِّ نَائِلُهُ مَكَارِمَ فَهَمْتُ مَا أَزْتَجِي فَهَمْتُ
مَكَارِمَ فَهَمْتُ مَا أَزْتَجِي فَهَمْتُ كَمْ نِلْتُ خَمْسَ مِثْلٍ مِنْ بَعْدِ خَمْسِ مِثْلٍ
كَمْ نِلْتُ خَمْسَ مِثْلٍ مِنْ بَعْدِ خَمْسِ مِثْلٍ مَاذَا تَرَى فِي آيَادِ مَا أَقَابِلُهَا
مَاذَا تَرَى فِي آيَادِ مَا أَقَابِلُهَا لَوْلَا عَلَا شَرَفِ الدِّينِ الَّتِي بَهَرَتْ
لَوْلَا عَلَا شَرَفِ الدِّينِ الَّتِي بَهَرَتْ أَقْلَامُهُ الْحُمُرُ فِي صَوْنِ الْمَمَالِكِ لَوْ
أَقْلَامُهُ الْحُمُرُ فِي صَوْنِ الْمَمَالِكِ لَوْ بَقَاءً مِنْ بَعْدِهِمْ بِاللَّهِ هَلْ قِيلَتْ
بَقَاءً مِنْ بَعْدِهِمْ بِاللَّهِ هَلْ قِيلَتْ فَمُهْجَتِي مَا انْتَشَتْ عَنْهُمْ وَلَا انْتَقَلَتْ
فَمُهْجَتِي مَا انْتَشَتْ عَنْهُمْ وَلَا انْتَقَلَتْ تَضَرَّعْتُ بِلَطَى الْأَشْوَاقِ وَاشْتَعَلْتُ
تَضَرَّعْتُ بِلَطَى الْأَشْوَاقِ وَاشْتَعَلْتُ شُؤُونُهَا فَتَخَالَ الشُّحْبُ قَدْ هَطَلَتْ
شُؤُونُهَا فَتَخَالَ الشُّحْبُ قَدْ هَطَلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ عَلَى التَّحْقِيقِ قَدْ قُتِلْتُ
بِأَيِّ ذَنْبٍ عَلَى التَّحْقِيقِ قَدْ قُتِلْتُ لَوْلَا كَانَتْ عَلَى الْمَطْلُوبِ قَدْ حَصَلَتْ
لَوْلَا كَانَتْ عَلَى الْمَطْلُوبِ قَدْ حَصَلَتْ يَكْفُفُ عَنِّي عَوَادِنِهَا الَّتِي اتَّصَلَتْ
يَكْفُفُ عَنِّي عَوَادِنِهَا الَّتِي اتَّصَلَتْ نَهَضْتُ فِيكَ مِنَ الْبَلْوَى أَوْ اخْتَمَلْتُ
نَهَضْتُ فِيكَ مِنَ الْبَلْوَى أَوْ اخْتَمَلْتُ عَفَرْتُ مَا عَرَفْتُ مِنِّي وَمَا جَهِلْتُ
عَفَرْتُ مَا عَرَفْتُ مِنِّي وَمَا جَهِلْتُ مَنْ أَرْتَجِي زَالَتِ الْبُاسَاءُ وَازْتَحَلَتْ
مَنْ أَرْتَجِي زَالَتِ الْبُاسَاءُ وَازْتَحَلَتْ مَحَلُّهَا تَلَقَّيْهَا عَنْ تَرْبِهِ نَزَلَتْ
مَحَلُّهَا تَلَقَّيْهَا عَنْ تَرْبِهِ نَزَلَتْ عَلَى الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْبِرِّ قَدْ جَبِلْتُ
عَلَى الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْبِرِّ قَدْ جَبِلْتُ فَفَاقَتْ الْغَيْثَ إِذْ تَهْمِي وَمَا اخْتَمَلْتُ (١)
فَفَاقَتْ الْغَيْثَ إِذْ تَهْمِي وَمَا اخْتَمَلْتُ (١) هَذَا إِلَى الشُّحْبِ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخِلْتُ
هَذَا إِلَى الشُّحْبِ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخِلْتُ وَهَمَّةٌ فَعَلْتُ مَا لَمْ يُطِقْ فَعَلْتُ (٢)
وَهَمَّةٌ فَعَلْتُ مَا لَمْ يُطِقْ فَعَلْتُ (٢) كَذَا أَعَدُّدُهَا يَوْمًا وَمَا انْفَصَلْتُ
كَذَا أَعَدُّدُهَا يَوْمًا وَمَا انْفَصَلْتُ بِالشُّكْرِ إِلَّا أَرَاهَا وَهِيَ قَدْ فَضَلَتْ (٣)
بِالشُّكْرِ إِلَّا أَرَاهَا وَهِيَ قَدْ فَضَلَتْ (٣) كَانَتْ شُمُوسُ النَّدَى وَالْفَضْلِ قَدْ أَفَلَتْ
كَانَتْ شُمُوسُ النَّدَى وَالْفَضْلِ قَدْ أَفَلَتْ تَكُونُ سَطَوْتُهَا لِلْبَيْضِ مَا نَكَلْتُ
تَكُونُ سَطَوْتُهَا لِلْبَيْضِ مَا نَكَلْتُ

(١) في س : × وما احتفلت .

(٢) في ب ، س : . . . ما أشكركي فهمت × .

(٣) في ب : × بالشكر لم أرها إلا وقد فضلت .

تَهْتَزُّ فِي كَفِّهِ مِنْ فَوْقِ مُهَرِّقِهِ
وَكَانَ فِيمَا مَضَى لِلْسُخْرِ تَرْجَمَةٌ
عِبَارَةٌ هِيَ أُنْدَى مِنْ نَسِيمِ صَبَا
وَأَسْطُرٌ إِنْ أَقْلٌ يَنْتَلِ الْعُقُودُ فَمَا
[٣٧ ب] وَأَوْحَشْنَا لِمُحَيَّاہُ الَّذِي نَقَصَتْ
فَلَسْتُ أَحْسَدُ إِلَّا مَنْ تَكُونُ لَهُ
هَلِ اللَّيَالِي تُرِينِي نُورَ طَلْعَتِهِ
يَا آلَ مَخْمُودٍ لَا ثُلُثَ عُروَشِكُمْ
وَلَمْ تَزَلْ مِنْكُمْ الْأَغْنَاءُ حَالِيَّةً

● فكتب هو إليّ الجواب عن ذلك^(٢) : [من البسيط]

يَا فَاضِلًا مِنْهُ أَقْمَارُ الْعُلَى كَمَلَتْ
وَمَنْ مَحَاسِنُهُ لِلنَّاسِ قَدْ بَهَّرَتْ
لَهُ دُرٌّ قَوَافٍ قَدْ بَعَثَتْ بِهَا
لَقَدْ أَطَاعَتْكَ أَنْوَاعُ الْبِلَاغَةِ فِي
وَمَا أَظُنُّكَ إِلَّا قَدْ بَعَثْتَ لَنَا
فَاللَّهُ يُشْكُرُ إِحْسَانًا حَبَوْتَ بِهِ
مَا إِنْ وَعَتْ أُذُنٌ مَعْنَى بِلَاغَتِهَا
فَالزُّهْرُ قَدْ أَطْلَعَتْ وَالذُّرُّ قَدْ نَظَّمَتْ
شَوْقِي إِلَيْكَ صَلَاحَ الدِّينِ مَا عَلِمْتُ
وَهَلْ يُجَسُّ جَمَادٌ بِالَّذِي فَعَلْتُ

لَأَنَّهَا مِنْ مَعَانِي لَفْظِهِ ثِمَلْتُ^(١)
حَتَّى تَكَلَّمْتُ أَصَحَّتْ وَهِيَ قَدْ بَطَلَتْ
مَرَّتْ عَلَى زَهْرَاتِ الرُّوضِ وَانْصَقَلَتْ
أَرَى الْعُقُودَ إِلَى تِلْكَ الْعُلَى وَصَلَتْ
لِحُسْنِهِ طَلْعَةُ الْأَقْمَارِ إِذْ كَمَلْتُ
عَيْنٌ بِمَزَاهِ دُونِي فِي الْوَرَى كُجِلْتُ
فَرُبَّمَا غَلِطْتُ أَوْ رُبَّمَا عَدَلْتُ
وَلَا ذَوْتَ زَهْرَةٍ مِنْكُمْ وَلَا خَمَلْتُ
فَإِنَّهَا إِنْ خَلَتْ مِنْ فَضْلِكُمْ عَطَلْتُ

وَعَنْهُ أَنَارَ أَرْبَابِ الْهُمَى اتَّصَلَتْ
وَمَنْ مَكَارِمُهُ كُلُّ الْوَرَى شَمَلْتُ
طَالَتْ وَعَنْهَا نُجُومُ الْأَفْقِ قَدْ نَزَلَتْ
مَا قَدْ أَشْرَزَتْ مِنَ التَّرْتِيبِ وَامْتَثَلَتْ
خَمِيلَةٌ عِنْدَهَا زُهْرُ الدَّجَى خَمَلْتُ
فَمِنْ أَيَادِيكَ أَنْوَاءُ الْحَيَا خَجَلْتُ
إِلَّا وَأَمْسَتْ بِهَا الْأَعْطَافُ قَدْ ثِمَلْتُ
وَالزُّهْرُ قَدْ فَتَحَتْ وَالسُّخْرُ عَنْكَ تَلْتُ
بِشَرْحِهِ أَلْسُنُ الْأَقْلَامِ بَلْ جَهَلْتُ
بِي النَّوَى وَعَلَيْهِ أَضْلَعِي اشْتَمَلْتُ

وَمَا أَظُنُّ النَّوَى أَمْسَتْ تَزِيدُ عَلَى
كَأَنَّنِي بِكَ قَدْ أَقْبَلْتُ مُتَّصِرًا
وَقَدْ تَرَاوَجَ فِيكَ الدَّهْرُ وَانْقَطَعَتْ
فَاضِرٌ فَمَا الصَّبْرُ إِلَّا شَيْمَةٌ كُرُمْتُ
وَاللَّهُ يُبْقِيكَ فِي خَيْرٍ وَفِي دَعَاةٍ
● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ^(١) : [من البسيط]

وَفِي لَهَا الْحُسْنُ طَوْعًا بِالَّذِي اقْتَرَحْتُ
كَأَنَّهَا الْبَذْرُ فِي لَيْلِ الدَّوَائِبِ قَدْ
صَحَّتْ عَلَى سَقَمٍ أَجْفَانُهَا وَكَذَا
تَقْرِى حَشَايَ وَتُقْنِيهَا لَوَاحِظُهَا
مَهَاةٌ حُسْنِ أَدَارِيهَا إِذَا نَفَرْتُ
قَدْ حَارَ فِي وَضْفِ أَغْزَالِي الْعَذُولُ بِهَا
بَدَلْتُ فِي وَضْلِهَا رُوحِي فَقَدْ خَسِرْتُ
زَارَتْ لَتَمَنَّنَحْنِي مِنْ وَضْلِهَا مِتْنًا
أَقْسَمْتُ مَا سَجَعْتُ وَزُقُ الْحَمَائِمِ فِي
وَكُلَّمَا اعْتَدَلْتُ بِالْمَيْلِ قَامَتْهَا
وَمَا اكْتَسَى خَدُّهَا مِنْ لَوْلُو عَرَقًا
وَلِي أَمَانِي نَفْسٍ طَالَمَا كَذَبْتُ
وَرُبَّ لَيْلٍ خَفِيفِ الْغَيْمِ أَنْجُمُهُ
يَنْتَلُو الْهَيْلَالُ الثَّرِيًّا فِي مَطَالِيعِهَا

هَذَا وَقَدْ فَعَلْتُ فِينَا الَّذِي فَعَلْتُ
يَوْمًا عَلَى فِتْنَةٍ بِالْحَقِّ قَدْ خُذِلْتُ
عِصَابَةُ الْجَوْرِ عَمَّا فِيكَ وَانْخَزَلْتُ
وَمَا التَّجَلُّدُ إِلَّا رُبَّةٌ نَبَلْتُ
مَا حَرَّكَ الْغُصْنُ أَعْطَافًا قَدْ انْفَتَلْتُ

فَلَوْ رَأَتْهَا بُدُورُ التَّمِّ لَا تَفْضَحَتْ
تَقَلَّدَتْ بِالنُّجُومِ الزُّهْرَ وَاتَّشَحَّتْ
أَعْطَافُهَا وَهِيَ سَكْرَى بِالشَّبَابِ صَحَّتْ
مَا ضَرَّ تِلْكَ الصَّفَاحُ الْبَيْضَ لَوْ صَفَحَتْ
عَنِّي وَأَعْطَفُهَا بِالْعُتْبِ إِنْ جَمَحَتْ
وَقَالَ : كَيْفَ خَلْتُ فِي غَادَةٍ مَلَحْتُ
تِجَارَةُ الْحُبِّ فِي رُوحِي وَمَا رَبِحْتُ
أَهْلًا بِهَا وَبِمَا مَنَنْتُ وَمَا مَنَحْتُ
رَوْضٍ عَلَى مِثْلِ عِطْفِئِهَا وَلَا صَدَحْتُ
رَأَيْتُهَا فَوْقَ حُسْنِ الْغُصْنِ قَدْ رَجَحْتُ
لَكِنِّهَا وَزَدْتُ بِالطَّلِّ قَدْ رَشَحْتُ
فِيهَا وَلَوْ جَنَحْتُ نَحْوَ الْوَفَا نَجَحْتُ
أَزَاهِرٍ قَدْ طَفَّتْ فِي لُجَّةٍ طَفَحْتُ
كَأَنَّهُ شَفَةُ لِلْكَأْسِ قَدْ فَتَحْتُ

(١) القصيدة في أعيان العصر .

(١) في س : × . . . من معاني لطفه . . .

(٢) القصيدة في أعيان العصر .

وَلِلنَّسِيمِ رِسَالَاتٌ مُرَدَّدَةٌ
وَالزَّهْرُ قَدْ أُوقِدَتْ مِنْهُ مَجَامِرُهُ
تَحْكِي بِذَلِكَ الشَّدَا الْفَيَّاحِ طَيْبٌ ثَنًا
سَهْلُ الْخَلَائِقِ لَا وَاللَّهِ مَا اغْتَبَقْتُ
مُسَدَّدُ الرَّأْيِ لَمْ تَقْصُرْ إِصَابَتُهُ
[٢٣٨] رَفَى إِلَى غَايَةِ مَا نَالَهَا أَحَدٌ
بِهَمَّةٍ لَجَمِيعِ النَّاسِ عَالِيَةٍ
يُدَبِّرُ الْمُلُوكَ مِنْ مِضَرٍ إِلَى حَلَبٍ
يَسْتَعْمِلُ الْحَزَمَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَكَمْ
خَصَّتُهُ عَاطِفَةُ السُّلْطَانِ فَهَوَّ بِهَا
حَتَّى لَقَدْ نَسَخَتْ آيَاتُ سُؤدَدِهِ
يَهْدِي عِدَاهُ وَلَيْسَ الْبَذْرُ يُفَكِّرُ مَعَ
أَضْحَتْ عَلَى الْجُودِ تُبْنِي رَاحَتَاهُ وَمَا
كَانَتْ مَعَانِي الْهُدَى وَالْجُودِ قَدْ خَفِيَتْ
وَكَانَ لِلْجُودِ أَخْبَارٌ فَمُذْ رُوِيَتْ
لَوْلَا الْوُلُوعُ بِأَنْ نَلْقَى لَهَا شَبَهًا
دَغْنِي مِنَ الْوُزَرَاءِ الذَّاهِبِينَ فَمَا
هَذَا الَّذِي إِنْ تَكُنْ أَرَاؤُهُمْ فَسَدَتْ
لَا زَالَ يَزْقَى وَيَلْقَى السَّعْدَ مُقْتَبِلًا
وَمَا تَأَلَّقَ بَرْقٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ

وَجَمْرَةُ الْبَرْقِ فِي فَحْمِ الدُّجَى قَدَحَتْ
فَكُلَّمَا لَفَحَتْ رِيحُ الصَّبَا نَفَحَتْ
عَلَى عَلَا شَرَفِ الدِّينِ الَّتِي مُدَحَتْ
بِمِثْلِهَا عُصْبَةُ سَكْرَى وَلَا اضْطَبَحَتْ
عَنِ الْهُدَى إِنْ دَنْتَ قُصْوَاهُ أَوْ نَزَحَتْ
وَلَا سَمَتْ نَحْوَهَا عَيْنٌ وَلَا طَمَحَتْ
وَبَيَّةٌ لِمَلِكِ الْعَصْرِ قَدْ نَصَحَتْ
بِعَزْمٍ كَافٍ بِهِ الْأَيَّامُ قَدْ فَرِحَتْ
قَدْ جَدَّ لَمَّا رَأَى بِيضَ الطُّبَا مَرَحَتْ
يَأْسُ جَوَانِحِ دَهْرٍ طَالَمَا جَرَحَتْ
آيَاتٍ مَنْ قَدْ مَضَى مِنْ قَبْلِهِ وَمَحَتْ
مَحَلَّهُ فِي كِلَابِ الْأَرْضِ إِنْ تَبَحَتْ
زَالَتْ كَذَاكَ وَمَا انْفَكَّتْ وَمَا بَرَحَتْ
عَنَّا وَمَنْ مَجْدِهِ الْوَضَّاحُ قَدْ شَرَحَتْ
أَنْبَاؤُهُ نُسَيْتَ هَاتِيكَ وَأَطْرَحَتْ
لَمَّا رَنْتَ مُقْلَةً لِلشَّمْسِ إِذْ وَضَحَتْ^(١)
رَأَتْ لَوَاحِظُهُمْ هَذَا وَلَا لَمَحَتْ
فَلِإِنَّهَا مِنْهُ بِالتَّأْيِيدِ قَدْ صَلَحَتْ
مَا أَنْهَلَتْ الشُّحْبُ بِالْأَنْوَاءِ وَأَنْسَفَحَتْ
إِلَّا دِمَاءَ أَعَادِيهِ الَّتِي ذُبِحَتْ

(١) في س، م، : . . . نلقى له شبيهاً × .

● فكتب هو الجواب إلي عن ذلك^(١) : [من البسيط]

حَمَائِمُ الْأَيْكِ فِي الْأَفْنَانِ قَدْ صَدَحَتْ
أَمْ رَوْضَةٌ دَبَّجَتْهَا كَفُّ ذِي أَدَبٍ
يَا فَاضِلًّا فَاقَ فِي الْأَفَاقِ كُلِّ سَنًا
أَوْحَشْتَنَا شَهِدَ اللَّهُ الْعَظِيمُ فَكَمْ
فَلَا رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا حَوَادِثُهَا
أَهْلًا بِغَادَتِكَ الْحَسَنَاءِ إِنْ لَهَا
أَقْسَمْتُ مَا ظَفَرْتُ يَوْمًا بِمُشَبِّهَاتِهَا
خَرِيدَةٌ وَلَدَتْهَا فِكْرَةٌ قَذَفَتْ
فَلَا بَرِحَتْ تُرِينَا كُلَّ أَوْنَةٍ
أَمْ نَسَمَةُ الزَّهْرِ فِي الْأَصْبَاحِ قَدْ نَفَحَتْ
غَضُّ لِعَيْزِ صِلَاحِ الدِّينِ مَا صَلَحَتْ
بُنُورِ طَلَعَتِهِ الْغُرَاءُ مُذْ لَمَحَتْ
جَوَارِحُ بَسُوفِ الشُّقْمِ قَدْ جُرَحَتْ
عَلَى تَفَرُّقِنَا قَهْرًا قَدْ اضْطَلَحَتْ
مَحَاسِنًا فِي بُدُورِ الثَّمِّ قَدْ قَدَحَتْ
قَرِينَةً مِنْ أَخِي نَظْمٍ وَلَا فَرِحَتْ
بِالذَّرِّ مِنْ لُجَّةٍ بِالْفَضْلِ قَدْ طَفَحَتْ
قَصِيدَةً لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ لَافْتَضَحَتْ

● وكتب إلي من الديار المصرية المحروسة ، وقد توجه منها إلى الشام

المحروس ، في شعبان سنة ٧٣٣ : [من مجزوء الكامل]

الصَّبْرُ بَعْدَكَ مَا وَفَى
وَالْجِسْمُ ذَابَ فَلَوْ أَرَا
وَالدَّمَعُ سَلَّ خَدَّيْ عِنْدَ
وَالْعَيْشُ لَا وَصَفَاءِ وَدُ
أَفَمَا أَشْتَقِي مِنِّْي الْحُسُو
يَا نَازِحًا خَانَ الزُّمَّا
وَمُودَّعًا أَضْبَحْتُ إِذْ
أَنَا لَا أَقُولُ فَقَدْ ذُتُّهُ
وَالثَّوْمُ أَشْرَفَ فِي الْجَفَا
دَعْنِ الْمَيِّتَةِ لَاحْتَفَى
هُ فَقَدْ جَرَى مَا قَدْ كَفَى
دِي بَعْدَ بَعْدِكَ مَا صَفَا
دُ بَلَى أَقُولُ قَدْ أَشْتَقِي
نُ مُنَايَ فِيهِ وَمَا وَفَى
فَارَقْتُهُ مُتَخَلِّفًا
بَلْ نُورُ عَيْنِي أَنْطَفَا

(١) القصيدة في أعيان العصر .

إِنْ كَانَ عَبْدُكَ لَمْ يُمْثُ
لَمْ يَنْسَ ذِكْرَكَ سَاعَةً
كَمْ حَسْرَةً قَدْ أَغْمَدَتْ
وَمَذَلَّةً أَخْنَى الزَّمَانِ
تُغْضِي جُفُونِي إِنْ وَجَدْتُ
وَأَرَوْحُ مَا بَيْنَ الْأَسَا
وَاللَّهِ مَا أَفْنِي الدُّجَى
وَتَتَلَدَّمُ مَا وَتَأَلَّمُ
يَا سَيِّدًا قَدْ جَرَّ مِنْ
وَعْدًا يَبْرَأُ يَمِينِهِ
وَطُرُوسُهُ مَا تَزْتَضِي
[٣٨ ب] وَنِشَارُهُ وَنِظَامُهُ
لَوْ شَاءَ صَبَّكَ قَفَا أَمْرِئٍ أَلْ
وَنَوَالُهُ مَنْ قَاسَهُ
كُنْ حَيْثُ كُنْتَ فَلَا أَرَى
مِنْ أَيْنَ أَلْقَى مِثْلَ جَبْ
أَوْ مِثْلَ جُودِكَ لَمْ يَزَلْ
فَلِذَا قَسَا زَمَنِي عَلَى
وَأَعَادَ لِي زَمَنَ الصَّبَا

(١) في ب : وشدائدًا . . . ×

(٢) في س : × بحيا الحيا . . .

(٣) في س : × لي عن جنانك . . .

(٤) تصحيف جبرك : خيرك .

هَيْهَاتَ لَمْ يَضْلُخْ سِوَا
فَمَتَى يَرَى يَعْقُوبُ حُزْنَ
يُعْبَلُ الْأَرْضَ ، لَا قَطَعَ اللَّهُ لَهَا عَنْ الْأَوْلِيَاءِ بَرًّا ، وَلَا أَمْطَرَ الْإِعْدَامَ سِوَى
سُخْبِ جُودِهَا ، فَكَمْ دَرَّ غَيْثُهَا دُرًّا وَتَبْرًا ، وَلَا رَفَعَ فِي السَّمَاءِ بَارِقَةً غَيْرَ نَارِ
قِرَاهَا ، فَكَمْ رَفَعَتْ ذَوَائِبُهَا فِي اللَّيْلِ أَلْوِيَةً حُمْرًا ؛ وَلَا نَظَمَ فِي سِلْكِ طَرِيقِهَا
غَيْرَ جَوَاهِرِ التَّقْبِيلِ ، فَكَمْ أَدَارَ اللَّثْمُ عَلَيْهَا دُرًّا ؛ وَلَا نَفَضَ مِنَ الْعُيُونِ الرَّمَدَ إِلَّا
تُرَابُهَا^(١) ، فَإِنَّهَا تَبَرُّ بِذَلِكَ وَتَبْرَا ؛ وَلَا بَرَدَ الْأَخْشَاءَ الظَّامِئَةَ إِلَّا بِلَثْمِ أَعْتَابِهَا ،
فَقَدْ أَضْحَى ثَنَاؤُهَا مُسْتَقَرَّى عَلَى الْمَعَالِي مُسْتَقِلًّا مُسْتَقَرًّا ، وَلَا أَخْلَى حِمَاها مِنْ
الْعُقَاةِ ، فَإِنَّ النَّجَاحَ غَدَا بِهَا مُسْتَمَلًّا مُسْتَمَدًّا مُسْتَمَرًّا ؛ وَلَا أَنْزَلَ بِجَنَاتِ جَنَابِهَا
غَيْرَ الشَّرَفِ ؛ فَإِنَّهَا مَا فَارَقَتْهُ مَذْعَرَفَتُهُ وَهَلُمَّ جَرًّا^(٢) : [من البسيط]

هِيَ الشِّفَاءُ لِدَائِي لَوْ ظَفَرْتُ بِهَا وَلَيْسَ مِنْهُ شِفَاءُ الدَّاءِ مَبْدُولُ
لَأَنَّهَا أَحَقُّ فِي الْوَصْفِ بِقَوْلِ الْأَوَّلِ : [من الطويل]

وَرَبْعُ الَّذِي أَهْوَاهُ يُرْوِي تُرَابُهُ أَلْ حِطَّاشٌ وَيَشْفِي تُرْبُهُ الْأَعْيُنَ الرُّمْدَا
وَمَا أَظُنُّ الْقَائِلَ عَنِّي غَيْرَهَا فِي قَوْلِهِ : [من الوافر]

تُرَابُهُمْ وَحَقُّ أَبِي تُرَابٍ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ عَيْنِي الْيَمِينِ
وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّ الْآخَرَ أَرَادَ سِوَاهَا فِي قَوْلِهِ : [من الكامل]

وَجَمِيَّ يُدَاسُ تُرَابُهُ بِنِعَالِهِمْ مِنِّْي بِأَخْدَاقِ الْجُفُونِ يُيَاسُ
وَيُنْهَى مَا يَجِدُهُ الْمَمْلُوكُ مِنَ الْأَشْوَاقِ الَّتِي يَسْتَعْرِ بِهَا الْقَلْبُ جَمْرًا ، وَلَمْ

(١) في س : وَلَا نَفَضَ فِي الْعُيُونِ الرُّمْدَ إِلَّا تُرَابُهَا .

(٢) البيت لهشام بن عتبة ، أخِي ذِي الرِّمَّةِ ، فِي شَرْحِ آيَاتِ سَبْوِيهِ ٤٢١/١ وَشَرْحِ شَوَاهِدِ الْمَغْنِي

يَسْتَعِزُّ لَهَا عَلَى ذَلِكَ صَبْرًا ، فَهُوَ يَتَأَسَّى وَيَتَأَسَّفُ ، وَيَتَلَهَّبُ وَيَتَلَهْفُ ، وَيَتَحَرَّى
فَيَتَحَرِّقُ ، وَيَسْتَلِي بِالْأَمَانِي وَعَلَيْهَا يَسْتَلِقُ ، وَيَمْلِكُ بِهَا وَلَهَا يَمْلِكُ ، فَاهَا عَلَى
تِلْكَ اللَّيَالِي الْمَاضِيَةِ ، وَالْمُدَّةِ الَّتِي كُنْتُ بِقُرْبِ مَوْلَانَا فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ^(١) : [من
الطويل]

ذَكَرْتُ بِهَا وَضَلًا كَأَن لَمْ أَفْزِ بِهِ وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثَبَا
● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ : [من مجزوء الكامل]

أَنْتَ الْخَلِيلُ أَبُو الصَّفَا وَالْحِفْظُ شَأْنُكَ وَالْوَفَا
وَالْفَضْلُ كَانَ مُنْكَرًا وَبِمَا صَنَعْتَ تَعَرَّفَا
وَأَنْزَلْتَ هَذَا الْفَنَّ فِينَا بَعْدَمَا كَانَ أَنْطَقَا
فَالطَّرْسُ فِي يُمْنَاكَ كَمْ حَبَزْتَهُ فَتَزَخَّرَفَا
وَاللَّفْظُ مِنْكَ إِذَا وَعَا هُ السَّمْعُ عَادَ مُشْتَفَا
أَفَأَنْتَ تَنْظُمُ أَمْ تُدِيدُ رُ عَلَى الْمَسَامِعِ قَرْفَا
دُمْ يَا صَلاَحَ الدِّينِ فِي نَعَمِ الْإِلَهِ مُشْرِفَا
وَأَدِمْ هَدَايَاكَ الَّتِي تَهْدِي إِلَى الْمُضْنَى الشُّفَا
فَمُشَرَّفَاتُكَ قَدْ حَكَّتْ وَزَقَ الْحَمَامُ الْهُتْفَا
مَنْ قَالَ إِنَّكَ كَاتِبٌ أَوْ شَاعِرٌ مَا أَنْصَفَا
مَا أَنْتَ إِلَّا وَاحِدٌ فِي فَنِّهِ لَنْ يُخْلَفَا
حَقُّ الْبُودُورِ إِذَا بَدَتْ لَكَ فِي السَّمَاءِ أَنْ تُكْشَفَا
وَالْبَزْقُ إِنْ جَارَاكَ أَوْ بَارَاكَ أَنْ يَتَوَقَّفَا
فَاللَّهُ يُجَمِّعُ شَمْلَنَا بِكَ فِي سُرُورٍ قَدْ صَفَا

(١) البيت للمنتبي ، في ديوانه ٥٨/١ .

[١٣٩] قَدْ آنَ لِلدَّهْرِ الَّذِي قَدْ خَانَ أَنْ يَتَعَطَّفَا
يُقْبَلُ كَذَا ^(١) لَا زَالَتْ تُدْبِجُ الْمَهَارِقَ ، وَتُهْدِي فِي طُرْسِهَا وَنَفْسِهَا مَا يُدْرُ
كَافُورُهُ وَعَنْبَرُهُ فِي الْمَفَارِقِ ، وَتَبْعُثُ مِنَ الْمَعَانِي النَّيِّرَةِ مَا يُخْجِلُ بُدُورَ الْمَغَارِبِ
وَشُمُوسَ الْمَشَارِقِ .

وَيُنْهِي بَعْدَ دُعَاءِ أَخْلَصَ فِي رَفْعِهِ سِرًّا وَجَهْرًا ، وَثَنَاءِ يَسْتَعِيرُ الرُّوضُ مِنْهُ
زَهْرًا وَالْأَفَقُ زُهْرًا ، وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، بِلِ الْعَقْدِ النَّظِيمِ ، بِلِ الْأَفَقِ الَّذِي
كُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ بَذَرٌ يَجْلُو اللَّيْلَ الْبَهِيمَ ؛ فَوَقَفَ لَهُ وَعَلَيْهِ ، وَقَبَلَ سَطُورَهُ وَهُوَ
يَخَالُهَا أَنَامِلَ مَوْلَانَا الَّتِي فِي يَدَيْهِ ، وَانْتَهَى إِلَى مَا ذَكَرَهُ مِنَ الشُّوقِ الَّذِي أَمْلَأَهُ
عَنْ خَاطِرِ الْمَمْلُوكِ وَقَلْبِهِ ، وَوَصَفَهُ فَتَعَجَّبَ كَيْفَ اطَّلَعَ مَوْلَانَا عَلَى ضَمِيرِ
الْمَمْلُوكِ الَّذِي فِي جَنْبِهِ ، فَرَادَ نَارَ الْمَمْلُوكِ لَهَا ، وَجَدَّدَ حُزْنًَا وَحَرْبًا ، وَبِاللَّهِ
الاسْتِعَانَةَ عَلَى هَذَا النَّوَى ، وَالْحَادِثَةِ الَّتِي هَدَّتِ الْقُوَى ^(٢) : [من الكامل]

فَلَرُبَّمَا تُثَرِّ الْجُمَانُ تَعَمُّدًا لِيَكُونَ أَحْسَنَ فِي النَّظَامِ وَأَجْمَلًا
وَاللَّهُ يُرِينَا ذَلِكَ الْوَجْهَ الَّذِي يَغْلُو نُورُهُ فَزَقَ الْفَرْقِدَ ، وَيُقَرِّبُ مَرَارَ مَوْلَانَا
بِلُطْفِهِ الْحَفِي ، وَفَضْلِهِ الْحَفِي ، وَكَأَنَّ قَدْ .

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ أَيْضًا : [من المتقارب]

أَلَا هَلْ أَتَى طَيْفُكُمْ أَوْ سَرَى فَمِنْ بَعْدِكُمْ مَا عَرَفْتُ الْكَرَى
وَأَيُّ مَنَامٍ لِمَنْ دَمْعُهُ بِنُوءِ الثَّرِيَّا يَبُلُّ الثَّرَى
وَأَيُّ قَرَارٍ لِعَيْنٍ غَدَتْ وَمَحَجَّرُهَا بِالْبُكَاسْتَبْحَرَا ^(٣)

(١) قوله : كَذَا . كلمة وضعها المؤلف تواضعاً ، بدلاً من : يداً . وفي ب : يَقْبَلُ الْأَرْضُ . . .

(٢) البيت لابن خفاجة ، في ديوانه ٣٦١ ونفح الطيب ١٠٦/١ .

(٣) في ب : . . . بالبكاء انبرى . وفي م : . . . استحجرا .

أَجَبْتَنَا هَلْ بَعَثْتُمْ لَنَا
وَمَا يُبْعَدُ الْآنَ أَنْ الْأَصِيلَ
لِأَنَّ تَحِيَّاتِكُمْ تَخْتَوِي
بَعْدْتُمْ عَنِ الْعَيْنِ فَاسْتَوْحِشْتُ
وَأَقْسِمُ مَا الْقَلْبُ فِي يَقْظَةٍ
وَفَارَقَنِي رَاغِمًا وَاغْتَدَى
وَلَكِنْ إِلَى الْآنَ فِي لَذَّةِ الزَّ
وَلَوْ كَانَ يَذْرِي قَضَى نَحْبَهُ
حُرِمْتُ الرِّضَا مِنْكُمْ إِنْ رَأَتْ
وَلَا سُرَّ قَلْبِي إِنْ حَالَ عَنْ
وَلَا فَرَّجَ اللَّهُ بَلْوَائِي إِنْ
وَأَنْ قُلْتُ لَا ذَنْبَ لِي فِي التَّوَى
وَلَكِنْ أَنَانِي الرَّدَى بَعْتَهُ
لِأَنِّي بِإِحْسَانِكُمْ وَائْتِ
وَحِلْتُ السَّلَامَةَ فِي هَذِهِ
وَأِنْ تَطَلَّبُوا الْحَقَّ فِي قِصَّتِي
وَمَا لَأَمْرِي فِي الْقَضَا حِيلَةً
فِيَا مَا جَرَى مَذْمَعِي بَعْدَكُمْ

● فكتب هو الجواب عن ذلك : [من المقارب]

أَرَوْضُ مِنَ الْحَزَنِ قَدْ أَزْهَرَا وَإِلَّا فَافُوقُ وَقَدْ أَقْمَرَا

(١) في م : × سُلَانَا

أَمْ الْفَاضِلُ الْبَارِعُ الْأَوْحَدُ الـ
أَرَادَ الْغِنَى بَعْدَ فَقْرِي لَهُ
وَشَرَّفَنِي بِالْقَرِيضِ الَّذِي
أَمْوَلَايَ بَعْدَكَ هَذَا الْقُوَى
وَعَادَرَ قَلْبِي مِنْ صَبْرِهِ الـ
فَوَاللَّهِ لَمْ أَنْسَ عَيْشًا مَضَى
وَإِنِّي لِأَذْكُرُ إِحْسَانَكُمْ
فَلَا تَحْسُبُوا أَنَّ قَلْبِي سَلَا
وَلَا بُدَّ لِلدَّهْرِ أَنْ يَزْعَوِي

● وَأَنْشَدَنِي يَوْمًا لِنَفْسِهِ مُلْغِزًا فِي « لَيْلٍ » (١) : [من الخفيف]

[٣٩ ب] أَيْمًا اسْمُ يَغْشَى الْأَنَامَ جَمِيعًا وَإِذَا مَا فَكَرْتُ « لِي » ثُلَاثُهُ
إِنْ تُزَلْ فِي هِجَائِهِ مِنْهُ حَرْفًا « لَكَ » مِنْهُ مُصْحَفًا طَرْفَاهُ

● فَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِي مُلْغِزًا فِي « فِيلٍ » (٢) : [من الخفيف]

أَيْمًا اسْمُ تَرْكِيْبُهُ مِنْ ثَلَاثٍ وَهُوَ ذُو أَرْبَعٍ تَعَالَى الْإِلَهُ
حَيَّوَانٌ وَالْقَلْبُ مِنْهُ نَبَاتٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ جُوعِهِ يَزْعَاهُ (٣)
« فَيْكَ » تَضْحِيْفُهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا رُمْتُ عَكْسًا يَكُونُ « لِي » ثُلَاثُهُ

● وَأَنْشَدَنِي يَوْمًا لِنَفْسِهِ (٤) : [من الطويل]

بَعَثْتُ رَسُولًا لِلْحَبِيبِ لَعَلَّهُ يُبْرِهِنُ عَنِ وَجْدِي لَهُ وَيُزْجِمُ

(١) البيتان في الدرر الكامنة وأعيان العصر .

(٢) الأبيات في أعيان العصر . وبلا نسبة في المستطرف ١٤٧/٣ وحياة الحيوان « الفيل » .

(٣) يريد : ليف .

(٤) البيتان في أعيان العصر وتاريخ ابن قاضي شهبة والدرر الكامنة .

فَلَمَّا رَأَهُ حَارَ مِنْ فَرْطِ حُسْنِهِ وَمَا عَادَ إِلَّا وَهُوَ فِيهِ مُتِمِّمٌ

● فَأَنشَدَتْهُ لِنَفْسِي (١) : [من الخفيف]

بِئْسَ غَزَالٌ لَمَّا أَطْعَمْتُ هَوَاهُ أَخَذَ الْقَلْبَ وَالتَّصَبُّرَ غَضْبَاهُ
مَا أَفَاقَ الْعَدُولُ مِنْ سَكْرَةِ الْعَذِّ لِ عَلَيْهِ حَتَّى غَدَا فِيهِ صَبَا

● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَهْنُهُ بِالْقُدُومِ مِنَ الْحِجَازِ الشَّرِيفِ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ

سنة ٧٣٣ : [من الوافر]

قَدِمْتَ مِنَ الْحِجَازِ مَعَ السَّلَامَةِ بَعَزَمُ تَعْرِفُ الْعَلِيَا اهْتِمَامَهُ
وَوَجْهِهِ تَشْتَهِي الْأَقْمَارُ لَمَّا بَدَتْ فِي الْأَفْقِ لَوْ نَالَتْ ثُمَامَةَ (٢)
مُحْيَا إِنْ يَضِلَّ الرُّكْبُ لَيْلًا كَفَاهُمْ مِنْكَ أَنْ تُزْخِي لِشَامَةِ
وَأُقْسِمُ لَوْ تَحَيَّرَ فِيهِ عَافٍ تَعَرَّفَ لِلْمُؤْمَلِ بِالْوَسَامَةِ
فِيَا لَكَ طَائِفًا بِالْبَيْتِ يَسْعَى وَقَدْ شَكَرَ الْإِلَهَ لَهُ مَقَامَهُ
وَيَا لَكَ مُحَرِّمًا عَرَفْتَهُ يَلُوكَ الـ مَشَاعِرُ قَبْلَ أَنْ يَضَعَ الْعِمَامَةَ
وَطَافَ وَلَمْ يَمَسَّ الطَّيِّبَ لَكِنْ ثَنَاهُ يَفُضُّ عَنْ مِسِّكَ خِتَامَهُ
وَلَمَّا أَنْ رَأَى الْحَجَرَ الَّذِي قَدْ غَدَا فِي صَخْنٍ خَذَّ الْبَيْتِ شَامَهُ
تَلَقَّاهُ بِوَضَّاحِ الثَّنَايَا يُقْبَلُهُ وَمَا أَخْلَى الثَّامَةَ
وَلَمَّا لَامَسَ الرُّكْنَ الْيَمَانِي تَمَنَّى أَنْ يُدِيمَ لَهُ التَّزَامَةَ
وَفِي عَرَفَاتٍ كَمْ قَدْ فَاحَ عَرَفُ لَهُ مِنْ عُرْفٍ يُمْنَاهُ عَلَامَهُ
(وَلَمَّا أَنْ أَفَاضَ النَّاسُ فَاضَتْ يَدَاهُ بِمَا حَكَى الْغَيْثُ أَنْسَجَامَهُ
وَكَمْ أَوْلَى الْمُنَى بِمُنَى فَقِيرًا رَأَى بَرَقَ النَّدَى مِنْهُ وَشَامَهُ

(١) البيتان في أعيان العصر .

(٢) في م : × ثمامة .

وَجَاءَ يَزُورُ خَيْرَ النَّاسِ طَرًّا وَمَلَى طَرْفَهُ لَمَّا مَلَاهُ
وَفَازَ بِقُرْبِ مَنْ يُغْتَدُّ دُخْرًا وَصَلَّى وَالْمَعَالِي مِنْ وَرَاهُ
فَأَثَرِي مَنْ يَيْثِرُ مِنْ نَدَاهُ فَكَمْ مِنْ مُعْسِرٍ أَوْلَاهُ يُسْرًا
مَكَارِمُ مَنْ لَهُ فِي الْجُودِ عَشْقُ مَكَارِمِ الْمَكَارِمِ وَالْعَطَايَا
فَذَا رَأْسُ الْمَكَارِمِ وَالْعَطَايَا فَمَا يَذْهَبُ النَّدَامَةُ حِينَ يَسْخُو
وَلَمَّا أَنْ قَضَى وَطَرًا وَوَلَّى أَتَى وَالذَّهْرُ يَخْدُمُهُ بِسَعْدٍ
وَمَلَكُهُ سِيَادَةُ كُلِّ قَوْمٍ وَمَلَأَ أَنْ قَضَى وَطَرًا وَوَلَّى
أَيَا مَوْلَى إِذَا مَا خَطَّ سَطْرًا أَتَى وَالذَّهْرُ يَخْدُمُهُ بِسَعْدٍ
وَأَنْ نَظَرَ الْعَوَاقِبَ فِي خُطُوبِ وَمَلَكُهُ سِيَادَةُ كُلِّ قَوْمٍ
وَأَنْ أَمْلَى عَلَيْنَا الْكُتُبَ نَثْرًا أَيَا مَوْلَى إِذَا مَا خَطَّ سَطْرًا
وَأَنْ يَنْظُمَ فَمَنْ أَعْطَى اللَّالِي وَأَنْ نَظَرَ الْعَوَاقِبَ فِي خُطُوبِ
بِأَلْفَاظٍ تَلَدُّ لِكُلِّ سَمْعٍ وَأَنْ أَمْلَى عَلَيْنَا الْكُتُبَ نَثْرًا
تَحَيَّرَكَ الْمَلِيكَ لِسِرِّ مُضِرِّ وَأَنْ يَنْظُمَ فَمَنْ أَعْطَى اللَّالِي
وَزَادَكَ مِنْهُ قُرْبًا وَاعْتِنَاءً تَحَيَّرَكَ الْمَلِيكَ لِسِرِّ مُضِرِّ
تُجَرَّدُ مِنْكَ لِأَعْدَاءِ رَأْيَا وَأَنْ أَمْلَى عَلَيْنَا الْكُتُبَ نَثْرًا

وَمَنْ شَرَفَتْ بِمَبْنَعِيهِ تَهَامَهُ وَمَنْ شَرَفَتْ بِمَبْنَعِيهِ تَهَامَهُ
بِأَنْوَارِ الْمُظْلَلِ بِالْعِمَامَةِ بِأَنْوَارِ الْمُظْلَلِ بِالْعِمَامَةِ
لِيَوْمِ الرَّوْعِ فِي هَوْلِ الْقِيَامَةِ لِيَوْمِ الرَّوْعِ فِي هَوْلِ الْقِيَامَةِ
يُسَلِّمُ وَالرَّسُولُ غَدَا أَمَامَهُ (١) يُسَلِّمُ وَالرَّسُولُ غَدَا أَمَامَهُ (١)
وَشَرَعَ بِالنَّدَى فِيهَا خِيَامَهُ وَشَرَعَ بِالنَّدَى فِيهَا خِيَامَهُ
وَنَوَّلَهُ مِنَ الْجَدْوَى مَرَامَهُ وَنَوَّلَهُ مِنَ الْجَدْوَى مَرَامَهُ
فَلَا سَعْدِي هُنَاكَ وَلَا أَمَامَهُ فَلَا سَعْدِي هُنَاكَ وَلَا أَمَامَهُ
فَدَغْنِي بَعْدُ مِنْ كَعْبِ بْنِ مَامَةَ فَدَغْنِي بَعْدُ مِنْ كَعْبِ بْنِ مَامَةَ
يَقُولُ لِمَنْ لَحَاهُ عَلَى النَّدَى : مَهْ يَقُولُ لِمَنْ لَحَاهُ عَلَى النَّدَى : مَهْ
إِلَيْنَا وَجْهَهُ رُزِقَ السَّلَامَةَ إِلَيْنَا وَجْهَهُ رُزِقَ السَّلَامَةَ
تَبَرَّأَ فِيهِ مِنْ كَذِبِ النَّجَامَةِ تَبَرَّأَ فِيهِ مِنْ كَذِبِ النَّجَامَةِ
وَقَدْ أَلْقَى الزَّمَانُ لَهُ زِمَامَةَ وَقَدْ أَلْقَى الزَّمَانُ لَهُ زِمَامَةَ
فَمَا ابْنُ هِلَالٍ إِلَّا كَالْقَلَامَةِ فَمَا ابْنُ هِلَالٍ إِلَّا كَالْقَلَامَةِ
قَدْ أَسْوَدَتْ فَرْزَقَاءَ الْيَمَامَةِ قَدْ أَسْوَدَتْ فَرْزَقَاءَ الْيَمَامَةِ
فَمَا سَجَعُ الْمُطَوَّقِ وَالْحَمَامَةِ فَمَا سَجَعُ الْمُطَوَّقِ وَالْحَمَامَةِ
بِحَيْدِ الْغَيْدِ أَنْ تَحْكِي نِظَامَهُ بِحَيْدِ الْغَيْدِ أَنْ تَحْكِي نِظَامَهُ
فَمَا سَامَتْ عِبَارَتُهُ سَامَةَ فَمَا سَامَتْ عِبَارَتُهُ سَامَةَ
لَأَنَّكَ كُنْتَ قَدْ حَلَيْتَ شَامَةَ لَأَنَّكَ كُنْتَ قَدْ حَلَيْتَ شَامَةَ
فَأَنْتَ وَلِيُّهُ وَلَكَ الْكَرَامَةُ فَأَنْتَ وَلِيُّهُ وَلَكَ الْكَرَامَةُ
فَلَمْ تُخَوِّجْهُ أَنْ يَبْرِي سِهَامَةَ (٢) فَلَمْ تُخَوِّجْهُ أَنْ يَبْرِي سِهَامَةَ (٢)

(١) ما بين قوسين ساقط من أ ، م .

(٢) في ب : يجدد × .

وَقَدْ أَغْنَيْتَهُ إِنْ جَاءَ خَطْبٌ
مَتَى أَعْمَلْتَ رَأْيَكَ فِي مُهِمٍّ
فَأَضَحْتَ مِصْرَ تُجَلَّى فِي ثِيَابِ الدِّ
مَتَى سَمِعَ التَّدَامِي عَنْكَ ذِكْرًا
وَلَا يَتَغَزَّلُونَ بِذِكْرِ سَلَمِي
[٤٠] وَمَنْ أَضْعَى لِمَدْحٍ فِيكَ يَتْلَى
وَقَدْ عَطَفَ الزَّمَانُ عَلَى بَيْنِهِ
وَقَدْ نَفَقَتْ بِضَائِعُ كُلِّ عِلْمٍ
فَحُزْ مِصْرًا وَقُلْ حَمْدًا لِرَبِّ
وَحَقِّ مَكَارِمِ أَوْ لَيْتَنِيهَا
لَقَدْ طَابَتْ بِظِلِّكَ لِي حَيَانِي
فَلَا زَالَتْ سُعُودُكَ فِي صُعودٍ
وَنِلْتَ مُنَاكَ مَا زَهَرَتْ نُجُومٌ

٢١ * أبو بكر بن محمد بن سلمان (٣) :

القاضي البليغ ، بهاء الدين بن القاضي شمس الدين ابن غانم ، كاتب السُّرِّ
الشريف بصفد وبطرابلس المحروستين .

● كُتِبَتْ إِلَيْهِ وَأَنَا ضَعِيفٌ بِصَفَدِ المحروسة ، سنة ٧٢٤ : [من البسيط]

(١) سقط البيت من س .

(٢) في ب : × القيامة .

(٣) ترجمته في : أعيان العصر ٥/٢ والوافي بالوفيات ٢٥٣/١٠ وتذكرة النبيه ٢٦٠/٢ والدرر الكامنة ٤٥٨/١ .

- وفاته سنة ٧٣٥ هـ .

- في أ ، ب ، س : أبو بكر بن محمد بن غانم . وفي م : أبو بكر محمد بن غانم .

يَا سَيِّدًا بِأَسْأَلُهُ فِينَا وَنَائِلُهُ
هَذَا السَّقَامُ الَّذِي مَا كُنْتُ أُؤْثِرُهُ
إِلَّا إِذَا مَا غَدَا فِي أَعْيُنِ الْعَيْنِ
أَوْ خَضِرَ هَيْفَاءَ يَبْرِينِي تَلَفْتُهَا
أَوْ نَسَمَةٍ خَطَرْتُ مِنْ رَمَلٍ يَبْرِينِ
أَمَا وَقَدْ عَاثَ فِي جِسْمِي السَّقَامُ فَلَا
إِذْ كُلَّمَا قُلْتُ عَافَانِي يُعَفِّنِي
يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، صَرَفَ اللَّهُ الصُّرُوفَ عَنْ جِمَاهَا ، وَحَفِظَ سَاحَتَهَا مِنَ الْغَيْرِ
وَحَمَاهَا ، وَجَعَلَ حَرَمَهَا لِأَوْلِيَائِهَا عُوذَةً مِنَ الْأَسْوَاءِ ، فَإِذَا قَبِلَتْهُ شِفَاهُ مَرْضَاهَا
شِفَاهَا شَفَاهَا .

ويُنْهِي ، لا بل يشكو حاله التي ليس له منها بَدَلٌ ، وآلامه التي كَلَمَتْ أَعْضَاءَهُ
وَلَمْ يُطِقْ جَلْدَهُ قَطَعَ ذَلِكَ الْجَدَلِ ، وَحُمَاهُ الَّذِي يَلْدَعُهُ مِنْهَا عَقْرَبٌ وَتَرْمِيهِ قَوْمٌ ،
فَلَيْتَ جِسْمَهُ مَعَ ذَاكَ حَمَلٌ ، وَاتَّصَلَ عِزْقِ عَرَقِهَا الَّذِي لَا يُقَالُ مَعَهُ : سَأُوِي مِنْ
جَمِيلِ الصَّبْرِ إِلَى جَبَلٍ (١) : [من الوافر]

إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَلْتَنِي كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامٍ
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاثَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
وَيَعْجُزُ الْمَمْلُوكُ عَنْ وَضْفٍ مَا حَصَلَ لِرَأْسِهِ مِنَ الصُّدَاعِ وَلِجِسْمِهِ مِنَ
الصُّدُوعِ ، وَلِأَمَالِهِ الْمُعَلَّقَةِ مِنَ الْقَطْعِ ، وَلِحِظِّهِ مِنَ الْقُطُوعِ ؛ وَمَا أَطْلُ مَوْلَانَا
تَرَكَ الزِّيَارَةَ إِلَّا لِعِلْمِهِ أَنَّ الْمَمْلُوكَ بَسَطَ جِسْمَهُ لِنَعْلِهِ وَهُوَ لَا يَمُشِي عَلَى غَيْرِ
الصَّحِيحِ ، وَلَمْ يُسْمِعْ نَقْلَ الرِّيَّاحِ الْهَابَةِ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الشَّاءِ ، لِأَنَّهُ لَا يَقْنَعُ مِنْ
الْمَوَدَّةِ بِالرَّيْحِ ، وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ بِبِرَكَةِ سَلَفِهِ ، وَرَقَى قَلَمِهِ فِي عَاقِبَةِ الْعَاقِبَةِ ،
وَعَوْدِ الصَّحَّةِ الَّتِي عَوَّدَ لِبُسِّ بُرُودِهَا الضَّافِيَةِ ، وَوَرَدِ مَنَاهِلِهَا الضَّافِيَةِ .

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من المتقارب]

(١) البيتان للمتنبي ، في ديوانه ١٤٦/٤ .

وَقَفْتُ عَلَى دَوْحَةٍ أَيْتَعَتْ رِياضُ غُلَاهَا بِغَزَسِ الْعُلُومِ
سَمَا لَفْظُهَا عَنْ نَسِيمِ الصَّبَا وَزَهَرِ الرِّيَاضِ وَزَهَرِ الثُّجُومِ
وَقَدْ بَشَّرْتَنِي بِأَنْ الشِّفَاءَ بِلُطْفِ الرَّحِيمِ سَرِيعِ الْقُدُومِ
يُقْبَلُ كَذَا ، مَتَّعَ اللَّهُ بِفَضَائِلِهَا الَّتِي رَقَّتْ وَرَاقَتْ لَفْظًا وَمَعْنَى ، وَبَيَّادِيعِهَا
الَّتِي سَرَّتِ الْأَبْصَارَ وَالْمَسَامِعَ رَوْنَقًا وَحُسْنًا ، حَلَّتْ حِينَ تَحَلَّتْ بِدُرَرِ
الدَّرَارِي ، وَجَلَّتْ حِينَ تَجَلَّتْ فِي حُلَلِ فَضْلِهَا السَّهْلِ الْمُتَمَنِّعِ عَلَى السَّامِعِ
وَالْقَارِي فَتَمَتَّعَ بِمَحَاسِنِهَا وَتَمَلَّى ، وَتَلَا عِنْدَ مُعَايَنَةِ خَطِّهَا وَخِطَابِهَا ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا
يَغْشَى﴾ (١) ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل : ١ - ٢] وَبَشَّرَهُ بِشَرِّهَا (١) بِقُدُومِ الْعَافِيَةِ ، وَسَرَّهُ حَالُ
فِكْرِهَا الَّذِي لَا بَدَلَ لِقَدِيمِ خَبَرِهَا الْمَرْفُوعِ عَنْ حَافِظِ تِلْكَ [٤٠ ب] الْمُقَدَّمَةِ
الْكَافِيَةِ .

فَلَوْ تَتَوَجَّعَتِ الثُّرَيَّا بِأَكَالِيلِ الْبَهَاءِ ، وَرَقَّتْ عَلَى فَرْقِ الْفَرْقِدِ ، لَكَانَتْ عِنْدَ
نِظَامِ دُرِّهَا كَالشَّهَى ، وَلَوْ حَمَلَ مِيزَانَ الْبِرَاعَةِ أَسَدُ الْبِرَاعَةِ لَدُهِشَ مِنْ حُسْنِ
صِنَاعَةِ صِبَاغَتِهَا وَسَهَا ؛ فَيَا لَهَا مِنْ رَوْضَةِ عَذْبَةِ الْمَجَانِي ، وَدَوْحَةِ جَنَى مِنْ
غَرْسِهَا ثَمَرَ الْأَمَانِي ، وَحَدِيقَةِ سَرَاحَتِ الْعُيُونِ فِي لُطْفِ رَوْنَقِهَا حِينَ شَرَحَتْ
الصُّدْرَ بِحُسْنِ مَنْطِقِهَا .

وَكَانَ نَتِيجَةَ هَذِهِ الْمُقَدَّمَةِ تَحْصِيلُ الشُّرُورِ وَالتَّهَانِي ، وَنُزْهَةُ أَبَدَتْ مِنْ
شِعْرِهَا حِكْمَةً وَمِنْ بَيَانِهَا سِحْرًا ، قَدْ اشْتَمَلَا عَلَى أَحْسَنِ الْأَلْفَافِ وَالْمَعَانِي ؛
وَاللَّهُ يُوضِّحُ بِفَضَائِلِهِ إِلَى الْمَعَالِي سَبِيلًا ، وَيَجْعَلُ لَهُ حِزْرَ السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ عَلَى
الدَّوَامِ خَلِيلًا .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ طَرَائِلُسِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِدَمَشَقِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَقَدْ

(١) فِي س : بَرَّهَا

انْقَطَعَتْ عَنْهُ مَكَاتِبَاتِي (١) : [مَنْ السَّرِيع]

سُبْحَانَ مَنْ غَيَّرَ أَخْلَاقَ مَنْ أَحْسَنَ فِي حُسْنِ الْوَفَا مَذْهَبًا
كَانَ خَلِيلًا فَعَدَا بَعْدَ ذَا لَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا طُقُصًا
وَكَتَبَ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ فِي ذَيْلِ ثَلَاثَةِ أَوْصَالٍ بَيْنِي وَجَهَّزَهَا إِلَيَّ ، وَلَمْ يَكْتُبْ
غَيْرَهَا .

وَهَذَا طُقُصًا كَانَ شَائِبًا حَسَنًا نَجْتَمِعُ بِهِ ، وَلَهُ عَمَّ أَسْوَدُ يُدْعَى خَلِيلًا وَكُنَّا
نُكْرَهُهُ ، فَعَرَّضَ بِذَلِكَ (٢) .

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ (٣) : [مَنْ السَّرِيع]

يَا بَاعِثَ الْعَثَبِ إِلَى عَبْدِهِ وَمَا كَفَاهُ الْعَثَبُ أَوْ نَدَبًا
وَمُذَكِّرِي عَهْدًا لَيْسَنَّا بِهِ ثَوْبَ سُرُورٍ بِالْبَهَا مُذْهَبًا
مَرًّا فَلَمْ يَخْلُ لَنَا بَعْدَهُ عَيْشٌ وَلَمْ نَلَقِ الْهَوَى طَيِّبًا
مَا كُنْ لِي ذِي وَدٍّ خَلِيلٌ وَلَا كُلُّ مَلِيحٍ فِي الْوَرَى طُقُصًا
فَحَبَّذَا تِلْكَ اللَّيَالِي الَّتِي كَمْ يَسَّرَ اللَّهُ بِهَا مَطْلَبًا
مَا أَحَدٌ فِي مِثْلِهَا طَامِعٌ هَيْهَاتَ فَاتَتْ فِي الْمُنَى أَشْعَابًا

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي - بَعْدَ دُعَاءٍ يَرْفَعُهُ فِي كُلِّ بُكْرَةٍ وَأَصِيلٍ ، وَوَلَاءٍ
حَصَلَ مِنْهُ النَّعِيمُ الْمُقِيمُ ، وَلَا يَقُولُ : وَقَعَ فِي الْعَرِيضِ الطَّوِيلِ ؛ وَثَاءً إِذَا مَرَّ
فِي الرِّيَاضِ النَّافِحَةِ صَحَّ بِهِ أَنْ نَسِيمَ السَّحَرِ عَلِيلٌ ؛ وَحِفَافٌ وَدٌّ يَتَمَنَّى كُلُّ مَنْ

(١) الْبَيْتَانِ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالْوَافِي وَالْغَيْبِ الْمَسْجُومِ ١٧٦/٢ .

(٢) قَالَ الْمُؤَلَّفُ فِي مَصْدَرِي الْخَيْرِ : أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَمْرِ طُقُصًا الْمَذْكُورِ ، وَكَانَ لَهُ عَمَّ أَسْوَدُ زَوْجُ أُمِّهِ
يَدْعَى خَلِيلًا ، وَكَانَ يَنْغُصُ عَلَيْنَا الْاجْتِمَاعَ بِحَضُورِهِ ؛ وَلَمَّا كَتَبَ هَذِهِ كَانَ طُقُصًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ
تَوَفَّى بِصَفْدٍ مِنْ مَدَّةٍ ، فَحَسُنَ لَذَلِكَ إِبْرَازُ الْبَيْتَيْنِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ .

(٣) الْجَوَابُ بِشِعْرِهِ وَنَثَرَهُ فِي الْأَعْيَانِ وَالْوَافِي وَالْغَيْبِ الْمَسْجُومِ ١٧٧/٢ .

جالسَهُ لو كَانَ لَهُ مِثْلُ الْمَمْلُوكِ خَلِيلٍ - وَرُودَ الْمِثَالِ الْكَرِيمِ ، فَقَابَلَ مِنْهُ الْيَدَ الْبَيْضَاءَ ، بَلِ الدَّيْمَةُ الْوُطْفَاءُ ، بَلِ الْكَاعِبُ الْحَسَنَاءُ ، وَتَلَقَّى مِنْهُ طُرَّةَ صُبْحٍ لَيْسَ لِلدُّجَى عَلَيْهَا أَذْيَالٌ^(١) ، وَغُرَّةَ نُجَجٍ مَا كَدَّرَ صَفَاءُهَا خَيْبَةُ الْآمَالِ ، فَلَوْ كَانَ كُلُّ وَارِدٍ مِثْلَهُ لَفُضِّلَ الْمَشِيبُ عَلَى الشُّبَابِ ، وَنَزَعَ الْمُتَصَابِي عَنْ التَّسْتِيرِ بِالْخِضَابِ ، وَرَفَضَ السَّوَادَ وَلَوْ كَانَ خَالاً عَلَى الْوَجْنَةِ ، وَعَدَّ الْمِسْكَ إِذَا دُرَّ عَلَى الْكَافُورِ هُجْنَةً ؛ وَأَيْنَ سَوَادُ الدُّجَى إِذَا سَجَى مِنْ بَيَاضِ النَّهَارِ إِذَا انْهَارَ ، وَأَيْنَ وَجَنَاتُ الْكَوَاعِبِ النَّقِيَّةِ مِنَ الْأَصْدَاغِ الْمُسَوَّدَةِ بِدُخَانِ الْعِذَارِ ؛ وَأَيْنَ نُورُ الْحَقِّ مِنْ ظُلْمَةِ الْبَاطِلِ ؛ وَأَيْنَ الْعِقْدُ الَّذِي كُلُّهُ دُرٌّ مِنَ الْعِقْدِ الَّذِي فِيهِ السَّبْجُ فَوَاصِلٌ ؟ يَا لَهُ مِنْ وَارِدٍ تَنْزَعُ عَنْ وَطْءِ الْأَقْلَامِ الْمُسَوَّدَةِ ، وَعَلَا عَنِ السُّطُورِ^(٢) الَّتِي لَا تَزَالُ وَجُوهُهَا بِالْمِدَادِ مُزَيَّنَةً ، حَتَّى جَاءَ يَتَلَأَلُ بَيَاضاً وَيَتَقَدُّ ، وَأَتَى يَنْهَادِي فِي النَّوْرِ الَّذِي تَعْتَقِدُ فِيهِ الْمَجُوسِيَّةُ مَا تَعْتَقِدُ .

وَلَكِنْ تَوَهَّمِ الْمَمْلُوكُ أَنْ تَكُونَ صُحُفُ الْوُدِّ أَمْسَتْ مِثْلَهُ عَفَاءً ، وَظَنَّ بِأَيَّاتِ الْعُهُودِ السَّالِفَةِ أَنَّ [١٤١] تَكُونَ مِثْلَ الْمُرَاسَلَةِ مِنَ الرُّقُومِ خَلَاءً^(٣) : [من الكامل]

لَوْ أَنَّهَا يَوْمَ الْمَعَادِ صَحِيفَتِي مَا سَرَّ قَلْبِي كَوْنُهَا بَيْضَاءَ
فَلَقَدْ سَوَّدَتْ حَالَ الْمَمْلُوكِ بَيَاضُهَا ، وَعَدِمَ مِنْ عَدَمِ الْفَوَائِدِ الْبَهَائِيَّةِ مَا كَانَ يُغَازِلُهُ مِنْ صَحِيحَاتِ الْجُفُونِ وَمِرَاضِهَا .

يَا عَجَباً مِنْ مَوْلَانَا كَيْفَ اتَّخَذَ هَذَا الصَّامِتَ رَسُولاً بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْرَةِ ، وَكَيْفَ

(١) من مقصورة ابن دريد : [شرح التبريزي ١٣]

إِسْمَاتُ رَاسِي حَاكِي لَوْنُهُ طُرَّةَ صُبْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى
(٢) فِي م : الطُّرُوس .

(٣) الْبَيْتُ لَشَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ ، الْمَعْرُوفِ بِالتَّلْعَفَرِيِّ ، فِي دِيَوَانِهِ ١٣٤ وَالْغَيْثُ الْمَسْجُومُ ١٧٦/٢ .
وَرَوَاتِهِ فِي م : × أَنَّهَا بَيْضَاءُ .

رَكَنَ إِلَيْهِ فِي إِبْلَاحٍ مَا فِي صَمِيرِهِ وَلَمْ يُحْمَلْهُ مِنْ دُرِّ الْكَلَامِ ذَرَّةً ، وَكَيْفَ أَهْدَى عُرُوسَ تَحِيَّتِهِ وَلَمْ يُقْلِدْهَا مِنْ كَلَامِهِ بِشَذَرَةٍ ؛ وَمَا أَحَقَّ تِلْكَ الْأَوْصَالَ الْوَارِدَةَ بِلَا إِفَادَةٍ ، الْجَائِدَةَ بِزِيَارَتِهَا الَّتِي خَلَّتْ مِنَ الْجُودِ بِالسَّلَامِ ، وَإِنْ لَمْ تُخَلِّ زُورَتِهَا مِنَ الْإِجَادَةِ ، أَنْ يُنْشِدَهَا الْمَمْلُوكُ قَوْلَ الْبُحْتَرِيِّ أَبِي عُبَادَةَ^(١) : [من الكامل]

أَخْجَلْتَنِي بِنَدَى يَدَيْكَ فَسَوَّدَتْ مَا بَيْنَنَا تِلْكَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ
وَقَطَعْتَنِي بِالْوَصْلِ حَتَّى إِنَّنِي مُتَخَوِّفٌ أَنْ لَا يَكُونَ لِقَاءُ
وَمَا نَطَقَ هَذَا الْوَارِدُ إِلَّا بِالْعِتَابِ مَعَ مَا نَذَرَ وَنَذَبَ ، وَأَبْدَى غَيْرَ مَا قَوَّرَهُ مِنَ الْإِهْمَالِ وَقَرَّبَ : [من الطويل]

عَلَى كُلِّ حَالٍ أُمُّ عَمْرٍو جَمِيلَةٌ وَإِنْ لَبِسَتْ خُلْفَانَهَا وَجَدِيدَهَا
وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ الْمَمْلُوكِ فِي خَاطِرِ مَوْلَانَا الْكَرِيمِ ، وَطَافَ مِنْ حُنُوِّهِ طَائِفٌ عَلَى الْمَوَدَّةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ؛ وَإِذَا كَانَ الشَّاعِرُ قَدْ قَالَ : [من مجزوء الكامل]

وَيَذُلُّ هَجْرُكُمْ عَلَيَّ أَنَّنِي خَطَرْتُ بِبِالِكُمْ
فَكَيْفَ بِمَنْ دَخَلَ ذِكْرُهُ الضَّمِيرَ وَخَرَجَ ، وَذَكَرَ ثُمَّ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عِوَجٍ ،
وَمَا اسْتَحَفَّ بِي مَنْ أَمَرَنِي ، وَمَنْ ذَكَرَنِي فَمَا حَقَّرَنِي ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ حَيَاتَهُ
الَّتِي هِيَ الْأَمَانُ وَالْأَمَانِي ، وَيُمْنَعُ بِالْفَاطِمَةِ الْفَرِيدَةِ الَّتِي هِيَ أَطْرَبُ مِنَ الْمَثَالِثِ
وَالْمَثَانِي ؛ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ^(٢) : [من السريع]

يَا هَاجِراً مَنْ لَمْ يَزَلْ قَلْبُهُ إِلَيْهِ مِنْ دُونِ الْوَرَى قَدْ صَبَا

(١) دِيَوَانُ الْبُحْتَرِيِّ ٢١/١ - ٢٢ .

(٢) الْجَوَابُ شِعْرُهُ وَنَثَرُهُ ، فِي الْأَعْيَانِ وَالْوَافِي .

أَرْسَلَتْ مِنْ بَعْدِ الْجَفَا أَسْطُورًا أَرْقَصَ مِنْهَا السَّمْعَ مَا أَطْرَبَا
شَفَتْ فُؤَادًا شَقَّهُ وَجَدُهُ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَادَ أَنْ يَذْهَبَا
قَالَ لَهَا الْعَبْدُ وَقَدْ أَقْبَلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ يَا مَرْحَبَا
أَحْلَهَا قَلْبًا صَحِيحَ الْوَلَا مَا كَانَ فِي صُحْبِهَا قَلْبًا
وَلَا نَسِيَ عَهْدَ خَلِيلٍ لَهُ قَدِيمَ عَهْدٍ كَانَ مَعَ طُقُصْبَا
قَبْلَ مَوَاقِعَ تِلْكَ الْأَنَامِلِ الَّتِي يَحْنُ إِلَيْهَا^(١) ، وَاقْبَلِ بِالْإِنْبَالِ تِلْكَ
الْفَضَائِلَ الْمَخْصُوصَةَ بِالتَّفْضِيلِ ، وَقَابَلْهَا بِالثَّنَاءِ الَّذِي إِذَا مَرَّ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ جَرَّ
عَلَيْهِ مِنْ كَمَائِمِ كُمِّهِ فَضْلَ الْمُنْدِيلِ ، وَتَأَمَّلْهَا بِطَرْفٍ مَا خَلَا مِنْ تَصَوُّرٍ مَحَاسِنِ
صَدِيقٍ ، وَلَا أَحَلَّ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ^(٢) مِنَ التَّلَفُّتِ إِلَى مَوَدَّةِ خَلِيلٍ ، وَشَاهَدَ مِنْهَا
الرَّوْضَةَ الْغَنَاءَ ، بَلِ الدَّوْحَةَ الْفَيْحَاءَ ، بَلِ الطَّلْعَةَ الْغَرَاءَ ، فَوَجَدَهَا قَدْ تَسَرَّيَلَتْ
مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيعِيَّةِ بِأَحْسَنِ سِرْبَالٍ ، وَتَحَلَّتْ مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيعَةِ بِمَا هُوَ أَخْلَى
فِي عَيْنِ الْمُحِبِّ الْمَهْجُورِ وَقَلْبِهِ مِنْ طَيْفِ الْخَيَالِ ؛ لَكِنَّ مَوْلَانَا غَابَ عَنْ مُجِبِّهِ
غَيْبَةً مَا كَانَتْ فِي الْحِسَابِ ، وَهَجَرَهُ وَهُوَ مِنْ خَاطِرِهِ بِالْمَحَلِّ الَّذِي كَانَ يَظُنُّ^(٣)
أَنَّهُ إِذَا نَادَاهُ بِالْأَشْوَاقِ أَجَابَ ، وَاتَّخَذَ بِدَعَةِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْقَائِمِ بِغَرَضِ الْوَلَاءِ
سُنَّةً ، وَاشْتَغَلَ عَمَّنْ لَهُ عَيْنٌ رَضِيَ عَنْ نِسْيَانٍ مَا مَضَى كَلِيلُهُ [ب ٤١] بِدِمْنَةٍ ،
فَخَشِيَ الْمَمْلُوكُ مِنْ تَطَاوُلِ الْمُدَّةِ ، وَخَامَرَ قَلْبَهُ^(٤) ، تَقَلُّبَاتُ الْأَيَّامِ فَخَافَ أَنْ تَبْقَى
أَسْبَابُ الْمُقَاتَلَةِ مُمْتَدَّةً ، وَوَيْقُ^(٥) بِمَا تَبَيَّنَ مِنْ حُسْنِ الْوَفَاءِ وَيُعْتَقَدُ ، فَاقْتَضَى
حُكْمُ التَّذْكَارِ لُطْفَ الْإِخْصَارِ ، تَوَصُّلاً إِلَى تَقْقُدِ التَّوَدُّدِ ، وَمِنْ عَادَاتِ السَّادَاتِ

- (١) فِي ب ، س : الَّتِي يَحْنُ لَهَا .
(٢) « عَلَيْهِ » سَاقِطَةٌ مِنْ أ ، م .
(٣) فِي م : يَظُنُّ بِهِ أَنَّهُ .
(٤) فِي م : وَجَاشَ قَلْبَهُ .
(٥) فِي س : وَوَقَّ .

أَنْ تَفْتَقِدَ ، بِذِكْرِ أَيَّامٍ خَلَتْ مَسْرَّةً وَهَنَاءً ، وَلَيَالٍ أَخْلَى مِنْ سَوَادِ الشَّبَابِ أَوْلَتْ
بِوِصَالِ الْأَخْبَابِ الْيَدَ الْبَيْضَاءَ : [مِن الْكَامِلِ]

لَوْ أَنَّ لَيَلَاتِ الْوِصَالِ يُعْذَنَ لِي كَانَتْ لَهَا رُوحُ الْمُحِبِّ فِدَاءً
فِي لَهَا مِنْ مَلِيحَةٍ أَقْبَلْتُ بَعْدَ إِعْرَاضِهَا ، وَلَطِيفَةٍ رَمَقَتْ بِإِيمَاءِ جَفْنِ
مُوَاصَلَتِهَا وَإِيمَاضِهَا ، وَبَدِيعَةٍ اسْتَخْرَجَ غَوَاصُ مَعَانِيهَا مِنْ بَحَارِ مَعَالِيهَا كُلِّ
دُرَّةٍ ، وَصَنِيعَةٍ أَبَدَتْ نِظَامَ لَالِيهَا مِنْ غَرَرِ أَيَادِيهَا أَجْمَلَ غُرَّةٍ ، وَرَفِيعَةٍ جَدَّدَتْ
الشُّرُورَ ، وَشَرَحَتْ الصُّدُورَ ، فَعَلَتْ - بِمَا فَعَلَتْ - إِكْلِيلَ الْمَجَرَّةِ ، وَمُتَطَوَّلَةَ
رَغَبِ الْمُقْصَرِّ فِيمَا يَخْتَصِرُ وَحَبِيبَتْ ، وَمُتَفَضِّلَةَ قَضَتْ بِحَقِّ تَفْضِيلِهَا عَلَى
مَا سَبَقَ وَإِنْ كَانَ وَأَوْجَبَتْ : [مِن الطَّوِيلِ]

مَوَدَّتُهَا فِي مُهْجَتِي لَا يُزِيلُهَا بَعَادٌ وَلَا يُبْلِي الزَّمَانُ جَدِيدَهَا
وَاللَّهُ تَعَالَى يَشْكُرُ مَا حَوَاهُ مِنْ فَضْلِ هَذِهِ الْمَعَالِي وَالْمَعَانِي ، وَيُمْنِعُ
بِفَضَائِلِهَا الَّتِي تُغْنِي أَغَانِيهَا فِي مَعَانِيهَا عَنِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَأَخْبَرَنِي يَوْمًا أَنَّهُ زَارَ قَبْرَ طُقُصْبَا الْمَذْكُورِ ، فَوَجَدَ قَبْرَهُ قَدْ نَبَتَ بِهِ أَنْوَاعٌ
مِنَ الزَّهْرِ ، وَطَلَبَ مِنِّي نَظْمَ شَيْءٍ فِي ذَلِكَ ، فَأَنْشَدْتُهُ^(١) : [مِن الطَّوِيلِ]

بِنَفْسِي حَبِيبًا قَبْرُهُ رَاحَ رَوْضَةً خَمَائِلُهَا مَسْرُوقَةٌ مِنْ مَخَائِلِهِ
دَرَى أَنَّهُ لَا صَبْرَ لِلنَّاسِ بَعْدَهُ فَأَهْدَى لَهُمْ أَنْفَاسَهُ فِي شَمَائِلِهِ

● وَأَنْشَدْتُهُ أَيْضًا^(٢) : [مِن الْبَسِيطِ]

- (١) الْخَبَرُ وَالْبَيْتَانِ فِي الْأَعْيَانِ وَالْوِثَاقِ .
(٢) الْبَيْتَانِ فِي الْأَعْيَانِ وَالْوِثَاقِ .

لا تُنْكِرُوا زَهْرًا مِنْ حَوْلِ تُرْبَتِهِ
هَذِي مُحَاسِنُ ذَاكَ الْوَجْهِ غَيْرَهَا

● وَأَنشُدْهُ أَيْضًا^(٢) : [من البسيط]

أَفْدِي حَبِيبًا غَدَا فِي الثُّرْبِ مَضْجَعُهُ
تَحْكِي نُجُومَ السَّمَاءِ أَزْهَارُ تُرْبَتِهِ

٢٢ * أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُثْمَانَ^(٤) :

الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الصُّوفِيُّ ، عُرِفَ بِابْنِ الْعَجَمِيِّ .

● كَتَبَ إِلَيَّ : [من الكامل]

مَا لِي عَلَى جَوْرِ الْهُمُومِ نَصِيرُ
مَشْمُولَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَنْقُضِي
طَابَتْ شَذَا فَعَبِيرُهَا بِالشُّكْرِ فِي
أَذْكَى الْمِزَاجِ لَهَيْتِهَا فَعَجِبْتُ مِنْ
لَوْ لَمْ يُجِدْ نَسْجُ الْحَبَابِ شَبَاكُهَا
قَدْ لَقَّبُوهَا بِالْعَجُوزِ ذَوِ الْحِجَا
مُذْ غُبْتُ عَنْ وَجْدِي وَتَهْتُ بِسُكْرَتِي
وَافِي بِهَا فَرَأَيْتُ شَمْسًا فِي يَدَيَّ

(١) في م : . . . من فوق تُرْبَتِهِ × .

(٢) البيتان في الأعيان والوافي .

(٣) وسقط ما بعد ذلك من س حتى ترجمة حسن بن جعفر الفاضل ، الآتي برقم ٢٥ .

(٤) ترجمته في : الدرر الكامنة ٤٤٨/١ ودرر العقود الفريدة ١٥١/١ نقلًا وتاريخ ابن قاضي شعبة ٤٨٤/٣ والنجوم الزاهرة ١٣٥/١٢ والدليل الشافعي ٨١٧/٢ ونزهة النفوس ٣٦٨/١ .

- وفاته سنة ٧٩٥ هـ . وولادته قبل ٧٢٠ هـ .

(٥) في ب : . . . فعبيرها بالمسك في × .

(٦) الخيزور : الخيزران .

يَخْتَالُ كَالْغُضَنِ النَّصِيرِ وَمَا لَهُ
إِنْ ظَلَّ مِنْهُ الْخَدُّ سَهْلًا فَالْجَنَّا
أَلِفَ الثُّفَارِ فَلَامَ فِيهِ عَاذِلِي
عَجَبًا لِعُضْنِ قَوَامِهِ ، كُلُّ الْوَرَى
وَكَذَاكَ نَضْرَةُ طَرْفِهِ وَنَشَاطُهُ
حُصِرَتْ مَعَانِي الْحُسْنِ فِيهِ كَمَا غَدَتْ
الْعَالِمُ الْحَبْرُ الْكَرِيمُ الْأَرِيحِي
مَوْلَى يَرَى مَا قَدْ حَوَاهُ جَمِيعُهُ
وَكَذَاكَ خَطْبُ الدَّهْرِ يَضْغُرُ عِنْدَهُ
مَا إِنْ يُرَى فِي دَهْرِهِ مُتَظَلِّمٌ
عَدَلًا وَجُودًا بَاعَ كِسْرَى عَنْهُمَا
حَازَ الْأَثَالَ وَالْمَنَابِيَا وَالْكَرِيدَ
لُطْفًا يَذُوبُ الصَّخْرُ مِنْهُ وَعَزْمَةً
خَجَلَتْ لَدَيْهِ الشُّحْبُ لَمَّا أَفْلَعَتْ
فَكَأَنَّ بَارِقَهَا لَهَيْبٌ فِي الْحَشَا
فَيْسَارُهُ يُمْنَى الْغَمَامِ لِمُجْدِبِ
لَا الْعُذْرَ يَذْرِيهِ سِوَى بَعْدِ الْعَطَا
وَافِي السَّمَاحِ مَسْنُوحُهُ فَأَعَادَهُ
وَلَقَدْ أَتَى حِينَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ

فِي حُسْنِهِ فِي الْعَالَمِينَ نَظِيرُ
مِنْهُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ عَسِيرُ
فَأَجَبْتُهُ إِنْ الْغَزَالَ نَفُورُ
[١٤٢] بِالْعَدْلِ قَدْ وَصَفُوهُ وَهُوَ يَجُورُ
وَالِيهِ تُعْزَى كَسْرَةٌ وَقُتُورُ
ذَاتُ الصَّلَاحِ بِهَا الشَّنَا مَخْصُورُ
يُ الْأَلَمَعِيُّ الْبَارِعُ النَّحْرِيرُ^(١)
لِلسَّائِلِينَ بِأَنَّهُ مَخْفُورُ
وِيرَاهُ سَهْلَ الدَّفْعِ وَهُوَ خَطِيرُ
أَبْدًا وَلَا يَبِينُ الْأَنَامُ فَقِيرُ
قَدَمًا وَقَيْصَرَ عَاجِزٌ وَقَصِيرُ
مُ عَلَى الْإِرَادَةِ وَالزَّيْدِي مَقْطُورُ^(٢)
جَمَدَ الزُّلَالِ لَهَا وَكَادَ يَغُورُ
وَنَدَاهُ فِي طُولِ الزَّمَانِ غَزِيرُ
مِنْهَا وَصَوْتُ الرَّغْدِ مِنْهُ زَفِيرُ
وَيَمِينُهُ فِيهَا الْيَسَارُ يَسِيرُ
وَالْعَفْوُ إِلَّا وَهُوَ ثَمَّ قَدِيرُ
خَلَقًا جَدِيدًا زَنْبُهُ مَخْفُورُ
شَيْئًا يُظَنُّ بِأَنَّهُ مَذْكُورُ

(١) في م : . . . الحبر الهمام . × .

(٢) الأثال : المجد والشرف . (القاموس) . وفي ب : حاز المعالي . × . وفي م : حاز

الأماني . × .

أَفْنَى وَأَغْنَى مُوقِعاً وَمُوقِعاً
بِأَنَامِلٍ فِي الطَّرْسِ شَاهِدَنَا التَّدْيِ
إِنْ سَطَرَتْ بَلْ طَرَسَتْ بَلْ طَرَزَتْ
حُرُّ الْمَقَالِ عَيْنِدُ بَغْضِ عَيْنِدِهِ
بِسَجِيَّةٍ يَهْدِيهِ وَاضِحُ نُورِهَا
وَمَهَابَةٌ لَوْلَا طَلَاقَةُ بَشِيرِهِ
يُزْجِي وَيُخْشَى وَغَدُهُ وَوَعِيدُهُ
سَاسَ الْمَمَالِكِ فَانْتَشَتْ مَخْفُورَةٌ
فَكَأَنَّهُ وَالِدُهُ مِنْ خُدَامِهِ
مِنْ مَعَشَرٍ إِنْ سُوِّجِلُوا أَوْ جَوَّلُوا
لِلْمُجْتَرِي وَالْمُجْتَدِي وَالْمُجْتَلِي
كَمْ قَدْ تَرَاوَجَ فِي سَمَاءِ سُمُومِهِمْ
فَارْتَدَّ مُتَقَلِّباً كَلِيلًا خَاسِئاً
عَايَنْتُ فِي طُرُقِ الْعُلَى مُذْ جَاذَهَا
وَجَلَبْتُ حِينَ وَرَدْتُ بَحْرَ نَوَالِهِ
سَبَتْ الصَّبَا لُطْفاً وَصَحَّتْ فَالْصَّبَا
أَجْرَيْتُهَا عَرِيَّةً لِحَوَادِهِ
قَدْ زَانَهَا طُولٌ وَفِي أَيْتَانِهَا
مَنْ لَيْسَ يَخْضُرُ وَضَفَهُ إِنْ قَصَّرَتْ
وَلَيْنَ قَصَّرَتْ أَوْ اقْتَصَرَتْ فَلِإِنِّي
وَبِعَذْرِهِمْ لَمْ يَظْفَرُوا بِمِثَالِهِ
فِيهِ سَمَا شِعْرِي سُمُوءاً لَيْسَ لِلشِّ

فَالْعَزْمُ نَارٌ وَالنَّوَالُ بُحُورُ
مِنْهَا عَلَى الْأَوْرَاقِ كَيْفَ يَسِيرُ
طَرْساً يَرَاعَتْهُ عِلَاةُ الثُّورِ
وَلِشَاوِهِ لَمْ يَجِرْ قَطُّ جَرِيرُ
أَنْتَى دَجَتْ يَوْمَ الْهِيَاجِ أُمُورُ
فِي الدَّسْتِ طَاشَ إِذَا رَأَهُ وَقُورُ
كَالشُّخْبِ فِيهَا رَحْمَةٌ وَثُبُورُ
إِذْ زَانَهَا مِنْ رَأْيِهِ التَّذْيِيرُ
يَجْرِي بِمَا يَخْتَارُهُ الْمَقْدُورُ
ذَلَّ النَّضَارُ وَعَزَّ ثَمَّ نَظِيرُ
حَزْبٌ وَبَحْرٌ عِنْدَهُمْ وَبُدُورُ
بَصَرَ وَمَا فِيهَا لَدَيْهِ فُطُورُ
كَمَدَا إِلَى أَهْلِيهِ وَهُوَ حَسِيرُ
دُرُّ الدَّرَارِي عَقْدُهُ مَثُورُ
أَيْتَامٌ دُرٌّ ضِدُّهَا الْمَقْهُورُ
مُغْتَلَّةٌ وَلَهَا الْغَدَاةُ هَرِيرُ
عِلْماً بِأَنْ نِتَاجَهُ التَّيْسِيرُ
عَنْ حَضَرٍ أَوْصَافِ الصَّلَاحِ قُصُورُ
عَنْهُ قَصِيدِي إِنَّنِي مَعْدُورُ
بِمَدِينِهِ لِلْسَّالِفِينَ أَخِيرُ
بَخْرٌ لَنَا مِنْ دُرِّهِ التَّخْيِيرُ
شِعْرِي الْعَبُورِ عَلَى عِلَاةِ عُيُورُ

وَنَشَرْتُ حَمْداً فِيهِ يُحَمِّدُ نَشْرُهُ
يُضْيِي الصَّبَا وَيَرَى الْقَبُولَ قَبُولُهَا
يَا مَنْ بِهِ دَسْتُ الرِّئَاسَةَ قَدْ زَهَا
إِنْ شَرَقْتُ يُنْمَاكَ فَايَ بَلْثَمِهَا
دُمَ بِالْمَعَالِي سَاعِياً أَوْ بِالْمَسَا
لَا زِلْتَ بِالْجَدِّ السَّعِيدِ تَقُورُ بِالشِّ
وَلَيْهِنَ دَهْرًا أَنْتَ مِنْ حَسَنَاتِهِ

فِي طَيْهِ طَيْبُ الشِّذَا مَثُورُ
لُطْفاً فَيَذِيرُ عَنْ ذِكَاةِ دَبُورُ
وَعَلَا ذَرَاهُ مِنَ السَّعَادَةِ نُورُ
[١٤٣] فَلَيْلِثَمَنْ يَمِينِي الْجُمُهورُ
عِي عَالِيَا فَبِذَاكَ أَنْتَ جَدِيرُ
سَعْدِ الْجَدِيدِ وَسَعْيِكَ الْمَشْكُورُ
يَا ابْنَ الْكِرَامِ فَذَنْبُهُ مَغْفُورُ

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه عن ذلك ارجعاً من رأس القلم : [من الكامل]

أَرِيَاضُ حَزَنِ نَبْتِهَا مَمْطُورُ
أَمْ هَذِهِ نَفَثَاتُ سِحْرِ قَاتِلِ
أَمْ هَذِهِ أَيْبَاتُ شِعْرِ نَظْمِهَا
وَنَعَمَ فَهَذَا نَظْمٌ مِنْ مَلَأَ الْمَلَا
مَعْنَى يَشْفُ ضِيَاؤُهُ وَعِبَارَةٌ
فَكَأَنَّمَا يَلُكُ الْقَوَافِي أَكْؤُسُ
وَكَأَنَّمَا الْأَلِفَاتُ أَغْصَانُ النُّقَا
وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الشُّطُورُ جَدَاوِلُ
أَكْرَمَ بِهَا مِنْ دَوْحَةِ أَغْصَانِهَا
وَنَسِيمُهَا فِي يَقْظَةٍ وَرَقِيهِهَا فِي
وَالظِّلُّ مَمْدُودُ الرِّوَاقِ بِرَبْعِهَا
لَوْ هَبَ أَيْسَرُ نَفْحَةٍ مِنْ تَرْبِهَا
لَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرُ مَذْحِ مُقْصَرِ
حَسْبِي بِهَا فِي خُلُوتِي لِي جَلُوءُ

وَنُجُومُ أَفْقِ ضَمَمِهَا الدَّيْجُورُ
لِلصَّبِّ حِينَ رَنْتَ إِلَيْهِ الْحُورُ
يُزْهِي فَيَخْجَلُ عِنْدَهَا الْمَثُورُ
فَضْلاً وَفَاضَتْ مِنْ لَهَاةِ بُحُورُ
مِنْهَا تَضَوُّعٌ فِي الزَّمَانِ عَيْرُ
بِالرَّاحِ قَدْ رَاحَتْ عَلَيَّ تَدُورُ
وَكَأَنَّمَا هَمْزَاتُهَا طُيُورُ
فِيهَا الْبَدِيعُ يَفُوحُ ثَمَّ يَقُورُ
مَزْفُوعَةٌ وَغَدِيرُهَا مَجْرُورُ
غَفْلَةٌ وَنَدِيمُهَا مَسْرُورُ
وَالْحُسْنُ فِي سَاحَاتِهَا مَقْصُورُ
لَأَفَاقَ مِنْ ذَاكَ الشِّذَا الْمَخْمُورُ
هُوَ مَعَ مَسَاوِي ذَاتِهِ مَشْكُورُ
إِنْ ضَمَّنِي ثُوبُ الدُّجَى الْمَزْرُورُ

لي من معانيها نديم مؤنس
أنا لا أقوم بشكر مهديها ولو
هيهات ذاك أمير نظم فائق
فإذا اجتهدت يكون غاية قدرتي
فليليك زين الدين معذرة امرئ
فالناس ما فيهم بفضل عالم
فالله يجعلني كما قد قلته
بجميع لذات الأنام بصير
فصرت عنه فإنتي معذور
ولوأوه من فوفنا منشور
أنني عل حسن الثناء قدير
في باع عند الجواب قصور
وبفضل نظمك يشهد الجمهور
وتروح أنت وذنبك المغفور

* * *

حَرْفُ الْجِيمِ

٢٣ * جواد بن سليمان بن غالب التَّنُوخِي^(١) :

الأمير الأجل ، عز الدين ، أمير الغرب .

● أهدى إلي شيتاً من طرائف الجبل وهدايا بيروت ، فكتبْتُ أنا إليه^(٢) :

[من السريع]

يا سيِّداً جاءتْ هداياهُ لي على المُنَى مِنِّي وَوَفَقَ المُرَادُ
أَنْتَ جَوَادُ سَابِقُ بِالنَّدَى مَنْ ذَا الَّذِي يُنْكِرُ سَبَقَ الجَوَادُ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ١٦٦/٢ والوافي بالوفيات ٢١٣/١١ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٨٣/٢ والذرة الكامنة ٥٤٠/١ والمنهل الصافي ٣١/٥ والدليل الشافي ٢٥٣/١ .
- مولده في ٧٠٥ هـ . ووفاته سنة ٧٥٨ هـ .

- أمير الغرب : يعني أمير بيروت . (ينظر تاريخ بيروت لصالح بن يحيى) .
(٢) الخبر والأبيات جميعاً في : أعيان العصر والوافي والمنهل الصافي ؛ والأول والثاني من أبيات المترجم في الذرة الكامنة .

● وكتبَ هو إليَّ جواباً^(١) [من البسيط]

وافي مثالك مطوياً على نزه يحارُ مسمعهُ فيها وناظره
فالعَيْنُ تَزْتَعُ فيما خطَّ كائنه والسَّمْعُ يَنْعَمُ فيما قالَ شاعره
وإنَّ وَقَفْتُ أمامَ الحَيِّ أنشده ودَّ الحَرَّاءُ لو تُقْنِي جواهره^(٢)

* * *

حَرْفُ الْحَاءِ

٢٤ * (حسن بن علي^(٣)) :

الشيخ بدر الدين العباسي ، المعروف بابن البنا .

● كتبَ إليَّ وأنا بحلب المحروسة ، في سنة تسع وخمسين وسبعمئة :

[من الكامل]

هِيَ مُقْلَةٌ إِنْ لَمْ تُعْنِكَ فَلَاحِهَا فَسَمَّاخُهَا بِالذَّمْعِ عَيْنُ فَلَاحِهَا
لِلظَّاعِنِينَ عَلَيْكَ حَقٌّ فَاقْضِهِ مِنْ عَبْرَةٍ وَقَفْتُ عَلَى سَفَاحِهَا
وَقَفْتُ صَبَاحُ أَمَامَ صُبْحِ رَحِيلِهِمْ فَغَنَيْتُ عَنْ مِصْبَاحِهِمْ بِصَبَاحِهَا

(١) الخبر والأبيات جميعاً في : أعيان العصر والوافي والمنهل الصافي ؛ والأول والثاني من أبيات المترجم في الذرة الكامنة .

(٢) في ب : لو تغني جواهره .

(٣) ترجمته في : تذكرة النبوة ٢٧٣/٣ والمتقى من ذرة الأسلاك ٣٦٥ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢٤٩/٢ وتعريف ذوي العلا ١٦١ والدليل على العبر ١٧٥/١ ولحظ الألفاظ ١٤٥ والذرة الكامنة ٢١/٢ والنجوم الزاهرة ٨٤/١١ والمنهل الصافي ١٠/٥ والدليل الشافي ٢٦٥/١ .

- وفاته سنة ٧٦٥ هـ . عن نحو سبعين سنة .

- هذه الترجمة ساقطة من أ ، س ، م . وهي من ب .

وَكَاَنَّ طَلَأً سَاقِطاً مِنْ دَمْعِهَا
وَكَاَنَّ رَاحاً مِنْ لَمَاهَا خَامَرَتْ
وَإِذَا الرِّيَاضُ زَهَتْ بِفَاجِرِ زَهْرِهَا
زُهِيتْ بِوَجْنَتِهَا وَوَزِدْ شَقِيقِهَا
وَكَاَنَّ غُرَّتْهَا الْغَزَالَةُ نَبَّهَتْ
يَا حُسْنَ فَاتِنَةِ الْعُقُولِ أَهْكَذَا
حَلَلْتَ حَظَرَ دَمِي ، كَذَا فَعَلَ الَّذِي
سَمِّمَ اللُّحَاءَ تَجَبُّي لِمَلَامِهِمْ
لَمْ أَثْنِ عَنْ حَلَبِ عِنَانِ إِقَامَةٍ
كُلُّ الَّذِي أَشَدَّتْ إِلَيَّ مَعَارِفِي
وَالدَّهْرُ يَقْرَعُ بِالنَّوَائِبِ عَادِيّاً
هِيَ مَوْطِنُ النَّائِي الْمُقِلِّ كَاَنَّمَا
تَسْرِي بِهَا الْأَزْوَاجُ بَيْنَ مَرَوِضٍ
لَمْ تَبْرَحِ الشَّهْبَاءُ مِنْ شُهْبِ السَّمَاءِ
لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ
وَافِي صَلَاحِ الدِّينِ كَاتِبَ سِرِّهَا
رُفِعَتْ تَوَاقِيعُ الْبِلَادِ بِفَاضِلِ
فَكَأَنَّهَا تَرْمِي بِسَهْمٍ إصَابَةً
إِذْ أَنْشَرَتْ مِنْهَا الْمَنَاشِيرُ الَّتِي
بَحَّرَ الْفَضَائِلُ فِيهِ يُوجَدُ دُرُّهَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ مَوْرِدُ رَهْطِهَا

تَخْكِي فَرَائِدُهُ عُقُودَ وَشَاحِهَا
عَقْلِي تَلَاهَا رَاحُهَا مِنْ رَاجِهَا
فَالزَّهْرُ مِثْلُ الزُّهْرِ مِنْ وَضَاحِهَا
وَسَنَا ثَنَائِيهَا وَنُورِ أَفَاحِهَا
فِي الْحَيِّ حُورِ الْعَيْنِ مِنْ فَضَاحِهَا
تُسْتَجَلِبُ الْأَزْوَاجُ مِنْ أَشْبَاحِهَا
يَقْضِي عَلَى الْإِقْبَالِ عِنْدَ طِمَاحِهَا
وَقَدْ اطمَأَنَّ الْقَلْبُ مِنْ إِنْجَاحِهَا
جَنَفَتْ عَلَيَّ وَقَدْ أَقَمْتُ بِسَاحِهَا^(١)
سَلَبَتْهُ مِنْ عَقْلِي عُيُونُ مِلَاحِهَا
مَنْ لَا يُفِيقُ الدَّهْرَ مِنْ أَتْرَاحِهَا
وَقَفَّتْ مَقَامَتُهُ عَلَى أَفْرَاحِهَا
عَنْ مُزْنَةِ مِثْنٍ عَلَى سَخَاحِهَا
بِمَنَاحٍ كَالشُّهْبِ مِنْ مُرْتَاحِهَا
إِضْلَاحُهَا شَأْنًا وَيَسْطُ جَنَاحِهَا
قَسَمًا تَعَيَّنَ وَهُوَ عَيْنُ صَلَاحِهَا
أَفْكَارُهُ وَقَفَّتْ عَلَى اسْتِضْبَاحِهَا
مَنْ رَامَهُ مَا طَاشَ عِنْدَ كِفَاحِهَا
مَاتَتْ وَصَحَّ الْبَغْتُ مِنْ أَزْوَاحِهَا
فَصِحَاحُهُ تُوْهِى عُقُودَ صِحَاحِهَا
كَالشَّمْسِ عِنْدَ غُدُودِهَا وَرَوَاحِهَا

سَلَكَ السَّبِيلَ إِلَى مَشَارِقِ جِلِّهِ
كَشَفَتْ مَعَارِفُهَا الْغَوَامِضَ لَمْ تَزَلْ
مُتَقَلِّدٌ فِيهَا بِعِزِّ مُزْهَفَا
وَإِذَا الصَّحَائِفُ شَحَّ وَذُقْ سَحَابِهَا
وَكَاَنَّمَا أَقْلَامُهُ عِنْدَ الْعِدَى
آخَى صَلَاحُ الدِّينِ كُلَّ فَضِيلَةٍ
وَإِذَا الْفَضَائِلُ رَجَّحَتْ أَرْبَابِهَا
يَسْتَضِيحُ السَّارِي بِهِ فِي نَظْمِهِ
تَمَثَّلَتْ بِهِ رُتَبُ الْمَعَالِي حَيْثُمَا
فِي جِلْمِ نَفْسٍ لَا يَطِيشُ وَقَارُهَا
وَكِتَابَةُ السَّرِّ الَّتِي صَلَحَتْ بِهِ
وَافَتْ إِلَيْهِ فَسَدَّ خَلَّةَ أَمْرِهَا
تَسْرِي صَحَائِفُهُ كَاَنَّ بَرِيدَهَا
الْيُمْنُ مَشُورٌ بِهَا فِي طَيْهَا
وَبَدَائِعُ الشُّخْفِ النَّفِيسَةِ أَوْجُهُ
يَا مَنْ فِرَاضُ الْمَجْدِ دَلَّتْ أَنَّهُ
وَمُذَلَّلُ الْمُسْتَضْعَبَاتِ كَاَنَّمَا
أَهْدَى إِلَى هَجَرٍ تِجَارَةً بَائِسٍ
حَازَ الْمُعْلَى مِنْ عِلَاقٍ بِمَدْحِهَا
وَهُوَ الَّذِي خَتَمَ الْقَرِيبُ بِشَعْرِه
حَمَلَتْ مَعَارِفُنَا الْيَلِيَالِي سَالِفَا

عَرَفَ الصَّوَابَ الْحَقَّ مِنْ أَضْبَاحِهَا
مَضْرُوفَةً مِنْهَا عَلَى إِنْضَاحِهَا
يُغْنِيهِ عَنْ خَطِّهَا وَصِفَاحِهَا^(١)
فَبِرَاعُهُ السَّامِي مَهَبُّ رِيَاحِهَا
شُهْبُ التُّجُومِ تَخْطُ سُمُرَ رِمَاحِهَا
فَكَأَنَّهُ قَدْ جَاءَ لِاسْتِفْتَاحِهَا
رَجَحَتْ فَصَائِلُهُ عَلَى رَجَاحِهَا
فَقَرَّ الْبَلََاغَةُ يَفْتَدِي بِسَمَاحِهَا
كَانَتْ تَكُونُ بِهِ مَدَارُ نَجَاحِهَا
الْجِلْمُ مُنْسُوبٌ إِلَى أَشْجَاحِهَا
أَحْوَالُهَا ، وَالرَّأْيُ فِي إِضْلَاحِهَا
سَدًّا تُمَيِّزُهَا عَلَى نَضَاحِهَا
مِنْ سَابِحَاتِ الشُّخْبِ مِنْ مِسْبَاحِهَا
وَالنُّصْرُ مَقْرُونٌ إِلَى أَلْوَاحِهَا
تَتَطَلَّبُ الْحَاجَاتِ عِنْدَ صِبَاحِهَا
مُغْرَى بِهَا وَبِنَذْبِهَا وَمُبَاحِهَا
وَقَفَا جِيَادُ الْخَيْلِ عِنْدَ جِمَاحِهَا
تَمُرُّ بِهَ صَعِيدَ بَطَاحِهَا
وَهُوَ الْمُصِيبُ ثَنًا بِضَرْبِ قِدَاحِهَا
إِذْ كَانَ دَامَ عِلَاقَ مِنْ مُدَاحِهَا
فَزَكَ النَّتَاجُ وَطَابَ عَقْدُ لِقَاحِهَا

(١) في ب : لم اين غر . . . ! وأثبت ما في أعلاه اجتهداً .

(١) في ب : متلذ فيها بعزم مرهف × ولعل ما ذهبت إليه هو الصواب

إِنَّ المعارِفَ كالرَّكَايَا بَعْضُهَا الـ
ولقد أُتيتَ بِمَا تَجُرُّ مِنَ الْحَيَا
لا زَالَتِ الْأَقْلَامُ عِنْدَكَ تَقْتَفِي
ما فَضَّ خَتَمَ الزَّهْرِ أَنْفَاسُ الصَّبَا
٢٥ * حسن بن جعفر (٢) :

الفاضل بذرُ الدِّينِ بنِ شمسِ الدِّينِ البليَّسي ، الطَّيِّبُ بالقاهرةِ
المحروسة .

● كتب إليَّ في سنة ٧٤٥ وأنا بالقاهرة ، على وزنِ قصيدةٍ نظمْتُها أنا
ووقفَ هو عليها ، فقال : [من البسيط]

قَامَتْ مَقَامَ الْحُمَيَّا رَيْقُهُ الْخَضِرَةُ
وَحَالَ فِي مِعْطَفَيْهِ الْبَانُ مِنْهُصِرَا
وَلَمْ يَكُنْ لِلْحُمَيَّا طِيبُ رَيْقَتِهِ
[١٤٣] مِنَ الْإِنْسِيِّ فِي أَخْدَاقِهِ حَوْرُ
وَسِخْرُ أَجْفَانِهِ لَوْ كَانَ عَاصِرُهُ
فِي نَفْسِهِ صَلَفٌ ، فِي قَدِّهِ هَيْفٌ
تَنَالُ مِنْ خَضِرِهِ وَضَلَا مَنَاطِقُهُ
كَمَثَلِ لَفْظِ صَلَاحِ الدِّينِ مُحْتَوِيَا
فَنَظْمُهُ اللَّوْلُو الْمُنْظُومُ تَحْسَبُهُ
فَظَنُّهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعَصْرِ مُتَخَصِّرُهُ
فَقَالَ فِي مِعْطَفَيْهِ الْبَانُ مِنْ هَصَرُهُ
وَلَا نَضَارَتِهِ لِلْبَانَةِ النَّضِيرَةُ
تَمَنَّتِ الْحَوْرُ فِي أَخْدَاقِهَا حَوْرُهُ
فِرْعَوْنُ مُوسَى لِأَغْنَاهُ عَنِ السَّحَرَةِ
صَبٌّ بِهِ كَلِفٌ ، أَمْرَاضُهُ خَطَرُهُ (٣)
وَذَاكَ مَعْنَى دَقِيقٌ وَهِيَ مُخْتَصِرُهُ
عَلَى مَعَانٍ مِنَ الْإِيْجَازِ مُبْتَكِرُهُ (٤)
وَتَحَسَّبُ اللَّوْلُو الْمُنْظُورُ مَا نَشَرُهُ

(١) وليس في ب رد الصفدي .

(٢) لم أقف له على ترجمة .

(٣) في ب : × صبٌّ به دَنَفٌ . . .

(٤) في س : × . . . مع الإيجاز . . .

يَا شَاعِرَا شَنَّفَ الْأَسْمَاعَ مَا شَعَرَهُ
عَادَ الشُّرُورُ لِمُضِرِّ حِينَ عُدَّتْ لَهَا
كَانَتْ وَقَدْ غَبَّتْ عَنْهَا مَا لَهَا قَمَرٌ
حَلَلَتْهَا فَلَهَا بِالْفَخْرِ أَلْوِيَّةٌ
قَالَتْ دِمَشْقُ وَقَدْ جَانِبَتْ جَانِبَهَا :
يَا مَنْ إِذَا عَبَرْتَ أَرْضاً رَكَايَتُهُ
وَعَطَّرَ الْكَوْنَ مِنْ أَنْفَاسِهِ الْعِطْرَةَ
كَهَاجِرٍ وَصَلَ الصَّبِّ الَّذِي هَجَرَهُ
كَالْلَيْلِ وَاللَّيْلُ يَرْجُو أَنْ يَرَى قَمَرَهُ
مَعْقُودَةٌ وَبِكَ الْأَمْصَارُ مُفْتَخِرُهُ
مَنْ غَابَ عَنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَنْ حَضَرَهُ
تَبْقَى بِهِ وَبِمَا يُمْلِيهِ مُعْتَبِرُهُ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ ارْتِجَالاً : [من البسيط]

أَهْذِهِ رَوْضَةً أَنْفَاسُهَا عِطْرَةُ
أَمْ قِطْعَةً مِنْ قَرِيضٍ رَاقٍ قَافِيَةً
فَمَا يَمُرُّ عَلَى سَمْعِ امْرِئٍ وَلَهُ
بَالِغَتْ مَوْلَايَ بَذَرُ الدِّينِ فِي مِدْحِي
غَرِيبُ مِضْرِكَ لَمَّا حَلَّ رَنْعَكَ قَدْ
أَنْتُمْ أَنْاسٌ مَطَايِيعُ بِمِضْرِكُمْ
وَنَظْمُكُمْ يَخْلُبُ الْأَلْبَابَ رَوْنَقُهُ
وَفِي عِبَارَاتِكُمْ لُطْفٌ يَزِيدُ عَلَى
وَلَفْظُكُمْ قَدْ حَلَا فِي ذَوْقِ سَامِعِهِ
أَمْ أَفُقٌ لَيْلٍ جَلَا لَمَّا انْجَلَى قَمَرُهُ
وَرَقٌّ لَفْظاً كَدُوحٍ تَجْتَلِي زَهْرُهُ
ذَوْقٌ قَيْلُغٌ مِنْ تَكَرَّارِهِ وَطَرُهُ
وَالْبَذَرُ كَيْفَ نَرَاهُ يَمْدَحُ الشَّرَرَهُ
أَضْحَى يُتَّفَقُ فِيمَا بَيْنَكُمْ عُجْرُهُ
أَهْدَى الشَّامُ لَكُمْ مِنْ أَرْضِهِ بَقَرُهُ
وَمِضْرُ مَعْرُوفَةٍ فِي النَّاسِ بِالسَّحَرَةِ
رِيحُ الصَّبَا حِينَ شَقَّتْ رَوْضَةَ نَضِيرُهُ
وَلَيْسَ نَظْمِي فَيْكُمْ يَانِيعُ الثَّمَرَهُ

٢٦ * حسن [بن عمر بن الحسن] بن حبيب (١) :

القاضي الفاضل ، بذرُ الدِّينِ الحَلْبِي .

(١) ترجمته في : الذيل على العبر ٤٦٨/٢ وتعريف ذوي العلا ٢٧٥ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٥٥٩/٢
وإنباء الغمر ١٤٩/١ والدرر الكامنة ٢٩/٢ والنجوم الزاهرة ١٨٩/١١ والمنهل الصافي ١١٥/٥
والدليل الشافي ٢٦٧/١ وشذرات الذهب ٤٥١/٨ والبير الطالع ٢٠٥/١ .
- هو صاحب « تذكرة النبيه » و« درة الأسلاك في دولة الأتراك » .
- وفاته سنة ٧٧٩ هـ . ومولده سنة ٧١٠ هـ .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ وَقَدْ وَقَفْتُ لَهُ عَلَى قَصِيدَةٍ^(١) امْتَدَحَ بِهَا الْقَاضِي شَرَفَ الدِّينِ
ابن المرحوم شمس الدين بن العلامة المرحوم شهاب الدين أبي الشَّاءِ محمود ،
على هذا الوزن :

وَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَى الْقَصِيدَةِ الَّتِي سَلَبَتْ لُبَّهُ ، وَكَشَفَتْ لَهُ عَنِ الْبَيَانِ
حُجَّتَهُ ، وَوَصَفَتْ مَنَاقِبَ مَمْدُوحِهَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ نَازِلُهَا وَنَبَّهَ ، وَسَرَدَتْ مَآثِرَهُ
الَّتِي كَفَّرَتْ خَطِيئَةَ الزَّمَنِ بِوُجُودِهَا وَمَحَتْ ذَنْبَهُ ، وَدَلَّتِ الْعُقَاةَ عَلَى نَسَمَاتِ
جُودِهِ الَّتِي كَمَ لَهَا مِنْ هَبَّةٍ فِي كُلِّ هَبَّةٍ ، وَاخْتَارَتْ لَهَا مِنْهُ كُفُوءاً أَضَحَّتِ الْمَجْرَةُ
طَرِيقَهُ ، وَالثُّرَيَّا نَعْلَهُ ، وَالْهَلَالُ قَلَامَتَهُ ، وَأَزِيدُهُ شَرْفًا إِذَا قُلْتُ قَلْبُهُ .

فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَى كُلِّ بَيْتٍ مِنْهَا مَعَ حَسَدِهِ ، وَقَالَ : فَدَيْنَاكَ مِنْ رَنْعٍ وَإِنْ
زِدْتَنَا كُرْبَةً ، وَطَافَ بِهِ عَلَى عَيْنِهِ وَرَأْسِهِ لَمَّا كَانَ فِي الْأَدَبِ كَعْبَةً ؛ فَلَوْ تَعَاطَاهَا
الْعَرَبُ الْفِصَاحُ لَكَانَتْ لِقُلُوبِهِمْ طَابِخَةً وَعَلَى أَذْهَانِهِمْ صَبَّةً ، وَلَوْ رَأَاهَا ابْنُ نُبَاتَةَ
لَوَجَدَ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ خُطْبُهُ ، وَلَوْ اسْتَعْمَلَهَا الْفَاضِلُ فِي تَرْشُلَاتِهِ مَا عَمِلَ اللَّهُ لَهُ
- كَمَا قِيلَ - حَذْبَةً ، وَلَوْ نَظَرَ فَضْلُهَا الْكِسَائِيُّ لَتَحَقَّقَ تَجَرُّدُهُ فِي الْعِلْمِ^(٢)
وَسَلْبُهُ ، وَلَوْ عَاصَرَهَا ابْنُ يَعِيشَ لَقَضَى فِي الْوَقْتِ نَحْبَهُ ، وَلَوْ أَنْشَدَتْ لِحَمَادٍ
الرَّأَوِيَةَ لَقِيَّ مِنْهَا عَرَقَ الْقَرْيَةِ ، وَلَوْ [ب ٤٣] شَاهَدَ ابْنُ الْبَوَّابِ سَطُورَهَا لَتَأَخَّرَ عَمَّا
يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الرُّتْبَةِ ، وَلَوْ نَظَرَهَا ابْنُ مُقْلَةَ لَتَمَتَّى أَنْ تَكُونَ أَلْفَانِهَا هُدْبَهُ ، وَلَوْ
سَمِعَهَا ابْنُ الرُّومِيِّ لَقَطَعَ الرُّغْبَ مِنْهُ وَمِنْ أَصْلِهِ صَلْبَهُ ، وَلَوْ سَعَى خَلْفَهَا ابْنُ
سَهْلٍ لَعَلِمَ أَنَّ طَرِيقَهَا فِي النَّظْمِ صَعْبَةٌ ، وَلَوْ حَاوَلَ ابْنُ الْخَيَّاطِ مَعَانِيَهَا لَكَانَ

(١) بعض هذه القصيدة في تذكرة النبيه ٢٦٨/٣ - ٢٦٩ والمتقى من دُرَّةِ الْأَسْلَافِ ٣٥٤ - ٣٥٥ ،
ومطلعها :

بين جسمي وبين خضرك نسيبة كيف عني منعت يا غصن قريفة
(٢) في ب ، س : من العلم .

العَجْزُ وَقَعَ فِي قَبِّهِ^(١) وَضَرَبَ عَلَيْهِ قُبَّةً ، وَلَوْ تَعَوَّذَ بِكَلِمَاتِهَا عُمَارَةُ الْيَمَنِيِّ لِأَمِنْ
خَرَابَ عُمْرِهِ وَصَلْبَهُ ، وَلَوْ وَلَوْ^(٢) : [من الخفيف]

بَيْنَ قَطْرِ النَّدَى وَشِعْرِكَ نِسْبَةٍ فَلِهَذَا أَلْفَاظُهُ الْغُرُّ عَذْبَةٍ
مَا حَبِيبُ الطَّائِي يَا ابْنَ حَبِيبٍ حَامِدًا فِي الْقَرِيضِ بَعْدَكَ كَسْبَةٍ
وَأَرَى مَا نَظَّمْتَ زَهْرًا وَلَكِنْ هُوَ عِنْدِي بِالْأَنْجَمِ الزُّهْرِ أَشْبَهَ
وَعَجِيبٌ مِنْ عَقْدٍ دُرٌّ نَفِيسٍ كُلُّ قَلْبٍ شَرَاهُ مِنْكَ بِحَبَّةٍ
لَوْ غَدَا لَفُظُهُ هَدِيَّةً صَبَّ لِحَبِيبٍ لَكَانَ فِي الْبُعْدِ قُرْبَةً
هُوَ حَالٍ فِي كُلِّ حَالٍ أَرَاهُ نَضَبَ عَيْنِي وَالْحَالُ يَطْلُبُ نَضْبَهُ
لَيْسَ عِنْدِي فِي الْأَفْقِ وَالْقَوْلُ حَقٌّ شُبْهَةٌ أَنْ تَبِيتَ تَنْظُمُ شُبْهَةً
فَرِحْتَ جَلَّقَ بِقُرْبِكَ حَتَّى كَانَ حِنَّا الْأَصِيلِ فِي الْأَفْقِ خَضْبَةً
وَحَمَامُ الْغُصُونِ بِالسَّجْعِ أَضْحَى يَتَغَنَّى وَرَقَصَ الرُّوضُ قُضْبَةً
يَا أَدِيبًا أَتَى بِشِعْرِ يَرَاهُ كُلُّ صَبٍّ يَفُوقُ وَضَلَّ الْأَجْبَةَ
وَجَوَادًا جَرَى فَجَلَّى فَكَانَتْ حَلَبٌ فِي الْقَرِيضِ لِلنَّاسِ حَلْبَةً
وَكَمِيًّا مَا مَدَّ فِي النَّظْمِ بَاعًا فَاقتَضَى بَاعُهُ إِذَا مُدَّ قَلْبُهُ
خَاضَ بَحْرَ الْقَرِيضِ غَيْرُكَ لَكِنْ لَمْ يَذُقْ مِنْ زُلَالِكَ الْعَذْبِ نُغْبَةً
أَيُّ شَيْءٍ أَلْهَاكُمْ يَا بَنِي الْعَصْ رِ فَلَمْ تَلْحَقُوا لَهُ قَطُّ رُتْبَةً
هُوَ عِنْدِي بِالنَّصْرِ فَازَ وَتَبَّتْ يَدُ مَنْ قَدَ غَدَا بِهِ يَشْبَهُ^(٣)

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ :

يُقْبَلُ كَذَا ، وَيُنْهَى بَعْدَ وِلَاءٍ اتَّخَذَهُ إِلْفًا وَقَرِينًا ، وَدَعَاءٍ اسْتَفْتَحَ بِهِ بَابَ

(١) في ب : قلبه .

(٢) معظم هذه القصيدة في تذكرة النبيه ٢٦٩/٣ - ٢٧٠ وبعضها في المتقى من دُرَّةِ الْأَسْلَافِ ٣٥٥ .

(٣) وسقط ما بعد ذلك من س حتى نهاية الترجمة .

القبولِ فَبَقِيلَ لَهُ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [الفتح : ١] وَثَنَاءً بِهِ يُعْرَفُ عَرَفُ الرِّيَاضِ ،
وَانْتِمَاءً لَيْسَ لَهُ انْتِهَاءٌ وَلَا انْقِرَاضٌ ، وَشَوْقٌ إِلَى قُرْبِ أَيَّامِهِ الْمُسْتَنِيرَةِ ، الَّتِي
يَطُولُ الشَّرْحُ فِي وَصْفِ مُحَاسِنِهَا وَإِنْ كَانَتْ قَصِيرَةً (١) : [من الطويل]

تَفَضَّلْتَ الْإِيَّامَ فِي الْجَمْعِ بَيْنَنَا فَلَمَّا حَمِدْنَا لَمْ تُدْمِنَا عَلَى الْحَمْدِ
جَعَلْنَا وَدَاعِي وَاحِدًا لِثَلَاثَةِ جَمَالِكَ وَالْعِلْمِ الْمُبْرَحِ وَالْمَجْدِ
وَصَوْلَ الْإِنْعَامِ الشَّرِيفِ الَّذِي أَغْدَبَ شُرْبُهُ ، وَأَمْطَرَ سُحْبُهُ ، وَأَذْهَبَ غَيْظُهُ
عَلَى الدَّهْرِ وَعَثْبُهُ ، وَرَفَعَ لَهُ بَيْنَ الْمَلَأِ رُبَّةً وَأَيَّ رُبَّةً ، وَأَعْلَى قَدْرَهُ إِلَى أَنْ زَاخَمَ
فِي أَفْقِ التَّوْفِيقِ شُهْبَهُ ، وَتَبَّهَ مِنْهُ حَقًّا نَامَ دَهْرًا وَصَارَ لَهُ بِهِ فِي النَّاسِ نِسْبَةٌ .

فَيَا اللَّهَ ذَلِكَ الْبِرُّ الشَّامِلَ وَمُهْدِيَهُ ، وَالْفَضْلَ الْكَامِلَ وَمُبْدِيَهُ ، وَأَحْسَنَ بَطْرِسٍ
يُضْبِي أَهْلَ الْعِلْمِ بِأَعْلَامِهِ وَأَفْوَافِهِ ، وَالْفَاظَ أَخْجَلَتِ الدُّرُّ فَرَاخَ مُسْتَخْفِيًّا فِي
أَصْدَاقِهِ ، وَفَصَاحَةً تَعْقِلُ عُقُولَ ذَوِي الْفِطْرِ السَّلِيمَةِ ، وَفَقِيرَ يَفْتَقِرُ أَحْيَادُ الْجِسَانِ
إِلَى جَوَاهِرِ عُقُودِهَا النَّظِيمَةِ ، وَتَرْتُلُّ يُظْهِرُ نَقْصَ الْفَاضِلِ وَخُمُولَ ابْنِ النَّبِيِّ ،
وَحَظُّ لَوْ شَاهَدَهُ ابْنُ الْبَوَابِ [١٤٤] عَادَ قَلَمُهُ كَعَصَا أَبِيهِ (٢) : [من الطويل]

فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهَوَ صُنْعُ سَحَابِهِ وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهَوَ مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ
لَقَدْ تَنَزَّهَ الْمَمْلُوكُ فِي رَقَمِ أَنْامِلِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَاجْتَنَى أَزْهَارَ أَلْفَاظِهِ الْعَذْبَةِ
وَأَبْكَارَ مَعَانِيهِ اللَّطِيفَةِ ؛ يَا لَهَا مَعَانِي ظَهَرَتْ مِنَ الْبَلَاغَةِ فِي أَحْسَنِ الْأَنْوَاعِ ،
وَشَرَفَتِ الْأَبْصَارَ وَشَقَّتِ الْأَسْمَاعَ ، وَسَبَّتِ الْأَلْبَابَ وَسَلَبَتِ الثُّقُوسَ ، وَأَغْنَتْ
عَنْ تَرْتُّلِ السَّنَنِ الْعِيدَانِ وَازْتِشَافِ شِفَاهِ الْكُؤُوسِ (٣) ، مَا أَحْسَنَ مَا جَاءَتْ تَرْفُلُ
فِي ثَوْبِ طِرْسٍ رَاقِمِهِ عَلَى أَهْلِ الْعَصْرِ مُبَرَّرٌ ، وَمَا أَحَقُّهَا بِقَوْلِ ابْنِ

الرُّومِيِّ (١) : [من الكامل]

وَحَدِيثُهَا السَّخَرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَهُ الَّذِي طَوَّقَ الْأَجْيَادَ ، وَنَفَعَ بِفَضَائِلِهِ الْوَارِيَةَ الزَّانِدَ ،
وَأَدَامَ سَخَّ سَحَابِهِ الَّذِي جَادَ وَأَجَادَ (٢) ، وَجَعَلَ أَنْوَارَ سَمَائِهِ وَنَارَ شَمْسِهِ ، هَذِهِ
تَهْدِي قُلُوبَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَهَذِهِ تَتَّجِعُ فِي أَكْبَادِ الْحُسَادِ .

وَقَدْ خَدَمَ الْمَمْلُوكُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْمُعْتَرِفَةَ بِالْقُصُورِ ، الْمُسْتَرَّةَ مِنَ الْحَيَاءِ
فِي طَيِّ رَفْعِهَا الْمَنْشُورِ ، الطَّامِحَةَ إِلَى سَدِّ ظِلِّهَا (٣) لَدَى السَّبْرِ ، الطَّامِعَةَ فِي أَنْ
تُلَمَّحَ عِنْدَ الْمُقَابَلَةِ بِالْجَبْرِ ، وَهِيَ : [من السريع]

سَفَكَ دِمَا عَشَاقِهِ قَدْ أَبَاخَ لَمَّا انتَضَى مِنْ مُقْلَتِيهِ الصَّفَاخَ
أَهْيَفُ مَا هَزَّ قَنَاقَةً قَدْ أَهْيَفُ إِلَّا وَغَارَتْ مِنْهُ سُمْرُ الرِّمَاحِ
وَلَا تَبَدَّى وَجْهُهُ سَافِرًا إِلَّا وَخَلَّتِ الصُّبْحُ فِي الشَّرْقِ لَاحَ
ذُو مُقْلَةٍ كَحَلَاءِ سَحَابَةٍ لَا تُخَوِّجُ الصَّبَّ إِلَى شَرْبِ رَاخِ
كَمْ أَطْلَقْتَ سَهْمًا وَكَمْ قَيَّدْتَ قَلْبَ مُجِبِّ بِجِرَاحِ اجْتِرَاحِ
لَا تَسْأَلُوهَا أَبَدًا عَنْ دَمِي فَمَا عَلَى الْمَرْضَى الشُّكَارَى جُنَاحِ
يَا غُضْنَ بَانَ قُصَّ لَمَّا نَأَى مِنْ طَائِرِ الْقَلْبِ جَنَاحِ النَّجَاحِ
ازْفَعُ قِتَالِي فِي حُرُوبِ الْهَوَى فَإِنِّي عَجَزًا وَضَعْتُ السَّلَاحَ
أَنْظُرُ إِلَى الْأَجْفَانِ وَاعْجَبْتُ لَهَا مَكْسُورَةً تُسَبِّي الْعُقُولَ الصَّحَاخَ
إِنْ أَفْسَدَتْ أَسْيَافُهَا مُهْجَتِي ظُلْمًا تَعَلَّقْتُ بِعَذْلِ الصَّلَاحِ
مَوْلَى لَهُ أَعْلَامُ عِلْمٍ إِذَا مَا ظَهَرَتْ تَهْدِي لِطُرُقِ الْفَلَاحِ

(١) ديوانه ١١٦٤/٣ .

(٢) في م : جاد وأعاد .

(٣) في م : سَدَّ خَلِّهَا .

(١) البيتان للمتنبي ، في ديوانه ٦٩/٢ .

(٢) البيت ثالث ثلاثة لابن الحلّاي الموصلي ، في خزنة الأدب للحموي ٩٦/٣ .

(٣) في م : أفواه الكؤوس .

رُبَّ مَعَانٍ عَذْبَةٍ أَخْرَسَتْ
خَبْرُ الْهُدَى بَخْرُ النَّدَى مَا جَدَّ
يُثْنِي عَلَى مَعْرُوفِهِ مَنْ غَدَا
ذُو قَلَمٍ قَدْ جَلَّ عَنْ قَادِحٍ
إِنْ جَادَ قُلْنَا يَا حَيَاءَ الْحَيَا
يَا حَبَا طَرْسٍ أَتَى مُنْعَمًا
مُسْتَمْلَحَ الْوَصْفِ بِرَوْضَاتِهِ
مُحَقِّقَ الْمَنَسُوبِ مِنْ خَطِّهِ
لَمْ أَنْسَ إِذْ وَافَى وَفِي طَيْبِهِ
لَمَّا دَنَا أَكْرِمَ بِهِ زَائِرًا
لَا زَالَ يُهْدِي دُرَّهُ كَغَبَّةٍ

أَلْفَاظُهَا الْعُزْبُ السَّرَاةُ الْفِصَاخُ
يَزْتَاحُ لِلْإِحْسَانِ أَيُّ اِزْتِيَاخُ
إِلَى حِمَى نَادِي نَدَاهُ وَرَاخُ
يَنْقُذُ فِي الْأَمْرِ نَفْوَذَ الْقِدَاخُ
أَوْجَالَ غَارَتْ مِنْهُ بَيْضُ الصَّفَاخُ
مَنْ رَبَّعِهِ الْحَاوِي سَمَاءَ السَّمَاحُ
زَهْرٌ يُغَيِّرُ الزُّهْرَ عِنْدَ الصَّبَاخُ
يُخْجِلُ رَيْحَانَ خُدُودِ الْمِصْلَاخُ
نَشْرُ نَفَى عَنَّا الْعَنَاءَ جَيْنَ فَاخُ
حَلَّ الْهَنَا وَالْبِشْرُ وَالْإِنْشِرَاخُ
لِلْقَصْدِ مَا هَبَّتْ نَسِيمُ الرِّيَاخُ

٢٧ * حسن بن علي^(١) :

الشيخ بدر الدين ابن المحدث الكاتب .

● كَتَبَ إِلَيَّ أُنْبَاءًا لَامِيَّةً [فِي سِنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِئَةً]^(٢) التزم فيها
الجيم^(٣) ، فكتبتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ وَالتَزِمْتُ الْمِيمَ : [من مجزوء الرجز]
[٤٤ ب] يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي فِي الْعِلْمِ فَاقَ وَالْعَمَلِ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢/٢١٠ والوافي بالوفيات ١٢/١٧٨ والذرة الكامنة ٢/٢٥ وفوات
الوفيات ١/٣٤٨ المقفى الكبير ٣/٤١٣ .

- وفاته سنة ٧٣٤ هـ .

(٢) الزيادة من أعيان العصر .

(٣) في ب ، س : وهي . ثم ترك الناسخ بياضاً يتسع لثلاثة أسطر .

وقال المؤلف في الوافي ١٢/١٨٠ : وكان قد أنشدني شيئاً من شعره ، وكتب إليَّ أبياتاً ملزومة ،
والتزمت الميم قبل اللام ، ولم أجد أبياته لعدمها عند تعليق هذه الترجمة .

وَمَنْ حَوَى فَضَائِلًا
وَمَنْ لَكُهُ تَجَمُّلٌ
وَالْبَذْرُ لَا يَزْدَعُ إِذَا
أَبْيَاتُكَ الْغُرُّ أَتَتْ
حَلَّتْ مَعَانِيهَا التِّي
رَقَّصَ أَغْطَافِي بِهَا
وَأَبْرَأَتْ جُزْجِي الَّذِي
مَوْلَايَ أَنْتَ صَادِقٌ
وَلَوْ بَدَا عَنْ مُوجِبٍ
فَاخْلَعْ وَدَادَا قَدْ غَدَا
فَقَالِبُ النَّاسِ إِذَا
فَانْرُكُ مَنْ اسْتَنْكَزَتْهُ
وَاسْلَمْ وَدُمْ فِي نِعْمَةٍ

كَالْقَطْرِ لَمَّا أَنْ هَمَلُ
أَزْبَى بِهِ عَلَى الْجَمَلِ
تَمَّ عِلَالُهُ وَاكْتَمَلُ
وَالرَّوْضُ مِنْهَا قَدْ خَمَلُ
كَالشَّمْسِ حَلَّتْ فِي الْحَمَلِ
لَحْنُ الْخَفِيفِ وَالرَّمَلِ
لَوْ لَمْ تَجْنِثِي مَا انْدَمَلُ
وَذَاكَ بِالْعَارِ اشْتَمَلُ
مِنِّْي لَكَانَ يُخْتَمَلُ
مَنْ قَدَّمَ الْعَهْدَ سَمَلُ
صَحْبَتُهُ جَفَا وَمَلُ
فِي الْوُدِّ يَزْعَى فِي الْهَمَلِ
مَا لَذَّ لِلْمَرْءِ أَمَلُ

٢٨ * حسن بن علي بن حمد بن حميد بن إبراهيم بن شنار^(١) :

القاضي البليغ ، بدر الدين الغزي ، كاتب الإنشاء الشريف بالشَّام
المحروس .

● كَتَبَ إِلَيَّ وَأَنَا بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي سَنَةِ ٧٣٣ : [من الطريل]

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢/٢١٤ والوافي بالوفيات ١٢/١٨٤ وفوات ابن رافع ١/٣٠٧ وتذكرة
النيه ٣/١٦٧ والمتنقى من درة الأسلاك ٢٨٨ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/٣٩ والذرة الكامنة ٢/٢٢
والنجوم الزاهرة ١٠/٢٨٨ والمنهل الصافي ٥/١١٠ والدليل الشافي ١/٢٦٧ .
- مولده سنة ٧٠٦ هـ . ووفاته سنة ٧٥٣ هـ .
- شنار : ضبطها المؤلف بقوله : بفتح الشين المعجمة ، والنون ، وبعد الألف راء .

تَقَلَّبَ فَلَيْسَ النَّارُ عَاراً عَلَى النَّبْرِ
وما السَّيفُ مَسْلُولاً بِشَيْءٍ وَإِنَّهُ
وما زالَ لَيْثُ الْغَابِ يَأْلَفُ غَيْلَهُ
وفي الْحَجَرِ الصَّلْدِ الشَّرَارُ فَإِنْ جَرَى
لقد صَانَتْ الْأَيَّامُ حَدَّكَ أَنْ يُرَى
وإنْ جَعَلْتَنكَ الْحَادِثَاتُ رَهِينَةً أَلْ
فَلَيْسَ بِمُخْفِي سَنَا الشَّمْسِ إِنْ بَدَتْ
يَمِيناً لَقَدْ سَاءَتْ مُعَامَلَةُ الْعُلَى
أَيْمَنُ مَا أَبْرَزْتَهُ مِنْ بِلَاغَةٍ
وقد سَارَ مِنْ ذِكْرَاكَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
تَبَسُّمُ تَزْدُ حُسَادَ فَضْلِكَ غُمَّةً
وقُلْ أَنْتَ يَا رَبَّاهُ مَفْرَعٌ لَاجِئٍ
فإنَّ احْتِمَالَ الْمَرْءِ مَا يُعْجِزُ الْقَوَى
وَكُلُّ اخْتِياجٍ لَيْسَ يُعْقَبُ ذِلَّةً
سِوَى مَا أَصَابَ الدَّهْرُ مِنْكَ فَلَا تَخَفْ
إذا ذَهَبَتْ دُنْيَاكَ فَالْدُّنَى مَكْسَبٌ
ولا بُدَّ بَعْدَ الْيَأْسِ أَنْ يُثْمِرَ الرَّجَا
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ خَلِيلٍ وَفَاوَةٌ

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ : [من الطويل]

وَلَيْسَ ثِقَافُ السَّمْهَرِيِّ بِهِ يُزْرِي
لَفِي الْغَمْدِ أُخْرَى أَنْ يُضْمَّ إِلَى الصَّدْرِ
وَيَأْنَفُ تَرْدَادُ السَّفَاهَةِ مِنْ كِبَرِ
عَلَى صَفْحِهِ زَنْدٌ أَثَارَ لَطَى الْجَمْرِ
حَمَائِلُهُ تَزْهِي عَلَى عَاتِقِ الدَّهْرِ
إِقَامَةٌ فِي بَيْتٍ مُنِيفٍ ذُرَى الْجَدْرِ
ولا الْقَمَرِ الْمَرْيِيُّ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ
لَدَيْكَ وَقَدْ سَارَتْ عَلَى مَنَهْجِ الْعَدْرِ
تُضِيءُ بِهَا أَفْقُ الدَّفَاتِرِ وَالشُّعْرِ
نُجُومٌ وَهَلْ يَخْفَى سَنَا الْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
تَبَيَّتْ لَهُمْ فِي كُلِّ جَانِحَةٍ تَسْرِي^(١)
رَمَتْهُ بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
أَدَلُّ عَلَى الْأَضْلِ الْكَرِيمِ مِنَ الْفَخْرِ
تَقُومُ مَقَامَ الْوَفْرِ وَالنَّائِلِ الدَّثَرِ
فَمَا اللَّئِيلُ مَخْشِيّاً عَلَى طَلْعَةِ الْبَدْرِ
وما زَهْرَةُ الدُّنْيَا بِأَنْفَسِ مَا تَشْرِي
وَطُولُ اخْتِياَسِ الْغَيْثِ أَوْفَرُ لِلْقَطْرِ
وفَاءٌ أَقَاحِي الرُّوضِ لِلْوَابِلِ الْعَمْرِ

أَشْعُرُكَ أَمْ رَوْضٌ تَبَسُّمٌ عَنْ زَهْرِ
وَلَفْظُكَ أَمْ عَقْدٌ تَنْصَدُّ مِنْ دُرٍّ

(١) في م : × . . . في كل جارية . . .

بَعَثَتْ بِأَيَّاتٍ بِهَا شُغِفَ التُّهَى
وَأَوْدَعَتْهَا مِنْ لَفْظِكَ الْعَذْبِ قَهْوَةً
وَأَطْلَعْتَ هَاتِيكَ الْمَعَانِي كَوَاكِباً
فَهَوَّنْتَ مَا أَلْقَاهُ مِنْ حَادِثِ الرَّدَى
وَلَذَّ لَدَيَّ الصَّبْرُ إِذْ أَمَرْتُ بِهِ
وقَاسَمْتَنِي فِيهَا هُمُوماً حَمَلْتَهَا
وَبِالرَّغْمِ أَنْ أَلْقَى مُحَيَّاكَ سَافِراً
وَهَلْ لَاقَ بِالظُّمَانِ مِثْلِي إِذَا أَلْتَظْتُ
وَلَكِنْ عُذْرِي وَاضِحٌ فِي تَخَلُّفِي
وَحَسْبِي بِأَنِّي أَقْطَعُ اللَّيْلَ سَاهِراً
وَهَبْ أُنْتِي صَبَّرْتُ قَلْبِي عَلَى الْأَذَى
أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنْ لِيَالِيَا

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، سنة ٧٣٢^(٢) : [من البسيط]

لَيْلُ التَّجَنُّبِ مِنْ أَجْفَانِنَا شُهْبَةٌ
ما لِلنَّوَى أَطْلَعْتَ فِي غَارِبِ قَمَرٍ
تَنْظَمَتْ عِبْرَاتِي فِي تَرَائِيهِ
يا مَنْ وَفَى الدَّمْعُ إِذْ خَانَ الْوَدَادَ لَهُ
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ صَبْرِي لَا يُذْمُ وَقَدْ
يا نَارِحاً سَكَنَ الْقَلْبُ الْخَفُوقَ وَمِنْ

(١) كذا صدره في أ ، س ؛ وفي ب : وَلَذَّ لَدَيَّ الصَّبْرُ وَالْأَمْرُ مِنْكَ لِي × . وسقطت كلمتا « إِذْ أَمَرْتُ »

من م .

(٢) القصيدة في الوافي وأعيان العصر .

(٣) في م : . . . لا يدوم وقد × وفي . . .

ما لاح بَرْقٌ ولا ناحَتْ مُطَوَّقَةٌ
إِلَّا تَسَاعَدَ قَلْبِي وَالدَّمُوعُ وَأَخْ
حَكَيْتُ يَا بَرْقُ قَلْبِي فِي الْخُفُوقِ وَلَمْ
مَنْ لِي بِأَعْيَدَ بَدْرِ التَّمِّ حِينَ بَدَا
مُمْنَعٌ بِالَّذِي ضَمَّتْ غَلَائِلُهُ
بَيْنَ الْأَسِنَّةِ مَحْجُوبٌ وَلَوْ قَدَرُوا
سَلْبَتَنِي بِالضَّنَا لَحَمِي لَوَاحِظُهُ
لَوْ لَمْ تَكُنْ رِيقُهُ خَمْرًا وَمَرْشَفُهُ
كَذَا ابْنُ أَبِيكَ لَوْلَا مَا حَوَاهُ لَمَا
ذَاذَ الْأُولَى عَنْ طَرِيقِ الْمَجْدِ ثُمَّ نَحَا
وَابَ يَقْطِفُ مِنْ أَغْصَانِهِ ثَمَرًا
أَقْلَامُهُ فَرَحًا بِالْفَضْلِ أَنْمُلُهَا
تَكَادُ أَلْسُنُهَا تَمْتَدُّ مِنْ شَغَفٍ
بَرَاعَةٍ رَوَّعَتْ لَامَاتُ أَحْرَفِهَا
أَضَحَتْ مُسَبِّبَةَ الْأَزْزَاقِ حِينَ حَكَتْ
يَا مَنْ يُجِيلُ قِدَاحَ الْمَنَسْرِ ازْمِ بِهَا
وَاقْصِدْ جَنَابَ صَلَاحِ الدِّينِ تَلَقَّ قَتَى
بَنَتْ عَلَى عُنُقِ الْعُيُوقِ هِمَّتُهُ
قَدْ أَنْعَبَتْ رَاحَتَهُ الْكَاتِبِينَ وَلَمْ
فَاعْجَبَ لَهَا رَاحَةً تَنْفِي الْبِرَاقَ نَدَى

ولا تَنَاقَحَ مِنْ بَابِ الْحِمَى عَذْبُهُ
خَاءُ الضُّلُوعِ عَلَى شَوْقٍ عَلَا لَهْبُهُ
يَقْتُكَ إِلَّا لَهَيْبُ الْوَجْدِ لَا شَبَبُهُ
قَدْ سَاءَ إِذْ رَامَ تَشْبِيهًا بِهِ أَدْبُهُ
مِنْ الْقَنَا وَبِمَا أَصَمَّتْ بِهِ هُدْبُهُ
مَا قَوْسٌ حَاجِبِهِ أَغْنَتْهُمْ حُجْبُهُ
وَهُمْ أُنْدِ الشَّرِّ الْمَسْلُوبُ لَا سَلْبُهُ (١)
كَأْسًا لَمَا كَانَ يَحْكِي ثَغْرَهُ حَبِيبُهُ
عَنِ الْكَتَائِبِ أَغْنَتْ فِي الْوَعَى كُتْبُهُ
أَنَارَهُ فَعَلَتْ أَجْبَالُهُمْ هُضْبُهُ
إِذَا أَتَى غَيْرُهُ بِالشُّوْكِ يَخْطِبُهُ
كُلُّ مُخْلَقٍ ثَوْبِ الْمَجْدِ مُخْتَضِبُهُ
إِلَى أَجَلٍ مَعَانِي الْقَوْلِ تَقْتَضِبُهُ
أَخْشَاءُ مُنَحْرِفٍ لَامَاتُهُ يَلْبَهُ (٢)
سَبَابَةٌ لِعَدُوٍّ قَدْ وَهَى سَبِيهُ
وَازِمُ الْفَجَاجِ لِيُسْرِ نَجْمُهُ طَلْبُهُ
يَهْرُهُ حِينَ يُنْثَلَى مَذْحُهُ طَرَبُهُ
بَيْتًا يُمَدُّ عَلَى هَامِ الشَّهَى طُوبُهُ
يُذْرِكُهُ حِينَ جَرَى نَحْوَ الْعُلَى تَعْبُهُ
إِذْ لَمْ تَكُنْ أَوْرَقَتْ فِي ظِلِّهَا قُضْبُهُ

(١) « سلبتي » ساقطة من م .

(٢) في م : يَرَاغُهُ . . . × .

تَنَاسَبَ الدُّرُّ مِنْ أَلْفَاطِهَا وَإِلَى
يَرْضَى وَيَغْضَبُ فِي حَالِي نَدَى وَرَدَى
رِضَاهُ لِلطَّلَابِي جَذْوَاهُ ثُمَّ عَلَى
بَحْرِ النَّدَى لَا إِلَى بَحْرِ الدُّنَا نَسْبُهُ
وَبَيْنَ هَذَيْنِ مِنْهُوْكَ الْحِمَى نَسْبُهُ
مَا تَحْتَوِي يَدُهُ مِنْ مَالِهِ غَضْبُهُ

● فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ أَشْكُرُهُ (١) : [من البسيط]

أَغْضُنُ قَدْ أَقْلْتُ بَانَهُ كُتْبُهُ
أَمْ دُرُّ ثَغْرِ حَبِيبٍ زَانَهُ شَبَبُهُ (٢)
أَمْ رَوْضُ حَزْنٍ جَدِيدٍ التَّبْتُ قَدْ بَسَمَتْ
فِيهِ أَقَاجِيهِ لَمَّا أَنْ بَكَتْ سُحْبُهُ
أَمْ جَانِبُ الْأَفْقِ قَدْ دَجَّتْ حَنَادِسُهُ
لِلْعَيْنِ لَمَّا أَزْدَهَتْ فِي لَمْعِهَا شُهْبُهُ
أَمْ بِنْتُ فِكْرِ جَلَاها لِي أَخُو أَدَبٍ
خِطَابُهُ زَانَ جِيدِ الدَّهْرِ أَوْ خُطْبُهُ (٣)
قَرِيضُهُ تَعْرِفُ الْأَسْمَاعَ جَوْهَرُهُ
فَلَوْ هَمَى الشَّعْرُ قَطْرًا قَبْلَهُ لَعَدَا
وَنَشْرُهُ لَمْ يُدَاخِلْ مَسْمَعِي أَحَدٍ
إِلَّا وَرَنَحَ مِنْهُ عِطْفُهُ طَرَبُهُ
وَحُطُّهُ مِثْلُ صُدُغٍ زَرَفْتُهُ يَدُ الْـ
حُسْنِ الْبَدِيعِ وَقَانِي الْحَدِّ مُلْتَهَبُهُ (٤)
لَوْضِعِهِ شُهْدَةٌ بِالْحُسْنِ قَدْ شَهِدَتْ
وَقَدْ تَبَرَّأَ مِنْ يَاقُوتِهِ نَسْبُهُ (٥)
وَلَا بِنِ مَقْلَةٍ عَيْنٍ مَا رَأَتْ حَسَنًا
هَذَا وَلَوْ عَايَنْتُهُ مَا انْقَضَى عَجْبُهُ

(١) القصيدة في أعيان العصر .

(٢) في م : أَعْضُنُ بَانَ أَقْلْتُ بَانَهُ كُتْبُهُ × .

(٣) في ب : × خُطَابُهُ

(٤) في ب : . . . مثل صُدُغٍ زَرَفْتُهُ × .

يقال : وقد زَرَفَنِي صُدُغِي : جَعَلَهُمَا كَالزَّرْفَيْنِ . وَالزَّرْفَيْنِ حَلَقَةُ الْبَابِ . (القاموس) .

(٥) في هامش م : شُهْدَةُ الْكَاتِبَةِ : معروفة ، من مشايخ الخط ، ولها سندٌ عالٍ في الحديث ، أَلْحَقَتْ فِيهِ الْأَصَاغِرُ بِالْأَكْبَارِ ، وَنَسَبَهَا مَعْرُوفٌ ، وَاسْمُهَا زَيْنَبُ ؛ وَقَدْ ذَكَرَهَا الْمُؤَرِّخُونَ كَالدَّهْمِيِّ فِي الْبُلَاءِ وَغَيْرِهِ .

ياقوت : معروف ، من مشايخ الخط . [وطمس ما بعد ذلك] .

قلت : هو المعروف بياقوت المستعصي ، صاحب كتاب « أسرار الحكماء » وفيه ترجمته .

هَذَا هُوَ الْبَدْرُ لَا النَّجْمُ الْبَصِيفُ فَقَدْ مَدَّتْ عَلَى ابْنِ هِلَالٍ فِي الْعُلَى طُنْبُهُ
جَزَاكَ رَبُّكَ بِذَرِّ الدِّينِ خَيْرَ جَزَى عَنْ أَمْرِي لَمْ يَطْلُ نَحْوَ الْعُلَى سَبَبُهُ
بَالَعْتَ فِي مَدْحِهِ فَاللَّهُ يَجْعَلُهُ كَمَا تَقُولُ لَتَعْلُو فِي الْوَرَى رُبْنُهُ

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مُلَغِزاً فِي « ضَبْع » ^(١) : [من الخفيف]

أَيُّهَا الْفَاضِلُ الَّذِي مَن يُجَارِي هِ تَقَوَّى فِيمَا ادَّعَى وَتَقَوَّلَ
وَالَّذِي مَن أَرَادَ يُبْصِرُ قَسَا فَعَلَيْهِ دُونَ الْبَرِيَّةِ عَوَّلَ ^(٢)
هَاتِ قُلْ بِاللَّهِ مَا حَيَوَانُ ثَابِتُ الْخَلْقِ قَطُ لَا يَتَحَوَّلُ
عَيْنُهُ إِنْ قَلَعْتَهَا يَتَبَدَّلَى حَيَوَاناً غَيْرَ الَّذِي كَانَ أَوَّلَ ^(٣)

● فَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ ^(١) : [من الخفيف]

يَا إِمَاماً طَالَ الْوَرَى بِمَعَانٍ فِي الْمَعَالِي يَقُوتُ مَن قَدْ تَطَوَّلَ
وَإِذَا أَعْضَلَ السُّؤَالَ فَمَا رَا لَ عَلَيْهِ فِي الْمُغْضَلَاتِ الْمُعَوَّلَ
أَيُّ زَهْرٍ أَهْدَيْتَهُ غَضَّ عَنْهُ طَرْفُهُ ، وَاسْتَحَالَ زَهْرَ الْمُحَوَّلَ
حِينَ أَلْغَزْتَ فِي مُعَمَّى هَدَانِي نَحْوَهُ الْفِكْرُ حِينَ سَوَّى وَسَوَّلَ
حَيَوَانٌ إِنْ صَيَّرُوا رَأْسَهُ الْعَيْ مَن رَأَوْهُ إِلَى الْجَمَادِ تَحَوَّلَ ^(٤)
فَابَقَ وَاسْلَمَ تُفِيدُ عِلْماً وَجُوداً فَهَمَا لَيْسَ لِأَمْرِي مُتَأَوَّلَ ^(٥)

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ، وَقَدْ شَرِبَ دَوَاءً : [من الطويل]

شَرِبْتَ الدَّوَا فِي طَالِعِ السَّعْدِ وَالْمُنَى وَطَرَفُ الْأَعَادِي عَنْ مَحَلِّكَ مَطْرُوفُ

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(٢) في أ : . . . أن يبصر . . . × . وبه ينكسر الوزن .

(٣) ضَبْ .

(٤) عَضْب .

(٥) في ب : × . . . بمؤول .

فَكَرَّرَ عَلَى بَيْتِ الْخَلَا غَيْرَ قَاصِرٍ عَلَى رَغَمِ أَنْفِ الصَّلِّ وَالْقَصْدِ مَعْرُوفُ
قُولِي : عَلَى رَغَمِ أَنْفِ الصَّلِّ ؛ أَرَدْتُ بِهِ قَوْلَهُ مِنْ أَبْيَاتِ نَظْمِهَا فِي شَخْصٍ
هَجَاهُ وَشَبَّهَهُ بِالصَّلِّ .

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ : [من الوافر]

أَيَا شَيْخِي الرَّئِيسُ لَقَدْ أَتَانِي شِفَاءٌ مِنْكَ رِبْشَ بِهِ جَنَاحِي
كَلَامٌ رَقٌّ حَتَّى كَادَ لُطْفَاً يَسِيلُ وَسَلَّ عَنِ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ
شَدَذْتُ بِهِ قُورَايَ فَصَحَّ عِنْدِي وَحَقَّقَكَ أَنَّهُ بُشْرَى الصَّلَاحِ

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ وَقَدْ جَاءَتْهُ بِنْتُ ^(١) : [من الوافر]

تَهَنَّنْ بِهَا وَإِنْ جَاءَتْكَ أَنْثَى لِأَنَّ الشَّمْسَ بَارِعَةً الْجَمَالِ ^(٢)
« وَمَا التَّائِيْتُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ » ^(٣)
« وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ أَتَانَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ »

● فَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ ^(١) : [من الوافر]

أَتَانِي مِنْ هَنَائِكَ يَا رَئِيساً تَتِينُهُ بِهِ الْمَعَانِي وَالْمَعَالِي
وَمِنْ أَثَارِ جُودِكَ مَا أَرَانِي حَيّاً أَهْدَيْتَهُ لِي رِيحُ الشَّمَالِ
وَكَمْ أَقْرَأْتَنِي وَقَرَأْتَ فَضْلاً يَقُوتُ الْخَضِرَ مِنْ أَدَبٍ وَمَالِ
● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ مَعَ أُبْلُوجَةٍ سَكَّرَ ، وَكُنْتُ قَبْلَهَا قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيْهِ قَلِيلَ

قَطْرِ ^(١) : [من المجتث]

أُبْلُوجَةً بَعَثْتَهَا مَحَبَّةً لَكَ عِنْدِي

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(٢) في م : . . . وقد جاءتك . . . × .

(٣) البيتان للمثنبي ، في ديوانه ١٨/٣ . ورواية الثاني منهما : وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا × . وكذا ورد في م ! .

فِي اللَّوْنِ وَالكَوْنِ أَصَحَّتْ تَخَالُهَا نَهْدَ هِنْدٍ

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيَّ^(١) :

يُقَبَّلُ كَذَا ، وَيُنْهَى وَصُولَ صَدَقَتِهِ الْجَارِيَةِ ، وَهَدِيَّتِهِ الَّتِي جَاءَتْ بَيْنَ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ مُتَهَادِيَةً ، وَهِنْدِيَّتِهِ الَّتِي قَامَ نَهْدُهَا مَقَامَ ثَغْرِ الْغَائِيَةِ ، [٤٦] وَأَشْرَقَتْ الْأَرْضُ بِنُورِ وَجْهِهَا ، وَكَأَنَّ الْقَمَرَ فِيهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، نَهْدُ أَبْرَزَةِ الصَّدْرِ ، وَشَهْدُ مَا تَجَرَّعَتْ دُونَ اجْتِنَاءِ حَلَاوَتِهِ مِنْ إِبْرِ النَّخْلِ مَرَارَةَ الصَّبْرِ ، وَهَرَمَ أَكْسَبَ رَوْنَقَ الشَّبَابِ وَجْهَ الدَّهْرِ ، وَوَجْهَ طَبِيعَ عَلَى دَائِرَتِهِ لَيْلَةً تَمَامِهِ الْبَدْرُ .

فَقَابَلَ الْمَمْلُوكُ تِلْكَ الْمِنْحَةَ^(٢) بِدُعَائِهِ ، وَشُكْرِهِ الْمُفْرِطِ وَثَنَائِهِ ، وَمَدَحِهِ الَّذِي تَنْدَرِجُ شَوَاهِدُ وَدِّهِ الصَّادِقِ فِي أَثْنَائِهِ ، وَتَذَكَّرَ بِهَا مَا مَضَى ، وَشَكَرَ يَدَ الْكَرِيمِ الَّذِي اسْتَأْنَفَ إِحْسَانَهُ السَّابِقَ وَمَا انْقَضَى ، فَذَكَرَ بِنُضَارِ الْقَطْرِ السَّائِلِ ، وَلُجَيْنِ هَذَا الْمَاءِ الْقَائِمِ قَوْلَ الْقَائِلِ^(٣) : [مِنَ الْكَامِلِ]

وَكَذَا الْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بَيْلِدَةً سَالَ النُّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ فِي سَنَةِ ٧٥١ وَنَحْنُ بِدَمَشَقَ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي يَوْمٍ وَقَعَ فِيهِ

ثَلُجٌ كَثِيرٌ إِلَى الْغَايَةِ :

يُقَبَّلُ^(٤) الْمُسْرِفَةُ بِتَرْبِهَا ، الْمُسْرِفَةُ عَلَى كَيْوَانِ الْأَشْرَفِ بَعْيُونِ شُهْبِهَا ، الْمُسْرِفَةُ بِمَا تَبْسُطُ مِنْ أَرْزَاقِ الْأَمِلِينَ أَيَادِي سُحْبِهَا ، الْمُسْرِفَةُ فِي الدَّهْرِ الْمُدْلَهَمِ بِنُورِ رَبِّهَا .

وَيُنْهَى أَنَّهُ سَطَّرَهَا وَالثَّلْجُ قَدْ نَفَسَ صُوفُهُ ، وَنُشِرَتْ شُفُوفُهُ ، وَوَدَّيْتُ عَلَى

(١) النص في أعيان العصر .

(٢) في أ : المحنة ! وفي م : المحبة .

(٣) البيت للمتنبى ، في ديوانه ١٩/١ .

(٤) في ب ، س ، م : يقبل الأرض المشرقة . . .

تَرَائِبِ الْجُدْرَانِ ذَوَائِبُهُ الشَّائِبَةُ وَدَلَّيْتُ قُطُوفَهُ ، وَلُبِسَ عَلَى رَسْمِ الْمُتَعَمِّمِينَ لِنَظَرِ هَذَا الْيَوْمِ الْمُقْبِلِ تَشْرِيفُهُ ، وَبُسِطَ عَلَى بَطَائِنِ الطُّرُقِ قُطْنُهُ الطَّائِرُ بِقَوَسِ الْغَمَامِ نَدِيفُهُ ، وَلَبِثَ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى خِمَارُهُ ، وَعَلَى أَرْدَافِ الرُّبَا نَصِيفُهُ ، وَأَزْخِيَتْ عَلَى أَعْطَافِ الْأَغْصَانِ عَذْبُهُ ، وَبَرَقَتْ فِي جِبَاهِ الْأَنْهَارِ أَسَارِيرُهُ ، وَبَدَأَ فِي ثُغُورِ الْجَدَاوِلِ شَنْبُهُ ، وَأُزْسِلَتْ بِلُزُومِ الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ نُجْبُهُ ، وَأُسْدِلَتْ عَلَى وَجْهِهِ الْمَسَالِكِ سُتُورُهُ الْمَانِعَةُ وَحُجْبُهُ ، وَحُمِلَتْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَغْصَانِ وَعُيُونِ الزَّهْرِ أَمْوَاجُهُ الزَّاخِرَةُ وَكُثْبُهُ ، وَأَخَذَ الْأَبْصَارَ الرَّامِقَةَ بَرِيقَهُ وَرَدَّهَا بِصَبِيضِهِ ، وَرُضِعَتْ فِي بَدَنَاتِ الْأَبْنِيَةِ فُصُوصُهُ ، وَسُدَّ بِهِ خِصَاصُ كُلِّ بَيْتٍ لَوْلَاهُ مَا ثَلَّتْ غُرُوشُهُ وَلَا هُدِمَتْ خُصُوصُهُ ، وَضَعُفَتْ قَوَائِمُ الْجُدْرَانِ مِنْهُ عَنْ حَمَلِ مَا ثَقُلَ عَلَى الثُّبَيَّانِ الْمَرْصُوصِ مَرْصُوصُهُ ، وَتَطَايَرَتْ صُحُفُهُ الْبَيْضُ ، وَنُشِرَ ثَوْبُهُ الطَّوِيلُ الْعَرِيضُ ، وَسَقَطَ طَائِرُهُ وَمَا كُلُّ جَنَاحُهُ وَلَا هَيْضُ^(١) ، وَدَنَا فَرَّاشُهُ مِنْ سُجُجِ الْعُيُونِ الرَّامِقَةِ إِلَى وَمِيضِ ، وَانْكَدَرَتْ نُجُومُهُ الْمُنْحَدِرَةُ فَلَزِمَتْ الْحَضِيضُ ، فَكَمْ مِنْ ثُرَيَّا عُلِقَتْ بِأَمْرَاسِ كَتَانِهِ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ^(٢) ، وَكَمْ عَاوَدَتْ يَدُ الرِّيحِ بِهِ مِنْ فُتَاتِ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ، وَقَدْ سَلَسَ قِيَادُ اللَّذَّةِ ، وَأَصْبَحَتْ جَوَامِحُ خُيُولِ اللَّهِوِ الَّتِي هِيَ إِلَى غَايَاتِ الْأَفْرَاحِ مُغْدَّةً ، وَلَانَ جَانِبُ الشَّرُورِ ، وَفَكَ جَيْبُ اللَّهِوِ الْمَزْرُورِ ، وَأُذِنِلَ مِنَ الظُّلْمَةِ الثَّوْرُ ، وَأَتَى أَمْرُ الْبَرْدِ بِلُزُومِ الْمَنْزِلِ فَقَبِلَ وَقَدْ فَارَ الثَّوْرُ ، وَالْحُزْمَةُ تَقْتَضِي إِكْرَامَ هَذَا الصَّيْفِ ، وَتُلْزِمُ قَبُولَهُ فَإِنَّهُ نَازِلٌ رِخْلَتَهُ لِلشَّتَاءِ لَا لِلصَّيْفِ ، وَإِكْرَامُ نَزْلِهِ مِنْ شَوَاهِدِ الْكَرَمِ ، وَالْإِعْتِدَادُ لِمِثْلِهِ أَوْلَى مَا شُدَّتْ بِهِ أَوَاصِرُ الْحَرَمِ ، وَهُوَ فَمَا [٤٦ ب] خَرَجَ عَنِ الْعَادَةِ وَلَا

(١) « ولا هيض » ساقطة من م .

(٢) من قول امرئ القيس : [ديوانه ١٩]

كَأَنَّ الثَّرِيَّا عُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسِ كَتَانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ

خَرَمَ ، وقد أتى والزَّمانُ في شَبِيهَتِهِ فَسَّرَ ، ومِثْلُهُ لا يَأْتِي على (الهُموم و) الهَرَم .

والخادِمُ يَتَوَسَّلُ إلى أَخلاقِ مَولانا السَّريَّةِ ، وطِباعِهِ التي خالَفَتْ من الشُّوء ما في الطِّباعِ البَشَريَّةِ ، وشَمائِلِهِ التي : [من الطويل]

هِيَ المَاءُ أو أُنْدَى من المَاءِ رِقَّةً وَلُطْفاً إِذا شَبِيتَ بِهِ الرِّاحُ وَاللَّمَى
تُجِيبُ إِذا هُزَّتْ بِعَزمٍ كَأَنَّهُ صَفِيحَةُ هِنْدِي إِذا هُزَّ صَمَمًا
بِأَيَّامِ الصِّبا التي خَلَتْ عَهودُها المَواضي ، وَلِيايِ الوَصْلِ التي حُلَّتْ
عُقودُها من خَلَفِ القَاضي ، والتَّفسِ المُطَمِّئَةِ بِالتِّزامِ المَعشُوقِ إِذا حَصَلَ
التَّراضي ، في الاسْتِغْفافِ بِنَظَرِهِ ، وقَضاءِ وَطَرِ العَبْدِ الأَصْغَرِ وَوَطَرِهِ ؛ فَإِنَّ
النَّارَ قَدِ انْتَهَبَ جَمْرُها ، واشْتَهَبَتْ سُوْدُها وَحُمْرُها ، وَلَبَسَتْ المَسالِكُ
الثَّلُوجَ ، وَحَبَسَتْ عَنِ الدُّخُولِ إلَّا في لَذَّةٍ لا يَحْسُنُ مَعها الحُرُوجُ ؛ والعَبْدُ
عائِفٌ في البَيْتِ لا يَرِيمُ ، ومَولانا البادِيءُ وَلَهُ الفَضْلُ وكذا الكَرِيمُ ، والرَّأيُ
أَعْلَى ، وأَحَقُّ بِأَنْ يُنْتَهَلَ ما يَنْتَضِيهِ وَأَوَّلَى ، إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى .

● فكتبْتُ أَنَا الجَوابَ إِلَيْهِ عَن ذلك :

يُقْبَلُ الأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرودَ المُشْرِفِ الكَرِيمِ في هذا اليَومِ الذي ابْيَضَّتْ
رَأْيَتُهُ ، وَعَظُمَتْ في الآياتِ آيَتُهُ ، وَجُعِلَتْ إلى القِيامَةِ غَايَتُهُ ، وَتَطَايَرَتْ
صُحُفُهُ ، وَنُشِرَتْ مُلَاءَتُهُ ، وَغَطَّتِ الأَرْضَ لُحْفُهُ ، وانتَشَرَ في الجَوِّ جَراؤُهُ ،
وَمَلَأَ الفُضاءَ انْعِكَاسُهُ وأَطْرادُهُ ، وَذَرَّ على الوجودِ مِنَ الكَاتبَةِ رَمادُهُ ، وَمُنِعَ كُلُّ
جَفْنٍ كَراهُ فَمَا يَرِجُّ بِرُفاهِ رُقادُهُ ، وَبَهَرَ كُلَّ عارِفٍ بِبَياضِهِ^(١) حَتَّى انْتَهَمَهُ
سَوادُهُ ، وَأَذْهَلَ كُلَّ صَبٍّ عَنِ إلْفِهِ فَمَا تُلْهِمُهُ رَبَّائِهِ ولا سَعادُهُ ، فَأَفْخِجَ بِهِ وَإِنْ
كَانَتْ تُغَوِّرُهُ ضَحَّاكَةٌ ، وَيَدُهُ لِحْصَا الكافُورِ فَرَاكَةٌ ، وَأَبْعَدَ بِهِ وَإِنْ مَلَأَ الفُضاءَ

(١) في م : وبهر كل طرف بياضه .

فِضَّةً ، وَجَعَلَ الوِهادَ والرُّبا بَعْدَ قَشْفِها وَكَلَفِها غَضَّةً بَضَّةً .

فوقَفَ المَمْلوكُ مِنْهُ على حَدائِقِ ذاتِ بَهْجَةٍ ، ورَأَى بِهِ طَريقَ البَيانِ وَنَهْجَهُ ،
وفَداهُ بِما لَهُ مِنْ عَيْنٍ وما يَمْلِكُهُ مِنْ مُهْجَةٍ ، وَغَرِقَ مِنْ عَجائِبِهِ في لُجَّةٍ بَعْدَ
لُجَّةٍ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ قَلَمَ مَولانا مَجَّ فِيهِ دُرَّةٌ يَتِيمةٌ في كُلِّ مَجَّةٍ ، فَهالَهُ ما وَقَفَ عَلَيْهِ
مِنْ هَذِهِ الأوصافِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الاعْتِرافَ لَهُ بِالْعَجْزِ مِنْ جُمْلَةِ الإنْصافِ ، فَمَا
يَصْلُحُ هَذَا البَرُّ لابْنِ المُعْتَرِّ ، ولا هو مِمَّا يُومي إلى ابْنِ الرُّومي ، ولا هَذَا التَّمامُ
مِنْ رِيحانِ أَبِي تَمَّامٍ ، ولا هَذَا المُعْجِزُ الَّذِي يُشَيِّبُ مِمَّا افْتَحَرَ بِهِ أَبُو الطَّيِّبِ .

وبِلاغَةُ المَعاني قَرَنَها مَولانا بِفِصاحَةِ العِبارَةِ ، وإِتقانِ التَّشْبِيهِ ضَمَّهُ إلى
حُسْنِ الاسْتِعارَةِ ، فَلِلَّهِ هَذِهِ الكَلِمُ التي صاغَها لِسانُهُ ، وَأَتَى بِها حَسَنَةً ،
وَأَهْدَاها إِحْسانَهُ .

وقَدِ قَابَلَ المَمْلوكُ أَمْرَ مَولانا بِامْتِثالِهِ ، وهو في عَزْمِ الحُضُورِ إلى بابِهِ
العالي لا زَالَ أُولِياؤُهُ في ظِلالِهِ ؛ هَذَا إِنْ تَقَشَّعَ هَذَا السَّحابُ ، وَشَمَّرَ ذَيْلُهُ
السَّحابُ ، وَأَقْلَعَ هَذَا النُّوءُ الَّذِي زادَ نَدْفَ قُطانِهِ ، وَضَيَّقَ فُسْحَ المَنْزِلِ على
قُطانِهِ ، وإِلَّا فَالطَّرُقُ قَدِ طُمَّتْ خَنادِقُها ، وَجالَتْ [١٤٧] في رُفْعَتِها أَوْلادُ الزُّنا
وَتَفَرَّزَنْتْ بِبادِقُها ، وَكُلُّ خَمْسَةٍ أو سِتَّةٍ قَدِ وَقَفُوا عِنْدَ سَبْعِ صَنْعُوهُ ، وَإِذا مَرَّ بِهِمْ
أَحَدٌ تَناءَلُوهُ بِكَراتِ الثَّلْجِ وَشَقَّعُوهُ أو سَقَّعُوهُ ؛ وما يُسْمَعُ لَهُ كَلامٌ ، وَاللهُ
المُسَلِّمُ مِنْهُمْ ؛ والسَّلَامُ .

وَإِنْ أَمَكَنْتِ الفُرْصَةُ حَضَرَ المَمْلوكُ إلى مَولانا ، وَنالَ مَعروفَةً ، وإِلَّا فَنادِرَةً
خَبِرَ طَرِيٌّ مَعَ الأَشْرَفِ في مِثْلِ هذا اليَومِ مَعروفَةً . أَنهِيَ ذلكَ .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضاً^(١) : [من مِخلَعِ البَسيطِ]

(١) الأبيات في أعيان العصر .

يا ماجداً لم يزل نداءه
ومن غدا بالصفاء يُكنى
نحن افتراقاً بناث نعش
فيسر إلينا نكن ثرياً
ولا تدعنا نزل شوقاً
ولا تقل للرسل : إني

● فكتب أنا الجواب عن ذلك (٢) : [من مخلص البسيط]

أيأتك الغر قد أتني
شعرك فيها ظريف لفظ
قد أنقلت كاهلي بشكر
فإن أفر بالمسول فيكم
وإن تخلفت عن جماكم
يا طول دقي في الجرن حزني (٣)

● وكتب إلي وقد توالى الأمطار والثلوج في العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم ، سنة ٧٥٢ وذلك في تشرين الثاني (٤) :

كيف مولانا ، ألحف الله ظله ، وأزشف ظله ووبله ، وحمل على أعناق
الأيام كله ، وجعل مثله السحاب الجود ولا أعرف مثله ، وضاهى برزقه هذا
الغيث الواقع على خلاف القياس كله ؛ فإن هذا اليوم قد عزز الصن والصنبر (٥)

(١) في م : نحن افترقنا . . . x .

(٢) الأبيات في أعيان العصر .

(٣) العجز مكسور الوزن ، ولو قال : يا طول دقي بجرن حزني ، لصح الوزن . وسقطت « دقي في الجرن » من م ومكانها فراغ .

(٤) النص في أعيان العصر .

(٥) الصن والصنبر : من أيام برد العجز ؛ قال الشاعر :

فإذا انقضت أيام شهلتي
بالصن والصنبر والوئير =

وعجز الصبر ، وعزى سكان الأحداث بالأخياء فكل بيت قبي (١) : [من مجزوء الكامل]

يوم كان سماءه حجباً بأجنحة الفواخث

جاء بالطوفان والبحر المحيط ، وجاب الصخر بوادي الزبوة دم سيله
العبيط ، وجال في وجه البسيطة حياؤه ، فما انبسطت الخواطر لجوهره
البسيط ، أنخت النجوم في ليله ، وأطلع الحي القيوم على زنته الراححة
وكيله ، وتراكت سحبه السائرة فضاء الأفق بفضل ذيله ، وأجلب على الوهاد
والربا برجله الطامة وخيله ، فكأنما وهت عرى ذلك الزمهرير فهبط ، أو هينص
جناح السحاب الجون فسقط ، أو حل سلك النجوم الزاهرة ففرط جوهر ذلك
القطر لما انفرد ، فالجدران لهيبه مطرقة ، والعمران (٢) قد تداعت فلا تقبل
البناء جموعها المفارقة ، والطرق قد شرفت بالسيول فلا تنطق آثارها المغربة ولا
المشرقة ، وقد قص جناح الازيكاض ، وحصت قوادمه فما تنهض ، وعظمه
منهاض ، والسيل قد بلغ الزبي ، وسوى بين الوهاد المتطامنة والزبي ، وبكت
الشقوق بعيون الدلف ، وحملها المطر بيده العادية على خطه خسف ،
واستدل لها بمنطق الرعد على أن [٤٧] قدأماها الخير ، فقالت : هذا خلف ،
وشهر الصوم قد بلغ غايته ، وعيد الفطر قد نصب رايته ، وتلا آيته ، وطلب منه
الموسر والمعسر كفايته ؛ فأعاد الله مولانا من الطلب فيه ، ولا ألجأه إلى

= وبأمر وأخيه مؤتمير ومعلل ومطفيء الجمر
ذهب الشتاء مؤلياً عجلاً وأنتك وإفدة من الحر
[ثمار القلوب ١/ ٤٨٣ - ٣٨٤] .

(١) البيت لابن المعتز ، في ديوانه ٢٢٣/٢ ومن غاب عنه المطرب ١٠٧ (شعلان) و ١٣٠ (سامرائي)

والكشف والتنبه ٢٢٨ .

(٢) في م : والبيان .

السَّعْيِ لَابْتِغَاءِ فَضْلِ اللَّهِ إِلَّا بِفِيهِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

● فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ (١) :

الْعَجَبُ مِنْ سُؤَالِ مَوْلَانَا عَنْ الْمَمْلُوكِ بِكَيْفِ حَالِهِ ، وَعِنْدَهُ عِلْمُ هَذَا الْعَنَاءِ الَّذِي نُصِبَ عَلَى الْإِنْسَانِ ، وَالتَّصَبُّ تَمْيِيزُهُ وَحَالُهُ ، وَهِيَ حَالُ أَبِي الطَّيِّبِ وَمَا عِلْمُ ابْنِ مَنْصُورٍ بِهَا ، وَلَوْ عِلْمُ اسْتِعْمَالِ التَّبَاهُ ؛ أَمَا تَرَى هَذَا النَّوْءَ الَّذِي ذُمَّ نَوَالُهُ وَحُمِدَ نَوَاهُ ، وَأَذْهَلَ الصَّائِمَ عَنْ صَوْمِهِ ، فَمَا بَيَّتَ أَمْرُهُ وَلَا نَوَاهُ ، وَشَغَلَهُ عَنْ حِسِّهِ فَمَا يَذَرِي أَأَفْطَرَ عَلَى تَمَرَةٍ أَمْ نَوَاهُ (٢) ؛ قَدْ هَالِ الْجِبَالُ أَمْرُهُ ، فَشَابَتْ مِنَ الْفَرْقِ إِلَى الْقَدَمِ ، وَغَمَرَتْ سُيُولُهُ الْأَبَاطِحَ وَالرُّبَى ، وَلَكِنْ مِنَ الزِّيَادَةِ بِدَمٍ ، كَيْفَ يَهْتَأُ الْعَيْشُ وَبُرُوقُ الْحَيَاةِ سُيُوفٌ تُخْتَرَطُ ، وَنَفْسُ هَذِهِ الرُّعُودِ يَخْرُجُ بَعْدَهَا حُسْبٍ فِي حَشَى السَّحَابِ وَانْصَعَطَ ، وَالْحَاحُ سَائِلُ هَذَا الْمَطَرِ ، فَلَوْ كَانَ قَطْرُهُ دُرًّا لَمَا مَدَّ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ كَفًّا وَلَا التَّقَطُّ ، وَتَوَالِي هَذِهِ الْغِيُوثِ الَّتِي لَوْ عَايَنَهَا ابْنُ هَانِي لَمَا قَالَ (٣) : [من البسيط]

أَلَوْلَا دَمْعُ هَذَا الْغَيْثِ أَمْ نَقَطُ

كَأَنَّ الْأَيَّامَ قَوَافِي أَنْدَمَجَتْ فِي اللَّيْلِ ، أَوْ النُّجُومَ أَقَاحِي وَلَكِنْ غَطَّاهَا تَرَافُكُ السَّحَابِ السَّحَابِ لِلذَّلِيلِ ، أَوْ كَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الزَّمَانَ سَرْمَدًا ، فَلَا يَتَعَاقَبُ فِيهِ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ ، وَلَا تَصْفُو لُجَّةُ الْأَفْقِ بِضَوْءٍ وَلَا تَزِيحُهَا الدِّيَاجِي بِكَدَرٍ ، قَدْ تَزَاحَمَتِ الْغِيَاهِبُ عَلَى الْمَوَاقِيتِ بِالْمَنَاقِبِ ، وَجُهِلَتِ الْمُدَدُ ، فَيَا وَحْشَتَنَا لِحَاجِبِ الشَّمْسِ وَمُحَيِّ الْقَمَرِ وَعُيُونِ الْكَوَاكِبِ ، أَكُلُّ هَذَا تَشْرِيعٌ يَشْرِينِ ، وَشَرُّهُ شَرٌّ حَتَّى نَتَجَرَّعَ مِنْ أَمْرِهِ الْأَمْرَيْنِ ، وَشَهْرُهُ شَهْرُهُ ، فَيَا أَيَّامَ كَانُوا إِذَا

(١) النص في أعيان العصر .

(٢) في أ : نواها .

(٣) ديوانه ١٩٥ . وعجزه : ما كان أحسنه لو كان يُنْقَطُ .

جُنْتُ مَاذَا تَبِيعِينَ وَتَشْرِينَ ؟ أَمَّا الْمَسَاكِينُ فَأَهْلُهَا مَسَاكِينُ ، وَأَفْوَاهُهُمْ مِنَ الْحُزْنِ مُطْبِقَةٌ فَمَا تَفْتَحُهَا السَّكَاكِينُ ، قَدْ انْتَبَذَ كُلُّ مِنْهُمْ زَاوِيَةً مِنْ دَارِهِ ، وَتَدَاخَلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضِهِ لِتَضَمُّهُ بَقْعَةً عَلَى مِقْدَارِهِ ، هَرَبًا مِنْ تَوْقِيعِ أَكْفِ الْوَكْفِ ، وَخَوْفًا مِنْ رُكُوعِ الْجِدَارِ وَسُجُودِ السَّقْفِ .

وَمَا يَعْتَقِدُ الْمَمْلُوكُ أَنَّ فِي كَانُونٍ مِثْلَ هَذِهِ الْجَمَرَاتِ ، وَلَا أَنَّ سَابَاطَ شُبَاطٍ وَأَذَى أَذَارٍ يَزِمِي الْقُلُوبَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحَسَرَاتِ ، وَتَمَامُ التَّعْثِيرِ فِي الرُّكُوبِ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ ، وَالْكِتَابَةِ الَّتِي صَارَتْ فِي هَذَا الزَّمَانِ زِيَادَةً فِي نَقْصِ السَّيَادَةِ ؛ وَاتَّسَاعِ هَذِهِ الْأَهْوَالِ ، وَضَيْقِ ذَاتِ الْيَدِ ، مُضَافًا إِلَى ضَيْقِ الثُّقُوسِ ، وَبُصَاقِ هَذَا التَّلْجِ فِي وَجْهِ الصَّاحِكِ مِنَّا وَالْعَبُوسِ ، وَشُكْرِ هَذِهِ الْمَيَازِينِ الَّتِي لَا تَبُولُ إِلَّا عَلَى الرُّؤُوسِ ، وَأَشْغَالِ الدِّيَوَانِ الَّتِي تُكَاثِرُ الْمَطَرُ ، وَلَا تَبْلُغُ الْغَايَةَ مِنَ الْوَطَرِ ؛ فَتَخُنُ مِنَ الدِّيَوَانِ فِي جَامِعَةٍ لَا جَامِعَ ، وَبَابُ الْبَرِيدِ عَلَى عَدَدِ السَّاعَاتِ وَذَقُّهُ هَامِعٌ ، وَبَرْقُهُ لَامِعٌ ، لَا يَفْتَرُّ وَرُودُهُ ، وَلَا يَزَالُ يَصِلُ حَدِيدُهُ [١٤٨] وَتَصِلُ وَفُودُهُ ، وَكُلُّ كِتَابٍ يَصِلُ مَعَهُ تَفَرَّغُ مِنْهُ أَشْغَالٌ عَدَدَ حُرُوفِهِ ، وَتُطَلَّبُ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ ، فَلَوْ كَانَتْ بِالطَّائِعِ لَانْهَارَتْ جَوَانِبُ جُرُوفِهِ ؛ وَصَاحِبُ الدِّيَوَانِ أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَالَهُ فِي تَنْفِيذِ الْمُهِمَّاتِ أَسْرَعَ مِنْ هَذِهِ الْبُرُوقِ ، وَأَنْفَذَ مِنَ السَّهْمِ فِي الْقَضَاءِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَا يَصُدُّ وَلَا مَا يَعْوِقُ ، فَهُوَ إِذَا ذَبَرَ الْمُهِمَّاتِ نَجَزَ ، وَدَمَّرَ الْعُدَاةَ وَخَنَزَ ، وَهَذَا الْعَيْدُ قَدْ أَقْبَلَ وَمَا لَنَا بِتَكَالُفِهِ قَبْلُ ، وَكُلُّ مَنْ يَخْتَصُّ بِشَيْءٍ مِنْهَا يَلْحَظُكَ بِطَرَفٍ مُتَخَازِرٍ كَأَنَّمَا بِهِ قَبْلُ ، وَالْإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ عَلَى هَذِهِ الشُّرُورِ الَّتِي انْصَلَتْ نَقَطُ خَطِّهَا ، وَالْفِرَارُ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْخُطُوبِ الَّتِي تَعَجَّزُ عَنْ شَيْلِ سَيْلِهَا وَحَدَّ حَطِّهَا ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَوْلَانَا وَإِيَّاهُ حَلَاوَةَ الصَّبْرِ ، وَيَجْعَلُ الْعَدُوَّ بَيْنَ جَانِحَتَيْ قَبْرِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

الشيخ الإمام ، البارغ ، البليغ ، الخطيب ، نجم الدين ، أبو محمد ، بن الشيخ كمال الدين القزطبي ، خطيب الجامع الظاهري [بصفد] ، وكاتب السر الشريف بها .

● كتب هو إليّ يوماً ، وقد فارقتُه مُتَأَذِياً^(٢) : [من السريع]

بِاللهِ لَا تَغْضَبُ لِمَا قَدْ بَدَا فَأَنْتَ عِنْدِي مِثْلُ عَيْنِي الْيَمِينِ
مَا أَتَعَبَ النَّفْسَ سِوَى مَنْ غَدَا يَجْحَدُ مَا أَوْلَيْتُهُ أَوْ يَمِينِ
وَأَنْتَ عِنْدِي جَوْهَرٌ قَدْ صَفَا مِنْ دَنْسِ الدَّمِّ نَفِيسٌ ثَمِينِ
وَوَالَّذِي يَغْلَمُ مَا قُلْتُهُ إِنْخِبَارٌ مَنْ أَخْلَصَ فِي ذِي الْيَمِينِ
مَا حُلْتُ عَنْ حُسْنِ الْوَفَا فِي الْهَوَى وَأَنْتَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْأَمِينِ^(٣)

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(٢) : [من السريع]

بَرَزْتُ فِيمَا قُلْتَ يَا سَيِّدِي وَلَسْتُ تَخْتَاجُ إِلَى ذِي الْيَمِينِ
وَاللهِ لَمْ أَغْضَبْ وَحَاشَا لِمَنْ أَرَاهُ عِنْدِي مِثْلُ عَيْنِي الْيَمِينِ
وَلَمْ يَكُنْ غِيْظِي إِلَّا لِمَنْ يَمِيلُ عَنْ طُرُقِ الْوَفَا أَوْ يَمِينِ
وَيَقْتَرِي الْبَاطِلَ فِي قَوْلِهِ عَنِّي وَلَيْسَ النَّاسُ عَنْهُ عَمِينِ
وَيُظْهِرُ الْوُدَّ الَّذِي إِنْ بَدَا ظَاهِرُهُ وَالْغِشُّ فِيهِ كَمِينِ

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢/٢٣٢ والوافي بالوفيات ١٢/٢٥٦ وذبول العبر ١٣١ وتذكرة النبي ٢/١٤٠ والذّرر الكامنة ٢/٤٤ والمنهل الصافي ٥/١٣٤ والدليل الشافي ١/٢٦٩ وشذرات الذهب ٨/١١٠ .

- مولده سنة ٦٥٨ هـ . ووفاته سنة ٧٢٣ هـ .

- ما بين حاضرتين زيادة لازمة من الأعيان .

(٢) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٣) في ب : × وأنت في ذا المكين الأمين . وفي س : × وأنت في هذا المكين الأمين .

فَعَثُّهُ غَثِّي نَفُوسَ الْوَرَى مِمَّنْ تَرَى وَالشُّمُّ مِنْهُ سَمِينِ

● وَنَظَمَ يَوْمًا هَذِهِ الْأَبْيَاتِ فِي سَنَةِ ٧١٩ بِصَفْدِ الْمَحْرُوسَةِ : [من السريع]

قُمْ نَنْتَهِزْ فُرْصَةً أَوْقَاتِنَا فَالْوَقْتُ قَدْ رَاقَ وَغَثِّي الْحَمَامُ^(١)
وَالزَّهْرُ قَدْ أَبْدَى لَنَا ثَغْرَهُ طُولَ ابْتِسَامٍ مِنْ بُكَاءِ الْعَمَامِ
فَمِنْهُ مَا أَطْلَعَ شَمْسَ الضُّحَى وَمِنْهُ مَا أَبْدَعَ بَذَرَ التَّمَامِ
وَمِنْهُ مَا لَاحَتْ يَوَاقِيَتُهُ مِثْلَ كُؤُوسٍ مُلْتَثَمَةٍ مِنْ مُدَامِ
إِذَا أُدِيرَتْ فَوْقَ أَغْصَانِهَا جَلَتْ بُرُوقًا فِي بَقَايَا عَمَامِ
تُذَكِّرُ الْعُشَّاقَ مَحْبُوبَهُمْ إِذَا تَبَدَّى مُسْفِرًا عَنْ لِثَامِ
يُضْرِمُ فِي الْأَخْشَاءِ نَارَ الْأَسَى وَوَجْهَهُ يَدْخُلُ دَارَ السَّلَامِ
فَكَمْ لَهُمْ مِنْ نَشْوَةٍ فِي الْهَوَى وَكَمْ لَهُمْ مِنْ سَكْرَةٍ بِالْغَرَامِ
وَلَا تُسَوِّفُ فَمُيُوفَ الرَّدَى لَيْسَ لَهَا دَأْبٌ سِوَى الْإِنْتِقَامِ
أَبْنَى مُلُوكِ الْأَرْضِ مِمَّنْ مَضَى وَأَيْنَ مَنْ قَدْ سَادَ مِنْ عَهْدِ حَامِ
وَلَا تَقُلْ قَدْرِي غَدَا سَامِيًا فَكَمْ سَمًا مِثْلُكَ مِنْ قَبْلِ سَامِ

● واقترح عليّ أَنْ أَنْظِمَ فِي مَعْنَاهَا وَوَزَنَهَا وَرَوَّيْهَا ، فنظمتُ حَسْبَمَا

اقتَرَحَهُ : [من السريع]

بَادِرْ صَفَا الْعَيْشِ وَصَفَوَ الْمُدَامِ وَاغْتَنِمِ اللَّذَاتِ قَبْلَ الْجَمَامِ
[٤٨ ب] وَأَنْفِ جُيُوشَ الْهَمِّ إِنْ جَاوَزَتْ بَيْنَتْ كَزَمٍ أَوْ بَيْنَتْ الْكِرَامِ
فَالزَّهْرُ فِي الدَّوْحِ كَزَهْرِ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّتْ فِي أَدْنَمِ الظَّلَامِ
كَمْ سَحَبَتْ رِيحَ الصَّبَا ذَيْلَهَا عَلَيْهِ حَتَّى انْشَقَّ مِنْهُ الْكِامِ
فِي رَوْضَةٍ حَاكَتْ أَكْفُ الْحَيَا لَهَا بُرُودًا مَا حَكَاهَا الْأَنَامِ

(١) في ب : × . . . قد راقَ وغَثِّي الحمام .

وَاسْتَحَرَجَتْ مَكْنُونَ أَزْهَارِهَا
وَجَرَّدَ النَّهْرُ بِهَا صَارِمًا
فَدَعَى زَمَانًا مَرَّ بِالْمُنْحَنِ
وَبَادِرِ الْفُرْصَةِ مَا أَمْكَنْتَ
فَلَيْسَتْ الدُّنْيَا وَإِنْ أَقْبَلَتْ
فَحَامٌ لَمَّا سَامَ فِيهَا الْبَقَا
وَكَمْ أَبَادَ الدَّهْرِ مِنْ مَعْشَرٍ
وَأَوْدَعَ الْأَمْلاكُ بَطْنَ الثَّرَى

● وجاءني منه كتاب من صفد المحروسة ، وأنا بدمشق المحروسة ، في سنة ثمان عشرة وسبع مئة ، فيه نظم ونثر عديمته^(٢) ، فكتبْتُ أنا إليه^(٣) : [من

الطويل]

تَذَكَّرْتُ عَيْشًا مَرَّ قَدَمًا وَقَدْ خَلَا
فَهَاجَتْ لِي الذِّكْرَى غَرَامًا أَلْفَتُهُ
وَأَذَكَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ نَارَ صَبَابَتِي
وَلِلَّهِ صَبْرِي فِي الرِّزَايَا فَإِنَّهُ
وَقِيلَ : أَتَبْكِي فِي دِمَشْقَ مِنَ الْأَسَى
زَمَانًا تَقْضَى أَوْ رُبُوعًا تَطَاوَلَتْ
فَقَاضَتْ جُفُونِي بِالْذُّمُوعِ لِقَوْلِهِمْ
وَهَلْ نَافِعِي أَنَّ الرِّيَاضَ تَدَبَّجَتْ

(١) في ب : وجدَّ التبر . . . x .

(٢) في أ ، ب : عُدَّ منه ! . والإشارة إلى ضياع كتاب المترجم بما تضمن من نثر وشعر .

(٣) القصيدة في أعيان العصر .

وَلِلْوُزْقِ مِنْ زَهْرِ الرِّيَاضِ مَجَامِرُ
وَقَدْ رَاحَ فِيهَا الدُّوْحُ لَا يَسَ خُلَّةُ
وَعَتَّى حَمَامُ الْأَيْلِكِ ثُمَّ تَرَاقَصَتْ
فَمَالَتْ سُكَارَى ثُمَّ صَفَّقَ جَدُولُ
فَمِنْ جَدُولٍ أَضْحَى حُسَامًا مُجَرَّدًا
وَلِلْبَيْنِ فِي الْأَخْشَاءِ مَا لَوْ أَقْلَهُ
كَأَنَّ اجْتِمَاعَ الشَّمْلِ عَقْدٌ تَعَلَّقَتْ
فَقَارَقَتْ مَخْذُومًا حَمَى اللَّهِ رَبْعَهُ
سَقَانِي طِفْلًا قَهْوَةَ الْعَلَمِ وَالنُّهَى
وَأَكْسَبَنِي لَمَّا اتَّصَفَتْ بِرَقِّهِ
وَكَمْ نِعَمَ لَوْ رُمْتُ تَعْدَادَهَا أَبَتْ
إِذَا غَبِثُ عَنْ أَبْوَابِهِ فَهَبَاتُهُ
وَإِنْ قَلَذَقْتَنِي غُرْبَةً كَانَ جُودُهُ
وَوَافَى كِتَابُ مِنْهُ مِنْ بَعْدِ فِتْرَةٍ
لَقَدْ أَنْشَأَتْهُ رَاحَةً كَفَتْ كَفُّهَا
تَمَنَّى مُلِكُ الْغَيْثِ لَوْ كَانَ بَطْنُهَا
عَلَى أَنْ كُتِبِي لَا تَزَالُ كِتَابِيَا
أَقْبَلُ فِيهَا الْأَرْضَ أَغْنِي مُؤَدِّيَا
وَإِنْ كَانَ فِي الْأَخْشَاءِ مَا يَمْنَعُ الْفَتَى
فَلَا زَالَ مَخْرُوسَ الْجَنَابِ مُظْفَرَا

● فكتب هو الجواب عن ذلك^(١) :

(١) الجواب نثراً وشعراً في أعيان العصر .

يُقْبَلُ البَاسِطَةَ ، أَلْهَمَهَا اللهُ الْوَفَاءَ لِمَنْ وَفَى بِعَهْدِهِ ، وَأَطْلَعَ نَجْمَهَا الْمُتَقَدِّ
فِي مَطَالِحِ سُعُودِهِ ، وَأَعَادَ غُصْنَهَا إِلَى مُنْبَتِّ سَمَا مِنْهُ رَافِلًا فِي خِلْعِ بُرُودِهِ ،
مُثْمِرًا بِدَوْحَةٍ مَنَشِيهِ الَّذِي مَا تَفْتَحُ وَرْدُهُ إِلَّا لَمَّا سَقَى مَاءَ وَرْدِهِ عِنْدَ وَرُودِهِ .

ويُنْهِي بَعْدَ وَصْفِ شَوْقِهِ الَّذِي تَطَاوَلَ عَلَيْهِ لَيْلُهُ فَاذْلَهَمَّا ، وَلَمَعَ فِي دُجْنَتِهِ
بَارِقُ اللَّوَاعِجِ فَأَضْرَمَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ نِيرَانَ الْخَلِيلِ لَمَّا ، وَأَجْرَى مِنْ جَفْنِهِ الْقَرِيحِ
طُوفَانُ نُوحٍ ، فَلَا جُلَّ ذَلِكَ هَجْرُهُ الْوَسْنُ وَمِنْ بَعْدِ الْهَجْرَانِ أَلَمٌ^(١) بِهِ مَا أَلَمًا ،
وَكَايِدَ فُؤَادِهِ هَمًّا ، وَالَّذِي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ بِالسُّلُوكِ مَا هَمًّا ، وَعَاهِدَهُ عَلَى
الْأَخْذِ بِسُنَّةِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَلَمْ يَفِ بِعَهْدِهِ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا ، وَأَرَادَ الْقَلَمُ أَنْ
يَصِفَ مَا وَجَدَهُ بَعْدَ الْبُعْدِ مِنَ الْأَسَفِ نَثْرًا ، فَأَبَتِ الْبَلَاغَةُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَظْمًا ،

وهو : [من الطويل]

نَأَيْتُمْ فَأَمْسَى الدَّمْعُ مِنِّي مُوَرِّدًا عَلَى صَخْرٍ خَدَّ صَارَ بِالسَّقَمِ عَسَجَدًا
إِذَا مَا بَدَأَ فِي وَجْتِي مِنْهُ صَيَّبَ رَأَيْتَ مِنَ الْيَاقُوتِ نَثْرًا مُبَدَّدًا
وَأِنْ نَظَّمْتُهُ فَوْقَ نَخْرِي صَبَابَةً تَبَيَّنْتَ عَقْدًا بِالشُّذُورِ مُنْصَدًا
وَمَا حَتُّهُ إِلَّا بِرَيْقٍ تَتَابَعَتْ لَوَامِعُهُ يُبْدِينَ نَضْلًا مُجَرَّدًا
وَكَمْ أَذْهَبَ التَّذْهِيبُ مِنْهُ خُشَّاشَةٌ وَأَوْدَعَ حُزْنًا فِي الْفُؤَادِ مُجَدَّدًا
بَدَأَ مِنْ سَنِينٍ مُسْتَطِيرًا ضِيَاؤُهُ فَانْسَتْ نَارًا فِي الدُّجْنَةِ مَذْ بَدَأَ^(٢)
وَأَمْسَى فُؤَادِي كَالْكَلِيمِ وَلَمْ يَجِدْ عَلَى النَّارِ لَمَّا أَنْ تَحَقَّقَهَا هُدًى
وَكَيْفَ اهْتِدَاءُ الصَّبِّ وَالْقَلْبُ وَالْهَ إِذْ دَرَاكُهُ مَذْ غَبَّتْ عَنْهُ تَشَرَّدَا
يَهِيمُ إِذَا هَبَّتْ نُسَيْمَةٌ جَلَّتِي وَيَضْبُو إِذَا نَاحَ الْحَمَامُ وَغَرَّدَا

(١) « أَلَمٌ » من م .

(٢) في م : مستطيراً فؤاده . × . وسنير : جبل بين حمص وبيبل . (معجم البلدان ٢٦٩/٣) .

وَيَذْكُرُ أَيْمَاءً تَقَضَّتْ بِسَفْحِهَا وَيَبْدِيءُ نُوحًا فِي الظَّلَامِ مُرَدَّدًا^(١)
لِيَالِي يُجْلَى الرُّوضُ فِي حُلَلِ الْحَيَا وَغُصْنُ النَّقَا يُبْدِي عَلَيْهِ تَأَوُّدًا
تَبَسَّمَ نَعْرُ الزَّهْرِ لَمَّا بَكَى أَسَى وَلَاخَ كَصُنِجٍ بِالظَّلَامِ قَدْ اِزْتَدَى^(٢)
أَحْبَابَنَا غِنْتُمْ فَكَمْ لِي وَقْفَةٌ عَلَى صَفَدٍ وَالْقَلْبُ مِنِّي تَصَفَّدَا
وَكَمْ لِي بِهَاتِيكَ الطُّلُولِ مَوَاقِفُ وَقَفْتُ عَلَيْهَا الدَّمْعُ إِذْ رُحْتُ مُنْشِدَا
تَنَاءَى خَلِيلُ يَا خَلِيلِي فَاسْعِدَا بِدَمْعٍ يُضَاهِي الْمُنَّ إِنْ كُنْتُ مُسْعِدَا
وَأَبْدَى صُدُودًا وَالصُّدُودُ مَلَامَةٌ وَأَنْجَزَ هَجْرَانًا وَأَخْلَفَ مَوْعِدَا
كَذَا شَيْمَةُ الذَّهْرِ الْحَوُونِ وَدَابُّهُ يَخُونُ وَفِيَّ أَوْ يُكَدِّرُ مَوْرِدَا

● وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ عَلَى طَرِيقِ ابْنِ رَشِيقٍ فِي الْأَبْيَاتِ الْمَشْهُورَةِ^(٣) : [من

الكامل]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ بَيْنَ مُشْتَجِرِ الْقَنَا وَالْمَوْتُ يَخْتَطِفُ الثُّفُوسَ بِمِخْلَبِ
وَأَسِنَّةِ الْمُرَّانِ مِثْلُ كَوَاكِبِ تَبْدُو أَشِعُّهَا بِظُلْمَةٍ غَيْهَبِ
وَلَوَامِعِ الْبَيْضِ الرِّقَاقِ كَأَنَّهَا بَرَقَ تَأَلَّقَ مُذْهَبًا فِي مُذْهَبِ
وَالْحَتَفُ قَدْ لَبِثَ كُؤُوسُ مُدَامِهِ بِعُقُولِنَا وَالذِّكْرُ غَايَةُ مَطْلَبِي

(١) في م : × فيدي نوحاً

(٢) في م : تبسم زهر الرّوض × .

(٣) الأبيات في أعيان العصر .

قلت : وأبيات ابن رشيق ، هي : [ديوانه ٤٨ - ٤٩ والغيث المسجم ٣٩/٢]

ولقد ذكرتك في السفينة والردى مُتَوَقِّعٌ بِبَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ
والجو يهطل والرياح عواصفُ وَاللَّيْلُ مُنْوَدُّ الدَّوَائِبِ دَاجِ
وعلى السَّوَاحِلِ لِلْأَعَادِي غَارَةٌ يُتَوَقَّعُونَ لِفَارَةٍ وَهِيَّاجِ
وعَلَّتْ لِأَصْحَابِ السَّفِينَةِ ضَجَّةٌ وَأَنَا وَذِكْرُكَ فِي أَلْدُ تَنَاجِي

● فكتبْتُ أنا الجوابُ إليه^(١) : [من الكامل]

جاءتْ سَطُورُكَ والشُّرُورُ قَرِينُ
اللهُ أَكْبَرُ كَمْ تَلَطَّطْتُ قَبْلَهَا
وَلَكُمْ سُورُ غَابَ عَنْ سِرِّي وَكَمْ
حَتَّى أَتَتْ غَرَاءَ يَفْضُلُ حُسْنُهَا
يَا حُسْنُهَا مِنْ رَوْضَةٍ هَمَزَاتُهَا
أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ غَلِطْتُ فِي
اعْدُزْ فَإِنِّي مِنْ بَقَايَا دَهْشَتِي
بَلْ دِيْمَةُ الْفَضْلِ الَّتِي كَمْ قَدْ سَقَتْ
وَعَلِطْتُ أَيْضاً بَلْ هِيَ الْبَحْرُ الَّذِي
وَأَنَا أَقِيمُ أَدْلَةً يَرْضَى بِهَا
مِنْ وَزْنِهَا بَحْرٌ وَمِنْ أَلْفَاظِهَا
مَا هَذِهِ عِنْدِي بِأَوَّلِ مِثْنَةٍ
[١٥٠] عِنْدِي لِفَضْلِكَ كُلُّ طَوْلٍ سَابِغٍ

● وكتبْتُ في أثناءِ الكتابِ أيضاً : [من الكامل]
وَلَقَدْ حَلَلْتُ بِبَلَدَةٍ حَاشَا لَطْفِي
وَسِعَتْ لِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ عَلَى الْفَتَى
وَقَبِيحَ مَنْظَرِهَا الشَّنِيعِ الْحَالِكِ
فَلِذَاكَ سَمَّوْهَا بِرَحْبَةِ مَالِكِ

● وكتبْتُ أنا إليه من صَفَدِ المحروسة - وهو بحلب المحروسة^(٤) - ،

أَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ ، في سنة ٧٢٤ : [من البسيط]

هَبَّتْ نَسِيمُ الصَّبَا لِي مِنْ رُبَا حَلَبِ
فِيَا لَهَا نَسَمَةً أَخِيَتْ فُؤَادِي إِذْ
أَدَّتْ رَسَائِلَ وَزُقُ الدَّوْحِ تَرْجَمَهَا
فَهِمْتُ لَمَّا فَهِمْتُ السَّرَّ جِنْتِيذِ
سَحَّ السَّحَابِ عَلَى السَّاحَاتِ مِنْ حَلَبِ
وَإِنْ وَنَى حَتَّى حَادِي الرُّعُودِ وَإِنْ
إِنْ شَحَّ بُخْلًا عَلَى تِلْكَ الدِّيارِ وَلَمْ
فِيَا لِي مَدَمْعًا يُغْنِي مَعَالِمَهَا
أَوْطَانُهَا لِي أَوْطَارٌ بِهَا وَمَعَا
لَا تَسْكُنُ النَّفْسُ إِلَّا فِي مَسَاكِينِهَا
فِيَا نَسِيمُ الصَّبَا لَا زِلْتَ تَخْطُرُ فِي
إِنِّيهِ أَعْدُ لِي حَدِيثًا لَدَّ مَوْقِعِهِ
وَأُخَذَ بِنَا فِيهِ أَيْضاً فَهُوَ أَغْدَبَ لِي
وَكَرَّرَ الْقَوْلَ لَا تَسْأَمُ فَإِنَّكَ إِنْ
وَلَا تَقُلْ لَمْ أَقُمْ بِالْوَاكِباتِ عَلَى
فِيَا شُكْرِي عَنْ سُكْرِي لَهُ شُغْلُ

فَأَشْكُرُنِي إِلَى أَنْ مِلْتُ مِنْ طَرَبِي^(١)
تَنَفَّسْتُ نَفْسْتُ عَنْ مُهْجَتِي كُرْبِي
وَسَطَّرَ الْبَرْقُ مَا أَمْلَتْهُ بِالذَّهَبِ^(٢)
وَرُخْتُ مِنْ رَاحِهَا وَالشُّوقُ يَلْعَبُ بِي
وَجَادَ أَكْنَافُهَا بِالْوَاكِفِ السَّرَبِ^(٣)
ضَلَّ الطَّرِيقَ اهْتَدَى بِالْبَرْقِ مِنْ كُتُبِ
يَسِجَّ وَبَلَا عَلَى الْأَجْرَاعِ وَالْكَتُوبِ
إِذَا تَذَكَّرْتُهَا عَنْ مِثْنَةِ الشُّحْبِ
بَيْنَهَا غَنَائِي وَفِي تِلْكَ الرُّبَا أَزْبِي^(٤)
وَالْقَلْبُ عَنْ سَاكِينِهَا غَيْرُ مُنْقَلِبِ
رَوْضِ الْخَزَامِيِّ بِذِيْلٍ مِنْكَ مُنْسَجِبِ^(٥)
فِي مَسْمَعِي وَشَفَى قَلْبِي مِنَ الْوَصَبِ
عَلَى عَذَابِي بِهِ مِنْ تَغْرِ ذِي شَنْبِ
كَرَّرْتُهُ لِي حَلَا أَوْ زِدْتَهُ يَطْبِ
مِثْلِي لِمِثْلِكَ فَالْمَعْرُوفُ لَمْ يَخِبِ^(٦)
حَتَّى أَفِيقَ مِنَ الْوَجْدِ الْمُبْرِحِ بِي^(٧)

(١) في ب : . . . من ورا حلب × .

(٢) في م : . . . الدَّوْحُ حِينَ سَرَتْ × . وفي هامشه : خ : ترجمها .

(٣) في م : × . . . بالوَابِلِ السَّرَبِ .

(٤) « فيها غنائِي » ساقطة من م .

(٥) في م : × ذيل الخزامي . . .

(٦) في أ ، م : ولا تقل لي أقم . . . × .

(٧) في م : فَإِنْ سُكْرِي عَنْ سُكْرِي × .

(١) القصيدة في الوافي .

(٢) في ب : . . . التي بك كم سقت × . . . عيون .

(٣) في ب : . . . سائغ × . . . من علاك . . .

(٤) الجملة المعترضة من س .

لا تَحْسَبَنَّ جَنَّةَ الْمَأْوَى سِوَى حَلَبٍ
وَكَمْ تَمَتَّعْتُ فِي بَابِ الْجَنَانِ بِهَا
مَوْلَايَ يَا شَرَفَ الدِّينِ الَّذِي انْتَضَحَتْ
وَفَاقَ بِالْفَضْلِ فِي الْآفَاقِ كُلِّ فَتَى
وَأَخَذَقْتَ بِعُلَاهُ كُلِّ مَكْرُمَةٍ
أَعَيْدُ فَضْلِكَ يَا شَمْسَ الْعُلُومِ وَيَا
أُولَيَّتِي نِعْمًا لَوْ رُمْتُ أَنْكِرُهَا
وَكَيْفَ أَنْسى الَّذِي أُولَيْتَ مِنْ كَرَمٍ
فَيَا رِعَى اللَّهِ أَيَّامًا نِعِمْتُ بِهَا
مَالِي سِوَى مَخْضٍ وَدِّي إِنْ رَضِيتَ بِهِ
بَلَى وَطِيبُ ثَنَاءٍ عَنْكَ أَنْشُرُهُ
وَحِذْمَةٌ أَنْتَ تَذَرِي حَقَّ قُرْبَتِهَا
فَعُدْ عَلَيَّ بِكُتُبٍ مِنْكَ تُنْجِدُنِي
لَا تَنْسَ حَاشَاكَ عَهْدًا بَيْنَنَا أَبَدًا

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ ، وَأَنَا بِحَلَبِ المحروسة ، في شهر رمضان سنة

٧٥٩^(٥) : [من المتقارب]

كَلَامُ الْعَوَازِلِ مَا يُسْمَعُ
شَوَاهِدُهَا لَهَبٌ فِي الضُّلُوعِ
وَدَعَاؤُ الْمَحَبَّةِ مَا تُذْفَعُ
عِ وَفَيْضُ الدُّمُوعِ الَّتِي تَهْمَعُ

مَسَاكِينُ أَهْلِ الْهَوَى مَا لَهُمْ
غَرَامٌ يَغِيبُ بِهِ وَغِيَّهُمْ
يُرْجُونَ عَوْدَةَ أَفْهَامِهِمْ
وَكَيْفَ يَعُودُ لِأَهْلِ الصَّبَابِ
[٥٠ ب] وَلِي صَاحِبٌ وَدَّهٌ فِي الْحَشَا
أَلْفَتْ بِهِ فِي زَمَانِ الصَّبَا
تَمَكَّنَ مِنْ مُهَجَّتِي حُبُّهُ
صَلاحي خَلِيلِي أَمِيرِي أَخِي
لَقَدْ فَاقَ فِي الْفَضْلِ أَهْلَ الزَّمَا
وَكَمْ قَدْ صَحِبْتُ مِنَ الْعَالَمِينَ
وَلَمْ أَرِ فِيهِمْ مُقِيمًا عَلَى الدَّ
وَقَدْ كُنْتُ فِي حَلَبٍ شَيْقًا
أُرْجِي أَجْمَاعِي بِهِ وَالنَّوَى
وَكُنْتُ كَرِهْتُ مُقَامِي بِهَا
وَضَاعَ بِهَا الْعُمُرُ لَا فَاضِلُّ
وَمَا زَالَ فِي أَمْلِي أَنَّنَا
إِلَى أَنْ قَضَى اللَّهُ أَنَّ الْبِعَا
فَجَاءَ مِنَ الشَّامِ فِي رُبَّةٍ
فَلَدُّ مُقَامِي بِهَا وَأَنْجَلْتُ

مُعِينٌ وَلَا شَافِعُ يَشْفَعُ
فَمَا يَعْرِفُ الصَّبُّ مَا يَصْنَعُ
إِلَيْهِمْ ، وَمَا فَاتَ لَا يَرْجِعُ
وَغِيٍّ وَمُسْتَبَعْدٌ أَنْ يَعُوا
لَهُ مُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعُ
فَمَا لِي عَنْ حُبِّهِ مَرْجِعُ
فَمَا لِسِوَاهُ بِهَا مَوْضِعُ^(١)
صَدِيقِي ذُخْرِي الَّذِي يُنْفَعُ^(٢)
نِ وَرَاقَتْ مَحَاسِنُهُ أَجْمَعُ
نَ أَنْسَأَ وَهُمْ قَلَّ أَنْ يَنْفَعُوا
—وداد— سِوَاهُ إِذَا ضَيَّعُوا
إِلَيْهِ وَقَلْبِي بِهَا مُوجَعُ^(٣)
تَحُولُ وَتَنَأَى بِي الْأَرْبَعُ
وَضَاقَ عَلَيَّ الْفَضَا الْأَوْسَعُ
إِذَا قُلْتُ يَفْهَمُ أَوْ يَسْمَعُ
نَنَالُ اللَّقَاءَ وَنَسْتَجْمَعُ
دَ يَزُولُ وَشَمْلِي بِهِ يُجْمَعُ
عَلَتْ وَهُوَ مِنْ قَدَرِهَا أَرْفَعُ
هُمُومِي وَطَابَ لِي الْمَرْبَعُ

(١) في أ ، ب : × فما لسواها . . . ! والمثبت من م .

(٢) في م : × صديقي وذخري . . .

(٣) في م : × . . . به موجه .

(١) في م : . . . جنة الدنيا . . . × .
(٢) في م : . . . أوليتني كرمًا × .
(٣) في ب ، س : × . . . من أنفع . . .
(٤) وسقط ما بعد ذلك في س إلى قوله : وكتب أنا إليه أعزبه في والده . . .
(٥) في م : سنة ثمان وخمسين وسبعمئة .

وَيَهْنِكَ شَهْرُ الصَّيَامِ الَّذِي
وَلَا زِلْتَ فِي نِعْمَةٍ مَا شَدَتْ
هَلَالُ السُّعُودِ بِهِ يَطْلُعُ
عَلَى الْإِيكَ قَمَرِيَّةٌ تَسْجَعُ

● فكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابُ : [من المتقارب]

أَرَوْضُ غَدَتْ وَزَقَهُ تَسْجَعُ
وَهَيْهَاتَ بَلْ هَذِهِ رُفْعَةٌ
بَلِيغٌ إِذَا فَاهَ فِي مَخْفَلٍ
وَأَقْلَامُنَا فِي الطُّرُوسِ اغْتَدَتْ
فَضَائِلُهُ قَدْ سَرَى ذِكْرُهَا
يُوشِي الطُّرُوسَ وَلَكِنَّهُ
إِمَامُ الْقَرِيضِ إِمَامُ الثُّحَاةِ
إِذَا قِصَّةٌ خَطَّ فِيهَا فَمَا
أَخِي صَاحِبِي شَرَفِي سَيِّدِي
صَفَا إِذْ تَكَدَّرَ وَرْدُ الْعِدَى
تَغَرَّبْتُ عَنْ جَلَّتْ وَائِقَا
فَأَلْفَيْتُ أَنْسِي بِهِ حَاضِرَا
وَذَكَّرَنِي طَيْبَ عَيْشٍ مَضَى
فَمَا كَانَ أَهْنَا زَمَانَ الصَّبَا
يَجِيءُ السُّرُورُ كَمَا نَشْتَهِي
وَكَمْ قَدْ أَعَدْنَا سُرُورَا مَضَى

أَمْ الْأُنْفُ أَقْمَارُهُ تَطْلُعُ
جَنَابُ الَّذِي خَطَّهَا أَزْفَعُ
فَحَظُّ الْأَفَاضِلِ أَنْ يَسْمَعُوا
لِتَعْظِيمِ إِنْشَائِهِ تَزَكُّعُ
فَلَمْ يَخُلْ مِنْ حُسْنِهَا مَوْضِعُ^(١)
يُوشَعُهَا بِالصَّبَا يُوشَعُ
إِمَامُ الْمَعَانِي الَّتِي تُبَدِّعُ
يُوقِعُ بَلْ بِالْعِدَى يُوقِعُ^(٢)
رَفِيقِي إِمَامِي الَّذِي أَتْبَعُ
وَمَنْ لَا صَفَا كَيْفَ لَا يُضْفَعُ
بِهِ أَنْ خَطَبَ النَّوَى يُذْفَعُ
وَمَا أَرْتَجِي عَنْدهُ أَجْمَعُ^(٣)
سَقْتُهُ دُمُوعِي الَّتِي تَهْمَعُ
وَأَوْقَاتُهُ بِالْمُنَى تُقَطِّعُ
وَيَكْمُلُ مِنْ قَبْلِ مَا نَشْرَعُ
بِعِزِّ وَأَنْفِ الْعِدَى يُجْدَعُ

(١) في ب : . . . قد سما ذكرها × .

(٢) في م : × . . . بل في العدى . . .

(٣) في م : . . . بها حاضراً × .

وَأَحْكَامُنَا فِي الرَّدَى قَدْ مَضَتْ
وَكُلُّ فَرِيقٍ إِذَا مَا اشْتَكَى
فَإِهِ عَلَى عَوْدٍ دَهْرٍ مَضَى
وَمَا لِي وَذِكْرُ صَبَا فَأَيْتِ
وَلَكِنْ عُلالَةُ ذِي أُلْفَةٍ
أَيَا شَرَفَ الدِّينِ أَنْتَ الَّذِي
لَأَنَّكَ لِي شَرَفٌ رُكْنُهُ
وَأَنْتَ مَعَاذِي الَّذِي أَرْتَجِي
فَهَيْتَ شَهْرَ الصَّيَامِ الَّذِي
تَصُومُ وَتُقَطِّرُ فِي صَحَّةِ
وَيُؤْمِنُكَ اللَّهُ مَا تَخْتَشِي

● وَكَتَبَ إِلَيَّ أَيْضاً ، وَأَنَا بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ^(٣) : [من الطويل]

أَيَا فَاضِلاً فِي الْعِلْمِ مَا زَالَ بَارِعاً
لَقَدْ سَمِعَ الْمَمْلُوكُ بَيْنَيْنِ فِيهِمَا
لَنَا إِبِلٌ مَا رَوَّعَتْهَا الصَّفَائِحُ
إِذَا سَمِعَتْ أَضْيَافَنَا مِنْ رُعَاتِهَا
فَمَا مُقْتَضَى رَفَعِ الذَّبَائِحِ فِيهِمَا
أَجِبْ عَنْ سُؤَالِي وَاعْتَنِمْ أَجَرَ سَائِلٍ

إِمَاماً لَدَيْهِ مُشْكِلُ النَّحْوِ وَاضِحُ
سُؤَالٍ لِأَرْبَابِ الْجَهَالَةِ فَاضِحُ
وَلَا نَقَرَتْهَا بِالصِّيَاحِ الصَّوَائِحُ
أَتَيْنَ سِرَاعاً يَتَتَدَرْنَ الذَّبَائِحُ
وَوَجْهُ وَجُوبِ النَّصَبِ فِي الْحَالِ لَائِحُ
لَهُ فِي صِفَاتِ الْفَاضِلِينَ مَدَائِحُ

[٥١] فكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ ارْتِجَالاً^(٣) : [من الطويل]

(١) في ب : . . . في الوردى . . . × .

(٢) « فریق » ساقطة من م .

(٣) الآيات والجواب ، في الطبقات السنية ١٤٨/٣ .

أَيَا فاضِلاً أَضَحَّتْ رِياضُ عُلُومِهِ
وَمَنْ حَارَ ذَهْنُهُ نَارُهُ قَدْ تَوَقَّدَتْ
سُؤَالُكَ فِي رَفْعِ الذَّبَائِحِ ظَاهِرٌ
« إِذَا سَمِعْتَ » يَخْتِاجُ ذَا الْفِعْلِ فَاعِلاً
و« أَضْيَافُنَا » الْمَفْعُولُ، فَاسْمِعْ مَقَالَ مَنْ
وَحْذُ قَوْلٍ شَيْخٍ قَدْ تَدَانَى مِنَ الْبَلَى
● وَكُتِبَ إِلَيَّ أَيْضاً ، وَأَنَا بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ : [مَنْ الرِّجْز]

يَا فاضِلاً فِي النَّحْوِ وَالْقُرْآنِ يَا
مَا اسْمٌ أَتَى فِي الذِّكْرِ وَهُوَ مُفْرَدٌ
أَجِبْ سُؤَالِي وَاعْتَنِمْ شُكْرِي فَمَا
أَبْذُلُهُ إِلَّا لِذَهْنٍ أَظْهَرَ

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ : [مَنْ الرِّجْز]

يَا مَنْ إِذَا رَاحَتْهُ تَنَاوَلَتْ
أَرَى الَّذِي أَرَدْتَهُ « آلِهَةً »
فَإِنْ دُونَ مُفْرَدٌ مُعَرَّفٌ وَقَدْ أَتَى وَصْفاً لَجَمْعٍ نَكِرَةٍ (١)
وَأِنْ تَشَاءُ فَمِثْلُهُ « آلِهَةً »
إِلَّا إِلَهُهُ فَاتَّخِذْهَا تَذَكُّرَةً
أَرَدْتُ بِذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ أَيَكْفِيكُمْ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ يُرِيدُونَ ﴾ [الصافات : ٨٦] أَوْ قَوْلَهُ
تَعَالَى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (٢) [الأنبياء : ٢٢] والمعنى : غَيْرُ اللَّهِ .

● وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ أُعْزِيهِ فِي وَالِدِهِ الْقَاضِي جَمَالِ الدِّينِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَقَدْ
تُوفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ٧٤٩ (٣) : [مَنْ الْبَسِيط]

- (١) فِي ب : × وَقَدْ أَتَى وَصْفَ الْجَمْعِ نَكِرَةً .
(٢) « لَفَسَدَتَا » مِنْ م فَقَط .
(٣) الْقَصِيدَةُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ ٢/٤٢٨ - ٤٣٠ .

أَظْمَأَتْ نَفْسَ الْمَعَالِي يَا ابْنَ رِيَّانَا
وَأَنْهَلَ دَمْعَ الْغَوَادِي فِيكَ مِنْ حَزَنِ
وَمَزَقَ الصُّبْحُ أَثْوَابَ الدُّجَى وَرَمَى
وَكُلُّ سَاجِعَةٍ فِي الْأَيْكِ نَائِحَةٌ
أَتَتْ دِمَشْقَ بَكَ الْأَخْبَارُ مِنْ حَلَبِ
وَدِدْتُ مِنْ حُزْنِي لَوْ كُنْتُ ذَا صَمَمٍ
تَكَادُ صُفْمُ الصَّفا تَشْتَقُّ مِنْ حَزَنِ
تَكَادُ تَبْكِي الْمَعَالِي فِيكَ مِنْ جَزَعٍ
مَنْ لِلظُّلَامِ إِذَا نَامَ الْأَنَامُ غَدَاً
وَمَنْ لِمَحْرَابِكَ الزَّاكِي فَلَيْسَ يَرَى
كَمْ قَدْ خَتَمْتَ كِتَابَ اللَّهِ مُتَعَطِّاً
وَكَمْ حَنَنْتَ الْخُطَا نَحْوَ الصَّلَاةِ لِأَجْرِ
تَوَاطَبُ الصُّوْمِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ وَفِي الدَّ
وَكَمْ مَمَالِكٍ قَدْ دَبَّرَتْ حَوَزَتَهَا
وَتَسْتَقِيمُ بِكَ الْأَحْوَالُ مَاشِيَةً
لَهُ دَرْكٌ كَمْ جَمَلَتْ مَدْرَسَةٌ
فَكُنْتُ فِي الْجُودِ غَيْثاً وَالْهُدَى عِلْماً

حَتَّى تَوَقَّدَتْ الْأَحْشَاءُ نِيرَانَا
وَشَقَّقَ الْبَرْقُ فِي الْأَفَاقِ أَزْدَانَا
حَلَى النُّجُومِ وَأَضْحَى فِيكَ عُزْيَانَا
تُمْلِي مِنَ الْوَجْدِ فِي الْأَشْحَارِ أَشْجَانَا (١)
يَا بَشَسَ مَا خَبَّرَ النَّاعِي وَنَاجَانَا
وَمَا سَمِعْتُ الَّذِي أَنْكَى وَأَبْكَانَا
لَوْ أَنَّ لِلصُّخْرِ قَبْلَ الْيَوْمِ أَذَانَا
بِالدَّمْعِ لَوْ وَجَدْتُ لِلدَّمْعِ أَجْفَانَا
« يَقْطَعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا » (٢)
مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ فِيهِ قَطُّ إِنْسَانَا
وَفِي تَدَبُّرِهِ كَمْ رُحْتَ وَلَهَانَا
لِلصَّفِّ الْأَوَّلِ فِي الْأَشْحَارِ عَجْلَانَا
اِثْنَيْنِ حَتَّى لَقَدْ أَمْسَيْنَتْ خُمْصَانَا
فَكُنْتُ خَيْرَ وَزِيرٍ قَطُّ مَا خَانَا
حَتَّى تَفِيضَ بِكَ الْأَمْوَالُ طُوفَانَا (٣)
وَبِالْكِتَابَةِ كَمْ شَرَّفَتْ دِيُونَا
وَفِي الْحِجَى حُجَّةً وَالْعِلْمَ ثَهْلَانَا (٤)

(١) فِي أ ، م : × فِي الْأَشْجَارِ أَشْجَانَا .

(٢) فِي أ ، م : مَنِ لِلْأَنَامِ × .

وَالْعَجَزُ مَضْمَنٌ مِنْ قَوْلِ حَسَنِ بْنِ ثَابِتٍ فِي رِثَاءِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ : [دِيْوَانُهُ ٩٦/١ « عُرْفَات »]

صَحَّحُوا بِأَشْمَطِ عَنَوَانِ السُّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا

(٣) فِي س : صدر هذا البيت مع عجز الذي يليه ، ثم صدر الذي يليه مع عجز هذا البيت !

(٤) فِي ب : × سُلْطَانَا .

ثُمَّ اغْتَرَلَتِ الْوَرَى مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبِ
وَمَنْ أَرَادَ مِنَ الْأُخْرَى جَوَاهِرَهَا
وَكَانَ أَرْبَحَ مَا لَا عِنْدَ خَالِقِهِ
فَاذْهَبْ فَأَيُّ ضَرِيحٍ بَتٍّ سَاكِنُهُ
[٥١ ب.] وَلَمْ يَمُتْ مَنْ بَنُوهُ سَادَةٌ نُجُبٌ
وَجَمَلُوا الْمُلْكَ إِذْ زَانُوا مَنَاصِبَهُ
إِنْ كُوْتُوا أَوْ لُقُوا أَوْ خُوْطِبُوا وَجَدُوا
بَهَاؤُهُمْ مَا يُبَاهِي عَزْمَهُ أَحَدٌ
وَمَا شِهَابُهُمْ خَافٍ بِمَطْلَعِهِ
تَعَزَّى يَا شَرَفَ الدِّينِ الَّذِي قَبِضَتْ
بَيَانُهُ ظَاهِرٌ لَوْ أَنَّ رَوْقَهُ
تَالَهُ مَا دَارَ كَأْسٌ مِنْ بِلَاغَتِهِ
لَهُ عِبَارَاتٌ نَظْمٌ كُلُّمَا سَحَبَتْ
مِثْلَ « الْعِيُونِ » الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ
فَالنَّاسُ فِي حَلَبٍ حَلَّتْ بِهِمْ تَهَمٌ
فَلَا يُرْعَ لَكُمْ سِرْبٌ بِحَادِثَةٍ
وَلَا يُكْدَرُ لَكُمْ سِرْبٌ بِنَازِلَةٍ
تَحْفُكُمُ بَرَكَاتٌ مِنْ تَقَاهُ فَقَدْ

إِلَّا لِيَتَلَبَّسَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا^(١)
أَبَاعَ أَغْرَاضَ هَذِي الدَّارِ مَجَانًا^(٢)
وَرَاخَ أَرْجَحَ يَوْمَ الْحَشْرِ مِيزَانًا
تَرَى الثَّرَابَ بِهِ رَوْحًا وَرَيْحَانًا
لَمَّا بَنَى مَجْدَهُمْ شَادُوهُ إِتْقَانًا
وَأَلْبَسُوها مِنَ الْعِلْيَاءِ تِيْجَانًا
فِي الْخَطِّ وَاللَّفْظِ وَالْهِنَاءِ فُرْسَانًا
وَفِيهِمْ شَرَفٌ بَاقٍ لَهُمْ زَانًا
كَمَا كَمَالُهُمْ قَدْ حَارَ إِخْسَانًا
يُمْنِي عُلَاهُ مِنَ الْعِيُوقِ أَرْسَانًا
لِلْبَدْرِ لَمْ يَخْشَ عِنْدَ السَّيْرِ نُقْصَانًا
عَلَيَّ إِلَّا أَهْزُ الْعُطْفِ نَشْوَانًا
ذِيولَهَا أَغْثَرَتْ فِي الْحَالِ سَحْبَانًا
قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُخَيِّنَ قَتْلَانَا^(٣)
وَأَصْبَحَ الْقَوْمُ خُرْسًا فِي خُرَاسَانًا
وَلَا رَمَى شَأْنَكُمْ خَطْبٌ وَلَا شَانَا^(٤)
وَلَا حَدَثَ لَكُمْ الْأَخْدَاثُ أَظْعَانَا^(٥)
أَخَذْتُمْ مِنْهُ حِزْرًا مِنْ سُلَيْمَانَا

(١) عجزه من بيت عمران بن حطان : [شعر الخواارج ٢٦]

يا ضريبةً من تقى ما أراد بها

(٢) في م : × ابتاع أغراض هذا الذكر مجاناً .

(٣) البيت لجرير : إن العيون . . . [ديوانه ١/١٦٣] .

(٤) لفق في أ وأعيان العصر من صدر هذا البيت وعجز الذي يليه بيتاً .

(٥) في م : ولا [بياض] لكم شرب بنازلة × .

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي مَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَلَمِ^(١) لِهَذِهِ النَّازِلَةِ ، وَالْقَلْبَ لِهَذِهِ
الرَّزِيَّةِ الَّتِي جَعَلَتْ الدُّمُوعَ هَامِيَةً هَامِلَةً ، وَالْجَزَعَ لِهَذِهِ الْحَادِثَةِ الَّتِي تَرَكَتْ
الْجَوَانِحَ حَامِيَةً ، فَلَيْتَ الْقَوَى لَوْ كَانَتْ حَامِلَةً ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، قَوْلُ
مَنْ فَقَدْ جَمَالُهُ ، وَعَدِمَ صَبْرُهُ وَاحْتِمَالُهُ ، وَفَجَعَهُ الدَّهْرُ بِوَاحِدِهِ الَّذِي مَا رَأَتْ
عَيْنُهُ مِثَالَهُ ؛ رَحِمَ اللَّهُ ذَلِكَ الْوَجْهَ الْجَمِيلَ ، وَقَدَّسَ تِلْكَ السَّرِيرَةَ الَّتِي كَانَ
الصِّفَاءُ لَهَا أَلْزَمَ زَمِيلٍ ، وَمَا بَقِيَ غَيْرُ الْأَخْذِ فِي مَا وَقَعَ بِالسُّنَّةِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى فَقْدِ
مَنْ أَثَارَ النَّارَ فِي الْفُؤَادِ وَسَكَنَ الْجَنَّةَ .

وقد جهَّز المملوك هذه القصيدة التي يسبح نونها في الهم في يم ، ويشرخ
في هذا المأتم ما تم ، إن شاء الله تعالى .

● فكتب هو الجواب إلي^(٢) :

يُقْبَلُ كَذَا ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الشَّرِيفِ ، يَتَضَمَّنُ تَغْزِيَةً حَسَنَ لَفْظُهَا ،
وَأَثَرَ فِي الْقُلُوبِ وَعَظْهَا ، وَتَعَيَّنَ تَسْطِيرُهَا فِي صَحَائِفِ الْأَفْكَارِ وَحِفْظُهَا ؛
فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَى مَحَاسِنِهَا وَأَحَاسِنِهَا ، وَشَمَلَتْهُ مِنْ مَكَامِنِهَا بِمَيَامِنِهَا ،
وَتَسَلَّى بِمَا حَوَتْهُ مِنْ مُفْصَلِ الرِّثَاءِ وَمَجْمُوعِهِ ، وَأَسَالَ مِنْ أَجْفَانِهِ دَمًا بَدَلُ
دُمُوعِهِ ، فَيَا لَهَا مِنْ رَزِيَّةٍ عَظُمَتْ فِيهَا الْمَاتِمُ ، وَمُصَابٍ كَشَفَتْ حُجْبَةَ السُّلَيْمَانِيَّةِ
عَنْ حَزَنِ لَهْ خَاتَمِ ، وَتَحَقَّقَ الْمَمْلُوكُ مِنْ أَثْنَاءِ آيَاتِ الْقَصِيدَةِ التَّوْنِيَّةِ بَرَكَاتِ ذِي
التَّوْنِ ، وَنَظَرَ إِلَى نُونِهَا وَقَدْ غَاصَ فِي بَحْرِ الْفَضَائِلِ ، فَاسْتَخْرَجَ دُرَّةَ الْمَكُونِ .

وقد كتب المملوك جواب مولانا مُعْتَرِفًا فِيهِ بِالتَّقْصِيرِ ، مُعْتَرِفًا مِنْ مَنَهْلٍ

فَضْلِهِ الْغَزِيرِ ؛ وَهُوَ^(٣) : [من البسيط]

(١) « من الألم » ساقطة من أ ، م .

(٢) الجواب بشره وشعره في أعيان العصر .

(٣) منها تسعة آيات في المتنقى من درة الأسلاك ٢٤٧ .

جَدَّدَتْ فِي الْقَلْبِ آلاماً وَأَحْزَاناً
فَاعْجَبَ لِحُجْنِ يُغِيضُ الْمَاءَ مَدْمَعُهُ
عَزَّيْنَا فِي أَيْنَا فَاكْتَسَبَتْ بِهِ
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ أَبٍ شَاعَتْ مَنَاقِبُهُ
كَمْ بَاتَ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ مُتَّصِباً
كَمْ خَتَمَتْهُ قَدْ تَلَاهَا فِي النَّهَارِ وَكَمْ
[١٥٢] وَلَا زَمَ الصَّوْمَ أَوْقَاتِ الْهَوَاجِرِ لَا
وَكَانَ يَخْشُنُ فِي دِينِ الْإِلَهِ تُقَى
وَكَانَ يُخْشَى وَيُرْجَى فِي نَدَى وَرَدَى
شَبْنَا وَأَذْهَلْنَا عَظُمَ الْمُصَابِ بِهِ
سَارَتْ جِنَازَتُهُ وَالْخَلْقُ تَتَبَعُهَا
حَتَّى مَلَائِكَةُ الرُّضْوَانِ مُذْ عَلِمُوا
نَعَى النُّعَاةِ وَضَجُّوا بِالنَّعْيِ لَهُ
جَارَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَقْصِدْ بِمَضْرَعِهِ
إِنَّ الْخُطُوبَ الَّتِي سَاقَتْ مَنِيَّتَهُ
مَنْ ذَا يُؤْفِي عُلَاهُ بِالرَّثَاءِ وَلَوْ
لَمْ أَقْضِ بِالشَّعْرِ حَقّاً مِنْ عُلَاهُ وَلَوْ
لَوْ قِيلَ مَنْ فَاقَ أَزْبَابَ الصَّلَاحِ تُقَى

أَسَالَتِ الدَّمْعَ مِنْ جَفْنَيْ طُوفَانَا
وَمُهْجَةً تَلْتَظِي بِالْحُزْنِ نِيرَانَا
أَجْراً وَأَوْلَيْنَا فَضْلاً وَإِحْسَانَا
فِي النَّاسِ وَاشْتَهَرَتْ بِالْجُودِ إِغْلَانَا
فِي خِدْمَةِ اللَّهِ يَقْضِي اللَّيْلَ يَقْطَانَا
أَفْنَى الْحَنَادِسَ تَسِيحاً وَقُرْآنَا
يَزْتَدُّ عَنْ صَوْمِهِ دِيناً وَإِيمَانَا
«عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَنَا» (١)
وَالصَّعْبُ مِنْ رَأْيِهِ تَلْقَاهُ قَدْ هَانَا
فَكُلُّ صَبٍّ بِهِ ذَهْلُ بَنٍ شَيْبَانَا
وَالْحُزْنُ قَدْ عَمَّهُمْ فِيهَا وَغَشَانَا
«طَارُوا إِلَيْهِ زُرَفَاتٍ وَوُحْدَانَا» (١)
فَأَوْرَثُوا الْقَلْبَ أَحْزَاناً وَأَشْجَانَا
إِلَّا لِيَهْدِمَ لِلْمَعْرُوفِ أَزْكَانَا
«قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا» (٢)
كَانَ الْمُرْتِي لَهُ قَسّاً وَسَخْبَانَا
نَظَّمْتُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِيهِ دِيُونَا
كَانَ الْجَوَابُ سُلَيْمَانَ بْنَ رِيَانَا

(١) العجز مضمّن من قول قريظ بن أنيف : [شرح الحماسة للمرزوقي ٢٥/١]

(٢) العجز مضمّن من قول جرير : [ديوانه ١٦٣/١]
إِذَا لِقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرَ خُشْنٍ
قَوْمٌ إِذَا الشُّرُّ أَبْدَى نَاجِذِهِ لَهُمْ
عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَنَا
طَارُوا إِلَيْهِ زُرَفَاتٍ وَوُحْدَانَا
قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا
إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ

إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ
حَبْرَتَنَا بِمِثَالٍ فِيهِ تَغْزِيَةٌ
فِيهِ قَرِيضٌ بَدِيعُ النَّظْمِ مُشْتَمِلٌ
إِنْ رُمْتُ تَشْبِيهَهُ بِالرَّوْضِ كَانَ لَهُ
الرَّوْضُ يَذْبُلُ فِي وَقْتِ (٣) وَنَظْمُكَ قَدْ
أَوْ قُلْتُ أَلْفَاظُهُ مِثْلُ الْكَوَائِبِ لَمْ
إِذِ الْكَوَائِبِ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ أَرَى
لَكِنْ أَقُولُ هُوَ الْعِقْدُ الثَّمِينُ وَقَدْ
فِي أَخْمَرِ الطَّرْسِ قَدْ سَطَرَتْ أَخْرُفُهُ
حَفِظْتَ عَهْدَكَ فِي حَالِ الْحَيَاةِ وَمَنْ
كَذَا تَكُونُ صِفَاتُ الْحُرِّ يَحْفَظُ مَنْ
بِذَا جَرَتْ عَادَةُ الْأَصْحَابِ تَحْفَظُ فِي
لَا ذُقْتُ فَقَدْ حَبِيبَ بَعْدَهَا وَحَمْتُ

«أَوْفَى الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا» (١)
بِهِ أَتَعَطْنَا وَعَزَّانَا وَسَلَّانَا» (٢)
عَلَى مَعَانٍ حِسَانٍ فَقُنَّ حَسَانَا
فَضْلٌ عَلَى الرَّوْضِ لَا يَخْتَاجُ بُرْهَانَا
وَقَاهُ فِكْرُكَ طُولَ الدَّهْرِ مَا شَانَا
أَكُنْ مُوَفِّيهِ بِالْوَصْفِ تَبَيَّنَا
أَنْوَارَهَا تَخْتَفِي فِي الْجَوْ أَحْيَانَا
نَظَّمْتُ أَلْفَاظُهُ دُرّاً وَعِقْيَانَا
كَالدُّرِّ خَالِطٍ يَاقُوتاً وَمُزْجَانَا
بَعْدَ الْمَمَاتِ فَحَيَّا اللَّهُ مَوْلَانَا
يُحِبُّهُ وَيُؤَافِي كَيْفَ مَا كَانَا
عَهْدِ الْمَوَدَّةِ أَصْحَاباً وَإِخْوَانَا
وَقَايَةَ اللَّهِ مَوْلَانَا وَإِيَّانَا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضاً ، وَهُوَ بِطَرَابُلُسَ ، لُغْزاً فِي الْمِثْدَنَةِ ، وَهُوَ (٤) :

مَا اسْمُ إِنْ قُصِدَ تَعْرِيفُهُ فَهُوَ مَعْرُوفٌ ، وَإِنْ طُلِبَ وَجِدَ فِي جُمْلَةِ الظُّرُوفِ ،
خُمَاسِيٍّ وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا أَرْبَعَةُ حُرُوفٍ ؛ حَارَ النَّحْوِيُّ فِي تَصْرِيْفِهِ ، وَعَجَزَ عَنْ
تَأْلِيْفِهِ ؛ مَفْعُولٌ وَهُوَ مَرْفُوعٌ ، مَحْمُولٌ وَهُوَ مَوْضُوعٌ ، مَبْنِيٌّ يَدْخُلُهُ الْإِغْرَابُ ،
مَرْفُوعٌ وَهُوَ بَاقٍ عَلَى الْإِنْتِصَابِ ، يَقْبَلُ التَّصْغِيرَ وَالتَّكْبِيرَ ، وَفِيهِ التَّأْنِيثُ

(١) العجز مضمّن من قول عمران بن حطان : [شعر الخوارج ٢٦]

إِنِّي لِأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَلَا حِسْبَهُ أَوْفَى الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا

(٢) في س ، م : جَبْرَتْنَا . . .

(٣) «وقت» ساقطة من م .

(٤) النص في الروافي ، وأشار إليه في الغيث المسجّم ٢١٩ . وعبارة «هو إليّ أيضاً» من م .

والتذكير ، لا يصح فيه معنى العطف ، ولا يدخله من الحركات إلا الوقف ، لا يستعمل إلا في النداء ، ولا يُعرب إلا وهو باقٍ على البناء ؛ وفيه نوعان من أدوات الشرط والجزاء ، له هيئة إلى التبصرة مُفْتَقَرَةٌ ، وشكلُ خطوطه في الهندسيات مُعْتَبَرَةٌ ، وأضلاعُ قامت في البسيط على كُرَّةٍ ، وزوايا قائمة حدثت على مُنْفَرَجَةٍ ، ومعانٍ دَقِيقَةٌ زادت على دَرَجَةٍ ، والفقيه يرى أنه مُحَرَّمُ الاتِّبَاعِ ، ويُندب إلى المُنَاداة عليه بشرط الاتِّبَاعِ ، مع أنه عَيْنٌ طَاهِرَةٌ يَصِحُّ بها الانْتِفَاعُ ؛ كم صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ ، واقتدي به وهو أَمَامٌ ، حيناً يوجد في الشَّامِ ، وحيناً في بيت الله الحرام ، وحيناً تراه قائماً في ظلام الليل والنَّاسُ نيامٌ ؛ والعروضي [٥٢ ب] يعلم أنه بيت برع حسناً ، واستقام وزناً ، ونظم على البسيط وهو طويلٌ ، ورُكِبَ من سَبْتَيْنِ خَفِيفٍ وَثَقِيلٍ ، يَنْزَجِفُ بِحَذْفِ فَاصِلَةٍ صُغْرَى^(١) ، وَيَنْغَيِّرُ وَزْنَهُ فَتَرَى فِيهِ كَسْرًا ، خُمُسًا حَرْفٍ من الحُرُوفِ^(٢) ، وبَعْضُهُ في بَعْضِهِ يَطُوفُ ، وإن حُذِفَ أَوَّلُهُ فَبَاقِيهِ بَلَدٌ مَعْرُوفٌ^(٣) ، ومع ذلك فكلُّ حَرْفٍ مِنْهُ سَاكِنٌ يَصِحُّ عليه الوقوفُ ، وفيه أعمالٌ أَقْصَرَتْ عَنْهَا ، واختَصَرَتْ مِنْهَا ، خِفَّةُ الْمَلَلِ ، وَتَخْفِيفُ فِي الْعَمَلِ ، وقد قَصَدْتُ بَيَانَ الْجَوَابِ ، وَرَصَدْتُ إِحْسَانَ الْجَنَابِ ، واللهُ الْمُوفِّقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (لِلصَّوَابِ) .

● فَكُنْتُ أَنَا إِلَيْهِ^(٤) : [من البسيط]

وإن صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارٌ^(٥)

(١) في س : فاصلة كبرى . خطأ .

(٢) يريد : إذ .

(٣) يريد : أذنة .

(٤) النص في الوافي حتى نهاية الأبيات الأربعة الآتية .

(٥) البيت للخنساء ، في ديوانها ٢٨٦ .

لَحَقِيقٌ بِأَن يَصِفَهُ مَوْلَانَا وَضَفَ الْخَنَسَاءُ ، وَيُعَدُّدَ مُحَاسِنَهُ الَّتِي أَزَيْتَ كَثْرَتُهَا عَلَى رَمْلَةِ الْوَعَسَاءِ ، وَيَسْتَغْرِقُ أَوْصَافَهُ الَّتِي اسْتَوْعَبَ فِي سَرْدِهَا ، وَيَرْكُضُ فِي مَيَادِينِ الْبَلَاغَةِ عَلَى مُطَهَّمَاتِ نُعُوتِهِ وَجُزْدِهَا ، حَتَّى أَبْدَعَ فِي مَقَاصِدِهِ الَّتِي وَقَفَ لَهَا كُلُّ سَائِلٍ ، وَقَالَ فَلَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ ، وَفَتَحَ بَابًا لَيْسَ لِلنَّاسِ عَلَيْهِ طَاقَةٌ ، وَأَصْبَحَ فِي التَّقَدُّمِ لِعِصَابَةِ الْأَدَبِ رَأْسًا وَالنَّاسِ سَاقَةً ، لَا جَرَمَ أَنَّ هَذَا الْمُلَغَزَّ فِيهِ ، قَالَ بَعْضُ وَاصِفِيهِ^(١) : [من الخفيف]

عَلِمَ مُفْرَدٌ فَإِنْ رَفَعُوهُ رَفَعُوهُ قَضْدًا لِأَجْلِ النَّدَاءِ
أَنَّهُ وَمِنْهُ قَدْ عُرِفَ التَّذْكِيرُ فَانْظُرْ تَنَاقُضَ الْأَشْيَاءِ
وَأَمَّا الْمَمْلُوكُ فَإِنَّهُ يَقُولُ فِيهِ : إِنَّهُ صَاحِبُ الرِّبَاطِ وَالزَّوَايَةِ ، وَالْمَقَامِ الَّذِي يُقَالُ لِقَاعِدَتِهِ : الْجَبَلُ يَا سَارِيَّةَ ، وَالْقِسْمَةَ الَّتِي هِيَ عَلَى صِحَّةِ الْاِخْتِلَافِ مُسَاوِيَةٌ ، كم في الزوايا من خَبِيَّةٍ حَبِيَّةٍ ؟ وَكَمْ عُلِقَ عَلَيْهِ ذُرِّيَّةٌ مِنَ الْكَوَاكِبِ الدُّرِّيَّةِ ؟ كم رَأَى النَّاسُ فِي قِيَامِهِ مِنْ قَاعِدَةٍ ، وَكَمْ لَشَهَادَتِهِ مِنْ كَلِمَةٍ إِلَى الْعَرْشِ صَاعِدَةٍ ؟ وَكَمْ تُلِيَتْ عَلَى الصَّخْنِ مِنْهُ آيَةٌ مِنَ الْمَائِدَةِ ؟ يَكَادُ مَنْ عَلَاهُ يُسَامِرُ التُّجُومَ فِي الدُّجْنَةِ ، وَيُرْفَى كُلُّ حِينٍ وَلَيْسَ بِهِ فِي النَّاسِ جَنَّةٌ ؛ هِلَالُهُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ فِي الطَّرْفِ ، وَرَاقِيهِ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ، قَدْ حَسَنَ مِنْهُ عَكْسُهُ الْمُصَحَّفُ ، وَعَظُمَ قَدْرُهُ فِي الْبِنَاءِ فَلَا يَدْعُ إِذَا تَشَرَّفَ ؛ عَجِبَ الْعَرُوضِيُّ مِنْ بَحْرِهِ الطَّوِيلِ الْوَافِرِ^(٢) ، وَوَقَفَ عَلَى سَاقٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَمْ كَانَ لَهُ مِنْ حَافِرٍ ، وَاسْتِقَامَ خَطُّهُ فِيهِ الدَّائِرُ ، وَشَاهَدْنَا الْقَرْنَصَةَ فِيهِ وَهُوَ غَيْرُ طَائِرٍ ، وَأَقَامَ مَكَانَهُ وَنَادَاؤُهُ لِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ سَائِرٌ ؛ يُجِيبُ نِدَاءَهُ الْمُلُوكُ وَالْمَلَائِكُ ، وَيُرَى مِنْ يَعْلُوهُ وَهُوَ مُتَّكِيٌّ عَلَى الْأَرَائِكِ^(٣) : [من الطويل]

(١) البيتان من قطعة لابن خلكان ، في الغيث المسجوم ٢١٩/٢ .

(٢) في ب : من بسطة الطويل الوافر . وفي م : من بحره الطويل الزاخر .

(٣) الثالث والرابع من الأبيات في الغيث المسجوم ٢١٩/٢ .

إذا ما اطمأنت دُونَهُ الشُّخْبُ إِنَّهُ لَهُ هِمَّةٌ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّنَاهِيَا
وَحَسْبُكَ أَنَّ الْقَائِمِينَ بِحَقِّهِ يَحْزُونَ فِي الدَّارَيْنِ مِنْهُ الْمَعَالِيَا
شَهَادَتُهُ مَا رَدَّهَا غَيْرُ كَافِرٍ وَيَقْبَلُهَا مَنْ كَانَ بِالْحَقِّ قَاضِيَا
يَقُولُ مُعَانِي الطُّبِّ يَا عَجَباً لَهُ يَصْحُوقُ وَقَدْ ضَمَّتْ حَشَاهُ الْمَرَاقِيَا
التَّقَطَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مِمَّا غَادَرَهُ سَيْلُ مَوْلَانَا الْمُجْتَحِفُ ،
وَتَذَكَّرَهَا مِنْ فَوَائِدِهِ الَّتِي مَا يَزَالُ يَخْتَفِلُ بِهَا إِذْ يَلْتَحِفُ ، فَإِنْ صَادَقَتْ مَحَلًّا مِنْ
خَاطِرِهِ فَقَدْ تَرَقَّى إِلَى مَا تَرَقَّى ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَوْقِعٌ فَأَيْنَ كَلَامُ مَوْلَانَا ، وَهُوَ
الدُّرُّ الَّذِي تَنْظُمُ ، مِنْ كَلَامِ الْمَمْلُوكِ وَهُوَ الْجَزْغُ الَّذِي لَمْ يُقَبِّ (١) .

وَلَمَّا وَصَلَ فَلَانَ الدِّينِ ، أَوْفَقَ الْمَمْلُوكُ [١٥٣] عَلَى هَذَا اللَّغْزِ الَّذِي أَنْشَأَهُ
مَوْلَانَا ، فَأَنْشَأَ لَهُ الطَّرَبَ ، وَأَخَذَتْ لَهُ الْعَجَبَ ، وَتَأَمَّلَ تِلْكَ الْمَقَاصِدَ الَّتِي
قَصَدَهَا وَوَرَّاهَا ، وَأَخْفَى مَا أَخَذَهَا وَعَمَّاهَا ، فَوَجَدَهَا مَسَالِكَ لَا يَهْتَدِي مِنْهَا
الْبَرُوقُ لِنَافِقَاتِهِ ، وَقَالَ : كَذَا يَكُونُ سُلُوكُ الْأَدَبِ الَّذِي طَالَ عَهْدُ الزَّمَانِ بِهِ
وَبِأَنْبَاءِهِ ؛ وَالزَّمَّ الْمَمْلُوكُ الْمَوْلَى فَلَانَ الدِّينِ بِالْجَوَابِ ، فَاسْتَعْفَى مِنْ هَذَا
الْمَقَامِ الَّذِي تَزَلُّ فِيهِ أَقْدَامُ التَّخَيُّلِ ، وَيَعْمَى الصَّوَابُ فِيهِ عَنْ طَرِيقِ التَّخَيُّلِ ، فَمَا
أَقَالَهُ مِنْ هَذِهِ الْوَرِظَةِ ، وَقَالَ : أُرِيدُ الْجَوَابَ وَشَرْطُهُ ؛ فَأَخَذَ الْمَمْلُوكُ عَلَى
مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْهَمُومِ الَّتِي تَغْتَلِجُ فِي صَدْرِهِ ، وَتَنَاقُلُ الْقَلَمَ ، وَالْقَلْبُ فِي ضَيْقِ
أَنْبُوبِهِ ، وَالْوَرَقُ وَالْحَالُ أَرَقُّ مِنْ طَرِسِهِ ، وَالْمِدَادُ وَالْوُجُودُ فِي عَيْنِهِ أَشَدُّ سَوَاداً
مِنْ جَبْرِهِ ؛ وَكَتَبَ وَقَدْ أَعْجَبَهُ طَنِينُ رَأْسِهِ ، وَسَوَدَ وَجْهَ حَظْهِ بِخَطِّهِ لَا صَفْحَةَ
قُرْطَاسِهِ ، وَقَدْ عَطَفَهَا عَلَيْهِ وَارَاؤُهُ الْعَالِيَةُ فِي كَيْتَمَانِ سِرِّهِ مِنْ مَسَاوِيهِ ، وَالْوُقُوفُ
عَلَيْهِ إِنْ كَانَ هَذَا الْقَدْرُ يُسَاوِيهِ .

(١) من قول امرئ القيس : [ديوانه ٥٣]

كَأَنَّ عِيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خَبَاتِنَا وَأَرْحَلُنَا الْجَزْغُ الَّذِي لَمْ يُقَبِّ

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنْ طَبَرِيَّةَ ، وَنَحْنُ بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي سَنَةِ ٧٢٠ (١) : [من الكامل]

وَلَقَدْ نَزَلْنَا الْبَحْرَ مِنْ طَبَرِيَّةِ وَقُلُوبُنَا مِنْ شَوْقِهَا تَتَضَرَّمُ
وَكَمَا عَلِمْتَ لِكُلِّ بَحْرِ سَاحِلٍ وَالْمَوْجُ يَنْزِلُ فِي قَفَاهُ وَيَلْطِمُ
وَاللُّجُ عَبَسَ وَجْهَهُ مِنْ مَوْجِهِ غَيْظاً وَفِي حَافَاتِهِ يَنْبَسِمُ
وَحَبَابُ ذَاكَ الْمَوْجِ تَحْسِبُ أَنَّهُ دُرٌّ تُبْتُ عَلَى الْمِيَاهِ وَتُنْظَمُ
وَالْبَذْرُ قَدْ كَتَبَتْ أَشِعَّةَ نُورِهِ سَطَرًا عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ يُتْرَجَمُ
فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ مِنْ سَوَسِنٍ يَجْرِي بِهَا لِلتَّبَرِّ نَهْرٌ مُنْعَمُ
وَكَأَنَّمَا شَرَرُ حَوَاهِ دُخَانُهُ لَمَّا تَرَاءَتْ فِي حَشَاهُ الْأَنْجُمُ
مَا شَاقَنَا إِلَّا مُحْيَاكَ الَّذِي أَبْدَأَ بِهِ ظَلَمُ الدُّجَى تَتَضَرَّمُ
فَنَفْسُنَا تَشْقَى لِبُعْدِكَ وَخَشَةَ وَجَوَى وَلَكِنَّ الْعِيُونَ تَنْعَمُ
وَالْأَنْسُ بَعْدَكَ وَخَشَةَ فَقَدْ اغْتَدَى وَجْهَ الْمَسَرَّةِ كَالِحَا يَنْجَهَّمُ
مَا كُنْتُ أَذْرِي أَنَّ قُرْبَكَ جَنَّةُ الْـ سَمَاوِي وَأَنَّ الْبُعْدَ عَنْكَ جَهَنَّمُ
حَتَّى ازْتَحَلْتُ وَفِي الْحَشَا مَا فِي الْحَشَا وَالْوَجْدُ أَقْتَلُ وَالتَّصَبُّرُ أَرْحَمُ
لَا تَسْأَلَا عَنْ حَالَتِي وَصَبَابَتِي اللَّهُ وَالشُّوقُ الْمُبْرَحُ أَعْلَمُ (٢)

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ حَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي سَنَةِ ٧٥٣ : [من الطويل]

تَرَقَّى إِلَى الْعَلِيَاءِ مَنْ لَيْسَ أَهْلُهَا وَلَوْ حَصَلَ الْإِنْصَافُ نِلْتُ أَجَلَهَا
تَرَقُّوا بِقُرْطِ الْجَهْلِ وَالْمَالِ فِي الْعُلَا إِلَى رُتَبٍ كَانَتْ مُنَاهِمُ أَقْلَهَا
يُلِيْتُ مِنَ الْأَيَّامِ فِيمَا أَرُومُهُ بِطَائِفَةٍ قَدْ رَكَّبَ الْمَالُ جَهْلَهَا
وَقَدْ أَصْبَحُوا بَيْنَ الْبَرَايَا أَعَزَّهَا وَكَانُوا قَدِيمًا قَبْلَ ذَاكَ أَذْلَهَا

(١) في م : سنة خمس وعشرين وسبع مئة !

(٢) في ب ، م : لا تسألن

صُرُوفُ اللَّيَالِي قَدْ تَضَاعَفَ جَوْرُهَا
أَرْجِي بُلُوغَ الْقَصْدِ مِنْ رُتَبِ الْعُلَا
لَعَلَّ لَهَا عُذْرًا عَنْ الْعَذْرِ بِي وَلِي
وَلِي عُقْدَةٌ فِي الرِّزْقِ أُحْكِمَ عَقْدُهَا
أَعَالِجُ فِيهَا كُلَّ وَفْتٍ فَتَلْتَوِي
وَمَا جَادَ شِعْرُ ابْنِ الْحُسَيْنِ لِأَنَّهُ
هِيَ النَّفْسُ لَا تَرْضَى بِعَيْشٍ مُنْغَصِي
فَأَصْدَرَتْهَا عَنْ مَوْرِدِ الْجَرْصِ وَالْعَنَا
[٥٣ ب] أَصَوِّغُ مِنَ الدَّرِّ النَّفِيسِ قَصَائِدًا
إِذَا أَنْشِدَتْ فِي مَخْفَلٍ قَالَ أَهْلُهُ
وَلَوْ فَهَمُّوا حُسْنَ الْبَدِيعِ الَّذِي بِهَا
تُعَابُ بِقُرْبِ الْعَهْدِ لَوْ أَنَّ عَهْدَهَا
وَبِي غَادَةٌ كَالْغَضَنِ أَوْرَاقُ شَعْرِهَا
تَرَامِي عَلَى أَقْدَامِهَا مُشْتَقِعًا
حَوَاجِبُهَا مِثْلُ الْقِسِيِّ إِذَا رَنَتْ
وَحْضَرُ دَقِيقُ أَثْقَلَتْهُ رَوَادِفُ
فَقُلْتُ لِقُضْبِ الْبَانِ : مَا أَنْتِ قَدْهَا
مِنْ التُّرْكِ ضَاقَتْ عَيْنُهَا بِوَصَالِهَا
إِذَا مَا أَحْسَنَ الْقَلْبُ مِنْهَا بِسَلْوَةٍ
تَجَنَّتْ عَلَى ضَعْفِي وَأَبْدَتْ مَلَالَةً

أَمَّا حَلَّهَا أَنْ يَسْطُ الدَّهْرُ عَذْلَهَا
إِذَا لَمْ يَنْلِ مِثْلِي الْمَعَالِي فَمَنْ لَهَا
مِنْ اللَّهِ الْطَافُ تَهَوُّنُ فِغْلَهَا
بِغَيْرِ الرِّضَا وَالصَّبْرِ لَمْ أَرْ حَلَّهَا
عَلَيَّ وَأَمَالِي تَقُولُ : لَعَلَّهَا
فَصِيحٌ وَلَكِنَّ اللَّهَى تَفْتَحُ اللَّهُهَا (١)
وَتَأْتِفُ مِنْ أَنْ تَقْتَضِي الْحَالَ ذُلَّهَا
وَأَوْرَدَتْهَا حَزْنَ الْأُمُورِ وَسَهْلَهَا
وَأَيْنَ الَّذِي فِي النَّاسِ يَعْرِفُ فَضْلَهَا
جَوَاهِرُهَا فِي الْحُسْنِ لَمْ نَرِ مِثْلَهَا
أَقْرُوا وَقَالُوا : مَا سَمِعْنَا قَبْلَهَا
قَدِيمٌ لَكَانَتْ تُفْجِمُ الْعُرْبَ كُلَّهَا
عَلَى عِطْفِهَا قَدْ أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَّهَا (٢)
إِلَيْهَا بِهَا فِي مُغْرَمِ رَامٍ وَضَلَّهَا
لَوَاحِظُهَا تَزْمِي إِلَى الْقَلْبِ تَبْلَهَا
إِذَا مَا مَشَتْ يَسْتَعْظِمُ الْخَضِرُ حَمْلَهَا
وَأَزْدَافُهَا : يَا حِقْفُ مَا أَنْتِ حَمْلَهَا
تَضَائِقُهَا بِالْوَصْلِ أَوْجَبَ بُخْلَهَا
تَشَفَّعَ بِالْوُدِّ الصَّحِيحِ فَسَلَّهَا
فَقُلْتُ وَقَدْ قَبَلْتُ إِذَا ذَاكَ رِجْلَهَا

(١) ابن الحسين : أحمد بن الحسين الميثبي .

(٢) في ب : ولي غادة

أَتَرْضَيْنَ أَنْ أَقْضِيَ ؟ وَكَانَ جَوَابُهَا :
إِذَا اجْتَهَدَ اللُّوَامُ فِي بَعْدْلِهِمْ
وَأِنْ أَظْلَمْتَ سُبُلَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى
خَلِيلِي خَلِيلٌ لَسْتُ أَنْسَى وِدَادَهُ
تَغَافَلَ عَنْ وُدِّي وَأَهْمَلُ جَانِبِي
لَقَدْ أَوْحَشَتْ دَارِي لِئُعِدَّ مَزَارِهِ
فَهَلْ يُمَكِّنُ الدَّهْرُ الْخَوُونَ اجْتِمَاعَنَا
أَلَيْسَ لِهَذَا الْبُعْدِ مِنْكَ نِهَآيَةٌ
مُحِبٌّ عَلَى صِدْقِ الْوِدَادِ مُحَافِظٌ
عَلَيْكَ سَلَامِي مِثْلَمَا هَبَّتِ الصَّبَا

إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ أُمُّ قَشَعَمَ رَحْلَهَا
تَصَامَمْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْمَعُ عَذْلَهَا
وَجَدْتُ صِلَاحَ الدِّينِ يُوضِحُ سُبُلَهَا
وَلِي نَفْسٌ حُرٌّ قَطُّ لَمْ تَنْسَ خِلَهَا
بِتَأْخِيرِ كُتُبٍ لِي وَأَعَشَقْتُ وَضْلَهَا
وَأَنْسَ دَارًا بَعْدَ ذَلِكَ حَلَّهَا
بِجَلْقٍ أَوْ أَنِّي أَحُلُّ مَحَلَّهَا
فَأَرْضَدُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ مَحَلَّهَا
وَصُحْبَتُهُ قَدْ أَبْرَمَ الدَّهْرُ حَبْلَهَا
عَلَى الرُّوضَةِ الْغَنَاءِ تَنْفُضُ طَلَّهَا

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ الَّتِي مَا بَرَحَ يَسْتَأْفُهَا ، وَالْيَدَ الشَّرِيفَةَ الَّتِي مِنْهَا فِي الْأَعْنَاقِ
أَطَوَاقُهَا ، وَيَتَشَوَّفُ إِلَى مُشَاهَدَةِ طَلْعَتِهِ الْكَرِيمَةِ فَقَدْ أَلَمَهُ فِرَاقُهَا .

وَيُنْهِي بَعْدَ أَدْعِيَةٍ يَسْعُ فِي أَفْلَاكِ الْقَبُولِ نِطَاقُهَا ، أَنَّ أَمَثْلَةَ مَوْلَانَا الْعَالِيَةِ قَدْ
تَأَخَّرَتْ عَنِ الْمَمْلُوكِ أَوْرَاقُهَا ، وَمُنِعَ عَنْهُ إِطْلَاقُهَا ، وَكَانَ يَجِدُ بِهَا مَسْرَةً يَمْتَدُّ
رِوَاقُهَا ، وَنَشْوَةٌ تُشْرِقُ بِهَا مَشَارِقُ الْقُلُوبِ وَأَفَاقُهَا ، وَلَذَّةٌ لَوْ اخْمَرَتْ طُرُوسُهَا
حَصَلَ لَهَا فِعْلُ الْمُدَامِ وَلَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا ، فَأَرْسَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ مَدْعَاةً لِمَوَدَّتِهِ ،
وَتَذْكَارًا بِمَا سَبَقَ مِنْ صُحْبَتِهِ ؛ وَهُوَ يَسْأَلُ دَوَامَ الْإِحْسَانِ فِي الْإِنْحَافِ بِأَمَثَلَتِهِ ،
وَاللَّهُ يُزِيدُ فِي عُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ ، بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [مِن الطويل]

مُشَرَّفَةٌ أَلْفَقْتَنِي مِنْكَ ظِلَّهَا وَبَرَّدَتْ قَلْبِي حِينَ أَهْدَيْتَ طَلَّهَا
وَأَعْلَيْتَ قَدْرِي حِينَ أَعْلَيْتَ قِيَمَتِي بِلَامِيَّةٍ قَالِ الْجَمَالَ : تَمَلَّهَا
فَلَمْ أَلْقَ مَا يَبِينُ الْحَدَائِقَ شَبْهَهَا وَلَمْ أَرِ مَا يَبِينُ الْكَوَاعِبَ مِثْلَهَا

مُخَذَّرَةٌ وَأَفَتْ عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي
مُهِذَّبَةٌ جَاءَتْ فَجَادَتْ تَكْرُمًا
كَأَنِّي قَيْسٌ وَهِيَ لَيْلَى مَلَاخَةٌ
فَأَكْرِمَ بِهَا مِنْ بِنْتٍ فَكِرَ تَبَرَّجَتْ
وَزَارَتْ بِإِحْسَانٍ وَقَدْ زَارَتْ بِهَا
وَلَمَّا أَنْتَ نَحْوِي سَجَدْتَ وَلَمْ أَطْلُ
فِيَا حُسْنَهَا مِنْ غَادَةٍ قَدْ تَنَازَلَتْ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا جُودُ مُرْسِلِهَا أَرَى
أَتَنِّي وَمَا أَبْقَى لِي الشَّوْقُ مُهْجَةً
فَقَدْ عَسَلْتَ بِالذَّمْعِ أَذْرَانَ وَجَنَّتِي
وَكَانَتْ بِأَخْشَائِي بِقَايَا تَصْبِيرٍ
فَالزَّمْتُ نَفْسِي بِالْجَوَابِ فَلَمْ يَجْزِ
وَأَيْنَ مَدَى قَدْرِي فَإِنْ شِئْتَ قُلْ لَهَا
وَحِيلِي مَا تَجْرِي بِمِيدَانٍ رَكُضِهَا
وَجَزَعُ قَرِيضِي مَا يُقَاسُ بِدُرِّهَا
لَيْسَ عُلُقْتُ لِلْجَاهِلِيِّ قَصِيدَةً
وَلَكِنَّهَا رَضَتْ فُؤَادِي إِذْ شَكَّتْ
وَقَدْ يَضِيرُ الْخُرُّ الْكَرِيمُ عَلَى الْأَذَى
فَإِنْ تَمَهَّلْ إِنْ أَصَابَتْكَ مِخْنَةٌ
عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّيْنِيَّةِ غَضَبَةٌ
وَلِي فِيكَ آمَالٌ قَضَى لِي تَقَرُّسِي

بِإِذْرَاكِهَا تَسْمُو الْخَلَائِقَ كُلَّهَا
عَلَى مُغْرَمٍ مَا زَالَ يَغْهَدُ فَضْلَهَا
رَأَى دَلَّهَا يَوْمًا فَرَاخَ مُدَلَّهَا
وَزُقْتُ إِلَى مَنْ لَيْسَ تَرْضَاهُ بَغْلَهَا
[١٥٤] أَسْوَدُكَ فَاسْتَجَلَى الضَّيَا وَاسْتَجَلَّهَا^(١)
إِلَى تَاجِهَا ذُلًّا فَقَبَّلْتُ نَعْلَهَا
إِلَيَّ وَإِنْ كَانَ السَّمَاءُ مَحَلَّهَا
عِيُونِي أَهْلًا أَنْ تُقَارِبَ وَضْلَهَا
أَعْلَلَهَا بِالْقُرْبِ حَتَّى أَبْلَهَا
وَقَدْ نَفَضْتُ عَيْنِي مِنَ الدَّمْعِ كُحْلَهَا
فَمَدَّ إِلَيْهَا الدَّهْرُ كَقَا وَسَلَّهَا
لَهَا أَنْ تُعَانِي أَوْ تُعَارِضَ جَزْلَهَا
فَكُثْرِي عِنْدِي مَا يُقَاوِمُ قُلَّهَا
كَذَا يَاسْمِينِي مَا يُوَاظِنُ رَطْلَهَا
كَذَلِكَ خَلِّي مَا يُشَابِهُ بَقْلَهَا
فَقَدْ عَلَّقْتُ هَذِي عَلَى النَّاسِ قُفْلَهَا
صُرُوفَ زَمَانٍ مَا يَرَى الْخُرُّ حَمْلَهَا
إِذَا شِدَّةٌ حَلَّتْ وَبِالْصَّبْرِ حَلَّهَا
فَإِنَّكَ جَرَعْتَ الْأَعَادِي مُهْلَهَا
فَكَمْ قَدْ عَلَا فِيهَا امْرُؤٌ كَانَ سُفْلَهَا
بِصَدَقِ ظُنُونٍ فِيكَ أَنْ لَا أَمْلَهَا

وَالَا فَهَوْنٌ مَا تَرَاهُ مِنَ الْأَذَى
فَهَلْ نَاصِرٌ تَلْقَاهُ أَوْ هَلْ مُسَاعِدٌ
قَدْ اسْتَحَوَذَ الشَّيْطَانُ مِنْهَا عَلَى الْهُدَى
وَكَيْفَ يَجُودُ النَّظْمُ وَالْبُخْلُ قَدْ فَشَا
أَمُولَايَ لَا تَجَزَعُ فَإِنَّكَ فَارِسُ الْ
سَتَبْلُغُ مَا أَمَلْتُ يَا مَنْ صِفَاتُهُ
وَيَا مَنْ غَدَتْ أَقْلَامُهُ سَمَهْرِيَّةٌ
نَشَرْتَ لَطِيَّ بِالْمَحَامِدِ بُرْدَةً
وَزِدْتَ بَنِي رِيَّانَ رِيًّا تَضَوَّعَتْ
وَفُقْتُ بِمَا قَدْ نَلْتُهُ مِنْ فَصَاحَةٍ
فَقَدْ دُسْتُ دَوْسًا حِينَ غَالَبْتَ تَغْلِبًا
فَلَا بُدَّ أَنْ تَحْظِيَ بِقُرْبِكَ جَلْقٌ
فَأَنْتَ فَرِيدٌ فِي اللَّيَالِي تَهْنَأُ

فَمَا زَالَتْ الْآيَامُ تَضَحُّبُ شَكْلَهَا
عَلَى غُضْبَةٍ لَا يَغْلِبُ الْحِلْمُ جَهْلَهَا
فَأَبْعَدَهَا عَنْ حَقِّهِ وَأَضْلَهَا^(١)
لَقَدْ صَدَقُوا أَنَّ اللَّهَ تَفْتَحُ اللَّهُهَا
كِتَابَةً إِنْ جَرَّدْتَ لِلْحَزْبِ نَضْلَهَا
تَسَامَتْ وَيَا أَجْلَى الْوَرَى وَأَجَلَّهَا
تَنْقَشُ مِنْهَا الطُّرُسُ لَمَّا اسْتَظَلَّهَا
فَوَشَّغَتْهَا مَجْدًا وَوَسَّغَتْ أَرْزَلَهَا^(٢)
ثَنَاءً وَعَنْ كُلِّ تَحَمَّلَتْ كُلَّهَا
عَلَى الْعَرَبِ الْعَرَبَا وَمَزَقَتْ سُفْلَهَا^(٣)
وَشَيَّبَتْ شَبَابًا وَأَذْهَلَتْ ذُهْلَهَا
فَقَدْ يَجْمَعُ الرَّحْمَنُ لِي بِكَ شَمْلَهَا
وَأَنْتَ وَحِيدٌ فِي الْمَعَالِي قَدَمٌ لَهَا

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الْعَالِي ، أَعْلَاهُ اللَّهُ وَأَجَلَّهُ ، وَوَضَعَهُ
تَاجًا عَلَى فَرْقِ الْفَرْقِدِ وَأَحْلَهُ ، فَوْقَ لُورُودِهِ ، وَحَلَّى أَدْنَاهُ وَجِيدَهُ بِشُفْهِهِ
وَعُقُودِهِ ، وَانْتَشَقَ مِنْ آثَارِ أَنَامِلِ مَوْلَانَا أَرْجَ بَانَ الْجَمَى وَزَرُودِهِ ، وَقَبَّلَ شِفَاهَ
سُطُورِهِ^(٤) الَّتِي لَعَسَهَا مِدَادٌ ، وَغَاوَلَ مَعَانِيهِ الَّتِي لَمَّا تَمَلَّأَ بِهَا مَلَأَتْ مُحَاجِرَهُ
بِالسُّهَادِ ، وَقَابَلَ مِنْهَا مُحِبًّا مِنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ تِمَامُهُ ، وَبَيَاضَ طُرُسٍ مِنْ أَيْنَ لِلصُّبْحِ
ضِيَاؤُهُ ، وَسَوَادَ نَفْسٍ مِنْ أَيْنَ لِلَّيْلِ ظِلَامُهُ ، وَسِحْرَ أَلْفَاظٍ مِنْ أَيْنَ لِلدَّرِّ قِيمَتُهُ أَوْ

(١) فِي أ، م : × فَأَبْعَدَهَا فِي حَقِّهِ

(٢) أَرْزَلَهَا : ضَيْقُهَا .

(٣) فِي ب، س، م : × شَمْلَهَا .

(٤) فِي م : طُرُوسُهُ .

(١) فِي أ : وَقَدْ رَزَلَتْ بِهَا × ! وَفِي م : وَرَادَتْ بِإِكْرَامِ × .

لِلْعَقْدِ انْتِظَامُهُ^(١) : [من الخفيف]

قُلْ فَكَمْ مِنْ جَوَاهِرٍ فِي نِظَامٍ وَدُّهَا أَنَّهَا بِفِيكَ كَلَامٍ
وَحَاوَلَ الْمَمْلُوكُ الْجَوَابَ فَجَاءَتْ هَذِهِ الْعَوَاقِقُ الَّتِي مَا اخْتَسِبْتُ ،
وَالْحَوَادِثُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ كَيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَإِنَّ [هـ ب] لِكُلِّ نَفْسٍ فِيهِ مَا كَسَبَتْ
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ .

يَا مَوْلَانَا ، هَذِهِ مَصَائِبُ طَمَتْ وَعَمَتْ ، وَصَرَخَتْ بِالشَّرِّ وَمَا عَمَتْ ،
وَقِيدَتْ إِلَيْهَا الْأَهْوَالُ وَزَمَتْ ، وَدَعَتْ الْجَفَلَى إِلَى مَادِبِهَا ، وَأَصَمَّ الْمَسَامِعَ نَغْيِ
نَوَادِبِهَا ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، قَوْلٌ مِنْ ضَاغَتْ بِهِ حِيلَتُهُ ،
وَأَتَسَعَتْ عَلَيْهِ بِالْهُمُومِ لَيْلَتُهُ^(٢) : [من البسيط]

قَدْ كَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظَنَنْ شَرًّا وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ
وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى فِي حُسْنِ الْخَاتِمَةِ ، وَفَجَّرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ الْعَاتِمَةَ ، فَقَدْ بَلَغَتْ
الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرَ ، وَخَرَّتِ الْغَلَاصِمُ بِالْخَنَاجِرِ ، وَكَسَرَتْ بَرَانِي الصَّبْرِ ، وَحَسَدَ
مَنْ امْتَنَطَى ظَهَرَ الْأَرْضِ لِمَنْ اسْتَكَنَ فِي جَوَانِحِ الْقَبْرِ ، وَهَذِهِ رَزَايَا شُمُوسُ
التَّثَبُّتِ بِهَا كَاسِفَةٌ ، وَ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨] .

اللَّهُمَّ اكْشِفْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَنِ الْبَرِيَّةِ ، وَلَقَى النُّفُوسَ الظَّالِمَةَ وَوَقَّ الْبَرِيَّةَ ،
وَأَجْرْنَا عَلَى عَادَةِ أَجْرِنَا ، وَعَجَّلْ فَكَّ أَسْرِنَا بِأَسْرِنَا ؛ إِنَّكَ بِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ ،
وَعَلَى كَشْفِ هَذِهِ الْأَلَوَاءِ قَدِيرٌ .

وَيَعُودُ الْمَمْلُوكُ إِلَى ذِكْرِ الْجَوَابِ ، فَقَدْ أَثَابَ الْخَصَا عَنْ الْمُرْجَانِ ،

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ١٠٠/٤ .

(٢) البيت لابن المعتز ، في وفيات الأعيان ٧٨/٣ . وهو مما أهمله محقق ديوانه ، ينظر ٢٥١/٢ [الحاشية رقم ١] .

وَجَارَى مَعَ ضَيْقِ دَائِرَتِهِ مَنْ لَهُ الْبَلَاغَةُ وَالْفَصَاحَةُ مُرْجَانٌ ، لَكِنَّهُ وَثِقَ بِحِلْمِ مَوْلَانَا
وَعَفْوِهِ ، وَبِمَا حَازَهُ مِنْ صِفَاتِهِ الرَّائِقَةِ اللَّائِقَةِ وَصَفْوِهِ^(١) : [من البسيط]
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَقُلْتُ مَا شِئْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ
وَاللَّهُ يُدِيمُ فَوَائِدَ مَوْلَانَا لِأَهْلِ الْأَدَبِ ، وَيَجْعَلُ بَابَهُ كَعَبَةٍ يَنْسِلُونَ إِلَيْهَا مِنْ
كُلِّ حَدَبٍ ؛ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٣١ * الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْكَافِي^(٢) :

الإمامُ الْفَاضِلُ ، أَفْضَى الْقَضَاةِ ، جَمَالُ الدِّينِ بْنِ مَوْلَانَا قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيَّ
الدِّينِ ، الشُّبْكِيِّ ، الشَّافِعِيِّ ، نَائِبُ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ^(٣) : [من الكامل]

عِنْدِي جَمَالُ الدِّينِ مَسْأَلَةٌ غَدَا تَبِيَانُهَا فِيمَا لَدَيْكَ مُحَرَّرَا
إِذْ أَنْتَ مِنْ بَيْتِ جَمِيعٍ بَيْنِهِ قَدْ فَازُوا بِمَا حَازُوا وَقَدْ سَادُوا الْوَرَى
إِنْ جَاوَدُوا أَلْفَيْتُهُمْ صَوْبَ الْحَيَا أَوْ جَادَلُوا أَبْصَرْتَهُمْ أَسَدَ الشَّرَى^(٤)
فَاطْلَعْ بِأَفْقِي الْفَضْلِ شَمْسًا أَشْرَقَتْ لَا تَرْضَ أَنْكَ فِيهِ بَذْرُ أَسْفَرَا
وَأَعِذْ جَوَابِي عَنْ سُؤَالِي إِنَّهُ لَكَ وَاضِحٌ إِنْ رُخْتَ فِيهِ مُفَكَّرَا

(١) البيت ثاني اثنين لمحمد بن كناسة ، أوله : [الإعجاز والإيجاز ٢١٨] .

فَمَيَّ انْقِبَاضٌ وَحِشْمَةٌ فَإِذَا لَقِيتُ أَهْلَ السُّوفْيَاءِ وَالْكَثَرَمِ

(٢) ترجمته في : المعجم المختص ٨٨ : أعيان العصر ٢٧٣/٢ وذيول العبر ٢٩٩ : وفيات ابن رافع

٣٢٤/٢ والبداءة والنهاية ٥٦٣/١٨ وطبقات السبكي ٤١١/٩ وتذكرة النيه ١٨٦/٣ وتعريف ذوي

العلا ٩٧ والمقفى الكبير ٦١٨/٣ وتاريخ ابن قاضي شهاب ٦٧/٣ والذعرر للكامنة ٦٢/٢ والمهمل

الصافي ١٦٦/٥ والدليل الشافي ٢٧٥/١ والذليل التام ١٤٠/١ والدارس ٢٣٩/١ وحسن التبحر

٣٧٦/١ وشذرات الذهب ٣٠٤/٨ .

- مولده سنة ٧٢٢ هـ . ووفاته سنة ٧٥٥ هـ .

(٣) القصيدة في أعيان العصر ، وبعضها في طبقات السبكي .

(٤) في م : . . . أَلْفَيْتُهُمْ أَسَدَ الشَّرَى .

فَكَزَتْ وَالْقُرْآنُ فِيهِ عَجَائِبُ
فِي ﴿ هَلْ أَتَى ﴾ لَمْ ذَا أَنَا شَاكِرًا
فَالشُّكْرُ فَاعِلُهُ أَتَى فِي قَلْبِهِ
فَعَلَامَ مَا جَاءَ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ
لَكُنْهَا حِكْمٌ يَرَاهَا كُلُّ ذِي
فَأَبْنَاهُ لَا زَلَّتِ الْجَوَادُ بِفَضْلِهِ
بَهَرَتْ لِمَنْ أَمْسَى لَهُ مَتَدَبِّرًا
حَتَّى إِذَا قَالَ ﴿ الْكُفُورُ ﴾ تَغَيَّرَا
وَالْكُفْرُ فَاعِلُهُ أَتَى مُكْثَرًا
إِنَّ التَّوَاظُنَ فِي الْبَدِيعِ تَقَرَّرَا
لُبٌّ وَمَا كَانَتْ حَدِيثًا مُفْتَرَى
لِمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ لِإِشْكَالِ طَرَا

● فكتب الجواب إلي عن ذلك سريعاً^(١) [من الكامل]

قَبْلْتُ أَسْطَرَ فَاضِلُ بِهِرِ الْوَرَى
قَدْ نَالَ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ رُبَّةً
وَأَرَادَ مِنِّي حَلَّ مُشْكَلَةٍ غَدَا
وَجَوَابُهُ أَنَّ الْكُفُورَ لَوْ أَتَى
بِخِلَافٍ مَنِ شَكَرَ الْإِلَهَ فَإِنَّهُ
فَإِذَنْ مُرَاعَاةُ التَّوَاظُنِ هَا هُنَا
[١٥٥] فاضفح فعجزني عن جوابك ظاهر
مِمَّا لَدَيْهِ عَجَائِبُ لَنْ تُخْصَرَا
عَنْهَا غَدَا عَبْدُ الرَّحِيمِ مُقْصَرَا^(٢)
تَبَيَّنْهَا عِنْدِي كَصُبْحِ أَسْفَرَا
بِقِلِيلٍ كُفِرَ كَانَ ذَاكَ تَكْثُرَا
بِكَثِيرٍ شُكِرَ لَا يَعْدُ مُكْثَرَا
مَحْظُورَةٌ لِمَنْ اهْتَدَى وَتَفَكَّرَا
كَظُهُورٍ مَا بَيْنَ الثَّرَيَا وَالثَّرَى

● وكتب هو إلي أيضاً مُلَغِزاً^(٣) : [من البسيط]

يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ عِلْمًا وَالْغَمَامُ نَدَى
أَشْكُو إِلَيْكَ حَبِيبًا قَدْ كَلِفْتُ بِهِ
خُمْسَاهُ قَدْ أَضْبَحَا فِي زِيٍّ عَارِضِهِ
لَا رَيْبَ فِيهِ وَفِيهِ الرَّيْبُ أَجْمَعُهُ
وَمَنْ بِهِ أَضْحَتْ الْأَيَّامُ مُفْتَحِرَةً
مُورَدَ الْحَدِّ سُبْحَانَ الَّذِي فَطَرَهُ
وَفِيهِ بِأَسُّ شَدِيدٌ قَلٌّ مَنِ قَهَرَهُ
وَفِيهِ يُسُّ وَلَيْسَ الْبَانَةُ النَّصِيرَةُ

(١) القصيدة في أعيان العصر ، وبعضها في طبقات السبكي .

(٢) عبد الرحيم : هو القاضي الفاضل .

(٣) خمسة منها في أعيان العصر والذرة الكامنة وشذرات الذهب ، وبينان في المقفى الكبير .

وَفِيهِ كُلُّ الْوَرَى لَمَّا تَصَحَّفُهُ
وَضِيْعَةٌ بِيَلَادِ الشَّامِ مُشْتَهَرَةٌ
وَفِيهِ سِرٌّ لَطِيفٌ لَا أَبُوحُ بِهِ
فَافْهَمُهُ يَا مَنْ زَكَتْ أَنْفَاسُهُ الْعَطَرَةُ
وَقَدْ ذَكَرْتُ اسْمَهُ فِي غَيْرِ تَوْرِيَةٍ
تَبَيَّنُ كَالْبَذْرِ وَالظُّلُمَاءُ مُعْتَكِرَةٌ
دَامَتْ مَعَالِيكَ يَا أَزْكَى الْوَرَى نَسْبًا
وَمَنْ لَهُ طُرُقٌ لِلْمَجْدِ مُخْتَصَرَةٌ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ ، وَهُوَ فِي « رِيَّاس »^(١) .

٣٢ * الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٌ^(٢) :

الْعَدْلُ الْفَاضِلُ ، الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ بْنِ تَاجِ الدِّينِ ، الْمَوْصِلِيُّ ، الْحَنْبَلِيُّ ،
شَيْخُ الْحَدِيثِ بِالْعَسَاكِرِيَّةِ^(٣) ، بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مُلَغِزاً^(٤) : [من الطويل]

وَمَا اسْمٌ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ وَجَدْتَهُ
يَحُلُّ بِتَضْحِيفٍ مَحَلًّا مُسْتَرَا^(٥)
بَدِيعُ فِعَالٍ لَيْسَ يُدْرِكُ صُنْعُهَا
إِذَا فَكَّرَ الْإِنْسَانُ فِيهِ تَحَيَّرَا
وَيُزْرِي بِهِ مَعْكُوسُهُ مُطْلَقًا فَإِنْ
أَتَى فِيهِ تَضْحِيفٌ فَلَا تَسْأَلِ الْقِرَى^(٦)

(١) في هامش أ : لم نجد الجواب في نسخة تلميذ المصنف . قلت : واللغز بلا جواب شعري في أعيان العصر . والرِّيَّاس : نبت ينفع الحصى والجدرى والطاعون . (القاموس) .

(٢) ترجمته في : أعيان العصر ٢٧٧/٢ والذرة الكامنة ٥٩/٢ والمقصد الأرشد ٣٤٦/١ والمنهج الأحمد ١٠٩/٥ وشذرات الذهب ٣٢١/٨ .

- مولده سنة ٦٩٠ هـ . ووفاته سنة ٧٥٩ هـ .

- في س : الحسين بن علي بن أبي بكر موسى ! .

(٣) بدل هذه العبارة في س : أحد عُدول المسمارية . قلت : والعبارة صحیحتان ، كما في مصادر ترجمته . فالمدرسة المسمارية : قبلي القيصرية الكبرى داخل دمشق ، بالقرب من مثناة فيروز ، واقفاها الشيخ مسمار - وقيل : الحسن بن مسمار - الحوراني . (الدارس ١١٤/٢) . والعساكرية : أراها دار الحديث الثورية ، التي بناها السلطان نور الدين الشهيد للحافظ ابن عساكر . (الدارس ٩٩/١) .

(٤) القطعة في أعيان العصر .

(٥) يحل : تصحيف نخل .

(٦) معكوسه : لحن . وتصحيفه : بُخْلٌ .

فَتَصْغِفُهُ مِنْهُ دَقِيقٌ وَبَعْضُهُ
وَأَنْ صُحِّفَ التَّصْغِيفُ مِنْ عَيْنِ فِعْلِهِ
وَقَدْ جَمَعَ الضَّدَّيْنِ نَفْعاً وَضِدَّهُ
وَقَدْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ آيٌ بِذِكْرِهِ
وَجُمْلَتُهُ فِي اللَّيْلِ يُمَكِّنُ حَضْرَهَا

● فكتبتُ أنا الجواب ، وهو في « نحل » (٤) : [من الطويل]

قَرِئُصُكَ فِينَا قَدْ عَدَا شَامِخَ الدَّرَى
تَعَوَّضْ عَلَى الْمَعْنَى الْخَفِيِّ بِفِكْرَةٍ
أَحَاشِيكَ مِنْ عَكْسِ الَّذِي قَدْ أَرَدْتَهُ
وَحَاشَاكَ مِنْ تَصْغِيفِهِ فَهُوَ خُلَّةٌ
فَلَا زِلْتَ تُهْدِي لِلْأَنَامِ بَدَائِعاً
نَرَى طِرْسَهُ عِنْدَ الْبَيَانِ مُزْهَرًا
تُرِيكَ دُجَى الْإِشْكَالِ فِي الْحَالِ نِيرًا
وَأَلْغَزْتَهُ يَا فَاضِلًا بِهِرَ الْوَرَى (٥)
غَدَا بَعْضُهَا فِي النَّاسِ شَيْئًا مُقَرَّرًا (٦)
مِنْ النَّظْمِ مَا أَنْهَلَ الْعَمَامَ عَلَى الثَّرَى (٧)

● وكتب هو إليّ أيضاً مُلَغِزًا (٨) : [من السريع]

وَصَاحِبِ مُسْتَحْسَنِ فِعْلُهُ
فَتَى وَلَكِنْ سِنَّهُ رُبَّمَا
لَيْسَ لَهُ ثِقْلٌ عَلَى صَاحِبِ
زَادَتْ عَلَى السَّبْعِينَ فِي الْغَالِبِ (٩)

- (١) الدقيق : نجيل . والقصير : نجيل . والمتجبر : نخيل .
- (٢) المحبوب : نجيل .
- (٣) الضدان : عسل ولسع .
- (٤) الأبيات في أعيان العصر .
- (٥) عكسه : لحن .
- (٦) تصغيفه : يُخِل .
- (٧) في هامش أرواية أخرى :
فلا زلت تهدي للأنام أيادياً × من اللطف
- (٨) الأبيات في أعيان العصر والدرر الكامنة .
- (٩) في م : . . . سنه في الورى × .

قُلْتُ وَقَدْ قَالُوا : أَبْنِ مَا اسْمُهُ
« ظَنَنْتُمْ » تَصْغِيفَ مَعْكَوسِهِ
لِيُغْلِمَ الشَّاهِدُ لِلْغَائِبِ
يَخْفَى وَلَيْسَ الظَّنُّ بِالْكَاذِبِ

● فكتبتُ أنا الجواب ، وهو في « مشط » (١) : [من السريع]

أَفْدِي بِهِاءِ الدِّينِ مِنْ فَاضِلٍ
أَلْغَزَ فِي شَيْءٍ غَدَا حَمْلُهُ
تَرَاهُ لَا تَضْحَكُ أَسْنَانُهُ
كَمْ غَاصَ فِي لَيْلِ شَبَابٍ وَكَمْ
فِي النَّظْمِ لَمْ يَخْرُجْ عَنِ الْوَاجِبِ
عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ فِي الْغَالِبِ
يَا حُسْنَهُ مِنْ أَصْفَرِ شَاحِبِ
قَدْ لَاحَ فِي صُبْحٍ مِنَ الشَّايِبِ

● وكتب هو إليّ أيضاً مُلَغِزًا (١) : [من مجزوء الرجز]

وَصَاحِبِ بَكْرَمٍ
يَجُودُ بِالنَّفْعِ عَلَى
وَلَيْسَ يُكْسَى حُلَّةً
وَلَا يَزَالُ عَارِيًا
وَعَكْسُهُ مُصَحَّفًا
يَنْعَتُهُ مَنْ وَصَفَهُ (٢)
مَنْ دَهَرَهُ مَا عَرَفَهُ
إِلَّا بِهِمَا قَدْ أَتَحَفَهُ
وَبَزَدَهُ قَدْ أَنْحَفَهُ
تَقْيِيلُ نَغْرِ بِشَفَهُ

● فكتبتُ أنا الجواب ، وهو في « ميل » (١) : [من مجزوء الرجز]

[هه ب] هَذَا بِهِاءِ الدِّينِ لَا
أَلْغَزَ فِي شَيْءٍ حَكَى
وَفِيهِ مِنْ ذَاكَ الَّذِي
بَطُولِ شِبْرِ رَأْسِهِ
إِنْ غَاصَ فِي شَيْءٍ فَمَا
يَزَالُ يُبْدِي طَرَفَهُ
مِنْ كُلِّ قَدٍّ هَيْفَهُ
حُوشِيَّتُهُ بَعْضُ الصِّفَةِ
أَمْلَسُ رَابِي الْهَدَفَةِ
يُيْلُ إِلَّا طَرَفَهُ

- (١) الأبيات في أعيان العصر .
- (٢) في م : وصاحب مكرم × .

● وكتبْتُ أنا إليه مُلغِزاً في « درهم » : [من مجزوء الرجز]

يا فاضلاً لا يفتُرُ عنه الشَّاءُ المعطُرُ
وطرُسُهُ مُوقِرُ على رياضٍ تُزهَرُ
ولفظُهُ المُجَوِّهَرُ به الزَّمانُ يَفْخَرُ
ما مُفَرَّدٌ مُذْكَرُ وصَرْفُهُ لا يُنْكَرُ
مُرَّيْعٌ مُدَوَّرُ كالْبَذْرِ لَمَّا يَتَلَدُرُ
مَنْ حازَهُ مُسْتَبْشِرُ وفيهِ هَمٌّ يُبْصَرُ
ودُّهُ لا يَنْشُرُ كلامُهُ مُفَسَّرُ
مُؤَرَّخٌ مُسَطَّرُ يَبْنِيهِ فَهُوَ يُسْفَرُ
والوجهُ مِنْهُ يَبْرُ

لا زِلْتُ غَيْثاً يُنْطَرُ صَوَابُهُ فَيُشْكَرُ
ما دامَ وَزْقُ تَهْدِيرُ وصَوْنُهُ يَكْرُرُ

● فكتبَ الجوابَ إليَّ عن ذلك : [من مجزوء الرجز]

يا مَنْ بِهِ أَفْتَحِرُ مَعِ أَنْتَني أَعْتَدِرُ
لَأَنْتَني مُقَصِّرُ وَلَسْتُ مَعِ ذا أَقْدِرُ
عَنْ فَضْلِهِ أَعْبِرُ لَهُ الشَّاءُ العَطِرُ
فِيهِ الْيَبَانُ يُخْصَرُ واللفظُ مِنْهُ جَوْهَرُ
كَحِطِّهِ إِذْ يَسْطُرُ ما إِذَا يَقُولُ الْمُكْبِرُ
سُؤَالُهُ الْمُجَبَّرُ ما مُفَرَّدٌ مُذْكَرُ
وصَرْفُهُ لا يُنْكَرُ جَوَابُهُ مُحَرَّرُ
فَجَمْعُهُ مُكْسَرُ لِكِنَّهُ قَدْ يَعْشُرُ
مَنْ حازَهُ يُسْتَكْبِرُ وفيهِ هَمٌّ يُبْصَرُ

لا بهجاء يُذْكَرُ ودُّهُ لا يَنْشُرُ
خَفِيفٌ وَزْنٌ يَكْسَرُ وَوَجْهُهُ مُدَوَّرُ
أَبْيَضٌ حِينُ يُسْفَرُ نَعَمٌ وَفِيهِ أَسْطَرُ
كَلَامُهُ مُفَسَّرُ لِمَنْ قَرَاهُ يَظْهَرُ
وَعَكْسُهُ الْمُعْتَبَرُ بِهِ أُمُورٌ تَبْدُرُ
ضَارِبُهُ وَالْمُظْهَرُ عَبْدُ الْمَلِكِ الْأَبْخَرُ
وَأَفْتَكُ مِنْهُ بِلَدَرُ وَتَابَعْتُهُ بِبِلَدَرُ
ولا زَمْتُكَ الشَّيْرُ وزَالَ عَنْكَ الْحَذَرُ
ولا بَرِخْتُ تَنْصَرُ

٣٣ * الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُصَدِّقٍ (١) :

الشَّيْخُ الْإِمَامُ، شَرْفُ الدِّينِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الشَّيْبَانِيُّ، الْوَاسِطِيُّ، الصُّوفِيُّ.

● أَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، سَنَةَ ٧٢٨ (٢) : [من الطويل]

وَأَخَوَرُ أَخَوِي فَاتِنِ الطَّرْفِ فَاتِرِ مَسِيرُ بُدُورِ التَّمِّ مِنْ دُونِ سَيْرِهِ
إِذَا جِئْتُ أَشْكُو طَرْفَهُ قَالَ قَدُّهُ : « وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بغيرِهِ » (٣)

● فَأَنشَدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي فِي مَلِيحِ نَائِمٍ (٤) : [من الطويل]

سَبَانِي خَدٌّ مِنْ فَتَى كَانَ نَائِماً فَقَالَ عَذُولٌ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ :
أَتَهَوَّى وَلَمْ تَذِرِ الْعُيُونَ ؟ فَقُلْتُ : دَغْ « وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بغيرِهِ »

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٢٧٢/٢ والوافي بالوفيات ٢٤/١٣ والدرر الكامنة ٦٤/٢ .

- مولده سنة ٦٦٠ هـ ! [كذا عند ابن حجر] ولم يذكر أحد تاريخ وفاته .

(٢) البيتان في أعيان العصر والوافي والدرر الكامنة .

(٣) العجز مضمّن من قول ابن نباتة السعدي : [وفيات الأعيان ١٩٣/٣]

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بغيرِهِ تنوعت الأسباب والداء واحد

(٤) البيتان في أعيان العصر والحسن الصريح ٥٥ و٣٩ .

● وَأَشْدُّهُ أَنَا لِنَفْسِي فِي مَلِيحٍ يُقَابِلُ كِتَابًا^(١) : [من الرجز]

قَابَلْتُ كُتُبًا مَعَ حَبِيبٍ هَاجِرٍ فَسَرَّ قَلْبًا كَادَ أَنْ يَفْنَى وَلَهُ
فَقُلْتُ : يَا وَارِثَ قَلْبِي فِي الْهَوَى جَمَعْتَ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ

● فَأَشْدَّنِي هُوَ لِنَفْسِهِ^(٢) : [من الرجز]

قَابَلَنِي الْمَحْبُوبُ يَوْمًا وَعَدَا يَمْنَحُنِي جَمَالَهُ وَنَائِلَهُ
قُلْتُ لَهُ : يَا سَيِّدِي جَبَزْتَنِي فَهَلْ أَرَى مِنْ بَعْدِهَا مُوَاصَلَةً
فَقَالَ لِي : هَذَا الَّذِي فَعَلْتُهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ

٣٤ * الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ
مُحَمَّدٍ^(٣) بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُظَفَّرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَوْكَلَانِيِّ^(٤) بْنِ مُوسَى الْكَاطِمِ بْنِ الْإِمَامِ
جَعْفَرِ الصَّادِقِ بْنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ ابْنِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ^(٥)
عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

السَّيِّدُ الْإِمَامُ ، الْبَلِيغُ ، الْمُنْشِئُ ، الشَّرِيفُ ، [٥٦] شَهَابُ الدِّينِ ، مُوقَّعُ
الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِالْقَاهِرَةِ الْمُحْرُوسَةِ ، وَكَاتِبُ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِحَلَبِ الْمُحْرُوسَةِ .

(١) البَيِّنَاتُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالْحَسَنِ الصَّرِيحِ ٥٥ وَ ٣٩ .

(٢) الْأَبْيَاتُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالذَّرْرُ الْكَامِنَةُ .

(٣) تَرْجُمَتُهُ فِي : أَعْيَانِ الْعَصْرِ ٢٨٣/٢ وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٥١/١٣ وَدُرَرُ الْعُقُودِ الْفَرِيدَةِ ٤٧/٢ وَالدَّرَرُ
الْكَامِنَةُ ٦٦/٢ وَوَفَايَاتُ ابْنِ رَافِعٍ ٣٧٠/١ وَلِحَظِ الْأَلْحَاضِ ٣١ وَالتَّجْوِمُ الزَّاهِرَةُ ١٠/١١ وَالْمَنْهَلُ
الصَّافِي ١٦٩/٥ وَالِدَلِيلُ الشَّافِي ٢٧٦/١ وَالدَّرُّ الطَّالِعُ ٢٢٨/١ .

- مَوْلَاهُ سَنَةَ ٦٩٨ هـ . وَوَفَاتَهُ سَنَةَ ٧٦٢ هـ .

- فِي أ ، م : الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ . . . ! .

(٤) ضَبَطَ الْمُؤَلَّفُ هَذِهِ النِّسْبَةَ فِي الْأَعْيَانِ يَقُولُهُ : بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَالْوَاوِ السَّاكِنَةِ ، وَبَعْدَهَا
كَافٌ مَفْتُوحَةٌ ، وَلَا مَ أَلْفٌ ، وَنُونٌ ، وَيَاءٌ تُسْبِغُ .

(٥) فِي أ : بِنِ عَلِيٍّ ! .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنَ الرَّحْبَةِ الْمُحْرُوسَةِ ، سَنَةَ ٧٢٩^(١) : [من الخفيف]

مَا لِقَلْبِي عَنْ حُبِّكُمْ قَطُّ سَلَوَةٌ يَا ابْنَ ابْنَتِ النَّبِيِّ قُلْ لِي وَقَوْلِي
إِنْ بَخَلْتُمْ - حَاشَاكُمْ - بِوَفَاءٍ فَلَكُمْ قَدْ قَضَى وَمَا نَقَضَ الْعَهْدُ
أَوْ تَتَكَّمْ بَعْدَ التَّعَطُّفِ قَسْوَةٌ يَا ابْنَ ابْنَتِ النَّبِيِّ أَفْضَلُ دَعْوَةٍ
سَدِّ مُحِبٍّ وَلِي بِذَلِكَ أَسْوَةٌ أَوْ جَرَى فِي الْحِفَاطِ مِنِّي هَفْوَةٌ
لَمْ يَجِدْ فِي سِوَى مَعَالِيكَ صَبْوَةً لَمْ يَعْطَفِي مِنْهَا بِقِيَّةٍ نَشْوَةٌ
وَبِعِطْفِي مِنْهَا بِقِيَّةٍ نَشْوَةٌ وَبِعِطْفِي مِنْهَا بِقِيَّةٍ نَشْوَةٌ
مِنْ عَذَارَى حَدِيثِكَ الْعَذْبِ جَلْوَةٌ رِمَتْهُ مَا أَرَدْتُ كَاسَاتٍ قَهْوَةٌ
مَنْطِقُ تَشَخُّصِ الْأَفَاضِلِ نَحْوَةٌ عَنْ أَنْاسٍ لَهُمْ عَنِ الْخَيْرِ نَبْوَةٌ
لَكَ تُغْنِي عَمَّنْ عَدَا فِيهِ جَفْوَةٌ مِنْكَ لِي فِي جِمَاهُ حَظٌّ وَحُظْوَةٌ
وَتَسَنَّمَتْ فِي السِّيَادَةِ ذُرْوَةٌ أَنْتَ فِيهَا التَّشْرِيفُ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ
رَأَاهُ فِي الدِّينِ أَوْثَقَ عُرْوَةٍ لَا أَرَاكَ الْجِمَى وَلَا دَارَ عُلْوَةٍ
حَكَمْتَ بِالْبِعَادِ مِنْ غَيْرِ عَنْوَةٍ فِي اقْتِرَابِ الدِّيَارِ مِنْ مِصْرٍ رِشْوَةٍ^(٢)

(١) الْقَصِيدَةُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ؛ وَالنَّصُّ الشَّرِيحُ لَمْ يَرِدْ فِيهِمَا .

(٢) فِي أ : أَوْ لَوَانِ الْفَرَارِ . . . ! .

يَا زَمَانًا بِمَضَرٍ وَلَّى حَمِيدًا هَلْ يُجِيبُ الْإِلَٰهَ لِي فِيكَ دَعْوَةَ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي - بَعْدَ وَلَائِهِ الَّذِي تَنْطِقُ بِهِ مَخَايِلُهُ ، وَتَشْهَدُ لَهُ
دَلَالَتُهُ ، وَيَحْمِلُ لَوَاءَهُ الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ حَامِلُهُ ، وَوَفَائِهِ الَّذِي يَصْحَبُهُ إِلَى
وَفَائِهِ ، وَيَرِفُّ عَلَى رُفَاتِهِ ، وَتَشِفُّ عَنْ صَفَاءِ صِفَاتِهِ فِي سَمَاءِ سِمَاتِهِ ، وَثَنَائِهِ
الَّذِي تَسَمَّتِ الرِّيَاضُ بِهِ فِي أَسْحَارِهِ ، وَتَبَسَّمتْ مِنْ حَدِيثِهِ تُغَوِّرُ أَزْهَارِهِ ،
وَتَنْظُمُتْ أَسْجَاعُ ذِكْرِهِ فِي تَغْرِيدِ أَطْيَارِهَا - أَنَّهُ قَدْ شَغَلَهُ أَلَمُ الْإِغْرَاضِ عَنْ أَلَمِ
الشُّوقِ ، وَضَاقَتْ الرِّجْبَةُ بِفَضَائِلِهَا ، عَلَى أَنَّهُ لَا رَحْبَةَ لِابْنِ طَوْقٍ ، وَتَحَرَّرَ
بِالْمُكَاتَبَةِ إِلَى مَوْلَانَا ، فَجَاءَ بِطُوفَانٍ هَجَرَهُ مِنْ فَوْقٍ ، وَتَطَلَّبَ الْأَعْذَارَ فِي تَرْكِ
الْجَوَابِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا فِي النَّفْسِ ذَوْبٌ قَبُولٍ وَلَا ذَوْقٌ ؛ عَلَى أَنَّ الْمَمْلُوكَ فَارَقَ
مَوْلَانَا وَمَا صَفَّ لَهُ جَفَاءً ، وَلَا جَفَّ لَهُ صَفَاءً ، وَلَا تَوَسَّسَ مِنْ عَوَاطِفِهِ رَذِيٍّ^(١)
رَذً ، وَلَا سَمِعَ مِنْ عَوَارِفِهِ صَدِيٍّ صَدً^(٢) : [من الطويل]

وإنَّ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَزْنَ أَلُوفُ
وَقَدْ جَهَّزَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةَ ، وَهِيَ لِعَوَاطِفِهِ مُتَطَلِّبَةٌ مُتَطَلِّعَةٌ ، مُتَضَرِّمَةٌ
الْأَحْشَاءِ مُتَضَرِّعَةٌ ، مُتَجَرِّدَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ كَانَتْ لِعُصْصِهَا مُتَجَرِّعَةٌ ؛ وَمَا
أَجْدَرَ مَكَارِمَ مَوْلَانَا أَنَّ يُجِيبَ سُؤَالَهَا وَيُجِيدَ ، وَيُعِينَ نَوَالَهَا وَيُعِيدَ ، وَيُقَيِّتَ
وَبَالَهَا وَيُقَيِّدَ^(٣) : [من الطويل]

[٥٦ ب] وَإِنْ كَانَ ذَنْبٌ عَنْ أَوْتِكَ هَفْوَةٌ عَلَى خَطِئًا مِنِّي فَعُذْرِي عَلَى عَمْدٍ
وَاللَّهُ لَا يَعْطِفُ عَنْ وَلِيِّهِ عَطْفُهُ ، وَلَا يَصْرِفُ عَنْ صَفِيهِ لُطْفُهُ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ^(١) : [من الخفيف]

أَنْسَيْمُ الصَّبَا عَلَى الرَّوْضِ غُدْوَةً أَنْسَيْمُ الصَّبَا عَلَى الرَّوْضِ غُدْوَةً
وَسَرَى لُطْفُهَا إِلَى الدَّوْحِ فَازَتْهَا وَسَرَى لُطْفُهَا إِلَى الدَّوْحِ فَازَتْهَا
أَمْ سَقِطُ النَّدَى عَلَى الْوَرْدِ كَالْيَا أَمْ سَقِطُ النَّدَى عَلَى الْوَرْدِ كَالْيَا
أَمْ تَشَّى الْعُصُونِ فِي حُلْلِ الزَّهْدِ أَمْ تَشَّى الْعُصُونِ فِي حُلْلِ الزَّهْدِ
أَمْ مَسِيلُ الْمِيَاهِ بَيْنَ رِيَاضٍ أَمْ مَسِيلُ الْمِيَاهِ بَيْنَ رِيَاضٍ
أَمْ غِنَاءُ الْحَمَامِ غَرْدَ فِي الْبَا أَمْ غِنَاءُ الْحَمَامِ غَرْدَ فِي الْبَا
أَمْ نَجُومُ السَّمَاءِ زُهْرٌ أَمْ الْبَدُ أَمْ نَجُومُ السَّمَاءِ زُهْرٌ أَمْ الْبَدُ
أَمْ وَصَالُ الْحَبِيبِ بَعْدَ صُدُودٍ أَمْ وَصَالُ الْحَبِيبِ بَعْدَ صُدُودٍ
أَمْ بَشِيرُ الْأَمَانِ مِنْ بَعْدِ خَوْفٍ أَمْ بَشِيرُ الْأَمَانِ مِنْ بَعْدِ خَوْفٍ
أَمْ حَدِيثُ الْعُذْيَبِ يَغْدُبُ فِي أَمْ حَدِيثُ الْعُذْيَبِ يَغْدُبُ فِي
أَمْ كِتَابٌ قَدْ جَاءَنِي مِنْ خَلِيلٍ أَمْ كِتَابٌ قَدْ جَاءَنِي مِنْ خَلِيلٍ
رَخْبُ بَاعٍ لِرَحْبَةِ الشَّامِ وَافِي رَخْبُ بَاعٍ لِرَحْبَةِ الشَّامِ وَافِي
سَامِقٌ فَوْقَ هَضْبَةِ الْمَجْدِ وَالْعِزِّ سَامِقٌ فَوْقَ هَضْبَةِ الْمَجْدِ وَالْعِزِّ
نَاطِمٌ نَائِرٌ بَلِيغٌ بَدِيعٌ نَاطِمٌ نَائِرٌ بَلِيغٌ بَدِيعٌ
حَيْثُمَا حَلَّ فِي الْمَمَالِكِ حَلَّى حَيْثُمَا حَلَّ فِي الْمَمَالِكِ حَلَّى
بَعْدَ حَوْلَيْنِ قَدْ أَتَانِي فَأَهْلًا بَعْدَ حَوْلَيْنِ قَدْ أَتَانِي فَأَهْلًا
وَعَنَانِي مِنْ بُعْدِ دَارٍ وَلَكِنْ وَعَنَانِي مِنْ بُعْدِ دَارٍ وَلَكِنْ
وَأَرَادُوا خُمُولَ ذِكْرِي فَعَارُوا وَأَرَادُوا خُمُولَ ذِكْرِي فَعَارُوا
سَحَبَتْ ذَيْلَهَا عَلَى كُلِّ رُبُوعٍ سَحَبَتْ ذَيْلَهَا عَلَى كُلِّ رُبُوعٍ
حَ فَكَمْ رَنَحَتْ مَعَاطِفَ سَرُوعٍ حَ فَكَمْ رَنَحَتْ مَعَاطِفَ سَرُوعٍ
قُوتٌ إِذْ يَجْعَلُ اللَّالِيَّ حَشُوعٍ قُوتٌ إِذْ يَجْعَلُ اللَّالِيَّ حَشُوعٍ
سَرَّ سَقَاها السَّحَابُ كَاسَاتٍ قَهُوعٍ سَرَّ سَقَاها السَّحَابُ كَاسَاتٍ قَهُوعٍ
بُنْضَارِ الْأَصِيلِ أَمْسَتْ ثَمُوعٍ بُنْضَارِ الْأَصِيلِ أَمْسَتْ ثَمُوعٍ
نِ وَأُضْحَى بِهِ يُرْجَعُ شَدُوعٍ نِ وَأُضْحَى بِهِ يُرْجَعُ شَدُوعٍ
رُ مُنِيرٌ أَمْ مَشْرِقُ الشَّمْسِ ضُخُوعٍ رُ مُنِيرٌ أَمْ مَشْرِقُ الشَّمْسِ ضُخُوعٍ
فَأَتَى ذَا لِيذَا فَأَسْرَعَ مَخُوعٍ فَأَتَى ذَا لِيذَا فَأَسْرَعَ مَخُوعٍ
لِخَلِيعِ رَأَى الرِّيْعَ وَزَهُوعٍ لِخَلِيعِ رَأَى الرِّيْعَ وَزَهُوعٍ
كُلُّ لَهَاةٍ لِمَنْ تَذَكَّرَ لَهُوعٍ كُلُّ لَهَاةٍ لِمَنْ تَذَكَّرَ لَهُوعٍ
بَارِعٌ فَالْخَلِيلُ لَمْ يَنْحُ نَحُوعٍ بَارِعٌ فَالْخَلِيلُ لَمْ يَنْحُ نَحُوعٍ
ذَا وَفَاءٌ وَعَفَّةٌ وَقُتُوعٍ ذَا وَفَاءٌ وَعَفَّةٌ وَقُتُوعٍ
زِ سَبُوقٌ لَمْ يُذْرِكِ النَّاسُ شَأُوعٍ زِ سَبُوقٌ لَمْ يُذْرِكِ النَّاسُ شَأُوعٍ
مَاهِرٌ بَاهِرٌ الْمَقَالَةَ أَفُوعٌ^(٢) مَاهِرٌ بَاهِرٌ الْمَقَالَةَ أَفُوعٌ^(٢)
وَعَدَا وَارِدًا مِنَ الْحَمْدِ صَفُوعٍ وَعَدَا وَارِدًا مِنَ الْحَمْدِ صَفُوعٍ
وَحَبَانِي عَذَبَ الْكَلَامِ وَحُلُوعٍ وَحَبَانِي عَذَبَ الْكَلَامِ وَحُلُوعٍ
غَصْبَتُهُ أَيْدِي الْحَوَاسِدِ غُنُوعٍ غَصْبَتُهُ أَيْدِي الْحَوَاسِدِ غُنُوعٍ
مِنْهُ لَمَّا أَعْلَى بِذِكْرِي وَنُوعٍ مِنْهُ لَمَّا أَعْلَى بِذِكْرِي وَنُوعٍ

(١) القصيدة بتمامها في الرافي ، وتنقص أبياتاً في أعيان العصر ؛ وأربعة من أوائلها في الدرر الكامنة ، وقال : وهي نحو السبعين بيتاً .

(٢) في م : . . . بديع بليغ × .

(١) الرَّذِي : الضعيف . (القاموس) . وفي م : ولا توهم من عواطفه . . .
(٢) البيت للمنتبي ، في ديوانه ٢٩٢/٢ .
(٣) البيت لأبي تمام ، في ديوانه ١١٧/٢ .

حَجَبُوهُ عَنِّي فَأَظْهَرَهُ اللَّهُ
قُمْتُ لِلَّهِ شَاكِرًا ثُمَّ حَلَيْتُ
غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ فِيهِ عِتَابًا
قَالَ : إِنِّي بَخِلْتُ بِالْوُدِّ ؛ كَلَّا
وَرَمَى أَسْهُمًا تَمَزَّقَ ثَوْبُ الصَّبْرِ
إِلْزَمَ الذَّنْبَ قَبْلَ ذَنْبٍ فَأَنْصِيفْ
لَمْ يَكُنْ شَأْنِي الصُّدُودُ بِلا جُرْ
لَيْسَ مِثْلِي مِمَّنْ يَحُولُ عَنِ الْوُدِّ
كَيْفَ يَهْفُو نَبِيرُ جِلْمِكَ يَا ذَا الدِّ
أَذْكَرْتَنِي أَيْبَاتِكَ الْغُرَّ أَيْبَا
سَابِقٌ قَدْ هَدَى إِلَى التُّجَحِّ قَضِيدي
وَمَعَ الْبُعْدِ كَانَ يُذْنِي لِي اللَّطْفُ
كَانَ لِي وَالِدًا وَبَرًّا شَفِيقًا
منها :

يَا صَلاَحَ الدِّينِ الْبَلِيغِ نِظَامًا
لَا تَلْمَنِي عَلَى تَأَخَّرِ كُتُبِي
كُنْتُ فِي شِدَّةٍ وَقَدْ فَرَّجَ اللَّهُ
وَنَسِيتُ الصَّنَاعَتَيْنِ لِأَنِّي
يَزْجِعُ الْحَظُّ الْقَهْقَرَى إِذَا مَا
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ مَضَى الْهَمُّ إِذْ مَرَّ
[١٥٧] وَأَعَادِي ظُلْمًا وَأَقَهْرُ مِمَّنْ
والذي مِنْ إِنْشَائِهِ لِي نَشْوَةٍ
إِذْ أَتَلَّكَ بِحَدِّ ذَهْنِي نَبْوَةٍ
وَنَجَّيْتُ فَصَرْتُ مِنْهَا بِنَجْوَةٍ
حُجَجٌ قَدْ مَضَتْ وَلَمْ أَلْقِ حُظْوَةٍ
رُمْتُ أَنْ يَمْشِيَ عَاجِلَتُهُ كَبْوَةٍ
رَ مَسَاءً أَرَى الْمَسَاءَةَ غُدْوَةٍ
مَهْلِي لِلْفَخَارِ يَسْبِقُ عَدْوَةٍ (١)

(١) سقط البيت من س .

أَنَا سَبَطُ النَّبِيِّ وَابْنُ عَلِيٍّ شَرَفٌ شَامِخٌ لَأَرْزَعَ ذُرْوَةً
وَإِذَا مَا اعْتَزَّانِي الدَّهْرُ بِالْعُدِّ وَإِنْ أَمْسَكْتُ مِنْهُمَا أَيَّ عُرْوَةٍ
وَكَانَتْ يَسْعَةً وَسَتِينَ بَيْتًا ، وَهَذَا الْقَدْرُ الَّذِي أَثْبَتَهُ (١) مِنْهَا كَافٍ .

● وَكَبْتُ إِلَيْهِ مِنْ دَمَشَقِ الْمَحْرُوسَةِ أَهْنَتُهُ بِالذُّخُولِ إِلَى الدَّسْتِ الشَّرِيفِ ،
وَقَدْ رُسِمَ لَهُ بِالتَّوْقِيعِ بَيْنَ يَدَيِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ شَعْبَانَ (٢) ، خَلَدَ اللَّهُ
مُلْكَهُ ، فِي سَنَةِ ٧٤٦ : [من الطويل]

أَيَا فَخْرَ مُلْكٍ أَنْتَ فِيهِ تُوَقِّعُ وَيَا عِزَّ دَسْتٍ فِيهِ لَفْظُكَ يُسْمَعُ
وَيَا بَهْجَةَ الدُّنْيَا بِمَجْدٍ تُشِيدُهُ وَتَنْصُبُ رَايَاتِ الطُّرُوسِ وَتَرْفَعُ
فَأَقْسِمُ مَا الْأَقْلَامُ غَيْرَ أَسْنَنِهِ بِكَفِّكَ فِي نَحْرِ الْمُحَارِبِ تُشْرِعُ (٣)
غَدَا الْمُلْكُ مِنْهَا فِي غِنَى عَنْ قَوَاضِي تَجَرَّدُ سَمًّا لِلْأَعَادِي تَجَرَّعُ
وَتُوَلِّي النَّدَى مَنْ أَخْلَصَ الْوُدَّ قَلْبُهُ وَتَوَقَّعُ بِالْأَعْدَاءِ لَمَّا تُوَقِّعُ
وَكَمْ أَطَرَّكَ أَسْمَاعُنَا بِبَيَانِهَا فَهَلْ هِيَ فِي الْأَوْرَاقِ وَزَقَاءُ تَسْجَعُ
وَلَيْسَتْ سَطُورٌ فِي طُرُوسٍ تَخْطُهَا وَلَكِنْ كُؤُوسٌ لِلْسَّلَافِ تُشْغِشِعُ
فَمَا أَنْتَ إِلَّا لِلْعَدُوِّ مُشَرَّدٌ وَمَا أَنْتَ إِلَّا فِي الْبَيَانِ مُشْرِعُ (٤)
وَلَفْظُكَ بِالسَّخْرِ الْحَلَالِ مُقْنَدٌ وَطِرْسُكَ فِي بُرْدِ الْبَيَانِ مُقْنَعُ
وَإِنْ قُلْتَ بَيْتًا فِي الْقَرِيضِ مُصْرَعًا فَمَا هُوَ إِلَّا بِاللَّالِي مُرْصَعُ
وَإِنْ كُنْتَ فِي حَفْلٍ فَمَا يَسْعُ الْوَرَى سَوَى أَنْ تُوَالِيَ الْقَوْلَ وَالنَّاسُ تَسْمَعُ
فِيَا سَعْدَ مَنْ يُلْقِي لَدَيْكَ رِدَاءَهُ وَيَلْقَطُ دُرَّ الْقَوْلِ مِنْكَ وَيَجْمَعُ

(١) « الذي أثبتته » من س .

(٢) ترجمة الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون ، في الوافي بالوفيات ١٥٣/١٦ وفيه مصادر ترجمته .

(٣) في ب : × . . . تسرع .

(٤) في ب : × . . . إلا للبيان . . .

وَبَا فَوْزَ عَيْنٍ لَحَظْتِكَ فَأَصْبَحْتَ
وَلِنْ وَطِئْتَ رِجْلَكَ صَهْوَةً مُنْبِرٍ
فَلَا قَلْبَ إِلَّا وَهُوَ بِالنَّارِ يَلْتَنِظِي
وَلِنْ كَانَ فِي الْأَقْوَامِ رَبُّ فَضِيلَةٍ
فَمَا لِعُيُونِ الزَّهْرِ عِنْدَكَ مَطْمَعُ
مُحِبِّكَ بَدْرٌ بِالْجَمَالِ مُنَوَّرُ
وعافيتك بالإحسان فيك مَرْوَعُ
كَأَنَّ نُجُومَ الزَّهْرِ فِي الْأَفْقِ أَغْنِي
كَذَا يَا أَبْنَ بِنْتِ الْمُصْطَفَى فَلَتُكَ الْعُلَا
فَقُلْ لِلْمُجَارِي : قِفْ مَكَانَكَ تَسْتَرِخْ
وَحُذِّهَا رِياضاً جَادَهَا فِكْرُ مُخْلِصٍ
يُسْرُ إِذَا مَا جَدَّدَ اللَّهُ رِفْعَةً
وَيُخْلِصُ فِيكَ السَّرَّ إِنْ بَاتَ دَاعِياً
وَيَسْأَلُ جَمْعَ الشَّمْلِ مِنْ بَعْدِ فُرْقَةٍ
أُعِيذُكَ مِنْ عَيْنِ الْحَسُودِ وَبَغْيِهِ

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي أَنْ مَحَبَّتَهُ الْقَدِيمَةَ ، وَوَدَّهَ الَّذِي هُوَ وَالْوَفَاءُ كَنَدَمَانِي
جَذِيمَةً ، وَوَلَاءَهُ الَّذِي يَعُدُّ الْإِخْلَاصَ فِي دَهْرِهِ غَنِيمَةً ، يُوجِبُ لَهُ الشُّرُورَ بِكُلِّ
مَا يَتَجَدَّدُ لِمَوْلَانَا مِنْ غُلُوٍّ غُلُوٍّ ، وَيَتَأَكَّدُ لَهُ مِنْ إِشَادَةِ مَجْدٍ سَمَكُهُ بَيْبِي عَلَى
السُّمُوِّ ، وَيَتَرَدَّدُ لَهُ مِنْ إِقْبَالِ نَمَامِ عَرْفِهِ فِي نُمُوٍّ ، وَيَتَأَبَّدُ لَهُ مِنْ دَوَامِ سَعْدٍ يُكْمِدُ
مَسَاءَ الْمُسِيِّ وَيُنَكِّدُ غُدُوَّ الْعَدُوِّ ، لِأَنَّهُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَالُ الْمَرَاتِبِ ، وَجَمَالُ
[٥٧] الْمَنَاصِبِ ، وَثِمَالُ الْمَنَاسِبِ .

أَمَّا النَّسَبُ ، فَإِنَّهُ مُتَّصِلٌ بِالْبَتُولِ وَحَيْدَرَةٍ ، وَمَنْ كَانَ فَرَعُهُمَا فَأَكْرَمَ بَعْضُنِ

تَهْدَلُ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ .

وَأَمَّا الْفَقْهُ فَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ^(١) صَلَّى خَلْفَهُ وَسَلَّم ، وَصَاحِبُ « التَّنْبِيهِ »^(٢)
أَغْمَضَ طَرْفَهُ وَهَوَّمَ .

وَأَمَّا الْأَصُولُ ، فَالَسَّيْفُ الْأَمْدِيُّ^(٣) قُلَّ حَدُّهُ وَتَثَلَّمَ ؛ وَابْنُ الْحَاجِبِ^(٤)
تَأَخَّرَ بَعْدَمَا تَقَدَّمَ .

وَأَمَّا الْخَطَابَةُ ، فَابْنُ نُبَاتَةَ^(٥) بَقِيَ مَعَهُ فِي شِمَاتِهِ ، وَابْنُ الْمُتَبَرِّ^(٦) ذَهَلَ مَعَهُ
وَتَحَيَّرَ .

وَأَمَّا الْأَدَبُ ، فَالْجَاحِظُ جُحْدَ بَيَانِهِ ، وَابْنُ بَسَامٍ^(٧) بَكَى لَزَمَانَتِهِ زَمَانُهُ .
وَأَمَّا الْخَطُّ ، فَهُوَ بَعْدَ ابْنِ مُقَلَّةٍ^(٨) إِنْسَانُهُ ، وَابْنُ هِلَالٍ^(٩) ظَهَرَ بَعْدَ كَمَالِهِ
نَقْصَانُهُ .

(١) هو أبو المعالي ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، شيخ الشافعية ؛ توفي سنة ٤٧٨ هـ .
(سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨) .

(٢) هو الإمام الشيرازي ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشافعي ؛ توفي سنة
٤٧٦ هـ . (سير أعلام النبلاء ٤٥٢/١٨) .

(٣) هو العلامة علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي ، فارس الكلام ؛ توفي سنة ٦٣١ هـ .
(سير أعلام النبلاء ٣٦٤/٢٢) .

(٤) هو جمال الأئمة أبو عمرو ، عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي ، الفقيه النحوي ؛ توفي سنة
٦٤٦ هـ . (سير أعلام النبلاء ٢٦٤/٢٣) .

(٥) مضت ترجمته في حواشي هذا الكتاب .

(٦) هو ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور الجذامي ، الإسكندراني ، له مصنفات مفيدة ؛ توفي سنة
٦٨٣ هـ . (وفيات الوفيات ١٤٩/١) .

(٧) هو أبو الحسن ، علي بن بسام الشتريني الأندلسي ، صاحب كتاب « الذخيرة في محاسن أهل
الجزيرة » . (المغرب لابن سعيد - قسم الأندلس - ٤١٧/١) .

(٨) هو أبو علي ، محمد بن علي بن الحسين بن مقلة ، يُضْرَبُ بِخَطِّهِ الْمَثَلُ ؛ توفي سنة ٣٢٨ هـ .
(ثمار القلوب ٣٤٥/١) .

(٩) هو أبو الحسن ، علي بن هلال ، المعروف بابن البواب ، الكاتب المشهور ؛ توفي سنة ٤٢٣ هـ .
(وفيات الأعيان ٣٤٢/٣) .

وَأَمَّا التَّرْسُلُ ، فالعماد^(١) مال رُكْنُهُ ، وَتَهْدَمُ بُنْيَانُهُ ، وَالْجَزْرِيُّ^(٢) صَوَّحَ رَوْضَهُ وَأَمَحَلَ بُسْتَانَهُ .

وَأَمَّا النَّظْمُ فَابْنُ الْمُعْتَزِّ أَحَاطَ بِهِ ذَلِكَ وَهَوَانُهُ ، وَالشَّرِيفُ الرَّضِيُّ غَضِبَ لَمَّا أَهْمَلَ دِيوانَهُ .

هذا إلى غير ذلك من محاسن تَعَدَّدَتْ ، وَفَوَائِدُ كُلِّمَا تَقَدَّمَ^(٣) الدَّهْرُ عَلَيْهَا تَجَدَّدَتْ ، وَفَوَاضِلُ جَمْعِهَا التَّدْوِينُ وَخُلِدَتْ فِي الدَّفَائِرِ وَجُلِدَتْ ، وَمُرُوءَةٌ تَحَمَّلَتْ كُلَّ مَشَقَّةٍ ، وَلَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ^(٤) ، وَرِثَاسَةٌ تَنَوَّعَتْ مِنْ عَوَارِفِهَا الْأَجْنَاسُ .

وقد أنهى المملوك إلى العلم الكريم ما تجدد له من البهجة والشروع ، وشارك فيها محبي مولانا ، وهم غالب الناس وخلاصة الجمهور ؛ فالحمد لله على هذه النعمة التي انتبه لها الدهر بعد إغفائه ، ولحظ حظ الفضل وخص أبناء إنشائه ، والله تعالى يديم لنا - معاشير الأرقاء والمُحِبِّينَ - هذه النعمة ، ويُمَتِّعَ الأبصارَ والبصائرَ بطلوع هذا الشهاب الذي أخرج البدرَ وريمته ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فكتب هو الجواب إلي عن ذلك : [من الطويل]

خَلِيلُ سَرَى عَنِّي وَقَلْبِي مُودَعٌ لَدَيْهِ فَلَيْتَ الْجِسْمَ لَوْ كَانَ يَتَّبِعُ

(١) عماد الدين الأصبهاني ، محمد بن محمد بن حامد القرشي ، صاحب « الخريدة » ؛ توفي سنة ٥٩٧ هـ . (مسالك الأبصار ١٢/٢٥٣) .

(٢) هو نصر الله بن محمد بن محمد ، ابن الأثير الجزري الكاتب ؛ توفي سنة ٦٣٧ هـ . (مسالك الأبصار ١٢/٢٦٩) .

(٣) في ب ، س : تقادم .

(٤) من قول المتنبي ، ديوانه ٣/٣٧٨ :

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتْلُ

خَلِيلُ صَفَاءُ ذُو وَفَاءٍ بَعْهَدِهِ
بَدِيعُ الْحُلَى وَافِي الْعُلَا وَاجِبُ الْوَلَا
وَعَيْتُ لَأَقْصَى الْأَرْضِ يُهْدِي سَحَابًا
تَنْوَةٌ قَذْرِي حِينَ وَافَى كِتَابُهُ
كِتَابُ حَكِي فِي لُطْفِهِ نَسَمَةُ الصَّبَا
أَتَانِي فِي مُحَمَّرٍ طَرَسٍ كَأَنَّهُ
تَضَوَّاتِ الْأَفَاقِ نُورًا بِهِ كَمَا
فَقُلْتُ لِأَرْيَابِ الْبَرَاةِ كُلِّهِمْ :

وَهَنَّا مَنْ بَقِيََاكْ أَقْصَى مُرَادِهِ
بِتَوْقِيعِ دَسْتِ الْمُلْكِ وَالْمَجْلِسِ الَّذِي
وَسَّرَكَ مَا قَدْ سَرَّنِي مِنْ وَطِيفَةٍ
وَشَبَّهْتُ بِالرَّايَاتِ تَشَرُّرِ رِقَاعِهَا
وَصَلَّتْ عَلَى بَعْدِ الْمَسَافَةِ مُخْلِصًا
وَمَا رُمْتُهَا لِلْمَغْلُوتِ تَدْرُجًا
وَلَكِنْ إِمَامُ الْفَضْلِ وَابْنُ إِمَامِهِ
وَمَنْ قَدَرُهُ الْعُلَيَاءُ قَدْ شَرَفَتْ بِهِ
تَصَدَّقَ فِي أَمْرِي مِرَارًا وَجَادَ لِي
[٥٨] بِهِ انْصَرَفَتْ عَنِّي مِكَائِدُ حُسَيْدٍ
وَكَمْ مِنْهُمْ مِنْ كَادِحٍ بَلَغَ الْمُنَى

إِلَى مَكْرُمَاتٍ سَابِقُ مُتَسَرِّعٍ
لَهُ جَمٌّ بِرٍّ وَاصِلُ يَتَسَرَّعُ^(١)
تَمُرُّ بِأَفْطَارِ الْبِلَادِ فَتُمَرُّ
بِفَضْلِ لَهُ مِصْرًا وَشَامًا تَتَوَّعُ
وَأَسِيرُ مِنْهَا فِي الْبِلَادِ وَأَشْيَعُ
سَنَا الشَّمْسِ فِي إِشْرَاقِهَا حِينَ تَطْلُعُ
تَأَزَّجَتْ الْأَرْجَاءُ إِذْ يَتَضَوَّعُ
كَذَا فَاسْلُكُوا نَهْجَ الْبَلَاغَةِ أَوْدَعُوا
وَلَقِيَاكَ أَسْمَى مَا لَهُ يَتَطَّلَعُ
تُزَالُ بِهِ شَكْوَى الضَّعَافِ وَتُسْمَعُ
تَسَامَتْ فَكَمْ مِنْهَا عَدُوٌّ مُرَوِّعُ
فَحَاكَتْ أَكْفًا بِالْذُّعَا لَكَ تَضَرَّعُ
وَعَيْتُكَ بِي مَعَ قُرْبِ دَارِي يَقْطَعُ
وَلَا رَغْبَةً فِي رُتْبَةٍ هِيَ أَرْفَعُ
عَلَيَّ بِنَ يَحْيَى الْحَاكِمُ الْمُتَسَرِّعُ
وَمَنْ صَدْرُهُ الدَّهْنَاءُ بَلْ هُوَ أَوْسَعُ
بِجَبْرِ وَطُولِ فَضْلِهِ الْمُتَطَوِّعُ^(٢)
عَلَى ضَرَرِي بِالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ أَجْمَعُوا^(٣)
وَمَعَ جَمْعِهِ الدُّنْيَا لَهُ لَيْسَ يَشْبَعُ

(١) في ب : × متبرع .

(٢) في م : × بخير

(٣) في م : × مكاره حُشِدِ × .

إِذَا نَزَعَتْ عَنْ مُنْكَبِ الْحُرِّ حُلَّةً
وإن دَفَعُوهُ عَنْ وَلَايَةِ مَنْصِبِ
وما يَبِيدُ الْمَخْلُوقِ مَنَعٌ وَلَا عَطَا
وما هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارُ إِقَامَةٍ
وما الْقَوْمُ إِلَّا هَالِكٌ بَعْدَ هَالِكٍ
إِلَيْكَ صَلَاحُ الدِّينِ زَادَ تَشَوُّقِي
بِعَاذُكَ عَنِّي لَمْ يَكُنْ بِإِرَادَتِي
لَكَ الْأَدَبُ الْغَضُّ الَّذِي قَدْ حَلَالُهُ
وَأَقْلَامُكَ الْحُسْنَى بِهَزَنٍ مَحَاسِنَا
هِيَ الْأَغْصَنُ الْخُضْرُ الَّتِي تُثْمِرُ الْغِنَى
لَقَدْ أَلْبَسْتَ عِطْفِي لِلْفَخْرِ حُلَّةً
قَرِيضاً يُنْسِنَا الْغَرِيضَ وَمَعْبِداً
وَيَبْعُهُ نَثَرُ جَلَّتْهُ كِتَابَةٌ
وَحُسْنُ مَقَاطِيعِ تَقَطَّعَ دُونَهَا
وَكَمْ كَلِمَاتٍ كَامِلَاتٍ مَحَاسِنَا
وَعَالِي تَعَالِيكَ أَبْنُ غَرَائِبَا
وَجَمُّ مَجَامِيعِ أَفْذَنَ لَطَائِفَا
إِذَا قُلْتَ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلِ
فَمَا رِقَّةُ الْوَرَّاقِ ، كَمْ مِنْ مَحَاسِنِ

- (١) في م : وإن دفعوه . . .
(٢) الغريضة ومعبد : من أعلام الغناء في العصر الأموي .
(٣) الإشارة إلى محمود الورّاق ، شاعر الزُهْدِيَّاتِ في العصر العبّاسي ؛ وإلى أبي الحسين الجزار ، الشاعر المصري المعروف .

يَعُودُ التَّعَاوِيذُ عَجْزاً كَمَا غَدَا
وَذِكْرُكَ بَعْدَ الْخَالِدِيَّينِ خَالِدٌ
فَأَنْتَ خِتَامٌ لِلْأَفَاضِلِ آخِرُ
يَفُوقُ عَلَى الْعَبْدَيْنِ حُرُّ كَلَامِهِ
فِيَا سَابِقاً فِي حَوَازِ كُلِّ بَدِيعَةٍ
تَجَمَّلَ كِتَابُ الرِّسَائِلِ إِذْ غَدَا
وَأَضْحَى لِعَقْدِ الْفَضْلِ وَاسِطَةً بِهَا
رَعَيْتَ لَكَ الْحَقَّ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
فِلَانِي مِنْ آلِ النَّبِيِّ ذَوِي الصِّفَا
فَلَلْتَرْحَةَ الْغُبَرَاءِ عَنَّا تَفَرُّجُ
عَلَى رَبَّنَا مِنَّا صَاحِبُ تَوَكُّلِ
وَدُونِكَ مِنِّي فِي الْبِعَادِ تَحِيَّةٌ
يَفُوقُ رَضِيّاً مُرْتَضِيّاً قَوْلُهَا الَّذِي
تَحِيَّةٌ ذِي وَدٍّ يَوَدُّ تَقَرُّباً

- (١) التّعَاوِيذُ : أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله ، الشاعر المشهور ، والكاتب المعروف ؛ توفي سنة ٥٨٤ هـ . (وفيات الأعيان ٤/٤٦٦) .
والبارع : هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب ، الشاعر المشهور ، الأديب النديم البغدادي ؛ توفي سنة ٥٢٤ هـ . (وفيات الأعيان ٢/١٨١) .
(٢) الخالدِيَّانِ : أبو بكر سعيد ، وأبو محمد ، ابنا هاشم ، الموصليان . (ترجمتهما في مقدمة ديوانيهما) .
والبديعان : بديع الزّمان الهمداني ، صاحب المقامات ؛ والبديع الإسطرابي ، الطّبيب والفيلسوف والفلكي والشاعر .
(٣) أرى أنه يقصد بالعبدین : عنترة بن شدّاد ، وسحيم عبد بني الحسحاس .
(٤) في م : نطمع .
(٥) سقط هذا البيت من ب . وفي م : يُفزع .
(٦) إشارة إلى الشّريفين : الرضوي والمرتضي .

وَلَوْ لَمْ تُطَارِخْنِي طَرَحْتُ مَقَالَتِي لِنَظْمٍ وَتَشْرِ مِنْهُمَا الْيَدُ أَنْزَعُ
وَلَكِنْ مُكَافَاةُ الْجَمِيلِ تَعَيَّنَتْ عَلَيَّ لِمَنْ لِي مِنْهُ يَغْدُبُ مَشْرِعُ
وَوَازَنْتُ دُرَّ الشَّعْرِ مِنْكَ بِرَمَعِي وَمَا يَسْتَوِي فِي الشَّعْرِ دُرٌّ وَيَرْمَعُ^(١)
وَمَا صَنَعَةُ الْأَدَابِ إِلَّا شَقَاوَةٌ فَعَنُهَا الَّذِي يَهْوَى السَّعَادَةَ يُفْلِحُ
كَفَاكَ الْغِنَى عَنْ أَنْ تَكُونَ مُوقَّعًا فَمَا ذُو الْعَنَا وَالْفَقْرُ إِلَّا الْمَوْقِعُ
يُقْبَلُ الْأَرْضُ الْمُتَوَالِيَةَ [٥٨ ب] الدُّبَيْمَةُ ، الْغَالِيَةُ الْقِيَمَةَ ، الزَّاكِيَةُ الشَّيْمَةَ ،
الْكَافِيَةُ وَلَيْهَا بِمَا تَسْمَحُ بِهِ مِنَ الْمِنَحِ أَنْ يَلْمَحَ الْبَرْقُ أَوْ يَشِيْمَهُ ، لَا زَالَتْ نِعْمُهَا
لَهَا الْمَوَاهِبُ الْعَمِيْمَةُ ، وَهَمَمُهَا لَهَا الْكَوَاكِبُ ضَمِيْمَةُ .

ويُنْهِي - بعد موالاة صحيحة صميمة ، ومثالة مديحه الذي يحسد المسك
شميمة ، ومثالة في ذكر محاسنه التي يوالي إلى كل سامع إذا ذكر الخليل
تحيته وتسليمه - ورود المشرف العالي ، المشرف لقدره ، المسعف ببره ،
المسلف لجبره ، الموجف^(٢) ليمينون نصره ، المنصف دون أهل عصره ،
المتحف بالإنعام والوجود من شام الوجود لمضره ؛ فلثم آثار أنامله ، وغنم إثثار
فواضله ، وتقلد عقود جواهره ، ووجد سعود زواهره ، وجنى يانع ثمره
واجتلى طالع قمره ، وفقر له حين عاد بجميله أنسا ، وذكر من كاد لحمله
يئس ، وألج بضدوره صدرا وأبهج نفسا ، وعرج على طلل بال أثر فيه امتهان
الزمان دزسا ، فسقى هتائه غزسا ، ووقى إحسانه بأسا ، وانتقى من نطقه طرزاً
بديعاً فأودعه لرقه طزسا ، ورفع المملوك له بالابتهاال خمسا ، وغنم منه
الإفضال الذي ألف غمراً وغرف فيه غمسا ، وحكم له الاتصال بالصلاح أن
يفضل شهابه في غرارة الإنارة شمسا .

(١) اليرمع : الخدروف يلعب به الصبيان ، وحجارة رخوة إذا فُتت انفتت . (القاموس) .

(٢) في ب ، س : المرجف .

ورأى المملوك ما اشتمل عليه من بدأة إفضال ، وإفاعة ظلال ، وافتتاح
بإجمال ، وإنجاح آمال ، وشمول بإحسان لا يحسن شكر لسنه اللسان ،
ومقول من بديع بيان ، تعجز العقول بمثله عن الإتيان ، وإن تعددت الأحياء
وتجددت الأحيان ؛ فإذا هو قد كساه من حله ، وواساه بتفضله ، وما تناساه
من تطوله ، وبجله أوصافاً ، جملت له أعطافاً ، وخوله إسعافاً ، يديم به
اعتداداً وله اعترافاً ؛ فجَلَّ إنعامه أن يكافى ، واستهل غمامه بسقى الرحمة
ووافى ، ودل نظامه على أن بخره لا يهدي الدُرُّ إلا كياراً ، ولا يئدي الجوهر
إلا شفافاً .

فقلد المملوك صنائعه ، وخلد بدائعه ، وحمد الله تعالى على أن حفظ به
صناعة الأدب الصائغة ، (وعصد الملك بسهامه التالبة الراشقة ، الصائلة
الرائعة) ،^(١) ونصد السلوك بفرائد فوائده الشائعة ، التي تأتيها المعاني الطائلة
وهي طائعة .

فأما الشعر : فما أبو الطيب غير عزفه ، وما حبيب غير لطفه ، وما
البخترى إلا قصير عن وصفه ، وما بشار إلا أعمى عن إدراك طرفه بطرفه (دون
حفيه) ، وما أبنا الهائنين^(٢) إلا كالوائنين من خلفه ، وما جريز غير أسير في
قبضة كف ، وما الفرزدق وإن طبق شعره الأرض إلا عاجز عن إدراك شأوه ولم
يؤفه .

وأما النثر فما ابن عباد إلا كعبده ، وما الخوارزمي إلا من بعض جنده ،
وما ابن خاقان إلا ملقظ دُرِّ قلائده من عقده ، (وما ابن عبد ربّه إلا مُغْطِط
بجواهره ، ليَجْعَلَهَا زينة عقده ،)^(١) وما عبد الحميد إلا مُسْتَفِيدٌ في رسالته من

(١) ما بين قوسين ساقط من أ .

(٢) الحسن بن هاني (أبو نواس) ، وابن هاني الأندلسي .

رُشِدِهِ ، وما عبدُ الرَّحِيمِ الْفَاضِلُ إِلَّا مُتَزَيِّدٌ مِنْ رِفْدِهِ ، نَاقِصٌ عَنْ مَجْدِهِ .

وَأَمَّا اللُّغَةُ فَمَا ابْنُ فَارِسَ مِنْ فُزْسَانِهِ ، وما الْجَوْهَرِيُّ غَيْرَ بَيَانِهِ ؛ [٥٩] وما صَاحِبُ الْمُحَكَّمِ^(١) غَيْرَ إِتْقَانِهِ ، وما النَّهْيَةُ إِلَّا لِإِحْسَانِهِ ، وما الْأَصْمَعِيُّ إِلَّا دَعْيِيَّ عِنْدَ إِتْقَانِهِ ، وما الصَّاعِنِيُّ إِلَّا مَا صَاغَهُ إِبْرِيْزُ لِسَانِهِ .

وَأَمَّا الْحِفْظُ فَمَا حَمَّادٌ عِنْدَ رِوَايَتِهِ ، وما ابْنُ دُرَيْدٍ عِنْدَ دِرَايَتِهِ ، وما الْحَلِيلُ سَمِيئُهُ إِلَّا مُتَخَلِّ عَنْ السُّمُوِّ لِغَايَتِهِ ، وما السَّيرَافِيُّ إِلَّا سَائِرٌ فِي نُورِ هِدَايَتِهِ ، وما خَلْفُ الْأَحْمَرِ إِلَّا تَحْتَ بَيَاضِ رَايَتِهِ .

وَأَمَّا التَّأْلِيفُ فَمَا لَابْنِ رَشِيقٍ عُمْدَةٌ عَلَى غَيْرِ مَقَالِهِ ، ولا الْمِيدَانِيُّ ذُو الْأَمْثَالِ مِنْ أَمْثَالِهِ ، ولا ابْنُ الْقَطَاعِ إِلَّا قَاصِرٌ عَنْ أَفْعَالِهِ ، ولا ابْنُ حَمْدُونَ إِلَّا مُقْتَدٍ فِي تَذَكُّرَتِهِ بِأَقْوَالِهِ ، ولا الْعَسْكَرِيُّ إِلَّا مُنْهَزِمٌ مِنْ نِزَالِهِ ، ولا النَّحَّاسُ إِلَّا مُحْتَدٍ فِي صِنَاعَتِهِ بِتَمْثَالِهِ ، ولا ابْنُ مَضَاءٍ إِلَّا وَاقِفٌ عِنْدَ حِدَّةِ ذَهَبِهِ مُقَرَّبٌ بِكَلَالِهِ .

وَأَمَّا الْكِتَابَةُ فَمَا ابْنُ هِلَالٍ إِلَّا مُسْتَتِرٌ عِنْدَ تَمَامِهِ ، وما ابْنُ مُقَلَّةٍ إِلَّا غَاضٌ بَصَرُهُ عَنْ رِفْعَةِ مَقَامِهِ ، وما الْوَلِيُّ^(٢) عِنْدَ اسْتِزْسَالِ خَطِّهِ وَانْسِجَامِهِ ، وما ابْنُ الْعَدِيمِ^(٣) عِنْدَ وُجْدِهِ إِلَّا تَابِعٌ لِأَبِيهِ فِي إِعْدَامِهِ ، وما ابْنُ الشَّيرَازِيِّ^(٤) أَهْلًا أَنْ يُوَاظِيَ قَلَامَهُ مِنْ أَقْلَامِهِ .

فَأَخِيَا اللَّهَ تَعَالَى مَوْلَانَا لِلْأَدَبِ يُجَدِّدُ دَائِرَتَهُ ، وَيُوجِدُ مَائِرَتَهُ ، وَيُنْجِدُ

(١) فِي أ ، ب ، س : وما صاحب الحكم ! والمثبت من م . وصاحب المحكم : هو ابن سنيده ، علي ابن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المشهور توفي سنة ٤٥٨ هـ . (وفيات الأعيان ٣/ ٣٣٠) .

(٢) هو ولي الدين العجمي ، علي بن زنكي ، أخذ الخط المنسوب عن ياقوت المستعصمي ، وعنه أخذ عفيف الدين محمد الحلبي . (صبح الأعشى ١٤/ ٣) . ولعل الصواب : وما الولي [بوزلي] .

(٣) ابن العديم : الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جراحة صاحب كتاب « بغية الطلب في تاريخ حلب » . توفي سنة ٦٦٠ هـ . (الوفاء بالوفيات ٢٢/ ٤٢١) .

(٤) لم أعرفه .

عَائِرَتُهُ ، وَيُرْشِدُ نَازِمَتَهُ وَنَائِرَتَهُ ، وَيَبْرِزُ أَهْلَهُ ، وَيُقَرِّرُ سَهْلَهُ ، وَيُعْذِبُ نَهْلَهُ ، وَيُذْهِبُ جَهْلَهُ ، وَيُؤَلِّفُ جَمْعَهُ ، وَيُسَلِّفُ صُنْعَهُ ، وَيُهَيِّئُ نَفْعَهُ ، وَيُبْوِيءُ مِنْهُ الرِّفْعَةَ .

ولا أَغْدَمَ أَصْحَابُهُ سَحَابَهُ^(١) ، ولا أَفْقَدَ إِخْوَانُهُ أَمْتِنَانَهُ ، وَرَأَى لَهُ سَبْقَهُ ، وَرَعَى لَهُ حَقَّهُ ، فَقَدْ وَصَلَ فِي الْفُرْقَةِ ، دُونَ الرِّفْقَةِ ، وَأَوْصَلَ رِفْقَهُ ، إِذْ قَطَعَ الرِّفْقَةَ ؛ وَقَرَّبَ جَبْرَهُ عَلَى بُعْدِ الشَّقَّةِ ، فَأَذْهَبَ الْمَشَقَّةَ ، وَأَبْقَى بَرَّهُ الَّذِي مَا ضَرَّهُ مَعَهُ مَنْ عَقَّهُ ، بَلْ أَسْعَدَهُ بِمَا اسْتَعْبَدَهُ وَاسْتَرْقَهُ .

وما يترك المملوك المواصلَةَ بِخِدْمَتِهِ مَعَ كُلِّ بَرِيدٍ يَسِيرُ ، وَالْمُرَاسَلَةَ بِكَلِمَةٍ لِيَلْتَمِسَ مِنْ نَحْوِهِ الْإِفَادَةَ وَيَسْتَمِيرَ ، إِلَّا تَخْفِيفًا عَنْ خَاطِرِهِ الشَّرِيفِ مِنَ التَّثْقِيلِ ، وَتَسْوِيفًا بِأَيَّامِ الْبُعْدِ لَعَلَّ الْقُرْبَ يَكُونُ عَنْ قَلِيلٍ ، فَيُشَاهِدُ ذَاكَ الْمُحْيَا^(٢) الْجَمِيلَ ، وَيُسَاعِدُ عَلَى سُبُوحِ التَّأْمِينِ وَبُلُوغِ التَّأْمِيلِ ، وَيُعَاضِدُ مِنْ كَرَمِ مَوْلَانَا الْجَلِيلِ ، يَنْعَمُ الْحَلِيلُ ، فَيُمْسِي وَقَدْ أَقَامَ بَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ فِي أَغْزَى قَبِيلٍ ، وَيُصْبِحُ وما لَا هَتِضَامَ الْأَيَّامِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ .

وَفِيهِمُ الْمَمْلُوكُ الْإِشَارَةُ الْكَرِيمَةُ ، إِلَى إِحْسَانِ الْمَوَالِي السَّادَةِ كُتَابِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِدَمْشَقِ الْمَحْرُوسَةِ ، حَمِدَ اللَّهُ صَنِيعَهُمْ ، وَأَيَّدَ جَمِيعَهُمْ ، وَجَمَعَ فِي رُبُوعِ الْعُلْيَا شَمْلَهُمْ ، وَسَمِعَ مَرْفُوعَ الدُّعَاءِ لَهُمْ ، فَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ إِبْلَاغَهُمْ سَلَامَتَهُ ، وَالنَّبَايَةَ عَنْهُ فِي شُكْرِ عَوَارِفِهِمُ الْعَامَّةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْفَظُ بِطَوْلٍ بَقَائَهُ لِلْأَدَبِ نِظَامَتَهُ ، وَيَلْحَظُ بِجَمِيلِ انْتِقَائِهِ رُتَبَ الزَّعَامَةِ فِيهِ وَالْإِمَامَةِ ، فَمَا عِنْدَ نَقْدِهِ نَقْدُ أَسَامَةٍ ، أَمْ مَنْ قُدَامَتُهُ قُدَامَتُهُ ؛ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ سِيرَ إِلَيَّ يَطْلُبُ عِبَادَةَ سَوْدَاءَ لِيَلْبَسَهَا ، تَوَاضَعًا مِنْهُ ،

(١) فِي أ ، ب ، س : سحابه . والمثبت من م .

(٢) فِي ب : الوجه الجميل . وهما بمعنى .

فَجَهَّزْتُهَا إِلَيْهِ ، وَمَعَهَا هَذِهِ الْآيَاتُ ^(١) : [من الكامل]

يا سَيِّدَا مَا زَالَ يُدْعَى سَيِّدَا حَارَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى وَالشُّوَدَا
شَرَّفْتَنِي بِأَوَامِرِ دَابِّي لَهَا مَهْمَا أَتَى مَزْسُومُهَا أَنْ أَسْجُدَا
وَطَلَبْتَ بُشْتَا أَسودَا مِنْ جَلْقِي [ب ٥٩] وَلَوْ اقْتَصَرْتَ لَسِتَ حَظِّي الْأَسودَا
لُبْسُ الْعِبَاءَةِ وَالْعُيُونُ قَرِيرَةٌ خَيْرٌ مِنَ الْحُلْلِ الْخَرِيرِ مَعَ الرَّدَى
فَالْبَسُهُ فُضْفَاضَ الذُّيُولِ حَكَى الدُّجَى لَوْنًا فَوْجُوكَ فَوْقَهُ بَدْرٌ بَدَا

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ ^(٢) : [من الكامل]

حَيَا دِمَشْقَ وَأَهْلَهَا غَيْثُ النَّدَى وَسَقَى مَعَاهِدَهَا الْحَيَا مُتَعَهِّدَا
دَارَ خَلِيلِ الصَّدَقِ سَاكِنُ رُبْعِهَا مَا عَنْهُ مَنِّي بِالرَّضَى أَنْ أُبْعَدَا
الْفَاضِلُ الْمُتَفَضَّلُ الْخَبَرُ الَّذِي جَمَعَ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا فَتَفَرَّدَا
النَّاظِمُ الْعَقْدَ الْفَرِيدَ قَرِينُهُ وَالنَّائِرُ الدَّرَّ النَّفِيسَ مُنْضَدَا
وَالكَاتِبُ الْحَسَنَاتِ فِي صُحُفٍ لَهُ يَبْضُرُ لَهَا اسْوَدَّتْ وَجُوهٌ لِلْعِدَى
الصَّاحِبُ الْمَوْلَى الْجَمِيلُ صَحَابُهُ مُتَفَضِّلًا مُطْطَوْلًا مُتَوَدَّدَا
وَصَلَتْ وَصَلَتْ إِلَيَّ مِنْكَ عَوَارِفُ قُرْبًا وَبُعْدًا بِرُّهَا لَنْ يُفْقَدَا
وَأَتَى إِلَيَّ الْبُشْتُ مُقْتَرِنًا بِمَا لَكَ مِنْ يَدٍ بَيَضاءَ كَمْ وَهَبَتْ يَدَا
صُوفٌ بِهِ لِدَوِي الصَّفَاءِ تَلْقَعُ شَعْرٌ شِعَارُ مَنْ اغْتَدَى مُتَعَبَّدَا
قَدْ جَاءَ مِنْ جِهَةِ الصَّلَاحِ فَحَبَّدَا هُوَ مِنْ لِبَاسِ ثَقَى بِهِ قَدْ أَسْعَدَا
هُوَ حَالِكٌ لَوْنًا كَلَخِظَ أَغْيَدَ أَوْ مِثْلَ حَظِّي جِينِ أُمْسَى أَسودَا
قَدْ قُمْتُ فِي لَيْلِ الشَّتَاءِ بِهِ إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ أَدْعُو لَهُ مُتَهَجِّدَا ^(٣)

طَلَبِي لَهُ تَزَكَا لِدُنْيَاهُمْ لَهَا وَخَرَجْتُ عَنْهَا زَاهِدًا مُتَجَرِّدَا
فَلِمَ التَّعَلَّقُ بِالْخَطَامِ وَأَهْلِهِ وَعَفَافَ نَفْسِي مَانِعٌ أَنْ أَجْهَدَا
وَالْأَمْسُ فَاتٌ وَلَيْسَ يَوْمِي خَالِدًا لَكِنْ بَوْعِدِ اللَّهِ لِي ثِقَةٌ غَدَا
فَاللَّهُ يُنْهَضُنَا لِنَعْمَلَ صَالِحَا وَاللَّهُ يُوقِظُنَا لِيَذَا قَبْلَ الرَّدَى
وَاللَّهُ يَجْمَعُ بِاقْتِرَابِكَ شَمْلَ مَنْ يَعْدُو لِمَذْحِكَ مُضْدِرًا أَوْ مُورِدَا
يُغْبَلُ كَذَا ، الَّتِي مَا زَالَ يَأْوِي ظِلَّهَا ، وَيَخْوِي فَضْلَهَا ، وَيَرْوِي عَنْهَا
الْمَحَاسِنَ جَمِيعَهَا وَالْمَيَامِنَ كُلَّهَا ، لَا يَرِحَتْ تَهَمُّعُ وَبَلَّهَا ، وَتَتَبَرَّعُ بِالْجُودِ لِمَنْ
قَصَدَهَا وَأَمَلَهَا ، كَمَنْ وَرَدَهَا وَحَلَّهَا .

وَيُنْهِي بَعْدَ أَدْعِيَةٍ تَصِلُ مِنْ أَبْوَابِ الْإِجَابَةِ سُبُلَهَا ، وَأُثْنِيَّةٍ مَا نَدَّدَ نَدَّهَا وَلَا
الْمِسْكَ مِثْلَهَا ، وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْعَالِي عَلَى يَدِ مَوْلَانَا الشَّيْخِ بَهَاءِ الدِّينِ أَبِي
حَامِدٍ ، وَلَدِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيَّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ ، أَعَزَّ اللَّهُ
أَحْكَامَهُ ، وَوَقَى الْأَسْوَءَ الْأَضْلَ وَالْفَرْعَ ، وَأَبْقَى ^(١) فِي يَدِ عَذْلِهِمَا زِمَامَ
الشَّرْعِ ، فَأَفْضَى الْمَمْلُوكَ إِلَيْهِ بِالْقَبْلِ قَبْلَ أَنْ يَقْضَهُ ، وَأَدَّى مِنْ تَكْرِيرِ التَّكْرِيمِ
فَرْضَهُ ، وَتَسَلَّمَ الْمَمْلُوكُ مَا اقْتَرَنَ بِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَعَمَّتْ جَوَارِحُهُ نِعَمَ مَوْلَانَا ،
فَقَامَ عَنْهَا لَا بِسَا السَّوَادَ بِالْحَمْدِ خَطِيبُ لِسَانِهِ ؛ وَمَا أَخَّرَ الْجَوَابَ عَنْ وَقْتِهِ إِلَّا
لِشَوَاعِلِ أَفْكَارِهِ ، بِتَوَاضُلِ أَكْدَارِهِ ، وَإِقْبَالِ أَيَّامِهِ بِإِقْحَامِهِ وَإِدْبَارِهِ ، وَقِلَّةِ
أَنْصَارِهِ ، وَذِلَّةِ إِفْتَارِهِ ^(٢) ؛ وَلَكِنْ عِزَّةَ نَفْسِهِ مُسْتِنْدَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِفْلَاحِهِ
وَإِكْتَارِهِ ، مُعْتَمِدَةً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَهْوَالِهِ وَأَخْطَارِهِ .

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ وَقَدْ طُلِيتُ إِلَى الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٤٥ : [من

المتقارب]

(١) فِي أ ، ب ، م : وَأَلْقَى .

(٢) فِي ب : اِفْتَارِهِ .

(١) الْآيَاتُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .

(٢) الْقَصِيدَةُ تَقْصُصُ آيَاتًا فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .

(٣) إِلَى هُنَا فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .

خَلِيلَ الصَّفَا مَرْحَباً مَرْحَباً
وَجِئْتَ إِلَى مَلْجَأِ الْقَاصِدِينَ
وَمُنْجِدِ هَذَا الْوَرَى بِالسَّمَّاحِ
وَمَنْ أَسْلَفَ الْخَيْرَ وَالْمَكْرُمَا
وَحَافِظِ أَسْرَارِ مَوْلَى الْمُلُو
وَتَجْرِي الْأَجُورُ بِأَقْلَامِهِ
وَتَهْزَأُ إِنْ جُرِّدَتْ لِلْكَفَا
وَمَنْ فَاقَ مَنْ قَبْلَهُ فِي الْفَخَا
لَهُ الرُّتَبُ الْبَاهِرَاتُ الْعُلَى
وَإِنْ جَهَّزَ الْبُرْدَ السَّائِرَا
وَسَطَّرَ مِنْ خَطِّهِ فِي الطُّرُو
وَقَدْ مَلَأَ الصُّخْفَ إِمْلَاؤُهُ
وَأَعْجَزَ إِبْدَاعُهُ الْقَائِلِي
وَبَحَّرَ الْعُلُومَ الْمُفِيدُ الصَّوَا
فَعَلِيَّاهُ بَزَغَتْ مَشْرِقَا
وَاللُّجُجُ أَبْوَابُهُ جُرِّبَتْ
وَصَيَّرَنِي جُودُهُ خَادِمَا
وَحَيَّمْتُ فِي رُبْعِ مَوْلَى الْكِرَا
جَعَلْتُ حَوَالَتَهُ فِي غَدِ

طَلَعْتَ بِأُفُقِ الْعُلَا كَوَكَبَا
عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْجَزِيلِ الْجَبَا
وَمَنْ لَمْ يَزَلْ غَزَاهُ مُنْجِبَا
تِ وَمَنْ شَرَّفَ الدَّهْرَ وَالْمَنْصِبَا
لِكَ [١٦٠] يُودِعُهَا صَدْرُهُ الْأَزْحَبَا
فَكَمْ لِلْكَرَامِ قَدْ اسْتَكْتَبَا^(١)
حِ بِسْمِ الرِّمَاحِ وَيُنِضُّ الطُّبَا^(٢)
رِ وَصَارَ لِمَنْ بَعْدَهُ مُنْعِبَا
لَهُ الْكُتُبُ الْعَاطِرَاتُ النَّبَا
تِ أَبَادَ الْعِدَى مِقْتَبَا مِقْتَبَا
سِ مَا عِنْدَهُ ابْنُ هِلَالِ هَبَا
لَطَائِفَ كَمْ أَنْجَحَتْ مَطْلَبَا
نَ إِنْ هُوَ أَوْجَزَ أَوْ أَسْهَبَا
بِ وَطُودُ الْحُلُومِ إِذَا مَا اخْتَبَى^(٣)
وَنَعْمَاؤُهُ بَلَغَتْ مَغْرِبَا
وَإِنِّي لِمَنْ بَغَضَ مِنْ جَرِّبَا
وَأَمْطَرَنِي جُودُهُ صَيِّبَا
مِ وَمَنْ لِلْوَسَائِلِ مَا خَيَّبَا
عَلَى جَدِّي الْمُصْطَفَى الْمُجْتَبَى

(١) فِي أ، م : وَمَجْرِي ×

(٢) فِي ب : وَتَهْتَزُّ ×

(٣) فِي م : مُفِيدُ الصَّوَابِ ×

وَأَدْعُو لَهُ إِنْ دَعَوْتُ الْبُتُو
قَدَامَ غِيَاثاً لِأَهْلِ الزَّمَا
أَأَعْلَى الْوَرَى رُتْبَةً فِي الْبَيَا
عَلَا بِلِقَائِكَ شَأْنُ الشَّأَا
لَكَ الْأَدَبُ الْخُلُوْ غَضُّ الْجَنَى
وَأَبْدَعْتَ نَظْمَ عُقُودِ الْقَرِيدِ
رَقِيقُ الْحَوَاشِي أُنِيقُ الْخُلَى
فَمِنْهُ مَطَالِغُ تَخْوِي الثُّجُو
وَنَضَّدْتَ نَثْرًا كَزَهْرِ الرِّيَا
بَدِيعُ الْفُصُولِ صَنِيعُ الْمَقُو
وَدُونِكَ فِي الْعِلْمِ مَنْ أَلْفَ التَّو
فَإِنَّ الْخَلِيلَ إِمَامُ الْكَلا
وَأَنْتَ الْجَوَادُ الَّذِي مَا كَبَا
وَقَدْ خَطَبْتِكَ لَهَا الْمَعْلُوَا
وَعُدْتَ إِلَى مِضْرَ عَوْدَ الرِّيَا
وَأَنْشَتَ لِمَا رَجَعْتَ الدِّيَا
فَأَلَيْسَ بِرَاعِكَ ثَوْبُ السَّوَا
وَقَلَّدْتَ تَقَالِيدَكَ الْفَاخِرَا
وَأَبْدَ الْغَرَائِبَ مِمَّا ابْتَكُرَ

لَ أُمًّا وَخَيْدَرَةً لِي أَبَا
نِ يُرْتَعُهُمْ رَوْضَةُ الْمُخْصِبَا^(١)
نِ وَمَنْ لِلْبِدَائِعِ قَدْ رَتَّبَا
مِ وَرَاعَ بِرَاعِكَ مَاضِي الشَّبَا^(٢)
فَكَمْ مَرَّ بِالسَّمْعِ مُسْتَعْذِبَا
ضِ وَأَبْدَيْتَ مَذْهَبَكَ الْمُذْهَبَا
يُقَارِنُ مُرْقِصُهُ الْمُطْرِبَا
مِ وَمِنْهُ الْمَرَابِيعُ تَأْوِي الطُّبَا
ضِ حَارَ خُلَى الْحُسْنِ مُسْتَوْعِبَا
لِ يَسْتَعْمِلُ الْأَلْيَقَ الْأَنْسَبَا
تَصَانِيفَ مَنْ قَبْلُ أَوْ هَذَّبَا
مِ كَمْ لِلْأَنَامِ بِهِ دَرَبَا
وَأَنْتَ الْحُسَامُ الَّذِي مَا نَبَا
تُ وَحُقَّ لِمِثْلِكَ أَنْ يُخْطَبَا
بِ حَلٍّ فَأَنْعَشَ بِنْتَ الرِّيَا^(٣)
رَ وَجَمَلْتَ ذَا الْبَلَدِ الطَّيِّبَا
دِ وَمُزَّهُ بِسَجْعِكَ أَنْ يُخْطَبَا
تِ مَنْ شَهِدَ الدُّسْتَ وَالْمُوكِبَا
تِ وَلَيْسَ بِدِيعِكَ مُسْتَعْرِبَا

(١) فِي م : حَوْضَةُ الْمُخْصِبَا .

(٢) فِي س : عَلَا بِمَقَامِكَ × . فِي م : عَلَا بِمَقَامِكَ شَاو ×

(٣) فِي م : نَبَتُ الرِّيَا .

بِدَائِعُ مَنْ حَاذَهَا لَمْ يَزَلْ
رَوَائِعُ كَمْ أَبْهَجَتْ وَاعِيَا
كَطِيبِ الزَّمَانِ وَظِلُّ الْأَمَا
فَدُمْتَ جَلِيلًا بِكُلِّ الْبِلَا
يُصَاحِبُهُمْ مِنْكَ خُلُقٌ جَمِيدٌ
تَعْلَمُ مِنْ لُطْفِ أَوْصَافِكَ أَلْ
فَمُنِيَّةُ نَفْسِي هَذَا الدُّنُو
وَسَامِخٌ مُقْلًا مُخْلًا بِمَا

● فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [مِنِ الْمُتَقَارِبِ]

أَسَيِّدَنَا الْفَاضِلَ الْمُجْتَبَى
وَمَنْ سَارَ بَيْنَ الْوَرَى ذِكْرُهُ
وَمَنْ خَطَّهُ مِثْلُ زَهْرِ الدُّجَى
وَمَنْ رَفَّ لِي فَضْلُهُ غَادَةً
فَشَرَّفَ قَدْرِي وَأَعْلَاهُ لِي
فَأَهْدَى الشُّرُورَ إِلَى خَاطِرِي
وَأَغْرَبَ عَنِ سُودِدِ ظَاهِرِي
وَنَزَّ طَرْفِي فِي رَوْضَةِ
وَكَمْ كَفَّ عَنِّي مِنْ مَهْلِكِ

(١) سقط البيت من س .

(٢) في ب ، م : داعياً . وفي م : × وكم نهجت منهجاً أصوباً .

(٣) في م : بطيب الزمان × .

(٤) في م : فدمت خليلاً × جليلاً

(٥) في م : فمُنِيَّةُ نَفْسِي × .

فَلَوْ صَاغَ قُسٌّ خُلَى مَذْجِهِ
وَلَوْ سَابَقَ الْبَرْقَ فِي حَلْبَةِ
[٦٠ ب] تَرَفَّقَ بِمَنْ ذَهْنُهُ مُظْلِمٌ
فَإِنَّكَ أَصْبَحْتَ فِي غَايَةِ
وَعَبْدُكَ أَفْكَارُهُ أَجْبَلَتْ
وَعَالَجَ خَمْسِينَ عَاماً مَضَتْ
يُسَاقِيكَ فِيهَا كُورُوسَ الْوَفَا
وَيَحْمِلُ فِيكَ لِوَاءَ غَدَا
لَكَ الْحَسَبُ الطَّاهِرُ الْمُتَّقَى
لَهُ صَلَاةُ بَنِي الْهُدَى
لَقَدْ سَادَ مَنْ أَضْلُهُ قَدْ عَلَا
وَأَمَّا حُضُورِي إِلَى بَابِ مَنْ
فَإِنَّ السَّعَادَةَ قَدْ لَاحَظَتْ
أَمَّا تَنْظُرُ الْبِشْرَ فِي وَجْهِهِ
وَأَكْرَمَ نُزْلِي بِإِفْضَالِهِ
أَمِينٌ عَلَى الْمُلْكِ فِي سِرِّهِ
وَيُخْجِلُ صَوْبَ الْحَيَا كَفُّهُ
لَقَدْ جَمَّلَ الْمُلْكَ تَذْيِيرُهُ
تَحَوُّطُ الْأَقَالِيمِ أَقْلَامُهُ

لَقَصَّرَ فِيهِ وَلَوْ أَطْنَبَا
تَخَلَّفَ مِنْ خَلْفِهِ أَوْكَبَا
وَنُورٌ بَدِينَهُ قَدْ خَبَا
شُمُوسُ الْمَعَالِي لَدَيْهَا هَبَا
وَقَدْ رَابَ مِنْ هَمِّهِ مَا رَبَا
وَمَا ذَاقَ شُرْباً لَهَا طَيِّباً^(١)
ءِ شَرَّقَ فِي الْأَرْضِ أَوْ غَرَبَا
يَرَاهُ الْوَرَى بِالْوَلَا مُذْهَبَا
أَطْلَ عَلَى الْمَذْحِ وَاسْتَوْعَبَا
فَيَا حَبِذَا مِنْكَ هَذَا النَّبَا
وَيَيْنَ السَّمَائِينَ قَدْ طَبَّأَا
سَمَا وَعَلَا فِي الْوَرَى مَنْصَبَا
وَحَظِّي أَتَى بَعْدَمَا قَدْ أَبَى
وَإِحْسَانُهُ الْجَمُّ لَنْ يُحْجَبَا
وَقَدْ قَالَ لِي جُودُهُ : مَرْحَبَا
تَرُدُّ الْقَنَا كُنْهُهُ وَالْظُّبَا^(٢)
إِذَا جَادَ رَوْضُ الْجَمِيِّ أَعْشَبَا
وَسَهَّلَ بِالرَّأْيِ مَا اسْتَضَعَبَا
وَتَسْقِي أَبَاطِحَهَا وَالرُّبَا^(٣)

(١) في م : × أطيباً .

(٢) في س : في بَرِّهِ × .

(٣) في م : تجوب الأقاليم × .

فَعُذِرًا إِذَا فِكْرَتِي قَصَّرَتْ وَكَانَ جَوَابِي جَوِيٍّ مُتَعَبًا
فَإِنِّي بِنَظْمِي أَلُوكُ الْحَصَا وَنَظْمُكَ عِنْدَكَ كَالشُّورِبَا^(١)
بَقِيَّتْ مَلَاذًا لِأَهْلِ النَّهْيِ تَقُلُّ لِحَطْبِ الرَّدَى مُضْرِبَا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ وَإِلَى الْقَاضِي بَذْرِ الدِّينِ حَسَنَ الْغَزْيِ ، وَقَدْ تَوَجَّهْنَا لِنَلْقَى
الْأَمِيرَ سَيْفِ الدِّينِ أَرْغُونَ الْكَامِلِي لَمَّا رُسِمَ لَهُ بِنِيَابَةِ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ؛ وَكَانَ
السَّيِّدُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ قَدْ حَضَرَ مَعَهُ ، فَكَانَ الْمُلتَقَى فِي حِمَصِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَكُنَّا قَدْ
نَزَلْنَا فِي الْمِيدَانِ ؛ وَالتَزَمَ حَرْفَ الْمِيمِ : [من البسيط]

كُتَابٌ جَلَّقَ قَدْ جَمَلْتُمْ حِمَصَا وَقَدْ تَسَرَّلْتُمْ حُسْنَ الشَّنَا قُمْصَا
مِنْ ثَمَرِ رَوْضِكُمْ طَبِيرُ الثُّهَى التَّقَطَّتْ عَادَتْ بَطَانًا وَرَاحَتْ نَحْوَكُمْ خُمْصَا
نِعْمَ الْحَلِيلُ تَلَاهُ رِفْعَةً حَسَنًا فَلَمْ يُطِقْ فَرْقَدًا أَفْقُ السَّمَاءِ غُمْصَا
هُمَا رَضِيْعَا لَبَانِ الْفَضْلِ لَا فُطْمَا فَكَمْ لِنُدِيِّ الْعُلَا وَالْعِلْمِ قَدْ مَضَا^(٢)
وَتَبَيَّرَا مَطْلِعَ الْإِبْدَاعِ كَمْ بَهَرَتْ أَشِعَّةٌ لَهُمَا مِنْ مُقْلَةٍ رَمَصَا

يُقَبَّلُ وَيَلْتُمُ الْأَرْضَ أَمَامَهُمْ ، وَيُقَدِّمُ الْفَرَضَ إِمَامَهُمْ ، وَيُحْجِمُ عَنْ لِقَائِهِمْ
حَيْثُ لَا يَبْلُغُ مَقَامُهُ مَقَامَهُمْ ؛ وَيُنْهِي أَنَّهُ سُرَّ بِسَمَاعِ أَنْبَائِهِمْ ، لَوْ رَجَا^(٣) أَنْ يَقَرَّ
عَيْنًا بِأَلْبَائِهِمْ ، لِأَنَّهُ الصَّادِقُ فِي اعْتِقَادٍ وَلَا يَهْمُ ، النَّاطِقُ بِإِيرَادِ حَمْدِهِمْ
وَنِنَائِهِمْ ؛ فَتَوَجَّهَ الْمَمْلُوكُ إِلَى سَعِيدٍ مَحَلَّهُمْ ، وَأَوَجَّهَ إِلَى مَدِيدٍ ظَلَّهُمْ ، فَاعْتَرَاهُ
سُوءُ الْحِظِّ بِالْحِزْمَانِ ، وَأَرَاهُ الْعَجْزَ عَنْ لِحَاقِهِمْ أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ لَهُمْ غُبَارًا ، وَلَا
يَلْحَقُ السَّوَابِقَ فِي الْمِيدَانِ ، فَاسْتَنَابَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْأَحْزَفَ ، لِتَسْعَدَ بِلِقَائِهِمْ
وَتَشْرُفَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْمَعُ شَمْلَهُمْ ، وَيُمَتِّعُ الْأَدَبَ بِمِثْلِهِمْ ، وَلَا أَعْرِفُ

مِثْلَهُمْ ؛ بِمَنْهَ وَكَرَمِهِ .

● فَكَتَبَ الْجَوَابَ إِلَيْهِ الْمَوْلَى بَذَرُ الدِّينِ الْغَزْيِي : [من البسيط]

يَا مَنْ بِأَجْمَلِ أَوْصَافِ الْعُلَا خُصَّصَا وَعَنْهُ جُلُّ أَحَادِيثِ النَّدَى قُصَّصَا
وَمَنْ بِهِ حِمِصُ الدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا عَلَتْ مَحَلًّا ، فَمَنْ قَدْ جَمَّلُوا حِمِصَا
أَنَلْتَ طَارِفَ مَجْدٍ لِلتَّلِيدِ بِهِ زِيَادَةً لَيْسَ يَخْشَى بَعْدَهَا نَقْصَا^(١)
وَطُلْتَ كُلَّ عَلِيٍّ يَا حُسَيْنُ فَطِرُ فَرْدًا فَكُلُّ جَنَاحٍ عَنْكَ قَدْ قُصَّصَا
وَأَفْخَرُ بِجَدِّكَ وَالْجَدِّ الشَّرِيفِ فَمَا تَقْصِي إِذَا قُلْتَ فِي الْقُرْبَى وَلَا تُعْصِي
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُخْصَرُ فِي نَظْمٍ وَلَا يُحْصَى^(٢)
وَقَدْ جَرَيْتَ عَلَى أَسْلُوبِهِ فَأَقِمَّ [٦١] إِلَيْهِ وَجْهَكَ وَأَقْصِصْ أَثَرَهُ قَصَا

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ : [من الخفيف]

أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي سَوَّدَتْهُ فِي الْبَرَايَا مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ
وَالْعَدِيمُ النَّظِيرِ فِي كُلِّ فَرْقٍ فَعَدَا سَيْدًا بِالْإِسْتِحْقَاقِ
لَمْ تُزَفْ الدُّنْيَا إِلَيْكَ عَرُوسًا قَطُّ إِلَّا قَابَلَتْهَا بِالطَّلَاقِ
سُنَّةٌ سَنَهَا أَبُوكُمْ عَلَيٌّ فَيُكْمُ عُدَّةٌ لِيَوْمِ التَّلَاقِ
فَتَعَطَّفَ عَلَى تَطْلُعِ مِضْرٍ فَهِيَ فِي غَايَةِ مَنَ الْأَشْوَاقِ
تَتَجَلَّى لِنَظَرِيكَ عَرُوسًا فَارْتَشِفْ رِيْقَ نَيْلِهَا الرَّقَاقِ
وَأَمَلِ سَاحَاتِهَا نِظَامًا وَنَثْرًا فِي رِقَابِ الْأَيَّامِ كَالْأَطْوَاقِ
أَنْتَ صَبٌّ فِي دَهْرِنَا بِالْمَعَالِي وَالْمَعَالِي قَلِيلَةُ الْعُشَّاقِ
وَالَّذِي قَدْ تَرَكْتَهُ عَنْكَ فَإِنْ وَالَّذِي رُمْتَهُ مِنَ اللَّهِ بَاقِ

(١) في أ ، م : × ونظمتك عندي

(٢) في م : . . . لا عدما × .

(٣) في م : ورجا .

(١) في م : أتيت . . . × .

(٢) في ب : × . . . في حد ولا يحصى .

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ : [من الخفيف]

يا خليلَ الوفا ويا ذا الوفاق
والذي لفظه فرائد عفا
وإمامَ الشَّامِ نظماً ونثراً
كاتبَ خاطبٍ مفيدٍ مجيدٍ
لكَ في مضرَ والشَّامِ أبادٍ
أسعدتني بالرَّفَقِ منها ولم يبد
لم تزلَ جابراً بفضلِكَ قلباً
لا تُلْمني على نزولي عن الشُّها
كُنْتُ مع شرٍّ مغسِّرٍ كمَ رموني
لم أزلَ مُدَّ جاوزتُهُم في شقاء
لو أقاموا بمغربِ الشَّمْسِ كان الشد
فَخَرُوا بالخَيْلِ العِتاقِ على مَنْ
نَحْنُ أبناءُ الطُّهَرِ فاطمةَ الزَّه
وعلى جَدِّنا تُسَلِّمُ شَمْسُ الد
وأبونا عليُّ بنُ أبي طا
منها :

أنا مِن سادةِ كرامِ السَّجايا
جَدُّنا أختارَ دارَ أخرى على دُنْ
وهما ضَرَّتَانِ ما أَجْتَمَعَا عِنْدَ
فَعَلَيْنَا الدُّنْيَا لَهَا الغَيْظُ والحِفْ
في العُلا ما لِسَبْقِهِم من لَحاقِ
سِيا غُروراً وراعها بالطَّلَاقِ
سدَّ امرئٍ والخِيارُ لِلْحُذَّاقِ
سُدَّ وأجرُ الأخرى لنا الغَدَ باقِ

● وكتبَ هو عن الأميرِ سيفِ الدِّينِ أرغونِ الكاملي^(١) ، نائبِ السِّلْطَنَةِ
الشَّريفةِ بحلبِ المحروسةِ ، كتاباً قرينَ خمسينَ غزاًلَ جَهَّزَها من صبيدهِ إلى
الأميرِ سيفِ الدِّينِ أَيْتَمَش^(٢) نائبِ السِّلْطَنَةِ الشَّريفةِ بالشَّامِ المحروسِ :

يُقبَلُ الأرضَ ، ويُنهى - بعدَ ابتِهالِهِ بالأذعيةِ الصَّالِحَةِ إلى اللهِ تعالى أن
يجعلَ أعداءَهُ كَطرائِدِ الصَّيْدِ ، ويُلقِي حُسَّادَهُ في حَبائِلِ الكَيْدِ ، ويَرْمِي شائِنَتَهُ
بِمِرامي المَنايا ، ويَحْمِي جِماهُ بالقُوَّةِ والأَيْدِ - أنَ المَمْلوكُ من جُملةِ أوْلِيائِهِ
المُتَمَتِّينَ ، وأُضْفِيائِهِ الذينَ ما زالوا باغْتِنائِهِ مُكْرَمِينَ ، فَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ سُلوكُ سَبيلِ
الخدَمِ ، والتَّقَرُّبُ إلى الخاطِرِ الكريمِ بِعاداتِ الوسائلِ والخدمِ .

وكانَ المَمْلوكُ قد تَوَجَّهَ في هذِهِ الأَيَّامِ إلى مَنزِلَةِ البابِ [٦١ ب] للإشرافِ
على ما هُنالكِ مِمَّا أُنْعِمَتْ بِهِ عَلَيْهِ الصَّدَقَاتُ الشَّريفةُ والكَريمَةُ من الخَيْلِ
العِرابِ ؛ وَضَرَبَ المَمْلوكُ حَلَقَتَي صَيْدٍ على الأَرامِ ، وَظَفِرَ منها بِسَعادَةٍ مولانا
بِما رامَ ، وَجَهَّزَ المَمْلوكُ من بَعْضِها على سَبيلِ الأَرْمغانِ^(٣) إلى المَطابخِ
السَّعيدَةِ خَمسينَ غزاًلَ على يَدِ الوَلَدِ سيفِ الدِّينِ بِهادرِ الزَّرْدَكاشِ .

والمَمْلوكُ يَسألُ إِحسانَ مولانا العَميمِ في قَبولِها ، وَبَسَطَ العُذْرَ في قَليلِها ،
جَبِراً لِخاطِرِ المَمْلوكِ ، وَبِراً لا يَزالُ يَسْأَلُ بِوَلِيَّتِهِ من مُوالاةِ الإحسانِ أَحْسَنَ
سُلوكٍ ؛ وَاللهُ يُمَتِّعُ بِبَقائِهِ عَصائِبَ الإسلامِ ، وَيُوقِعُ بِأَعْدائِهِ نَوائِبَ الانتِقامِ ،
وَيُمَتِّعُ بِكَفالاتِهِ العَلِيَّةِ الشَّانِ جَميئَ الشَّامِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ (إن شاءَ اللهُ تعالى) .

● فكتبْتُ أنا الجوابَ عن ذلك :

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ٣٥٦/٨ .

(٢) ترجمته في الوافي بالوفيات ٤٨٢/٩ .

(٣) الأرمغان : كلمة تُركيَّة ، تعني الهدية .

يُقْبَلُ الْأَرْضَ بِالْمَقَرِّ الشَّرِيفِ السَّنِيِّ ، لَا زَالَتْ أَعَادِيهِ كَأَشْلَاءٍ مَا يَصِيدُ ،
وَأَيَادِيهِ تُعْجِزُ عَنْ مُكَافَأَتِهَا أَوْ مُكَافَحَتِهَا الْمُلُوكُ الصَّيْدُ ، وَمَوَاضِيهِ الْمُرْهَقَةُ
لَا الْمُرْقَهَةُ تُبِيدُ بِهَا وَحُوشِ الْبَيْدِ ؛ تَقْبِيلًا يَنْظُمُ دُرَّهُ شِفَاهَا ، وَيُعْظِمُ بِهِ نَعْرًا
وَشِفَاهَا .

وَيُنْهِي بَعْدَ أَدْعِيَةٍ يَرْفَعُهَا إِلَى مَنْ يَعْرِفُهَا ، وَأُنْيِيَّةٍ يَضْرِبُهَا إِلَى مَنْ يُضْئِدُ
جَوَاهِرَهَا وَيَرْصِفُهَا ؛ أَنَّ الْمِثَالَ الْعَالِي ، أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَرَدَ عَلَى يَدِ
الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بَهَادُرِ الزُّرْدَكَاشِ مَمْلُوكِ مَوْلَانَا أَعَزَّ اللَّهُ
أَنْصَارَهُ ، فَبَادَرَ إِلَى تَقْبِيلِ تَاجِهِ ، وَهُوَ اسْمُ مَوْلَانَا الْكَرِيمِ ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُ مَا يُوَاجِهُ
الْمُوَاجِةَ ، وَنَزَّهَ نَازِرَهُ فِي تِلْكَ السُّطُورِ الَّتِي تَرَفَّرَتْ مِيَاءُ بِلَاغَتِهَا ، وَتَأَنَّقَتْ
الْمَحَاسِنُ فِي صِيَاجَتِهَا ، وَشَرَفَ بِذَلِكَ قَدْرَهُ ، وَشَتَفَ سَمْعَهُ ، لِمَا أَوْدَعَ صَدْفُهُ
دُرَّهُ ، وَوَصَلَ مَا أَنْعَمَ بِهِ مَوْلَانَا مِنَ الْهَدِيَّةِ وَهِيَ خَمْسُونَ غَزَالًا ، فَرَأَى مِنْهَا
مَا هَالَهُ ، وَشَاهَدَ كُلًّا مِنْهَا وَكَانَتْهُ مِنْ حُسْنِهِ قَمَرٌ هَالِكٌ ، وَتَعَجَّبَ مِنْهُ كَوْنُهُ أُصِيبَ
بِسِهَامِ مَوْلَانَا ، وَكَمْ أَقْلَتْ مِنْ جِبَالِهِ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ كُلًّا مِنْهَا غَزَالٌ مَا طَلَعَتْ عَلَى
مِثْلِهِ الْغَزَالَةُ ؛ فَيَا حُسْنَهَا مِنْ أَشْلَاءٍ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى طَرِيحَةٍ ، وَيَا صِحَّةَ
مَا وَجَدْتُهُ النَّفْسُ مِنَ اللَّذَّةِ لَمَّا أَضْبَحَتْ جَرِيحَةً ، كَمْ عَزَّ عَلَى غَيْرِهِ مَرَامُهَا ،
وَكَمْ اطَّرَدَتْ فِي الْفَلَا أَرَامُهَا ، وَكَمْ فَاحَرَتْ سَوَادَ الدِّيَاجِي بِأَخْدَاقِهَا ، وَكَمْ
طَاوَلَتْ التُّجُومَ بِأَرْوَاقِهَا ، وَكَمْ نَشَرَتْ مَلَاءَةً غُبَارٍ فَتَسْتَرَتْ بِرُوَاقِهَا ، وَكَمْ
مَضَعَتْ شَيْحًا ، وَكَمْ تَسَمَّتْ مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ رِيحًا ، وَكَمْ أَغَارَتْ الْغَيْدَ بِحُسْنِ
الْمُلْتَقَتِ وَالْجَيْدِ ، وَكَمْ مَلِيحٌ ^(١) يَقُوقُ الْبُذُورَ وَيَسُودُ ، تَمَنَّى مَا حَازَتْهُ دُونَهُ مِنَ
الْعُيُونِ السُّودِ ، حَتَّى بَدَتْ لَهَا جِيَادُ مَوْلَانَا الْمُسَوِّمَةِ ، وَطَلَائِعُ جُرْدِهِ الْمُطَهَّمَةِ ،

(١) « مليح » سقطت من أ ، م .

وَسَبَقَتْ إِلَيْهَا سِهَامُهُ الْمُقَوِّمَةُ ، وَحَنَّتْ إِلَيْهِ حَنَائِيَهُ الْمُعْظَمَةُ ، فَلَمْ يُنْجِهَا مِنْ ذَلِكَ
فِرَارٌ ، وَلَا قَرَّ لَهَا مَعَهُ قَرَارٌ ، وَلَا خَبَأَهَا فِي حُشَاءِ نَقْعٍ مَثَارٌ ، وَلَا رَدَّاهَا
عَثِيرَهَا ^(١) غَيْرَ رَدَى وَعِثَارٍ ، فَأَضْبَحَتْ كَأَعْدَائِهِ الَّذِينَ تَرَفَّقُوا إِلَيْهِمْ حَيْنُهُمْ
وَتَرَقَّبَ ، وَأَشْبَهَتْ عُيُونُهَا الشَّائِصَةَ حَوْلَ خِبَائِهِ وَأَرْحِلِهِ الْجَزْعَ الَّذِي
لَمْ يُثَقِّبْ ^(٢) ، وَلَقَدْ جَاءَ بِهَا دُرًّا بَهَادُرِ الْمَذْكُورِ ، وَرُصِفَتْ حَبَاتُهَا عَلَى الثَّرَى ،
وَنَظَّمُ حَيَاتِهَا مَثُورٌ ، فَيَا حُسْنَهَا لَمَّا تَكَرَّعَتْ وَتَجَوَّقَتْ ، وَانْتَصَبَتْ عَلَى عُيُونِهَا
أَلِفَاتُ قُرُونِهَا الَّتِي تَكَوَّفَتْ ، وَرَقَّتْ لِمَضْرَعِهَا فِي أَوْبَارِهَا قُلُوبُ الطَّائِفَةِ الَّتِي
تَصَوَّفَتْ ، فَلَقَدْ فَتَحَ مَوْلَانَا [٦٢] عَلَيْهَا مِنَ الْبَابِ ، مَا يَشْهَدُ لَهُ ذَوُو الْأَبَابِ ؛
إِنَّهُ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ مِنْ مَوْلَانَا وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ بِسِهَامِهِ الْعَذَابُ ، وَقَدْ قَابَلَ
الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْأَيَادِيَ الْمُغْدِقَةَ ، وَالْعَوَادِي الْمُغْرِقَةَ ، بِشُكْرِ يَتَّصِلُ سَنَدُهُ ،
وَيَصُحُّ مَتْنُهُ ، وَيَقُومُ أَوْدُهُ .

وَاللَّهُ يُوزِعُ الْمَمْلُوكَ شُكْرَ هَذِهِ الْعَوَارِفِ الَّتِي شَغَلَتْ الْجَوَارِحَ ، يَوْصِفُ
هَذِهِ الطَّبَائِئِ السَّوَانِحَ ، وَأَكَدَتْ الْمَوَدَّةَ الْقَدِيمَةَ ، وَالْمَحَبَّةَ الْمُقِيمَةَ ، فَمَلَأَتْ
بِالْإِخْلَاصِ مِضْمَارَ الضَّمَائِرِ وَجَوَّ ^(٣) الْجَوَانِحِ ؛ وَقَدْ أَعَادَ الْمَمْلُوكُ سَيْفُ الدِّينِ
بَهَادُرَ بَهْلِهِ الْعُبُودِيَّةَ بَعْدَمَا حَمَلَهُ مِنَ السَّلَامِ ، مَا يُقْصُصُ عَلَى السَّمْعِ الْكَرِيمِ
سُطُورُهُ ، وَمِنْ الثَّنَاءِ مَا تَتَضَوُّ بُدُورُهُ وَيَتَضَوُّعُ مَثُورُهُ ، وَمِنْ الدُّعَاءِ مَا يَرْفَعُهُ فِي
اللَّيْلِ الْعَاتِمِ ، وَمِنْ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ مَا يَشْرَفُ بِهِ اللَّائِمُ ، فَيَتَصَدَّقُ مَوْلَانَا
بِالْإِضْغَاءِ إِلَى مَا يُنْهِيهِ إِلَى مَسَامِعِهِ الْكَرِيمَةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ السُّعُودَ لَهُ أَيْنَمَا
تَوَجَّهَ حَدِيثُهُ ، بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) الْعَثِيرُ : الثَّرَابُ وَالْعِجَاجُ . (الْقَامُوسُ) .

(٢) مِنْ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ : [وَقَدْ مَضَى]

كَأَنَّ عِيُونَ السُّوحُوشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحِلُنَا الْجَزْعَ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ

(٣) « جَوَّ » سَقَطَتْ مِنْ أ ، م .

حَرْفُ الْخَاءِ

٣٥ * خالد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد
ابن خالد ابن نصر^(١) :

القاضي الرئيس ، شَرَفُ الدِّينِ بن القاضي عماد الدِّين بن القاضي شَرَفِ
الدِّين بن الصَّاحِبِ فَتَحَ الدِّين ابن القيسراني ، مَوْقِعُ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ
المحروس .

● كُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ أُعْزِّيهِ فِي وَلَدِهِ مُحَمَّدٍ ، فِي
سنة ٧٣٢ : [من الطويل]

أَيَا شَرَفَ الدِّينِ الَّذِي لَمْ تَزَلْ لَنَا مَآثِرُهُ تَأْتِي بِمَجْدٍ مُجَدِّدٍ
مَضَى أُنْتُكَ فَاصْبِرْ لِلزَّمَانِ عَلَى الرَّدَى فَمِنْ قَبْلِ عَزِي خَالِدٍ فِي مُحَمَّدٍ
تَجَرَّدَ مِنْ ثَوْبِ الْحَيَاةِ وَمَا أَتَى بِوَزْرِ فَوَلَّى طَاهِرًا بِالتَّجَرُّدِ
وَقَدْ سَارَ عَنْ دَارِ الْمَقَرِّ نَزَاهَةً وَصَارَ إِلَى دَارِ الْمَقَرِّ الْمُؤَبَّدِ
وَمَا كَانَ إِلَّا كَوَكْبًا مُتَوَقِّدًا فَأَحْمَدَ مِنْهُ الْمَوْتُ نُورَ التَّوَقُّدِ
تَصَبَّرَ فَإِنَّ الْمُخْلِصِينَ لَكَ الْوَلَا «يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ»^(٢)

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٣٠٨/٢ وذيول العبر ٣٢٢ ووفيات ابن رافع ٣٤٩/١ والمتنقي من درة
الأسلاك ٣١٥ وتعريف ذوي العلا ١١٧ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١٣٧/٢ والنجوم الزاهرة ٣٢٨/١٠
والمنهل الصافي ١٩٩/٥ والدليل الشافي ٢٨٣/١ .
- وفاته سنة ٧٥٩ هـ . عن ثقب وخمسين سنة .
- في أ ، م : خالد بن سعيد !! .

(٢) المعجز مضمّن من بيت طرفه بن العبد : [ديوانه ٦]
وقوفاً بها صبحي عليّ مطيهم يقولون : لا تهلك أَسَى وَتَجَلَّدِ

وَإِنْ كُنْتَ مَغْدُورًا عَلَى التَّوْحِ وَالْبُكَاءِ فَمَا ضَرَّ أَنْ تَغْدُو بِصَبْرِكَ نَقْتَدِي
وَإِنْ شِئْتَ إِسْعَافًا عَلَى الْوَجْدِ وَالْأَسَى فَكَمْ مُسْعِفٍ تَلْقَاهُ مِنَّا وَمُسْعِدٍ
إِذَا كُنْتَ تَبْقَى فَالْبُنُونُ كَثِيرَةٌ تَجِيءُ نُجُومًا طَالِعَاتٍ بِأَسْعَدٍ
فَلَا تَحْسَبِ الْأَقْمَارَ خَلْقًا كَثِيرَةً فَجُمْلَتُهَا مِنْ تَيَّرٍ مُتَرَدِّدٍ
يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، لَا طَرَقَتْ لَهَا الْخُطُوبُ سَاحَةً ، وَلَا مَدَّ الزَّمَانُ إِلَيْهَا يَدًا بَغِيرَ
يَدٍ ، وَلَا رَاحَةً بَغِيرَ رَاحَةٍ ؛ وَيُنْهِي مَا بَلَغَهُ مِنْ وَفَاةِ الْوَلَدِ مُحَمَّدٍ ، رَزَقَ مَوْلَانَا
الصَّبْرَ فِي رَزِيَّتِهِ ، وَلَا أَعْدَمَهُ وَثَبَاتِ التَّجَلُّدِ وَالثَّبَاتِ عَلَى بِلَّتِيَّتِهِ ، فَزَادَ مَا عِنْدَ
الْمَمْلُوكِ مِنْ فِرَاقِ مَوْلَانَا وَأَخِيهِ لَوَاعِجٍ لَا يَقْدُرُ الصَّبْرُ أَنْ يُعَالِجَهَا ، وَسَدَّ الْهَمُّ
عَنِ النَّفْسِ نَسَمَاتِ الْأَزْوَاجِ وَمَخَارِجَهَا ، وَحَمَلَ الْمَمْلُوكُ مِنْ هَمِّ مَوْلَانَا
مَا يَعْجِزُ عَنْ شَرْحِهِ ، وَيَتَعَذَّرُ عَلَى الزَّمَانِ طَبَّ جُرْحِهِ ، وَمَا أَحَقَّ الذَّاهِبَ بِأَنْ
يُنْشَدَ^(١) : [من الطويل]

فَإِنْ تَكُ فِي قَبْرِ فَإِنَّكَ فِي الْحَشَا وَإِنْ تَكُ طِفْلًا فَالْأَسَى لَيْسَ بِالطُّفْلِ
وَمِثْلُكَ لَا يَبْكِي عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الْمَخِيلَةِ وَالْفَضْلِ
فَتَبَّتَ اللَّهُ قَلْبَ مَوْلَانَا بِصَبْرِهِ الْجَمِيلِ ، وَلَا جَعَلَ لِلرَّزَايَا عَلَيْهِ بَعْدَهَا مُنْعَرَجَ
طَرِيقٍ وَلَا هِدَايَةَ سَبِيلٍ ، وَفِي بَقَائِكَ مَا يُسْلِي عَنِ الْحَزَنِ ، فَمَا يُظْلِمُ أَفْقَ الْمَعَالِي
إِذَا هَوَى كَوَكْبُهُ ، وَفِيهِ مِنْكُمْ شُمُوسٌ وَأَقْمَارٌ ، وَلَا يُوحِشُ السَّارِيَّ مَعَ وُجُودِ
وُجُوهِكُمُ الْمُشْرِقَةِ إِذَا غَابَ كَوَكْبُ سَحَرِهِ ، فَكَوَاكِبُ السَّحَرِ قَصِيرَةُ الْأَعْمَارِ ،
[٦٢ ب] وَلَا يَتَعَطَّلُ رَوْضُ الْمَجْدِ إِذَا ذَوَتْ مِنْهُ زَهْرَةٌ ، وَفِيهِ مِنْكُمْ غُصُونٌ لَهَا
بِالْمَحَامِدِ مِنْكُمْ أَزْهَارٌ وَأَثْمَارٌ ، وَلَا يَشْغَلُ النَّدَامَى هَذِهِ النَّازِلَةَ وَعِنْدَهُمْ مِنْ
حُلُومِكُمْ وَثَبَاتِكُمْ أَحَادِيثٌ وَأَسْمَارٌ ؛ عَلَى أَنَّ هَذِهِ كَأْسٌ لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهَا ، وَإِنَّمَا
يُعَجِّلُ السَّاقِي عَلَى بَعْضِ دُونَ بَعْضٍ ، وَهَذِهِ الثُّفُوسُ جَوَاهِرُ شَرِيفَةٍ ، وَإِنَّمَا

(١) البيتان للمتنبي ، في ديوانه ٤٤/٣ .

أَصْدَأُهَا الَّتِي تُودَعُ فِي بُطُونِ الْأَرْضِ ، وَلِلَّهِ (دُرُّ) الْفَائِلِ : [من السريع]

النَّاسُ لِلْمَوْتِ كَخَيْلِ الطَّرَازِ فَالسَّابِقُ السَّابِقُ مِنْهَا الْجَيَادُ
وَالْمَوْتُ نَقَادٌ عَلَى كَفِّهِ جَوَاهِرٌ يَخْتَارُ مِنْهَا الْجَيَادُ^(١)

والله تعالى - يُمْنَعُ الْوُجُودَ بَعْدَ الذَّاهِبِ مِنْ جَدِّيهِ بِشَمْسِهِ وَعِمَادِهِ ، وَيَجْعَلُهُ
لِكُلِّ مِنْهُمَا فَرْطاً وَذُخْراً يَوْمَ بَعْثِهِ وَمَعَادِهِ ، وَيَرْبِطُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَلَى قَلْبِ
مَوْلَانَا الَّذِي عَدِمَ ثَمَرَهُ فُؤَادِهِ ، وَلَا يُدَيِّقُهُ بَعْدَهَا خُرْقَةٌ يَنْشُرُ الطَّرْسُ ذَوَائِبَ
سُطُورِهِ ، وَيَلْبَسُ الْقَلَمَ لَهَا حِدَادَ مِدَادِهِ ؛ وَمَوْلَانَا فِي دَعَاةِ اللَّهِ وَحِفْظِ الْحَرِيزَيْنِ ،
وَعَيْنِ اللَّهِ عَلَى وَلَدَيْهِ^(٢) الْعَزِيزَيْنِ ، بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٣٦ * الْخَضِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْخَضِرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ
عَلِيٍّ^(٣) :

القاضي زَيْنُ الدِّينِ بْنِ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ بْنِ زَيْنِ الدِّينِ بْنِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ
عَلَمِ الدِّينِ بْنِ نُورِ الدِّينِ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الزَّيْنِ خَضِرٍ ، مُوقِعُ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ
بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ لَمَّا طُلِبْتُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ^(٤) فِي الْأَيَّامِ الصَّالِحِيَّةِ
إِسْمَاعِيلَ ، سَنَةَ ٧٤٥ وَذَلِكَ^(٤) بَعْدَمَا تَفَضَّلَ الْمَوَالِي السَّادَةُ الْمُوقِعُونَ ، وَكَتَبَ
كُلُّ مِنْهُمْ إِلَيَّ شِعْراً هَنَاءً بِقُدُومِي عَلَيْهِمْ^(٥) : [من الطويل]

تَأَخَّرْتُ فِي مَذْحِي لِأَنِّي مُقَصِّرٌ وَفَضْلُ صَلَاحِ الدِّينِ مَا زَالَ يَسْتُرُ
خَلِيلٌ لَهُ الْأَدَابُ حَقّاً يَنَالُهَا خَلِيلٌ بِهِ الْأَصْحَابُ تَسْمُو وَتَفْخُرُ
لَقَدْ آنَسَ الْأَمْصَارَ لَمَّا أَتَى لَهَا وَأَوْحَشَ رُبْعَ الشَّامِ إِذْ كَانَ يَفْخُرُ
فَلَا شَهِدَتْ عَيْنَايَ سَاعَةً بَعْدَهُ وَلَا شَهِدَتْ شَوْقاً إِلَيْهِ فَتَسْهَرُ
وَدَامَ عَلَيَّ الْقَدَرُ يَرْقَى إِلَى الْعُلَا مَحَامِدُهُ بَيْنَ الْأَنَامِ تُسْطَرُ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(١) : [من الطويل]

تَفَضَّلْتَ زَيْنَ الدِّينِ إِذْ أَنْتَ أَكْبَرُ وَأَشْرَفُ مِنْ مَذْحٍ بِهِ الْعَبْدُ يُذَكِّرُ
فَشَرَفْتُ قَدْرِي حِينَ شَتَّفْتَ مَسْمَعِي فَيَا مَنْ رَأَى شِعْراً عَلَى الدَّرِّ يَفْخُرُ
فَمَا هُوَ شِعْرٌ يَخْصُرُ الْوَزْنَ لَفْظُهُ وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ مِنَ السَّحْرِ يُؤَثِّرُ
يَجُوزُ بِلا إِذْنٍ عَلَى الْأُذُنِ خِفَّةً كَأَنَّ الزَّلَالَ الْعَذْبَ مِنْهُ يُفَجِّرُ
فَهَا أَنَا مِنْهُ فِي نَعِيمٍ مُخَلَّدٍ وَعَيْشِي بِخَضِرٍ فِي رُبَا مِصْرٍ أَخْضَرُ^(٢)
● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مُلْغِزاً فِي « قُطْن »^(٣) :

يَا سَيِّدَ الْعُلَمَاءِ وَالْبُلْغَاءِ ، وَقُدُوةَ الْكُتَّابِ وَالْأَدْبَاءِ ، مَا اسْمُ أَوَّلِ سُورَتَيْنِ
مِنَ الْقُرْآنِ ، وَحَرْفٌ مِنْ أَوَّلِ سُورَةٍ أُخْرَى^(٤) ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَحْرَفٍ ، وَتَلْقَاهُ ثَمَانِيَا
إِذَا أُفْرِدَتْ مَجْمُوعُهُ سِرّاً وَجَهراً^(٥) ، أَوَّلُ حُرُوفِهِ يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَحَدُ الْجِبَالِ^(٦) ،
وَأَخْرَهَا قَسْماً لَا يَزَالُ^(٧) ؛ إِنْ حَذَفْتَ أَوَّلَهُ وَصَحَّفْتَ ثَانِيَهُ فَهُوَ « ظَنٌّ » حَقِيقَتُهُ

(١) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٢) سقط البيت من أ ، م .

(٣) النص في أعيان العصر والوافي .

(٤) سورة « ق » وسورة « ن » وسورة « طه » .

(٥) يريد قاف = ٣ وطاء = ٢ ونون = ٣ . فالمجموع ثمانية بحساب الجُمَّل .

(٦) جبل قاف بزعيمهم .

(٧) يريد : « وَتَافَكَرُوا بِمَاسْطُورَةٍ » .

(١) في س : × جواهر يأخذ منها الجياد . والبيتان لابن النبيه المصري ، في ديوانه ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) في ب : وعين الله ناظرة إلى ولديه . . .

(٣) ترجمته في : أعيان العصر ٣١٤/٢ والوافي بالوفيات ٣٤٠/١٣ وذيول العبر ٣٠٨ والدرر الكامنة ٨٤/٢ والمقفى الكبير ٧٥٨/٣ ، والنجوم الزاهرة ٣٢١/١٠ والمنهل الصافي ٢٢٥/٥ والدليل الشافي ٢٨٨/١ .

- مولده سنة ٧١٠ هـ . ووفاته سنة ٧٥٦ هـ .

(٤) - (٤) من س .

(٥) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

الآمال ، أو صَحَفَتْ جُمْلَتَهُ كَانَ وَصَفَ مُؤْمِنٍ يَجْرِي عَلَى هَذَا الْمَنَازِلِ^(١) ، أَوْ حَذَفَتْ أَوْسَطَهُ مَعَ التَّحْرِيفِ كَانَ عَبْدًا لَا يُعْتَقُ^(٢) ، أَوْ حَذَفَتْ آخِرَهُ مَعَ بَقَاءِ التَّحْرِيفِ كَانَ حَيَوَانًا يَسْرِقُ وَلَا يُسْرَقُ ، وَيَأْتَسُ وَيُنْفَرُ وَيُقَيَّدُ بِالْإِحْسَانِ وَهُوَ مُطْلَقٌ ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، وَيَأْوِي فِي الْمَنَازِلِ إِلَى الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ ، وَلَا يُبَاعُ وَلَا يُشْتَرَى^(٣) ، وَعَنْهُ^(٤) الْمَجَازُ حَقِيقَةٌ يَبْلُغُ قِيمَةُ ثَمَانِئِلِ جَوْهَرًا ، وَإِنْ أَبْقِيَتْ هَذَا الْأِسْمَ عَلَى حَالَتِهِ فَهُوَ شَيْءٌ لَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ مَسْجِدٌ وَلَا جَامِعٌ ، وَلَا بَيْعٌ وَلَا صَوَامِعٌ ، وَلَا مُسْلِمٌ وَلَا كَافِرٌ ، وَلَا قَاطِنٌ وَلَا مُسَافِرٌ ، وَلَا غَنِيٌّ وَلَا فَقِيرٌ صَابِرٌ ، وَلَا قَوِيٌّ [١٣] وَلَا ضَعِيفٌ ، وَلَا مَشْرُوفٌ وَلَا شَرِيفٌ ، وَلَا خَائِنٌ وَلَا مَأْمُونٌ ، وَلَا حَيٌّ وَلَا مَن سَقِيَ بِكَأْسِ الْمَنُونِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ جَلِيلٌ حَقِيرٌ ، قَلِيلٌ كَثِيرٌ ، يَمْلِكُهُ الْمَالِكُ وَالْمَمْلُوكُ ، وَالْمَلِيُّ وَالْمُضْعَلُوكُ ، وَهُوَ شَيْءٌ مُمْتَنِعٌ ، وَيَعْلُو عَلَى رُؤُوسِ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْمُلُوكِ ، قَلِيلُهُ^(٥) بِالتَّحْرِيفِ فِعْلٌ مَضِيٌّ ، وَاسْمٌ إِذَا نَطَقَ بِهِ قَدْ يُرْتَضَى ، وَهُوَ قَدْ يَبْدُو بِهِ الثُّورُ فِي الدِّيَابِجِ ، وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَقْطَعُ مِنْهُ أَمَلُ الرَّاجِي ، لَا يَسْتَعْنِي بَيْتٌ عَنْهُ وَلَا بُقْعَةٌ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُبَاعُ بِفَلْسٍ وَدِينَارٍ وَفَوْقَ ذَلِكَ فِي الرَّفْعَةِ ، وَهُوَ بَيِّنٌ وَاضِحٌ ، فَاحْلُلْهُ بِمِيزَانِ عَقْلِكَ الرَّاجِحِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكْتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْهُ^(٦) :

وَقَفَّ الْمَمْلُوكُ عَلَى هَذَا اللَّغْزِ الْعَجِيبِ ، وَالْمُعَمَّى الَّذِي مَالُهُ فِي فَنِّهِ مُمَائِلٌ وَلَا ضَرِيبٌ ، وَعَجِبْتُ مِنْهُ نَبَاتًا « نَطَقَ » مَعْكُوسُهُ ، وَثَلَاثُهُ كِتَابٌ تَرْدَانُ

(١) يريد : قَطَنٌ .

(٢) يريد : قَتْلٌ = عَبْدٌ .

(٣) يريد : قَطٌ .

(٤) في ب : عَيْنُهُ .

(٥) كَذَا فِي أ ، ب ، س ! وَالصَّوَابُ : قَلْبُهُ ، كَمَا فِي الْوَاوِيِّ . وَقَلْبُهُ : نَطَقَ .

(٦) الجواب في أعيان العصر .

بُسْطُورِهِ طُرُوسُهُ ؛ أَوَّلُهُ يُضَافُ إِلَيْهِ أَكْبَرُ الْجِبَالِ ، وَمَجْمُوعُهُ مَادَّةٌ لِلْجِبَالِ ، أَشْبَهُ بَيَاضًا بِالْقَلْجِ ، وَمَحَبُوبُهُ يَرُوقُ وَيَحْسُنُ بِالْحَلْجِ ، قَدْ خَفَّ عَلَى اللَّسَانِ وَزَنُّهُ ، وَأَعْجَبَ أَزْيَابَ الْأَمْوَالِ ادِّخَارُهُ وَخَزَنُهُ ، كُلُّهُ نَابِتٌ فِي الثَّرَابِ ، وَثُلَاثُهُ سَابِغٌ فِي الْبَحْرِ لَا يُسْتَرَابُ ؛ إِنْ جَعَلْتَ آخِرَهُ وَسَطًا كَانَ فِعْلٌ مَنِ انْقَطَعَ رَجَاؤُهُ ، وَاتَّسَعَتْ بِهِ فِي الْيَأْسِ أَرْجَاؤُهُ^(١) ، وَإِنْ صَحَفْتَ حُرُوفَهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَتَتْكَ مِنَ الْحَزِّ وَاقِدَةٌ ، وَأَصْبَحْتَ الْعَجَاجَةُ وَهِيَ فِي الْحَيِّ عَاقِدَةٌ^(٢) ، وَإِنْ صَحَفْتَهُ أَيْضًا كَانَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ ، وَلَيْسُوا مِنَ الْعَرَبِ إِذَا عُدُّوا وَلَا مِنَ الْعَجَمِ ، يُعَدُّ مِنْهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ ، وَلَنَا فِيهِمْ نَسَبٌ وَصِهْرٌ يَعِزُّ مُنْكَرُهُ وَجَحُودُهُ^(٣) ، وَإِنْ عَكَسْتَهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ كَانَ آيَةً لَا مَحَالَةَ^(٤) ؛ وَلِهَذَا اللَّغْزُ أَوْصَافُ أُخْرٍ لَمْ تُذَكَّرْ ، وَلَمْ تُعَرَفْ بَعْدُ وَلَمْ تُنْكَزْ ، وَأَضْرَبْتُ عَنْهَا خَوْفَ الْإِطَالَةِ صَفْحًا ، وَعَدَدْتُ هَذَا الْقَدْرَ رِبْحًا ، لِأَنَّ مَوْلَانَا حَرَسَهُ اللَّهُ مَدَّ فِيهِ الْأَطْنَابَ ، وَاسْتَوْعَبَ أَوْصَافَهُ بِالْإِسْهَابِ وَالْإِطْنَابِ ؛ وَاللَّهُ يُدِيمُ حَيَاتَهُ لِأَهْلِ الْإِنْشَاءِ ، وَيَنْشُرُ مَحَامِدَهُ بِلِسَانِ الْإِذَاعَةِ وَالْإِفْشَاءِ ؛ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٣٧ * خَلِيلُ بْنُ كَيْكَلْدِي^(٥) :

الإمام العلامة ، الْمُتَقَنُّ ، جَامِعُ أَشْتَاتِ الْعُلُومِ ، الشَّيْخُ صَلَاحُ الدِّينِ ابْنُ

(١) يريد : قَط .

(٢) يريد : قَيْط .

(٣) يريد : قَيْط .

(٤) يريد : طَبَق .

(٥) ترجمته في : المعجم المختص ٩٢ ومعجم شيوخ الذهبي ٢٢٣/١ وأعيان العصر ٣٢٨/٢ والوافي بالوفيات ٤١٠/١٣ وذبول العبر ٣٣٥ ووفيات ابن رافع ٣٥٩/١ وذبول تذكرة الحفاظ ٤٣ و٣٦٠ وتذكرة النبيه ٢٣٥/٣ وطبقات الشافعية للإسنوي ٢٣٩/٢ والسبكي ٣٥/١٠ والبداية والنهاية ١٨/٦٠٠ ودرر العقود الفريدة ٦٣/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١٦٧/٢ والدرر الكامنة ٩٠/٢ والنجوم الزاهرة ١٠/٣٣٧ والمنهل الصافي ٥/٢٨٢ والدليل الشافي ١/٢٩٣ والدليل التام ١/١٧٣ وطبقات الحفاظ للسيوطي ٥٢٨ وطبقات المفسرين للذواودي ١/١٦٥ والدارس ١/٦٣ ودرة البحال ١/٢٥٨ وشذرات الذهب ٨/٣٢٧ والبدر الطالع ١/٢٤٥ .

- مولده سنة ٦٩٤ هـ . ووفاته سنة ٧٦١ هـ .

الْعَلَائِي ، مُدْرَسُ الصَّلَاحِيَّةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ .

● كَتَبَ إِلَيَّ مِنَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٣٣^(١) ، فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ^(٢) : [من الطويل]

أَتَانِي كِتَابٌ مَا ظَفَرْتُ بِنَدِّهِ لِأَنَّ نَسِيمَ الرُّوضِ طَابَ بِنَدِّهِ
وَحَلَّ فَحَلَّى نَاطِرِي وَمَسْمَعِي بِلَفْظِ يَفُوقِ الدُّرَّ فِي نَظْمِ عَقْدِهِ
وَأَهْدَى إِلَى قَلْبِي هُدًى فَقَدْتُهُ وَأَطْفَأَ مِنْ جَمْرِ الْحَشَا حَرَّ وَقْدِهِ
وَمَا كُنْتُ أَزْجُو وَالْحَشَا تَلَقَّتْ ظَمًا عَلَى بُخْلِ دَهْرِي أَنَّ أَفُورَ بِوَرْدِهِ
فَقَبَّلْتُ مِنْ شَوْقِي شِفَاءَ طُرُوسِهِ شِفَاهَا فَرَوَيْ غُلَّتِي طَيْبُ بَزْدِهِ
وَبِئْسَ أُنَاجِي فِيهِ إِخْلَاصَ بَاطِنِي وَأَتْلُو لِمَا قَدْ ضَمَّ سُورَةَ حَمْدِهِ
فَإِنْ قُلْتُ رَوْضٌ كَانَ فِي ذَا مَحَاسِنٍ سِوَى مَا لِرَوْضِ الْحَزَنِ مِنْ نَفْحِ وَرْدِهِ
وَإِنْ قُلْتُ أَفْقٌ زَادَ هَذَا بِأَنَّهُ بِهِ كُلُّ نَجْمٍ حَلَّ فِي أَوْجِ سَعْدِهِ
بَعَثْتَ بِهِ جَبْرًا لِكَسْرِ أَصَابِنِي وَمَا كُلُّ مَوْلَى يَشْتَهِي جَبْرَ عَبْدِهِ
وَحَقَّقْتُ أَنَّ الْوَدَّ مِنْكَ مُوَكَّدٌ جَزَى اللَّهُ مَوْلَانَا عَلَى حُسْنِ قَصْدِهِ
أَقَمْتَ عَلَى عَهْدِ الصَّفَاءِ وَلَمْ تَخُنْ [ب ٦٣] وَمِثْلُكَ مَنْ يَرَعَى مَوَاقِفَ عَهْدِهِ
جَفَانِي أَخْلَائِي الَّذِينَ أَلْفَتْهُمْ وَأَنْتَ خَلِيلُ سَرْنِي حِفْظُ وَدِّهِ
إِلَيْكَ صَلَاحُ الدِّينِ أَهْدَى عَلَى النَّوَى تَحِيَّةَ صَبِّ ضَاقَ صَدْرًا لِبُعْدِهِ
فَإِنْ كَانَ يَلْقَاكَ النَّسِيمُ مُعْتَبَرًا فَإِنَّ سَلَامِي فِيهِ فَاسْمَحْ بِرَدِّهِ

● وَكَتَبَ إِلَيَّ مِنَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ فِي سَنَةِ ٧٥٣ : [من الطويل]

سَلَامٌ مَشُوقٍ لَا يَزَالُ مُرَدِّدًا بِضُوءِ كَرُوضٍ نَاضِرٍ طَلَّةَ النَّدَى

يُضَاهِي ثُغُورَ الْغَيْدِ مِنْ أَفْحَوَانِهِ إِذَا مَا بَكَتْ عَيْنُ السَّحَابِ بِجَوِّهِ
بِهِ أَعْيُنٌ لِلنَّزْجِسِ الْغَضِّ حَذَقَتْ يَجُرُّ النَّسِيمُ الرَّرْطُبَ فِيهِ ذُبُولَهُ
وَتَشْدُو بِهِ الْوُزُقُ الْهَوَائِفُ سَحَرَةً وَتَشْدُو بِهِ الْوُزُقُ الْهَوَائِفُ سَحَرَةً
عَلَى سَيِّدٍ أَزَيْتَ عَلَى ذَا صِفَاتِهِ وَعَطَّرَ مِنْهُ الْكَوْنُ أَنْفَاسَهُ الَّتِي
وَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ مِنْهُ فَضَائِلُ وَطَوَّقَ جِنْدَ الْعَصْرِ مِنْهُ قَلَائِدًا
وَزَانَ بَنِي الْعَلْيَا مَحَاسِنُهُ الَّتِي وَزَانَ بَنِي الْعَلْيَا مَحَاسِنُهُ الَّتِي
تَحِيَّةَ مُشْتَاكِ يَوْكُ لَوْ أَنَّه تَحِيَّةَ مُشْتَاكِ يَوْكُ لَوْ أَنَّه
يُرْتَحُّهُ ذِكْرَاكُمْ كُلَّ سَاعَةٍ يُرْتَحُّهُ ذِكْرَاكُمْ كُلَّ سَاعَةٍ
يَهِيمُ بِمَعْنَاكُمْ وَيَضْبُو فُؤَادَهُ يَهِيمُ بِمَعْنَاكُمْ وَيَضْبُو فُؤَادَهُ
فَهَلْ تَسْمَحُ الْأَقْدَارُ يَوْمًا بِعَوْدَةٍ فَهَلْ تَسْمَحُ الْأَقْدَارُ يَوْمًا بِعَوْدَةٍ
أَعَيْنِي نَامَا طَالَ مَا قَدْ سَهَرْتُمَا أَعَيْنِي نَامَا طَالَ مَا قَدْ سَهَرْتُمَا

تَبَسُّمُهُ وَالْحَدُّ وَزْدُ تَنْصُّدَا تَبَسُّمُهُ وَالْحَدُّ وَزْدُ تَنْصُّدَا
تَرَى الزَّهْرَ فِيهِ ضَاحِكًا مُتَوَدِّدًا^(١) تَرَى الزَّهْرَ فِيهِ ضَاحِكًا مُتَوَدِّدًا^(١)
بِجَفْنٍ غَضِيضٍ خَلَّتْهُ رَاحَ أَرْمَدَا بِجَفْنٍ غَضِيضٍ خَلَّتْهُ رَاحَ أَرْمَدَا
فَيَبْدُو بِهِ وَجْهَ الْغَدِيرِ مُجَعَّدَا فَيَبْدُو بِهِ وَجْهَ الْغَدِيرِ مُجَعَّدَا
فَيَطْرَبُ غَضْنُ الْبَانِ مِنْهَا تَأَوَّدَا فَيَطْرَبُ غَضْنُ الْبَانِ مِنْهَا تَأَوَّدَا
فَأُضْحَى بِهَا بَيْنَ الْأَنَامِ مُفَرَّدَا فَأُضْحَى بِهَا بَيْنَ الْأَنَامِ مُفَرَّدَا
لَهَا الْمِسْكُ يَغْنُو بِالْخُضُوعِ تَعَبَّدَا لَهَا الْمِسْكُ يَغْنُو بِالْخُضُوعِ تَعَبَّدَا
لَدَيْهَا نَفِيسُ الْأَمْرِ أَصْبَحَ جَلَمَدًا^(٢) لَدَيْهَا نَفِيسُ الْأَمْرِ أَصْبَحَ جَلَمَدًا^(٢)
تُبَارِي الثُّجُومَ الزَّاهِرَاتِ تَعَدَّدَا تُبَارِي الثُّجُومَ الزَّاهِرَاتِ تَعَدَّدَا
بِهَا رَاحَ فِي كُلِّ الْمَنَاقِبِ أَوْحَدَا بِهَا رَاحَ فِي كُلِّ الْمَنَاقِبِ أَوْحَدَا
مَكَانَ الَّذِي خَطَّتْ يَدَاهُ فَيَسْعَدَا مَكَانَ الَّذِي خَطَّتْ يَدَاهُ فَيَسْعَدَا
عَلَى مَا بِهِ مِنْ حَرِّ شَوْقٍ تَوَقَّدَا عَلَى مَا بِهِ مِنْ حَرِّ شَوْقٍ تَوَقَّدَا
لِمَغْنَاكُمْ وَالْبُعْدُ قَدْ زَادَ فِي الْمَدَى لِمَغْنَاكُمْ وَالْبُعْدُ قَدْ زَادَ فِي الْمَدَى
فَأُصْبَحَ فِي تِلْكَ الْمَعَالِمِ مُنْشِدَا فَأُصْبَحَ فِي تِلْكَ الْمَعَالِمِ مُنْشِدَا
وَذَاكَ زَمَانُ الْوَصْلِ أَصْبَحَ مُبْعَدًا^(٣) وَذَاكَ زَمَانُ الْوَصْلِ أَصْبَحَ مُبْعَدًا^(٣)

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ مُتَمَسِّكًا مِنْ وَلَائِهِ يُقَبِّلُ الْأَرْضَ مُتَمَسِّكًا مِنْ ثَنَائِهِ الَّذِي
لَا يَزَالُ الْكَوْنُ مِنْهُ مُعْتَبَرًا ، مُتَشَوِّقًا لِلِقَائِهِ الَّذِي بِالْمُهْجِ يُسْتَامُ لَا يَزَالُ الْكَوْنُ مِنْهُ مُعْتَبَرًا ، مُتَشَوِّقًا لِلِقَائِهِ الَّذِي بِالْمُهْجِ يُسْتَامُ
يُشْتَرَى ، مُتَشَوِّفًا إِلَى مَا يَرِدُ مِنْ أَنْبَاءِهِ الَّتِي تَسُرُّ خَبْرًا وَتُحَمِّدُ أَثَرًا : [من الطويل]

لَهُ أَضْلَعُ تُخْنِي عَلَى بُرَحَائِهِ وَيُنْشَرُ مِنْهَا الرُّوحُ إِمَّا تَذَكَّرَا

(١) فِي م : . . . عَيْنُ السَّحَابِ نَحْوَهُ × .

(٢) فِي س ، م : نَفِيسُ الدُّرِّ . . .

(٣) فِي هَامِشٍ أ : لَعَلَّهُ الْهَجْرُ . أَيِ بَدَلِ الْوَصْلِ . وَفِي م : × وَذَلِكَ زَمَانُ الْهَجْرِ أَصْبَحَ مُسْعِدًا !

(١) فِي هَامِشٍ أ : لَمْ نَجِدْ مَا كَتَبَهُ .

(٢) الْقَصِيدَةُ فِي الْوَافِي .

يَهِيْمُ غَرَاماً بِالتَّسْيِمِ لِأَنَّهُ إِذَا هَبَّ مِنْ ذَاكَ الْجَنَابِ تَعَطَّرَا^(١)
وَالْيَدَ الَّتِي وَكَفَتْ بِوَابِلِ جُودِهَا ، وَكَفَتْ الْمُهِمَّ بِبَتَائِجِ سُعُودِهَا ، وَمَتَاهِجِ
صُعُودِهَا ، وَحَاكَتْ السَّحَابَ صَيَّبَ عَهَادِهَا ، وَالْجِبَالَ الشَّمَّ وَثِيقَ عُهُودِهَا ،
وَحَاكَتْ الْوَشْيَ الْمَرْقُومَ ، وَسَلَكَتْ الدُّرَّ الْمَنْظُومَ ، فَهَذَا يَرْفُلُ فِي حُلِّهَا ،
وهذا يَتَحَلَّى بِعُقُودِهَا : [من الكامل]

فَهِيَ الَّتِي تَغْنُو الرِّيَاضُ لِرَفْمِهَا وَيَغَارُ مِنْهَا الدُّرُّ فِي تَنْضِيدِهَا
وَيَحَارُ أَرْبَابُ الْبَيَانِ لِنَظْمِهَا فَهُمْ بِحَضْرَتِهَا كَبْعُضِ عَيْنِهَا
وَيُنْهِي ذِكْرَ تَلَهُّفِهِ لِنِيرَانِ أَشْوَاقِهِ الَّتِي لَهَبَتْ ، وَتَأَسَّفِهِ عَلَى الْإِيَّامِ السَّالِفَةِ
مُذْهَبَةٍ فِي خِدْمَتِهِ لَا ذَهَبَتْ ، وَتَوَجُّعِهِ لِهَذِهِ الْأَزْمَانِ الَّتِي اسْتَرْجَعَتْ بِالْبُعْدِ عَنْهُ
مِنْ دِمَائِهِ^(٢) مَا وَهَبَتْ ، وَتَطَلُّعِهِ إِلَى مَا يُشْنَفُ بِهِ الْأَسْمَاعَ مِنْ فَضَائِلِهِ الَّتِي بِهَا
الْعُقُولُ سَلِبَتْ^(٣) وَالْقُلُوبُ نُهَبَتْ ؛ فَلَا يَزَالُ يَسْأَلُ الرُّوَاةَ عَنْهَا لِيَلْتَقِطَ مِنْهَا ،
وَيَحَقِّقَ أَنَّ فَرَائِدَهَا لَا يَلْقَى لَهَا نَظِيراً وَلَا يُدْرِكُ كُنْهَهَا ، وَكَيْفَ لَا وَمِنْهَا يَتَعَلَّمُ
الْفَاضِلُ^(٤) ، وَإِلَيْهَا يَفْتَقِرُ السَّعِيدُ^(٥) ، وَلَهَا يَتَوَقَّ^(٦) حَبِيبٌ ، وَلَكِنَّهَا يَتَأَدَّبُ
الْوَلِيدُ ، وَعَنْهَا يَزُورِي حَمَّادٌ ، وَعَلَيْهَا يَتَعَمِّدُ ابْنُ الْعَمِيدِ ، [٦٤] وَلَا تَنْفَكُ رَاقِيَةٌ
فِي دَرَجِ الْمَزِيدِ ، وَعَبْدُ الْحَمِيدِ عَبْدُ الْحَمِيدِ .

هذا والعِلْمُ الْكَرِيمُ مُحِيطٌ بِصِدْقِ مَحَبَّةِ الْمَمْلُوكِ وَإِخْلَاصِهَا ، وَشِدَّةِ جِرْصِهِ
عَلَى تَخْصِيلِ فَوَائِدِ مَوْلَانَا وَاقْتِنَاصِهَا ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ ذَاكِراً لِمَحَاسِنِهِ الَّتِي لَيْسَتْ

- (١) في م : × . . . من ذاك الخباء . . .
- (٢) في م : من دمايه .
- (٣) في م : هبّت .
- (٤) القاضي الفاضل .
- (٥) ابن سناء الملك .
- (٦) في س ، م : ولها يتودّد .

فِي غَيْرِهِ مَجْمُوعَةٌ ، وَمُتَطَفِّلًا عَلَى ثِمَارٍ مِنْ أَفْكَارِهِ غَيْرِ مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ،
وَالْخَاطِرُ الشَّرِيفُ وَهُوَ أَبُو الصَّفَا عَلَى الْحَقِيقَةِ يَشْهَدُ بِذَلِكَ ، فَلَا يَحْتَاجُ الْمَمْلُوكُ
مَنْهُ إِلَى بَيِّنَةٍ عِنْدَ مَوْلَانَا الْمَالِكِ ، وَقَدْ حَمَلَهُ مَا وَصِفَ عَلَى التَّهَنُّجِ بِمُعَمَّى بَعَثَ
بِهِ ، وَتَوَصَّلَ إِلَى الْأَذْكَارِ بِهِ بِسَبَبِهِ ، سَائِلًا مِنْ كَرَمِ شَيْمِهِ ، الْإِغْضَاءَ عَنْ دُنْيَاهِ
كَلِمِهِ ، وَالْإِلْغَاءَ لِعَثَرَاتِ لِسَانِهِ ، وَالسُّتْرَ عَلَى هَفَوَاتِ قَلَمِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ
لِمُبَارَاةٍ تُذَكِّرُ ، وَلَا سَعَى فِي مَيْدَانِ مُجَارَاةٍ تُشْهَرُ ، هَيْهَاتَ ، وَاللَّهِ إِنَّ الشَّمْسَ
لَا يُضَاهِي ، وَالْبَذْرَ لَا يُيَاهِي ، وَالْبَحْرَ لَا يُمَاطِلُ ، وَالسُّحْبَ لَا تُسَاجِلُ ، وَأَيْنَ
سَعْيِ الصَّالِحِ مِنْ رُكُضِ الْفُرْسَانِ ، وَعَيْيِ بَاقِلٍ مِنْ بَلَاعَةِ قُسٍّ وَبَيَانِ سَخْبَانٍ ؟
وَلِكُلِّ أَحَدٍ مَقَامٌ يَقِفُ عِنْدَ حَدِّهِ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يَتَعَدَّى عَنْ حَدِّهِ ، وَلَكِنَّهَا
نَفْثَةُ مَصْدُورٍ غَلَبَتْ الشُّوقَ فَقَالَ ، وَبَعَثَهُ مَعْدُورٍ حَمَلَهُ عَلَيْهَا الْإِذْلَالُ^(١) : [من الطويل]

وَأَرْسَلْتُهَا حَضْبَاءَ تُرْبٍ بِحَزْنَةٍ إِلَى أَفْقٍ فِيهِ التُّجُومُ جَوَارِي
فَأَلْقَى عَلَيْهَا سِتْرَ مَعْرُوفِكَ الَّذِي سَتَرْتَ بِهَا قِدَمًا عَلَيَّ عُوَارِي
عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ زَفِيفًا عِنْدَ النَّقْدِ ، وَضَيْفًا لَا قِرَى لَهُ سِوَى الرَّدِّ ، وَسُكْنِيئًا
فِي حَلْبَةِ الرَّهَانِ ، وَمَدْرًا فَلَا يُقَاسُ بِاللُّوْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ^(٢) : [من الطويل]

وَمَا ضَرَّ مَا يُهْدَى إِلَيْكُمْ فَإِنَّهُ عَلَى ثِقَةٍ بِالْفَضْلِ لَيْسَ يَخِيبُ
يَكُونُ أَجَاجًا دُونَكُمْ فَإِذَا انْتَهَى إِلَيْكُمْ تَلَقَّى نَشْرَكُمْ فَيَطِيبُ
وَاللَّهُ تَعَالَى يُمْتِنِعُ الْوُجُودَ بِفَضَائِلِ مَوْلَانَا ، الَّتِي سَارَتْ وَسَرَّتْ ، وَوَصَلَتْ
وَبَرَّتْ ، وَحَلَّتْ بِالْأَسْمَاعِ وَالْقُلُوبِ حِينَ مَرَّتْ^(٣) ، وَابْتَهَجَتْ بِهَا النُّفُوسُ
وَالْعُيُونُ ، فَهَذِهِ لَهَا أَقَرَّتْ وَهَذِهِ بِهَا قَرَّتْ ؛ وَهَـ هـ :

- (١) الثاني منهما لأبي نواس ، في ديوانه ١٥٠/١ (فاغري) . وروايته في م : × فأسبل . وفوقها :
صح . وفي الهامش : فآلق . وفوقها : صح . إشارة إلى صحة الروايتين .
- (٢) الثاني منهما للمجنون ، في ديوانه ٥٢ .
- (٣) في س ، م : حيث مرّت .

يا إماماً ثَمَارُ عُلُومِهِ يَانِعَةٌ ، وَأَنْوَارُ أَفْكَارِهِ سَاطِعَةٌ ، وَفَضَائِلُهُ وَفَوَاضِلُهُ لِسْتَاتِ الْمَحَاسِنِ جَامِعَةٌ ، وَبِعُلُوِّ قَدْرِهِ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ قَاطِعَةٌ ، أَيُّ شَيْءٍ ذِي زَوْجَيْنِ ، تَقَرَّرَ الْعُبُونُ بِتَصَالِحِهِمَا ، وَتَقَرَّرَ الثُّقُوسُ بِتَنَاقُحِهِمَا ، وَتَقَرَّرَ الْعُقُولُ بِعَدَمِ تَسَافُحِهَا ، وَتَقَرَّرَ الْقُلُوبُ مِنْ اسْتِيلَانِهِ عَلَيْهَا ، وَتَضَيَّقَ الصُّدُورُ عِنْدَ انْتِسَابِهِ إِلَيْهَا ؛ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ، وَلَا جَلِيلَةً وَلَا حَقِيرَةً إِلَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَحَوَاهَا ، وَلَهُ وَلَدٌ يُعَدُّ مِنَ الصُّلَحَاءِ الْأَوْتَادِ ، وَإِلَيْهِ يَنْتَسِبُ مِنْ جِلَّةِ الْعُلَمَاءِ أَفْرَادٌ ، وَبِعَقْلِهِ يَتَّقُ ذَوُو الرِّأْيِ وَالسَّدَادِ ، حَافِظٌ أَمِينٌ ، عَاقِلٌ رَزِينٌ ، وَحَاجِزٌ حَصِينٌ ، مَالِكٌ مَكِينٌ ، حَاكِمٌ لَا يَمِيلُ ، مُحْكَمٌ ذِكْرُهُ فِي آيِ التَّنْزِيلِ ، مُنْزَلٌ بِالْقُدْرَةِ ، مُرْسَلٌ عِنْدَ الْفِتْرِ ، ثَابِتٌ لَا يَزُولُ ، مُقِيمٌ عَلَى عَهْدِهِ لَا يَحُولُ ، يَظْهَرُ فِي أَجْمَلِ زِينَةٍ ، وَيَجْلُبُ لِصَاحِبِهِ الطُّمَأْنِينَةِ ، لَا يُخَفَّرُ جَارُهُ ، وَلَا يُجْهَلُ مِقْدَارُهُ ، وَلَا تَخْفَى عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ آثَارُهُ ، [ب ٦٤] وَرُبَّمَا تَعَسَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَرُمِيَتْ الثُّقُوسُ بِحَضْرِهِ ، ثُمَّ أَجَابَ دَاعِيَهُ فَشَرَحَ مِنْ صَدْرِهِ .

إِنْ عَايَنْتَ لَفْظَهُ «فَقُلْ»^(١) مَا شِئْتَ فِي تَصْحِيفِهِ ، وَإِنْ عَايَنْتَ شَخْصَهُ سَرَّكَ بِحُسْنِ تَرْصِيفِهِ ، تَأَمَّرْ بِهِ إِذَا ثَانِيَهُ حَذَفْتَهُ^(٢) ، أَوْ أَسْقَطْتَ أَوَّلَهُ وَصَحَّفْتَهُ^(٣) ، أَوْ خَصَصْتَ بِالْحَذْفِ آخِرَهُ وَحَرَفْتَهُ ، وَإِنْ عَكَسْتَهُ «لَقَقَ»^(٤) أَغْذَاراً لَكَ فِي عَكْسِهِ ، وَبَرَهَنَ لِمَعَانِيهِ عَلَى صِحَّةِ حَدْسِهِ ، وَمِنْهُ جَبَلٌ لَا تُطْرُقُ مَسَالِكُهُ^(٥) ، وَنَوْعٌ مِنَ الْكِتَابِ صَعِبَتْ مَدَارِكُهُ ، وَبَاقِيهِ مُرَحَّمٌ جَاءَ ذِكْرُهُ فِي الْآثِرِ^(٥) .

- (١) فقل : تصحيفه : قُل .
- (٢) فقل = قُل .
- (٣) لقق : عكسه : فقل .
- (٤) جبل قاف بزعمهم .
- (٥) قُل : ترخيم فلان .

وَإِنْ ثَقَّلْتَهُ كَانَ وَضْفاً لِعَزْمِ فِتْرٍ ، وَجَمْعٌ انْتِشَرٍ^(١) ، تَنْزِينٌ بِهِ الْأَبْكَارُ الْمُوشَّحَاتُ بِالذَّرِّ النَّضِيدِ^(٢) ، وَيَكُونُ لَهَا أَجْمَلٌ مِنَ الْقِلَادَةِ فِي الْجِيدِ ؛ يَتَنَوَّعُ صُورَةً وَمَعْنًى ، وَيَتَأَنَّقُ فِرَادًى وَمُثْنًى ، وَيَبْدُو تَارَةً ذَاتاً وَتَارَةً لَفْظاً ، وَيُجِيدُ لِمَا اسْتَوْدَعَ أَمَانَةً وَحِفْظاً .

يُجْمَعُ لَهُ بَيْنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَيَصِحُّ مِنْ أَفْعَالِهِ الْعَكْسُ وَالطَّرْدُ ، وَمِنْ أَجْزَائِهِ مَا يُلْقَى نَفْسُهُ فِي النَّارِ عَمْدًا ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ صُلِيَ بِهَا حِينَ ضُرِبَ حَدًّا ، وَلَهُ صَاحِبٌ^(٢) يُجَانِسُهُ وَيَغْشَاهُ كَثِيرًا وَيُلَاسِيهِ ، يَسْلُبُهُ إِذَا حَضَرَ جَمِيعَ الْأَوْصَافِ ، وَيَجُودُ لِعَظِيمِهِ بِالْمَنْ وَالْإِسْعَافِ .

يُحْمَدُ فِعْلُهُ وَإِنْ كَانَ يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، وَيَتَأَيَّ عَنْهُمَا إِذَا تَلَاقَا بَعْدَ الْبَيْنِ ، طَالَمَا فَرَّجَ الْكَرْبَ وَأَزَالَ الْحَضَرَ ، وَتَلَا عِنْدَ أَفْعَالِهِ سُورَةَ التَّنْصِيرِ ؛ إِنْ حَذَفْتَ أَوَّلَهُ وَأَضْعَفْتَ عَيْنَهُ كَانَ نَعْتًا يَفْتَضِي زَيْنَةً^(٣) ، وَإِنْ حَذَفْتَ ثَانِيَهُ كَانَ وَضْفاً لِلْقَدَرِ مَذْكُورًا^(٤) ، فَإِنْ عَكَسْتَهُ ذَكَرْتَ بِهِ كَرَمًا مَشْهُورًا^(٥) ، وَإِنْ صَحَّفْتَهُ كَانَ فِعْلًا لَا حَرَاجَ فِي تَعَاطِيهِ^(٥) ، أَوْ مَكَانًا نُهِيَ عَنِ الصَّلَاةِ فِيهِ^(٦) ، وَإِنْ حَذَفْتَ ثَالِثَهُ وَصَحَّفْتَهُ كَانَ وَضْفاً لِطَارِقٍ يَأْتِي بَغْتَةً^(٧) ، إِذَا عُيِّنَ بِأَمْرِهِ وَسَهَّلْتَهُ ، وَإِنْ صَحَّفَ بَعْدَمَا سَقَطَ مِنْ أَوَّلِهِ حَرْفَانِ ، أَذْكَرَكَ صَاحِبَ الْإِنْيَانِ^(٨) ، وَوَاجِدَ فَرَازَةَ

- (١) قُل . قُل .
- (٢) هو مفتاح القفل .
- (٣) فتاح .
- (٤) متاع . وعكسه : حاتم .
- (٥) متاع .
- (٦) مناخ الإبل .
- (٧) مفاجيء .
- (٨) تاج .

ابن دُنيان^(١) ، وباحِ بِسْرِهِ فَلَا كِنَمَانُ .

هذا ما تيسَّر من أوصافِهِ عَجَلًا ، وَتَسَيَّرَ إِلَى بَيْنِ يَدَيْكَ خَجَلًا ؛ فَأَجَلْ فِيهِ
فِكْرَةَ أَضَاءَتِ أَنْوَارِهَا ، فَحَمِدْتَ أَثَارَهَا ، وَعَبَقَ نَوَارُهَا ، فَجَبَّيْنَتْ ثِمَارَهَا ،
وَتَلَيَّتْ أَخْبَارَهَا ، فَتَجَمَّلَتْ بِهَا مِنَ الْأَقَالِيمِ أَقْطَارُهَا ؛ لَا يَزَالُ بَنَانُكَ يَرْقُمُ أَخْرَفًا
فَيْبُدي زُخْرَفًا ، وَيَبَانُكَ يَتَلَوُّ صُحُفًا فَيْبُوًّا مِنَ الْجَنَاتِ غُرَفًا ، وَبِدْيَعُكَ يُحَلِّي
الْأَوْلِيَاءَ عُقُودًا ، وَيُفَرِّطُهُمْ شُفَا ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ : [من الطويل]

قَرِيبُضْ كَمَا غَنَى الْحَمَامُ وَغَرَدَا
وَالْأَ كَمَا ازْدَانَتْ سَمَاءُ دِيَا جِرِ
وَنَشْرُ كَمَا اخْمَرَتْ خُدُودُ شَقَائِقِ
وَالْأَ كَمَا مُدَّتْ مُلَاءَةٌ سُنْدُسِ
وَلَفْظُ كَمَا غَادَى النَّسِيمُ غَدِيرَهُ
وَالْأَ كَمَا هَبَّتْ صَبَا فِي صَبَابَةِ
وَطَرْسُ كَمَا تَرَنُو لِحَاطِ يَزِينُهَا اخِ
وَالْأَ كَمَا وَافَى لَنَا الصُّبْحُ أَبْيَضَ الدِّ
وَمَا هَلِيزِ إِلَّا نَوَافِثُ سَاحِرِ
نَوَافِذُ فِي الْأَخْشَاءِ حَاشَا بَيَانُهَا
بَعَثَتْ صَلَاحَ الدِّينِ لِي بِرِسَالَةِ
فِيَا حُسْنَهَا جَاءَتْ إِلَيَّ هَدِيَّةً
تَعَوَّدَتْ جَبْرِي حَيْثُ كُنْتُ وَإِنَّمَا
فَبَاتَتْ لَهُ الْأَغْصَانُ فِي الرَّوْضِ سُجْدَا
فَكَمْ كَوَكِبَ فِي أَفْقِهَا قَدْ تَوَقَّدَا
فَكَلَّلَهَا لَمَّا ازْدَهَتْ لَوْلُؤُ النَّدَى
مِنَ الرَّوْضِ فِيهَا الزَّهْرُ ذَرًّا تَبَدَّدَا
حُسَامًا صَقِيلًا ثُمَّ مَا شَاءَ مَبْرَدَا
تُعِينِدُ عَلَى الْأَحْبَابِ عَتَبَا مُرَدَّدَا
حِوَارًا وَتَحْشُوهَا يَدُ الْحُسْنِ إِثْمِدَا
[١٦٥] مُحَيًّا وَوَلَانَا قَفَا اللَّيْلِ أَسْوَدَا
إِذَا شَاءَ خَلَّى الشُّهُبَ عِقْدًا مُنْضَدَا
يَكُونُ مِنَ السَّخْرِ الَّذِي قَدْ تَعَقَّدَا
فَأَصْبَحَ جِنْدُ الدَّهْرِ مِنْهَا مُقَلَّدَا
وَجَدْتُ عَلَى نَارِ الْبِعَادِ بِهَا هُدَى
« لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا »^(٢)

فَأَطْلَقْتُ لَفْظِي فِي صِفَاتِكَ مَادِحًا
فَأَنْتَ إِمَامٌ وَالْوَرَى فِي الْعُلَا وَرَا
فِيَا لَكَ مِنْ حَبِيرٍ وَبَخِيرٍ مَوَاهِبِ
عَلَى هَذِهِ الْأَيَّامِ مَا تَسْتَحِقُّهُ
فَلَوْ أَنْصَفْتُ سَاوَتْ مَحَلَّكَ بِالسُّهَى
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تَفْعَلُ مَا تَشَا
وَبَعْدُ فَلِي فِيهَا رَجَاءٌ وَعِنْدَهَا
هَيْئَةً لِدَهْرِ أَنْتَ فِيهِ مُحَكَّمٌ

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ لِلْعُلُومِ رِيَاضُ ، وَلِلتَّوَكُّاتِ حِيَاضُ ، وَلِلْفَوَائِدِ
الْغَرِيبَةِ غِيَاضُ ، وَلِلْمَعَالِي مَعَادِنُ ، وَلِلْمَكَارِمِ مَكَائِنُ ، وَلِلْمَوَائِدِ مَوَاطِنُ ،
وَلِلْمَسَائِلِ مَسَالِكُ ، وَلِلْمُبَارِي مَبَارِكُ ، وَلِلْأَرَاءِ الصَّائِبَةِ أَرَائِكُ : [من الوافر]

هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي وَفَّتْ غُلَاهَا
فَمَا تَمْشِي بِهَا إِلَّا وَتَغْدُو
وَيُنْهِي بَعْدَ دُعَاءِ أَخْلَصَهُ ، وَوَلَاءِ كُلِّمَا أَطْنَبَ فِيهِ تَوَهُمُ أَنَّهُ لَخَصَهُ ، وَثَنَاءِ
جَلَبَهُ مِنْ نَفْحَاتِ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ إِذْ فَرَّ وَخَلَصَهُ ؛ وَوَصَفِ مَحَبَّةِ تَعَالَى فِيهَا وَمَا
تَغَابَى وَلَا تَرَخَّصَ ، وَأَشْوَاقِ تَعَالَى الصَّبْرِ عَنْهَا وَمَا تَعَانَى غَيْرَ الصَّدَقِ فِيهَا وَلَا
تَخَرَّصَ ، وَلَوْعَاتِ تَمَادِي أَلَمُهُ فِيهَا وَتَمَالَى عَلَيْهِ ، فَمَا تَصَبَّرَ لَهَا الْقَلْبُ وَلَا
تَرَبَّصَ : [من الوافر]

وَذِكْرِ زَمَانِ أَنْسِ مَرَّ حُلُوًا
وَعَيْشِ بِالتَّبَاعِدِ قَدْ تَنَغَّصَ

= لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا وعاداتُ سِفْرِ الدُّوَلَةِ الطُّعْنُ فِي الْعِيدَا
(١) العجز مضمّن من قول المتنبي [ديوانه ٢٩٢/١] وصدره :
وَقَبِلْتُ نَفْسِي فِي ذِرَاكِ مَحَبَّةِ X

(١) ناج . وتصحيحه : باح كما سيأتي . والمقصود : ناجية .

(٢) العجز مضمّن من قول المتنبي : [ديوانه ٢٨١/١]

تَقْنَصَ فِيهِ صِرْفُ الْبَيْنِ صَبْرِي وما زادَ الْجَوَى حَتَّى تَقْنَصَ
ورودَ المِثَالِ العَالِي ، أَغْلَاهُ اللهُ تَعَالَى ، وَمَدَّ بِهِ عَلَى الْقُلُوبِ الضَّاحِيَةِ
ظِلَالًا ، فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ مِنْهُ عَلَى رِيَاضِ يَانِعَةٍ ، وَأَلْفَاتٍ كَانَتْهَا الْغُصُونُ
الْمَائِسَةُ ، وَفَوْقَهَا الْهَمْزَاتُ كَالْحَمَائِمِ السَّاجِعَةِ ، وَسُطُورٍ كَالْجَدَاوِلِ أَمْوَاجُ
مَعَانِيهَا مُتَدَاوِلَةٌ ، وَأَلْفَاظُ صَادِقَةِ الْحَلَاوَةِ فِي الْفَصَاحَةِ الصَّادِعَةِ ، وَمَقَاصِدُ
لَمْ تَضِقْ بِعِبَارَاتِهَا سَاحَاتِ الْبَلَاغَةِ الْوَاسِعَةِ ، وَمَقَاعِدُ قَوَافٍ تَنْزَلَتْ فِي أَمَاكِينِهَا
كَالْبُدُورِ الطَّالِعَةِ : [من الطويل]

وَحَسْبُكَ مِنْ فَضْلٍ تَدَانَتْ ثِمَارُهُ وَلَكِنْ مَبَانِيهِ عَلَى النَّاسِ شَائِعَةٌ^(١)
فَكَانَ صَبُوحِي مِنْهُ كَأَسَا رَوِيَّةً سُلَاقَتُهَا صَفَرَاءُ لِلْهَمِّ فَاقِعَهُ
فَلَوْ رَأَاهُ الْفَاضِلُ لَنَقَصَ مِنْ قَدْرِهِ ، أَوْ ابْنُ سَنَاءِ الْمُلْكِ لَمَا افْتَخَرَ بِقَصْرِهِ فِي
عَصْرِهِ ، وَلَا أَنْشَدَهُ مَمْلُوكُهُ مِنْ شَعْرِهِ ، [٦٥ ب] ^(٢) أَوْ ابْنُ أَبِي الْأَصْبَغِ لَمَا مَدَّ فِي
هَذِهِ الصَّنَاعَةِ يَدًا ، أَوْ الْقَاضِي الْجَلِيسُ ^(٣) لَقَامَ وَقَعْدَ حَسَدًا ، أَوْ الْجَزَّازُ
لَنَقَطَعْتَ مِنَ الرُّغْبِ مَصَارِيئُهُ ، أَوْ السَّرَاجُ لَانْطَفَأَ وَكَثُرَ تَذَخُّيئُهُ ، أَوْ ابْنُ التَّقِيْبِ
لَكَانَ مُجَرَّدًا مِنْ مَحَاسِنِهِ ، فَلَا يُسَايِرُهُ وَلَا يُسَارِيهِ ، أَوْ الْحَمَامِيُّ لَمَا عَرَفَ حَرَّ
الْأَشْيَاءِ وَبَارَدَهَا ، وَلَا أَخَذَ الْمَاءَ مِنْ مَجَارِيهِ ، أَوْ شَيْخُ الشُّيُوخِ ^(٤) لَمَا وَجَدَ لَهُ
مُرِيدًا ، أَوْ ابْنُ لَوْلُو الذَّهَبِيِّ ^(٥) وَشَبَّعَتْهُ ، لَقَالَتْ لَهُمْ فَصَاحَتُهُ : ﴿ قُلْ كُونُوا

(١) في هامش م : ط : شاسعة .

(٢) الورقة ٦٥ ب و ٦٦ أ ساقطة من أ . والمثبت من ب ، س .

(٣) القاضي الجليس : عبد العزيز بن الحسين بن الجباب ، الصَّقِيلِيُّ الْأَصْلُ ؛ توفي سنة ٥٦١ هـ .
(الوافي بالوفيات ١٨ / ٤٧٣) .

(٤) شيخ الشيوخ : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ، العلامة الأديب الشاعر الحموي ؛ توفي سنة
٦٦٢ هـ . (الوافي بالوفيات ١٨ / ٥٤٦) .

(٥) يوسف بن لؤلؤ الذهبي ، الأديب بدر الدين الدمشقي الشاعر ؛ توفي سنة ٦٨٠ هـ . (الوافي
بالوفيات ٢٩ / ٣٧٨) .

حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿ [الإسراء : ٥٠] أَوْ ابْنُ النَّبِيهِ ، لِأَخْمَلَتْهُ هَذِهِ الْخَمَائِلُ ، وَلَمْ يُبَاكِزْ
صَبُوحًا مَعَ أَهْنِيفِ السَّمَائِلِ ، أَوْ ابْنُ السَّاعَاتِي ، لَهَمَّتْ دَرَجَاتُ مَجْدِهِ
بِالسَّقُوطِ ، وَنَسِيَ يَوْمًا كَانَتْ الرِّيحُ تَكْتُبُ وَالْغَمَامُ يُنْقِطُ^(١) فِي سُبُوطِ : [من
الطويل]

وَلَوْ أَشْبَهَتْهُ الشَّمْسُ فِي أَوْجِ أَفْقِهَا لَمَا شَانَهَا فِي النَّيِّرَاتِ هُبُوطُ
وَلَوْ أَنَّ زَهَرَ الدُّوْحَ فَازَ بِجِدَّةٍ حَوَاهَا لَمَا أَفْنَى قِوَاهُ سَقُوطُ
فَعَيْنُ اللهِ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ السَّخَّارَةِ ، وَبِالْبَحَارِ الزَّخَّارَةِ ، وَالكَوَاعِبِ الَّتِي
هِيَ بِالكَوَاكِبِ سَخَّارَةٌ ، وَالمَحَاسِنِ الَّتِي مَا التَّقَطُّ مِثْلُهَا السَّيَّارَةُ ، وَالفَضَائِلِ
الَّتِي تَخْتَبِئُ الشَّمْسُ مِنْهَا فِي الْهَالَةِ وَالْقَمَرُ فِي الدَّارَةِ ؛ وَالفَوَائِدِ الَّتِي لَوْ خَلَفَ
أَحَدٌ أَنَّ السَّمْعَانِيَّ مَا سَمِعَ بِهَا مَا لَزِمَتْهُ كَفَّارَةٌ .

يَا مَوْلَانَا ، دَعْنَا مِنْ مَادِبِ الْأَدَبِ فَضْلَةً بِهَا نَرْتَرِقُ ، وَخُذْ فِي فُنُونِكَ مِنْ
عُلُومِ الشَّرِيعَةِ مَعَ أَقْرَانِكَ ، فَبَعْضُ الْفَوَارِسِ قَدْ يَعْتَنِقُ ، وَنَفْسُ لَنَا سَاعَةٌ كَرِيبُ ،
وَلَا تُضَايِقُنَا نَخْتِنِقُ ؛ وَدُونِكَ الْحَدِيثُ ، فَمَا أَنْتَ مِمَّنْ يَأْخُذُ بِأَطْرَافِهِ إِذَا تَكَلَّمَ ،
وَاشْتَغَلَ عَنَّا بِنَقْدِهِ ، فَالْبُخَارِيُّ يُثْنِي عَلَيْكَ ، وَمُسْلِمٌ لَكَ سَلَمٌ ؛ وَجَادِلُ فُرْسَانَ
الْكَلَامِ ، فَسَيَفُهَا مِنْكَ تَتَلَمَّ ؛ وَأَقِمِ أَدْلَةَ التَّوْحِيدِ ، فَالْإِمَامَانِ لَوْ رَأَاكَ لَقَدَّمَكَ ،
وَقَالَا : هَذَا الْمُهْمُّ الْمُقَدَّمُ ؛ وَخَلَّ لَنَا مِنْبَتِ الْأَدَبِ ، وَإِنْ لَمْ نَكُنْ مِنْ خَلِّ
بَقْلُهُ ، وَوَلَّ جَانِبَكَ هَذِهِ التُّرَاهَاتِ ، فَأَكْثَرُهَا اخْبُرْ تَقْلُهُ ؛ وَأَعْرِضْ عَنْ مَتَاعِهَا
الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِي حُضُورِ حَضْرَتِهِ ، وَلَا لَذَّةَ فِي نَقْلِ نَقْلِهِ ؛ وَاتْرَكْنَا نَهْيَهُمْ فِي
أَوْدِيَةِ الْقَرِيضِ ، فَمِنْ أَرْجَانِ أَرْجِهِ ، إِلَى صِقْلِيَّةِ صَقْلِهِ .

(١) يشير إلى قول ابن الساعاتي : [ديوانه ٤ / ٢ ووفيات الأعيان ٣ / ٣٩٦]

وَالطَّيْرُ يَقْرَأُ وَالْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ وَالْغَمَامَةُ تَنْقُطُ

وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمُعَمَّى الَّذِي تَصَمَّنُهُ ذِيلُ هَذَا الْمِثَالِ الْكَرِيمِ، وَأَمْسَتْ بِهِ^(١) جَنَاتُ غَيْرِهِ مِنْ أَرْبَابِ هَذَا الْفَنِّ وَهِيَ كَالصَّرِيمِ؛ فَلَمَّا انْتَهَى الْمَمْلُوكُ إِلَيْهِ وَقَفَ لَهُ إِلَى أَنْ فَكَّ «قُفْلَهُ» وَأَتَمَّ فَرْضَ حَلِّهِ وَنَفْلَهُ، وَشَاهَدَ مُحَاسِنَهُ الَّتِي عَزَبَتْ عَنِ الْأَلْبَابِ، وَعَلِمَ بِهِ كَيْفَ يَكُونُ مَقَاصِدُ شَيْخِ الْأَدَابِ: [مَنْ الْمَجْتَبَى]

يَا حُسْنَ لُغَزِ أَتَانِي أَقَرَّ قَلْبًا وَطَرَفًا
أُخْرَاهُ لَاحَتْ عَجِيئًا اسْمًا وَفِعْلًا وَحَرْفًا

وَأَمَّا وَصْفُهُ نَثْرًا: فَقُلْ فِي ثَلَاثِي جُمْلَةً جُمْلَةً مِثْلَانِ تَزِيدُ عَشْرًا^(٢)؛ إِنْ جَعَلْتَ آخِرَهُ رَاءَ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْبَيْدِ^(٣)، أَوْ زَايَا كَانَ حَرَكَةً تُقَرِّبُ الْمَكَانَ الْبَعِيدَ^(٤)، أَوْ صَادًا كَانَ سِجْنًا لِلطَّيْرِ الْغَرِيدِ^(٥)، أَوْ طَاءَ كَانَ بَلَدَةً مَعْرُوفَةً فِي الصَّعِيدِ^(٦)، وَإِنْ صَيَّرْتَ وَسَطَهُ بَاءً كَانَ ظَرْفًا مَبْنِيًّا لَا يَعْمَلُ فِيهِ الْجَزُّ مِنْ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدَ^(٧)، أَوْ تَاءً كَانَ فِعْلًا تَحْرِيمُهُ فِي الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ لَا يَبِيدُ^(٨)، أَوْ وَاوًا كَانَ مَا يُلْفِظُ بِهِ وَلَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ^(٩)، أَوْ يَاءً كَانَ وَصْفًا لَوَاحِدِ الْمُلُوكِ الصَّيْدِ^(١٠)، وَإِنْ تَرَكْتَ أَوَّلَهُ حَاءً كَانَ وَصْفًا لَجَمْعٍ عَدِيدٍ^(١١)، أَوْ سِينًا كَانَ ضِدًّا

(١) فِي ب: وَامْتِير .

(٢) كَلِمَةُ «قَفْل» فِي حِسَابِ الْجُمْلِ: الْقَاف ١٠٠ . وَالْفَاء ٨٠ . وَاللَّام ٣٠ . فَالْمَجْمُوع ٢١٠ .

(٣) قَفَر .

(٤) قَفَز .

(٥) قَفَص .

(٦) قَفِظ .

(٧) قَبْل .

(٨) قَتَلَ .

(٩) قَوْل .

(١٠) قَيْل .

(١١) حَفْل .

الْعُلُوِّ الْبَعِيدِ^(١)، أَوْ طَاءَ كَانَ صِفَةً لِلْمَوْلُودِ الْجَدِيدِ^(٢) .

وَأَمَّا صَاحِبُهُ الَّذِي يُجَانِسُهُ، يَغْشَاهُ وَيُلَاقِيهِ، فَمَتَى لَفَظَتْ بِهِ ذَكَرَتْ سَكَاكِي الْبَيَانِ^(٣)، أَوْ جَمَعَتْهُ كَانَ اسْمَ تَفْسِيرٍ عَظِيمٍ لِلْقُرْآنِ^(٤)، أَوْ ذَكَرَتْ مُرَادِفَ مُفْرَدِهِ^(٥)، كَانَ مَصْنُوعًا لَوَاحِدِ فِرَازَةِ بَنِ دُيَّانٍ؛ وَأَمَّا إِذَا حَذَفْتَ ثَانِيَهُ، وَعَكَسْتَهُ وَصَحَّفْتَهُ، كَانَ حَلِيَّةً لِخَنَاصِرِ الْإِنَاثِ وَالذُّكُورِ^(٦)، وَصِفَةً لِطَائِرٍ فِي الْجَوِّ يَدُورُ^(٧)، أَوْ فِعْلًا لَهُ إِذَا تَلَبَّدَ بِالْأَرْضِ فَلَا يَذْهَبُ وَلَا يَحُورُ^(٨) .

وَلَهُ خَوَاصُّ أُخْرَى أَضْرَبَ الْمَمْلُوكُ عَنْهَا، وَخَافَ إِنْ سَرَدَهَا أَوْجَبَ الضَّجَرَ مِنْهَا: [مَنْ الْبَسِط]

أَحْسِنَ بِهِ مِنْ مُعَمَّى قَدْ بَعَثَتْ بِهِ سَكِرَتْ مِنْ حَلِّهِ إِذْ رَاحَ لِي رَاحَا
عَمِيَّتُهُ فَدَجَا، وَصَفْتُهُ فَأَضَا مَعْنَى فَأَهْدَيْتَ لِي «قُفْلًا» وَ«مِفْتَاحًا»^(٩)

وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَتِّعُ الْأَيَّامَ وَالْأَنَامَ بِهَذَا الْفَضْلِ الْجَلِيلِيِّ الْجَلِيلِ، وَالْأَدَبِ الَّذِي لَا يَجِدُهُ الرُّوَاةُ إِلَّا بِالْقُدُسِ، وَلَا يَأْخُذُونَهُ إِلَّا عَنِ الْحَلِيلِ؛ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ وَقَدْ وَرَدَ مِنَ الْقُدُسِ الشَّرِيفِ إِلَى دِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ، سَنَةِ

٧٣٩ (١٠): [مَنْ الْوَافِر]

(١) سَفَلَ .

(٢) طَفَلَ .

(٣) يَقْصِدُ كِتَابَ «مِفْتَاحِ الْعُلُومِ» لِلْسَّكَاكِيِّ .

(٤) تَفْسِيرُ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ اسْمُهُ «مِفْتَاحُ الْغَيْبِ» .

(٥) مُرَادِفُ الْمِفْتَاحِ: إِقْلِيدُ .

(٦) خَاتَمُ .

(٧) حَائِمُ .

(٨) جَائِمُ .

(٩) صَدْرُهُ فِي ب، س: عَمِيَّتُهُ قَدْ جَا . وَفِي م: . . . أَوْضَحْتُهُ فَأَضَا .

(١٠) الْبَيْتَانِ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالْوَاثِي .

أَتَيْتَ إِلَى دِمَشْقَ وَقَدْ تَشَكَّتَ إِلَيْكَ لِطُولِ بُعْدٍ وَاتِّزَاحٍ
وَكُنْتَ بَعْدَ بُعْدِكَ فِي فَسَادٍ وَجِئْتَ لَهَا فَفَارَزْتَ بِالصَّلَاحِ^(١)

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ جَوَاباً عَنْ بَيْتَيْنِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا فِي تَرْجُمَةِ الشَّيْخِ بَهَاءِ الدِّينِ

أَبِي حَامِدٍ الشُّبَكِيِّ ، وَهُمَا : [مِن الطَّوِيلِ]

أَلَا خَبَّرُونِي عَنْ صَلَاةِ امْرِئٍ غَدَثَ يَحَارُ بِسَيْطٍ عِنْدَهَا وَوَجِيزُ
تَجَوُّزُ إِذَا صَلَّى إِمَاماً وَمُفْرَداً وَإِنْ كَانَ مَأْمُوماً فَلَيْسَ تَجَوُّزُ

● فَكَانَ مَا كَتَبَ هُوَ : [مِن الطَّوِيلِ]

بَقِيَتْ فَلَا يُلْقَى لَكَ الدَّهْرُ مُشْبِهٌ وَدُمْتَ لِكُلِّ الْمَعْلُوتِ تَحَوُّزُ
فَإِنَّ الَّذِي لَيْسَتْ تَجَوُّزُ صَلَاتُهُ لَهُ الْعَقْلُ حِرْزُ دُونَ ذَاكَ حَرِيرُ
فَقَدْ صَارَ مَحْفُوظاً بِهَذَا سَمِيئُهُ كَمَا جَاءَ فِي لَفْظِ الْحَيَاةِ وَجِيزُ

وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى مَا فَهَمْتُهُ أَنَّ مُرَادَهُ بِالْمَأْمُومِ ، الَّذِي أَصَابَتْهُ أَمَّةٌ فِي رَأْسِهِ
أَذْهَبَتْ عَقْلَهُ ، فَإِنَّ صَلَاتَهُ غَيْرُ صَحِيحَةٍ لِذَهَابِ عَقْلِهِ ؛ وَأَرَدْتُ بِقَوْلِي : لَهُ
الْعَقْلُ حِرْزُ : الدِّيَّةُ الَّتِي تَجِبُ فِي الْمَأْمُومَةِ ، فَإِنَّ إِجَابَتَهَا مَانِعٌ مِنْ تَعَاطِيهَا ،
كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلكُمْ فِي الْقَصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ [البقرة : ١٧٩] وَهَذَا الْمُرَادُ بِالشَّطْرِ
الْأَخِيرِ مِنَ الْأَبْيَاتِ ، فَقَدْ صَارَ الْعَقْلُ الَّذِي تُذْهِبُهُ الْإِمَامَةُ الْمَأْمُومَةُ مَحْفُوظاً
بِإِجَابِ الْعَقْلِ الَّذِي هُوَ الدِّيَّةُ .

حَرْفُ الرَّاءِ

٣٨ * رَزَقَ اللَّهُ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ^(١) :

الْفَاضِلُ ، الْكَاتِبُ ، تَاجُ الدِّينِ ، كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٤٤^(٢) ، [٦٦ ب] فَكَتَبْتُ أَنَا

الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ^(٣) : [مِن الطَّوِيلِ]

سُطُورُكَ أَمْ رَاحَ بَدَثَ فِي زُجَاجِهَا فَكَانَ سُورُ الْقَلْبِ بَعْضَ نِتَاجِهَا
أَتَتَنِي مِنْ مِضْرٍ إِلَى أَرْضٍ جَلَّتِ فَأَهْدَتْ إِلَى نَفْسِي عَظِيمَ ابْتِهَاجِهَا
فِيَا نَفْسَ الْأَسْحَارِ فِي كُلِّ رَوْضَةٍ تَيَمَّمْ رُبَا مِضْرٍ وَلُطْفَ مِزَاجِهَا
وَقِفْ لِي عَلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ وَقِفْهُ وَحَيَّ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ مُوَاجِهَا
فَنَمَّ وَجُوهٌ كَالْبُدُورِ تَكَامَلَتْ وَلاقَ بِهَا فِي الْفَضْلِ رَوْنَقُ تَاجِهَا
أَثِمَّةُ كُتَابٍ إِذَا مَا تَرَسَّلُوا فَأَقْلَامُهُمْ تَزْمِي الْعِدَى بَانِزِعَاجِهَا
وَإِنْ نَظَّمُوا قُلْتَ الدَّرَارِي تَسَقَّتْ وَرَاقَ عَلَى الْأَيَّامِ حُسْنُ أَزْدِوَاغِهَا
هُنَالِكَ رَزَقَ اللَّهُ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ فَلَا نَفْسَ إِلَّا نَمَّ إِبْلَاحُ حَاجِهَا^(٤)
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَفُوزُ بِقُرْبِهِمْ وَيَهْدُ مِنْ عَيْنِي اضْطِرَابُ اخْتِلَاجِهَا

(١) تَرْجُمَتُهُ فِي : أَعْيَانُ الْعَصْرِ ٣٦٨/٢ وَالدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ١٠٨/٢ وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٣١/٩ وَالْمَنْهَلُ

الصَّافِي ٣٤٨/٥ وَالِدِيلُ الشَّافِي ٣٠٤/١ .

- وَفَاتَهُ بَعْدَ ٧٤٠ هـ .

- فِي ب ، س : رَزَقَ اللَّهُ بْنُ الْفَاضِلِ ! . وَبَيْنَ « بِن » وَ« الْفَاضِلِ » فَرَاغٌ تَسَعُّ لِكَلِمَتَيْنِ . وَالمَثْبُت

مِنْ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ . وَفِي م : رَزَقَ اللَّهُ الْفَاضِلُ .

(٢) قَالَ الْمَوْلَفُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ ٣٦٩/٢ : وَكَانَ قَدْ كَتَبَ إِلَيَّ وَأَنَا بِدِمَشْقَ آيَاتاً فِي هَذَا الْوِزْنِ وَالرَّوْيِ ،

إِلَّا أَنَّي طَلَبْتُهَا عِنْدَ هَذَا التَّعْلِيقِ ، فَلَمْ تَرَعْ عَيْنِي لَهَا أَثَرًا ، وَلَا وَجَدْتُ لِمَبْتَدئِهَا خَبْرًا .

وَفِي هَامِشِ ب : سَاقَطَ مَا كَتَبَهُ فِي الْأَصْلِ .

(٣) الْقِطْعَةُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .

(٤) فِي ب : × . . . إِلَّا وَهُوَ إِبْلَاحُ حَاجِهَا .

(١) وَسَقَطَ مَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ س ، وَالمَثْبُتُ مِنْ ب ، م .

● وكتب هو جواباً عن لُغزٍ كتبتُهُ ، وأنا بالقاهرة المحروسة في سنة ٧٤٥
إلى القاضي ناصر الدين ابن النشائي في « عيد » ، وسيأتي عند ذكره^{(١)(٢)} : [من
مجزوء الرجز]

يا فاضلاً آدابُهُ بها الورى تسترشد
ومن على علومه أهلُ النهى تغتمد
ألغزتُ في « عيد » إلى عبدي إليكم يسند
ولم يؤخر نظمهُ إلا حياءً يحمد
ولم يُماثل من له في سائر الفضل اليد
فلدُم سعيّداً تنقّي آداب أو تنتقد

* * *

حَرْفُ الزَّاي

٣٩ * زيد بن عبد الرحمن^(٣) :

الشيخُ الفاضلُ ، البارِعُ ، الفقيهُ ، العَدْلُ ، القاضي ، زَيْنُ الدِّينِ
المَغْرِبِي ، الشَّافِعِي .

● كتب إليّ ملغزاً^(٤) :

يا مولانا ، أثقلَ الله بِفَواضِلِكَ الكواهلَ ، وأخملَ بِفَضَائِلِكَ الأولائلَ من

الافاضيل^(١) ، إِنَّ أَمَكَ أَنْ تَلَمَحَ هذا اللُّغزَ اللَّطِيفَ ، وتُعْطِيَهُ حَظًّا من سِيَالِ
فِكْرِكَ الشَّرِيفِ ، تُقَلِّدُ المَمْلُوكَ بهِ مَانَّةَ الفضلِ العَمِيمِ ، وَيَتَحَلَّى بِوُرُودِ لَفْظِهِ
كما يَتَحَلَّى بِوُجُودِ شَخْصِهِ بَيْنَ يَدَي سَيِّدِ كَرِيمٍ ، وهو :

ما اسمُ يَغْتَنِي الصَّائِمُونَ غالباً بِتَحْصِيلِهِ ، وَيَتَنَافَسُ الأكابرُ منهم في جُمْلَتِهِ
وتَفْصِيلِهِ ، حُمَاسِي الحُرُوفِ في التَّرْصِيفِ والترتيبِ ، مُسَطَّحُ الشَّكْلِ في
البَسَاطَةِ ، كُرِّيٌّ عندَ التَّرْكِيبِ ، إِنْ حُذِفَ خُمُسَاهُ رَأَيْتُهُ طَائِراً وَسَيْمًا^(٢) ، طَالَمَا
قَصَّ الأَثَرُ فَاهْتَدَيْ بِهِ ، وغالبَ في طُرُقِ اللُّؤْمِ تَمِيمًا^(٣) ، وَإِنْ اخْتَلَسَ أَوَّلُهُ كَانَ
في الثُّغُورِ الحَصِينَةِ كَالثَّاءِ في اللَّيْلِ البَهِيمِ^(٤) ، وفي سُورَةِ القَلَمِ نَاراً أَخْرَقَتْ
الجَنَّةَ التي أَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ^(٥) : [من الطويل]

عَزَمْتُ عَلَى إِهْدَائِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ إِلَى بَابِكَ العَالِي فَأَمْسَكْتُ عَنْ قَصْدِي
فَقَدْ قِيلَ : عَادَاتُ الأكابرِ إِنَّهُمْ بِإِهْدَائِهِ أَوَّلَى فَمَا جُزْتُ عَنْ حَدِّي
فَأَوْضَحُهُ لِي مَعْنَى وَإِنْ شِئْتُ صُورَةً وَإِنْ شِئْتُ فَارْزُمْ لِي فَإِنِّي لَهُ أَبَدِي
● فكتبتُ إليه الجوابَ ، وهو في « قطايف » وجهزتُ إليه شيئاً من ذلك :

[من الطويل]

أَمْوَلَايَ زَيْنَ الدِّينِ مِثْلُكَ مَنْ يُهْدِي نَدَاهُ وَإِنْ كَانَ الضَّلَالُ غَدَا يَهْدِي
بَعَثْتَ بِلُغْزٍ قَدْ حَلَا مِنْكَ لَفْظُهُ [٦٧] فَأَخْمَلَ ذَكَرَ القَطْرِ فَضْلاً عَنِ الشَّهْدِ
فَسَامِحٌ فَقَدْ أَوْضَحْتُهُ لَكَ صُورَةً عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ شَرْحِ مَا عِنْدِي

(١) في ب : وأحمد بفضائلك الفضائل .

(٢) يريد : قطا .

(٣) يشير إلى قول الطُّرَّاح : [ديوانه ٥٩]

تميمٌ بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلّت

(٤) يريد : طائف .

(٥) الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَلَا عَلَىكَ طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُوَ تَائِبُونَ ﴾ فَصَبَحَتْ كَالصَّرِيمِ [القلم : ١٩ - ٢٠] .

(١) ترجمة ابن النشائي ستأتي برقم ٧٩ ؛ ولغز المؤلف هناك ، وانظره في أعيان العصر ٣٦٩/٢ .

(٢) الأبيات في أعيان العصر .

(٣) ترجمته في : أعيان العصر ٣٨٤/٢ والذَّور الكامنة ١١٦/٢ .

- وفاته سنة ٧٦٢ هـ . ولعله قد قارب السُّتَيْنِ أو تعدّاها بقليل .

(٤) النص بشره وشعره في أعيان العصر .

يا مولانا ، هذا لُغْرُكَ^(١) بَدِيعُ الْمَعْنَى ، بَعِيدُ الْمَبْنَى ، يَرَشِّفُهُ السَّمْعُ
سُلَافَةً ، وَيَتَلَقَّهَ الْبَصَرُ وَزِدَا جَيِّتًا مَتَى أَرَادَ اقْتِطَافُهُ ؛ قَدْ أَغْرَبْتَ فِي قَصْدِهِ ،
وَأَحْكَمْتَ عَقْدَ بَنْدِهِ ، دَلَّنِي عَلَى مَعْنَاهُ حُسْنُ مَبْنَاهُ ، وَقُرَّبُ الْبَيَانِ مِنْ مَعْنَاهُ ،
فَلَكَ الْفَضْلُ فِي حَلِّهِ ، وَسَحَّ وَابِلُهُ وَطَلَّهُ .

ومن غرائبِ خواصِّهِ ، أَنَّهُ أَخَذَ مِنَ الْحَلَاوَةِ وَاللَّبَنِ حَظًّا ، وَمَتَى صَحَّفْتَ
ثَلَاثَةَ أَحْصَاسِهِ عَادَ « فُظًّا » ؛ قَدْ رَاقَتِ الْعُيُونُ مَلَاحِظَتُهُ ، وَحُشِيَتِ الْقُلُوبُ
حَلَاوَتُهُ ، يَخْتَصُّ بِشَهْرِ رَمَضَانَ ، لِأَنَّ فِي قَلْبِهِ حَلَاوَةً كَحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ ، بَعْضُهُ
يُقَلِّى ، وَكُلُّهُ مَحْبُوبٌ ، وَآخِرُهُ تَحْتَ الْقَطْرِ ، وَأَوَّلُهُ فَوْقَ الْجَمْرِ الْمَشْبُوبِ ،
يَرَوْفَكَ إِذَا نَثَرْتَ عِقْدَهُ ، وَفَصَّلْتَ زَوْجَهُ وَفَرَدَهُ ؛ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْكَوَاعِبِ إِذَا
اشْتَمَلَتْ بِالْمَنَاشِيفِ الْمُحْمَلِ ، وَأَحْسَنُ مَا تَرَى تُرَيَّاها إِذَا اجْتَمَعَ شَمْلُهَا
وَتَكَمَّلَ ، وَالْيَقِينُ مَا تُنْشِدُ إِذَا جَفَتْ ثَرَاها ، وَانْفَصَمَتْ عُراها^(٢) : [من الطويل]

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارِمِي عَلَى الْبَلِيِّ وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَزَعَائِكَ الْقَطْرِ

* * *

حَرْفُ السَّيْنِ

٤٠ * سُلَيْمَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ^(٣) :

القاضي الفاضل ، عِلْمُ الدِّينِ ، مُسْتَوْفِي الصُّخْبَةِ بِالشَّامِ الْمُحْرُوسِ ،

(١) في أ : يا مولانا لغرك . . .

(٢) البيت الذي الرُّمَّةُ ، في ديوانه ٥٥٩/١ .

(٣) ترجمته في : أعيان العصر ٤١٣/٢ والوافي بالوفيات ٣٤٠/١٥ وتذكرة النبيه ٥٥/٣ والذعر الكامنة ١٤٠/٢ والنجوم الزاهرة ١٠٨/١٠ والمنهل الصافي ١٥/٦ والدليل الشافي ٣١٥/١ .

- وفاته سنة ٧٤٤ هـ . وولادته سنة ٦٧٧ هـ .

- في أ : سلمان بن إبراهيم .

المعروف بابن كاتِبٍ قَرَأْتُكَ .

● كَتَبَ إِلَيَّ مِنْ دِمَشْقَ الْمُحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ ٧٣٣^(١) : [من البسيط]

يَا غَائِبًا غَابَ عَنْ عَيْنِي فَلَمْ تَنَمْ وَذَاهِبًا فَضَّلُهُ قَدْ شَاعَ فِي الْأَمَمِ
سَافَرْتَ عَنَّا فَطَالَ اللَّيْلُ فِي سَهْدِ فَنَحْنُ بَعْدَكَ فِي ظُلْمٍ وَفِي ظُلْمٍ
آنَسْتَ مِصْرًا وَأَوْحَشْتَ الشَّامَ فَيَا خُلُوهُ مِنْ حُلَى الْأَدَابِ وَالْكَرَمِ
لِيَهْنِ مِصْرَ صَلَاحِ الدِّينِ كَوْنُكَ فِي أَرْجَائِهَا كَاتِبًا فِي أَشْرَفِ الْخِدْمِ
جَمَلْتَ دِيْوَانَ إِنْشَاءِ حَلَلْتَ بِهِ يَا خَيْرَ حَبْرٍ يُوشِي الطَّرْسَ بِالْقَلَمِ
فَمَا مُحَيَّاكَ إِلَّا بِدُرِّ دَاجِيَةٍ وَمَا يَمِينُكَ إِلَّا رُكْنُ مُسْتَلِمِ
سُقِيًا لِأَيَّامِ أَنْسٍ كَانَ رَوْقُهَا بِفَضْلِ أَنْسِكَ فَيُنَا وَافِرِ الْقَسَمِ
نَجْنِي فَضَائِلَكَ الْغُرَّ الْجِسَانَ وَلَا نَعْبًا بِرَوْضِ سَقَاهُ هَاطِلُ الدَّيَمِ
أَقْسَمْتُ لَا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْجَوَاهِرِ فِي عَقْدٍ وَبَيْنَ الَّذِي تُبْدِي مِنَ الْكَلِمِ
فَاللَّهُ يُبْقِيكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ فِيمَا تُرَجِّيهِ فِي سَعْدٍ وَفِي نَعَمِ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ^(١) : [من البسيط]

بَالِغَتْ فِي الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ وَزِدَتْ فِي شَرَفِ الْأَخْلَاقِ وَالْهَمَمِ
وَمَا رَضِيتُ بِغَايَاتِ الْأُولَى سَبَقُوا إِلَى الْمَعَالِي وَلَا تَرْضَى بِعَزْمِهِمْ^(٢)
حَتَّى تَجُوزَ عَلَى الْجُوزَاءِ مُرْتَقِيًا إِلَى مَعَالِي لَمْ تَخْطُرْ بِفِكْرِهِمْ
وَتُذْرِكَ الْمَجْدَ سَبَاقًا وَشُغْلُهُمْ فِي عَثْرَةِ الْقَوْلِ أَوْ فِي عَثْرَةِ الْقَدَمِ
كَمَا اجْتَهَدْتُ لَعَلِّي أَنْ أَفُوزَ فَلَمْ أَفُزْ سِوَى مَرَّةٍ فِي الدَّهْرِ بِالْخِدْمِ
وَأَبْعَدْتُنِي اللَّيَالِي بَعْدَ ذَاكَ وَفِي قَلْبِي حَلَاوَةٌ ذَاكَ اللَّطْفِ وَالشِّيمِ

(١) القصيدة في أعيان العصر .

(٢) سقط عجز هذا البيت وصدر الذي يليه من م . فتلفق ما بقي منهما ! .

« فَكُنْتُ كَالْمُتَمَنِّي أَنْ يَرَى فَلَقًا
فَلَيْتَ دَهْرِي يَسْخُو لِي بِشَانِيَّةٍ
وَأَجْتَلِي أَوْجَهَ اللَّذَاتِ سَافِرَةً
[١٧٦] فَمَا خَلَا ثِقْلَكَ الْحُسْنَى الَّتِي بَهَرَتْ
أَوْ نَسَمَةَ خَطَرَتْ بِالْبَانِ نَفَحَتُهَا
وَمَا عِبَارَتُكَ الْمُثْلَى سِوَى دُرِّ
كَمْ التَّقَطُّتُ وَمَوْلَانَا يُسَامِرُنِي
وَكَمْ مَعَانٍ كَأَنَّ السَّحَرَ نَضَّدَهَا
نَعَمْ وَأَيَّاتُ شِعْرِ رَاقٍ مَوْرِدُهَا
أَهْلًا لِأَيَّامِنَا بِالْخَيْفِ لَوْ بَقِيَتْ
يَا سَيِّدًا بِنْدَى يُنْمَاهُ صَحَّ لَنَا
وَمَاجِدًا جَدَّ فِي كَسْبِ الْعَلَا فَعَدَا
شَوْقِي إِلَى لَثَمِ ذَاكَ الْكَفِّ زَادَ عَلَى
وَوَحْشَتِي لِمَحْيَاكَ الْجَمِيلِ هَلْ اسْدَ
وَحْشَتِي لِفَوَاتِ الْقُرْبِ مِنْكَ كَمَا
فَهَذِهِ بَعْضُ أَشْوَاقِ أَكَابِدُهَا
أَظْهَرْتُ وَجْدِي وَلَمْ أَكْتُمْ لَوَاعِجُهُ

من الصَّباحَ فَلَمَّا أَنْ رَأَهُ عَمِي ^(١)
حَتَّى أَعُودَ إِلَيْهَا عَوْدَ مُغْتَنِمٍ
عَنْ كُلِّ مَغْنَى حَوَى صِنْفًا مِنَ النِّعَمِ
عَقْلِي سِوَى زَهْرٍ فِي الرُّوضِ مُتَنَسِّمٍ
وَلَا أَقُولُ سَرَتْ بِالضَّالِّ وَالسَّلَمِ
وَالنَّاسُ تَحْسَبُهَا ضَرْبًا مِنَ الْكَلِمِ
جَوَاهِرَ الْفَضْلِ وَالْآدَابِ وَالْحِكَمِ
لَمْ تُبْقِ عِنْدِي عَقَابِيلاً مِنَ السَّقَمِ
لَمْ أَنْسَهُنَّ وَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قِدَمِ
عَشْرًا وَوَاهَا عَلَيْهَا كَيْفَ لَمْ تَدُمِ
أَنَّ الْعَمَامَ بِخَيْلٍ غَيْرُ مُنْسَجِمِ
تَخَشَّى الصَّوَارِمُ مِنْهُ صَوْلَةَ الْقَلَمِ
شَوْقِ الرِّيَاضِ إِذَا جَفَّتْ إِلَى الدَّيَمِ
تَوَحَّشَتْ قَطُّ لِيَذِرَ التَّمَّ فِي الظُّلَمِ
تَحَسَّرَ السَّاهِرُ الْمُضْنَى إِلَى الْحُلَمِ
فِي وَصْفِهَا قَلَمِي سَاوَى لِنُطْقِ فَمِي
وَمَنْ يُطِيقُ خَفَا نَارٍ عَلَى عِلْمِ

٤١ * سليمان بن داود بن سليمان بن محمد بن عبد الحق ^(٢) :

الشيخ الإمام ، القاضي ، صدر الدين ، أبو الربيع بن الشيخ ناصر الدين

(١) البيت بلا نسبة في الغيث المسجم ٤٠٦١ .

(٢) ترجمته في : الوافي بالوفيات ٣٨١/١٥ وأعيان العصر ٤٣٦/٢ وتذكرة النبيه ٢٣٦/٣ والمتقى من
درة الأسلاك ٢٦١ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١٧٠/٢ والذعر الكامنة ١٤٩/٢ والنجوم الزاهرة
٣٣٦/١٠ والمنهل الصافي ٣١/٦ والدليل الشافي ٣١٧/١ والذيل التام ١٧٣/١ والطبقات السنية
٥١/٤ وشنرات الذهب ٣٢٨/٨ .

- مولده سنة ٦٩٧ هـ . ووفاته سنة ٧٦١ هـ .

ابن عبد الحق الحنفي ، موقع الدست الشريف بالقاهرة .

● كُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ ، وَقَدْ وَرَدَ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٥٢
وَقَدْ أَرَادَ الْعَوْدَ إِلَى الْيَمَنِ : [مِنْ الْبَسِطِ]

يَا مَنْ أَبَاعَ دِمَشْقَ الشَّامِ بِالْيَمَنِ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ إِنْسَانًا سِوَاكَ رَأَى
هَذَا وَكَمْ نِلْتُ فِي سَاحَاتِهَا وَطَرَأَ
وَكَمْ رَشِفْتُ سُلُفًا مِنْ أَقَاحِ فَمٍ
وَكَمْ ظَفِرْتُ بِمَنْ لَوْلَا مُحَاسِنُهُ
وَمَا بَرَحْتَ أَمْرًا فِينَا أَخَا حَكَمٍ
فَكَيْفَ تُخَدِّعُ عَنْ هَذِي الْمَحَاسِنِ أَوْ
لَكِنَّ عَذْرَكَ بَادٍ فِي الرُّجُوعِ إِلَى الْإِلَهِ
ابْنِ الْمُؤَيَّدِ ذِي الْبَطْشِ الشَّدِيدِ هَزَبَ
ابْنَ الْمُطَفَّرِ بِالْأَعْدَاءِ يُوسِفَ لَا
ابْنَ الْمَلِكِ الَّذِي قَادَ الْعَسَاكِرَ نُو
«الْعَارِضِ الْهَتَنِ ابْنِ الْعَارِضِ الْهَتَنِ ابْنِ
مُلُوكٍ بَيْتٍ إِلَى أَيُّوبَ نَسَبُهُ
أَيَّامُهُمْ لِلنُّورِ نُوْرٌ بِلا ظُلَمٍ
قَدْ ذَلَّلُوا كُلَّ صَعْبٍ مِنْ سِيَاسَتِهِمْ
سَلُّوا السُّيُوفَ فَسَلُّوا مِنْ ضَمَائِرِهَا
كَمْ وَرَدُوا خَدَّ أَرْضٍ مِنْ عَدُوِّهِمْ

وَقَدَّمَ السَّيْرَ لَا يَلُوي عَلَى سَكَنِ
جَنَاتٍ عَدَنِ فَعَدَّاهَا إِلَى عَدَنِ
وَكَمْ عَمَزَتْ بِهَا لِلَّهِو مِنْ وَطَنِ
وَكَمْ رَأَيْتَ بِهَا بَدْرًا عَلَى غُصْنٍ
وَلُطْفُهُ خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ
وَكُلُّ أَفْعَالِهِ تَجْرِي عَلَى سَنَنِ
تُجَوِّزُ الْعَدْلَ فِيهَا مِنْكَ فِي أُذُنِ
سَمَلِكِ الْمُجَاهِدِ مَوْلَانَا أَبِي الْحَسَنِ
رِ الدِّينِ دَاوُدَ رَبِّ الْفَضْلِ وَالْمِنَنِ
جَفَّتْ مَضَاجِعُهُ هَطَّالَةَ الْمُزْنِ
رِ الدِّينِ وَالنَّصْرُ مَعَهُ انْقَادَ فِي رَسَنِ
نِ الْعَارِضِ الْهَتَنِ ابْنِ الْعَارِضِ الْهَتَنِ ^(١)
أَكْرَمَ بَيْتٍ عَلَى تَقْوَى الْإِلَهِ بُنْيَ
وَالظُّلْمَ لَوْ حَلَّ فِي أَفْئَاتِهِمْ لَفَنِي
بِالْمُرْهَفَاتِ أَوْ الْخَطَاةِ اللَّذُنِ
مَا كَانَ فِيهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ إِحْنٍ
وَقَوَّمُوا أَوْدًا مِنْ قَامَةِ الزَّمَنِ

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢١٦/٤ .

وكم أسالوا دماً في يوم حربهم
وأنت عندك من كل البضائع في
فليس ينكر أن تهدي نفائسها
من راح يعرف ما استبضعت من درر
وفضله في علوم الناس فض له
تجده بخرأ وخبراً في فوائده
وكفه وكفه بالجود متصل
نام الأنام بعدل طاب عيشهم
يغنى بفضل قضايا كل مشكله
دع الملوك الكرام الذاهبين فهـ
ومن تكن هذه أوصاف سؤديه
فاخت لأبوابه العليا بنات سري
واسعد برؤيته وانبشز بطلعته
ففي تعز تعز النفس منك متى
فاذكر هناك مجباً لم يخنك ولا
« إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا

● فكتب هو الجواب إلي عن ذلك .

● وكتب إليه وهو بالقاهرة^(٢) : [من السريع]

فخصبوا السيف لما زينتوا الزني
شنى علوم الورى والسوق باليمن
[١٦٨] لمن غدا يبدل الغالي من الثمن
بل عنده ضعف ما تهديه من حسن
ختم البدائع فاستفتيه وامتحن
توزي فصاحته بالقالة اللسن
فكل من هو في تلك الديار غني
به فهم من جنى الجنات في جن
حتى يفرق بين الماء واللبن
لذا سيف الاسلام لا سيف بن ذي يزن
تجب مدائح في السر والعلن
في البر بالعيس أو في البحر بالشفن
واملاً جفونك بعد الشهد بالوسن
حلت وتغسل ما لاقيت من درن
تنس الوفاء له إن كنت ذا شجن
من كان يالفهم في المنزل الحسن^(١)

ذكرك صدر الدين أنساني ملعب أوطاري وأوطاني

(١) ينسب لأبي تمام في الإعجاز والإيجاز ١٢٥ و ٢٢٦ وليس في ديوانه ، ولإبراهيم بن العباس الصولي ، في ديوانه ١٧٧ ولدعل في ديوانه ٤٦٢ .
(٢) هذه المقدمة والقصيدة ، ساقطة من س .

واشتعلت نفسي بتكراره
ومقلتي عبرتها من دمي
وذلك في قلبي غدا داخلاً
أقسمت لو جهزت كتبي على
كل بريد كل من حملها
يا سيّداً فض له فضله
فالحق ما تبعد أقواله
سرت إلى مضر سقاها الحيا
فئولتك الأمل المرتجى
وأجلست شخصك في دسها
توقع إن وقعت في قصة
وتوصل الحق إلى ربه
فاهنأ بما أوتيت من رتبة
ودع معاديك يمت حسرة
وقل لدست الملك لا تنصدع

فاشتعلت منه بينيران
طافت على خدي بطوفان
ومن هوى غيرك براني
مقدار أشواقي وأشجاني
وهج منها كل هجان
كمام علم ذات ألوان
من ابن عبد الحق في شان
تجاذب العيس بأزسان
من قزب ذي عز وسلطان
صدراً أميناً غير خوان
بكل ذي ظلم وعذوان
وتزغم المبطّل والجاني
مكانها من فوق كيوان^(١)
ما بين سجين وسجان
فأنت في جزر سليمان^(٢)

● وكتب هو إلي من القاهرة المحروسة : [من الوافر]

بعذت فما لأجفاني رقاد
وليلي ما له أبداً صبا^(٣)
خليل بنت عنه وبان عني
فهل لفساد أحوالي صلاح

(١) في ب : × مقامها . . .
(٢) في أ ، ب : . . . لا ينصدع × .
(٣) في أ ، ب : × . . . صلاح ! .

● وكتب هو إليّ قرينَ تينَ معرِّي وصابون : [من الكامل]

أَهْدَيْتُ تِيناً لِلَّذِي مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَفْتَحَ الْمَخْتُومَ بِالْمَخْتُونِ
وَحَشِيتُ أَنَّ الشَّرْطَ يَتَّبِعُهُ الْجَزَا فَأَتَيْتُهُ بِالتَّيْنِ وَالصَّابُونِ

● فكتبتُ أنا الجوابَ عن ذلك : [من الكامل]

حَاشَا لِشَرْطِكَ أَنْ يُقَابَلَ بِالْجَزَا فَيَكُونُ مُخْتِاجاً إِلَى صَابُونِ
[٦٨ ب] لَمْ تُهْدِهِ تِيناً تَفْتَحُ أَبْيَضاً إِلَّا لِأَنَّ أَلْقَاهُ بِالزَّيْتُونِ
٤٢ * (سليمان بن داود^(١)) :

القاضي جمال الدين بن القاضي عَلم الدين ، المصري ؛ كاتبُ الإنشاء
الشريف يحلب المحروسة .

● كتب إليّ عند أوّل قدومي إليها في شعبان ، سنة ٧٥٩ : [من الكامل]

فَصَحَّ الَّذِي أَخْفَى هَوَاهُ فَبَاحَا حُبٌّ لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ أَبَاحَا
وَبَكَى فَأَضْحَكَ عَازِلِيهِ جَهَالَةً وَرَثَى لَهُ حَتَّى الْحَمَامِ وَنَاحَا
وَأَخُو الْهَوَى طَوَّعَ الْغَرَامَ عَصَى لِمَنْ لَاقَى بِتَعْدَادِ الْمَلَامِ وَلَا حَى
هَيْهَاتَ هَلْ تَلِجُ الْمَلَامَةُ سَمْعَ مِنْ عَشْقٍ أَسِيرٍ لَا يُرِيدُ سَرَاحَا^(٢)
أَمْ كَيْفَ يَسْلَمُ مُسْلِمٌ مِنْ فِتْنَةٍ وَالذَّهْرُ قَدْ مَلَأَ الْوُجُودَ مِلَاحَا

(١) ترجمته في : المتقى من دَرَةِ الْأَسْلَافِ ٤٦٠ والذيل على العبر ٤٥٩/٢ ودرر العقود الفريدة ١١٢/٢
وإنباه الغمر ٢٠٩/١ والذَرَرُ الْكَامِنَةُ ١٥١/٢ والنجوم الزاهرة ١٤٤/١ والمنهل الصافي ٣٣/٦
والدليل الشافي ٣١٨/١ .

- وفاته سنة ٧٧٨ عن نحو من خمسين سنة .

- الترجمة بطولها من ب فقط .

(٢) في البيت تقديم وتأخير ، تقديره : سمعَ أسير من عشقٍ لا يريدُ سَراحَا .
وروايته في ط : . . . سمعَ مَنْ عَشِقَ الْأَسِيرَ وَلَا يُرِيدُ سَرَاحَا .

مِنْ كُلِّ ذِي قَدٍّ وَلَحْظٍ فَاتِيكِ
خَلَبِ اللَّوَاظِظِ شَاطِرِ الْحَرَكَاتِ مُزْ
كَالظُّبِيِّ أَوْ كَالْغُضَنِ أَوْ كَالصُّبْحِ أَوْ
فَضَحَ الْغَزَالَةِ وَالْغَزَالِ مُحَاسِنَا
يَبْدُو بِخَدِّ نَاعِمٍ وَبِمَبْسَمٍ
وَمَلِيحَةٍ مِثْلَ الشُّيُوفِ جُفُونُهَا
عُلِقَتْهَا طَوَّعَ الْغَرَامِ وَخَاطِرِي
تَجَلُّو لَنَا وَجْهًا بَدِيعًا نَاضِرًا
وَمَرَاشِفًا مِثْلَ الْعَقِيقِ وَوَجْنَةً
وَزَوَادِفًا مِثْلَ الْكَثِيبِ يُقْلُّهَا
تُرْكِيَّةٌ تَهْوَى التَّنَافُرَ وَالْجَفَا
تَسْقِي الْمُحِبَّ بِكَاسِهَا وَحَدِيثُهَا
لَثَمَتْ مَزَارِي حِينَ زَارَتْ فِي الدُّجَى
وَضَمَمَتْهَا ضَمَّ الْعَفَافِ يُظْلِنَا
كَمْ بَتَّ أَجْنِي مِنْ ثِمَارٍ وَصَالِهَا
شَهْلَاءُ تُبْدِي نَزْجَسًا مِنْ لَحْظِهَا
لِلَّهِ أَيَّامٌ حَزِنْتُ لِفَقْدِهَا
جَارَتْ عَلَيَّ وَمَا اجْتَرَحْتُ جِنَايَةً
وَصَبِيحَةً وَاصَلْتُهَا بِغُبُوقِهَا
وَلَرُبَّ عَذْرَاءَ الدُّنَانِ سَبَّأَتْهَا
فِي لَيْلَةٍ ظُلُمَاءَ خَافِرِ نَجْمِهَا
أَيَّامَ جَرَّ ثَرَى ذِيُولِ شَبِيبَتِي
لِلْفَتَنِكَ جَرَّدَ ذَابِلًا وَصَفَاحَا
رِ الْهَجْرِ قَاسٍ لَا يَلِينُ جِمَاحَا
كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْبَدْرِ لَمَّا لَاحَا
وَجْهًا وَجِيدًا جِيدًا وَمَرَاحَا
فَيُرِيكَ وَزْدًا أَحْمَرًا وَأَقَاحَا
حَمَلَتْ بِهَا نَحْوَ الْمُحِبِّ سِلَاحَا
هَيْفَاءَ حَوْرَاءِ الْجَمَالِ رَدَاحَا
وَنَوَاطِرًا مَرْضَى الْفَتُورِ صِحَاحَا
مِثْلَ الشَّقِيقِ وَمَنْظَرًا وَصَاحَا
خَصُرٌ نَحِيفٌ لَا يُطِيقُ وَشَاحَا
تَرَكْتُ بِهِ أَهْلَ الْهَوَى أَشْبَاحَا
وَرُضَابِهَا فِي كُلِّ حِينٍ رَاحَا
فَوَشَى بِنَا وَاشِي الْعَبِيرِ وَبَاحَا
ثَوْبُ الْوَقَارِ فَلَا أَخَافُ جُنَاحَا
خُلُوعًا وَأَغْصَانُ الشُّرُورِ كِفَاحَا
غَضًّا وَمِنْ وَجَنَاتِهَا تَفَاحَا
كُنَّا بِهَا نَقْضِي الشُّرُورَ فِرَاحَا
وَمَضَتْ وَأَبْقَتْ فِي الْفَوَادِ جِرَاحَا
وَبَكَرْتُ أَسْتَجْلِي الْوُجُوهَ صَبَاحَا
مَعَ مَا جِدَّ أَلْقَى الْوَقَارَ قَطَاحَا
فَعَدْتُ لَنَا حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحَا
مَغْدَى إِلَى فَرَصِ الْهَوَى وَمَرَاحَا

قد كُنتُ أَرْجُو بِالْقَرِيضِ وبالصِّبَا
 كم قُلْتُ لِلْأَدَبِ الَّذِي أَشْوَاقُهُ
 ذَهَبَ الصِّبَا والشَّعْرُ أَرْحَصُ سِغْرُهُ
 قد أَضَحَّتِ الشَّهْبَاءُ تَرْوِي الْعَمْرَ عَنْ
 فَأَجَابَ بَعْدَ فَسَادِهِ وَكَسَادِهِ
 الْكَاتِبُ السَّرَّ الَّذِي بَعْلُومِهِ
 بِبِلَاغَةٍ إِنْ أَرَعَبَتْ ضَاقَ الْفَضَا
 وَبِرَاعَةٍ مَشْكُورَةٍ مَشْهُورَةٍ
 وَبِرَاعَةٍ كَالسَّيْفِ مَاضٍ حَدُّهَا
 وَمَكَارِمٍ بِصَنِيْعِهَا مَلَكُ الْوَرَى
 بَخْرُ النَّدَى ، حَبْرُ الْعُلُومِ ، بِبَابِهِ
 نَذَبٌ إِذَا انْتَدَبَ الْبِرَاعَةُ أَبْصَرَتْ
 يَا مَا جِدَا أَلْفَ الْمَعَالِي فَاعْتَدَى
 قَلَّدَتْ جِنْدَ الدَّهْرِ جُوداً سَخْبُهُ
 أَوْزَى بُنُورِ الْمَجْدِ قَدْ حُكَّ زَنْدُهُ
 بُشْرَى بَنِي الشَّهْبَاءِ مِنْكَ بِقُبْلَةٍ
 قُلْ لِلَّذِي صَاغَ الشَّاءَ قَلَانِدَا
 صَرَّخَ بِمَدْحِ أَخِي الْمَائِرِ وَالْعُلَا
 فَلَيْهِنَ أَهْلَ الْفَضْلِ مِنْهُ بِفَاضِلِ
 إِنَّهُ صَلَاحُ الدِّينِ والدُّنْيَا الَّذِي
 وَأَخَذَتْ لِلْعِلْمِ الْكَرِيمِ قَوَارِيسَا
 إِذْ صُنَّتْ عِزْضَا لَا نَظِيرَ لَصَوْنِهِ

دَهْرًا بِهِ يَنْجُو الْأَدِيبُ نَجَاحَا
 بَارَتْ وَضَرَّ رُؤَاةَهُ وَاجْتَا حَا
 حَتَّى لَقَدْ أَضْحَى الْقَرِيضُ مُزَا حَا
 غُمِرَ وَوَرَدُ رُؤَاةِهَا الصُّخْرُ حَا
 إِنِّي لَأَرْجُو بِالصَّلَاحِ صَلا حَا
 أَضْحَى لِأَفَاقِ الْعُلَى مُضْبَا حَا
 أَوْ أَرَعَبَتْ حَكَمَتِ السَّمَاءِ سَمَا حَا
 إِعْجَازُهَا قَدْ أَعْجَزَ الْمُذَا حَا
 أَمْسَى لِلْأَبْوَابِ الْعُلَا مِفْتَاحَا
 فَضَحَ الْغُيُوثُ بِهَا فَرُخْنَ شِحا حَا
 تَجِدُ الْمُتَاجِرَ بِالْقَرِيضِ رِبَا حَا
 حُسَاؤُهُ الْقَدْرَ الْمُطَاعَ مَتَا حَا
 يَهْوِي غُدُوًّا نَحْوَهَا وَرَوَا حَا
 يَرَوِي الْبِلَادَ عَوَالِيَا وَبَطَا حَا
 بِيَمِينِ عِلْمٍ لَا يَمَسُّ قِدَا حَا
 لِلْمَجْدِ قَرَبَ رَبِّهَا فَأَرَا حَا
 كَالْمِسْكِ فَاقَ شَدَا الرِّيَاضِ فَفَا حَا
 وَكَثُرَ فَقْدَ مَلِكِ الْفَخَارِ صَرَا حَا
 جَعَلَتْهُ عِزُّ عُلُومِهِ سَفَا حَا
 أَرْجُو لَدَيْهِ فِي الْعُلُومِ فَلَاحَا
 تُزْدِي الْعِدَى وَصَوَارِمَا وَرِمَا حَا
 بِمَكَارِمِ تَذَرُ النَّضَارَ مُبَا حَا

حَجَّتْ بَسُو الْأَمَالِ نَحْوَكَ تَبْتَغِي
 مَاتَ الْحَسُودُ وَقَدْ صَعَّدَتْ دُرَى الْعُلَا
 بِجُنُودِ كُتُبِ كَالْكَتَائِبِ قَدْ كَفَتْ
 كَمْ جَرَّدُوا قَبْلَ الْجِلَادِ جَدَالَهَا
 مَنْ قُسُ سَاعِدَةٍ وَمَنْ سَخْبَانِ وَ
 قَدْ شِمَتْ بَرَقَ الشَّامِ لَمَّا أَنْ عَلَا
 إِنِّي ظَمِئْتُ لِوَرْدِ بَخْرِ عُلُومِكُمْ
 وَاسْعِفْ بَلْفَظْكَ غَرَسَ فَضْلِكَ قَدْ دَنَا
 وَانْتَحَ أَحَادِيثَ الشَّاءِ إِجَارَةً
 وَاسْمُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَكَرَّهُ

مِنْكَ الْحِجَى يَا فَاضِلًا جَحْجَاحَا
 تُحْيِي بِطَيْبِ كَلَامِكَ الْأَزْوَاحَا
 نَصَرَ الْمُلُوكَ فَلَا يُرِيدُ كِفَا حَا
 فَاسْتَأْصَلَتْ فِرَقَ الْعَدُوِّ فَرَا حَا
 نِلَ فِي الْأَوَائِلِ ؟ مَا تَرَكْتَ فِصَا حَا
 بِكُمْ وَأَرْسَلَ وَابِلًا سَخَا حَا
 وَالْوَرْدُ نَاءٍ يُعْجِبُ الْمُتْلِحَا حَا
 مِنْكَ الْوُرُودُ وَأَمَكْنَ الْمُتْلِحَا حَا
 فَعَسَايَ أَسْنِدُهَا إِلَيْكَ صَحَا حَا
 يُبْدِ الشَّرُورَ لِرَبِيعِكَ الْأَفْرَا حَا

● وَكُتِبَ إِلَيَّ جَوَابًا ، وَقَدْ وَقَفَ عَلَى اللَّغْزِ الَّذِي نَظَّمْتُهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ،
 وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي ذِكْرِ الشَّيْخِ شَرَفِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ ، وَفِي ذِكْرِ الْقَاضِي
 فخر الدِّين عبد الوهَّاب : [من السريع]

مَتَّعَنَا اللَّهُ بِآدَابِكَ الْ
 أَلْغَزَتْ شَهْرًا عَظَمْتَ قَدْرَهُ الْ
 وَفِيهِ رُؤْيَانٌ تَأْتَى لَهُ
 وَعَكْسُهُ « أَضْمِرْ » مَعَ حَذْفِ مَا
 فَهَمَّتُهُ فَا فُصِّحَ لَنَا سَيِّدِي
 أَجْزَاؤُهُ فِي عَدِّهَا خَمْسَةٌ
 خُمْسَاهُ خُسْرَانٌ وَإِنْ صُحِّفَا
 وَإِنْ عَكْسْنَاهُ وَصَحَّفْتَهُ

سَلَّاتِي تُرَوِّي غَلَّةَ الْقَلْبِ
 عُجْجُمٌ مَعَ الْأَتْرَاكِ وَالْعُزْبِ
 أَكُلُهُ جِلَاً بِلا ذَنْبِ
 يُلْقَى لَهُ قَلْبٌ بِلا قَلْبِ
 عَنْ مُدْغَمِ الْإِجْرَاءِ بِالْكَتِبِ
 ثُلُثٌ لَهُ كَالثَّلِّ بِالْقَلْبِ
 شَيْءٌ بِمَا فِي سِرِّنَا يُثْبِي
 فَتَوْبُكُمُ بِالْفَخْرِ ذُو عُنْبِ

● وَكُتِبَ إِلَيَّ قَرِينَ عِبَادَةٍ بَيْنَاءٍ وَمُثَرِّرَ أَسْوَدَ : [من مجزوء الكامل]

سِرِّيَا قَرِيضُ لِبَابٍ مَن
وَاسْأَلْ قَبُولَ هَدِيَّتِي
قَدْ دُبَّجَتْ أَوْصَافُهُ
فَبَيَّاضُهَا مَن كَفَّهِ
بَخَرُ الْعُلُومِ بِمَـؤَرِدِهِ
مَن عَمَّنَا بِئَدَى يَدِهِ
مَن لَوْنُهَا بِمَنْصُودِهِ
وَسَوَادُهَا مَن سُودِدِهِ

● فكتبْتُ أنا الجوابَ إليه : [من مجزوء الكامل]

وَافِي قَرِيضُكَ مَاحِيَا
وَقَرِينُهُ الْفَضْلُ الَّذِي
خَلَّدَ نَقِيَّ زَانَهُ
فَأَنَالَني مَن جُودِهِ
ظَلَمَ الدُّجَى بِتَوَقُّدِهِ
عُنُقِي أَزْدَهَى بِمُقْلَدِهِ
خَطَّ الْعِذَارِ بِأَسْوَدِهِ
وَأَمَالَني بِمَجَرَّدِهِ
إِنْ تَبَتَّ دِغْ فَتَتَّ الْوَرَى
وَفَضَّلْتُهُمْ إِنْ تَبَتَّ دِهِ

● وَتَوَجَّهْنَا إِلَى حِمَاةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَكَانَ مَعَنَا ، فَنَظَرْتُ وَنَحْنُ سَانِرُونَ
إِلَى الطَّرِيقِ وَتَعَارِيحِهَا ، وَعَدَمَ اسْتِقَامَتِهَا وَتَلَوَّيْهَا ، فَقُلْتُ أَنَا : [من الوافر]

سَلَكْنَا الْبَيْدَ مَعَ سَادَاتِ قَوْمٍ
وَوَضَعُ الطَّرِيقِ يَبْدُو فِي اخْتِلَافٍ
لَهُمْ هِمَمٌ إِلَى الْعَلِيَا سَرِيعَةٍ
كَحَيَاتٍ قَدْ انْسَابَتْ مَرُوعَةٍ

● وَنَظَّمُ الْمَوْلَى جَمَالَ الدِّينِ الْمَذْكُورِ سُلَيْمَانَ : [من البسيط]

وَأَبْيَضُ الطَّرِيقِ يَزْهُو بَيْنَ أَحْمَرِهَا
يَمْشِي اسْتِوَاءً وَطَوْرًا يَلْتَوِي مَرَضًا
فَاعْجَبَ لَهُ بَيْنَ تَلَوِينِ وَتَكْوِينِ
مِثْلَ الْجَدَاوِلِ مَا بَيْنَ الْبَسَاتِينِ (١)
٤٣ * سَعْدُ اللَّهِ بْنِ حَيْدَرَ :

الشَّرِيفُ السَّيِّدُ الْكَاتِبُ ، النَّاطِمُ ، سَعْدُ الدِّينِ ، الْحُسَيْنِيُّ ، الْبَغْدَادِيُّ .

● كَتَبَ إِلَيَّ بِدَمَشَقِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ٧٥١ : [من الكامل]

إِقْرَارُ عَازِلِهِ بِأَن لَّمْ يَعْشَقِ
لَوْنَالَهُ مَا نَالَهُ مِنْ مِخْنَةٍ
أَخِيبَ بِسَهْدٍ كَالْهُمُومِ مُجَمِّعٍ
لَا تَعْجَبَنَّ وَلَكِنْ تُطِيقُ إِذَا أُمْتَلَأَ
بِخَلْوِهَا بِقَرِيبِهِمْ وَمَا مِنْ شَأْنِهِمْ
خَيْرُ الْبِلَادِ لَدَيَّ بَغْدَادُ وَمَا
فَلَکُمْ رَأَيْتُ بِهَا غَزَالًا إِنْ رَأَى
أَلْفَى أَبَاهُ عَلَى الْمَوَدَّةِ نَاشِئًا
وَتَرَوْكُ الْأَشْجَارُ وَالْأَنْهَارُ إِنْ
فَتَظَلُّ نَشْوَانًا وَلَمْ تُضْبَحْ طِلَافًا
وَتَشْمُ مِنْ مِسْكِ الْأَرَاهِيرِ الَّتِي
مِنْ أَسْوَدٍ فِي أَحْمَرٍ أَوْ أَضْفَرٍ
لَكِنَّهَا تَدْعُ الْغَنَى إِذَا عَدَا
لَوْلَا صِلَاحُ الدِّينِ لَمْ يَضْلُخْ بِهَا
ذُو الْمَنْطِقِ الْعَذْبُ الَّذِي قَدْ أَضْبَحَتْ
لَوْ لَمْ يَكُنْ دُرًّا نَفِيسًا نَظْمُهُ
كَمْ جَاءَ بِالْمَعْنَى الْبَدِيعِ فَاجْتَمَعَ الْـ
لَوْلَاهُ لَمْ يُبْرِزْ ظِلَامُ النَّفْسِ لِلـ
عُذْرُ لَهُ وَلِكُلِّ صَبٍّ شَيْقٍ (١)
وَمَحَبَّةُ أَبْدَى مَقَالَةٍ مُشْفِقٍ
عِنْدِي وَصَبْرٍ كَالْجُنُونِ مُفَرِّقٍ
غَزَبُ الدُّمُوعِ لِبُعْدِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ
بُخْلُ فَمَا فِي الثَّوَمِ يَوْمًا نَلْتَقِي
وَالْتِ وَإِنْ كَثُرَتْ مُحَاسِنُ جِلْقٍ
شَرَكًا أَتْنَحُ لِصَنِيدِهِ لَمْ يَفَرِّقِ
فَوْدَادُهُ خُلُقٌ بَغْيَرٍ تَخْلُقُ (٢)
مَيَّزَتْ بَيْنَ مُقْبِدٍ أَوْ مُطْلَقٍ
فَتَرَى قَرِينَ الْإِثْمِ أَوْ لَمْ تَعْبَقِ
تُزْهِى لِنَظَرِهَا بِلَوْنٍ مُوْنِقٍ (٣)
فِي أَيْبَضٍ أَوْ أَخْضَرٍ فِي أَزْرَقِ
تَبْعًا لِشَهَوْتِهِ قَرِينَ الْمُمْلِقِ
حَالِي وَلَمْ أَرْ غَيْرَ بَابٍ مُغْلَقِ
تَرَوِي الثُّفُوسُ بِمَائِهِ الْمُتَدَفِّقِ
مَا كَانَ فِي صَدَفِ الْقُلُوبِ الْمُلْصَقِ
فُضْلاً فِيهِ أَنَّهُ لَمْ يُسْبَقِ
أَبْصَارِ أَنْوَارِ الصَّبَاحِ الْمُشْرِقِ

(١) في ب : × ولكل عبد يتق ! . وفي م : إقرار عاشقه

(٢) في ب : × نائياً [= نائياً] .

(٣) في ب : × الأَزاهر والتي × .

(١) ترجمته في : الدرر الكامنة ١٣٢/٢ .

- ولادته سنة ٧٢١ هـ .

- في أ ، م : الحسيني ! . وفي م : سعد الدين بن حيدر ! .

يَمْشِي بِمِيدَانِ الطُّرُوسِ يَرَاغُهُ
وَيَجِيءُ بِالْمَعْنَى الْمُرَادِ مُكَمَّلًا
لَا فَرْقَ بَيْنَ لِسَانِهِ وَيَرَاغِهِ
إِنْ شَاءَ إِنْشَاءً فَأَفْصَحُ مُحْسِنٍ
نَسَخَتْ عِبَارَتُهُ رِقَاعَ الْفَاضِلِ الـ
لَمْ يَغْلُ إِلَّا أَزْدَادَ حُسْنِ تَوَاضُعٍ
يَتَغَيَّ الْجَهْلُ مَكَانَهُ أَوْ بَعْضُهُ
إِنْ كُنْتُ قَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامًا مَضَتْ
لِأَفْوَزٍ مِنْهُ بِقَرْبِ خَيْرٍ أَرْتَجِي
فَلَمْ يَمْلُ شِعْرِي عِنْدَهُ غَالٍ إِذَا
شِعْرِي يَقُولُ أَجَدْتُ مَعْنَاهُ فَلَوْ
فَانْشُرُهُ فِي الْآفَاقِ يُنَسِّ بِذِكْرِهِ
هَذَا هُوَ الشَّعْرُ الَّذِي لَمْ يَغْصِبِ الـ
إِنْ يُكَسِّنْ أَسْمَالَ الْعِبَارَةِ غَيْرُهُ
فَيَحَارُ بَيْنَ جِبَائِهِ وَنَوَائِهِ
وَأَظْلُ فِي ظِلٍّ مِنَ الْإِحْسَانِ بَيْنَ
وَنَسِيمِ شِعْرِي لَا يَمُرُّ بِرَوْضَةٍ
لَا سَيْمًا وَقَدْ اِزْتَفَيْنَتْ مَحَلَّهُ
مِنْ شَاعِرٍ بِاللَّمَحِ يُدْرِكُ كُنْهَهُ
فَيَرَى حَقِيقَةَ أَنَّنِي كُنْتُ امْرَأً

هَوْنًا فَيُزْرِي بِالْجِيَادِ السُّبُوتِ
فَيَحِيلُ أَنْ يَأْتِيَ بِفَضْلِ مُلْحَقٍ
فَكِلَاهُمَا يُبْدِي بَيَانَ مُوَفَّقٍ
سَعَةِ الْعِبَارَةِ فِي الْمَجَالِ الضَّيِّقِ
حَاضِي وَلَمْ أَنْطِقْ بِغَيْرِ مُحَقِّقٍ^(١)
وَرَأَى التَّكْبِيرَ شَرًّا وَضَفَّ الْأَحْمَقُ
فَيَظْلُ مَمْنُونًا بِمَا لَمْ يُزْرَقِ
بِالْبُعْدِ عَنْهُ فَلَا أَصْبَحُ مَا بَقِيَ
وَأَفُوزَ مِنْهُ يُبْعِدُ شَرًّا أَنْتَقِي
هُوَ عِنْدَ ذِي جَهْلٍ بِهِ لَمْ يَنْفَقِ
فَاخَرْتُ كُلَّ مُفَوِّهِ لَمْ يَنْطِقِ
مَا كَانَ يَحْفَظُهُ حُدَاةُ الْأَيْتِقِ
مَعْنَى وَقَلَّ الْيَوْمَ مَنْ لَمْ يَسْرِقِ
فَلِبَاسُهُ مِنْ بَاهِرِ الْإِسْتَبْرَقِ
فِكْرِي لِأَيَّهِمَا الْمَدَائِحُ يَنْتَقِي
مَنْ الرُّوضِ مِنْهُ وَالْعَدِيرِ الْمُتَأَقِ
[٦٩] فَيُقَالُ مَرَّ بِهَا وَلَمَّا يَغْبِقِ
مِنْ شَاعِرٍ جَمَّ الْمَعَانِي مُفْلِقِ
وَيَجُولُ فِي مَعْنَى بِهِ مُتَعَلِّقِ
يَزْضِي بِقَوْلِ مُمَوِّهِ مُتَمَلِّقِ^(٢)

* * *

(١) في ب : × تحقق .

(٢) بعد ذلك في س : فكتب أنا جوابه . قلت : وليس ثم جواب .

حَرْفُ الشَّيْنِ

٤٤ * شافع بن علي بن إسماعيل بن عساكر^(١) :

الشَّيْخُ الْإِمَامُ ، الْكَاتِبُ الْبَلِغُ ، نَاصِرُ الدِّينِ الْكِنَانِي ، الْعَسْقَلَانِي ،
الْمِصْرِي ، ابْنُ أُخْتِ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ أَسْتَدْعِي إِجَارَتَهُ ، وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ سَنَةَ ٧٢٨^(٢) :

الْمَسْئُولُ مِنْ إِحْسَانِ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَالِمِ الْمُفِيدِ الْقُدْوَةِ ، جَامِعِ
شَمْلِ الْأَدَابِ ، قِتْلَةِ أَهْلِ السَّعْيِ فِي تَخْصِيلِهِ وَالذَّأْبِ^(٣) : [من الطويل]

أَخِي الْمُعْجَزَاتِ اللَّاتِي أَبَدَتْ طُرُوسَهُ كَأَفْقٍ بِهِ لِلنَّيِّرَاتِ ظُهُورُ
وَمَا تَمَّ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ فِي السَّمَاءِ وَهَذَا شُمُوسٌ كُلُّهُ وَبُودُورُ

الْبَلِغُ الَّذِي أَثَارَ أَوَائِدِ الْكَلِمِ مِنْ مَظَانِّ الْبَلَاغَةِ ، وَأَبْرَزَ عَقَائِلَ الْمَعَانِي
تَتَهَادَى فِي تَيَجَانِ أَلْفَاظِهِ ، فَجَمَعَ بَيْنَ صِنَاعَةِ السَّحْرِ وَالصِّيَاغَةِ ، وَأَبْدَعَ فِي
طَرِيقَتِهِ الْمُثُلَى فَجَلَّتْ عَنِ الْمِثْلِ ، وَأَنْبَتَ فِي رِيَاضِ الْأَدَبِ غُرُوسَ فَضْلِ
لَا تُقَاسُ بِدَوَاحِ الْبَابِ وَلَا الْأَثْلِ ، وَأَظْهَرَ نِظَامَهُ عُقُودًا حَلَّتْ مِنَ الزَّمَانِ كُلِّ
مَا عَطَلَ ، وَقَالَ لِسَانُ الْحَالِ ، مِمَّنْ يَتَعَاطَاهُ : مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلُ ، وَجَلَا عِنْدَ
نِثَارِهِ كَلِمَاتٍ مَقْصُورَاتٍ فِي خِيَامِهِ ، وَذَرَّ عَلَى كَافُورٍ قِرْطَاسِهِ مِسْكَ خِتَامِهِ ،

(١) ترجمته في : أعيان العصر ٥٠١/٢ والوافي بالوفيات ٧٧/١٦ ونكت الهميان ١٦٣ وفوات الوفيات
٩٣/٢ وتذكرة النبيه ٢٠٨/٢ والنجوم الزاهرة ٢٨٤/٩ والمنهل الصافي ١٩٦/٦ والدليل الشافي
٣٤٠/١ وحسن المحاضرة ٤٩٣/١ .

- ولادته سنة ٦٤٩ هـ . ووفاته سنة ٧٣٠ هـ .

(٢) نص الاستدعاء في أعيان العصر والوافي .

(٣) البيتان فقط في نكت الهميان .

ناصر الدين شافعي بن علي^(١) : [من السريع]

لا زال في هذا الوري فضلُهُ يسيرُ سِيرَ القَمَرِ الطالِعِ
حتى يقول الناسُ إذ أجمعوا ما مالِكُ الإنشا سوى شافِعِ
إجازة كاتِبِ هذه الأخرُفِ ما يجوزُ لَهُ روايته من كُتُبِ الحديثِ وأصنافِها ،
ومُصَنَّفَاتِ العلومِ على اختلافِها ، إلى غير ذلك كيفما تأدَّى إليه من مشايخِهِ
الذين أخذ عنهم ، من قراءة أو سماع أو إجازة أو مُناوَلَة أو وصيّة ؛ وإجازة
ما لَهُ - فسَحَ اللهُ في مُدَّتِهِ - من تأليفٍ ووضَعٍ ، وتصنيفٍ وجمعٍ ، ونظمٍ ونثرٍ ،
والنصّ على ذكرِ مُصَنَّفَاتِهِ وتعيينِها في هذه الإجازة عامّة ، على أحدِ
القولين في مثل ذلك ، والله يُمتِعُ بقَوَائِدِهِ ، وينظّمُ على جِندِ الزَمَنِ العاطِلِ دُرّ
قلائدِهِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

● فكتب هو الجواب عن ذلك^(٢) :

أما بعد ؛ فالحمد لله الذي أمتّع من الفضلاء بكلّ مُجيزٍ ومُسْتَجيزٍ ، وأشهد
من مُعاصري ذَوِي الدَّرَايَةِ والرَّوَايَةِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ البَسيطِ من علوّ الإسنادِ
والوَجيزِ ؛ نَحْمَدُهُ على نِعَمِهِ (التي) يَجِبُ لَهُ عليها الإحْمادُ ، ونَشْكُرُهُ على
تَهَيُّتِهِ فَضْلُهَا المُخَوِّلِ شَرَفَ الإِسْعافِ والإِسْعَادِ ، ونُصَلِّي على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ،
المُعَظَّمَةِ رِوَاةَ حَدِيثِهِ ، وَحَقَّ لَهُمُ التَّعْظِيمُ ، العَالِيَةِ قَدْرًا وسَدًّا ، مَنْ شَأْنُهُ
التَّبَجُّيلُ والتَّفْخِيمُ ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى [٦٩ ب] آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وما أَحَقَّهُمُ
بالصَّلَاةِ والتَّسْلِيمِ .

وبعد ؛ فَإِنِّي وَقَفْتُ على ما التَمَسَهُ الإمامُ الفاضِلُ ، الصِّدْرُ الكاملُ ،

المُحَدِّثُ الصَّادِقُ ، العَلِيُّ الإسْنادُ ، الرَّاقِي إلى دَرَجَاتِ عُلَمَاءِ الحديثِ
التَّبَوِّيُّ بِعُلُوِّ رِوَايَتِهِ السَّائِرَةِ على رُؤُوسِ الأَشْهَادِ ، وهو غَزَسُ الدِّينِ خَلِيلُ بنِ
أَيُّبِكَ^(١) : [من الطويل]

وَحَسْبِي بِهِ غَزَسًا تَسَامَى أَصَالَةً إلى أَنْ سَمَا نَحْوَ السَّمَاءِ علاؤُهَا
حَوَى من بَدِيعِ النَّظْمِ والنَّثْرِ ما رَقَا إلى دَرَجَاتٍ لا يُرَامُ انتِهاؤُهَا^(٢)
استَجَارَ ، أَعَزَّهُ اللهُ ، بِبَدِيعِ النَّظْمِ والنَّثْرِ في استِجَارَتِهِ ، وقالَ فَأَبْدَعَ في
إِبْدَائِهِ وإِعَادَتِهِ ، وَتَنَوَّعَ في مَقَالِهِمَا فَاسْمَعَ ما شَتَفَ الأَسْمَاعُ ، وَأَبَانَ عَمَّا انْعَقَدَ
على إِبْدَاعِهِ الإِجْمَاعُ ، وقالَ فَمَا اسْتَقَالَ ، وَرَتَّلَ آيَ مُحْكَمِ كِتَابِهِ ، فَتَمَيَّزَ وَحُقَّ
لَهُ التَّمْيِيزُ على كُلِّ حالٍ .

وقد أَجَبْتُهُ إلى ما بِهِ رَسَمَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً ، وَأَضَلَّاءَ وَفُرْعاً ، وَأَبْدَيْتُ بِهِ
وَجْهًا من وَجُوهِ الإِجَابَةِ جَمِيلاً ، ما يَجُوزُ لي رِوَايَتُهُ من كُتُبِ الحديثِ
وأصنافِها ، ومُصَنَّفَاتِ العلومِ حَسَبَ إِجَازَةِ أَلْفِهَا ، حَسَبِما أُجِزْتُ بِهِ من
المَشَايِخِ الَّذِينَ أَخَذْتُ عَنْهُمْ ، وسَأَلْتُ الإِجَازَةَ مِنْهُمْ ، بِقِرَاءَةٍ ، أو سَمَاعٍ ، أو
مُناوَلَةٍ ، أو وَصِيَّةٍ ؛ وما لي من تَأْلِيفٍ وَوَضْعٍ ، وَنَظْمٍ وَنَثْرِ وَجَمْعٍ .
وَذَكَرَ تَصَانِيفَهُ كُلَّهَا .

● وَاسْتَشْدَدَنِي شَيْئاً من نَظْمِي ، فَأَشْدَدْتُهُ لِنَفْسِي^(٣) : [من الخفيف]

إِنَّ وَرْدِي مِنَ الْجَمَامِ قَرِيبٌ فَلِهَذَا أَمَسْتُ دُمُوعِي مُفَاضَةً
وَلَكُمُ جَهْدُ ما يَكُونُ بَعِيداً وَمَشْيِي رَشَاشٌ تِلْكَ المَخَاضَةُ

(١) البيتان فقط في أعيان العصر .

(٢) في أ : × . . . لا يلام . . . وفي م : × . . . لا يُتال

(٣) هما في أعيان العصر .

(١) البيتان فقط في نكت الهميان .

(٢) نص الجواب في أعيان العصر والوافي .

● فَأَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ^(١) : [من الخفيف]

قال لي مَنْ رَأَى صَبَاحَ مَيِّينِي عَنْ شِمَالٍ مِنْ لَمْتِي وَيَمِينِ :
أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ؟ فَقُلْتُ مُجِيباً : لَيْلُ شَكِّ مَحَاهُ صُبْحُ يَقِينِ

● وَأَنشَدَنِي هُوَ لِنَفْسِهِ^(٢) : [من الطويل]

تَعَجَّبْتُ مِنْ أَمْرِ الْقَرَاةِ إِذْ غَدَتْ عَلَى وَخْشَةِ الْمَوْتِ لَهَا قَلْبُنَا يَضْبُو
فَأَلْفَيْتُهَا مَا وَى الْأَحْبَةَ كُلِّهِمْ وَمُسْتَوَطَّنُ الْأَخْبَابِ يَضْبُو لَهُ الْقَلْبُ

● فَأَنشَدَنِي أَنَا لِنَفْسِي : [من الوافر]

أَلَا إِنَّ الْقَرَاةَ إِنْ غَدَوْنَا تَمِيلُ لَهَا الْقُلُوبُ وَلَا عَجِيبَا
فَمَا فِينَا مُصَابٌ قَطُّ إِلَّا تَضُمُّ لَهُ قَرِيْباً أَوْ حَبِيْبَا

● وَأَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ أَيْضاً^(٣) : [من الطويل]

وَبِي قَامَةٌ كَالْعُضْنِ حِينَ تَمَايَلَتْ وَكَالزُّمُجِ فِي طَعْنٍ يَقْدُ وَفِي قَدِّ
جَرَى مِنْ دَمِي بَحْرٌ بِسَهْمٍ فِرَاقِهِ فَخَضَبَ مِنْهُ مَا عَلَى الْخَضِرِ مِنْ بَنْدٍ

● فَأَنشَدَنِي أَنَا لِنَفْسِي^(٣) : [من المجتث]

قَدْ شَدَّ جَبِّي بَنْدَا فِي حُمْرَةٍ مِثْلَ خَدِّهِ
كَخَاتَمٍ مِنْ عَقِيْقٍ قَدْ زَانَ خِنْصَرَ قَدِّهِ

فَقَالَ : لَوْ اتَّفَقَ لَكَ : خِنْصَرُ خَضِرِهِ ، لَكَانَ أَحْسَنَ ؛ فَقُلْتُ : [من المجتث]

فِي حُمْرَةِ الْبَنْدِ مَعْنَى مِمَّنْ سَبَانِي بِهِجْرَةٍ
كَخَاتَمٍ مِنْ عَقِيْقٍ قَدْ زَانَ خِنْصَرَ خَضِرِهِ

* * *

(١) هما في أعيان العصر ، والوافي ، والفوات ، ونكت الهميان ، والذَّور الكامنة ، وتذكرة النبيه ، والنجوم الزاهرة ، والمنهل الصافي ، والدليل الشافي .

(٢) هما في أعيان العصر ، والوافي ، ونكت الهميان ، وفوات الرقيات .

(٣) هما في أعيان العصر .

حَرْفُ الْعَيْنِ

٤٥ * عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَلْمَانَ^(١) :

الكاتبُ الْبَلِيْغُ الْمُجِيدُ ، جَمَالُ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ علاء الدِّينِ بْنِ الْقَاضِي
شَمْسِ الدِّينِ ابْنِ غَانِمٍ ، كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبَ إِلَيَّ عِنْدَ قُدُومِي [٧٠] مِنَ الرَّحْبَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَدُخُولِي إِلَى دِيْوَانِ

الْإِنْشَاءِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ فِي سَنَةِ ٧٣١^(٢) : [من الوافر]

تَقُولُ جَمَاعَةُ الدِّيَّوَانِ : فِيهِ فَسَادٌ لَا يُزَالُ وَلَا يُزَاخُ
فَقُلْتُ : فَسَادُهُ سَيَزُولُ عَمَّا قَلِيلٌ إِذَا بَدَأَ فِيهِ الصَّلَاحُ

● فَكَتَبْتُ أَنَا جَوَابَهُ^(٣) : [من الوافر]

هَوَيْتُ جَمَاعَةَ الدِّيَّوَانِ دَهْرًا فَلَمَّا ضَمَّنَا بِدَمَشَقٍ مَعْنَى
نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ نَظَرَ انْتِقَادٍ فَكَنتَ جَمَالُهُمْ لَفْظًا وَمَعْنَى

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ وَأَنَا بِصَفَدِ الْمَحْرُوسَةِ ضَعِيفٌ^(٣) : [من الوافر]

كِتَابُكَ قَدْ أَتَى عَيْنِي وَفِيهَا فَسَادٌ نَوَى لِشَوْقِي وَازْتِيَا حِي
فَجَدَدُهُ فَلَيْسَ يَزُولُ إِلَّا إِذَا عَادَ الصَّلَاحُ إِلَى الصَّلَاحِ

(١) ترجمته في : مسالك الأبصار ٤٦١/١٢ وأعيان العصر ٦٩٦/٢ والوافي بالوفيات ٣٥١/١٧ وفوات

الوفيات ٢٠٦/٢ وتذكرة النبيه ٥٤/٣ وتعريف ذوي العلا ٢٦ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٨٥/١

والذَّور الكامنة ٢٧٨/٢ .

- ولادته سنة ٧١١ هـ . ووفاته سنة ٧٤٤ هـ .

- في م : علي بن عبد الله بن علي

(٢) هما في أعيان العصر والوافي والذَّور الكامنة .

(٣) هما في أعيان العصر والوافي .

● فكتبْتُ أنا جوابه^(١) : [من الوافر]

كِتَابُكَ جَاءَنِي فَفَنَى هُمُومِي وَأَذَنَ سَقَمَ جِسْمِي بِالزَّوَالِ
وَأَذْكَرَ نَاطِرِي زَمَنًا حَمِيدًا تَمَتَّعَ بِالْجَمَالِ مِنَ الْجَمَالِ
● وكنتُ قد وَعَدْتُهُ بِعَارِيَّةِ رِسَالَةٍ لَابِنِ رَشِيقٍ ، سَمَّاهَا « سَاجُورُ الْكَلْبِ »

وَتَأَخَّرَ إِزْسَالُهَا ، فَكَتَبْتُ إِلَيْ^(٢) : [من الخفيف]

يَا جَوَادًا عِنَانُهُ فِي يَدِ الْجُودِ دِ تَبَاخَلْتُ لِي بِسَاجُورِ كَلْبِ
لَا تُضِغْ رُبَّةَ الْفَضْلِ وَالْإِيْدِ شَارِ فَالْأَمْرُ دُونَ بَذْلِ الْعَنْبِ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَنْبِ بُدٌّ فَمُرَادِي إِنْ شِئْتَ غَيْرُ الْكُتُبِ

● فَجَهَرْتُهَا إِلَيْهِ ، وَكَتَبْتُ مَعَهَا : [من الخفيف]

أَيُّهَا الْأَرْوُغُ الَّذِي فَاقَ مَجْدًا لَا تُؤْنِبْ مَنْ لَا أَتَاكَ بِذَنْبِ
أَنْتَ تَذَرِي أَنَّ الْوَفَاءَ الْمُوَفَّى لِي طِبَاعٌ فِي الْوُدِّ مِنْ غَيْرِ كَسْبِ
أَنَا أَخْبَا لَوْ كَانَ طَوْقَ عَرُوسٍ عَنْكَ حَتَّى أَصُونَ سَاجُورَ كَلْبِ ؟

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ يَوْمًا^(٣) : [من السريع]

قَدْ أَصْبَحَ الْمَمْلُوكُ يَا سَيِّدِي يَخْتَارُ أَنْ يَفْتَرِعَ الرِّبْوَ
وَقَدْ أَتَى صُحْبَتُكُمْ يَتَنَغِي فَاسْعِفُوا وَاغْتَنِمُوا الْخُلُوءَ

● فَكَتَبْتُ أَنَا جَوَابَهُ ازْتِجَالًا^(٤) [من السريع]

مَا لِي عَلَى الرِّبْوَ مِنْ قُدْرَةٍ لِأَنْتَ عَجِزٌ عَنْ خُطْوَةٍ
وَلَيْسَ مَرْكُوبِي هُنَا حَاضِرًا فَمُرَّ نَحْوَ الْخُلُوءِ الْخُلُوءِ

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ، وَقَدْ طَوَّلَ الْغَيْبَةُ فِي بَعْلَبِكَ^(١) : [من الرجز]

قَرِّبِكَ الْقَلْبُ الَّذِي أَبْعَذْتَهُ وَقَرَّبَكَ
يَا نَازِحًا عَنْ جَلْقٍ وَنَازِلًا فِي بَعْلَبِكَ
لَكَ الْبَلَاغَاتُ الَّتِي أَبْدَعْتَ فِيهَا مَذْهَبَكَ
جَرَّتْ جَرِيرًا فَالْتَوَى إِلَى النَّسِيبِ وَأَنْسَبَكَ
وَكُلُّ سَطَرٍ كَالدُّجَى وَبَرَقَ مَعْنَاهُ اخْتَبَكَ
شَوَارِدُ الْمَعْنَى غَدَتْ مِنْمَائِهِ مِثْلَ الشَّبَكَ
أَشْكُو لَكَ الْبُعْدَ الَّذِي تَطْوِيلُهُ قَدْ أَعْجَبَكَ
زَوَاكَ فِي لَيْلِ الْمُنَى عَنْ نَاطِرِي وَغَيْبِكَ
فَاطْلَغَ عَلَيْنَا قَمَرًا حَتَّى تُبَيِّرَ غَيْبَكَ^(٢)
أَنَا خَلِيلُ صُحْبَةٍ وَدَادُهَا قَدْ جَلَبَكَ
خَلِيَّتُكَ مِنْهُ فَاخِرٌ وَسِخْرُهُ قَدْ خَلَبَكَ
جَلَّتْكَ أَنْوَارُ الْمُنَى فِي خَاطِرِ تَطَلُّبِكَ
خَلَّتْكَ الْحُسْنَى جَلَّتْ لِي فِي الْمَعَانِي شُهْبَكَ
خَلَّتْكَ بِالْعِلْمِ الَّذِي بِهِ عَلَوْتَ رُبَّكَ
أَبُو جَلَّتْكَ لَوْ رَأَى كَمَا رَأَيْنَا أَدَبَكَ
خَلَّ بِكَ الْمَعْنَى الَّذِي جَلَّ بِلِ الْحَقِّ التَّبَكَ

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ^(٣) : [من الرجز]

[٧٠ب] أَمِنْ عُقَارٍ أَنْسَبَى أَمْ مِنْ نَضَارٍ أَنْسَبَكَ

(١) القصيدة في الوافي بالوفيات .

(٢) سقط عجز هذا البيت من م مع صدر الذي يليه ، فتلق ما بقي منهما .

(٣) القصيدة في الوافي بالوفيات .

(١) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٢) الخبر والأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٣) هما في أعيان العصر والوافي والذرة الكامنة .

(٤) هما في أعيان العصر والوافي .

أَمْ مِنْ لَآلٍ نُظِمَتْ
أَمْ نَفْسُ الْأَخْبَابِ هَبْ
نَسَمَ فِي دِمَشَقٍ فَاشَدَّ
يَحْمِلُ ذِكْرَكَ لَقَدْ
يَا حَاضِرًا فِي خَاطِرِ
وَفَاضِلًا ذَهَبَكَ الـ
فِي أَيِّ صُورَةٍ لَنَا
نَسِي بِكَ النَّسِيبَ مَنْ
رَبَّنَا لَكَ لِلْعُلُومِ نَفْذُ
أَعْرَبَ عَنْكَ الدَّهْرُ بِالنَّ
عَاجَ يَبْخُرُكَ الْوَرَى
سُرَّ بِكَ الرَّأْيُ الَّذِي
خَلَا بِذَوْقٍ فَهَمِّهِ
أَنْتَ جَلِيلُ فِطْنَةٍ
خَلَّتْكَ فَازَتْضَتَ وَمَنْ
خَلَّتْكَ مَغْدُومَ النَّظْمِ
أَنْتَ خَلِيلُ لِلْعُلَا
خَلَّ بِكَ النَّائِلُ بِالنَّ
حَكَتْكَ فِي الذِّكَا ذُكَا
خَلَّ بِكَ الْفَضْلُ فَحَدَّ
جُلَّ بِالْيَرَاعِ يَا جَا
خَلَّتْكَ الْفَضْلُ حَبَا

عَلَى عَذَارَى كَالشَّبَابِ
بَبْ مَوْهِنًا فَأَطْرَبَكَ
تَمَمُّهُ فِي بَعْلَبِكَ
عَظُرَتْ مِنْهُ مَرْكَبَكَ
بِحَاضِرٍ مَا غَيَّبَكَ
لَهُ لَنَا وَهَذَّبَكَ
فَضِيلَةٍ قَدْ رَكَّبَكَ
حَقَّقَ فِيهِ نَسَبَكَ
سَسْ بَلَّغَتْكَ رُبَّكَ
تَمَيَّزَ حَتَّى نَصَبَكَ
لَمَّا تَرَاءَوْا عَجَبَكَ
بِفَهْمِهِ قَدْ سَرَّكَ
نَهَاكَ لَمَّا جَلَّبَكَ
يَعْرِفُ ذَا مَنْ طَلَبَكَ
يَزْتَضِ إِلَّا أَدَبَكَ
رَفَزْدَ أَفْرَادِ النَّبِكَ
وَلَيْتُهَا قَدْ قَرَّبَكَ
نَخْلَةٍ مِنْهَا أَرْبَكَ
وَلَمْ تُحَاكِ نَجَبَكَ
لَى لِلْبَرَايَا كُتُبَكَ
دُ فِيهِ وَاخْرَزَ قَصَبَكَ
كَهَا نَهَاكَ إِذْ حَبَكَ

سَدَدَتْ مِنْ تَصْحِيفِ ذَا الـ
بَغَضَ الَّذِي فَهَمَّتَهُ
بِكَ اهْتَدَيْتُ فَهَمَّهَا
لَا زِلْتُ فِي يَدِ الثُّهَى

اسْمِ الَّذِي قَدْ صَجَبَكَ
إِذَا لِمَعْنَى حَبَبِكَ^(١)
لَمَّا رَأَيْتُ شُهْبَكَ
تَخْدُو إِلَيْهَا نُجَبَكَ

● وكتب هو على الجزء الخامس من « التذكرة » التي لي :

وَقَفْتُ عَلَى الْمَجْمُوعِ الْمُتَقَرِّدِ بِحُسْنِهِ وَحُسْنَاهُ ، الزَّاهِي عَلَى الزَّهْرِ فِي سِنِّهِ
وَالدَّرَرِ فِي سَنَاهُ ، الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ شَذَرَةٍ ، الْمُخْتَوِي عَلَى مَتَائِلٍ مِنْ إِبْرِيزِ
الْكَلَامِ ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [الزلزلة : ٧] الْأَلْفِ جَمْعًا وَضُنْعًا ، الرَّائِي
وَشَيْئًا مِنَ الْكِتَابَةِ لَا تُذَكِّرُ عِنْدَهُ صُنْعًا ، الْمُظْهِرِ بِكَمَالِهِ نَقْصَ مَا سِوَاهُ ، الدَّالِّ
بِصِحَّةِ جَمْعِهِ عَلَى تَقَرُّدٍ مِّنْ سِوَاهُ : [من الوافر]

وبالزَّهْرِ الْمُنْضَدِّ فِي رُبَاهُ يُشِيرُ إِلَى صَنَائِعِهِ الْغَمَامِ
« مِنْ كُلِّ مَعْنَى وَحِيدٍ يَكَادُ الْمَيْتُ يَفْهَمُهُ »^(٢) ، وَكُلُّ لَفْظٍ رَقِيقٍ تَكَادُ صَفْحَةُ
الْقُرْطَاسِ تُسَلِّمُهُ ، وَكُلُّ زَهْرَةٍ كِتَابِيَّةٍ تَكَادُ تُقْطِفُ مِنْ أَغْصَانِ سَطُورِهَا ، وَكُلُّ
فِكْرَةٍ إِصَابِيَّةٍ تَكَادُ تُفْهِّمُهُ بِقَعْقَعَةِ الْأَوْرَاقِ مِنْ سُورِهَا ؛ كَأَنَّمَا أَلْقَتْ فِيهِ الْمَحَاسِنُ
وَدَائِعَهَا ، أَوْ أَجَرَتْ مِنْهُ اللَّطَائِفُ يَتَابِعَهَا ، وَكَأَنَّمَا هُوَ لَيْلٌ نَفْسٍ أَوْقَدَتْ فِيهِ
الْمَعَانِي سِرَاجًا ، أَوْ رَوْضَةٌ وَزِدَ مَدَّ عَلَيْهَا الطُّرْسُ سِيَّاجًا ، أَوْ دُرٌّ لَهَا مِنَ الْأَسْمَاعِ
أَصْدَافٌ ، أَوْ سِخْرٌ لِصِفَائِهِ وَرِقَّتِهِ لَا لِظُلْمَةِ الْأَسْدَافِ ، أَوْ طُرَّةٌ صَبَاحٍ يَسْتَمِدُّ
النَّهَارُ مِنْ إِضَاءَةِ وَرَقِّهَا ، أَوْ غُرَّةٌ نَجَاحٍ تُسَامِتُ النُّجُومَ بِفَرْقِهَا فَتَطُلُ مِنْ فَرْقِهَا ؛
قَدْ رَقَّتْ أَلْفَاظُهُ حَتَّى لَوْ عُثِقَ عَلَى حَبْنٍ لَسَكَنَتْ عَنْهُ سَوْرَةُ غَضَبِهِ ؛ وَأَشْرَقَتْ
مَعَانِيهِ حَتَّى رَمَقَهَا [١٧١] الْأَفُقُ بِأَعْيُنِ شُهْبِهِ ؛ تَنْطِقُ بِشُكْرِ مُؤَلِّفِهِ مَخَايِلُهُ ، وَتَقْيِضُ

(١) في م : × إذا تمنى . . .

(٢) صدر بيت لأبي تمام ، في ديوانه ٤٩٠ / ٤ . وعجزه : حُسْنًا ويحسده القرطاس والقلم .

حَتَّى مِنْ جَدَاوِلِ سَطُورِهِ فَضَائِلُهُ، وَتَذُلُّ عَلَى مَا لَهُ مِنْ أَشْتَاتِ الْمَحَاسِنِ مِنْ
اشْتِمَالٍ، وَتُشِيرُ إِلَى مَا لِلْآدَابِ بِحَيَاتِهِ وَجِبَائِهِ مِنْ جَاهٍ وَمَالٍ : [من الكامل]

رَجُلٌ فَضَائِلُهُ وَأَنْعُمُهُ جَاذَا مَدَى سَخْبَانِ وَالسُّحْبِ
وَسُرُورُ نِعْمَاهُ وَسَوْرَتُهُ هَاجَا مِنْ الْقُضْبَانِ وَالْقُضْبِ
لَوْ لَمْ تَسِلْ أُنْدَا فَضَائِلِهِ فِي مَشْرِعِ الْآدَابِ لَمْ يَطِبِ
أَلْفَاظُهُ الْحُسْنَى وَأَسْطَرُهُ يُسَيِّنُ ذِكْرَ الْبَانِ وَالْعَذَبِ
وَحُرُوفُهُ مِثْلُ الشَّلَافِ بَدَتْ وَطَفَا عَلَيْهَا النَّقْطُ كَالْحَبِّ
وَسَطُورُهُ كَاللَّيْلِ خُطَّ عَلَى خَدِّ الصَّبَاحِ [بِصْنَعَةِ الْعَجَبِ] (١)
لَوْ تَغَقَّلَ الْوَزْقَاءُ فِكْرَتُهُ خَلَعَتْ قِلَادَتَهَا مِنَ الطَّرَبِ
زَادَ اللَّهُ عَوَاصِي أَفْكَارِهِ عَلَى حُكْمِ الزَّمَانِ مَنَعَةً، وَجَعَلَ لِفُنُونِ آدَابِهِ فِي كُلِّ
صَوْتٍ صِينًا، وَفِي كُلِّ سَمْعٍ سُمْعَةً؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَحَكَى لِي، قَالَ (٢) :

رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ فِي الْمَنَامِ، كَأَنَّ فِي بَيْتِي نَهْرًا عَظِيمًا صَافِيًا، وَأَنْتَ مِنْ ذَلِكَ
الْجَانِبِ وَأَنَا مِنْ هَذَا الْجَانِبِ، وَكَأَنِّي أَنْشِدُكَ : [من الخفيف]

يَا خَلِيلِي أَبَا الصَّفَا لَا تُكَذِّرْ مِنْهُلَا مِنْ نَمِيرٍ وَدَكَّ أَرْوَى
فَجَمِيعُ الَّذِي جَرَى كَانَ بَسْطًا وَلَعَمْرِي بَسْطُ الْمَجَالِسِ يُطْوَى
فَقُلْتُ لِي : لَا، بَلْ انْظُرْ فِي زَهْرِ اللَّوْزِ شَيْنًا؛ فَأَنْشَدْتُكَ : [من المتقارب]

أَيَا قَادِمِ الزَّهْرِ أَهْلًا وَسَهْلًا مَلَأْتُ الْبَرَايَا هَدَايَا الْأَرْجِ
فَوَقْتُكَ فَضْ خِتَامِ السُّرُورِ وَعَهْدُكَ فُرْجَةُ بَابِ الْفَرَجِ (٣)

(١) فِي م : × وَجْهُ الصَّبَاحِ . وَمَا بَيْنَ مَعْقُوفَيْنِ سَاقِطٌ مِنَ الْأَصُولِ ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ ط .

(٢) الْخَيْرُ وَالْأَبْيَاتُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالْوَفَائِي .

(٣) فِي س : يَوْفَتُكَ فَضْ . . . × .

● فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ عِنْدَمَا قَصَّ عَلَيَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا (١) : [من الخفيف]

حَاشَ لِلَّهِ أَنْ أُغَيَّرَ عَهْدًا لَمْ يَزَلْ مِنْ وَفَائِكَ الْمَخْضِ صَفْوَا
وَإِذَا مَا حَدِيثُ فَضْلِكَ عِنْدِي ضَاعَ مِنِّي فِي نَشْرِهِ كَيْفَ يُطْوَى

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ ، وَهُوَ مَعَ نَائِبِ الشَّامِ الْمُحْرُوسِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ
تَنْكَرُ (٢) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصَّيْدِ بِغَزَّةِ الْمُحْرُوسَةِ ، جَوَابًا عَنْ كِتَابٍ وَرَدَّ مِنْهُ إِلَيَّ ،
وَفِيهِ عَنَبٌ كَثِيرٌ لَا نَقْطَاعَ كُتُبِي عَنْهُ (٣) : [من مجزوء الكامل]

حَيْثُ الْخِيَامُ بِرَمَلٍ غَزَّةَ لِي سَادَةٌ عِنْدِي أَعَزَّةَ
وَأَنَا كُتَيْبُ حُبَّهِمْ وَهُمْ كَمَا اخْتَارَ عَزَّةَ
سَيِّمًا جَمَالِهِمُ الَّذِي فِي فَضْلِهِ طَرْفِي تَنَزَّةَ
مَوْلَى بِعَظْفٍ يَرَاعِيهِ طَرَبٌ يُرَنِّحُهُ وَهَزَّةَ
أُضْحَى يَوْشِي طَرْسُهُ وَيَحُوكُ بِالْأَسْجَاعِ طُرُزَةَ
يُمْلِي عَلَيْهِ بِدَائِعِهَا تَكْسُو الْمَهَارِقَ خَيْرَ بَزَّةَ
لَوْ فَاخَرَ الرَّوْضُ النَّسِيْدَ سَمَّ بِكُتَيْبِهِ لِأَبَانِ عَجَزَةَ
أَلْفٌ حَكَتْ غُضْنَ الثَّقَا صَدَحَتْ عَلَيْهِ حَمَامُ هَمَزَةَ
مِنْ مَيْمٍ مَيْلِي عَنْهُ لَا أَدْخَلْتُ قَلْبِي تَحْتَ رِزَّةَ
وَوَظْفِرْتُ مِنْهُ بِمَعْقِلٍ لَا تَطْرُقُ الْأَخْدَاتُ حِرْزَةَ
وَبِهِ تَبَيَّنَ لِي الْهُدَى وَحَلَلْتُ مِنْ مَعْنَاهُ رَمَزَةَ
وَبِهِ مَلَأْتُ يَدِي غِنَى مِنْ فَضْلِهِ وَفَتَحْتُ كَنْزَةَ

(١) الْبَيْتَانِ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ وَالْوَفَائِي .

(٢) تَرْجُمَةُ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ تَنْكَرُ ، نَائِبُ السُّلْطَانَةِ بِالشَّامِ ؛ فِي الْوَفَائِي بِالْوَفَائَاتِ ١٠ / ٤٢٠ وَفِيهِ مَصَادِرُ

تَرْجُمَتِهِ .

(٣) الرِّسَالَةُ - شِعْرًا وَنَثْرًا - فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .

فَاللَّهُ يَخْرِسُ مَجْدَهُ وَيُؤَدِّمُ لِبِلَادِهِ عِزَّهُ
يُجْبِلُ الْأَرْضَ ، وَيَصِفُ شَوْقَهُ الَّذِي شَقَّ الْجَوَانِحَ ، وَجَرَحَ الْجَوَارِحَ ، وَمَلَأَ
الْفَوَادِ فَوَادِحَ ؛ وَيَذْكُرُ حَنِينَهُ الَّذِي شَغَلَهُ عَنْ ذَاتِهِ ، وَأَذْهَلَهُ حَتَّى عَنْ تَمَنِّي اللَّقَاءِ
وَلَذَاتِهِ ، وَنَعَصَ صَفْوَ عَيْشِهِ [ب ٧١] بِالْبُعْدِ ، وَهَذِهِ أَحْسَنُ حَالَاتِهِ .

وَيُنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الْكَرِيمِ ، فَتَلَقَّى مِنْهُ أَكْرَمَ وَارِدٍ ، وَحَوَى مِنْ أَلْفَاظِهِ الْغُرَّ
مَصَائِدَ الشُّوَارِدِ ، وَشَافَهُ مِنْهَا أَلْسُنُ عَتَبٍ لَهَا فِي الْقَلْبِ وَقَعُ الشُّيُوفِ ، وَإِنْ
كَانَتْ فِي فَصَاحَتِهَا مِثْلُ الْمَبَارِدِ ، وَأَضْرَمَتْ فِي الْحَشَا نِيرَاناً لَهَا الزَّرْفَاتُ دُخَانُ
وَالضُّلُوعُ الْمَحْيِيَةُ مَوَاقِدُ ؛ فَقَابَلَهَا بِأَعْدَارِهِ الْمُتَلَفِّقَةِ ، فَقَالَتْ حَرَارَةُ تِلْكَ
الشُّطُورِ : دَعْنَا مِنْ عَذْرِكَ الْبَارِدِ ؛ وَنَظَرَ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ الْمُنْظَمَةِ إِلَى تُونَاتٍ
كَأَنَّهَا بَرَائِنُ الْأَسْوَدِ ، وَإِلَى مِیْمَاتٍ كَأَنَّهَا عُيُونُ الْأَسَاوِدِ : [من الكامل]

فَكَأَنَّ ذَاكَ الطَّرْسَ أَصْبَحَ سَلَّةَ الْـ حَاوِي وَهَاتِيكَ الشُّطُورَ أَفَاعِيَا
ثُمَّ إِنَّ الْمَمْلُوكَ كَابَرَ نَفْسَهُ ، وَقَالَ : رَبِّمَا تَصَخَّفَ عَلَيْهِ مَا تَصَفَّحَ ، وَتَرَجَّيَ
أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَدْرُ هُوَ الَّذِي تَرَجَّحَ ، وَجَانَسَ بَيْنَ إِسَاءَتِهِ وَعَظْفِهِ ، فَذَاكَ تَرَنَّمَ ،
وَهَذَا تَرَجَّحَ : [من مجزوء الكامل]

وَيَذُلُّ هَجْرُهُمْ عَلَى أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِهِمْ
وَعَلَّلَ نَفْسَهُ بِقَوْلِ الْآخِرِ : [من الوافر]

..... وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ^(١)
وَقَالَ : هَذَا هُوَ الْعَتَبُ الْمَحْمُودُ الْعَوَاقِبِ ، وَهَذَا التَّأْدِيبُ الَّذِي يَعْقُبُ

(١) الشطر بلا نسبة في التذكرة الحمدونية ٣٣/٥ . وتماهه في التمثيل والمحاضرة ٤٦٥ ؛ وهو لعلي بن
الجهم ، في بهجة المجالس ٧٢٦/١ وليس في ديوانه :
إذا ذهب العتاب فليس وُدٌ ويبقى الود ما بقي العتاب

الرَّضَى وَلَا يُعَاقِبُ ، وَقَدْ عَادَ الْمَمْلُوكُ إِلَى صَوْبِ الصَّوَابِ ، وَتَضَرَّعَ مِنْ تِلْكَ
الشُّطُورِ عَلَى عَتَبَاتِ الْعِتَابِ ، وَظَنَّ أَنَّهَا فُتِنَ ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾
[ص : ٢٤] : [من الوافر]

وَهَذَا الذَّنْبُ أَوَّلُ كُلِّ ذَنْبٍ وَآخِرُهُ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ
فَلْيَغْفِرْ مَوْلَانَا لِلْمَمْلُوكِ هَذِهِ الْهَفْوَةَ ، وَلْيُقِلِّهِ عَثْرَةَ هَذِهِ الْخُطُوءَةِ الَّتِي لَمْ يَلْقَ
فِيهَا حُطُوءَةً ، وَاللَّهُ يُنْمِغُ الْعُيُونَ وَالنُّفُوسَ بِجَمَالِهِ وَجَلَالِهِ ، وَيَزِينُ الْوُجُودَ
بِمَحَاسِنِهِ الَّتِي يَخْجَلُ مِنْهَا الْبَدْرُ فِي كَمَالِهِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ سَنَةَ
٧٣٢^(١) : [من الكامل]

| | |
|--|---|
| ذَكَرْتُ قَلْبِي حِينَ شَطَّ مَزَارُهُمْ | بِهِمْ فَنَابَ عَنِ الْجَوَى تَذَكَارُهُمْ |
| وَبَكَى فُؤَادِي وَهُوَ مَنَزَلُ حُبِّهِمْ | وَأَحَقُّ مَنْ يَبْكِي الْأَجَبَةَ دَارُهُمْ |
| وَتَخَلَّقَ الْجَفْنَ الْهَمُولُ كَأَنَّمَا | لَمَحْنُهُ عِنْدَ غُرُوبِهِمْ أَنْوَارُهُمْ |
| وَذَكَرْتُ عَيْنِي عِنْدَ عَيْنِ فِرَاقِهِمْ | لَمَّا أَثَارَتْ لَوْعَتِي أَثَارُهُمْ |
| تَذَرِي الدَّمُوعَ عَلَيْهِمْ وَكَأَنَّهُمْ | زَهْرُ الرُّبَا وَكَأَنَّهُا أَمْطَارُهُمْ |
| وَيَبِّئُ مِنْ حَالِي الْعَوَاضِلُ رَحْمَةً | لَمَّا بَكَيْتُ وَمَا الْأَيْنُ شِعَارُهُمْ |
| وَيَحُحُ الْمُحِجِّينَ الَّذِينَ يُوَدِّهِمْ | قُرْبُ الْمَزَارِ وَلَوْ نَأَتْ أَعْمَارُهُمْ |
| فَقَدُوا خَلِيلَهُمُ الْحَبِيبَ فَأَذْكَيْتُ | بِالشُّوقِ فِي حَطَبِ الْأَصَالِ نَارُهُمْ |
| مَوْلَى تَقَلَّصَ ظِلُّ أُنْسٍ مِنْهُ عَن | أَصْحَابِهِ فَاسْتَوْحَشَتْ أَفْكَارُهُمْ |
| كَمْ رَاقَهُمْ يَوْمًا بِرُؤْيَا وَجْهِهِ | مَا لَا يَرَوْفُهُمْ بِهِ دِنَارُهُمْ |
| وَلَكَمْ بَدَتْ أَسْمَاعُهُمْ فِي حَلِيَّةٍ | مَنْ لَفَظِهِ وَكَذَا غَدَتْ أَبْصَارُهُمْ |

(١) القصيدة في أعيان العصر ، والوافي ، والفوات . والأول والثاني فقط في الدَّرَجَةِ الْكَامِنَةِ .

كَانُوا بِصُحْبَتِهِ اللَّذِيذَةَ رُتِعَا
يَتَنَافَسُونَ عَلَى دُنُو مَزَارِهِ
لَا غَيْبَ الرَّخْمَنَ رُؤْيَا وَجْهِهِ
وَجَلَا ظِلَامَ بِلَادِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ
يَا سَيِّدَا لِي لَمْ تَزَلْ تُقْتِي بِهِ
أَصْرَمْتَ حَبْلَ مَوَدَّتِي وَلِصْحَبَتِي
أَمْ تِلْكَ عَادَاتُ الْقَلَى أَجْرَيْتَهَا

● فكتبْتُ أنا الجوابُ إليه^(١) : [من الكامل]

بِمَسَرَّةٍ مُلْكَتْ بِهَا أَغْشَارُهُمْ
فَكَأَنَّمَا بَلَقَاهُ كَانَ فَخَارُهُمْ
[١٧٢] عَنْ عَاشِقِيهِ فَإِنَّهَا أَوْطَارُهُمْ
فَلَقَدْ تَسَاوَى لَيْلُهُمْ وَنَهَارُهُمْ
إِنْ خَادَعْتَنِي فِي الْوَلَا أَسْرَارُهُمْ
عَرَفَ الطَّرِيقَةَ فِي الْوُدَادِ كِبَارُهُمْ
فَكَذَا الْأَحْبَةِ هَجَرُهُمْ وَنِفَارُهُمْ

أَذْنَاهُمْ مِنْ صَبَبِهِمْ تَذْكَارُهُمْ
مِضِرٍ بِقَلْبِ الصَّبِّ تَوْقَدُ نَارُهُمْ^(٢)
عَنْ كَاسِيهِمْ وَكَفَّتُهُمْ أَخْبَارُهُمْ
طَرِبُوا لَهُ وَتَعَطَّلَتْ أَوْتَارُهُمْ
لَمْ تَبْقَ أَنْجُمُهُمْ وَلَا أَقْمَارُهُمْ
وَهُمُ الشُّمُوسُ إِذَا اسْتَبَانَ نَهَارُهُمْ
وَتَرَفَعَتْ مِنْ فَوْقِهَا أَقْدَارُهُمْ
أَنْوَاؤُهُمْ وَتَوَقَّعَتْ أَنْوَارُهُمْ
مِنْهَا تُدَارُ عَلَى الْأَنَامِ عُقَارُهُمْ
حَمَا زَهْرُهُمْ فِي اللَّيْلِ أَوْ أَزْهَارُهُمْ
لَوْ رَامَهُ الْأَصْحَابُ طَالَ عِثَارُهُمْ
حَتَّى تُقَرَّ لِصَفْوِهِ أَكْدَارُهُمْ

أَفْدَى الدِّينَ إِذَا تَنَاءَتْ دَارُهُمْ
فِي جَلْقِ الْفَيْحَاءِ مَنْزِلُهُمْ وَفِي
قَوْمٍ بِذِكْرِهِمْ التَّدَامِي أَعْرَضُوا
وَإِذَا الثَّنَاءُ عَلَى مُحَاسِنِهِمْ أَتَى
وَإِذَا هُمْ نَظَرُوا لِحُسْنِ وُجُوهِهِمْ
فَهُمُ الْبُدُورُ إِذَا أَذْلَهَمُ ظِلَامُهُمْ
دَنَتْ النُّجُومُ تَوَاضَعًا لِمَحَلِّهِمْ
وَبِكْفِهِمْ وَبِرَّجْهِهِمْ كَمْ قَدْ هَمَّتْ
أَهْدَى جَمَالَهُمْ إِلَيَّ تَحِيَّةً
أَفُقَ وَرَوْضَ فِي الْبَلَاغَةِ فَهِيَ إِفْد
لَكَ يَا جَمَالَ الدِّينِ سَقَى فِي الْوَفَا
وَتَوَدَّدَ مَا زَالَ يَصْفُو وَزَدَهُ

(١) القصيدة في أعيان العصر ، والوافي ، والفوات .

(٢) في م : × . . . بقلب القلب . . .

وَفَضَائِلُ تُبْقِي لِقَوْمِكَ سُودَدَا
يَا ابْنَ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ فَشَأْنُهُمْ
قَوْمٌ إِذَا جَازُوا إِلَى شَأْوِ الْعَلَا
صَانُوا وَزَانُوا بِالْيَرَاعِ مُلُوكُهُمْ
مَا مِثْلُهُمْ فِي جُودِهِمْ فَلِذَاكَ قَدْ
مَا فِي الزَّمَانِ حُلَى عَلَى أَعْطَافِهِ
تَتَعَلَّمُ النَّسَمَاتُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ
وَلِفَضْلِهِمْ مَا ابْنُ الْفَرَاتِ يَعُدُّ فِيهِ
وَجِمَاهُمْ يَخْمِي النَّزِيلَ بِرَبِّعِهِ
بِالرَّغْمِ مِنِّي إِنْ بَعُدْتُ وَلَمْ أَجِدْ
لَوْ كَانَ يُمَكِّنُنِي وَمَا أَحْلَى الْمُنَى
وَيَحَ النَّوَى شَمَلَ الْأَحْبَةِ فَرَّقَتْ

حَسَنْتُ بِهَا يَتَنَ الْوَرَى آثَارُهُمْ
صِدْقُ الْمَوَدَّةِ وَالْوَفَاءِ شِعَارُهُمْ
سَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَمْ يُشَقَّ غِبَارُهُمْ
أَسْوَارُهُمْ مِنْ كُنْهِهِمْ وَسِوَارُهُمْ
عَزَّتْ نَظَائِرُهُمْ وَهَانَ نَضَارُهُمْ
إِلَّا مَا تَرَاهُمْ بِهِ وَفَخَارُهُمْ
وَتَنُوبُ عَنْ زَهْرِ الرُّبَا أَشْعَارُهُمْ
هَ قَطْرَةٌ لَمَّا تَمُدُّ بِحَارُهُمْ
مِنْ جَوْرِ مَا يَخْشَى وَيُتَمَعُّ جَارُهُمْ
ظِلًّا تَقْيُوهُ عَلَيَّ دِيَارُهُمْ
مَا غَابَ عَنِّي شَخْصُهُمْ وَمَزَارُهُمْ
فَمَتَى يُفَكُّكَ مِنَ الْبِعَادِ إِسَارُهُمْ

يُقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهِي بَعْدَ وَصْفِ أَشْوَاقِهِ الَّتِي تَتَرَادَفُ بُعُوثُهَا ، وَتَبْنَعُ
بِهَا^(١) مِنَ الدُّمُوعِ سُحُبُهَا وَغُيُوثُهَا ، وَتَتَضَافَرُ عَلَى الْفُؤَادِ الْمَغْلُوبِ أَسَاوِدُهَا
وَأَسْوَدُهَا ، وَإِذَا رَاعَيْتَ السَّجْعَ قُلْتُ : وَلِيُوثُهَا : [من البسيط]

وَمَا فُؤَادِي مُشْتَاقًا بِمُفَرَّدِهِ بَلْ كُلُّ غُضُوٍّ إِلَى لُقْيَاكَ يَشْتَاقُ^(٢)
وُرُودَ الْمُشْرِفِ الْعَالِي ، مُشْتَمِلًا عَلَى تِلْكَ الْآيَاتِ ، بَلْ عَلَى الْقُصُورِ ،
سَكَنَتْهَا حِسَانُ مَعَانِيهِ الَّتِي هُنَّ لَهُ طَائِعَاتٌ ، وَعَلَى غَيْرِهِ آيَاتٌ ؛ فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ
لَهَا وَاسْتَوْقَفَ ، فَأَتْنَى الْجَمْعُ عَلَيْهَا وَثَنُوا إِلَيْهَا الْأَعِنَّةَ ، وَبَكَى وَاسْتَبَكَى ،
فَاسْتَخْرَجَ لَهَا خَبَايَا الدُّمُوعِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ مَطِيَّةً إِلَى تِلْكَ الْمَطِيَّةِ ، وَذَكَرَ الْحَبِيبَ

(١) « بها » ساقطة من أ . وفي م : وتنبعث بالدموع . . .

(٢) في ب : وما أَرَانِي . . . × . . . مشتاق . . .

وهو مولانا ، [٧٢ ب] والمَنْزِلَ وهو دِمَشْقُ ، فَقِيلَ : مَعْدُورٌ مَنْ ذَكَرَ رِضْوَانَ
وَالْجَنَّةَ : [من الطويل]

وَمَنْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ وَالذَّارَ وَالْهَوَى يَحِثُّ لَهُ أَنْ تَعْدِرُوهُ وَتَرْحَمُوا^(١)
وعلى ذِكْرِ دِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ ، فَحَيَّا اللَّهَ وَجْهَهَا الَّذِي يُسْفِرُ عَنْ طَلْعَةِ
الْقَمَرِ ، وَرَعَى اللَّهَ عُهْدَهَا الَّتِي مَا تَرَكَتْ بَعْدَهَا لِلْغَرِيبِ مِنْ وَطَنِ وَلَا وَطَرٍ ؛
وَحَفِظَ اللَّهَ تُرْبَتَهَا الَّتِي تَطَاوَلُ الزُّهْرُ فِي الْأَفْقِ بِمَا تُنْبِتُهُ فِي الرُّوضِ مِنَ الزَّهْرِ ،
وَسَقَى اللَّهَ رُبُوعَهَا صَوْبَ السَّحَابِ ، وَإِنْ كَانَتْ مَعَ دُمُوعِ النَّازِحِ عَنْهَا لَا تَحْتَاجُ
إِلَى سُقْيَا الْمَطَرِ^(٢) : [من الطويل]

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَمِي عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَزَعَائِكَ الْقَطْرُ
وَيَعُودُ الْمَمْلُوكُ إِلَى ذِكْرِ الْمُشْرِفِ الْعَالِي ؛ فَيَا اللَّهَ مِنْ فَضَائِلِ مَوْلَانَا ، كَمْ
لَهَا مِنْ مُعْجِزٍ فِي الْبَيَانِ ، وَتَرْكِيبِ أَلْفَاظٍ يَشْدُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَالْبَيَانِ ، أَوْ كَمَا جَاءَ
كَالْبَيَانِ ، وَسِخْرِ مَعَانٍ هُوَ بِمُفَرَّدِهِ عَلَيْهَا مُعَانٌ ، فَحَقِيقٌ بِأَنْ تَكُونَ مُشْرِفَاتُ
مَوْلَانَا لِبُدُورِ الْأَدَبِ تَمَامًا ، وَلِبَنِيهِ تَمَائِمٌ ، وَتُضْبِحُ طُرُوسُهُ رِيَاضًا ، لِأَنَّ
السُّطُورَ جَدَاوِلَ وَالْأَلِفَاتِ غُصُونٌ وَالْهَمْزَاتِ حَمَائِمٌ^(٣) : [من الخفيف]

أَيْنَ زَهْرُ الرِّيَاضِ وَهُوَ إِذَا مَا طَالَ عَهْدًا بِالْغَيْثِ عَادَ هَشِيمًا
مِنْ قَوَافٍ كَأَنَّمَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ رُسْنَاهَا زَانَ الظَّلَامِ الْبَهِيمَا^(٤)
وَاللَّهُ يُمْتَنِعُ بِفَوَائِدِ مَوْلَانَا الْجَمَّةِ ، وَيُقِرُّ الْعُيُونَ مِنْ كُتُبِهِ بِبَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا ،
فَمَا كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةٌ ، وَلَا كُلُّ سَوَدَاءَ فَخْمَةٌ ؛ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) فِي ب : . . . أَنْ يَعْدِرُوهُ وَيَرْحَمُوا . وَفِي م : وَمَنْ ذَكَرَ . . .

(٢) الْبَيْتُ لَدَى الرُّمَّةِ ، وَقَدْ مَضَى .

(٣) الْبَيْتَانِ بِلَا نِسْبَةٍ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧٨/١ .

(٤) فِي م : . . . كَأَنَّمَا . . .

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ أَيْضًا ، وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ^(١) : [من الخفيف]

سَارَ دَمْعِي مِنِّي إِلَيْكَ رَسُولَا
وَفُؤَادِي اسْتَقَرَّ إِذْ أَنْتَ فِيهِ
وَنَسِيمُ الصَّبَا تَحَمَّلَ مِنْ وَضْ
فَاسْتَمِعَ مَا يُنْمَلِي النَّسِيمُ بِعِلْمِ
تَرَكَ الْقَلْبَ فِي الْأَضَالِيعِ يَظْمَا
وَقَمِصُ الْكَرَى مُزَقٌّ فَإِنْ زَا
حَبَّذَا قُرْبُكَ الَّذِي كَانَ أَنْدَى
وَلِيَالِ كَمْ غَاوَزَ الطَّرْفُ مِنْ أُنْدِ
وَمُدَامَ كَأَنَّهُ لَا وَنَ دَمْعِي
كَأَسْهًا فِي الدُّجَى تَبَدَّى شِهَابًا
فَتَهَدَّيْتُ لِلشُّرُورِ بِرُؤْيَا
كَمْ رَكِبْنَا لَهَا سَوَابِقَ لَهْوٍ
قَرَّبَ اللَّهُ عَهْدَهَا مِنْ لِيَالِ
أَتَلَطَّيْ جَوَى وَفَرَطَ حَنِينِ
وَإِذَا مَا اخْتَرَفْتُ شَوْقًا فَقَوْلِي
يَا صِلَاحَ الدِّينِ الَّذِي فَسَدَ الْعَيْدِ
قَدْ أَتَتْنِي أَيْبَاتُكَ الْغُرُ تَخْكِي
أَوْ نَبَاتُ الرُّبَا يُصَافِحُهُ الْقَطْ
فَتَذَكَّرْتُ مِنْكَ جُودًا عَمِيمًا
حِينَ أَخْلَيْتَ رُبْعَهُ الْمَاهُولَا
يَتَرَاءَاكَ بُكْرَةً وَأَصِيلَا
فَبِ اشْتِيَاقِي فِيهِ حَدِيثًا طَوِيلَا
عَنْ غَرَامِي إِذْ كَانَ مِثْلِي عَلِيلَا
فَيُسْقِيهِ الْاِشْتِيَاقُ غَلِيلَا
رَخِيَالًا وَصَلَّتُهُ تَوْصِيلَا
فِي فُؤَادِي مِنَ النَّسِيمِ بَلِيلَا
سِكَ فِي جُنْحِهِنَّ وَجْهًا جَمِيلَا
عِنْدَمَا أَرْمَعَ الْحَبِيبُ رَحِيلَا
وَكَسَا الْمَرْجُ رَأْسَهَا إِكْلِيلَا
هُ وَإِنْ كَانَ لِلْهُدَى تَضْلِيلَا
كَانَ جَزْسُ الْغِنَاءِ فِيهَا صَهِيلَا
لَمْ أَكُنْ لَا قِيرَابِيَهْنَ مَلُولَا
إِنْ تَذَكَّرْتُ ظِلَّهِنَّ الظَّلِيلَا
لَيْتَ لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلَا^(٢)
شُ لَنَا مُذْ نَأَى وَسَاءَ مَقِيلَا
نَسَمَاتِ الصَّبَا تَجُرُّ ذُيُولَا
[٧٣] رُفِيعُودُ (رَطَبَ الْحَيَا مَضْقُولَا
وَمُحَيَّا طَلْقًا وَفَضْلًا فَضِيلَا

(١) الْقَصِيدَةُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ .

(٢) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَتَوَلَّى يَتَبَوَّى وَيَتَوَلَّى يَتَبَوَّى وَيَتَوَلَّى يَتَبَوَّى وَيَتَوَلَّى يَتَبَوَّى ﴾ [الفرقان : ٢٨] .

وَرَأَيْتُ الشُّطُورَ تَخْكِي لِيَالِي الْ (قُرب) حُسْنًا وَرِقَّةً لَا تُطْلَوُ (١)
حَبْذَا عَهْدُهُنَّ وَالْعَيْشُ فِيهِ إِذْ أَنَا مَالِكٌ إِلَيْهِ الْوُصُولَا
كُنْتُ أَجْنِي ثِمَارَ أَنْسِكَ فِيْهِنَّ مَنْ فَبَدَّلْتُ بِالنَّوَى تَبْدِيلَا
وَيُنْهِي بَعْدَمَا غَرَّتْهُ بِتَخَيُّلِ الْقُرْبِ أَفْكَارُهُ ، وَأَغْرَتْهُ مِنْ حُلِّ (٢) الْمَدَامِغِ رُسُلُ
النَّوَى وَقَدْ كُنَّ شِعَارُهُ ، وَأَخْرَقَتْ الطَّرْفَ نَارَ الشُّوقِ إِلَى خَلِيلِهِ وَخَلِيلٍ جَارُهُ ؛
وَرُودَ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ، الَّذِي حَلَّ فِي الْقَلْبِ مَهَابَةً كَانَتْ وَحُسْنُهَا كَرِيمٌ ، وَقُوبَلُ
فِي الْحَالَتَيْنِ بِغَايَةِ الْإِجْلَالِ وَالتَّكْرِيمِ ، فَتَقَلَّدَ الْمَمْلُوكُ مِنْ طَرَسِهِ عُقُودًا ،
حُرُوفُهَا دُرُرُهَا ، وَهَضَرَ مِنْ سُطُورِهِ غُصُونًا مَعَانِيَهُ زَهْرُهَا ، وَتَخَيَّلَ تِلْكَ الْأَبْيَاتِ
سِزْبَ طِبَاءٍ ، بِدَلِيلِ أَنَّ مِمَاتِ الْقَافِيَةِ سُرُّهَا ، فَيَا اللَّهُ مَا أَلْهَجَ أَلْسِنَةُ الْحَمْدِ
بِوَضْفِهِ ، وَأَلْهَى نَوَاطِرَ الْإِسْتِحْسَانِ بِمَحَاسِنِهِ الَّتِي كَانَتْ الْيَدُ الْكَرِيمَةُ تَنَاوَلَتْ
طَرَسَهُ مِنْ وَرَقِ الْحِجَّةِ وَعَمَدَتْ إِلَى خَصْفِهِ ، وَأَهْلًا بِهِ سَابِقًا فِي الْفَضْلِ لَا يُبَارِيهِ
إِلَّا ظُلُّهُ ، وَسَهْمًا قُرْطَسَ فِي مَقْتَلِ الْحَوَادِثِ نَضْلُهُ ، لَقَدْ تَسَلَّسَلَ ذَلِكَ مَاءً ،
فَأَوْرَدَ فِكْرُهُ مِنْ مَعْنِيهِ ، وَنَصَبَ ذَلِكَ الطَّرَسَ رَايَةً مُجِيدٍ ، فَأَخَّرَ عَنْهَا عَرَابَةً
وَتَلَقَّاهَا بِيَمِينِهِ (٣) .

● (٤) وَوَقَفَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ تَعَالِيْقِي بِالذِّبَارِ الْمِضْرِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَفِيهَا
حَلُّ مَنْظُومٍ اقْتَرَحَ عَلَيَّ عَمَلُهُ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْ :
وَيُنْهِي أَنَّهُ وَقَفَ فِي الْمَجْمُوعِ الْمُبَارَكِ عَلَى بَيْتِي الْبُحْتَرِيِّ ، وَسَرَّحَ نَظْرَهُ
فِي مَا سَمَحَتْ بِهِ الْقَرِيحَةُ الْمُرِيحَةُ مِنْ حَلِّهَا ، فَقَبَّلَ آثَارَ الْيَدِ الَّتِي هِيَ لِلْقَبْلِ قِيلَةٌ ،

(١) مَا بَيْنَ قَوْسَيْنِ مِنْ ب ، س .

(٢) فِي م : فِي حُلِّ . . .

(٣) مِنْ قَوْلِ الشَّمَاخِ : [دِيَوَانُهُ ٣٣٦]

إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجِيدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةً بِالْيَمِينِ

(٤) بَدَايَةُ سَقَطَ فِي ب .

وَلِلْأَمَلِ إِلَى إِذْرَاكِ النَّجَاحِ سُبُلَةً ، وَلِلنَّفْسِ مَذَاقَ الْأَمَانِيِّ نُجْجًا ، وَلِللَّيْلِ
النَّفْسِ بِإِشْرَاقِ الْمَعَانِي صُبْحًا ، وَلِدُرِّ الْكَرَمِ وَبَحْرِ الْكَلِمِ سِلْكًا وَمَسْلَكًا ،
وَلِدَقِيقِ الْمَعَانِي أَمَلًا ، وَلِرَقِيقِ الْأَلْفَاظِ أَمَلًا ؛ فَلَوْ رَأَتْ السَّمَاءُ حُسْنَ كِتَابَتِهَا
لَمَا رَفَعَتْ بِالْجُوزَاءِ رَأْسًا ، وَلَوْ عَلِمَتْ كَفُّ الثُّرَيَّا أَنَّ عَدَدَ أَنْامِلِهَا خَمْسٌ لَكَانَتْ
كَوَاكِبُهَا خَمْسًا ، وَلَوْ وَصَلَ إِلَيْهَا فَمُ الْفَرْقِدِ لَقَبَّلَهَا ، وَلَوْ رَأَى اللَّيْلُ سَوَادَ نَفْسِهَا
لَا سْتَحْفَى فِي تِلْكَ الذَّوَابِبِ الَّتِي أَسْبَلَهَا ، إِذْ هِيَ الْيَدُ الَّتِي تُشِيرُ بِبَاعِهَا إِلَى
الْمُشْتَرِي فَيَعِشِي مِنَ السَّنَا ، وَيَمْتَدُّ نَوُّ ذِرَاعِهَا إِلَى أَرْضِ الطَّرَسِ فَيُنْبِتُ بِهَا مِنْ
أَزْهَارِ الْمَعَانِي نَبَاتًا حَسَنًا .

فَنَظَرَ الْمَمْلُوكُ إِلَى تِلْكَ الْأَبْيَاتِ وَهِيَ بِآثَارِهِ مُحَلَّلَةٌ الْمَحَلُّ ، مُقَوَّاةٌ الدَّعَائِمُ
بِمَا اقْتَضَاهُ رَأْيُهُ الْكَرِيمُ فِيهَا مِنَ الْحَلِّ ، قَدْ انْتَبَهَ خَامِلُهَا ، وَتَحَلَّى عَاطِلُهَا ،
وَاشْتَبَهَ بِالْحَقِّ مِنْ كَلَامِ مَوْلَانَا بِاطِلُهَا ، وَلَحَظَتْهَا بِلَاغَةُ مَوْلَانَا وَكَانَ السَّعْدُ إِلَى
حَظِّهَا أَسْرَعَ مِنْ صَدَى صَوْتِ ، وَحَفِظَتْ عَلَيْهَا رَوْنَقَ الْحَيَاةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ الدَّهْرُ
قَدْ أَطْلَعَ عَلَيْهَا صُورَةَ الْمَوْتِ ، وَجَعَلَ لِمَا فِيهَا مِنْ كَلَامِ الْأَوَّلِينَ ذِكْرًا فِي
الْآخِرِينَ ، وَأَنَاهَا مِنَ الْإِسْعَادِ بِمَا لَوْ بَشَّرَهَا بِهِ بَشَرٌ لَقَالَتْ : إِنَّكَ لِمَنْ
السَّاحِرِينَ ؛ فَلَوْ عَلِمَ أَبُو عُبَادَةَ بِذَلِكَ لَمَا هَوَّمَ عَلَى عَيْنِيهِ ، وَلَبَلَغَ قَدْرُهُ أَنْ يُخْرِجَ
[٧٣ ب] لَيْثَ الْغَابِ مِنْ خَيْسِهِ ، فَإِنَّهُ مَا كَانَ يَفْرَحُ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِيمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِ مِنْ
طَنِيفِ الْخَيَالِ لَيْلُهُ الْمُظْلِمُ .

وَلَقَدْ طَرَقَ مَوْلَانَا فِي مَعَانِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَا لَا طَرَقَهُ مُسْلِمٌ ، وَلَوْ عَلِمَ مُسْلِمٌ
بِذَلِكَ لَتَنَاوَلَ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ قُطُوفًا عَذْبَةً الْمَجَانِي ، وَلَتَلَقَّبَ صَرِيحَ هَذِهِ
الْمَعَانِي لَا صَرِيحَ تِلْكَ الْغَوَانِي .

فَمَنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ فِي اعْتِدَارِيَّةٍ ؛ بِكَلَامٍ أَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَى مَنْ كَانَتْ الْمَعْلُومَةُ
إِلَيْهِ ، وَأَوْضَحَ الْمَحْجَّةَ لِمَنْ سَيَجِيءُ فِيمَا بَعْدَ عَلَيْهِ ، وَسِخَرِ أَلْفَاظِ خَيْلٍ لِلْعَايِبِ

أنَّه هو الجاني ، وَحَصَّهُ عَلَى طَلَبِ الْمَعْدِرَةِ لَوْلَا خَوْفُهُ مِنَ الذَّنْبِ الثَّانِي ، وَدَافَعَ الْحَقَّ بِبَاطِلِهِ ، وَجَعَلَ الدِّينَ عَلَى صَاحِبِهِ كَمَا يُقَالُ لِمَاطِلِهِ : [من الكامل]

فَاللَّفْظُ بَخْرٌ أَنْتَ مَالِكُ طُرْقِهِ وَالنُّطْقُ بَحْثٌ أَنْتَ وَجْهٌ دَلِيلِهِ
لِمَ لَا يُسَاعِدُكَ الْمَقَالُ أَيْصُطْفِي مَنْ أَهْلُ هَذَا الْفَنِّ غَيْرَ خَلِيلِهِ

ومن ذلك ما هو في ذِكْرِ لَهْوَتِهِ ؛ قد حَمَدَتْ مَسْرَاهُ الْمَسَرَّاتُ فِيهَا مِنْ يَدِهِ صُنْبَحَهَا ، وَاعْتَنَقَتْ فِيهَا قُدُودُ الْأَلَامَاتِ وَالْأَلِفَاتِ الَّتِي قَدْ قَرَّرَ أَنْسُهُ صَلَاحَهَا ، وَزَاخَمَ طَرْبُ أَلْفَاظِهِ فِيهَا صَوْتُ الْعِيدَانِ بِالْمَنَاكِبِ ، وَخَيَّلَتْ أَزْهَارُ كِتَابَتِهِ فِي أَنْهَارِ طَرْسِهَا مَا يَلُوحُ فِي الْمَاءِ مِنْ حَلِيِّ الْكَوَاكِبِ ؛ وَبَرَزَتْ فِيهَا أَلْفَاظُهُ مِنْ حُلَلِ الْمَعَانِي فِي أَنْمَقِ نَمِطٍ ، وَجُلِّيَتْ حَدَائِقُ كِتَابَتِهِ عَرُوساً نَقَطَتْهَا الْأَخْدَاقُ بِحَبَابَتِهَا لَا عَلَى سَبِيلِ الْغَلِطِ ؛ وَسِخَرُ بَيَانِهَا فِي سَوَادِ النَّفْسِ صِبْغَةُ السَّخَرِ ، وَأَجْرَى بَنَانُهُ لَوْنُ النَّهَارِ مِنَ الطَّرْسِ فِي نَهَرٍ ، وَلاَحَتْ تِلْكَ الْأَبْيَاتُ كَالْقُصُورِ الْآهَلَةِ بِالشُّرُورِ ، فَتَقَطَّلَتْ أَبْكَارُ مَعَانِيهِ مِنْ شُرَفَاتِهَا ، وَنَاحَتْ تِلْكَ الْهَمْزَاتُ إِذْ أَشْبَهَتْهَا فِي تَغْرِيدِهَا حَمَائِمُ الدَّوْحِ عَلَى أَغْصَانِ أَلِفَاتِهَا : [من الوافر]

وَخَافَتْ نَارَ فِطْنَتِهِ الْمَعَانِي فَقَالَ لَهَا وَقَدْ أُمِنَ الْكَلَامُ
ثِقِي بِالْأَمْنِ فِيهِ فَذَا خَلِيلٌ يُرَى فِي نَارِ فِطْنَتِهِ سَلَامٌ

وَمِنْ حَزْبِيَّةٍ أَقَامَتْ الْحَزْبَ عَلَى سَاقٍ ، وَأَدَارَتْ الرَّدَى عَلَى الْعِدَى ، وَلَهَا مِنَ الْمُحَابِرِ كَوَامِنٌ^(١) وَمِنَ الْقَلَمِ سَاقٍ ؛ لَوْ تَجَرَّدَتْ كَتَائِبُ كُتُبِهَا ، مُنِي الْأَعْدَاءُ مِنْهَا بِمَعَانٍ هِيَ حَقِيقَةُ الْمَوْتِ ، وَلَوْ تَمَرَّدَتْ الْقَوَاضِبُ ، أَرْسَلَتْ عَلَى الْقَوْرِ صَوَارِمَ مِنَ الطُّرُوسِ لَا تَخَافُ الْفَوْتَ ، وَلَوْ أَفْسَدَ الزَّمَانُ حَالاً ، أَعَادَ صَلَاحُهَا مَا أَفْسَدَ ، وَلَوْ اسْتَأْسَدَ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَغُلٌّ ، بَرَزَتْ مِنْ سَوَادِ نَفْسِهَا وَبَيَاضِ

(١) في س : كؤوس . وفي م : أكؤوس .

طَرْسِهَا فِي صُورَةٍ فَهَذِهِ لَافْتِرَاسٍ مَا اسْتَأْسَدَ ، وَمِنْ وَمِنْ وَمِنْ ، وَبِلَاغَةٍ مَوْلَانَا^(١) ^(٢) يُشِيرُ إِلَيْهَا الْبَلِغُ إِشَارَةً فَتَى بِالْعَجْزِ عَنِ الْوَصْفِ قَمِينٌ^(٢) : [من

الخنيف]

فَهِيَ فِي كُلِّ حَالَةٍ تَتَبَدَّى بِمَعَانٍ تَرُوقُ مَبْنَى وَمَبْدَا
فَعَلَتْ بِالْعُقُولِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْدُ رُ وَشَدَّتْ إِلَى الْمَسَرَّاتِ شَدًّا
عَزَفُهَا كَالْعَبِيرِ وَالرَّوْضِ لَكِنْ هِيَ مِنْ ذَا ذَلِكَ أَنْمَى وَأَنْدَى
بَرَزَتْ مِنْ حُرُوفِهَا فِي صُفُوفٍ بِصُفُوفٍ مِنَ الْمَحَاسِنِ تُقْدَى
أَلِفَاتُ بِهَمْزِهَا تُخْجِلُ الْبَنْدَ سَدَّ يَقِيناً وَتُخْجِلُ الْخُودَ قَدًّا
وَعُيُونُ تَنْبِي اللَّحَاطِ صَحِيحَا تِ لَهَا فِي رَوْضِ الْكِتَابَةِ أَنْدَا
يَا كَرِيمَا بِدُرِّ لَفْظٍ ثَمِينِ هُوَ أَجْلَى فِي كُلِّ عَيْنٍ وَأَجْدَى
[١٧٤] فُقِيَ عَلَى الْبَحْرِ فِي عَطَائِكَ وَأَفْخَرُ فَهُوَ أَعْطَى دُرّاً قَلِيلاً وَأَكْدَى
قَدْ حَلَلَتْ الْأَشْعَارَ بِالنَّثْرِ حَلًّا فِي اسْتِلابِ الْعُقُولِ جَاوَزَ حَدًّا
وَكَسَتْهَا أَلْفَاظُكَ الْغُرُّ ثَوْباً قَدْ حَبَاها عِزّاً وَأَوْرَثَ مَجْدَا
وَقَزَتْ وَفَدَ كُلُّ سَعْدٍ عَلَيْهَا فَتَلَقَّتْ وَفَرّاً عَمِيماً وَوَفَدَا
حَفِظَ اللَّهُ لِلْفَضَائِلِ ذَهْنًا مِنْكَ لَمْ يُبْقَ فِي الْإِجَادَةِ جُهْدَا
عَجَزَتْ عَنْهُ كُلُّ هِمَّةٍ ذَهْنٍ وَتَصَدَّى كَرُونَقِ السَّيْفِ فَرْدَا

لَقَدْ^(٣) بَلَّغَتْ أَلْفَاظُ الْمَسَرَّاتِ إِلَى الْقُلُوبِ ، فَأَخَسَّتِ الْبَلَاغُ ، وَبَالَغَ قَلَمُهُ فِي صَوْنِ السُّطُورِ بِالْكَلِمِ الْمُنْسَجِمِ ، فَوَرَدَ طَرْفُ الْمَمْلُوكِ لِلْكَلِمِ مَا سَاغَ وَلِلْقَلَمِ مَا صَاغَ ؛ فَهَنَّا اللَّهُ يَدَهُ الْكَرِيمَةَ إِذْ رَقَتْ إِلَى سَمَاءِ السَّمَاحَةِ ، وَاسْتَوَلَتْ بِحُسْنِ

(١) نهاية السقط في ب . وجاء فيها : وكتبت أنا إليه ارتجالاً ! ! !

(٢) - (٢) ما بينهما من م فقط .

(٣) بداية سقط النص الثري في ب .

الكتابية على روضة النجوم المسامحة في المساحة ؛ فهي اليد التي كأنما ضربت السماء فوقها جسراً لعبور السحاب على أنوارها ، وكأنما مسح أوجه دهم الليل ، فأثرت تلك الغرر من الصباح في جباهها^{(١)(٢)} : [من البسيط]

يد عهدتك للتفصيل تبسطها فتستقل الثريا أن تكون فما انتهى المملوك إلى هنا ، والنجم قد أغفى بغير نعاس ، والثريا قد سقط إلى الغرب ما كانت معلقة فيه من الأمراس ، والضبح قد قدح في أساور الجنج شرراً ، والأفق قد أهدى من النهار كافوراً واسترد من الليل عبيراً ؛ والله تعالى يسكن بوجوده قطر عبرات الفضل الذي غلبه الدهر على السلب ، ويصون بجوده قطرات اللفظ التي إذا وضعها حامل قلمه نادتها القرائح^(٣) : [من البسيط]

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب [كناية بهما عن أشرف النسب] بمئه وكرمه^(٤) .

● فكتب أنا الجواب إليه :

أقسم بكلمات مولانا التي ما لها مثل على تكاثرها في العصر ، وبمعانيها التي تغردت بالجمال فلا جمع بينها وبين مخدرات القصر ، وبسطور ألفاظها التي هي أشبه شيء بالأغصان ذوات الهضر ، وبطلاوة تراكيبها التي تبت يدا مجاريها وفازت هي بالنص على النص ، وبانسجام عباراتها التي طارت حمائم همزاتها الساجعة وزمت غيرها بالحصر والحضر ؛ لقد جل مولانا في حلبة

(١) من قول ابن نباتة السعدي : [معاهد التنصيص ٣/٧٢ و ٤/٢٠٥]

وكانت لطم الصباح جينه فاقصص منه فغاص في أحشائه

(٢) البيت لابن اللبابة الداني ، من قصيدة في وفيات الأعيان ٥/٣٨ .

(٣) البيت للمنتبي ، في ديوانه ١/٨٦ .

(٤) من م .

الفضل ، إلا أن يكون قد جلى ، وسابق فحول هذه الصناعة حتى سلم كل له الفضل عندما صلى : [من البسيط]

أنى يجارينه فزسان الكلام ومن غباره في هوايين ما نفصوا فابن زيدون عند بلاغته منسوب إلى النقص ، وصاحب « الأغاني » عند اطلاعه يهتز بالطرب والرفص ، وابن بسم قطب من حسده وعبس ، والميداني كف عنائه عن مجاراته وحبس ، والقالبي رمي عند أفاظه بالعبي والخرس ، وابن الأثير^(١) من حل نظميه أصبح في الحضيض ، وابن أبي الحديد^(٢) من فصاحته بعد فواه أصبح وهو مهيض ، وابن عميرة^(٣) أمست أبيات نظميه وهي خراب ، وأبو بحر^(٤) غدت قصائده إذا التمحها الظمان مثل السراب ؛ ولعمري إذا كان مولانا بهذه المثابة ، فقد نفخ من المملوك في غير صرم ، وطاف من أركان إنشائه بغير حرم : [من البسيط]

لطفت رأيك في برّي وتكرمتي [ب ٧٤] إن الكريم على العلياء مختال

ولا بدع فيما أتيت ، فإنك من أهل بيت كل منهم كريم وكاتب ، وذو فضل يصبح المتعلق بهذا الفن وهو رايع في جوده الراتب : [من الطويل]

ليهنكم يا آل غانم تبعاً لها في رياض الفضل بالمجد أثمار

(١) هو نصر الله بن محمد بن محمد ، أبو الفتح ، الجزري الكاتب ؛ توفي سنة ٦٣٧ هـ . (مسالك الأبحار ١٢/٢٦٩) .

(٢) هما اثنان : عز الدين ، عبد الحميد بن هبة الله المدائني ، توفي سنة ٦٥٥ هـ . (مسالك الأبحار ١٢/٣١٨) .

وأخوه : موفق الدين ، القاسم بن هبة الله المدائني ، توفي سنة ٦٥٦ هـ . (مسالك الأبحار ١٢/٣٢٣) .

(٣) هو أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي ، صاحب كتاب « بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس » ، المتوفى سنة ٥٩٩ هـ . (مقدمة كتابه) .

(٤) أبو بحر ، صفوان بن إدريس بن إبراهيم التجيبي الأندلسي ، من أهل مرسية ، صاحب كتاب « زاد المسافر » ؛ توفي سنة ٥٩٨ هـ . (مقدمة كتابه) .

جَمَالٌ لِأَهْلِ الْعَصْرِ حَازَ مَنَاقِبًا تَرَوْقُ لَدَى الْأَسْمَاعِ مِنْهُنَّ أَسْمَارُ
تَطُوفُ عَلَى الْأَسْمَاعِ كَاسَاتُ لَفْظِهِ فَيَخْصُلُ لِلْأَلْبَابِ مِنْهُنَّ إِسْكَارُ
وَيَخْلُبُ عَقْلَ الْمَرْءِ سِحْرُ بَيَانِهِ وَمَا كُلُّ مَنْ عَانَى الْمَعَانِي سَحَّارُ
وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا سَمَاءٌ فَضَائِلِ مُحَاسِنُهُ فَيْكُمُ شُمُوسٌ وَأَقْمَارُ
فَاللَّهُ يُنْتِجُ الْوُجُودَ بِفَضَائِلِهِ ، وَيَنْقُلُ إِلَى النَّسَمَاتِ السَّخَرِيَّةِ شَمَائِلَ لُطْفِهِ
وَلُطْفَ شَمَائِلِهِ ، وَيَجْبُرُ صَدْعَ الْأَدَبِ بِفَضَائِلِهِ الْبَاهِرَةِ ، وَيُحَلِّي عَطْلَ الْأَدَابِ
مِنْ خَطِّهِ وَخِطَابِهِ بِالْعُقُودِ الْفَاحِشَةِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ (١) .

● وَكَتَبَ إِلَيَّ وَقَدْ مَرَضَ فَلَمْ أَعُدْ (٢) : [من الكامل]

مَوْلَايَ كَيْفَ كَسَرْتَنِي فَهَجَرْتَنِي عِلْمًا بِأَنِّي كَيْفَ كُنْتُ رَاضِي
أَوْ قُلْتَ إِنِّي لَا أَعُودُ مُمَرَّضًا ظَنًّا بِأَنِّي لَا مَحَالَةَ مَاضِي

● فَكَتَبْتُ الْجَوَابَ إِلَيْهِ (٣) : [من الكامل]

أَرْسَلْتَهَا مِثْلَ السَّهَامِ مَوَاضِي نَفَذْتُ مِنَ الْأَغْرَاضِ فِي أَغْرَاضِي
فَأَتَتْ وَعَتْبُكَ قَدْ تَخَلَّلَ لَفْظُهَا مِثْلَ الْأَفَاعِي بَيْنَ زَهْرِ رِيَاضِي
دَعْنِي مِنَ الْجَبُرُوتِ أَوْ مِنْ أَهْلِهِ لَا تَجْعَلَنَّ سَوَادَهُمْ كِبْيَاضِي
حَاشَاكَ أَنْ تَمْضِي وَسَعْدُكَ قَدْ غَدَا مُسْتَقْبَلًا فِينَا وَأَمْرُكَ مَاضِي (٤)

٤٦ * عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ (٥) :

الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْفَاضِلُ ، الْفَقِيهُ ، الْأَدِيبُ ، تَقِيُّ الدِّينِ الْحَنْبَلِيُّ .

(١) نهاية السقط في ب .

(٢) البيتان في أعيان العصر والوافي .

(٣) الأبيات في أعيان العصر والوافي .

(٤) سقط البيت من ب .

(٥) ترجمته في : الدرر الكامنة ٢ / ٢٧٠ .

- ولادته سنة ٦٨١ هـ . ووفاته سنة ٧٥٧ هـ .

- سقطت هذه الترجمة بكاملها من س .

● كَتَبَ إِلَيَّ وَقَدْ عَمِلَ نُسخَةَ صَدَاقِي ، فَعَابَ ذَلِكَ عَلَيْهِ بَعْضُ النَّاسِ ،
فَبَعَثَ بِالنُّسخَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَمَعَهَا : [من البسيط]

مَاذَا يُجَاوِبُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ وَأَهْلُ مَعْرِفَةِ الْأَشْعَارِ وَالْخُطَبِ
وَمَنْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَفْطَارِ قَاطِبَةً شَدُّ الرَّحَالِ لِئِيلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
وَمَنْ بِهِمْ يُفْتَدَى فِي عَصْرِنَا وَهُمْ أَثَمَةُ الْوَقْتِ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ
كُنَيْتُمْ شَرَّ ذِي جَهْلٍ وَذِي حَسَدٍ وَلَا يُؤَلِّتُمْ بِأَفْكَالِكِ وَذِي كَذِبِ
هَلْ هَذِهِ خُطْبَةٌ مِمَّنْ حَوَى أَدَبًا أَوِ الَّذِي قَدْ دَرَى مَا خُطُّ فِي الْكُتُبِ
أَوْ جَاهِلٍ مَا لَهُ عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ أَوِ الَّذِي لَيْسَ يَذْهَبُ نَزْرَ مُكْتَتِبِ
أَوْ هَلْ يَمْرُؤُنَ بِهَا عَيْنًا يُدَنِّسُهَا أَوْ رِگَةً أَوْ بِهَا نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ
وَهَلْ إِذَا اتَّحَدَّتْ أَسْجَاعُهَا فَتَرَى بِحَطِّهَا ، أَوْ بِهِ تَغْلُو عَلَى الْقُطْبِ (١)
أَوْ هَلْ بِهَا مِنْ مَعَانٍ لَا تَلِيقُ بِهَا فِي مِثْلِهَا فَاكْشِفُوا عَنْ وَجْهِ مُخْتَجِبِ
بِمَا تُجَيِّبُونَهُ فِيهَا فَقَدْ كَثُرَتْ فِيهَا الْأَقَاوِيلُ مِنْ قَوْمٍ بِذَا السَّبَبِ
بَعْضُ يَقُولُ : بِهَا عَيْبٌ ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : كَلَّا وَقَدْ صِيغَتْ مِنَ الذَّهَبِ
فَيَبُوءُ لَا عَدِمْنَا فَضْلَكُمْ أَبَدًا وَلَا بَرِخْتُمْ لَنَا فِي سَائِرِ الثُّوبِ
هَلِ الَّذِي عَابَهَا حَقٌّ مَقَالَتُهُ أَوْ جَاهِلٌ بِفُنُونِ النَّظْمِ وَالْخُطَبِ
أَوِ الَّذِي قَالَ إِنَّ الدُّرَّ صِيغَتْهَا يَكُونُ مِمَّنْ سَرَى فِي مَنَهِجِ الْأَدَبِ
فَإِنْ يَكُنْ قَدْ أَجَادَ اللَّفْظَ قَائِلُهَا لَهُ أَجِيزُوا تَنَالُوا أَغْظَمَ الْقُرْبِ
نَظْمًا يَكُونُ جَوَابِي يَا أَيْمَنَّا يَشْفِي الصُّدُورَ وَيَجْلُو هَمَّ مُكْتَتِبِ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ ارْتِجَالًا : [من البسيط]

[١٧٥] سَأَلْتُ يَا فَارِسَ الْهَيْجَاءِ فِي الْأَدَبِ عَمَّا أَتَيْتَ بِهِ مِنْ أَحْسَنِ الْخُطَبِ

(١) ورد هذا البيت في ب آخر القصيدة استدراكاً .

هَلْ فِي مَحَاسِنِهَا عَيْبٌ لِمُنْتَقِدٍ
وَهَلْ إِذَا كَانَ مِنْهَا السَّجْعُ مُتَّحِداً
فَحَاشَ لِلَّهِ مَا فِيهَا سِوَى دُرِّ
وَنَثْرُهَا رَائِقٌ مَا عِنْدَهُ كَدَرٌ
وَكُونُهُ جَاءَ فِي حَرْفٍ يَدُلُّ عَلَى
تَعْدُو بِهَا اللَّامُ عَمَّنْ لَمْ فِي جَنِّ
يَفْتَرُ مَيْسُمُهَا فِي الْقَوْلِ عَنْ دُرِّ
وَقَدْ غَدَتْ فِي رِيَاضِ الْحُسْنِ وَجَنَّتْهَا
وَبَيْنَهَا عِنْدَ مَنْ يَذْرِي مَحَاسِنَهَا
مَضْمُولَةٌ كِغْرَارِ السَّيْفِ أَزْهَفُهُ
فَلَيْسَ تَحْتَاجُ ذَا خَطٍّ يُؤَيِّدُهَا
قَدْ كِدْتُ أَنْشِدُهَا لَمَّا خَلَوْتُ بِهَا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضاً قَبْلَ وُصُولِ جَوَابِي هَذَا إِلَيْهِ : [من البسيط]

مَنْ رَامَ رَبْعَكَ مَا خَابَتْ مَقَاصِدُهُ
يَا مَنْ غَدَا وَهُوَ فَرْدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ
حُزْتُ الْبَلَاغَةَ لَوْ قُسُ بْنُ سَاعِدَةٍ
قَدْ شَاعَ فَضْلُكَ فِي الْأَقْطَارِ قَاطِبَةً
يَا مَنْ غَدَا فِي مَرَاقِي الْمَجْدِ مُرْتَقِيَا
وَمَنْ حِيَاضُكَ قَدْ طَابَتْ مَوَارِدُهُ
وَرَاخَ وَهُوَ بِهَذَا الْعَصْرِ وَاحِدُهُ
يَسْرُومُ مَا نِلْتَهُ مَا طَالَ سَاعِدُهُ
يَا مَنْ غَدَا وَهُوَ فِي ذَا الْعَصْرِ مَاجِدُهُ
وَرَاخَ بِالذُّلِّ وَالتَّبَرُّيحِ حَاسِدُهُ

(١) العجز مضمّن من قول أبي تمام : [ديوانه ٤٥/١]

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ

(٢) العجز مضمّن من قول المتنبي : [ديوانه ٨٦/١]

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ ، يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ

فِي حِدَّةِ الْحَدِّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللُّعْبِ

كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ السُّبِّ

إِنِّي سَأَلْتُكَ يَا ذَا الْفَضْلِ مَسْأَلَةً
سَأَلْتُ عَنْ خُطْبَةٍ قَدْ بِتْ مُفْتَرِحَاً
قَدْ أَصْبَحَ الْعَبْدُ مِنْ طُولِ الْمَدَى قَلِقَاً
فَإِنْ أَجَبْتَ فَفَضْلٌ مِنْكَ يَغْمُرُنِي
وَإِنْ يَكُنْ عَاجِلاً فَهَوَ الْمُرَادُ فَقَدْ
وَاسَلَمَ وَدُمَ لَا بَرَحْتَ الدَّهْرَ فِي دَعَاً

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ ازْتِجَالاً : [من البسيط]

يَا فَارِساً كُلَّ عَنْهُ مَنْ يُطَارِدُهُ
أَبْدَعْتَ فِي النَّظْمِ مِنْ بَعْدِ الْخُمُولِ لَهُ
أَقْصِرْ فَقَدْ صَحَّ لِي أَنَّ الْبَدِيعَ غَدَاً
نَظْمٌ بَدِيعٌ خَلا مِنْ رِكَتِهِ وَغَدَاً
يَظَلُّ يَخْلُبُ لُبَّ السَّامِعِينَ لَهُ
مِنْ أَجْلِ ذَا وَجَبَتْ لِلْفَضْلِ مِنْكَ عَلَى
أَمَّا الْجَوَابُ فَإِنِّي لَمْ أُخِلَّ بِهِ
وَجَهَّزْتُهُ عَلَى جَهْلٍ قَرِيحَتِي أَلْ
لِأَنَّ أَمْرِي بَادٍ فِي الْوَرَى فَلِذَا
فَإِنْ تُسَامِحْ فَبِالْحُسْنَى وَإِنْ تُرِدْ أَلْ
وَاسَلَمَ لِفَنٍّ مَضَتْ فِي النَّاسِ بَهْجَتُهُ

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ بَعْدَ مَا وَصَلَ الْجَوَابُ الْأَوَّلُ إِلَيْهِ : [من البسيط]

[٧٥ ب] أَجَبْتَ يَا حَبِيرَ عِلْمٍ عَالِي الرُّتَبِ جَوَابَ حَبِيرِ عَلِيمٍ جَدٍّ فِي الطَّلَبِ (١)

(١) فِي ب ، م : . . . يَا بَحْرَ عَلِيمٍ . . .

حَزَنَ الْبَدِيعَ وَحُسْنَ الْخَطِّ مَعَ كَرَمِ
أَحْيَيْتَ قَلْبَ عَلِيمٍ شَفَهُ سَقَمٌ
شَفَيْتَ غَلَتَهُ ، أَبْرَأْتَ عِلَّتَهُ
إِذَا تَأَمَّلَ رَائِيهِ لِنَظَرِهِ
كَأَنَّمَا اللَّفْظُ دُرٌّ رَاحَ مُنْتَظَمًا
كَأَنَّهُ التُّورُ فِي رَوْضٍ سَرَتْ سَحْرًا
وَبَاكَرَتْهُ الصَّبَا فِي ذَيْلِهَا أَرْجُ
أَزْهَى مِنَ الرَّوْضِ مَرَاةً وَمَنْظَرُهُ
لَقَدْ غَدَا عَبْدُكُمْ بِالْعِزِّ مُشْتَمِلًا

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ ، أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ : [من الكامل]

زَمَنٌ تَقَضَّى بِالْجَمَى وَرُبُوعِهِ
يَا رَاحِلِينَ عَنِ الْمُحِبِّ نَزَلْتُمْ
هَلْ عَوْدَةٌ بِالْوَصْلِ تَشْفِي سُقَمَ مَنْ
حَسْبِي مِنَ الْهَجْرَانِ يَا مَنْ حُسْنُهُ
شَرَّدَتْ عَنْ قَلْبِي الْكَتِيبُ قَرَارُهُ
جُدْ بِالْوِصَالِ لِمُسْتَهَامٍ وَإِلَيْهِ
وَارْحَمْ كَسِيرَ الْقَلْبِ وَاغْنَمْ أَجْرَهُ
هَاقْدَ أَتَاكَ بِذِلَّةٍ وَتَخَضَّعَ

(١) كذا في أ . ولعل الصواب : أَحْيَيْتَ قَلْبَ عَلِيمٍ

وفي ب : . . . قلب كتيب

(٢) في أ : لناضره × ! .

(٣) وسقط ما بعد ذلك إلى نهاية الترجمة من ب .

أَوْ مَا تَخَافُ اللَّهَ فِي صَبِّ عَدَتْ
هَا قَدْ شَكَّوْتَ إِلَيْكَ إِنْ لَمْ تُشْكِنِي
فَلَيْشُكُونَ الْعَبْدُ مَا قَدْ مَسَّهُ
بَخَرِ الْعُلُومِ وَخَبَرِهَا مَنْ صِيَّتُهُ
أَغْنِي صِلَاحَ الدُّيْنِ سَيِّدَنَا الَّذِي
مِنْهُ يَتَابَعُ الْعُلُومُ تَفَجَّرَتْ
وَلَهُ الْيَدُ الطُّولَى وَكُلُّ مُصَنَّفٍ
مَا فِي الْبَرِيَّةِ مِثْلُهُ فِي عَصَرِهِ
أَيْشَبُهُ الْبَحْرُ الْخِضَمُ بِجَذُولِ
هُوَ فَارِسٌ يَوْمَ التَّزَالِ مُسْرَبِلٌ
مَا الْمُزْنُ يَخْكِي جُودَهُ فِي جُودِهِ
تُغْنِي الْمُلُوكَ عَنِ الْكَتَائِبِ كُتُبُهُ
يَا مَنْ يَرُومُ لِحَاقَهُ لَا تَطْلُبُنْ
مَنْ ذَا يُبَارِي الرُّيْحَ عِنْدَ هُبُوبِهَا
يَا مَلَجَأَ الطَّلَافِ يَا كَهْفَ الْوَرَى
إِنْ جَاءَ قَوْلٌ فِيهِ خُلْفٌ مُشْكِلٌ
مَا إِنْ سَأَلْنَا قَطُّ عِلْمًا غَامِضًا
يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ الَّذِي مَنْ أَمَّهُ
أَخْمَلَتْ ذِكْرَ ذَوِي الْبَلَاغَةِ كُلِّهِمْ

نَارُ الْفِرَاقِ تُشَبُّ بَيْنَ ضُلُوعِهِ
وَيَزُولُ عَنْ قَلْبِي أَمْضُ هُلُوعِهِ
مِنْ شِدَّةِ الْبَلَوَى إِلَى مَقْرُوعِهِ (١)
عَمَّ الْبِلَادَ جَمِيعَهَا بِذُيُوعِهِ
فَاقَ الْوَرَى بِأُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ
فَالنَّاسُ يَسْتَسْقُونَ مِنْ يَنْبُوعِهِ
قَدْ فَاقَ أَهْلَ الْفَضْلِ فِي مَشْرُوعِهِ
كَمْ بَيْنَ آسَادِ الشَّرَى وَسُمُوعِهِ (٢)
أَوْ لَيْتَ غَابَ مُشْبِلُ بِدُرُوعِهِ (٣)
مِنْ كُلِّ قَوْلٍ صَحَّ فِي مَجْمُوعِهِ
وَنَدَاهُ قَدْ فَاقَ الْحَيَا بِهُمُوعِهِ
فِيهَا يَقِرُّ عَدُوُّهُمْ بِجُمُوعِهِ
مَا لَا حَقِيقَةَ فِي الْوَرَى لِوُقُوعِهِ
أَمْ مَنْ يُجَارِي التَّبَقُّ حِينَ لُمُوعِهِ
أَيَقْظَتْ هَذَا الْعِلْمَ بَعْدَ هُجُوعِهِ
أَوْضَحَتْ مَا قَدْ شَدَّ مِنْ مَسْمُوعِهِ
إِلَّا وَكُنْتَ مُقَرَّبًا لِشُسُوعِهِ
أَمِنْ الزَّمَانِ وَطَوْلُهُ مِنْ نُوعِهِ (٤)
وَضِيَاءُهُمْ أَخْمَدَتْ بَعْدَ سَطُوعِهِ

(١) المقروع : الشَّيْد . (هامش أ) .

(٢) السُمُوع : أولاد الصَّبِيعِ مِنَ الذَّيْبِ . (هامش أ) .

(٣) الدُّرُوع : أولاد البقر الوحشية . (هامش أ) .

(٤) النُّوع : العطش . (هامش أ) .

[١٧٦] فالجوهري «صاحبه» قد كُثِرَتْ
وَكَذَا الْبَدِيعُ لَدَيْكَ أَصْحَى خَامِلاً
وَعَدَا الْمَعْرِيّ الَّذِي عَرَّيْتَهُ
وَكَسَرْتَ مِنْوَالَ الْحَرِيرِيّ الَّذِي
وَعَلَى قُدَامَةٍ لَا تَزَالُ مُقَدَّمًا
وَقَنَاهُ حَمَامُ النَّصِيرِ كَسَرَتْهَا
نُورُ السَّراجِ بِنَفْسِهِ أَطْفَاءَتُهُ
وَالْفَاضِلُ الْقَاضِي تَيَّنَ نَفْضُهُ
فُقِيتَ الْأَنَامُ بِسُودِدٍ وَسِيَادَةٍ
قَدْ أَخَّرَ الْمَمْلُوكُ حَظَّ أَسْوَدَ
إِنِّي التَّزَمْتُ الرَّذْفَ قَبْلَ رَوِيَّهَا
خُذْهَا صَلَاحَ الدِّينِ نَفْثَةً قَاصِرِ
لَا زِلْتُ فِي نَعَمٍ دَوَامًا سَزَمَدًا
٤٧ * عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ (٤) :

وَعَدَتْ بِسُوقِ كَسَادِهَا كَجَزْوِعِهِ
عَدَلَ الْأَنَامُ إِلَيْكَ عَنْ مَوْضُوعِهِ
حُلَلِ اللُّغَاتِ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ
قَدْ أَغْجَزَ النَّسَاجَ عَنْ مَضْنُوعِهِ
زَلْتُ بِهِ الْأَقْدَامُ عِنْدَ قَزْوِعِهِ (١)
وَقَطَعْتَ عَنْهُ الْمَاءَ عَنْ يَنْبُوعِهِ
فَعَدَا الظَّلَامُ مُخَيِّمًا بِرُبُوعِهِ
وَعَنِ الرِّيَاضِ أُذِينَدَ بَعْدَ رُثُوعِهِ
كَالْعَبْدِ إِذْ فَاقَ الْوَرَى بِقُطُوعِهِ
كَيْفَ اخْتِيَالِي فِي الْقَضَا وَوُقُوعِهِ
كَالصَّبِّ يَلْزَمُ جِبَهُ لِرُجُوعِهِ
يَوْمَ السَّبَاقِ عَلَى مَطْيِ مَهْقُوعِهِ (٢)
مَا الطَّيْرُ غَرَّدَ مُسْجِرًا فِي شُوعِهِ (٣)

القاضي الفاضل ، وَلِيّ الدِّينِ ابْنِ قَاضِي الْقَضَا بِهِاءِ الدِّينِ ، أَبِي الْبَقَاءِ
[السُّبْكِي] ، مَوْقِعُ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ .

● كَتَبَ إِلَيَّ مُلَغِزًا : [من الوافر]

- (١) القزوع : الاستعمال . (هامش أ) .
- (٢) المهقوع : الفرس الذي يكون في زوره كهية الهقعة ، وهو عيب في الخيل ، ولا يزال المهقوع مسبوقة . (هامش أ) .
- (٣) الشوع : شجر البان . (هامش أ) .
- (٤) ترجمته في : درر العقود الفريدة ٣٣٨/٢ والذيل على العبر ٥٤٨/٢ والذّرر الكامنة ٢٩٢/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١٢٢/٣ وإنباه الغمر ١٤٧/٢ والنجوم الزاهرة ٢٩٨/١١ والذيل التام ٣٣٠/١ ونزهة النفوس والأبدان ٨٩/١ والدارس ١٧٣/١ وتاريخ الصالحية ١٧٣/١ وشذرات الذهب ٤٩٦/٨ .
- ولادته سنة ٧٣٥ هـ . ووفاته سنة ٧٨٥ هـ .
- سقطت هذه الترجمة من س .

وَمَا اسْمُ يَا إِمَامِ الْعَصْرِ حَقًّا
ثَلَاثِي إِذَا مَا الثُّلُثُ مِنْهُ
وَمَعَ عَكْسِ الْخُرُوفِ يَصِيرُ فِعْلًا
وَإِنْ صَحَّفْتَهُ مِنْ بَعْدِ عَكْسِ
يُرَى فَوْقَ الْمُلُوكِ بِلا مِرَاءِ
أَجِبْ فَلَيْسَ يَدِي فَكَّرَ دَقِيقُ
وَيَا مَنْ حَازَ إِخْسَانًا وَلُطْفًا
أُبَيِّنَ غَدَا يَرَاهُ النَّاسُ حَرْفًا
لَا تُشَى قَدْ ثَنَتْ جِيدًا وَعُظْفًا
فَدَعُهُ لِكَبِيرِ الْأَعْدَاءِ وَضْفًا
وَكَمْ قَدْ حَازَ تَشْرِيفًا وَظَرْفًا
عَلَيْهِ مِثْلُ هَذَا لَيْسَ يَخْفَى

● فَكْتُبْتُ أَنَا الْجَوَابَ ، وَهُوَ فِي « تَاج » : [من الوافر]

لَقَدْ أَنْحَفْتَنِي بِبَيْدِيعِ لُغَزِ
أَذَرْتُ بِهِ عَلَيَّ كُؤُوسَ نَظْمِ
أَرَاهُ « بَاحٌ » بِالتَّضْجِيفِ حَتَّى
فَصَرْتُ وَقَدْ أَتَانِي رَبُّ « تَاجِ »
وَبَاتَ نُضَارُهُ لِلْجَيْدِ طَوْقًا
فَدُمْتُ تَجِدُ لِلْأَدَابِ رَسْمًا
حَكَى زَهَرَ الرُّبَا لُطْفًا وَعَزْفًا
كَأَنَّ مِرَاجَهَا عَسَلٌ مُصَفَّى
لَقَدْ كَشَفَ الْمُغَطَّى مِنْهُ كَشْفًا
تُزَفُّ لَهُ مَعَانِي التَّنْظِمِ رَقًّا
وَأَصْبَحَ دُرُّهُ لِلشَّمْعِ شُنْفًا
عَفَا وَتَجِيدُ دُرَّ الشَّعْرِ رَضْفًا

٤٨ * عَبْدُ الْبَاقِي بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْمَعَالِي مَتَّى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَيْسَى بْنِ يَوْسُفَ (١) :

السَّيِّخُ الْإِمَامُ الْأَدِيبُ ، الْوَزِيرُ ، تَاجُ الدِّينِ الْيَمَنِيّ ، وَزِيرُ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ

- (١) ترجمته في : مسالك الأبصار ٤٥٤/١٢ وأعيان العصر ١٢/٣ والوافي بالوفيات ٢٣/١٨ وفوات الوفيات ٢٤٦/٢ وذيول العبر ٢٣٣ ودرر العقود الفريدة ٢١٦/٢ وفوات ابن رافع ١٧٦/١ وتعريف ذوي العلا ١٦ والعقد الثمين ٣٢١/٥ وتذكرة النبيه ٤٤/٣ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٣٤/١ والذّرر الكامنة ٣١٥/٢ والنجوم الزاهرة ١٠٤/١٠ والمنهل الصافي ١٣٤/٧ و٢٠٤ باسم عبيد الله بن عبد المجيد والدليل الشافي ٣٩٣/١ وشذرات الذهب ٢٤١/٨ والبدر الطالع ٣١٧/٢ .
- مولده سنة ٦٨٠ هـ . ووفاته سنة ٧٤٣ هـ .
- هو صاحب كتاب « إشارته التعيين في تراجم النحاة واللغويين » .

داود صاحب اليمن^(١) .

● كَتَبَ بالقاهرة على كتابي « جنان الجناس » في سنة ٧٣٢^(٢) : [من الطويل]

جِنَانُ جِنَاسٍ فَاقَ جِنْسَ جِنَانٍ يُعِينُ الْمُعَانِي فِيهِ جُلُّ مُعَانِي
لَقَدْ نَوَّعَ الْأَجْنَاسَ فِيهِ مُؤَلَّفٌ طَرَائِقُ وَشِيْ أَوْ سُمُوطُ جُمَانٍ
غَدَا نَاهِجاً فِيهِ مَنَاهِجٌ لَمْ يَكُنْ قُدَامَةٌ قَدَمًا جَاءَهَا بَيَانٍ
مَقَاصِدُ مَا نَجَلُ الْأَثِيرِ مُثِيرُهَا بَدَائِعُ فَضْلٍ مِنْ بَدِيعِ زَمَانٍ
مُحَرَّرَةٌ الْأَلْفَاظِ لَكِنْ حُسْنُهَا رَقِيقٌ يُسَيِّنَا جَلِيلَ حِسَانٍ
إِذَا ابْنُ فَتَى نَجَلَ الْحَدِيدِ أَرَادَهَا تَقُولُ لَهُ : أَقْصِرْ فَلَسْتُ بِدَانِي
[٧٦ب] وَمَا أَنْتَ مِمَّنْ يَنْبِكُ الْبُتْرُ نَاقِدًا وَمَا لَكَ فِي سَبْكِ الثُّنَاجِ يَدَانِ
لَقَدْ أَطْرَبْتَ أَبْيَاتُهُ كُلَّ سَامِعٍ فَرَائِدُ مَا جَاءَتْ لَهْنٌ ثَوَانِي
تَفُوحُ بِأَزْوَاجِ الصَّبَا نَفَحَاتُهَا حَظِيرَةٌ بَانٍ عِنْدَ حَضْرَةِ بَانٍ
لَقَدْ صَيَّرَ الْحُسَادَ تَذْرِفُ عِنْدَهَا مَدَامِعَ شَانٍ فِي مُحَاجِرِ شَانٍ
أَقُولُ لِنَظْمِي جِئِنَ حَاوَلَ شَأُوهَا رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِي
بَقِيَتْ صَلَاحُ الدِّينِ لِلْفَضْلِ صَالِحًا لِحُسْنِ بَيَانٍ مِنْ يَرَاعِ بَنَانٍ

● فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ^(٣) : [من الطويل]

لَا لِي غَوَالٍ مِنْ حُلِيِّ غَوَانِي وَتَرْجِيحُ بَمٍّ بَعْدَ خَفَقِ مَثَانِي
أَمَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ نَظَمَ شِعْرَهُ فَمَا زَهَرُ رَوْضٍ مِنْ حُلَاهُ بَدَانِي
إِمَامُ زَمَانٍ الْفَضْلُ أَضْحَى بِكَفِّهِ يُصَرِّفُهُ يَوْمِي نَدَى وَيَانٍ
وَزِيرٌ بِتَذْيِيرِ الْمَمَالِكِ عَارِفٌ غَدَا النَّاسُ فِي أَيَّامِهِ بِأَمَانٍ

(١) في م : صاحب اليمن الميمون ، حرمه الله من الفتن .

(٢) القصيدة في أعيان العصر والوافي .

(٣) القصيدة في أعيان العصر . وزاد هنا في م : جواباً عما كتب .

إِذَا هُوَ جَارِي الْغَيْثِ يَوْمَ سَمَاحِهِ فَذَاكَ أَوَانٌ لَيْسَ فِيهِ بَوَانٍ
يُشِيدُ مَبَانِي الْمَعْجِدِ فِي حَوْمَةِ الْعُلَا يَهْزُ يَرَاعُ أَوْ بِسَلِّ يَمَانِي
فَأَقْسِمُ مَا أَتْنَى عَلَى مَا وَضَعْتُهُ بِشَغِيرٍ وَلَكِنْ بِالْجِنَانِ حَبَانِي
جِنَاسٌ بَدِيعٌ لَوْ تَقَدَّمَ عَصْرُهُ أَبَانٌ لَنَا فِي ذَاكَ عَجَزَ أَبَانٍ^(١)
فَشُكْرِي مَا وَفَى حُقُوقَ صَنِيعِهِ وَكَيْفَ بِشَامٍ شَامَ بَرْقُ يَمَانِي

٤٩ * عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ [بن يوسف] بن أحمد بن عبد الدائم^(٢) :

القاضي البليغ ، تقي الدين ابن القاضي الإمام الفاضل البارع النحوي
مُحِبُّ الدِّينِ ، كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْأَنْبَارِ الْمِصْرِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ .

● كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنَ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَهُوَ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، أَوَّلَ
دُخُولِهِ^(٣) الدِّيَّانُ : [من البسيط]

جَمَلْتُ بِالْفَضْلِ لِلْإِنْشَاءِ دِيَّانًا وَشَدْتُ لِلْمَعْجِدِ يَوْمَ الْفَخْرِ أَرْكَانًا
فَسَوْفَ يَفْتَرُّ ثَغْرُ الدَّهْرِ مُبْتَسِمًا عُجْبًا وَيَغْطِفُ مِنْهُ الْقَدَّ نَشْوَانًا
أَحْبَبْتُ يَا ابْنَ مُحِبِّ الدِّينِ صَنْعَةَ مَنْ قَدْ أَضْبَحُوا فِي مَجَالِ الْفَضْلِ فُرْسَانًا^(٤)
قَوْمٌ إِذَا مَا الْمَعَالِي أَشْرَفَتْ لَهُمْ كَانُوا لَهَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَخْدَانًا^(٥)
دِيَّانُ الْإِنْشَاءِ عَيْنٌ لِلزَّمَانِ وَقَدْ أَضْبَحْتَ أَنْتَ لِتِلْكَ الْعَيْنِ إِنْسَانًا
وَفِيهِ مِنْ سَادَةِ الْكُتَابِ طَائِفَةٌ كَمْ أَلْبَسُوا الْمُلُوكَ بِالْإِنْشَاءِ تَيْجَانًا

(١) هو أبان بن عبد الحميد اللاحيقي ، ناظم كلية ودمنة .

(٢) ترجمته في : درر العقود الفريدة ٢٢٣/٢ والذيل على العبر ٥٥٥/٢ وتاريخ ابن قاضي شهبة

١٤٥/٣ وإنباه الغمر ١٧١/٢ والنجوم الزاهرة ٣٠١/١١ والمنهل الصافي ٢١٠/٧ والدليل الشافي

٤٠٤/١ ونزهة النفوس ١٠٨/١ والذيل التام ٣٣٥/١ وشذرات الذهب ٥٠١/٨ .

- مولده سنة ٧٢٥ هـ . ووفاته سنة ٧٨٦ هـ .

- « أحمد بن » ساقطان من أ .

(٣) في ب : أَوَّلَ وصوله .

(٤) في م : أَحْبَبْتُ

(٥) في ب ، س ، م : استشرفت لهم × .

وَقَلَّدُوا بِالتَّقَالِيدِ الَّتِي نَظَّمُوا
وَيَنْظُرُ النَّاسُ رَوْضاً مِنْهُمْ نَضِراً
فَاجْهَدْ عَلَى أَنْ تُرَى فِي الْعَقْدِ وَاسِطَةً
وَلَيْسَ إِلَّا عُلُومٌ إِنْ ظَفِرَتْ بِهَا
وَرَأْسُ مَالِكٍ فِيهَا النَّخْوُ فَانْجُ لَهُ
حَافِظٌ عَلَى الدَّرْسِ وَالْإِعْرَابِ فَهَوَّ إِذَا
وَلَا تُفَارِقُ جِمَى التَّصْرِيفِ إِنْ لَهُ
وَمَا يَضُرُّكَ مِنْ حِفْظِ الْفَصِيحِ وَمِنْ
وُسْنَى الْمُضْطَفَى خُذْ مِنْ مَعَادِنِهَا
وَلِلْحِمَاسَةِ قَوْمٌ فِي الْكِتَابَةِ قَدْ
وَاحْفَظْ مِنَ الْمُتَنَبِّيِّ مَا اسْتَطَعْتَ تَجِدْ
مَا فِي التَّرْسُلِ كَنْزٌ مِنْهُ يُنْفَقُ إِلَى
[١٧٧] وَمَا التَّرْسُلُ إِلَّا نَثْرُ سَيِّدِنَا
فَاجْعَلْهُ دَأْبَكَ وَاعْقِلْ مِنْ شَوَارِدِهِ
طَرِيقَةٌ هِيَ مُثْلِي فِي الْأَنَامِ فَمَا
وَانْظُرْ تَوَارِيخَ أَقْوَامٍ حَدِيثُهُمْ
وَكَثِيرٌ مُطَالَعَةُ الْأَدَابِ تَخْطُ بِمَا
وَلَيْسَ مِثْلُ الْأَغَانِي فِي مُطَالَعَةِ
وَمَا الْبَدِيعُ بَعِيدٌ أَنْ يُطَرَّرَ مَا
هَذَا يَسِيرٌ وَمِثْلِي مَنْ يُشِيرُ بِهِ

حُلِيِّهَا جَيِّدُهُ دُرّاً وَمُرْجَانَا
وَيَنْشَقُّونَ مِنَ الْأَعْلَامِ رِيحَانَا^(١)
وَأَنْ تَكُونَ مَحَلّاً فَوْقَ كَيُونَا
تَسْحَبُ ذُبُولَ الْعُلَا مِنْ فَوْقِ سَحْبَانَا
إِنْ شِئْتَ تَمْلِكُ لِلْإِنْشَاءِ أَرْسَانَا
حَقَّقْتَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَلَاتِ أَغْوَانَا
فَلَاتِ قَوْمٍ حَكَّتْ رَضْوَى وَثَهْلَانَا^(٢)
بَعْضُ الْمَقَامَاتِ إِنْ جَانَبْتَ نُقْصَانَا
جَوَاهِرُهَا فَضَلَّتْ فِي الصَّرْفِ عَقِيَانَا
« طَارُوا إِلَيْهَا زُرَافَاتٍ وَوَحْدَانَا »
« أَوْفَى الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ الشَّعْرِ مِيزَانَا »
لَا شِعْرُهُ وَسِوَاهُ رَاحَ مَجَانَا
عَبْدُ الرَّحِيمِ فَخُذْ لِلْحُسْنِ أَلْوَانَا
أَوَابِدًا لَمْ تُرَدْ فِي الْحُسْنِ بُرْهَانَا
أَرَى سِوَاهَا مِثَالاً قَطُّ أَغْيَانَا^(٣)
لِلْمَجْدِ نَشْطُ مَنْ قَدْ رَاحَ كَسْلَانَا
زَانَ الْبَلِيغِ وَحَلَاةٌ وَمَا شَانَا
لَأَنَّهُ عَنِ جَمِيعِ الْكُتُبِ أَغْنَانَا
تَأْتِي بِهِ يَا تَقِيَّ الدِّينِ إِتْقَانَا
عَلَى الَّذِي قَدْ غَدَا بِالْعِلْمِ هَيْمَانَا

فَاخْفَظْ كَلَامَ مُحِبٍّ نَاصِحٍ جَعَلَ الدَّ

● فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ : [مِنْ الْبَسِيطِ]

مَنْ كَانَ مَحْبُوبُهُ لِلْهَجْرِ يَقْطَانَا
صَبٌّ بِمَضَرِّ يَرُومُ الْقُرْبِ قَدْ تَخَذَتْ
مُضْنَى كَيْسٍ مُعْنَى مُغْرَمٍ كَلِفَتْ
مَا زَالَ يُخْفِي عَنِ الْعُدَالِ لَوْعَتُهُ
حَتَّى غَدَا دَمْعُهُ الْقَانِي يَسْمُ عَلَى
إِنْ كَانَ أَحْبَابُنَا بِالْوَضْلِ قَدْ بَخَلُوا
فَلَسْتُ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصْرِي
مَنْ حَقَّقَ الْأَمْرَ فِي دَعْوَى مَحَبَّتِهِ
وَمَنْ يَكُنْ لِصَلَاحِ الدِّينِ نَسْبَتُهُ
بَخْرُ الْعُلُومِ وَمَنْ سَادَ الزَّمَانُ بِهِ
يُريكَ زُهْرَ النُّجُومِ الشَّهْبِ قَدْ نَظَّمَتْ
رِقَاعُ مَنْشُورِهِ إِنْ رُمْتَ تَنَعَّتْهَا
إِذَا تَنَاولَ قِرْطَاساً لِيَرْقُمَهُ
يَا مَنْ فَضَائِلُهُ تَسْرِي مُغْرَبَةً
أَتَحَفَّتْنَا بِوَصَايَا مِنْكَ نَافِعَةً
أَقُولُ قَوْلَ الَّذِي أَغَيْثَ صِفَاتِكُمْ
قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ دَهْرًا أَنْتَ وَاجِدُهُ

قَدْ بَاتَ يَرَعَى نُجُومَ اللَّيْلِ هَيْمَانَا
أَحْبَابُهُ بِأَعَالِي الشَّامِ أَوْطَانَا
لَا يَتَنَغَّى أَبَدًا فِي الْحُبِّ سُلُوانَا
وَيُظْهِرُ الصَّبْرَ تَمْوِيهَاً وَكَيْثَمَانَا
كَيْثَمَانِيهِ فَأَعَادَ السَّرَّ إِغْلَانَا
وَأَوْرَثُوا الْقَلْبَ بِالْإِبْعَادِ أَحْزَانَا
لَأَنَّ كُلَّ عَزِيزٍ بَعْدَهُمْ هَانَا
فَقَدْ أَصَمَّ عَنِ الْعُدَالِ آذَانَا
فَقَدْ غَدَا لَابِسًا لِلْعِلْمِ تَيْجَانَا
لَمَّا عَلَا رُتْبًا مِنْ فَوْقِ كَيُونَا
مِنْ نَظْمِهِ وَيُريكَ السَّحَرِ أَلْوَانَا
فَرَوْضَةُ أَنْبَتَتْ دُرّاً وَمُرْجَانَا
بَدَتْ بِلَاغَتُهُ قُسّاً وَسَحْبَانَا
فَلَا يَزَالُ سَنَاها مِنْهُ يَغْشَانَا
وَزِدْتَنَا بِوُضُوحِ الْأَمْرِ تَيْيَانَا
مَقَالَةً فَمَضَى فِي الْمَدْحِ حَيْرَانَا :
« وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا »^(١)

(١) مِنْ بَيْتِ الْمُتَنَبِّي : [دِيوَانُهُ ٢٣١/٤]

قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضاً أَنْتَ سَاكِنُهَا وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا

(١) فِي س ٤ م : مِنَ الْأَقْلَامِ رِيحَانَا .

(٢) فِي س : × زَلَّاتٌ

(٣) فِي ب : × أَلْوَانَا .

٥٠ * عبدُ القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن موسى الخطيب^(١) :

قاضي القضاة بصفد المحروسة ، أبو بكر ، جمال الدين البخاري التبريزي الشافعي .

● قرأتُ عليه مُجلِّدةً أنشأها خطباً^(٢) ، ورُتِّبها على حُرُوفِ الْمُعْجَمِ من أولها إلى آخرها بصفد المحروسة سنة ٧٢٤ ، وكتبت عليها^(٣) :

قَرَأْتُ هَذِهِ الْخُطَبَ الْمَسْرُودَةَ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، عَلَى مُنْشِئِهَا الْقَاضِي جَمَالِ الدِّينِ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّبْرِيزِيِّ الشَّافِعِيِّ - لَا زَالَتِ الطُّرُوسُ تُوشِي وَتُوشَعُ بِكَلَامِهِ ، وَتُرْصَفُ وَتُرْصَعُ بِحُكْمِهِ وَأَحْكَامِهِ ، وَمَحَاسِنُ أَيَّامِهِ وَلِبَالِهِ تُنْشَأُ وَتُنْشَدُ ، وَدُرُرُ نَثَرِهِ وَنِظَامُهُ تُنْظَمُ وَتُنْضَدُ - قِرَاءَةً مِنْ غَاصِ اللَّحْجَةِ مِنْ بَحْرِ جَنَبِهَا ، وَعِلْمَ قِيَمَةِ الْمُنتَقَى وَالْمُنْتَقَدِ مِنْ دَرَارِئِهَا وَدُرِّهَا ، وَاسْتَشَفَّ [٧٧ب] مَعَانِيهَا الْمَجْلُوءَةَ فِي حَبْرِ جَنَبِهَا ، وَصَدَّقَ مُعْجَزَاتِهَا وَمَا شَكَّ فِي خَبَرِ خَبَرِهَا ، وَاسْتَجَلَى وَجُوهَ غُرْبِهَا وَتَوَجَّاهُ إِغْرَابِهَا ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ الْقَرَائِحَ مَا لَهَا طَاقَةٌ عَلَى مِثْلِهَا فِي بَابِهَا ، وَتَنَزَّاهُ فِي حَدَائِقِهَا الَّتِي ضُرِبَتْ عَلَيْهَا أَرْوَاقُ الْأَوْرَاقِ ، وَاجْتَلَى أَبْكَارَهَا الْعُرُ فَكَانَتْ حَقِيقَةً فِتْنَةً الْعُسَاقِ ، فَسَرَّحَتْ سَوَامَ الطَّرَفِ فِيمَا أَرْضَاهُ مِنْ رَوْضَاتِهَا ، وَرَشَفَتْ قَطْرَ الْبَلَاغَةِ مِمَّا زُهِِيَّ مِنْ زَهْرَاتِهَا : [من الكامل]

وَتَشْتَفَّتْ أَذْنِي بِلُؤْلُؤِ لَفْظِهَا وَتَنَزَّهَتْ عَيْنَايَ فِي جَنَابِهَا

(١) ترجمته في : معجم الشيوخ للذهبي ٤٠٨/١ وأعيان العصر ١٢٤/٣ والوافي بالوفيات ٥٤/١٩ وفوات الوفيات ٣٦٧/٢ وفوات ابن رافع ١١٠/١ وتذكرة النبيه ٣٢٠/٢ والذرة الكامنة ٣٩٤/٢ والنجوم الزاهرة ٣٢٥/٩ والمنهل الصافي ٣٢٧/٧ والدليل الشافي ٤٢٣/١ .

- مولده سنة ٦٤٨ هـ . ووفاته سنة ٧٤٠ هـ .

(٢) وسماها « تحفة الألباء » . (الوافي) .

(٣) النص بشره وشعره في أعيان العصر والوافي .

وَتَأَمَّلْتُ أَفْهَامُنَا فَمَا يَلْتُ
فَكَأَنَّ هَمَزَ سَطُورِهَا بِطُورِهَا
وَكَأَنَّهَا وَجَنَاتٌ غِيْدٌ نَقَطُهَا
لَهُ مَا أَطْرَى وَأَطْرَبَ مَا أَتَى
لَا غَزْوَ أَنْ عَقَدَتْ لِسَانَ أُولَى الثُّهَى

● فكتب إلي^(٢) : [من الكامل]

بَرَشَفِ الصَّهْبَاءِ مِنْ كَاسَاتِهَا
وُزِقَ عَلَى الْأَغْصَانِ مِنْ أَلْفَاتِهَا
خَالَ عَلَى الْأَصْدَاغِ مِنْ جِنَامَاتِهَا
فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ مِنْ سَجَعَاتِهَا
عَنْ مِثْلِهَا بِالسَّحْرِ مِنْ كَلِمَاتِهَا^(١)

شَرَفَتْ غَزَسَ الدِّينِ حِينَ قَرَأَتْ مَا
بِقِصَاحَةٍ لَوْ أَنَّ قُتًى حَاضِرٌ
يَا فَخْرَ دَهْرٍ أَنْتَ مِنْ بُلْغَائِهِ
خُطْبِي الَّتِي أَنْشَأْتُهَا مَا أَنْتَ مِنْ
عَظَمَتِهَا وَبَرَزَتِهَا وَجَبَزَتِهَا
فَلَأَنْتَ أَكْرَمُ فَاضِلٍ لَمَّا بَدَتْ
فَاسْلَمَ وَدُمَ مَا رَنَحَتْ رِنَحُ الصَّبَا

● وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فِي « الشَّبَابَةِ »^(٣) : [من الوافر]

وَنَاطِقَةٍ بِأَفْوَاهِ ثَمَانٍ
لِكُلِّ فَمٍ لِسَانٌ مُسْتَعَارٌ
تُخَاطَبُنَا بِلَفْظٍ لَا يَعْنِيهِ
فَضِيحَةُ عَاشِقٍ وَنَدِيمُ رَاعٍ
تَمِيلُ بِعَقْلِ ذِي اللَّبِّ الْعَفِيفِ
يُخَالِفُ بَيْنَ تَقْطِيعِ الْحُرُوفِ
سَوَى مَنْ كَانَ ذَا طَبْعٍ لَطِيفٍ
وَعِزَّةٌ مُؤَكِّبٍ وَمُدَامٌ صُوفِي

(١) في م : . . . ذوي الثُّهَى × .

(٢) القطعة في أعيان العصر .

(٣) الأبيات في أعيان العصر والوافي والفوات . وقال في أعيان العصر : وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فِي شَبَابَةٍ ، وَقَدْ وَجَدْتُهَا فِيمَا بَعْدَ فِي دِيْوَانِ جُوبَانَ الْقَوَاسِ بِخَطِّهِ .

● فَأَشْدُّهُ لِنَفْسِي مُلْغِزاً فِي « كَمَنْجَا »^(١) : [من المجتث]

مَا اسْمٌ إِذَا خِفْتُ هَمًّا رَأَيْتُ لِي فِيهِ مَنْجَا
يَشْدُو بِلَحْنٍ عَجِيبٍ مِنَ الْحَمَائِمِ أَشْجَى
كَمْ قَدْ شَجَاكَ بَصَوْتٍ حُرُوفُهُ مَا تَهْجَى
إِنْ لَمْ تَجِءْ لَكَ طَوْعاً فِي الْحَلِّ فَهُوَ كَمَنْ جَا

٥١ * عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٢) :

القاضي فخر الدين ، كاتب الإنشاء بالديار المصرية ، يُعَرَفُ بِكَاتِبِ
الدَّزَجِ ، لِأَنَّهُ يَكْتُبُهُ عَنْ نَظَارِ الْخَاصِّ الشَّرِيفِ ، مِنْ الْقَاضِي جَمَالِ الدِّينِ جَمَالِ
الْكُفَّاءِ ، وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ مُلْغِزاً بِالْأَبْيَاتِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي تَرْجُمَةِ الشَّيْخِ شَرَفِ الدِّينِ ،
وَهِيَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ وَكَانَ الْقَاضِي فَخْرُ الدِّينِ قَدْ وَرَدَ إِلَى الشَّامِ صُحْبَةً
رِكَابِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ ، وَأَوَّلُهَا^(٣) : [من السريع]

يَا فَاضِلاً أَخْبَارُ أَشْعَارِهِ [مَشْهُورَةٌ فِي الْعُجْمِ وَالْعُرَبِ]

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ^(٤) : [من السريع]

[٧٨] يَا بَحْرَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَا حَبْرَهُمْ وَذَا النَّدَى وَالْمَوْرِدِ الْعَذْبِ
يَا كَوْكَبَ الْفَضْلِ الَّذِي نُورُهُ يَظْهَرُ عَنْ بُعْدٍ وَعَنْ قُرْبِ

(١) الأبيات في أعيان العصر .

(٢) ترجمته في : الوافي بالوفيات ٣٠٤/١٩ والنور الكامنة ٤٣٣/٢ .

- ولادته سنة ٧١٦ هـ .

- سقطت هذه الترجمة من س .

(٣) القصيدة بكاملها في الوافي ، وقد مضت في الترجمة ٨ .

(٤) القصيدة في الوافي .

يَا سَيِّداً بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِهِ
يَا حَائِزاً كُلَّ عُلُومِ الْوَرَى
يَا بِاسِمِ الثَّغْرِ وَيَا جَائِداً
يَا رَائِقَ الْمَنْطِقِ يَا صَادِقَ الْ
وَمَنْ لَهُ النِّظْمُ الْبَدِيعُ الَّذِي
فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ سَامِي الْبِنَا
هُنَّتُهُ شَهْراً شَرِيفاً أَتَى الْ
تَقَبَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ

غَفَرْتُ مَا لِلدَّهْرِ مِنْ ذَنْبِ
وَجَائِزاً فَوْقَ مَدَى الشُّهْبِ
لِرَاحَةِ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ
قِيَاسِ فِي الْإِيجَابِ وَالسَّلْبِ
يَنْسِي وَأَرْبَابَ التُّهَى يُضْبِي
يَقُولُ لِي طَرْفِي : هُنَا قِفْ بِي
قُرْآنَ عَنْ تَفْصِيلِهِ يُنْبِي
أَعْمَالِكَ الْمُرْبِخَةَ الْكَسْبِ

● وَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ قَرِينَ دَفْتَرٍ مِنَ الْوَرَقِ الْأَبْيَضِ^(١) : [من المجتث]

لَمَّا رَأَيْتُكَ بَحْراً وَمَوْجُهُ مُتَوَالِي
يُمِجُّ دُرَّ قَرِينِضٍ عَلَى مَمَرِّ اللَّيَالِي
أَهْلَدَيْتُ نَحْوَكَ دَرْجاً لِيَصُمَّ تِلْكَ الْأَلَالِي

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ^(١) : [من المجتث]

بَالِغَتْ فِي إِخْجَالِي بِفَضْلِكَ الْمُتَوَالِي
فَحِزْتُ مَا بَيْنَ شُكْرِي فَوَائِدِ وَنَوَالِي
وَالدَّزَجُ قَدْ جَمَعَ الْحُسْنَ نَ عَاطِلاً وَهُوَ حَالِي
وَسَوْفَ يُمْلَأُ مَذْحِجاً بِجُودِكَ الْمُتَسَالِي
وَمِنْ مَحَاسِنِ تُمْلَا مِنْكُمْ بَغْيَرِ مَلَالِي
تَاللهِ يَقْضُرُ قَالِي عَنْ شُكْرِ تِلْكَ الْأَمَالِي

(١) الأبيات في الوافي .

٥٢ * عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي (١) :

تَقَدَّمَ تَمَامُ النَّسَبِ فِي ذِكْرِ أَخِيهِ الشَّيْخِ بَهَاءِ الدِّينِ أَحْمَدَ .

هو قاضي القضاة الإمام العالم ، الفاضل المقتن ، الناظم النائر ، الشيخ تاج الدين ، أبو نصر ، ابن مولانا قاضي القضاة تقي الدين ، الشبكي الشافعي .

● كَتَبَ هُوَ إِلَى مِنْ دِمَشْقَ المحروسة ، وأنا بالقاهرة المحروسة ، في سنة

٧٤٥ : [من السريع]

غَابَ صَلَاحُ الدِّينِ عَنِ جَلْقٍ فغَابَ عَنْهَا الْعِلْمُ وَالْفَضْلُ
وَأَسْتَوْحَشَ الشَّامُ لَهُ وَاعْتَدَتْ مِضْرَ بِهِ لَيْسَ لَهَا مِثْلُ
قَدْ عَمُرَتْ كُلُّ الْأَرْضِ بِهِ وَطَابَ مِنْهَا الْحَزَنُ وَالسَّهْلُ
إِنْ حَلَّ مِضْرَ فَهُوَ نِئْلُ لَهَا أَوْ جَلْقًا فَهُوَ لَهَا وَنِئْلُ
يُقْبَلُ كَذَا (٢) ، الغالي قَدْرُهَا ، العالي ذِكْرُهَا ؛ وَيُنْهِي بَعْدَ دُعَاءٍ مَا أَحْرَصَهُ
عَلَى كَوْنِهِ فِيهِ يَخْلُصُ ، وَثَنَاءٍ مَا أَخْلَصَهُ مِنْ مُجِبِّ صَادِقٍ عَلَيْهِ يَخْرُصُ ؛ أَنَّهُ مِنْذُ
سَافَرَ مَوْلَانَا وَإِلَى هَذِهِ الْأَيَّامِ ، الَّتِي هِيَ عِنْدَهُ أَغْوَامٌ ، مَا طَابَ لَهُ فِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ
مُقَامٌ ، وَقَدْ كَتَبَ هَذِهِ الْمُطَالَعَةَ تَنْهِي بَعْضَ الْأَشْوَاقِ ، وَتُبْدِي مَا حَصَلَ لِرَافِعِهَا
بِسَبَبِ الْفِرَاقِ ، فَأُضْذِرُهَا تُعْلِمُ اسْتِمْرَارَهُ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ ، وَتَسْتَعْرِضُ مَا يُعْرِضُ

(١) ترجمته في : المعجم المختص ١٥٢ والوافي بالوفيات ٣١٥/١٩ ووفيات ابن رافع ٤٠/٢ والذيل على العبر ٣٠٣/٢ ودرر العقود الفريدة ٣٧٤/٢ وتعريف ذوي العلا ١٨٩ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣٧٢/٢ والذعر الكامنة ٤٢٥/٢ والنجوم الزاهرة ١٠٨/١١ والمنهل الصافي ٣٨٥/٧ والدليل الشافي ٤٣٣/١ والذيل التام ٢٤٣/١ والدارس ٣٧/١ والقلائد الجوهريّة ٥٠١/٢ وحسن المحاضرة ٢٨٣/١ وشذرات الذهب ٣٧٨/٨ والبدر الطالع ٤١٠/١ .

- مولده سنة ٧٢٨ هـ . ووفاته سنة ٧٧١ هـ .

- هو صاحب « طبقات الشافعية الكبرى » .

(٢) في ب : يَقْبَلُ الْأَرْضُ . . .

مِنَ الْخِدَمِ الْعَلِيَّةِ ، لِيَفُوزَ بِقَضَائِهِ إِيَّاهَا ، وَتَقْضِيَ بَعْضَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ بِقَضَائِيهَا ، فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي قَلْوٍ يَمْنَعُهُ النَّوْمَ ، وَفِكْرٍ يَجْعَدُّ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، حَتَّى سَمِعَ [٧٨ ب] أَنَّ مَوْلَانَا يُشْرِفُ بِالْحُضُورِ بَعْدَ الْعِيدِ ، وَكَانَ يَوْمَ سَمَاعِهِ إِثَاءً عِنْدَهُ هُوَ الْعِيدُ ، وَاطْمَأَنَّ خَاطِرُهُ الَّذِي كَانَ فِي كُلِّ وَقْتٍ هُمٌّ يَزِيدُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ ظِلَّهُ الْمَدِيدَ ، وَيُبْقِيَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِحْسَانَهُ الْعَدِيدَ ، حَتَّى يَقُولَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مُحْسِنًا : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؛ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من السريع]

إِنْ غَبْتُ عَنْ جَلْقٍ يَوْمًا فَقَدْ رَجَوْتُ أَنْ يَجْتَمِعَ الشَّمْلُ
وَلَيْسَ عَنِ عَوْدِي إِلَيْهَا غِنَى لِأَنَّهَا لَيْسَ لَهَا مِثْلُ
فَلِإِنَّكُمْ شَرَفْتُمْ رُبْعَهَا وَامْتَدَّ لِلنَّاسِ بِهَا الظِّلُ
وَهَكَذَا مِضْرَ سَقَاهَا الْحَيَا كَانَتْ بِكُمْ تَفَخُّرٌ مِنْ قَبْلُ
يُقْبَلُ (١) الْأَرْضَ ، لَا أَبْعَدَ اللَّهُ عَهْدَهَا ، وَلَا أَنْسَى الْقُلُوبَ وَدَّهَا ، وَلَا أَعَدَمَ
الْأَوْلِيَاءَ ظِلَّهَا وَلَا رَفَدَهَا ، وَلَا حَرَمَ السَّحَابِ الْهَطَّالَةَ أَنْ تَسْتَمِدَّهَا ؛ وَيَصِفُ
أَشْوَاقَهُ الَّتِي تَسْتَعِيرُ النَّارَ وَقَدْهَا ، وَمَحَبَّتَهُ الَّتِي مَا قَطَعَهَا جَوْرُ الْبُعْدِ وَلَا صَدَّهَا ،
وَعُبُودِيَّتَهُ الَّتِي مَا أَذَتْ شَهَادَةَ إِخْلَاصِهَا عِنْدَ حَاكِمٍ فَرَدَّهَا . ٦١٧٣٣١

وَيُنْهِي وَرُودَ الْمُشْرِفِ الْكَرِيمِ ، فَوْقَ لَهُ مُنْتَصِبًا ، وَخَفَفَ عَنْهُ بِرُؤْيِيهِ وَصَبًا ، وَذَكَرَ أَيَّامَهُ بِدِمَشْقَ فَهَامَ وَجَدًا بِهَا وَصَبًا ، وَفَضَّهُ فَاسْتَحَفَّهُ الْإِعْجَابُ بِهِ طَرَبًا ، وَشَاهَدَ سَطُورَهُ فَقَالَ : هَكَذَا تَكُونُ الرِّيَاضُ ؛ وَعَايَنَ لُطْفَهُ فَقَالَ : هَكَذَا يَكُونُ الصَّبَا ، وَانْتَهَى إِلَى ذَلِكَ الْإِحْسَانِ الَّذِي أَلْفَهُ ، وَالْفَضْلِ الَّذِي مَا أَنْكَرُهُ مِنْذُ عَرَفْتُهُ ، وَالْجَبْرِ الَّذِي لَا يُفَارِقُهُ ، وَكَيْفَ تُفَارِقُ الْمَوْصُوفَ الصِّفَةَ .

(١) بداية سقط في ب .

فَأَمَّا الْأَبْيَاتُ اللَّامِيَّةُ ، فَإِنَّهُ سَجَدَ خَاضِعاً لَهَا فِكْرُهُ ، وَقَرَّبَهَا لَمَّا قَرَّ بِهَا قَرَارُهُ ، وَسُرَّ سِرُّهُ ؛ وَعَلِمَ أَنَّ مَوْلَانَا بَحْرٌ ، وَهَذِهِ السُّطُورُ أَمْوَاجُهُ ، وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ دُرَرُهُ ، وَقَالَ : إِنَّ طَرْسَهُ رَوْضٌ ، وَكُلُّ سَطْرِ فِيهِ نَهْرٌ يَحْقُقهُ مِنَ الْكَلَامِ زَهْرُهُ ، ثُمَّ اسْتَذَرَكَ الصَّوَابَ وَقَالَ : لَا ، بَلْ أَفَقُّ ، وَمِدَادُهُ لَيْلُهُ ، وَمَعَانِيهِ أَنْجُمُهُ ، وَالسَّجْعُ يَقُولُ : زَهْرُهُ ؛ فَاللهُ يُمْتَعُ الْوُجُودَ بِهِذِهِ الْفَوَائِدِ الَّتِي جَوَاهِرُهَا تَاجِيَّةٌ ، وَالْمَحَاسِنُ الَّتِي إِنْ لَمْ تَكُنْ نُكْتُهَا فِي الْفَقْهِ سُرْنَجِيَّةٌ فَإِنَّهَا فِي الْأَدَبِ سِرَاجِيَّةٌ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

● وَلَمَّا وَقَفَ عَلَى قَوْلِي قَدِيمًا^(١) : [من مجزوء الكامل]

يَا رَحْمَتَا لَجَرِيرٍ مِنْ قَوْلٍ كَفَانَا اللهُ عَارَةً
« طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفُؤَادِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ »^(٢)
هَلْ كَانَ يَلْقَى إِذْ أَتَا هُوَ خِيَالٌ مَنْ يَهْوَى خَسَارَةَ
أَوْ كَانَ قَلْبٌ قَدْ حَوَا هُوَ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ حِجَارَةَ
● رَأَيْتُهُ قَدْ كَتَبَ :

لَمَّا رَأَيْتُ جُزْأَةَ جَرِيرٍ فِي الْحُبِّ وَجَسَارَتَهُ ، حَيْثُ طَرَدَ الْخِيَالَ حَتَّى نَادَى الْمَحْبُوبُ : يَا خَسَارَتَهُ ، وَعَجِبَ الْعَاشِقُونَ الَّذِينَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَتَمَنَّى التَّعَلُّقَ بِجِبَالِ الْخِيَالِ ، وَيَتَعَنَّى^(٣) فِي تَرْجِيهِ وَيَرَى عَنَاءَهُ لَذَّةً ، وَلَوْ رَكِبَ فِي طَلَبِهِ جِيَادَ الْجِبَالِ ، [١٧٩] وَيَتَعَنَّى بِذِكْرِهِ وَلَوْ حَمَلَ فِي طَرِيقِهِ أَثْقَلَ عِبَاءٍ ، وَذَاقَ أَمْرَ أَمِيرٍ ، وَيَقُولُ : إِنَّهُ حُلُوٌّ عَلَى مَا فِيهِ ، وَمَا يَبْعُدُ فِي قَوْلِهِ إِذْ لَيْسَ هُوَ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ فِي قَوْلِهِ : [من الكامل]

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفُؤَادِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ
وَرَأَيْتُ مَا رُئِيَ لَهُ بِهِ فَلَانٌ حَيْثُ قَالَ - وَذَكَرَ الْأَبْيَاتَ الْمُتَقَدِّمَةَ - وَرَأَيْتُهُ أَبْدَعَ فِيهِ ، فَمَا بَعْدَهُ كَلِمَةٌ تُقَالُ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا رُئِيَ بِهِ لَجَرِيرٍ فِي هَذِهِ الْعَثْرَةِ الَّتِي لَا تُقَالُ ؛ يَا لَهَا مِنْ عَثْرَةٍ ، خَجَلَتْ لَهَا عَثْرَةُ الْمُحِجِّينَ ، وَجَرَتْ خَجَلًا عَلَى جَرِيرٍ مِنْ أَجْلِهَا عِبْرَةُ السَّامِعِينَ ، لَكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ فَلَانًا لَمْ يَذْكُرْ أَبْشَعَ مَقَالَتِهِ الَّتِي مَا رَأَيْنَا غَيْرَهُ بِمِثْلِهَا فَاهٍ ، وَهِيَ قَوْلُهُ : فَارْجِعِي ، الَّتِي أَخَذْتُ مِنَ التَّكَارَرِ أَوْفَرَ نَصِيبٍ وَأَوْفَاهُ ، قُلْتُ^(١) : [من الكامل]

إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ جَرِيرٍ وَقَوْلِهِ قَوْلًا غَدَوْتُ بِهِ أَنْكُرُ حَالَهُ
« طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفُؤَادِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ » فَاسْتَمِعْ أَقْوَالَهُ
وَاعْذُرْ فَلَسْتُ بِقَادِرٍ وَاللهِ أَنْ أَخْكِي الَّذِي بَعْدَ الزِّيَارَةِ قَالَهُ

● وَقُلْتُ أَيْضًا^(٢) : [من مجزوء الكامل]

هَذَا مَقَالُكَ يَا جَرِيرُ لَدَيَّ أَشْنَعُ مَا يُقَالُ
هَلْ تَمَّ وَقْتُ لَيْسَ يَضُدُ لُحُجٌ لِلزِّيَارَةِ وَالْوِصَالِ
أَمْ قِيلَ قَبْلَكَ فَارْجِعِي وَلِذَاكَ ذَنْبٌ لَا يُقَالُ
أَمْ كَانَ حُبُّكَ كَاذِبًا فَمَنَائِمُهُ يَنْفِي الْخِيَانَ
أَمْ كَانَ قَلْبُكَ مِنْ حَدِيدٍ لَيْسَ تُؤْذِيهِ النَّبَالَ

● وَكُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ قُلْتُ^(٢) : [من مجزوء الكامل]

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَحَبَّ بَجَرِيرٍ إِذْ أَبْدَى اعْتِذَارَهُ
إِنْ كَانَ يَصْدُقُ حُبُّهُ فَالْقَلْبُ مِنْهُ كَالْحِجَارَةِ

(١) الأبيات في الغيث المسجم ٢٤٢/١ وطبقات السبكي ١٥٠/٩ .

(٢) ديوان جرير ٩٩٠/٢ .

(٣) الكلمة مكانها بياض في أ . والمثبت من س .

(١) الأبيات في طبقات السبكي ١٥١/٩ .

(٢) الأبيات في تعريف ذوي العلا ٢٠٠ - ٢٠١ .

لَا بَلَّ أَشَدُّ قَسَاوَةً
إِذْ قَالَ قَوْلًا لِمِ يَقُولُ
« طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفُؤَا
وَانْظُرْ لَهُ أَبْدَى عَوَارَةِ
هُ عَاشِقٌ أَوْ ذُو جَسَارَةِ
دِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ »

● وقلتُ : [من مجزوء الكامل]

شُكْرًا لِنَوْمٍ بِالْخِيَا
مُذْ جَاءَ طَيْفُكَ فِي الْمَنَا
وَنِعْمَتْ إِذْ هُوَ خَيْرٌ وَضَد
لَا إِنْهُمْ فِيهِ وَلَا رَقِيد
وَقَرِخْتُ لَا كَجَرِيرٍ قَا
« طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفُؤَا
لِ أَتَى فَلِي مِنْهُ الْبِشَارَةِ
مِ أَزَالَ عَنْ عَقْلِي خُمَارَةِ
لِ لَا يُنَاطَرُ فِي النَّضَارَةِ
بِ حَاكِمٌ يُبْدِي اقْتِدَارَةِ
لِ بِقَسْوَةٍ مِثْلِ الْجِجَارَةِ
دِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ » (١)

انتهى ما نقلته أنا من خطه .

● وقلتُ أنا أَسْتَدْرِكُ مَا لَمَحَهُ الْقَاضِي تاجُ الدِّينِ المُشَارُ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ

المقاطع (٢) : [من مجزوء الكامل]

أَمَّا جَرِيرٌ فَلَمْ يَكُنْ
أَوْ مَا تَرَاهُ أَتْنَهُ صَا
بَلَّ قَالَ جَهْلًا : لَيْسَ ذَا
لَوْ كُنْتُ حَاضِرَ أَمْرِهِ
صَبَّأً وَلَكِنْ يَدَّعِي
بِدَهُ الْفُؤَادِ فَلَمْ يَعْ
وَقَتِ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي
قُلْتُ : ارْجِعِي وَلَهُ اضْغَعِي

● وكتبَ هو إليّ مُلَغِزًا فِي « نَجْم » : [من المجتث]

يَا أَوْحَدَ الْعُلَمَاءِ وَوَاحِدَ الْأَدَبَاءِ

(١) البيت من م فقط .

(٢) الأبيات في طبقات السبكي ١٥١/٩ .

يَبْنَ لَنَا مَنْ يُرَى فِي
وَتُلُتْهُ فِي عُبَابِ
وَذُو الْخُرُوفِ ثَلَاثُ
وَنُورُهُ قَدْ هَدَانَا
مَقْلُوبُهُ الْقَطْعُ فِيهِ
ظَهَرَ الثَّرَى وَالْعَلَاءِ
وَكُلُّهُ فِي السَّمَاءِ (١)
تَبْدُو بَغِيرَ خَفَاءِ
فِي لَيْلِهِ وَالْمَسَاءِ
عَنْ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من المجتث]

يَا آدَبَ الْفُقَهَاءِ وَأَفَقَّةَ الْأَدَبَاءِ
وَمَنْ تَقَمَّصَ ثَوْبًا
أَلْغَزَتْ لِي فِي مُسَمًى
فَنَمَّ لِي طَرْفَاهُ
ثَلَاثَاهُ وَضَفَّ لِغُفْلٍ
يَكُونُ مَزْعَى بِأَرْضِ
وَرَأْسُهُ حَيَّوَانُ
فَاسْلَمْ وَدُمُ فِي نَعِيمِ
وَأَفَقَّةَ الْأَدَبَاءِ
لِلْعِلْمِ أَغْرَى الْكِسَائِي
بِأَدَى السَّنَا وَالسَّنَاءِ
بِسِرِّهِ ذِي الْخَفَاءِ
حَوَيْتُهُ بِاعْتِنَاءِ
وَزَيْنَتُهُ لِلْسَّمَاءِ
فِي الْبَحْرِ لَا فِي الْفَضَاءِ
وَعِزَّةَ وَنَمَاءِ (٢)

● وكتبَ هو إليّ مُلَغِزًا (٣) : [من السريع]

يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ الَّذِي لَفَظْتُهُ
وَصَاحِبُ الطُّوْلِ الَّذِي فَضَّلْتُهُ
أَنْتَ خَلِيلُ الْعِلْمِ أَوْ رُبُّهُ
مَا مَرَّ بِي مِثْلُكَ إِلَّا فَتَى
دُرٌّ وَعِلْمُ النَّاسِ مِنْ مَدَّةِ
قَصَّرَ كُلُّ الْخَلْقِ عَنْ حَدِّهِ
وَمَنْ أَتَى الْوَفْدَ إِلَى رِفْدِهِ
قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى حَمْدِهِ

(١) ثلثه : نون = السَّمَك .

(٢) نهاية السقط في ب .

(٣) « ملغزاً » من م .

لَمْ لَا وَإِنْ لَمْ تَكُ فَرَعاً لَهُ
صَدْرُكَ مَوْصُوفٌ بِمَقْلُوبِهِ
وَهُوَ إِذَا مَا حَذَفُوا وَسَطَهُ
لَا زِلْتَ ذَا مَعْنَى يُبِيلُ الْغِنَى

● فلم يظهر لي ما قاله ؛ فكتبتُ إليه جواباً : [من السريع]

يا فاضلاً لا شك في فضله
أنت الذي إن قال نظماً فَقَدْ
أهديت لغزاً لا يرى مثله
لكنه خاف على أكمه
فلئنني لم ألق باباً إذا
زده بياناً إنني عاجز

● فكتب هو إليّ : [من البسيط]

النَّجْمُ أَنْتَ وَقَدْ أَهْدَيْ دَرَارِيهَ
لِلَّهِ عَلِمَكَ لَيْسَ « الْبَحْرُ » يُشْبِهُهُ
كَذَاكَ فَقَهْكَ مَا الْحَاوِي وَوَضِعُهُ
قَدْ حُزَّتْ بَابُ الْعَلَا مِنْ غَيْرِ مَا رَيْبٍ
جَبَرْتَنِي وَنَظَرْتَ الْبَخْسَ مِنْ كَلِمٍ
وَبَعْدَ ذَاكَ أَرَدْتَ الْعَبْدَ تَجَهُّرُهُ
حَاشَاكَ حَاشَاكَ يَا أَذْكَى الْخَلَائِقِ مِنْ
يَا فَاضِلَ الْوَقْتِ زَادَ الْفَضْلُ مِنْكَ وَيَا

(١) اللُّغَزُ « بحر » . ومقلوبه : « رجب » . وجانباه « رب » .

(٢) يقصد : ربّ البيان .

أَنْتَ ابْنُهُ بِمَقَالِ اللَّهِ خَالِقِنَا
كُلُّ ابْنِ آدَمَ حَيٍّ مِنْهُ أَحْيَاهُ
لَا زِلْتَ تَجَبَّرُنِي وَالنَّاسَ أَجْمَعَهُمْ
فَاللَّهُ يَخْفِظُ مَوْلَانَا وَيُبْقِيهِ

● فكتبتُ الجوابَ عن ذلك : [من البسيط]

يَا نَاطِماً لَمْ نَجِدْ فِيْنَا مُبَارِيهِ
وَيَا بَلِيغاً تَرَقَّى فِي فَصَاحَتِهِ
هَذَا قَرِيضُكَ مِنْ دُرٍّ تَنْظُمُهُ
أَلْعَزَتْ يَا « بَحْرُ » عِلْمٍ قَدْ طَمَى وَرَبَا
فِي مَا يَحِلُّ لِكُلِّ النَّاسِ مَيْتَتُهُ
وَأَنْتَ فِي الْعِلْمِ يَوْمَ الْبَحْثِ تُشَبِّهُهُ
وَأَنْ أَفَدْتَ فَلَمْ تُذَكِّرْ عَجَائِبُهُ
[١٨٠] لَا زِلْتَ تُظْهِرُ فِي فَنِّ الْقَرِيضِ لَنَا

● وكتبْتُ إليه من حمص (٢) المحروسة (٣) : [من الكامل]

يَا سَيِّداً سَافَرْتُ عَنْهُ وَلَمْ أَجِدْ
إِنْ غَبْتُ عَنْكَ فَإِنَّ قَلْبِي حَاضِرٌ
وَكَأَنَّهُ يَبِيتُ تَوْهَمَ شَاعِرٍ
فَاخْفَظْهُ لِي حَتَّى أَعُودَ فَإِنَّهُ

● فكتب هو إليّ الجواب (٤) : [من الكامل]

يَا رَاحِلاً بِحَسَا الْمُقِيمِ عَلَى الْوَفَا
مَا الطَّرْفُ بَعْدَكَ مُؤَذِّنٌ بِهَجْوَعِهِ

(١) في ب : . . . في مقاله × .

(٢) قال الشُّبْكِيُّ : كتب إليّ مرّةً وقد سافر إلى مصر ولم يودّعني .

(٣) الأوّل والثاني في طبقات الشافعية للشُّبْكِيِّ ٦/١٠ .

(٤) الأبيات في الطبقات ٧/١٠ عدا الأخير .

إِنْ غَبَتْ عَنْهُ فَمَا تَغَيَّرَ مِنْهُ يَا
وَالْقَلْبُ بَيْتُ هَوَاكَ رَاحَ كَأَنَّهُ
وَكَذَا يَكُونُ أَخُو الصَّفَاءِ إِذَا نَأَى
مَوْلَايَ غَيْرُ الْجِسْمِ بَعْدَ دُمُوعِهِ
بَيْتُ الْعَرُوضِيِّينَ فِي تَقْطِيعِهِ
عَنْهُ الْخَلِيلُ أَبُو الصَّفَاءِ جَمِيعِهِ^(١)

وكتب هو إلي وقد انقطعت عنه لضرورة ، والتزم التاء : [من الكامل]

يَا ذَا الَّذِي قَطَعَ الزَّيَارَةَ مَا الَّذِي
أَنَا لَمْ أُغَيَّرْ عَادَتِي مَعَ أَنَّهَا
فَلَايِي شَيْءٌ أَنْتَ تَقْطَعُ عَادَةً
لِلْفَضْلِ بَعْدَ الْوَصْلِ مِنْكَ قَدْ اقْتَضَى
مَا قَدْ عَلِمْتَ عَوَائِدُ لَا تُرْتَضَى
مَرْضِيَّةً وَتَسْلُ سَيْفًا مُنْتَضَى

● فكتب أنا الجواب عن ذلك ملتزماً : [من الكامل]

حَاشَا عَوَائِدَكَ الْكَرِيمَةَ أَنَّهَا
يَا مَنْ إِذَا نَظَّمُ الْقَرِيضَ بِدِيهَةِ
وَإِذَا أَلَحَ بِفَهْمِهِ فِي مُشْكِـلٍ
وَعِدَائِهِ تَمْضِي فَمَا تَحْتَاجُ مِنْ
وَإِذَا دَجَا خَطْبُ الرَّدَى فَبُوجْهِهِ
زِدْنِي جَفَا حُوشِيَّتَ مِنْهُ أَزْدَدُ وَفَا
لَا زَالَ جُودُكَ صَوَّبَ مُزِنَ هَاطِلٍ
تُلْفَى إِذَا أَنْصَفْتَهَا لَا تُرْتَضَى
فَاتِ الرِّضَى سَبْقًا وَفَاقَ الْمُرْتَضَى
جَلَى دُجَاهُ لِأَنَّ ذَاكَ الْمُرْتَضَى^(٢)
كَرَمِ السَّجِيَّةِ فِي النَّدَى أَنْ تَقْتَضَى
وَبِرَائِهِ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ يُسْتَضَا
وَالْقَى الرَّدَى بِي تَلْقَى سَيْفًا مُنْتَضَى
يُطْفِي مِنَ الْأَلْوَاءِ جَمْرًا مُحْتَضَا^(٣)

● وكتب أنا إليه من حلب المحروسة ، وقد عزل عن منصب القضاء :

[من الطويل]

أَلَا مَا لِهَذَا الْعَصْرِ لَا رُزْقَ الْبَقَا
يُعَادِرُنِي مِنْ خَيْرَتِي فِيهِ مُطَرِّقَا

(١) وسقط ما بعد ذلك من س إلى آخر الترجمة . ورواية هذا البيت في م : . . أخو الوفاء إذا نأى .

(٢) المُرْتَضَى : المفازة . وضأ : أضأ .

(٣) محتضاً : متزايداً . (اللسان) .

فَكَمْ رَاعٍ مِنْ رَوْعٍ بِصَوْبٍ مُصِيبَةٍ
وَكَمْ خَصَّ بِالتَّكْدِيرِ صَفْوَ مَسَرَّةٍ
وَأَبْعَدَ عَنْ أَوْطَانِهِ كُلِّ أَلْفٍ
خَلِيلِي أَبَا نَضْرٍ أَبْعَدَ اتِّحَادِنَا
فَعُودِرْتُ رَهْنَ الدُّلِّ فِي حَلَبٍ كَمَا
فَلَا أَنَا فِي الشَّهْبَاءِ لَاقِيْتُ رَاحِمًا
وَقَدْ كُنْتُ فِي حَالٍ تَسُرُّ حَوَاسِدِي
فَعَادَرَنِي سَكْرَانٍ مِنْ خَمْرَةِ الرَّدَى
أَبَيْتُ سَمِيرًا لِلْكَأَبَةِ وَالْأَسَى
بِجِسْمٍ غَدَا مِنْ حَادِثِ الْبَيْنِ مُخْلَقًا
لَقَدْ زَادَنِي غَيْظًا عَلَى الدَّهْرِ كَوْنُهُ
وَلَمْ يَزَعْ فِيكَ الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالنُّهَى
وَحُسْنُ تَلْقَى زَائِرِيكَ بِطَلْعَةٍ

[ب ٨٠] بها الشُّرُّ يَكْسُو الضُّبْحَ فِي الْأَفْقِ رَوْنَقًا^(٣)

وَتِلْكَ التَّصَانِيفُ الَّتِي كَلِمَاتُهَا
فَمَا مُخَرَّقٌ إِلَّا سَقَتُهُ عُلُومُكَ الـ
وَدَرْسًا غَدَا فِي الْفِقْهِ صَمَتٌ بُحُوثُهُ
وَبَخْشًا يُرِينَا لِلصَّوَابِ إِذَا بَدَا
وَلَفْظًا غَدَا بِالْجَبْرِ قَيْنَا مُقَيَّدَا
كَدَّرُ عَلَى جِنْدِ الْكَوَاعِبِ مُنْتَقَى
حَيَاءَ فَتَبَدَا بِالْحَدَائِقِ مُخْدَقًا^(٤)
أُصُولًا وَتَفْسِيرًا وَنَحْوًا وَمَنْطَقًا
جِيَادُكَ مِنْ دُونِ الْمُجَارِينِ سَبْقًا
وَكَفَا غَدَا إِحْسَانُهَا الْجَمُّ مُطْلَقًا

(١) في ب : × بعدنا

(٢) أقحم ناسخ ب سبعة عشر بيتاً من هذه القصيدة ضمن جواب السبكي ، بدءاً من هذا البيت .

(٣) سقط هذا البيت من ب .

(٤) المَحْرَقُ : العطشان . وفي ب : فما مترف . . . × .

فكم راح سمع من حلاك مُشْتَفَاً
أَيَّامَ تاج الدين قد زلت بعدما
وَأَسَيِّنَا مَا كَانَ يَذْكُرُهُ الْأُولَى
وَذُقْنَا بِكَ الْكَأْسَ الَّتِي خَنَدْرِئُسُهَا
وَفَضْلُكَ مَا يَخْفَى وَقَدْ مَلَأَ الْمَلَأَ
لَعْمُكَ إِنَّ الْمَجْدَ لَيْسَ بِهِيْنِ
وما هَضْبَاتُ الْفَضْلِ مِمَّا تَطَامَنَتْ
لِئِنْ كُنْتَ بَعْدَ الْحُكْمِ فِي النَّاسِ عَاطِلاً
فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا وَاهِبٌ ثُمَّ سَالِبٌ
وقد نلت ما تختاره من ولاية
ولا تنس إن جالت بفكرك خطرة

● فكتب هو الجواب إلي عن ذلك ، من جملته : [من الطويل]

هُوَ الدَّهْرُ لَا يَنْفَكُ لِلْحَرِّ مُقْلِقًا
يُغَيِّرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ وَذُو النَّهْيِ
وَمَنْ يَكُ بِاللَّهِ الْمُهَيِّمِ عَارِفًا
وَعِنْدِي بِحَمْدِ اللَّهِ صَبْرٌ بِمَا قَضَى
فَلَوْلَاهُ بِالْمَمْلُوكِ كَانَ جَوَابُهُ
ولكن دهاني نحو تضريفه الذي
● وكتبت إليه أهنته ، وقد عاد إلى منصبه قضاء القضاة ، في شوال سنة

٧٥٩ : [من الكامل]

(١) نهاية الإحكام في جواب الشبكي في ب .

(٢) سقط من ب .

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَنْفَرَا فَيُتَنِّ اللَّهُ كَلَامًا سَعِيدًا ۖ ﴾ [النساء : ١٣٠] .

بِرُجُوعِ تاج الدين قاضي الشام
قاضي القضاة الفاضل الحبر الذي أُنْزِلَ
نَالَ الْكَوَاكِبَ قَاعِدًا لَا قَائِمًا
مَنْ قَوْمُهُ الْأَنْصَارُ لَا عَجَبَ لَهُ
وَالْخَزَرْجِيُّونَ الْأُولَى نَسَلُوهُ أَوْ
وَهُمْ أَيْمَةٌ مَنْ قَضَى بَيْنَ الْأَنَا
فِي ذُرْوَةِ شَمَاءَ تَغْلُو بِالثَّقَى
لَمَّا تَوَلَّى أَقْبَلَ الْخَيْرُ الَّذِي
أَفْنَى فَلَا يَغْنَى مَدَى أَيَّامِهِ
نَاءٍ عَنِ الشَّهَوَاتِ لَيْسَ تَقْوَدُهُ الذِّ
عَارٍ مِنَ الْعَارِ الَّذِي أَطْمَارُهُ
مُتَمَسِّكٌ بِالْحَقِّ فِي أَعْمَالِهِ
ذَهْنٌ يَغوصُ عَلَى الْحَقَائِقِ لَا كَمَنْ
انْظُرْ فِتَاوِيهِ الَّتِي مِنْ حُسْنِهَا
كَتَمَ الثَّقَى لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ
هَذَا الَّذِي قَدْ رَاحَ فِيهِ مَضَرَّةٌ
فِي الْفِقْهِ مِثْلُ الرَّافِعِيِّ وَالنَّحْوِ مِثْلُ
وَكَذَا الْحَدِيثُ فَإِنَّهُ فِي عِلْمِهِ
وَلَهُ يَدٌ طَالَتْ لِنَقْدِ صَحِيحِهِ
وَكَذَا أَصُولُ الدِّينِ وَالْفِقْهُ انْزَوَى
وَكَذَا الْمَعَانِي وَالْبَيَانُ فَصَاحِبُ الْ

أَضْحَى الْهَنَاءَ مُوَفَّرَ الْأَقْسَامِ
قَادَتْ لَهُ الْعُلْيَا بِغَيْرِ زِمَامٍ
مَنْ ذَا يَسُومُ فِعَالَهُ وَيُسَامِي
إِنْ صَارَ مُزْتَفِعًا عَلَى الْأَقْوَامِ
فِي مَنْ يَفِي لِمُحِبِّهِ بِذِمَامٍ
مِ يَنْقُطَةُ وَهُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ
وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ رُكْنِ شِمَامٍ
قَدْ كَانَ فِي حُجُبٍ مِنَ الْإِخْجَامِ
فِي الْعِلْمِ لَمْ يَطْعَمْ لَذِيذَ مَنَامٍ
دُنْيَا إِلَى مَغْنَى هَوَى وَغَرَامٍ
غَطَّتْ غَوَارِ سِوَاهُ بِالْآثَامِ
مُتَوَثِّقٌ بِالْعَدْلِ فِي الْأَحْكَامِ^(١)
[١٨١] خَاضَ الْخَطَا أَوْهَامَ فِي أَوْهَامٍ
تُشْفِي غَلِيلَ صَبَابَةٍ وَهِيَامٍ
كَتَمَ الشَّدَا مِنْ عَزْفِهِ النَّمَامِ
لِلشُّرْكِ مِثْلُ مَسَرَّةِ الْإِسْلَامِ
لِلْفَارِسِيِّ وَالْبَحْثِ كَالنَّظَامِ
وَرِجَالِهِ عَلِمَ مِنَ الْأَعْلَامِ
فَلَكُمْ شَفَاءُ مِنْ ضَنْئِي وَسَقَامِ
عَنْهُ الْإِمَامُ فَلَمْ يَكُنْ بِإِمَامٍ
جَفَّتْ سَلَمُهُ لَهُ بِسَلَامِ

(١) في ب : × مستوثق

وكذا القريض فما يُشَقُّ غبَاؤه
 قال الحسود وقد أتى تقليده
 فالصُّبح قد ملأ الوجود بشائراً
 والنَّهْرُ صَفَقَ والغصون تراقصت
 والتَّزَجُّسُ انْفَتَحَتْ لَوَاحِظُهُ وَشَمُ
 والأفحوان برؤضه يفتُر عن
 والرَّوْضُ حَلَّى جِنْدُهُ بأزاهير
 نُشِرَتْ مَطَارِفُهُ التي ما طَرَّرَتْ
 هذا وأصحاب الهناء من الورى
 قد جَبَرُوا الأمداح فيه وَحَرَّرُوا
 وجَلَّوْا على الأسماع فيه عرائساً
 لو يقْدِرُونَ سَعَوْا على وَجَنَاتِهِمْ
 فَأَزْدَتْ أَنْ أَجْرِي سَكِيبَ قَرِيبَتِي
 لا زَالَ في سَعْدِ مَدَى الأَيَّامِ ما
 يُقْبَلُ الأَرْضَ ، وَيُهَيِّئُ نَفْسَهُ والأَنَامَ ، وَلِيَالِي هذا العَصْرِ والأَيَّامَ ،
 والقَضَايا والأَحْكَامَ ، وَأَصْحَابَ الشُّيُوفِ وَأَزْيَابَ الأَقْلَامِ ، والمُسْلِمِينَ قَاطِبَةً
 والإِسْلَامَ ، وَأَزْيَابَ الطُّبَالِسِ والأَعْلَامِ ، بِمَا مَنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ من هذه العَوْدَةِ
 المُبَارَكَةِ ، التي جَمَعَمَ ضَمِيرُهَا زَمَاناً وَصَرَّحَ ، وَأَفْشَى سِرَّهَا المُبَارَكَ بَعْدَمَا
 لَوَّى عُقْمَهُ جِنَاناً وَلَوَّحَ ، وَقَابَلَ نُسخَةَ ظُهورِهَا وَصَحَّحَ ، فَالْقُلُوبُ قَدْ امْتَلَأَتْ
 سُوراً ، وَاسْتَطِيرَتْ حُبوراً ، والأَبْصَارُ قَدْ قَرَّتْ ، والبَصَائِرُ قَدْ زَادَتْ نُوراً^(١) :

[من البسيط]

(١) البيت لابن النبية ، في ديوانه ٩٢ والتذكرة الفخرية ٣٠١ (دمشق) .

وَكَوْنَكُ الصُّبْحِ نَجَابٌ عَلَى يَدِهِ مُخَلَّقٌ تَمَلُّا الدُّنْيَا بِشَائِرِهِ
 وَيُنْهِي أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الْخَبَرُ الَّذِي مُبْتَدَأُهُ مَرْفُوعٌ ، وَصِدْقُهُ غَيْرُ مَطْعُونٍ فِيهِ
 وَلَا مَدْفُوعٌ ، وَمُفْرَدٌ لَدَائِهِ فِي الْأَسْمَاعِ لَا يُوجَدُ فِي مَجْمُوعٍ ؛ أَرَادَ الْمُبَادَرَةَ
 بِالْهِنَاءِ ، وَالْمُسَابَقَةَ إِلَى إظهارِ هذه الْمَسْرَةِ الْوَافِيَةِ بِالنَّعْمَاءِ ، فَفَكَ خَتَمَ ضَمِيرِهِ
 لَمَّا فَكَّرَ ، وَقَدْ عُقْتُ تَطَاوُلَهُ لَمَّا قَدَّرَ ، وَكَرَّرَ رَاجِعاً وَأَنَابَ وَاسْتَغْفَرَ ، وَقَالَ^(١) :

[من الكامل]

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّنِي هَنَأْتُ وَأَنَا الْمُهْنَأُ فِيهِ بِالنَّعْمَاءِ
 [٨١ب] ثُمَّ إِنَّهُ أَذْكَرَ فَأَمْسَكَ ، وَقَالَ : اذْكُرْ يَوْمَكَ وَخَلَّ أَمْسَكَ ، وَاعْرِفْ
 لِمَنْ تُخَاطِبُ وَازْحَمْ نَفْسَكَ ، وَتَمَسَّكَ بِأَذْيَالِ الإِغْضَاءِ ، وَخَفَ نَارَ الْمَهَابَةِ أَنْ
 تَمَسَّكَ ؛ فَأَحْجَمَ الْمَمْلُوكُ إِذْ ذَاكَ ، وَقَالَ : الْعَجْزُ عَنْ دَرَكِ الإِدْرَاكِ
 إِدْرَاكُ^{(٢)(٣)} : [من مجزوء الكامل]

وَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنَّنِّي رَبُّ الْخَوَزَنَقِ وَالسَّيْدِ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنَّنِّي رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ
 وَقَدْ بَعَثَ الْمَمْلُوكُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْمِيمِيَّةِ ، وَهِيَ تَعُومُ فِي يَمٍّ مِنَ الْخَجَلِ ،
 وَتَجُرُّ وَرَاءَهُ ذَيْلُ التَّقْصِيرِ وَالْوَجَلِ ؛ وَالْمَسْئُولُ مِنْ صَدَقَاتِ مَوْلَانَا الْوُقُوفُ
 عَلَيْهَا ، وَالصَّدَقَةُ بِنَظَرِهِ إِلَيْهَا ، وَتَغْطِيَةُ مَسَاوِيهَا ، وَعَدَمُ عَرْضِهَا عَلَى مَنْ
 يُنَاوِيهَا ؛ وَاللَّهُ يُمْتَنِعُ الْأَنَامَ بِهَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَيَجْبِرُ وَلِيِّهَا إِنْ عَامَ فِيهَا يَرَاهُ مِنْ
 الْإِنْعَامِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) البيت للصابي ، وقد مضى .

(٢) صدر بيت للإمام علي رضي الله عنه ، في ديوانه ٣٠٤ . وتماثله :

العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث عن سر ذات السر إشراك

(٣) البيتان للمنخل البشكري ، في الأغاني ٤/٢١ والأصمعيات ٦١ .

● فكتبَ هو الجوابَ إليَّ عن ذلك : [من الكامل]

أَبْدَأَ لِلْفَظِّكَ بِهَجَّةِ النَّظَامِ وَسَنَاءُ دُرٍّ لَاحِ ضَمْنِ نِظَامِ
وَعَلَامَةٌ شَهِدَتْ بِأَنَّكَ بَيْنَنَا عَلَامَةٌ قَدْ فَاقَ كُلَّ عِلَامِي (١)
هَلْ ذَاكَ نَجْمٌ فِي سَمَاءِ فَصَاحَةٍ رَاقٍ يَرُوقُ لِصَاحِبِ الْأَفْهَامِ
أَوْ جَوْهَرٌ فِي الْبَحْرِ نَاءٍ غَائِصٍ أَوْ زَهْرٌ رَوْضٍ ضَاحِكٍ بِسَامِ
أَوْ خَنْدَرِيسٌ بِالْعُقُولِ تَلَاعَبَتْ لَا بَلَّ كَلَامُ إِمَامٍ كُلَّ كَلَامِ
شَيْخِ الْكَلَامِ وَذِي النَّظَامِ أَخِي الْعِظَا مِ مِنَ الْأَنَامِ الْوَافِرِ الْأَقْسَامِ
رَبِّ النَّصَائِفِ الَّتِي سَارَتْ وَمَا سَرَتْ سِوَى الْفُهْمَاءِ فِي الْإِسْلَامِ
سَامٍ عَلَى الشَّيْخِ ابْنِ بَسَامٍ لَهُ فَخَرٌ عَلَى نَجْدٍ وَكُلِّ يَهَامِي
فِي ذُرْوَةِ الْفُصْحَاءِ أَصْبَحَ صَاعِدًا فَهُوَ ابْنُ سَيَّارٍ بَغَيْرِ مُسَامِي (٢)
مَعْنَى الْكَمَالِ تَطُّهُ فِي لَفْظِهِ وَالتَّقْصُصُ تَحْسِبُ فِي أَبِي تَمَامِ
فَلْتَفْضُلِ الشَّهْبَاءِ كُلِّ مَدِينَةٍ غَرَاءَ إِذْ أَذْهَبَتْ كُلَّ ظَلَامِ
شَرُفَتْ بِمَوْلَانَا وَقَدْ شَرُفَتْ بِهِ مِنْ قَبْلِهَا مِضْرٌ وَقُطْرُ الشَّامِ
إِنَّهُ لَعَمْرُ أَيْبِكَ لَهُوَ فَخَاؤُهُ ذِي الْأَرْضِ مِنْ قُوصٍ لِدَارِ سَلَامِ
مُتَيَقِّظٌ وَالْقَوْمُ أَتَقَاطُ وَإِنْ تُرِدِ الْمَقَالَ فَقُلْ ذَوُو الْأَخْلَامِ
حَبْرٌ مِنَ الْأَعْلَامِ فَرَدُّ زَمَانِهِ وَالْعَصْرُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْأَعْلَامِ
لَا زَالَ يَغْلُو وَالزَّمَانُ مُسَاعِدٌ وَيَنَالُ مِمَّا شَاءَ كُلَّ مَرَامِ
يُقْبَلُ كَذَا ، شَرَفَهُ اللَّهُ وَعَظَّمَهُ ، وَأَدَامَ مِنْهُ لِأَوْلِيَائِهِ فَضْلًا يُكَائِرُ مَطَرُ السَّمَاءِ
وَدَيْمَهُ ، وَأَبْقَى مِنْهُ لِأَخْلَائِهِ خَلِيلًا لَا يَسْتَلِمُ الْوَفَاءَ إِلَّا مُلْتَزِمُهُ .

وَيُنْهِي وَرُودَ كِتَابِهِ الَّذِي هُوَ أَبْهَى مِنَ الْوَشْيِ الْمَرْقُومِ وَأَبْهَجَ ، وَالْهَيْ

(١) في م : × . . . كل غلام .

(٢) في م : . . . أفصح صاعداً × .

بِالْعُقُولِ ؛ لَا أَذْرِي بَيْنَ يَدَيَّ مَوْلَانَا مَا أَقُولُ ، لَوْلَا الْأَدَبُ قَالَ اللَّسَانُ : مِنْ
الْعُقَارِ وَالْهَجِّ ؛ وَأَنْتَ الْمَمْلُوكُ مُطَالَعَةً أَوَامِرِهِ وَمَا طَرَفُهُ فِيهِ مِنَ الْحَقَائِقِ
وَأَنْهَجَ ، فَوَجَدَ سَجِيَّةً تَسْحَبُ عَلَى الْبِلَادِ ذَيْلَ أَرْجِحِهَا ، وَتُقَابِلُ الْإِضْبَاحَ بِضَوْءِ
بَلَجِهَا ، وَتُكَافِيءُ الْكَوَاكِبَ فِي دَرَجِهَا ، وَكِتَابًا سَاطِعًا نُورُهُ ، وَشَمْسُ السَّمَاءِ
فِي غُرُوبِ ، جَامِعًا لِأَقْسَامِ الْفَضَائِلِ الْكَثِيرَةِ الشُّعُوبِ ، [١٨٢] طَالِعًا فِي أُفُقِ
الْفَخَارِ عَلَى أَحْسَنِ أُسْلُوبِ .

وَرَدَ فِي أُخْرِيَّاتِ نَهَارِ أَمْسٍ ، فَقَامَ الْمَمْلُوكُ بِوُظَيْفَةِ الدُّعَاءِ طُولَ لَيْلَتِهِ
الذَّاهِبَةِ ، وَجَلَّى بِأَثْنَيْتِهِ الْعَاطِرَةَ مِنْ ذَلِكَ اللَّيْلِ غِيَاهِبَهُ ، وَفَرَّقَ فِي أَعْمَالِ النَّهَارِ
مَذَاهِبَهُ ، ثُمَّ خَدَمَ بِهَا تِلْكَ الْعَتَبَاتِ الشَّرِيفَةِ ، وَقَدْ خَدَمَهَا قَبْلَهُ طَالِعُ الصَّبَاحِ ،
وَأَشَارَ بِهَا إِلَى تِلْكَ الْأَرْضِ ، وَقَدْ لَثَمَهَا قُدَّامَهُ مِقْسَمُ الطَّلِّ فِي ثَرَى تِلْكَ
الْبِطَاحِ ، وَجَهَّزَهَا لِتَفُورَ بَغْرَضِ (١) التَّقْبِيلِ شِفَاهَا ، وَأَكْثَرُ وَدَّهِ لَوْ سَابَقَتْ
الرِّيَّاحُ ، وَاسْتَمَرَّ هُوَ عَلَى الدُّعَاءِ الَّذِي بَاتَ عَلَيْهِ فِي دَارِهِ ، وَقَعَدَ مُبْتَهَلًا إِلَى أَوَّلِ
النَّهَارِ ، وَسَيَجْرِي عَلَيْهِ إِلَى تَمَامِ نَهَارِهِ ، وَيَدُومُ عَلَيْهِ حَتَّى يَلْبَسَ الْيَوْمَ ثَوْبَ
غِيَارِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (٢) .

● وَكُتِبَ إِلَيَّ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ ، سَنَةِ ٧٦٤ (٣) :

[من مجزوء الكامل]

لَا تَبْكِيَا مَاءَ تَسَنُّةٍ وَدَعِ الرُّسُومَ الْمُسْتَجَنَّةَ
خَلَّ أَدْكَارَكَ فَالْعُيُورُ نُ كَلِيلَةً أَثَارَ دِمْنَةٍ
وَاهْجُرْ غَزَالَ نَارٍ خَذَ دَيْهِ إِذَا حَقَّقَتْ جَنَّةَ

(١) في م : بفرض .

(٢) وسقط إلى نهاية الترجمة من ب .

(٣) طبقات الشافعية للسبكي ٩/١٠ - ٢٠ ؛ وتاريخ الرسالة عنده سنة ٧٦٣ . وعشرة أبيات منها في درر
العقود الفريدة ٢/٣٧٦ .

وَسَنَانُ كَمْ نَبَهُهُ
مُتَغَابِلٌ أَدْعُوهُ مِنْ
فِي النَّفْسِ حَاجَاتُ إِلَيْهِ
فَرَضُ عَلَى الْعَيْنِ الْبُكَاءِ
أَخْوَى بَدِيعِ الْحُسْنِ ظَبْ
وَلَهُ مَعَاطِفُ مَا دَعَا
هَذَا وَذَا مَخِ أَنْتَهُ
وَيَخَافُ مِنْ وَاشٍ لَهُ
وَقَمٌ فَضُولِي تُقْلُ
بَكَرَ الْعَوَازِلُ فِي الْغَرَا
وَيَقْلُنُ : شَيْبٌ قَدْ عَلا
أَبْرَزَنْ لَمَّا لَمَنْ قَدْ
فَتَحَرَّكَتْ نَفْسٌ عَلَى
قَدْ هَجَنَ حِينَ عَذْلُنْهَا
أَنْتَى يَصْحُ مِنْ الْعَوَا
هُمْ جَمْعٌ تَكْسِيرٌ تُصَرُّ
فَاهُجُزُهُمُ الْهَجَرُ الْجَمِيدُ
وَأَذْكَرُ صَفَاءِ أَبِي الصَّفَا
السَّيِّدُ الْيَقِظُ الْأَغْرُ
وَالْتَذَبُ ذُو الْهَمَّاتِ مَا

(١) البيت والذي يليه لابن قيس الرقيات ، في ديوانه ٦٦ . ورواية الأول في الديوان :
بَكَرَتْ عَلَيَّ عَوَازِلِي يَلْحِنِي وَالْوَمُوهَةُ

وَالْجُودُ مِثْلُ الْجَوْدِ يَسُ
وَالْعِلْمُ كَالْجَبَلِ اغْتَلَّتْ
وَالْجِدُّ يَنْهَضُ لَوْ تُعَا
وَالْأَيْدُ يَطِيشُ لَوْ تُعَا
مُتَدَرِّعٌ ثَوْبَ الثَّقَى
مُتَقَنَّ نَّ بَخْرُ إِذَا
أَدَبٌ نَضِيرٌ يُسْتَحْبُ
وَلَهُ بَنَاتُ الْفِكْرِ سُنْدُ
فَكَرُّ إِذَا عَايَنَ مَعْدُ
وَعُلُومُ دِينٍ لَمْ يُخْلُ
وَجَلِيلٌ قَظِيرٌ دَقَّ فَهْ
[٨٢ ب] يَا أَيُّهَا الْخَبِيرُ النَّذِي
لَوْ فَضَّلَ الْخَيْطُ قَا
أُسْدِي وَأُلْجِمُ لَسْتُ أَفْ
وَلَوْ أَنَّ الْأَفْوَةَ حَاضِرُ
وَعَدَا الصَّرِيحُ بِهِ كَدِيدُ
دُمٌ وَابِقٌ مَا بَقِيَ الزُّ
وَلَقَدْ ذَرَكُ الْعَالِي الْعُلُو

يُقْبَلُ كَذَا ، لَا يُبْعِدُ اللَّهُ دَارَهَا ، وَلَا يُجَاوِزُ إِلَّا بِالْجُزْءِ مِقْدَارَهَا ، وَلَا
يُسْمِعُهَا مِنْ أَنْبَاءٍ مَنْ أَعْلَنَ لَهَا أَوْ سَارَهَا إِلَّا سَارَهَا ، تَقْبِيلًا يَقُومُ بِسَنَةِ الْفَرَضِ ،
وَيُعْرِبُ عَنْ مَبْنِيٍّ وَدَّ كَامِلِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ ، وَيُفْصِحُ عَنْ خُضُوعٍ لِفَضْلِهِ ، فَإِذَا

أَنْشَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُنْشِدٌ : بَلَّغْنَا السَّمَاءَ^(١) ، تَلَا هُوَ ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ ﴾ [يوسف : ٨٠]
وَأَنْشَدَ : [من المنسرح]

مِنْ أَجْلِكَ قَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي أَرْضًا لِلصَّادِرِ وَالْوَارِدِ حَتَّى تَرْضَى^(٢)
وَيُنْهِيَ بَعْدَ وَضْفِ اغْتَدَّهِ دِينًا ، فَتَسَلَّمَ كِتَابَهُ بِالْيَمِينِ ، ثَابِتٌ يَزِيدُ حَلَاوَةً
إِيمَانِهِ فِي الْقَلْبِ مَرُّ السِّنِينَ ، بَاقٍ لَا يَتَبَدَّلُ إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ^{(٣)(٤)} : [من
البسيط]

مَا غَيَّرَ الْبُعْدُ حَالًا كُنْتُ تَعْرِفُهُ وَلَا تَبَدَّلْتُ بَعْدَ الذِّكْرِ نِسِيَانًا
وَلَا ذَكَرْتُ خَلِيلًا كُنْتُ أَلْفُهُ إِلَّا جَعَلْتُكَ فَوْقَ الْكُلِّ عُنْوَانًا
أَنْ مُوجِبٌ تَأْخِيرِ كُتُبِهِ مَخْضُ الْاِقْتِدَاءِ ، وَالسَّيَرِ عَلَى سُنَّتِكُمْ فِي قِلَّةِ الْكُتُبِ
مَعَ كَثْرَةِ الْوَفَاءِ ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ رَفَعَ أَبُو رَافِعٍ « مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ » إِلَى سَيِّدِ
الْأَنْبِيَاءِ^(٥) ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْقَلِبُ مُعْتَدِرًا عَنْ تَهْجُمِهِ بِهِذِهِ الضَّرَاعَةِ ، مُتَبَدِّرًا إِلَى
ذِكْرِ الْفَارِقِ حَيْثُ أَطَالَ لِسَانُهُ وَبَاعَهُ ، مُزْدَجِرًا عَمَّا لَعَلَّهُ ذَنْبٌ إِذَا عَلِمَ مَوْلَانَا بِهِ
سَامَهُ الْبُعْدُ وَبَاعَهُ ، فَيَقُولُ : قَيْدُ الْحُبِّ أَطْلَقَ لِسَانِي ، فَأَعْرَبَ عَنِ الْمَتْنِيِّ عَلَى
السُّكُونِ ، وَسَرَّحَ يَدَيَّ فَخَطَّتْ مَا هُوَ فِي لَوْجِهَا الْمَحْفُوظِ مَصُونٌ ، وَأَذِنَ لِي
فَتَصَرَّفْتُ فِي الْكِتَابَةِ ، وَكَيْفَ لَا يَتَصَرَّفُ الْعَبْدُ الْمَأْذُونُ ؛ فَأَصْدَرْتُ هَذِهِ الْوَارِدَةَ

مُدِلًّا بِأَنِّي مِنْهُمْ وَهُمْ مِنِّي وَهَذَا الْمُتْنِ ، وَقُلْتُ : اسْأَلِي عَنْهُمْ وَخَبِّرِي عَنِّي
حَاشَاكَ مِنْ عَنَا ، وَبَادِرِي مَوْلَاكِ وَلَا تَخْشَيْ أَنْ يُقَالَ : مَا أَتَى بِكِ هَا هُنَا ؟
وَتُخَذِي مِنْ شَرْحِ الْحَالِ فِي كُلِّ فَنٍّ ، وَكُونِي مَمَّنْ إِذَا سَمِعَ صَالِحًا أَدَاعَ ، وَلَوْ
سَمِعَ طَالِحًا أَوْ رَيْبَةً لَدَفَنَ ، وَأَطْلِقِي الدَّمَعَ وَلَا تَخَافِي أَنْ يُقَالَ : مَا هَاجَ الدُّمُوعُ
الذُّرْفَنَ^(١) ، وَاعْتَمِدِي عَلَى الْمُسَامَحَةِ فَهُمْ أَهْلُهَا ، وَاتَّخِذِي إِخْلَاصَ الْوَلَاءِ
ذَرِيعَةً أَنْ لَا يَنْتَقِدُوا ، وَثَقِي بِهِمْ فَهُمْ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجُوهًا وَأَنْصَرُهُمُوهَا^(٢) :
[من الطويل]

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَائِقُهُ
الْمَمْلُوكُ يُنْهِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ مُسْتَبْشِرًا ، وَبَاعَ الْأَسْفَلَ بِالْأَعْلَى وَتَلَا :
﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [التوبة : ١١١] فَحَمِدَ الْمُشْتَرَى ،
وَوَصَلَ إِلَى مِصْرَ مَسْرُورًا ، وَمَا شَكَا إِلَيْهِ جَمَلُهُ طُولَ الشَّرَى^(٣) ، بَلْ حَمِدَ سَيْرَهُ
خَيْلُ الْبَرِيدِ ، وَبِهِمُ اللَّيْلُ وَسَاحَةُ الْبَيْدَا ، وَقَدَمَ فَتَزَلَّ جَوَارَ الْبَحْرِ ، فَقَالُوا :
نَزَلَ [٨٣ ب] مَاءُ السَّمَاءِ ؛ وَكَادَ يُشِيدُ^(٤) : [من الوافر]

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلَا أَمَامِي تَخُبُّ بِسِي الرُّكَّابِ وَلَا وَرَائِي

(١) من قول العجاج ، في ديوانه ٤٨٨ (عزة) ٢/٢١٩ (سطلي) :

يا صاح ما هاج الدُّمُوعُ الذُّرْفَا

(٢) البيت لأبي الطَّمْحَانِ الْقَيْنِي فِي الْإِعْجَازِ وَالْإِيْجَازِ ١٨٢ وَالْأَغَانِي ٩/١٣ وَكَامِلُ الْمَبْرَدِ ٦٨/١
٢/٣٤ . وَشَرْحُ الْحِمَاسَةِ لِلْمَرْزُوقِيِّ ١٥٩٨/٤ وَأَشْعَارُ اللَّصُوصِ ٧٤/١ . وَنَسَبُهُ الْجَاهِظُ فِي
الْحَيَوَانِ ٩٣/٣ إِلَى لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ .

(٣) من قول الرَّاجِزِ : [حَيَاةُ الْحَيَوَانِ « الْجَمَلُ »]

شَكَا إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ الشَّرَى يَا جَمَلِي لَيْسَ إِلَيَّ الْمَشْتَكَى
صَبْرًا جَمِيلًا فَكَلَانَا مُبْتَلَى

(٤) البيت للمتنبي ، فِي دِيَوَانِهِ ١٤٥/٤ بِرَوَايَةٍ : ... فَلَا وَرَائِي × ... وَلَا أَمَامِي .

(١) إشارة إلى قول النابغة الجعدي : [وقد مضى]

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجَدودَنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

(٢) فِي م : ... قَدْ جَعَلْتُ خَلْدِي ... × .

(٣) من قول ذي الرُّمَّةِ : [ديوانه ١١٩٢/٢]

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُجِيبِينَ لَمْ يَكُذِّبْ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

(٤) الْبَيْتَانِ لِلزَّبِيرِ بْنِ بَكَارٍ ، فِي بَهْجَةِ الْمَجَالِسِ ١/٣٦٠ بِاخْتِلَافٍ فِي الرِّوَايَةِ .

(٥) أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ٨/٦ وَ٣٩٠ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَا أَبَا رَافِعٍ ، إِنَّ الصَّدَقَةَ حَرَامٌ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ؛ إِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ » .

ولم يُشَدَّ^(١) : [من الكامل]

دُمَ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللَّوَى والعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَيْكَ الْإِيَّامَ
لِكَثْرَةِ مَا لَقِيَ مِنَ التَّعْظِيمِ الَّذِي لَوْ شَعَرَ بِهِ الْعَدُوُّ لَمَا نَظَّمَ أَسْبَابَهُ ؛ خَيْمَ
الْمَمْلُوكِ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَسَارَ مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ يَحْسِبُ كُلَّ خَيْرٍ ، فَمَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى أَطْنَابَهُ ، وَوَرَدَ حَيْثُ قَصَدَ ﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ﴾ [النور : ٣٩]
وَلَمْ يَخْشَ لِحُسْنِ ظَنِّهِ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالاً ، وَلَمْ يُنَادِهِ كُلُّ مُحِبٍّ إِلَّا بِهَكَذَا
هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا^(٢) ، وَقَالَ كُلُّ أَمْرِيءَ : أَنْتَ الْحَكَمُ التَّرَضَى حُكُومَتُهُ^(٣) ،
هُنَاكَ هُنَاكَ ، وَأَشَدَّ^(٤) : [من البسيط]

اللَّهُ أَعْطَاكَ فَضْلاً مِنْ عَطِيَّتِهِ

وَأَوَّلَاكَ ، وَبَالَغَ فِي الْبِشْرِ ، وَمَا كُلُّ مَنْ يُبْذَى الْبِشَاشَةَ كَانَتْ أَخَاكَ^(٥) ، بَل
رُبَّمَا حَسِبْتَهُ إِثَّاكَ .

وَأَمَّا زُمَرُ الْأَعْدَاءِ ؛ فَكُلُّ مِنْهُمْ عَبَسَ وَتَوَلَّى ، وَتَبَيَّنَ لَوْلِي الْأَمْرُ أَنَّ لِمِثْلِهِ
يُقَالُ : نَوَّلُهُ مَا تَوَلَّى ، وَنَادَيْتُ كُلًّا مِنْ زَاجِرِي عَنْ حُضُورِ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ^(٦) : [من
الطويل]

(١) البيت لجري ، في ديوانه ٩٩٠ / ٢ .

(٢) من قول المتنبي : [ديوانه ١٣٤ / ٣]

ذِي الْمَعَالِي ، فَلْيَعْلَمُونَ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا
(٣) من قول الفرزدق : [ليس في ديوانه . وهو في خزانة البغدادي ٣٢ / ١]

مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التَّرَضَى حُكُومَتُهُ وَلَا الْأَصِيلَ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ
(٤) صدر بيت لإبراهيم بن هرمة [ديوانه ٢٢٣] وعجزه :

عَلَى هَرْنٍ وَهَرْنٍ فِيمَا مَضَى وَهَرْنٍ

(٥) من قول الشاعر : [شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٣٣ / ١]
وَمَا كُلُّ مَنْ يُبْذَى الْبِشَاشَةَ كَانَتْ أَخَاكَ إِذَا لَمْ تَلْفِهِ لَكَ مُنْجِدَا

(٦) من قول طرفة : [ديوانه ٣١] وعجزه :

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلَدِي

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِي أَخْضِرِ الْوَعْدَ

أَوَّلِي لَكَ فَأَوَّلِي ، وَلَقَدْ اسْتَوَلَى الْحَقُّ عَلَى عَرْشِهِ وَاسْتَوَى ، وَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ
الْإِخْرَاجَاتِ جِرَاحَاتِ الْأَهْوِيَةِ ، وَالْأَغْرَاضِ قَائِلَةً : لَا نَبْرَحُ نَحْنُ ﴿ وَلَا أَنْتَ
مَكَانَا سَوَى ﴾ [طه : ٥٨] .

فَلَمَّا طَلَعَ صُبْحُ الْحَقِّ عَلَى مَنْ كَانَتْ أَمْرَضَتْ قَلْبُهُ ، بَانَ وَبَدَا لَهُ مِنْ بَعْدِ
مَا انْدَمَلَ الْهَوَى ، قَوْمٌ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمُنْصَبَ فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ، وَأَعْجَبُوا
بِالْسِّنَةِ جِدَادٍ ضَلَعَتْ أَعْضَاءَهُمْ ، وَاسْتَكَلَبُوا عَلَى اضْطِيَادِ جَارِحِهِ ، فَطَرَحَهُمْ
قَتْلَى وَرَدَّ أَهْوَاءَهُمْ ، لَمْ يَرْجِعُوا حَتَّى وَقَفَ الْهَوَى ، وَأَهْلَكَهُمْ كُلُّ نَزَاعَةٍ
لِلشَّوَى ، وَقُوْبِلَ كُلُّ أَفَّاكٍ مِنْهُمْ بِمَا نَوَى ، لَعِبَ بِهِمْ شَيْطَانُ الْحَسَدِ ، وَشَدَّ
وَنَاقَهُمُ الَّذِي لَا يُوثِقُ بِهِ بِحَبْلِ مَنْ مَسَدٍ ، وَطَبَعَ عَلَى قَلْبِهِ وَاغْتَالَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ :
غَالَتِكَ إِذْنُ الْعُولُ ، بَلْ اغْتَالَكَ الْأَسَدُ : [من الكامل]

وَلَقَدْ عَذَلْتُ حَلِيمَهُمْ وَنَهَيْتُهُ فَأَبَى وَقَالَ هَوَايَ أَمْرٌ مُحْكَمٌ
« وَقَفَ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ »^(١)
فَارْدَتْ أَطْنِبُ قَالَ لِي مُتَبَرِّمًا : أَطْنِبُ أَوْ أَوْجِزْ حَبْلُ كَيْدِي مُبَرِّمٌ
« أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حَسَدًا وَبَغْيًا فَلْتَلْمِزْنِي اللَّوْمُ »^(١)
فَلَمَّا سَمِعْتُ قَوْلَهُ :

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً

وَرَأَيْتُ مِنْ قَلْبِهِ الْمَعَانِي مَا يَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ ضَالَّةَ الْمُؤْمِنِ مَبْثُودَةً ،
وَيَطْبَعُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَالْأَفْنَدَةُ بِدُونِ هَذَا مَأْخُودَةً ، عَرَفْتُ أَنَّ الْعَدْلَ لَا يَرْجِعُهُ ،
وَأَنَّ الْحَقَّ خَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يُنْجِدُهُ الْوَعْدُ وَلَا يُنْجِعُهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ يُحَاوِلُ

(١) البيت لأبي الشَّيْخِ ، في ديوانه ١٠١ - ١٠٢ .

سُقُوطَ مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ ، وَأَنَّهُ لَزِمَ إِطْلَاقَ اللِّسَانِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ
لُزُومَ الْخَطِيبِ لِلْمَنَابِرِ ، وَكِتَابَةَ الْبَاطِلِ لُزُومَ الْأَقْلَامِ لِلْمَحَابِرِ ، وَالِاسْتِغَالَ بِمَنْ
تَرَفَّعَ قَدْرُهُ عَنْهُ لُزُومَ الْأَغْرَاضِ لِلْجَوَاهِرِ ؛ [٨٣ ب] عَدَلْتُ عَنْ عَدْلِهِ ، وَاکْتَفَيْتُ
بِالْحَكَمِ الْعَدْلَ وَعَدْلِهِ ، وَرَفَعْتُ قِصَّتِي عَلَى يَدَيِ إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ ، وَجِئْتُ
فَشَاهَدْتُ مِنَ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ وَالسُّلْطَانِ مَا رَغِمَ بِهِ أَنْفُ الشَّيْطَانِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ بِكُنْهِ
ذَلِكَ عَدْنَانُ وَقَحْطَانُ ، وَصِرْتُ الْمَسْئُولَ فِيمَا حَسِبُوا أَنِّي أُحَاوِلُهُ اسْتِقْرَاراً ،
وَالْمُتَضَرِّعَ إِلَيْهِ فِي الْعَوْدِ مِرَاراً ، وَالْمُعْرِضَ عَمَّا حَسَدُوا عَلَيْهِ اسْتِصْغَاراً لِقَوْمٍ
مَكْرُوا مَكْرًا كِبَارًا .

وَحَفَّتْنِي مِنَ اللَّهِ الْطَافَةُ وَنِعْمُهُ ، وَأُطْلِقَ فِي الشَّاءِ عَلَيَّ - بِفَضْلِ مَنْ هُوَ كُلُّ
يَوْمٍ فِي شَأْنٍ - لِسَانُهُ وَقَلَمُهُ ، وَبَانَ وَوَضَحَ أَنَّ الْعَدُوَّ ظَمَانٌ وَفِي بَحْرِ الْغَوَايَةِ
فَمُهُ ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِبَرَكَتِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ ،
فَلَسْتُ وَاللَّهِ قَدَّرَ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي تَقَلَّدْتُ عَقْدَهَا الثَّمِينِ ، وَلَا أَنَا مِمَّنْ
يَفْتَحِرُ ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَنْشَدْتُ^(١) : [من الوافر]

وَكَانَ لَنَا أَبُو حَسَنِ عَلِيٍّ أَبَا بَرٍّ وَنَحْنُ لَهُ بَنِينَ
ثُمَّ لَمَّا كَانَ قَدْ امْتَلَأَ مِنْ مَاءِ دِمَشْقَ بَطْنِي ، وَنَادَانِي حَوْضُ الْأَمَالِ : قَطْنِي ،
وَسَيِّمَتْ نَفْسِي صُدَاعَ الشَّامِ ؛ وَمَاذَا يَزْدَرِي الشُّعْرَاءُ وَغَيْرُهُمْ مِنِّي ، وَرَأَيْتُ هَذَا
الْإِكْرَامَ الَّذِي بَلَغَ عَنَانَ السَّمَاءِ ، وَذَكَرْتُ دِمَشْقَ وَمَا وَمَا أَقُولُ وَكُلُّ دِمَشْقَ
مَا ، قُلْتُ لِمَنْ لَا مَنِي فِيهَا^(٢) : [من الطويل]

خَلِيلِي مَا وَافٍ بِعَهْدِي أَنْتَمَا

(١) البيت لسعيد بن قيس الهمداني . (معجم شواهد العربية ٣٩٣) .

(٢) عجزه : إِذَا لَمْ تَكُونَا لِي عَلَى مَنْ أَفَاطُ .

ومعاذ الله أن ألوم أهل الشام ، فقد أحسنوا وأنعموا^(١) : [من البسيط]

وما أ صاحب من قوم فأذكرهم إلا يزيدهم حباً إلي هم
وإنما ألوم فزقة قلبوا الحق وبدلوا القرآن فصموا وعموا .

فصل :

وَأَمَّا السَّادَةُ الْأَصْحَابُ : فَاَلْمَخْصُوصُ مِنْهُمْ بِعُمُومِ التَّحِيَّةِ ، وَالْمُقْبَلُ كَفَّهُ
مِثَّةً ، وَقَالَ السَّجْعُ مِثَّةً ، مَنْ يَجِئُ سَلَامِي كُلَّ يَوْمٍ إِلَيْهِ ، سَيُّدُنَا الشَّيْخُ عَزُّ الدِّينِ
ابْنُ شَيْخِ السَّلَامِيَّةِ^(٢) ، وَالتَّالِي لِهَذَا الْمُقَدِّمِ وَالْأَنْظَارِ ، مَنْ تَحَقَّقَتْ مَوَدَّتُهُ بَعْدَ
الْبَحْثِ مَعَ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْظَارِ ، وَعُرِفَ تَقَوُّاهُ فِي التَّقْوِيَةِ^(٣) وَاهْتِمَامُهُ فِي الْمَعْرُوفِ
وَإِنْ لَمْ يُضْلِحِ الْعَطَّارُ ، ثُمَّ سَائِرُ الْمَخَادِيمِ ، يَقْبَلُ الْمَمْلُوكُ يَدَهُمْ سَيِّدًا سَيِّدًا ،
وَيُخَصُّ السَّادَةُ الْأَوْلَادُ الْأَعِزَّةُ فَلَا يَجِدُ إِلَّا مُحَمَّدًا ، وَيَلْتَفِتُ مُتَهَمًا وَمُنْجِدًا^(٤) ،
فَيُنَادِي : أَصْحَابِي ، أَيْنَ مَنْ لَا أَعْدِلُ بِهِ أَحَدًا ؛ كَأَنَّ صَارِمَهُ فَتَكَ فَاتَّبَعَهُ قَوْمًا
بُورًا ، أَوْ نَبَا فَوَجَدَ قَصُورًا^(٥) أَسْكَنَهُ قُبُورًا ، أَتَرَاهُ فِي جَهَّةٍ أَمْ لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ
﴿ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ [الحديد : ١٣] .

(١) البيت لزياد بن حمل ، في شرح الحماسة للمرزوقي ١٣٩٢/٣ .

(٢) عز الدين ، ابن شيخ السَّلَامِيَّةِ : حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين ، ينتهي نسبه إلى الفتح بن
خاقان وزير المتوكل ، برع في المذهب الحنبلي والخلاف ، وله تصانيف مفيدة ؛ توفي سنة
٧٦٩ هـ بدمشق . (الدارس ٧٥/٢ والوافي بالوفيات ١٨٢/١٣ والمنهج الأحمد ١٣١/٥) .

(٣) المدرسة التقوية : هي من أجل مدارس دمشق ، داخل باب الفرائيس ، شمالي الجامع الأموي ،
شرقي الظاهرية والإقباليتين . (الدارس ٢١٦/١) .

ولعل المشار إليه هو : المعمّر الصالح كمال الدين محمد بن القاضي محيي الدين ابن الزكي ،
المتوفى سنة ٧٤٤ هـ .

ودرس بعده بالتقوية القاضي الإمام تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن الشبكي . (الدارس
٢٢٢/١) .

(٤) في م : متهماً ومغوراً ومنجداً .

(٥) في م : قصوراً .

● فكتبْتُ أنا الجواب إليه عن ذلك ، ولو وَفَّقْتُ لَوَفَّقْتُ وما كَتَبْتُ^(١) :

[من مجزوء الكامل]

وافى مثالك لي كأنه
أبصرته والليل أم
وفضضته فأضأت الـ
لحمائم الألفاظ منـ
فاللحن منه مطرب
أبيات شغري ضرة
كم مئة أوليت منه
هو جنة بل جنة
[١٨٤] أما البديع فإنه
فيه بدائع ما درى
خلفت مفتاح العلو
وقهرت عبد القاهر الـ
يا حسنه من روضة
أبرزت فضل حلاوة
فأرى معانيه جوا
كم فيه علق مضية
كنز من الأدب استعد
هو كوم تير منه آ

صبح وقد شق الدجئة
سى ذا غياطل مزججته
أنوار من هنا وهنا
ه رنة من بعد رنة
مع أنه ما فيه لحنه
للشمس أو للبدر كنه
وكم به قويت منه
في السر من ناس وجنة
أدغمته فيه بغته
أهل البلاغة ما اسمهنه
م معطلا وكسرت سته
مسكين حتى حاز حزنه
أزهارها لم تسق مزنه
في النيل كانت مستكنه
فأ والخليل أحب وزنه
لمنى الثفوس غدا مطنه
ت به على فقير ومحنة
خذ حفته من بعد حفته

لَوْ أَنَّ جَزُولَ ذَاقٍ مِنْ
وَكَذَا زُهَيْرٍ لَوَرَا
وَأَرَى الْحَزِينَ لِأَجْلِهِ
وَكَذَلِكَ الرَّمَّاحُ كَمْ
وَجَمِيلٌ قُبْحٌ فِعْلُهُ
وَكَيْفَ قَدْ قَلَّ حَتَّى
وَأَبُو نُوَاسٍ لَوَرَا
وَعَدَا فَرَوْقَ كَأَسْهُ
وَأَزْتَدَّ مُسْلِمٌ مِنْهُ عَن
نَظْمٍ يَلِيْنُ قَاسِيُو
وَشَفَعَتْهُ بِتَرْشُلٍ
وَنَقَلَتْ فِيهِ شَوَاهِدًا
لَوْ كُنْتَ فِي عَصْرِ مَضَى
مَا جَاءَ حَظُّ الْجَاحِظِ الـ
وَبَكَى ابْنُ بَسَّامٍ إِلَى
وَالْفَتْحُ أَغْلَقَ بَابَهُ
أَسْفَى عَلَى عَبْدِ الرَّحِيمِ
وَأَتَيْتَ فِيهِ بِمُعْجَزَا
هُوَ مَالِكُ الْإِنْشَاءِ إِنْ

جزياله لم يلق سجنه^(١)
ه ذوى وما أضبطه دمنه
كم أسمع الأقوام أنه^(٢)
في شعره للناس طعنه^(٣)
إذ بُثَّ عنه حديث بشة
تى أرته عزة كل إهنة
ه لما أقام بدير حنة
ودنا فروق منه دنة
حب الغواني إذ صرغته
ن ولو أبى لنفشت عهنة
أدرجت لي التسهيل ضمنه
عند ابن مالك مستجته
يا من أعار الشمس حسنه
مغروف في البيان تينه
أن بل بالعبرات رذنه
ورمى فلائده بمهنة
م فإنه أخلت فته
ت فته فأصاب فته
شاء التقدّم لم يتهنه

(١) جروول : الحطية ؛ والإشارة إلى سجنه زمن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

(٢) الحزين الكنانى .

(٣) الرَّمَاح : ابن ميادة .

(١) الجواب شعراً ونثراً في طبقات الشافعية الكبرى للشُّبكي ١٠/٢٠ - ٣٢ .

وإمامنا لِكِنَّهُ
لو عاشَ كانَ أولو الثَّهَى
ولَقَالَ كُلُّ مِنْهُمْ
هَذَا عَلَيْكَ مُقَدَّمٌ
لكن جَعَلْتَ الشَّامَ بَعْدَ
وِدْمَشْقَ بَعْدَكَ قَدْ تَرَدَّ
لم يُسَقِ من بَرْدَى الْبَرِيدِ
وكذلك ثُورًا بَعْدَ بَعْدِ
والجَامِيعُ الْمَعْمُورُ كَا
وَالْقَبْلَةُ الشَّمَاءُ لَيْدِ
كَانَتْ بِهِ الْأَعْطَافُ وَهْ
وَالآنَ أَقْفَرُ وَخَشَّةٌ
وَدُمُوعُهُ فَوَارَةٌ
وَعَدَتْ قِيسِي قَنَاطِيرِ
وَلَكَمْ نَفُوسٌ مِنْ نُقُورِ
لَمْ يَتَّقِ إِلَّا زُورَةً
فَاللَّهُ خَيَّبَ فِيكَ مَا
قَدْ كَادَ حَتَّى كَادَ يَمُ
عَمَلًا بِقَوْلِ مُحَمَّدٍ بـ
« تَخْطِي الْأُمُورُ مَعَ الصُّوَا

إِنْ قَسْتَهُ بِكَ فِيهِ لُكْنُهُ
مَا دَاهَنُوا فِي الْحَقِّ ذَهَنَهُ
وَالْحَقُّ لَمْ يَكُ فِيهِ هُذْنُهُ
فَأَضْرَبَ بِرَأْسِكَ أَلْفَ قُرْنَهُ
سَدَّكَ كَالْجَحِيمِ وَكَانَ جَنَّهُ
دَثْ ثُوبَ حُزْنٍ فِيهِ دُكْنُهُ
صُ وَلَوْ أَتَى أَوْلَادُ جَفْنَهُ
لِكَ مَا تَسَنَّى بَلَّ تَسْنَهُ (١)
دُ تَزَعْنُ الْأَشْوَاقُ رُكْنَهُ
سَ بَجَوْهَا لِلنَّسْرِ قُنَهُ
سَيَ مَوَائِدُ يَمْلَأَنَّ صَخْنَهُ
وَأَسَالَ مِنْهُ السَّقْفُ ذُهْنَهُ
قَدْ قَرَّحَتْ بِالْفَيْضِ جَفْنَهُ
فِيهِ مِنَ الْبَرْحَا مُرْنَهُ
شِ مَثْنِ جَيْنَ أَكَلَّ مَتْنَهُ
لِتُزِيلَ لَمَّا غَبَّتْ غُبْنَهُ
قَالَ الْحَسُودُ وَرَدَّ ظَنْنَهُ
شَيْ مَا تَقَوْلُهُ عَرْضَنَهُ
مِنْ يَسِيرَ فَهُوَ يَسِيرُ سُنَّهُ (٢)
بِ وَقَدْ تَكُونُ مَعَ الْمَظْنَةُ »

(١) ثورا : من أنهار دمشق ، وهو فرع من بردى ، لا يزال معروفاً بهذا الاسم .

(٢) في أ ، ب : × بن مبير . . . ! وفي م : محمد بن مسير ! . والبيتان الآتيان لمحمد بن يسير في الأغاني ١٤ / ٤٤ وديوانه ١٢٤ .

« كَمْ مِنْ مَضِيْقٍ فِي الْفَضَا
[٨٤ب] مَوَلَايَ يَا قَاضِيَ الْقَضَا
وَمُقَيِّلَ عَثْرَةِ كُلِّ مَنْ
وَمُبْلَغِ الْأَمَالِ ظَمَدِ
أَنَا عِنْدَ غَيْرِكَ فِي الْوَرَى
فَلِأَجْلِ ذَا أَوْقَعْتُ نَفَدِ
خِفْتُ الْحَرِيْقَ بِنَارِ تَقْدِ
لَكِنْ أَجَبْتُ فَإِنْ أَجَدِ
إِنَّ الشُّجَاعَ بِلُخْمِهِ
فَاسْلَمْ وَدُمُ فِي نِعْمَةٍ
مَنْ مَعَارِفُهُ أَضَعْنَهُ
سَيَ فِي الْجَوَابِ بَغْيَرِ فُطْنَهُ
صِيرِي وَشَيْبُ الرَّأْسِ قُطْنَهُ
تُ فَلَمْ أَظَنَّ وَلَنْ أَظُنُّهُ
سَمَحَ إِذَا لَمْ يَرْضَ جُبْنَهُ
مَا زَانَ زَهْرُ الرَّوْضِ حَزْنَهُ

يَقْبُلُ الْأَرْضَ حَيْثُ تَضَعُ الْمَلَائِكَةُ بِهَا الْأَجْنَحَةَ ، وَيَتَّخِذُ الْأَنَامُ مِنَ الدُّعَاءِ
فِي مَوَاطِنِهَا مَوَاضِيَ الْأَسْلِحَةِ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بِهَا مَا أَحَبَّ ، فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ
شَيْءٌ وَإِنْ رَاعَى الْمَضْلَحَةَ ، وَيُعْمَلُ طَلَابُ الْعِلْمِ إِلَيْهَا كُلُّ يَعْمَلُهُ (٢) : [من البسيط]

كَأَنَّ رَاكِبَهَا غَضَنُ بِمَرْوَحَةٍ :

[من الطويل]

وَإِنِّي بِتَقْيِيلِي لَكَ الْأَرْضَ وَالْثَرَى عَلَى كُلِّ مَنْ فَاخَرْتُهُ لَفَحُورُ (٣)
تَقْيِيلًا يُثَبِّتُ بِهِ الْجَوْهَرَ الْفَرْدَ ، فَإِنَّ كُلَّ جُزْءٍ مِنْهُ لِلْقَبْلِ يَنْجَزَا ، وَيَحْطُ بِهِ
أَنْقَالَ خُطُوبٍ أَفْعَدْتُهُ عَنِ اللَّحَاقِ بِهَا عَجْزَا ، وَيَسْتَرْفُ بِمُشَافَهَةِ تَرْبِهَا ، فَإِنْ نَالَهُ

(١) أي : ماء مجنة .

(٢) تمامه ، كما في النهاية لابن الأثير ٢ / ٢٧٣ : إِذَا تَلَكَّتْ بِهِ أَوْ شَارَبَتْ ثِيْلَ .

(٣) البيت لتميم بن المعز الفاطمي ، في ديوانه ١٤٤ .

مِنْهَا أَقَلُّ الْأَجْزَاءِ أَجْزَا : [من الوافر]

تُرَابُهُمْ وَحَقُّ أَبِي تُرَابٍ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ عَيْنِي الْيَمِينِ
ويُنْهِي بَعْدَ وَلَا حَكَمَ بِتَصْدِيقِهِ لِمَا تَصَوَّرَهُ كُلُّ مَنْطِقِي وَمِنْطِقِي ، وَدَلَّ
بِالْمُطَابَقَةِ وَالتَّضَمُّنِ وَالْإِتِّزَامِ عَلَى أَنَّهُ فِي الْوَفَاءِ عَرِيقٌ عَرِيقٌ مِنْ تَلَفِّ التَّلَفِيقِ ،
وَأَصْبَحَ وَحْدَهُ وَحْدَهُ جَامِعٌ مَانِعٌ ، لِأَنَّ جِنْسَهُ الْقَرِيبُ هُوَ الْإِخْلَاصُ وَفَضْلُهُ
التَّحْقِيقُ : [من الطويل]

عُرِفْتُ بِبِصْدَقِ الْوُدِّ فَيْكَ لِأَنِّي رَفَعْتُ بِلَا عَجْزٍ لِيَاءٍ وَلَا نِي
وَرَفَعَ أَذِيَّةً مَا أَحَلَّ بِرَفْعِ فَرْضِهَا إِنْ بَعْدَ أَوْدُنَا ، وَلَا أَخَذَهَا إِلَّا مِنَ التَّابِغَةِ
حَيْثُ قَالَ : [من الطويل]

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُونَا [وَأَنَا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا]
وَلَا أَنْكَرْنَاهَا مَلَائِكَةُ الْقَبُولِ إِلَّا مَرَّةً ، ثُمَّ اعْتَرَفَتْ فَصَارَتْ دَيْدَنًا : [من الطويل]
إِذَا رُفِعَتْ يَوْمًا لِذِي الْعَرْشِ خَيَّمَتْ لِصِدْقٍ وَلَا نِي فَيْكَ بَيْنَ الشُّرَاقِ
وَبِتُّ أَتَيْنِيَّةً مَا أَمْسَكَ الْمِسْكُ مَعَهَا رَمَقَهُ ، وَلَا تَبَّتْ لَهَا الْبَدْرُ حَتَّى خُسِفَ لَمَّا
لَمَحَ مُحَيَّاها وَرَمَقَهُ ، وَلَا طَالَتْ دَهَالِيزُ الْأَنْهَارِ بَيْنَ قُصُورِ الرُّوضِ إِلَّا وَأَنْفَاسُ
الْأَزْهَارِ مِنْهَا مُسْتَرْقَّةٌ^(١) : [من الكامل]

أَتْنِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءُ لَقُلْتُ لِي : قَصَّزْتَ فَالْإِمْسَاكَ عَنِّي نَائِلُ
وُرُودِ الْمِثَالِ الَّذِي مَا لَهُ نَظِيرٌ وَلَا مِثَالٌ ، وَلَا جَوْدَ ابْنِ الْعَدِيمِ فِي الْوُجُودِ إِلَّا
عَلَى سَطَوِيهِ ، فَإِنَّهَا لَهُ مِثَالٌ ، وَلَا مَضَى لَهُ حُسْنٌ ، حَتَّى تُدْخِلَ سَيْنَ الشُّرُورِ
عَلَى حَالِهِ قَتْمِيَّزَهُ وَتُخَلِّصَهُ لِلْإِسْتِقْبَالِ ؛ وَلَا تَلْقَاهُ شَاكِي سِلَاحٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ إِلَّا

وَرَاخَ كَمَا قَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ^(١) : [من الطويل]

وَلَيْسَ بِذِي رُمَحٍ وَلَيْسَ بِبَيْتَالٍ

[من الوافر]

بِلَا مِثْلٍ وَإِنْ أَبْصَرْتَ فِيهِ لِكُلِّ مُغَيَّبٍ حَسَنٍ مِثَالًا^(٢)
كَمْ أَهْدَى أَلْطَافًا ، وَهَزَّ بِالطَّرَبِ أَعْطَافًا ، وَجَعَلَ الْقُلُوبَ أَغْرَاضًا لِسِهَامِ
مَحَاسِنِهِ وَأَهْدَافًا ، وَجَلَبَ الْفَرَحَ ، [١٨٥] وَسَلَبَ التَّرَحَّ ، فَأَخَذَ تَاءً مِنَ الثَّانِي
وَأَهْدَى فَاءً ، تَرَوْقُ دُرُّ أَصْدَافِهِ ، وَتَفُوقُ دَرَارِيْ أَصْدَافِهِ ، وَكَيْفَ لَا يَهُولُ وَكُلُّ
حَرْفٍ مِنْهُ جَاءَ لِمَعْنَى ؟ وَكَيْفَ لَا يَطُولُ وَكُلُّ لَفْظٍ مِنْهُ قَدْ اسْتَقَرَّ مِنَ الْبَدِيعِ
بِمَعْنَى ؟ وَكَيْفَ لَا يُغْرِبُ وَالْأَبْصَارُ تُلَفَّتْ إِلَيْهِ بِأَعْيُنِهِ الْإِعْجَابِ وَتُنْتَبِهُ ؟ وَكَيْفَ
لَا يَطْرِبُ وَمَا فِيهِ سَطَرٌ وَاحِدٌ إِلَّا وَيُسْمَعُ مِنْهُ مِثْلُ أَوْمَتْنِي ؟ .

فَمَا أَحْسَنَ مَا نَظَمَ وَمَا نَثَرَ ، وَمَا أَجْوَدَ مَا جَرَى فِي مَيْدَانِ الْإِنْشَاءِ ، وَمَا غَبَّرَ
لَمَّا عَبَّرَ وَمَا عَتَرَ ، وَمَا أَعَفَّ كَلَامَهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَلْتَمِسْ مِنْ كَلَامٍ غَيْرِهِ شَيْئًا ، وَهُوَ
يَعْلَمُ « أَنْ لَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثْرَ » ، وَمَا أَتَقَنَ مَا رَتَّبَ وَرَتَّلَ لَمَّا سَاقَ الْمَثَلَ
وَالشَّاهِدَ وَالْأَثَرَ ، وَمَا كُلُّ مَنْ أَلْقَى الْقَلَائِدَ نَظْمًا^(٣) : [من البسيط]
مِنْ كُلِّ مَعْنَى يَكَادُ الْمَيْثُ يَفْهَمُهُ حُسْنًا وَيَعْبُدُهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
فَقَالَ الْمَمْلُوكُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، وَهِيَ لَفْظٌ لَا يُقَالُ إِلَّا فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي الْأَذَانِ ،
أَوْ عِنْدَ عَجَبٍ مَا لَهُ مِنَ الْعَيْنِ حَاجِبٌ ، أَوْ عِنْدَ خَيْرٍ لَا يَأْخُذُ إِذْنًا عَلَى الْأَذَانِ ،
أَوْ عِنْدَ خَطْبٍ يَطْرُقُ فَيُضِيحُ مُلْتَمِسُ الْحَصَى مِنْهُ وَهُوَ شَدَانُ .
وَحَقُّ لِي أَنْ أَقُولَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ؛ فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ خَرَقَ الْعَادَةَ ، وَاسْتَعْبَدَ

(١) ديوانه ٣٣ ، وصدرة : وليس بذِي رُمَحٍ فِطْعَنِي بِهِ X .

وفي أ : وَلَا بَيْتَالٍ .

(٢) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢٢٦/٣ .

(٣) البيت لأبي تمام ، في ديوانه ٤٩٠/٤ .

(١) البيت للمتنبي ، في ديوانه ٢٥٩/٣ .

السَّادَّةَ ، واستقرب ما استبعد من مدى المادَّة ، وأخرج الأدباء عما سلَّكوه من
العجائِد ، وأخرج الكتاب حتى كلَّ ظبي أَقلامهم الحادَّة .

ولقد عالجت بديعه جراحات الفراق ، فإنَّه لها كالمزهم ، وأنفت لعجزِي
أنفة جبل عليها جبلة بن الأيهم ، وأفلست في جوابي ، فلو وجدت سطرًا مثله
يُبَاع ، كنت كما قال بعض العرب : اشتريته بوالله ألف درهم ؛ لأنَّه تلعب بي
تلعب الأفعال بالأسماء ، والبطر بأهل الصَّحة والتَّعماء ، وحلبي سجع هذه
الحمامة ، وسلَّني زهر هذه الكمامة ، وغلَّبي سكر هذه المدامة^(١) : [من الوافر]

ومن حكمت كاسك فيه فاحكم له بإقالة عند العشار
وقد عولت على الفكر في أن يلم شعث قريحتي ويضم ، قلت للقلم : هلم إلى
المساعدة على هذا الجواب ، فقال : لا أهلم^(٢) : [من الطويل]

وأطرق إطرارق الشجاع ولو رأى مساعاً لِنائبه الشجاع لَصَمَّما
ولما نفل على رأسي هذا الجبل الراسي ، ولم يفد فيه إنساني قبل
إنساني ، وأفضت بي الحال إلى نسيان ما كنت أعلمه ، ولا غزو فقد قرأ سعيد
ابن جبَّير « ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِي » [البقرة : ١٩٩] وقد قال أبو الفتح
البُستِي^(٣) : [من البسيط]

..... واغذُر فأول ناسي أول الناس

رجعت إلى ما عندي من فوائد مولانا ، أعزَّ الله نوافذ أحكامه ، وما زينت
بزهره من مروج تعلقي وأكامه ، فلم أدع بقعة ، ولا سبباً إلا وأثرت فيه

أثراً ، وأثرت نفعه ، ولَفَّقْتُ هذا الجواب ، وهو كمن يُقال : من كلُّ رُوق
رُفعة ، حتى شملتني سعادتك ، وحملتني بل جملتني إفادتك : [من الكامل]

ما زال يُوقِنُ مَنْ يُؤمُّكَ بالِغنى وسواك مانع فضله المحتاج
وقد أثبت الحصا عن المرجان ، وضاق بي وادي الإنشاء كما اتسع لمولانا
من نظمه ونثره المرحان ؛ وأما بيت أبي الحسن علي ، فإنَّه أحكم تأسيس
بُنْيته ، ورفع بكم نون قافيته ، وحرم سكناه على غيركم ؛ ولو حرَّك مولانا نون
رويه لعام في بحر فضلكم ، وما كان الله تعالى أوجد هذا البيت إلا لهذا
البيت ، وللدلالة على فضل الحي منه والميت : [من الطويل]

ولا كلُّ زندي يزدهي بسواره ولا كلُّ فرقي لاق من فوقه تاج
وأما قول مولانا : وما وما ، وما أقول وكلُّ دمشق ما ؛ فهذه نكتة يأخذ
الفاضل حسنها مبرهنًا والغبيُّ مسلمًا ؛ وأما ما وصفه من حال مضر المحروسة
عليه ، وإقبالها عليه^(١) ، وإذلالها لذئبه ، فما يقول المملوك إلا : [من الطويل]
تغايِر أقطار البلاد محبةً عليك فهذا القطر يحسدُ ذا القطرا
لا بل يقول : [من الطويل]

تغايَرت الأقطار فيك فواحد لفقدك يكي أو لقربك ييسم
وكلُّ مكان أنت فيه مبارك وفي كلِّ يوم فيه عيد وموسم
ولا شك في أن الديار كأهلها كما قيل تشقى بالزمان وتنعم
وأما ما وصفه من حال الحسدة الباغين ، والمردة الطاغين ؛ فقد ردَّ الله
كيدهم في نحرهم ، وزخر تيار مولانا فأغرق وشلَّ نهرهم : [من الطويل]

ولو علموا ما يغقب البغي قصروا ولكنهم لم يفكروا في العواقب
ولو لم يكن مولانا في هذا الكمال ما حسد على ما هو عليه من غنائم

(١) من قصيدة للعلوي ، في زهر الآداب ٤٤٨ .

(٢) البيت للمتلمس ، في ديوانه ٣٤ وثمار القلوب ٦٢٩/٢ .

(٣) ديوانه ١١٠ . وصدره : نسيت عهدك والنسيان مُغتفر .

المعالي ، ولا ودَّت النفوس الظَّالِمَةُ أَنْ تُسَلِّبَهُ ما وَهَبَهُ اللهُ وهو أَبْهَى وَأَبْهَرُ من عُقُودِ اللَّالِي ، ولا تَمَالَوْا على اهْتِصَامِ قَدْرِهِ ، وَكَمْ هذا التَّمَادِي فِي التَّمَالِي ^(١) : [من البسيط]

إِنَّ الْعَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً ولم تَجِدْ لِلشَّامِ النَّاسِ حَسَاداً فالحمدُ لله على النَّصْرَةِ ، وَضَعَفِ أَقْوَالِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَتَزَجَّجِ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وما يُغْلَقُ بابٌ إِلَّا وَيُفْتَحُ دُونُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ أَبْوَابٌ ؛ وعلى كُلِّ حَالٍ أَبُو نَضْرٍ أَبُو نَضْرٍ ، وَعَبْدُ الْوَهَّابِ عَبْدُ الْوَهَّابِ ، وما يَقُولُ الْمَمْلُوكُ فِي مَوْلَانَا إِلَّا كما قَالَ الْأَوَّلُ : [من الكامل]

مَنْ بِالسَّنَانِ يَصُولُ عِنْدَ فِطَامِهِ لَمْ يَخْشَ آخَرَ بِالسَّنَانِ يُفَعِّعُ وما بَقِيَ غَيْرُ الْخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ وَثَبًا ، وَأَنْ يَقُولَ لِرِكَابِهِ الشَّرِيفِ : أَهْلًا وَسَهْلًا وَرُحْبَى ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

٥٣ * علي بن الحسين بن القاسم بن منصور بن علي ^(٢) :

السَّيِّخُ الْإِمَامُ ، الْعَالِمُ الْعَلَامَةُ ، الْمُفَقِّنُ ، ذُو الْفَضَائِلِ الْمُتَوَعِّعَةِ ، زَيْنُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ ، الْمَوْصِلِيُّ ،

(١) البيت للمغيرة بن حنبل في معجم الشعراء ٢٧٣ وربع الأبرار ٥٧٧/٣ وبهجة المجالس ٤١٥/١ والمستطرف ٥٠/٢ - ٥١ .

وهو لعمر بن لجأ في ديوانه ١٣٨ والحماسة البصرية ١٤٢/١ ووفيات الأعيان ٣٨٣/٦ . وينسب لحاتم الطائي في أسرار الحكماء ١٣٦ وديوانه ٢٩٤ . واستشهد به سفيان بن معاوية المهلب في عيون الأخبار ٩/٢ .

(٢) ترجمته في : أعيان العصر ٣٣٥/٣ والوفاي بالوفيات ٥٢/٢١ وطبقات الشُّبَكِيِّ ١٣٦/١٠ ووفيات ابن رافع ٣٢٦/١ وتذكرة النبيه ١٨٥/٣ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٧٠/٢ والذَّور الكامنة ٤٣/٣ والنجوم الزاهرة ٩٧/١٠ والمنهل الصافي ٦٥/٨ والذليل الشافي ٤٥٤/١ والذيل التام ١٤٠/١ وبنية الوعاة ١٦١/٢ وشذرات الذهب ٣٠٥/٨ والبدر الطالع ٤٤٢/١ .

- مولده سنة ٦٨١ هـ . ووفاته سنة ٧٥٥ هـ .

الشَّافِعِيُّ ، ابن شَيْخِ الْعُوَيْتَةِ ^(١) .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ قَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْحِجَازِ ، فِي سَنَةِ ٧٥٠ (٢) :

[من الطويل]

أَلَا إِنَّمَا الْقُرْآنُ أَكْبَرُ مُعْجَزٍ لِأَفْضَلِ مَنْ يُهْدَى بِهِ الثَّقَلَانِ [١٨٦] وَمِنْ جُمْلَةِ الْإِعْجَازِ كَوْنُ اخْتِصَارِهِ بِإِنْجَازِ أَلْفَاظٍ وَبَسْطِ مَعَانٍ وَلَكِنِّي فِي « الْكَهْفِ » أَبْصَرْتُ آيَةً بِهَا الْفِكْرُ مِنْ طُولِ الزَّمَانِ عَنَانِي وَمَا ذَاكَ إِلَّا « اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا » فَقَدْ نَرَى « اسْتَطَعَمَاهُمْ » مِثْلَهُ بَيَّانٍ فَمَا الْحِكْمَةُ الْغَرَاءُ فِي وَضْعِ ظَاهِرٍ مَكَانَ ضَمِيرٍ إِنْ ذَاكَ لِشَانِ

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ ^(٢) : [من الطويل]

سَأَلْتَ لِمَاذَا « اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا » أَتَى عَنْ « اسْتَطَعَمَاهُمْ » إِنْ ذَاكَ لِشَانٍ وَفِيهِ اخْتِصَارٌ لَيْسَ ثُمَّ وَلَمْ يَقِفْ عَلَى سَبَبِ الرُّجْحَانِ مُنْذُ زَمَانٍ فَهَإِنَّكَ جَوَاباً رَافِعاً لِنِقَابِهِ يَصِيرُ بِهِ الْمَعْنَى كَرَأْيِي عِيَانٍ إِذَا مَا اسْتَوَى الْحَالَانِ فِي الْحُكْمِ رُجِّحَ الضَّ

ضَمِيرٌ وَأَمَّا حِينَ يَخْتَلِفَانِ كَرَفَعَةِ شَانٍ أَوْ حَقَارَةِ جَانِ كَمِثْلٍ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ ذَا وَمَا نَحْنُ فِيهِ صَرَّخُوا بِأَمَانٍ وَهَذَا عَلَى الْإِنْجَازِ وَاللَّفْظِ جَاءَ فِي جَوَابِي مُثَوَّرًا بِحُسْنِ بَيَانٍ فَلَيْسَ لِكُلِّ بِالْقَرِيبِ يَدَانِ يَكَادُ يُرَى مِنْ سَابِقِ بَرَهَانٍ وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الشَّعْرَ يُرَى بِهِمْ فَلَا

(١) انظر سبب تلقيب جدّه الأعلى علي بن شيخ العُوَيْتَةِ ، فِي الْوَاثِي ٥٣/٢١ .

(٢) الْآيَاتُ فِي أَعْيَانِ الْعَصْرِ ، وَالْوَاثِي ٥٦/٢١ وَ٨٦ ، وَالذَّورُ الْكَامِنَةُ ، وَالْأَشْبَاءُ وَالنَّظَائِرُ لِلْسَيَّوْطِيِّ ١٣٩/٤ ؛ وَتَكَرَّرَ فِي التَّرْجُمَةِ ٥٦ .

ولا تَسْنِي عِنْدَ الدُّعَاءِ فَإِنِّي سَأُبْدِي مَزَايَاكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِمَا طَعَى بِهِ قَلَمِي أَوْ طَالَ فِيهِ لِسَانِي
● وَكَتَبَ بَعْدَ ذَلِكَ تَثْرَاءً فِيهِ طُولٌ ؛ وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ كَامِلًا فِي تَرْجُمَتِهِ ، فِي
تَارِيخِي الْكَبِيرِ « الوافي بالوفيات »^(١) .

٥٤ * عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ [بْنِ عَلِيٍّ] بَنَ أَبِي بَكْرٍ بَنَ أَبِي الْخَيْرِ مُحَمَّدٍ^(٢) :

الْعَدْلُ الْفَاضِلُ ، الْمُحَدِّثُ ، الْفَصِيحُ ، الْبَارِعُ ، عَزَّ الدِّينُ ، أَبُو الْخَيْرِ ابْنُ
الشَّيْخِ بِهِاءِ الدِّينِ ، الْمُؤَصِّلِي الْحَنْبَلِي .

● كَتَبَ هُوَ إِلَيَّ سُؤَالَ^(٣) : [مَنْ السَّرِيعُ]

يَا أَيُّهَا الْفَاضِلُ أَوْضَحْ لَنَا مُبْهَمَ أَمْرِ لَمْ يَبَيِّنْ حُكْمَهُ
فِي رَجُلٍ نَسَبُهُ أَشْكَلَتْ إِذْ كَانَ عَمِّي وَأَنَا عَمُّهُ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [مَنْ السَّرِيعُ]

أُمُّ أَبِي زَوْجَهَا مَنْ أَخٍ لِأُمِّهِ فَافْهَمْ لِمَنْ عَمِّي
فَأَوْلَدَا بَيْنَهُمَا وَاحِدًا عَمًّا لِمَنْ أُمْسَى لَهُ عَمَّا

● وَكَتَبَ إِلَيَّ : [مَنْ الْبَسِيطُ]

أَبْشِرْ بِوَصْلِ مِنَ الْمَحْبُوبِ عَنْ كَتَبِ يَا قَلْبُ بِالرَّغَمِ مِنْ ضِدِّ وَمُزْتَقِبِ
فَكَمْ رَقِيبٍ ثَنَاءُ الْقُرْبِ مُكْتَتِبًا خَيْرَانَ نَضَبَ عُيُونِ الْهَمِّ وَالنَّصَبِ

(١) وكذلك أورده السيوطي في الأشباه والنظائر ٤/ ١٤٠ - ١٤٧ .

(٢) ترجمته في : تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٢٣٠ وإنباء الغمر ٢/ ٢٦٨ والدرر الكامنة ٣/ ٤٣ والمنهل
الصابي ٨/ ٦٣ والدليل الشافي ١/ ٤٥٣ .
- وفاته سنة ٧٨٩ هـ .

- في س : علي بن الحسين بن أبي الخير موسى !

(٣) سقط البيتان وجوابهما من س .

خَابَتْ مَسَاعِيهِ لَمَّا رَامَ فُرْقَتَنَا
مِنْ غَادَةٍ وَثَبَاتِ اللَّيْلِ كَامِنَةً
ضَرَبَ مِنَ السَّخْرِ يَجْرِي فِي لَوَاحِظِهَا
أَجْرَى سَحَابٍ دَمْعِي بَرَقَ مَبْسَمِهَا
وَبَذَرْتُ إِذَا مَا لَاحَ فِي صَعْدِ
فِي الطَّرْفِ مِنْهُ شَبَا هِنْدِيَّةٍ قُضِبِ
لَمَّا تَسَبَّبَ فِي قَتْلِي أَرَاقَ دَمِي
يَظَلُّ نَاطِرُهُ مِنْ سَخَرِ نَاطِرِهِ
لَمْ أَنْسَهُ إِذْ بَدَأَ كَالْبَذْرِ طَلْعَتُهُ
يَجْلُو عَلَى الثَّدْمَاءِ الزُّهَرِ فِي فَلَكِ
فَهِيَ الْعُرُوسُ أَتَتْهَا وَهِيَ لَا بِسَةَ
فَاسْتَجَلَ وَاشْرَبَ عَلَى وَجْهِ الرِّبْعِ فَكَمْ
فَالرَّوْضُ يَضْحَكُ بِالْأَزْهَارِ مُبْتَهَجًا
لَكِنْ شَقَائِقُهُ شَقَّتْ مَلَابِسَهَا
وَتَحْتَ أَشْتَارِ أَوْرَاقِ الْعُصُونِ قِيَا
كَأَنَّ فِي كُلِّ عُودٍ عُودَ غَائِيَةٍ
وَالْحُبُّ مِنْ سُكْرِهِ قَدْ بَاتَ يُرْشِفُنِي
تَعَبْتُ حَتَّى بَلَغْتُ الْوَصْلَ مِنْهُ وَمَا
وَمَا خَلِيِّي يَنَامُ اللَّيْلَ مِثْلَ فَتَى
مِثْلَ الْإِمَامِ صَلَاحِ الدِّينِ سَيِّدِنَا
فَشَأْنُهُ دَأْبُ مَا شَأْنُهُ مَلَكٌ

وَأُنِجَحَتْ لِي مَسَاعٍ قَطُّ لَمْ تَخْبِ
فِي لَحْظِهَا بَيْنَ أَخْيَاسٍ مِنَ الْهَدُبِ
يَخْمِي لَمَيَّ طَعْمُهُ أَخْلَى مِنَ الضَّرْبِ
غَلِطْتُ مَا الْبَرَقَ يَخْكِي لَمْعَةُ الشَّنْبِ
وَلَّى وَأَذْبَرُ صَبْرِي عَنْهُ فِي صَبَبِ
وَالْقَدُّ لَيْسَ قَنَاءَ خَطِيئَةِ سُلْبِ
يَا وَنَحْ قَلْبِي بِلَا ذَنْبٍ وَلَا سَبَبِ
مَا بَيْنَ مُبْتَهَجٍ مِنْهُ وَمُكْتَتِبِ
فِي لَيْلٍ شَعِرَ فَوَلَّى الْبَذْرُ فِي هَرَبِ^(١)
قَدْ صِينَعٌ مِنْ فِضَّةٍ شَمْسًا مِنَ الذَّهَبِ
ثَوْبَيْنِ ضِدَّيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ لَهَبِ
[٨٦ب] فِي وَجْهِهِ إِذْ بَدَأَ مِنْ مَنْظَرِ عَجَبِ
لَمَّا بَكَاهُ الْحَيَا مِنْ طَرْفٍ مُنْتَجِبِ
أَيْدِي نَسِيمِ الصَّبَا فِي مَأْتَمِ السُّحُبِ
نُ الْوُزْقِ شَقَّتِ الْأَسْمَاعَ بِالطَّرَبِ
تُجِيدُ ضَرْبًا وَلَمْ تَبْرُزْ مِنَ الْحُجُبِ
مِنْ رِيْقِهِ الْعَذْبِ مَا يَجْلُو صَدَا كُرْبِي
يَجْنِي الْفَتَى رَاحَةً إِلَّا مَنْ التَّعَبِ
يُسَيِّرُ الْعَزْمَ بَيْنَ الْحَزْمِ وَالذَّأْبِ
بَحْرِ الْعُلُومِ إِمَامِ الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ
وَالْجِدِّ فِي الْجِدِّ غَيْرِ اللَّهْرِ وَاللَّعِبِ

(١) في ب : × في حرب .

مَلِيكَ عِلْمٍ بَدَأَ بِالْجُودِ طَالِبُهُ
وَجَاسُهُ جَيْشُهُ وَالرَّأْيُ رَايَتُهُ
وَمَا صَفَائِحُهُ إِلَّا صَحَائِفُهُ
مَوَاهِبُ الْعِلْمِ وَالْإِحْسَانِ لِي كَثُرَتْ
مَكَارِمُ قَدْ هَمَّتْ كَابِنِ الْعِمَامَةِ مَعَ
يَا ذَا الرَّفِيعَيْنِ مِنْ قَدَرٍ وَمِنْ هِمَمٍ
يَا ذَا الْمَلِيحِينَ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ خُلُقٍ
وُدِّي لَكُمْ جَوْهَرٌ حَاشَاهُ مِنْ عَرَضٍ
اسْتَجَلَّ وَاسْتَخَلَّ مِنْ مَذْحِي مُنَقَّحَةٍ
وَطَائِرُ الْيُمْنِ فِي مَذْحِي وَلَيْسَ لَهُ
وَمَا انْتَحَلْتُ كَلَامَ النَّاسِ أَسْرِقُهُ
الْمَغْرِبِيِّ لَدَيْهِ الْعَقْلُ أَغْرَبُ مِنْ
نَذْلِي دَنِيءٍ لَيْسَ الطَّبَعُ ذِي سَفَهٍ
الصُّدُقُ مَذْحِي وَلَكِنْ قَوْلُهُ كَذِبُ
مَوْلَايَ رَامَ بَعَادِي عَنْ جَنَابِكُمْ
وَكَانَ سَيْرِي سَيْرًا غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
رَأَفْتَ بِي ثُمَّ قَدْ أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا
فَظَلْنَا بِكَ ظِلًّا غَيْرُ مُتَقَلِّبٍ
تَهَنُّ يَا مَوْلَايَ بِالشَّهْرِ الْعَظِيمِ وَبِالْ
وَاسِعَدَ بِإِثْنَانِ شَهْرٍ أَنْتَ صَائِمُهُ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ ازْتِجَالًا : [من البسيط]

أَهْلِيهِ دَوْحَةً مَيَّاسَةً الْقُضْبُ أَمْ نَعْرُ كَأْسٍ تَبْدَى بِاسْمِ الْحَبِّ

أَمْ خَدُّ أَعْيَدَ قَدْ وَشَّاهُ سَالِفُهُ
أَمْ السَّمَاءُ كَسَاهَا اللَّيْلُ حُلَّتُهُ
أَمْ عَقْدُ دُرٍّ نَفِيسٍ قَدْ خُصِصَتْ بِهِ
رَوَى الْحَدِيثُ فَرَوَى أَنْفُسًا ظَمِئَتْ
إِنْ قَالَ حَدَّثْنَا أَوْ قَالَ خَبَرْنَا
إِيرَادُ ذِي مَنْطِقٍ جَزَلٍ فَصَاحَتُهُ

تَسْمُو عَلَى مَنْ سَمَا فِي الشَّعْرِ وَالْخُطْبِ^(١)

لو كَانَ قَابِلَهُ فِي ذَلِكَ ابْنُ عَسَا
أَوْ جَارَ فِي أُذُنِ الْجَوَازِيِّ مَنْطِقُهُ
أَهْدَيْتَ نَحْوِي عَزَّ الدِّينَ غَايَتَهُ
يَأْتِ تَغَاذُلِي أَلْحَاطُ أَطْرَحَاهَا
فَهَمْتُ مِنْهَا مَعَانِيهَا فَهَمْتُ بِهَا
أَنْزَلْتَنِي فَوْقَ مِقْدَارِي بِمَدْحِكَ لِي
فَإِنَّ فَقِيرِي بِإِدٍ لَا خَفَاءَ بِهِ
وَأَنْتَ مِمَّنْ سَمَتْ فِي الْفَضْلِ هِمَّتُهُ
وَطَارَ كُلُّ مَطَارٍ فِي حُصُولِ مَعَا
فَمَا نَرَى حَجَلًا إِلَّا اكْتَسَى حَجَلًا
وَقَصَرَ الصَّقَرُ عَنْ شَأْوٍ تُحَاوِلُهُ
وَمَا أَغْرَزَتْ عَلَى أَلْفَاظٍ غَيْرِكَ فِي
وَلَمْ تَحْنُ لِخَلِيلٍ قَدْ صَفَا وَنَفَى

(١) سقط البيت من ب .

(٢) الخرب : ذكر الجباري .

كذا يَكُونُ الْكِرَامُ الطَّيِّبُونَ إِذَا ما عاملوا النَّاسَ في جِدٍّ وفي لَعِبٍ
فاغْدُرْ إِذَا شابَ هذا النَّظْمُ هَلْهَلَةً ولم تَجِدْ بَيْتَهُ مُسْتَوْثِقَ الطُّنْبِ^(١)
واضْفَحْ فَمَا هِيَ إِلَّا بِنْتُ سَاعَتِهَا بِلا مُسَوِّدَةٍ وَأَغْفِرْ ولا تَعِبْ
● وكتبَ هو إليّ مُلَغِزاً :

يا إماماً شاعَ ذِكْرُهُ، وطابَ نَشْرُهُ، فَطَيَّبَ الْوُجُودَ وَعَطَّرَ، وفاضِلاً بَيْنَ كُلِّ
مُعَمَّى وَمُتَرْجِمٍ، وَأَرْخَ وَتَرْجَمَ، وَعَمَّنْ غَبَرَ عَبَّرَ، وَكَتَبَ فَكَبَّتِ الْأَعَادِي، وَكَبَّتْ
من دُونِ خَطِّهِ وَحَظِّهِ فُرْسَانُ الْأَذْهَانِ وَالْأَيَادِي، فَتَخَطَّى قَوَامَ قَلْبِهِ وَتَخَطَّرَ^(٢) : [من
الطويل]

إِذَا أَخَذَ الْقِرْطَاسَ خِلْتَ يَمِينَهُ تَفَتَّحَ نَوْرًا أَوْ تُنْظَمُ جَوْهَرًا
ما اسمُ ثُلَاثِي الحُرُوفِ ، وهو بَعْضُ الظُّرُوفِ ، ماضٍ إِنْ تُصَحِّفُهُ عَادَ فِعْلَ
أَمْرٍ ، وَإِنْ ضَمَمْتَ أَوَّلَهُ صارَ مُضَارِعاً ؛ فاعْجَبْ لِهَذَا الْأَمْرِ ؛ إِنْ أَرَدْتَ تَغْرِيفَهُ
بِالْ تَنْكَرَ ، أَوْ تَغَيَّرَتْ عَلَيْهِ الْعَوَامِلُ فَهُوَ لا يَتَغَيَّرُ ، كُلُّ يَوْمٍ يَزِيدُ في بُعْدِهِ ، ولا
تَقْدِرُ على رَدِّهِ ، إِنْ نَزَعْتَ قَلْبَهُ بَعْدَ قَلْبِهِ فَهُوَ في لُغَةِ التَّرْدِ مَوْجُودٌ ، وَقَلْبُهُ
« سَمَا » فَلَا تَنَالُهُ الْأَحْزَابُ وَالْجُنُودُ ، وَكُلُّ ما في الْوُجُودِ إلى حالِهِ يَعُودُ ، بِهِ
يُضْرَبُ الْمَثَلُ ، وَمِنْهُ انْقَطَعَ الْأَمَلُ ، ثُلَاثُهُ حَرْفٌ اسْتِفْهَامٌ ، وَإِنْ تَعَكَّسَ يَطْرِدُ
ذَلِكَ النَّظْمُ ، وَثُلَاثُهُ الْأَوَّلُ كَذَلِكَ ، وَعَكْسُ ثُلَاثِيهِ يَنْزُكُ الْحَيَّ هَالِكاً في
الْهَوَالِكِ ، لا يُوصَفُ إِلَّا بِالذَّهَابِ ، وَلَيْسَ لَهُ إلى هذا الْوُجُودِ إِيَابٌ ، وهو
ثَلَاثَةٌ وَعَدَدُهُ فَوْقَ الْمِئَةِ^(٣) ، وَكَمْ رَحَلَ بَغْيَتُهُ بَعْدَ فِتْنَةٍ ، وَجِدَ وَلَيْسَ في الْوُجُودِ ،
بَيْنِي وَفِيهِ « أَسْ » وَلَكِنْ لا في السَّمَاءِ ولا في الْأَرْضِ ولا في هُبُوطٍ ولا في

صُعُودٍ ، طَرَفَاهُ اسْمٌ لِبَعْضِ الرِّياحِينَ الْمُعَطَّرَةِ^(١) ، وَكُلُّهُ جُزْءٌ مِنَ الْيَاسَمِينِ لَمْ يَ
اغْتَبَرَهُ ، مَكْسُورٌ لا يُغَيَّرُ ، وَغَائِبٌ لا يُسْتَحْضَرُ ، أَقْرَبُ مِنْ رُجُوعِهِ مَنَالٌ
مَعْكُوسِهِ ، يُذَكِّرُكَ الْعَاقِلُ بِفِكْرِهِ وَلَيْسَ مِنْ مَحْسُوسِهِ ؛ أَبْنَةُ لا زِلَتْ تَزِيلُ
الْإِشْكَالَ ، وَتُزِينُ الْأَضْرَابَ وَالْأَشْكَالَ : [من السريع]

[ب ٧٨] يا مَلِكَ الْعِلْمِ ويا مَنْ غَدَا خَادِمَهُ في الدَّهْرِ سَعَدَ الشُّعُودُ
صَرِينُفُ أَقْلَامِكَ يا سَيِّدِي يُخْشَى كَمَا يُخْشَى زَيْفُ الْأُسُودِ^(٢)
وَحَقَّقُ قِرْطَاسِكَ مِنْ تَحْتِهَا كَأَنَّهُ في الْوَقْعِ خَفَقُ الْبُنُودِ^(٣)
وَرَأَيْكَ الرِّايَاتِ وَالْجَاشُ جَيْدٌ شٌ لا يُلاقِي وَالْعُلُومُ الْجُنُودُ
لا زِلَتْ في عَزٍّ وَفي نِعْمَةٍ تَسُرُّ خِلاً وَتَسُوءُ الْحَسُودُ

● فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ في « أَمْس » : [من السريع]

يا فاضِلاً أَقْلَامُهُ لَمْ تَزَلْ تَحَوُّكُ ما يَكْتُبُهُ كَالْبُرُودِ
وَنَاطِماً إِنْ قالَ شِعْراً فَقَدْ أَرَزْتَ قَوافِيهِ بِذُرِّ الْعُقُودِ^(٤)
وَمَنْ إِذَا أَلْغَزَ شَيْئاً فَقَدْ أَنْجَزَ في الْإِبْداعِ مِنْهُ الْوُعودُ
وَمَنْ لَهُ كَالْماءِ في رِقَّةٍ ذَهْنٌ رَمَى جَمَرَ الْغَضَا بِالْخُمُودِ
بِقَدْرِ ما عِنْدَكَ مِنْ خَاطِرٍ مُتَّقِدٍ أَضْبَحَ عِنْدِي جُمُودُ
وَقَفَ الْمَمْلُوكُ على هذا اللَّغْزِ الذي أَبْدَعْتَهُ ، وَفَهِمَ بِسَعْدِكَ السِّرِّ الذي
أَوْدَعْتَهُ ، فَوَجَدْتُهُ ظَرْفاً مَلَأْتَهُ مِنْكَ ظَرْفاً ، واسْماً بَيْنِي لَمَّا أَشْبَهَ حَرْفاً ، ثُلَاثِي
الحُرُوفِ ، ثُلْتُ ما انْقَسَمَ إِلَيْهِ الزَّمانُ مِنَ الظُّرُوفِ ؛ إِنْ قَلْبَتَهُ « سَمَا » ، وَارَاكَ

(١) آس .

(٢) في هامش م : ط : صرير .

(٣) سقط البيت من م .

(٤) سقط عجز هذا البيت مع صدر ما يليه ، فتلفق ما بقي منهما .

(١) في س : إذا شابَ نَشَجَ النَّظْمِ

(٢) البيت لابن المعتز ، في ديوانه ٤٧٩/١ وأدب الكتاب للصولي ٨٥ .

(٣) كلمة « أَمْس » بحسب الجُمْل (١٠١) . الألف = ١ . والميم = ٤٠ . والسين = ٦٠ .

حَزَفَ تَنْفِيسٍ ، وما بَقِيَ مِنْهُ « ما » ؛ ثَلَاثُهُ « مَسٌّ » ، وَكُلُّهُ بِالتَّخْرِيفِ
« أَمْسٍ » ، وَهُوَ بِلاَ أَوَّلٍ تَصْحِيفُهُ « مُبَيَّنٌ » ، وَفِي عَكْسِهِ « سُمْ » تَعَيَّنَ ، التَّقَى
فِيهِ سَاكِتَانِ فَبَيَّ عَلَى الْكَسْرِ ، وَوَقَعَ بِذَلِكَ فِي الْأَسْرِ ، لَا يَتَصَرَّفُ بِالْأَعْرَابِ ،
وَلَا يَدْخُلُهُ تَنْوِينٌ فِي لِسَانِ الْأَعْرَابِ ، يَبْعُدُ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ ، وَيَنْطِقُ بِهِ وَمَا تَحَرَّكَ
فِيهِ لِسَانٌ ، لَا يُذَرِّكُ بِاللَّمْسِ ، وَلَا يُرَى فِيهِ ثَلَاثُ « شَمْسٍ » ، تَتَغَيَّرُ صَنِغَتُهُ حَالَةَ
النَّسَبَةِ إِلَيْهِ ، وَيَدْخُلُهُ التَّنْوِينُ إِذَا طَرَأَ التَّنْكِيرُ عَلَيْهِ ، مَتَى بَاتَ فَاتٌ ، وَلَمْ يَعُدْ لَهُ
إِلَّا لِكَ النِّفَاثِ^(١) : [من السريع]

أَمْسٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْ قُرْبِهِ يَعْجِزُ كُلُّ النَّاسِ عَنْ رَدِّهِ
فَمَا ضِيَهُ مَا يَرُدُّ ، وَثَانِيَهُ مَا يُصَدُّ ، وَطَرِيقُ ثَالِثِهِ مَا يُسَدُّ^(٢) : [من الطويل]
ثَلَاثَةُ أَتِيَامٍ هِيَ الدَّهْرُ كُلُّهُ وَمَا هِيَ غَيْرَ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ وَالْعَدِ
قَدْ اسْتَوْعَبَ مَوْلَانَا أَوْصَافُهُ ، وَضَمَّ إِلَى دَائِرَةِ الْحُسْنِ أَطْرَافَهُ ، فَمَا تَرَكَ فِيهِ
بَعْدَهُ فَضْلَةً تُلْتَقِطُ ، وَلَا مُعْجَماً يُهْمَلُ أَوْ يُنْقَطُ ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَتِمَّ كُنْ الْمَمْلُوكُ فِيهِ
مِنَ الْعَمَلِ ، وَلَمْ يَتَلُغْ مِنَ الْإِبْدَاعِ فِيهِ نِهَآةَ أَمَلٍ ، وَخَبَطَ فِي هَذَا الْجَوَابِ خَبَطَ
الْعَشَوَاءِ ، فَاخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ بِالْهَمَلِ ، وَقَالَ : هَذَا يَوْمٌ صَفِيْنٌ مَعَ عَلِيٍّ أَوْ يَوْمُ
الْجَمَلِ ؟ وَاللَّهُ يُمْتَنِعُ الْوُجُودَ بِهَذِهِ الْفَوَائِدِ الْعِزِّيَّةِ ، وَالْمَحَاسِنِ الَّتِي لَا تُنْشَرُ مَعَهَا
الْمَطَاوِي الْبِزِّيَّةُ ؛ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^(٣) .

● وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ مُلْغِزاً : [من المجتث]

يَا فَاضِلاً ذَا عُلُومٍ سَمَتْ بِذِهْنٍ شَرِيفٍ
مَا اسْمٌ لِشَيْءٍ لَطِيفٍ يَأْتِي بِمَعْنَى مُنِيفٍ

مُدَوَّرُ الشُّكْلِ لَكِنْ لَهُ ثَلَاثُ حُرُوفٍ
يَسِيرُ طَوْرًا بِخَيْرٍ وَتَوَارَةً بِخُتُوفٍ
أَصَمُّ يُضْغِي إِلَى النَّجْوَى ، أَخْرَسُ يُفْصِحُ بِالْدَّعْوَى ، لَهُ لِسَانَانِ وَعَيْنٌ
وَاحِدَةٌ ، وَقَامَةٌ تَرَاهَا عِنْدَ إِسْدَاءِ الْمَعْرُوفِ مَائِدَةً ، يَسْجُدُ عِنْدَ سَمَاعِ الْآيَاتِ ،
وَيَجْرِي وَلَيْسَ لَهُ رِجْلَانِ إِلَى الْغَايَاتِ : [من المجتث]

[١٨٨] إِذَا عَلَا صَخْرٌ خَدٌّ حَلَاةً بِالتَّخْرِيفِ
وَأِنْ مَشَى وَهُوَ حَافٍ سَمِعْتَ حُسْنَ الصَّرِيفِ
وَكَمْ لَهُ مِنْ أَيَادٍ تُطِيعُ أَمْرَ الْكُفُوفِ
إِنْ سَاقَ قَوْلًا ثَقِيلاً أَتَى بِمَعْنَى خَفِيفِ

كَبِيرُ الْقَدْرِ ، صَغِيرُ الْجِزْمِ ، يُقْطَعُ لِسَانُهُ وَمَا أَتَى بِجُزْمٍ ، يُخْبِي الْأَمَالَ بِيَدٍ
وَيَقْتُلُ بِالْأُخْرَى وَلَا يَدِي ، وَإِذَا انْعَكَسَ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى^(١) ، شَجَرَةٌ
ثَمَرُهَا يُخْجَلُ اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ، غُضُنٌ فَيْنَانٌ ، يَمِيسُ مِنْ رِيَاضِ الْمَعَانِي فِي
بُسْتَانٍ ، يَسْكُنُ إِلَى الرَّاحَةِ فَيُنْعِبُهَا وَيَتَعَبُ ، وَيُقْطَعُ إِذْ بَرَأْسِهِ يَلْعَبُ ، كَمْ أَنَارَ
حَزْباً عَوَانٌ ، وَنَفَثَ مِنْ عَقْدِهِ سِحْراً جَهْدَتْ مِنْهُ الْفُرْسَانُ : [من المجتث]

سَهْمٌ وَيَزْمِي سِهَاماً تُعَدُّ فَوْقَ الْأَلُوفِ
وَإِ بِكُلِّ خَلِيلٍ نَاسٍ لِكُلِّ أَلُوفٍ
فَلَمْ تَصْخَفْهُ إِلَّا رَأَيْتَ عِلْمَ اللَّطِيفِ
أَيْنَهُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ وَجُدْ بِلَفْظِ ظَرِيفِ
فِي قَلْبِهِ عَنِ التَّوَدُّدِ وَالْإِنْطِبَاعِ أَسْفَارٌ ، وَمِيَاهُ تَعَكَّفُ عَلَيْهَا الْأَطْيَارُ ، إِنْ

(١) من قول النابغة الذبياني : [ديوانه ٣٧]

كَالْأَنْحَوَانِ غَدَاةً غَبَّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى

(١) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ١٠١٦/٣ .

(٢) البيت لأبي العلاء المعري ، في شروح سقط الزند ٣٥٠/١ .

(٣) وسقط ما بعد ذلك من س إلى نهاية الترجمة .

عَصَى عَلَى غَيْرِكَ أَجَابَكَ أَنَّى تَدْعُوهُ ، وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْكَ كَالْمِقْيَاسِ يُفْرَحُ قَلْبُ مَنْ يَرْجُوهُ ، وَكَيْفَ لَا وَأَصَابِعُ الْبَحْرِ الْخُلُوعُ تَعْلُوهُ ؛ وَاللَّهُ يَكْشِفُ بَعْلَمَ مَوْلَانَا عَنَّا مِنَ الْجَهْلِ غُمَّمَ ، وَيُدِيمُهُ لِحَدَمِهِ مَا جَرَى فِي لَوْحِ قَلَمٍ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابَ عَنْهُ ازْتِجَالاً ، وَهُوَ فِي « قَلَم » : [من المجت]

يَا مَنْ يَحُلُّ الْمُعَمَّى مِنْهُ بِذَوْقٍ لَطِيفٍ
وَمَنْ تَحُلُّ الْمَعَانِي مِنْهُ بِطَوْدٍ مُنِيفٍ
وَمَنْ إِذَا قَالَ لُغْزاً أَتَى بِشَيْءٍ ظَرِيفٍ
دَانَ إِلَيَّ كُلُّ فَهْمٍ عَلَى الْقُلُوبِ خَفِيفٍ

يَا مَوْلَانَا ، هَذَا الَّذِي قَصَدْتَ الْغَايَةَ ، وَعَوَّضْتَ عَنْ الْحَقِيقَةِ مَجَازَهُ ، يَسْجُدُ لِبَارِيهِ ، وَيَتَعَبُ إِذَا كَانَ فِي كَفِّ الْمَوْلَى مَنْ يُجَارِيهِ ، يُتَرْجَمُ عَنْ ضَمِيرِ الْفُؤَادِ ، وَيَزِينُ الْبَيَاضَ بِالسَّوَادِ ، يَسْعَى عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ ، وَيَرُوضُ الطُّرُوسَ فَيَضِلُّ مَنْ شَبَّهَ الزَّهْرَ بِأَنْفَاسِهِ ، قَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فِي الْكِتَابِ ، وَجَعَلَهُ فِي الْبَنَانِ نَائِباً عَنِ الْبَيَانِ فِي الْخُطَابِ : [من المجت]

كَمْ قَدْ أَتَاخَ فُتُوْحاً وَكَمْ أَتَى بِخُتُوفٍ
وَلَيْسَ يَطْعَنُ يَوْمَاً سِنَانُهُ فِي الصُّفُوفِ
وَكَمْ أَبَاخَ الْعَطَايَا فِي تَالِيدٍ وَطَرِيفٍ
إِذَا طَفَا الْجُودُ مِنْهُ لَمْ يَقْتَنِعْ بِالطَّفِيفِ

أَحَاشِيكَ مِنْ قَلْبِهِ ، وَقَلْبُ بَعْضِهِ مِنَ الْعَوَانِي تَحَكُّمٌ عَلَى الْقَلْبِ بِسَلْبِهِ ، إِنْ حَذَفَتْ أَوْلَاهُ كَانَ حَزَفٌ سَلْبٍ ، وَإِنْ طَرَحَتْ ثِيَابُهُ كَانَ أَمراً مِنَ الْوُثْبِ ، وَإِنْ نَقَضَتْ أُخْرَاهُ كَانَ أَوَّلَ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ ، وَإِنْ حَذَفَتْ مِنْ إِعْجَامِهِ نُقْطَةً فِي هَذِهِ

الْحَالَةَ فَهُوَ كِنَايَةٌ فِي النَّاسِ عَنْ بَعْضِ الْأَشْخَاصِ ^(١) : [من المجت]

قِوَامٌ كُلُّ وَزِيرٍ وَزَيْنٌ كُلُّ شَرِيفٍ
لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءَ حَتَّى تَلِيَّ يُعِينَهُ بِرَدِيفٍ
لَأَنَّهُ مَعَ سَطَاهُ تَلْقَاهُ جِدّاً ضَعِيفٍ
لَكِنْ يَرُدُّ الرِّزَايَا مِنْهُ بِرَأْيٍ حَصِيفٍ

[٨٨ ب] فِيهِ الْمُنَى وَالْمَنُونُ ، وَآخِرُ وَسْطِهِ آخِرُهُ ^(٢) ؛ فَاغْجَبَ لِسَرِّهِ الْمَكْنُونِ ، يُلَازِمُ الْأَسْفَارَ وَهُوَ مُقِيمٌ ، وَيَدْفَعُ الْمُغْضِلَاتِ وَهُوَ سَقِيمٌ ؛ فَسُبْحَانَ مَنْ سَخَّرَهُ لِلْمَوْلَى يُدِيرُهُ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيُصَرِّفُهُ فِي فُنُونِ الْإِنْشَاءِ ، لَا زَالَ الْبَيَانِ طَوْعَ بَنَانِهِ ، وَنَفَثَاتِ فِيهِ وَلِسَانِهِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

● (٣) وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ مِنْ حَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ : [من السريع]

تَعَطَّرِي يَا نَسَمَاتِ الرِّيحِ بِنَفْحَةِ الزَّهْرِ إِذَا الزَّهْرُ فَاخَ
وَكُلَّمَا اسْتَعْبَرَ دَمْعُ الْحَيَا فَرَقَرَقْنِيهِ فِي خُدُودِ الْبَطَاخِ
وَرَنْحِي أَغْطَافَ غُضَنِ النَّقَا إِذَا تَغَنَّتْ فِيهِ ذَاتُ الْجَنَاحِ
وَنَشْرِي مِنْ طَيِّ أَوْزَاقِهِ أَزْراً عَلَى مِثْلِ قُدُودِ الْمِلاخِ
وَنَثْرِي مَنْ نَظَّمِ أَزْهَارِهِ دُرّاً بِهِ تُزْهِى عُقُودُ الرِّوَاخِ
وَصَافِحِي النَّرْجِسَ فِي مَرْجِهَا وَغَارِلِي يَلِكَ الْعُيُونُ الْوَقَاخِ
وَذَكِّرْنِي بِزَمَانٍ مَضَى بِالْأُنْسِ مَعَ تِلْكَ الْوُجُوهِ الصُّبَاخِ
وَخَبِّرِي الْمُشْتَقَّ عَنْهُمْ فَقِي ذِكْرَاهُمْ لِلْقَلْبِ أَيُّ انْشِرَاخِ
يَا وَيْحَ صَبِّ عَنْهُمْ مَالَهُ إِنْ بَرَّحَ الشَّقُوقُ بِهِ مِنْ بَرَاخِ

(١) قَل = فُلَان .

(٢) وَسْطُهُ « لَام » آخِرُهُ مِيم . وَهُوَ آخِرُ « قَلَم » .

(٣) مِنْ هُنَا إِلَى نَهَايَةِ التَّرْجُمَةِ ، مِنْ بَ فَقَط .

إِنْ فَسَدَتْ بِالْبَيْنِ أَحْوَالُهُ
الْفَاضِلُ الْحَبْرُ الْكَرِيمُ الَّذِي
وَهُوَ الَّذِي إِنْ رَقَمْتَ كَفَّهُ
وهو الذي أعطاف أشعاره
وهو الذي لاحث معانيه في
لا أَوْحَشَ الرَّحْمَنُ مِنْ وَجْهِهِ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ : [من السريع]

ففي صلاح الدِّينِ يَرْجُو الصَّلَاحُ
زَانَتْ عَطَايَاهُ سَمَاءَ السَّمَاحِ
طُرْسًا فَقَدْ حَلَّ الدُّجَى فِي الصَّبَاحِ
تَوَشَّحَتْ بِالذُّرِّ أَيَّ اتِّشَاحِ
أَلْفَاطِهِ غُرًّا وَضَاءً وَضَاحِ
ومن معانيه الصُّحاحِ الفِصَاحِ

جاءَتْ وقد لاحَ مُحْيَا الصَّبَاحِ
وَلِلصَّبَا بَيْنَ الرُّبَا وَتُبَّةُ
وَالْأَفْقُ غُطْلٌ مِنْ نُجُومِ الدُّجَى
فَأَخْجَلَتْ وَجْهَ الْحَبِيبِ الَّذِي
فِيَا لَهَا خَمْرَةٌ نَظْمٌ وَقَدْ
ثُمَّ اغْتَبِطَ إِنْ لَمْ بِهَا اغْتَبِطَ
وَدِدْتُ أَنَّ الْبَيْنَ مَا بَيْنَنَا
كِي أَتَمَلَّى بِالثَّوَانِي الَّتِي
فَهِيَ قَوَافِيكَ الَّتِي صَيَّرَتْ
فَمَا عَسَى تَطْلُبُ مِنِّي إِذَا

أَيَّاتُكَ الْغُرُّ الْوَسَامُ الصَّبَاحِ
من بعدما قد أَبْطَأَتْ فِي الْبَطَاحِ
وَالشَّيْخُ مِنْ دُرِّ النَّدَى فِي وَشَاحِ
لاحَ وقد هَامَ بِهِ كُلُّ لَاحِ
أَضْبَحْتَ يَا صَاحِبِ بِهَا غَيْرَ صَاحِ
ولا اضْطَبَّارَ لِي عَنْ الْاضْطَبَاحِ
لَمْ تُطَوِّ مِنْهُ شُقَّةُ الْإِنْتِزَاحِ
تَرْفُهَا لِي غُدْوَةٌ أَوْ رَوَاحِ
جَمِئِ فُؤَادِي لِهَوَاهَا مُبَاحِ
مَا امْتَدَّ بِاعِي سَاعَةَ الْإِمْتِزَاحِ

● وَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ أَيْضًا مِنْ حَلَبَ : [من المتقارب]

أَلَا حَبَا عِشْتِي الرَّاضِيَّةُ
وَيَا طِيبَ أَوْقَاتٍ وَضَلَّ مَضَتْ
لِيَالِي أَنْصَبُ فَخَّ الْهَوَى
وَيَا حُسْنَ جَلَّقَ مِنْ جَنَّةِ

وَأَيَّامُ صَبَوَتِي الْمَاضِيَّةُ
مُدْبَجَةُ الذَّيْلِ وَالْحَاشِيَّةُ
فَأَقْبِضْ ذَا الْمُقْلَةِ السَّاجِيَّةُ
قُطُوفُ الْأَمَانِي بِهَا دَانِيَّةُ

رِحَابٌ مَشَارِبُهَا صَافِيَّةُ
تَمَایِلُ أَغْصَانُهَا مُذْ شَرِبْنَ
جَوَارِي أَنْهَارِهَا قَدْ غَدَتْ
مَغَانٍ يُلْدُ سَمَاعُ الْغِنَا
إِذَا سَافَ طِيبَ شَذَاهَا الْعَلِيلُ
كَأَنَّ الْغَمَامَ إِذَا جَادَهَا
يَمِينُ صَلاحِ لِديِنِ الْإِلَهِ
فَلَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْ وَجْهِهِ

عِذابٌ بِشَائِرُهَا ضَافِيَّةُ
بِكَأْسِ الصُّبَا مِنْ يَدِ الْغَادِيَّةِ
بِجَوْهَرِ أَزْهَارِهَا حَالِيَّةُ
بِهَا مِنْ هَوَاتِفِهَا الشَّادِيَّةِ
كَسَتْ جِسْمَهُ حُلَّةَ الْعَافِيَّةِ
يَمِينُ لِسِينِهَا هَامِيَّةُ
إِمَامٌ لَهُ الْهَمَّةُ الْعَالِيَّةُ
ولا زالَ مِنْ نِعْمَةٍ بَاقِيَّةُ

● فكتبْتُ أَنَا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ : [من المتقارب]

أَتَتَّنِي أَيْبَاتُكَ الْحَالِيَّةُ
تَلَوُّحُ بُدُورِ الْمَعَانِي لَنَا
لَهَا زُخْرُفٌ قَدْ سَبَا خَاطِرِي
فَلِإِنْ كُنْتَ أَهْلِدَيْتَهَا غَادَةً
وَإِنْ كُنْتَ حَبَّرْتَهَا رَوْضَةً
لَقَدْ رَوَّضْتَ طِرْسَهَا لِلْوَرَى
وَيَا طِيبَ نَفْحَةِ أَزْهَارِهَا
سُطُورُكَ أَنْهَارُ فَضْلِ جَرَتْ
أَتَتَّنِي وَقَدْ عَبَثَتْ بِي النَّوَى
فَأَهْدَتْ لِعَيْنِي طَيْفَ الْكَرَى
وَلَكِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْحَشَا
وَلَمْ تُطْفِ نَارًا بِغَرَزِ الْحَشَا
أَلَا يَا عَلِيَّ الْقَمْرِيضِ افْتَحِرْ

فَمَيَّزَتْ بَيْنَ الْوَرَى حَالِيَّةُ
تَمَامًا بِأَسْطُرِهَا الدَّاجِيَّةُ
فَأَمَّتْ لَهَا الشُّعْرَا جَائِيَّةُ
فَلِإِنْ دُمُوعِي لَهَا جَارِيَّةُ
فَعَيْنِي بِهَا قَدْ جَرَتْ سَاقِيَّةُ
سَحَائِبُ إِذْ أَبْكَتِ الْهَامِيَّةُ
فَقَدْ أَرْخَصَتْ عِنْدِي الْغَالِيَّةُ
وَكَمْ لَكَ يَا بَحْرُ مِنْ رَاوِيَّةُ
وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي الضَّنَى بَاقِيَّةُ
فَلَيْتَ عَلَى عَيْنِكَ الْوَاقِيَّةُ
بِتَأْكِيدِ خِدْمَتِكَ الْعَالِيَّةُ
شَرِيعَةُ عَيْنٍ غَدَتْ دَامِيَّةُ
فَشَيَعْتُكَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَّةُ

وقد شَبِعَ النَّاسُ مِمَّا رَوَوْا وَلِلْخَلْوِ وَسَطَ الْحَشَا زَاوِيَةٌ

٥٥ * علي بن داود بن يحيى بن كامل بن يحيى بن جُبَارَةَ بن عبد الملك بن يحيى بن عبد الملك بن موسى بن جُبَارَةَ^(١)، يَنْتَهِي إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ:

الشَّيْخُ الْإِمَامُ ، الْعَالِمُ الْعَلَامَةُ ، الْفَرِيدُ الْكَامِلُ ، النَّحْوِيُّ ، الْأُصُولِيُّ ، الْفَقِيهُ ، الْأَدِيبُ ، نَجْمُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الْقَاضِي عِمَادِ الدِّينِ ، الْقَحْفَازِيُّ الْحَنْفِيُّ .

● كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَطْلُبُ مِنْهُ مَا أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَرْجُمَتِهِ فِي « تَارِيخِي الْكَبِيرِ »

على العادة^(٢) : [من الخفيف]

يَا مُفِيدَ الْوَرَى مَعَانِي الْمَعَالِي وَإِمَامَ الْأَنَامِ فِي كُلِّ عِلْمٍ
إِنَّ لِي مُعْجَمًا كَأَفْقِي فَسِيحٍ أَشْتَهِي أَنْ يُزَانَ مِنْكَ بِنَجْمٍ
فَتَأَخَّرَ جَوَابُهُ إِلَيَّ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ^(٣) : [من الطويل]

ظَفِرْتُ بِوَعْدِ مِنْكَ بَلَّغْنِي الْمُنَى وَجُودُكَ نَجْمَ الدِّينِ لَيْسَ يَحُولُ
وَقَدْ طَالَ لَيْلِي لِأَنْتِظَارِ وَرُودِهِ وَلَيْلُ الَّذِي يَزْعَى النُّجُومَ طَوِيلُ

● فَكَتَبَ هُوَ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ^(٣) : [من مجزوء الرجز]

يَا سَائِلِي عَنْ نَسَبِي وَمَوْلِي وَادَّبِي

(١) ترجمته في : ذيل العبر ٢٤٥ وأعيان العصر ٣/٣٥٦ والوافي بالوفيات ٨٣/٢١ وفوات الوفيات ٣/٢٣ والجواهر المضية ٤/٢٨٣ وفوات ابن رافع ١/٢١٣ وتذكرة النبيه ٣/٧٤ والبداية والنهاية ١٨/٤٧٥ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١/٤٣١ والذرة الكامنة ٣/٤٧ والمنهل الصافي ٨/٧٣ والدليل الشافي ١/٤٥٥ والذيل التام ١/٧٣ والدارس ١/٥٤٧ - ٥٤٨ و٢/٤٢٦ وبغية الوعاة ٢/١٦٦ وشذرات الذهب ٨/٢٤٨ .

- مولده سنة ٦٦٨ هـ . ووفاته سنة ٧٤٥ هـ .

(٢) البيتان في أعيان العصر والوافي .

(٣) القصيدة في أعيان العصر والوافي .

وَمَا قَرَأْتُ فِي الْعُلُوِّ وَمَنْ أَخَذَتْ ذَاكَ عِنْدَ
وَعَيْرِهِمْ مِمَّنْ حَوَى وَمَا الَّذِي سَمِعْتُهُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَحَدٌ وَذَكَرَ شَيْءٍ صَغُتُهُ
وَمَا الَّذِي صَفَّتُهُ لَوْلَا وَجُوبُ حُرْمَةِ الْ
مَا قُلْتُ ذَاكَ خَشْيَةً يَقُولُ إِنِّي قُلْتُهُ
لَكِنَّمَا الْبُخْلُ بِمَا وَالْمُقْتَضَى مِنِّي لَهُ
وَهُوَ خَلِيلٌ فِي الرَّخَا وَهُمُّهُ فِي جَمْعِ شَمِ
وَمَا صَلاَحُ الدُّيْنِ إِلِ هَذَا الَّذِي أَوْجَبَ لِي
عَنْ مَخْتَلِي وَمَوْلِي فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ
مُخْتَصِرًا مُقْتَصِرًا مَا سَتَرَاهُ وَاضِحًا
لَا زِلْتُ لِلْفُضْلِ جَمِي

م من شَرِيفِ الْكُتُبِ ه مِنْ شَيْوِخِ مَذْهَبِي
سِرِّ كَلَامِ الْعَرَبِ عَنِ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ
لَوْلَاكَ جُنْحُ غَيْهَبٍ مِنْ شِعْرِي الْمُتَخَبِّ
مِنْ كُتُبٍ وَخُطَبٍ قَضَدِ وَرَغِي الرُّتَبِ
مِنْ حَاسِدٍ مُؤَنَّبٍ مُفْتَنٍ رَأَى بِحَسَبِي
سُئِلْتُ لَا يَحْسُنُ بِي لَا يَأْتَلِي فِي الْطَلَبِ
وَعُدَّةً فِي الْكُورِ لَلْفُضْلِ لَا فِي النَّشَبِ
لَا فِي افْتِنَاءِ الْقُرَبِ يَا صَاحِبَ كَشْفِ الْحُجُبِ^(١)
وَفَضْلِي الْمُخْتَجِبِ مِنْ عَائِلِي مُنْدَبِ
مُعْتَذِرًا مِنْ رَهْبِي مُرْتَسِمًا عَنْ كَثَبِ^(٢)
وَلَيْتَ كَالْأَبِ

(١) في م : هو الذي . . . × .

(٢) في ب : مما تراه واضحاً × .

تَجْمَعُ شَمْلَ ذِكْرِهِمْ مُخَلِّدًا فِي كُتُبِ

● وَأَشْدَّتُهُ يَوْمًا قَوْلِي بِالذَّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ^(١) : [من البسيط]

رَكِبْتُ فِي الْبَحْرِ يَوْمًا مَعَ أَخِي أَدَبٍ فَقَالَ : دَغْنِي مِنْ قَالٍ وَمِنْ قَيْلٍ
شَرَحْتَ يَا بَحْرُ صَدْرِي الْيَوْمَ، قُلْتُ لَهُ : لَا تُنَكِّرِ الشَّرْحَ يَا نَحْوِي لِلنَّيْلِي

فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ ، وَأَشْدَّنِي لِنَفْسِهِ مَا كَتَبَهُ هُوَ إِلَى [١٨٩] الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ
مُحَمَّدَ بْنَ بَصْخَانَ^(٢) ، وَقَدْ أَقَامَ بِمِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ^(٣) : [من الكامل]

يَا غَائِبًا قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ قَلْبُهُ بِسَوَى دِمَشْقَ وَأَهْلِهَا لَا يَغْلِقُ
إِنْ كَانَ صَدَّكَ نَيْلُ مِصْرٍ عَنْهُمْ لَا غَرَوْ فَهَوَ لَنَا الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ

● فَأَشْدَّتُهُ لِنَفْسِي فِي مَعْنَى زُرْقَةِ النَّيْلِ^(٤) : [من الخفيف]

قَالَ خِلِّي بِاللهِ صِفَ أَرْضَ مِصْرٍ وَقَتَ كَتَانِهَا بِوَضْفٍ مُحَقَّقٍ
قُلْتُ : أَرْضُ النَّيْلِ يُرَوَّى ثَرَاهَا فَلِهَذَا الْكَتَّانَ نَوَّرَ أَزْرَقُ^(٥)

* * *

(١) البيتان في حسن المحاضرة ٣٢١/٢ .

(٢) محمد بن أحمد بن بَصْخَانَ ، شيخ القراء بدمشق ، توفي سنة ٧٤٣ هـ . ضبطه المؤلف في الوافي ١٥٩/٢ بقوله : يفتح الباء الموحدة ، وسكون الصاد المهملة ، وبعد الخاء المعجمة ألف ونون .

(٣) البيتان في أعيان العصر والوافي والقوات .

(٤) البيتان في حسن المحاضرة ٣٥١/٢ والكشف والتنبيه ٢٩٦ .

(٥) في م : . . . يزهي ثراها × .

(*) وجاء في خاتمة « م » :

تمَّ الجزء الأول من كتاب ألحان السَّوَجِجِ بين البادية والمراجع للمولى العلامة صلاح الدين الصَّفْدِي رحمه الله عليه في حادي وعشرين من شهر شوال الكريم أحد شهور سنة ستين وألف هجرية . والحمد لله وحده .